



الأجزاء الثلاثة
كاملة

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م







تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية

• يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، حوالي ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير تحتوي على خرائط و صور فوتوغرافية و فهارس فنية، وضعه مؤلفه عن مديرية خط الاستواء المصرية التي قال عنها:
" إنها بما تحوي من منابع النيل ألزم لمصر من مدينة الإسكندرية ".

تلك المديرية التي فتحها الجنود المصريون و السودانيون في عهد الخديو إسماعيل طبقاً لرؤية الاستراتيجية لأهميتها كمصدر لمصادر مياه مصر – مياه النيل – من المنبع إلى المصب.

كان العصر عصر المد الاستعماري الغربي الذي بلغ أقصاه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و كانت مصر النهضة متنبهة لهذا الخطر تحاول أن تضع حواجز الصد أمامه و أن تعطل مسيرته بغية الحفاظ على أمنها القومي و مصالحها الحيوية. ورغم صعوبة المهمة كما يقول المؤلف: " فلقد شقت مصر طريقها إليها بجنودها المصريين و السودانيين الأبطال، ذوي النجدة و البأس و الصبر... حتى إذا فتحها الله عليهم و رسخت أقدامهم فيها، و عملت أيديهم في تطهير جوها و تمدين أهلها، أخرجتهم منها السياسة الماكرة و أبعدتهم عنها أبالستها ".

و في لغة وجدانية يهدي المؤلف كتابه: " أهدي كتابي هذا إلى أبناء وادي النيل عامة، و شباب مصر و السودان خاصة، فهؤلاء الشباب الأبرار الأطهار هم معقد الأمل و مناط الرجاء، و هم هم الجديرون منا حقاً بهذا الإهداء ".

وتتجلى أهمية هذا الكتاب الذي لم ينشر منذ ٧٠ عاماً إلى ما تتعرض له الدول النامية عامة و دول حوض النيل خاصة من مؤامرات غربية تهدف للوقيعة بينها بغية استغلالها و الاستيلاء على خيراتها.

• المؤلف: العلامة المغفور له الأمير عمر طوسون (١٨٧٢ - ١٩٤٤)

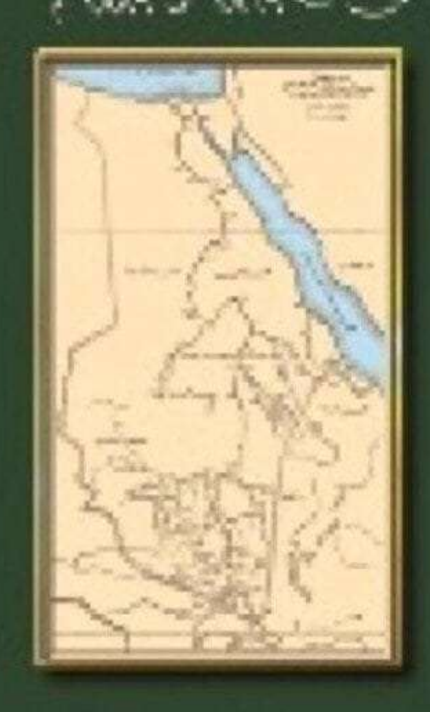
نجل الأمير محمد طوسون بن محمد سعيد باشا والي مصر ابن محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة. ولد بالإسكندرية، و كرس حياته للأعمال الخيرية و الاجتماعية و التأليف التاريخي و الجغرافي في القضايا المصرية و السودانية، بالإضافة إلى نشاطه الاستكشافي الأثري و تبرعاته المالية و المعنوية للقضايا الوطنية، كما كان له العديد من المواقف البطولية الوطنية و الأفريقية في مناهضة الاستعمار بشتى أشكاله.

بلغت مؤلفاته بالعربية و الفرنسية أكثر من ٥٠ مؤلفاً.

أسس و رأس و شارك في العديد من الجمعيات الخيرية أشهرها: المواساة، الشبان المسلمين، الجمعية الخيرية القبطية، النادي السوداني، جمعية فقراء الإسكندرية، جمعية الإحسان النوبية، الجمعية الخيرية لطائفة الأرمن، و غيرها.







الجزء الأول

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م



مكتبة الآداب



تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية

• يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، حوالي [illegible] صفحة من القطع الكبير تحتوي على خرائط و صور فوتوغرافية و فهارس فنية ، وضعه مؤلفه عن مديرية خط الاستواء المصرية التي قال عنها :

" إنها بما تحوي من منابع النيل ألزم لمصر من مدينة الإسكندرية ".

تلك المديرية التي فتحها الجنود المصريون و السودانيون في عهد الخديو إسماعيل طبقاً لرؤيته الاستراتيجية لأهميتها كضمان لمصدر مياه مصر – مياه النيل – من المنبع إلى المصب .

كان العصر عصر المد الاستعماري الغربي الذي بلغ أقصاه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، و كانت مصر النهضة متنبهة لهذا الخطر تحاول أن تهدم حواجز الصد أمامه و أن تعطل مسيرته بغية الحفاظ على أمنها القومي و مصالحها الحيوية . ورغم صعوبة المهمة كما يقول المؤلف : " لقد شقت مصر طريقها إليها بجنودها المصريين و السودانيين الأبطال ، ذوي القوة و البأس و الصبر ، حتى إذا فتحها الله عليهم و رسخت أقدامهم فيها ، و عملت أيديهم في تعمير ربوعها و تمدين أهلها ، أخرجتهم منها السياسة الماكرة و أبعدتهم عنها أبالستها ".

و في لغة وجدانية يهدي المؤلف كتابه : " أهدي كتابي هذا إلى أبناء وادي النيل عامة ، و شباب مصر و السودان خاصة ، فهؤلاء الشباب الأبرار الأطهار هم معقد الأمل و مناط الرجاء ، و هم هم المجددون مجداً حقاً لهذا الأحفاد ".

وتتجلى أهمية هذا الكتاب الذي لم ينشر منذ [illegible] عاماً إلى ما تتعرض له الدول النامية عامة و دول حوض النيل خاصة من مؤامرات غربية تهدف للوقيعة بينها بُغية استغلالها و الاستيلاء على خيراتها

• **المؤلف : العلامة المغفور له الأمير عمر طوسون (١٨٧٢ – ١٩٤٤)**

نجل الأمير محمد طوسون بن محمد سعيد باشا والي مصر ابن محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة ، ولد بالإسكندرية ، و كرس حياته للأعمال الخيرية و الاجتماعية و التأليف التاريخي و الجغرافي في القضايا المصرية و السودانية ، بالإضافة إلى نشاطه الاستكشافي الأثري و تبرعاته السخية و المعنوية للقضايا الوطنية ، كما كان له العديد من المواقف البطولية الوطنية و الأفريقية في مناهضة الاستعمار بشتى أشكاله .

بلغت مؤلفاته بالعربية و الفرنسية أكثر من [illegible] مؤلفاً .

أسس و رأس و شارك في العديد من الجمعيات الخيرية أشهرها : المواساة ، الشبان المسلمين ، الجمعية الخيرية القبطية ، النادي السوداني ، جمعية فقراء الإسكندرية ، جمعية الإسعاف التركية ، الجمعية الخيرية لطائفة الأرمن ، و غيرها .



من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

الجزء الأول

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٥ ﻫ — ١٩٣٧ م

مطبعة العدل بشارع كنيسة الامريكان بمحطة بالاسكندرية



الخـــديو اسماعيـــل

كلمة شكر واجبة

لاريب أن الفكرة التى اختلجت فى نفس الخديو اسماعيل والتى دفعته الى فتح مديرية خط الاستواء وضمها إلى السودان أو بالأحرى الى الأملاك المصرية ، فكرة جد صائبة إذ بها تم لمصر الاستيلاء على نهر النيل من منبعه الى مصبه ، وأصبح فى قبضتها تلك البحيرات العظمى التى يخرج منها هذا النهر السعيد الذى عليه مدار حياة البلاد .

ولو أنه عهد بهذا الفتح الى قائد مصرى لكان ذلك أدعى الى مضاعفة إعجابنا وثنائنا على هذه الفكرة ولكن لعل للسياسة دخلا فيما حصل ، وعلى أى حال فأنه فكر وعمل ونجح فهو حرى بالثناء العميم والتقدير العظيم ، رحمه الله وطيب فى الجنة مثواه ؟

عمر طوسون

اهداء الكتاب

هذا كتاب وضعناه عن مديرية خط الاستواء ، وقد سبق لنا ان قلنا فيما كتبناه عن هذه المديرية مرارا أنها الزم لمصر من مدينة الاسكندرية . وسيتضح صدق هذا القول لمن يقرءون هذا الكتاب بل سيعرفون منه أكثر من ذلك أن هذه المديرية هى جنة افريقية ، وأنها الفردوس الارضى المفقود الذى فقدته مصر بعد أن استحوذت عليه وبذلت فى سبيله بدر الاموال ومهج الرجال .

وكما حفت جنة الآخرة بالمكاره فقد حفت هذه الجنة الارضية بها فأحيطت بالمياه الآجنة التى تسكن فى قاعها جراثيم الأوبئة ، ويفرخ فى سمائها الذباب الفتاك بالناس والحيوان ، وقد أحاطها بنوها بالظبى والرماح بعد أن سقوها السم الزعاف ، وجعلوا من هذه الأسنة المشرعة ومن أجسامهم المتراصة سياجا عليها . ومع كل هذا فقد شقت مصر طريقها اليها بجنودها المصريين والسودانيين الأبطال ، ذوى القوة والبأس والصيال ، فاستهدفوا جميعا لهذه الأوبئة الوبيلة ، وتلقوا بصدورهم طعنات هذه الأسنة المسمومة المصقولة ، حتى اذا فتحها الله عليهم ورسخت أقدامهم فيها ، وعملت أيديهم فى تطهير جوها ، وتمدين أهلها ، أخرجتهم منها السياسة الماكرة وأبعدتهم عنها أبالستها .

واذا كانت العادة قد جرت باهداء المؤلفين كتبهم وكان لا بد لنا من اهداء هذا الكتاب ، فاننا نهديه الى من يكون لنا فى اهدائه اليهم الامل الوطيد فى استرجاع هذا الفردوس الارضى المفقود ، ألا وهم أبناء وادى النيل عامة وشباب مصر والسودان خاصة . فهؤلاء الشبان الأبرار الأطهار هم معقد الأمل ومناط الرجاء ، وهم هم الجديرون منا حقا بهذا الاهداء ، وفى هممهم وحرارة دمائهم وغيرتهم الوطنية الحقة ما يكفل لمصر تحقيق كل آمالها إن شاء الله ، وان طاول الزمان وماطلت الأيام ، وما ذلك على الله بعزيز والسلام ؟

عمر طوسون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ألقى حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء زيارة قام بها لمدينة المنصورة عاصمة مديرية الدقهلية ، وكان فى هذا الحين رئيس مجلس الوزراء ، خطبة سياسية استعرض فيها حالة البلاد وشؤونها المختلفة . فقال فى الفقرة الخاصة بمشاريع الرى الكبرى ان جانباً من منطقة السدود والمنطقة التى سيقام فيها خزان بحيرة البرت نيانزا واقعان فى أرض بريطانية . ولما كان هذا القول غير مطابق للواقع أرسلنا اليه بتاريخ ١٤ نوفمبر من تلك السنة الخطاب الآتي الذى نشرته جريدتا الاهرام والسياسة فى ١٦ من هذا الشهر ونشره المقطم وكوكب الشرق فى ١٧ و ١٨ من الشهر المذكور :—

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء .

اطلعنا على خطبة دولتكم بالمنصورة ولفت نظرنا منها قولكم عند ذكر خزان جبل الأولياء : (ولقد درست وزارة الاشغال هذا الموضوع من مدة بعيدة واسترشدت فى درسها بكبار الفنيين حتى انتهت الى وضع برنامج شامل لتحقيق مطالب الرى تضمن اقامة خزان بمنطقة جبل الأولياء فى السودان وشق قناة لتحويل مجرى النيل من منطقة السدود التى يضيع فيها كثير من المياه

فى غـــير جدوى . وهذه المنطقة يقع بعضها فى السودان وبعضها فى الأملاك البريطانية ثم اقامة خزان بحيرة البرت الواقعة فى الاملاك البريطانية) — الى أن قلـــتم :

(ولو سلمنا بنظرية القائلين بوجوب وقف أعمالنا على النيل الخارج عن الحدود المصرية لتمشى حكم هذا التعطيل ليس على جبل الأولياء فقط لوقوعه فى السودان الذى لانكر سيادتنا عليه بل تتناول بالأولى مشروعات أعالى النيل بما فيها منطقة السدود التى تقدمت وزارة الاشغال للقيام بالأعمال فيها بطلب مبلغ مليون ومائة الف جنيه فى سنة ١٩٢٥ وأقرها مجلس الوزراء على هذا الاعتماد كما أقره البرلمان فى سنة ١٩٢٦ فى حين يعلم الجميع أن من هذه المنطقة ما يقع فى السودان المصرى ومنها ما يقع فى الاملاك البريطانية) .

هاتان هما النقطتان اللتان لفتتا نظرنا بنوع خاص فى خطبة دولتكم . ذلك أن منطقة السدود المذكورة جميعها داخل ضمن حدود السودان المصرى القديم حسب ما كان عليه قبل الثورة المهـــدية . وكذلك مخرج النيل من بحـــيرة البرت نيانزا المراد عمل السد فيه لجعل تلك البحيرة خزاناً هو أيضاً جزء من مديرية خط الاستواء المصرية ظل محكوما بمصر حتى آخر عهد أمـــين باشا وهـــو آخر مدير لتلك المديرية السودانية المصرية الى نهاية الحكم المصرى الفعلى للسودان .

وقد شمل الحكم المصرى جزءا من شواطىء هذه البحيرة وأقام فيه المعاقل العسكرية التى بقيت حتى شاهدها استانلى فى سياحته المشهورة عندما توجه الى هذه الجهة لتخليص أمين باشا ظاهراً ولمحـــو الآثار الباقية لمصر بتلك المنطقة فى الحقيقة . ثم توجه الكابتن لوجارد الى هناك واستخدم الجنـــود المصرية

المتروكة فيها باسم الشركة البريطانية الشرقية الافرقية واستولى على أوغندة والقسم الجنوبي من مديرية خط الاستواء . وبسطت الحكومة البريطانية حمايتها على هذه البلاد ثم عقدت بعد ذلك مع مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ م .

ولو احترمت هذه المعاهدة كما تدعى لكان أول واجب عليها ارجاع هذه البلاد وجعلها تحت ادارة حكومة السودان حيث ان هذه المعاهدة تشمل عموم الأراضى التى تكون منها السودان المصرى القديم كما كان عليه قبل الثورة المهدية ولكنها لم تفعل هذا الواجب ولم ترعه فى تطبيق هذه المعاهدة . وهذا لا يجعلنا نعتبر عملها الذى استندت فيه الى القوة وحدها عملا شرعياً فان انجلترا التى أخرجت مارشان من فاشودة بحجة أنها جزء من السودان المصرى ما كان ينبغى لها بعد ذلك أن تسلخ جزءاً منه لنفسها . وهذه الحجة لا تزال الى الآن باقية .
وانا كتبنا الى دولتكم هذا محافظة على حقوق مصر وبياناً للحقيقة .
وتفضلوا دولتكم بقبول مزيد سلامنا ؟

عمر طوسون

١٤ / ١١ / ١٩٢٨

* * *

وانا لعلى يقين بأن حضرة صاحب الدولة محمد باشا محمود خدع فى حسن نية فى أثناء المحادثات التى دارت بينه وبين الحكومة البريطانية عن المسائل الخاصة بمياه النيل لأنه لما كانت انكلترا تعتبر هذه الأراضى أرضاً بريطانية وتنعتها بهذا النعت دائما كان من الجلى أن هذا هو الذى لابد أن يكون قد حدث مع دولته وأنه لم يفه بكلماته هذه إلا تحت سيطرة تأثره بأن ماسمعه يوافق الحقيقة .

فهو من هذه الوجهة معذور إلا أنه فى رأينا ليس معذوراً كل العذر . ذلك

لأنه كان عليه قبل أن يرسل هذا القول وهو رئيس الحكومة أن يتحرى إذ أنه من الواضح الجلى أن صدوره منه يترتب عليه مالايترتب على صدوره من شخص آخر .

وبما أنه لابد أن يكون كثير من المصريين غيره واقفين أيضاً فى هذا الامر فقد رأينا من المفيد عمل تاريخ لهذه المديرية التى هى أهم مديريات السودان القديم لمصر والتى تولى فتحها وحكمها حكمدارون من قبل الحكومة المصرية وذلك لكى يعرف أهل وطننا الى أى حد وصل امتداد ملكهم فى السودان وأى الأراضى سلخت منه .

وقد كانت هذه المديرية المصرية آخر المديريات التى ظلت تحت الحكم المصرى اثناء الثورة المهدية وكانت انجلترا تعلم أهميتها وتعلم أن الذى يحكمها يتحكم فى حياة مصر كلها فسعت فى أثناء الثورة المذكورة لابعاد الهيئة المصرية الحاكمة عنها وابقاء الجنود المصريين النظاميين مع ذخائرهم وأسلحتهم فيها ريثما ترسل اليها رسولا من قبلها يتحد مع هؤلاء الجنود ويضمهم اليه فتوطد قدميها فى تلك الجهات بواسطة الجنود المصرية المتروكة هناك وعلى حساب مصر .

وهذا هو ماحصل فعلا . فقد تكونت شركة انكليزية أوعزت بها الحكومة البريطانية سراً وهذه الشركة ألفت حملة تحت قيادة السائح استانلى وتوجهت الى الجهة المذكورة وأحضرت منها الهيئة المصرية الحاكمة وتركت فيها الجنود المصرية النظامية . ومن غفلة الحكومة المصرية فى ذاك الوقت أنها دفعت مبلغ عشرة آلاف جنيه مصرى على سبيل الاشتراك فى نفقات تلك الحملة وأمدتها بسبعين جنديا سودانياً بذخائرهم وأسلحتهم أخذوا من الأورط السودانية بالجيش المصرى . وهؤلاء الجنود لم يعد منهم إلا عشرة فقط

أما الباقون فقد أبيدوا فى هذه الحملة المشئومة التى كانت لغير مصلحة البلاد .

وبعد عودة استانلى ألفت شركة أخرى بإيعاز الحكومة الانكليزية أيضاً تدعى الشركة البريطانية الشرقية الافريقية British East African Co., Ltd., وأرسلت هذه الشركة كابتن لوجارد Captain Lugard مع بعض الضباط السودانيين الذين أحضرهم استانلى Stanley مع أمين باشا من تلك المديرية ، ومن المحزن أن ذلك كان بعلم نظارة الجهادية (وزارة الحربية) المصرية فى ذلك الوقت ومساعدتها .

وتوجه الكابتن لوجارد مع هؤلاء الضباط الى مديرية خط الاستواء فوجدوا الجنود المصرية المتروكة هناك ورئيسهم أمير الألاى سليم بك مطر عند شاطىء بحيرة البرت نيازا . فاتفق معهم على أن يدخلوا فى خدمة الشركة السالفة ويحتلوا أوغندة ومديرية خط الاستواء . وقد حصل ذلك فعلا .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر منقبة حسنة لهؤلاء الجنود تقابل منا ومن المصريين جميعاً بشكرهم وعاطر الثناء عليهم . ذلك أنهم ـ عليهم رحمات الله الواسعة ـ اشترطوا قبل دخولهم فى هذه الشركة أن تعرض شروط خدمتهم فيها على الحكومة المصرية لتوافق عليها كما أنهم كانوا يجعلون العلم المصرى يخفق دائما فوق معسكرهم . فاعتبار أنفسهم جنودها الى هذا الحين وعدم قبولهم العمل فى هذه الشركة بدون أمر حكومتهم وموافقتها مما يدل دلالة واضحة على عظيم أمانتهم على الشرف العسكرى .

ولكن ألا يدل عمل هؤلاء الجنود البررة على أنهم كانوا ينتظرون من

حكومتهم ألا توافق على خدمتهم فى تلك الشركة . غير أن الذى كان مع الاسف والحسرة غـــير ما كانوا ينتظرون .

وهـكذا استولت بريطانيا على مديرية خط الاستواء وضمتها الى أوغنـده التى كانت تابعة لمصر أيضاً وجعلت منهما وحـــدة وضمت عليها حمايتهـــا . وهـذه المديرية هى أهم المديريات التى لاغنى لمصر عنها لكونها حـــاكـة على البحيرات الاستوائيـة الكبيرة التى يخرج منها النيـــل والتى ستبنى عندها خزانات المياه التى عليهـا مدار حياة مصر .

واليك تـاريخ فتح مصر لهـذه المـديرية وتـاريخ حـكمداريها من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م ، أى من فتحها الى اغتصاب الانـكليز لهـا .



السير صمويل بيكر باشا

حكمدارية صمويل بيكر باشا

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٧٣ م

تمهيـد

فى سنة ١٨٦٨ م كان اقصى نقطة وصل اليها الحكم المصرى فى جنوب السودان هى « فاشودة » . أما الاقـاليم الواقعـة جنوب هـذه الناحية فكانت الى بحيرات خط الاستواء العظمى التى يخرج منها نهر النيل ، خارجة عن هذا الحكم ويتردد عليها الرواد والنخاسون . وكان من بين هؤلاء الرواد الذين ترددوا على هـذه النواحى الرحاله الانكليزى المسمى سير صمويل بيكر كما كان يتردد عليها فى كثير من الاوقات بعض عصـابات مسلحة يستخدمها النخاسون وتجار العاج الذين كانوا يجوبون ارجاءها ويبثون الفزع والجزع أينما ساروا أو حلوا ابتغاء الحصول على متاجرهم البشرية وغيرها .

ومن السهولة بمكان عظيم ان يتصور الانسان كيف يكون حال البـلاد الخالية من أى نوع من أنواع الحكومات المتمدينة وما ينشأ عن خلوها من هذه الحكومات من اقفار القرى وانقراض السكان بسبب سفك كثير من الدماء وانتشار الفوضى وحدوث الخراب الى غير ذلك مما كان حاصلا بالفعل فى هذه البقاع .

وكانت هذه المنطقة الشاسعة المترامية الاطراف عامرة بعـدد وافر من

السكان وكان يحتاج هذا العدد الى حكومة منظمة لتحميه شر النخاسة والطوارىء الاخرى فيستطيع أن يأخذ حظـــه فى الزيادة والنماء ويستغل الثروة العظيمة التى فى أرضه وينميها .

وكان المغفور له الخديو اسماعيل يريد أن يضمن لمصر امتلاك منابع النيل فأمر مراعاة للانسانية والسياسة واقتداء بجده العظيم محمد على باشا بتجهيز حملة لضم الاراضى الواقعة فى جنوب فاشودة لغاية البحيرات الكبرى الى أملاك الحكومة المصرية لكى يقضى على الحالة الهمجية التى فى تلك الجهات وليكفل لمصر امتياز مراقبة منابع النيل الذى تستمد منه ثروتها وعليه مدار حياتها .

وفعلا تقرر اعداد الحملة وكان اذن لابد من ايجاد رئيس لها . واتفق فى أوائل سنة ١٨٦٩ م أن سير صمويل بيكر الآنف الذكر كان فى مصر بمعية البرنس دوغال Prince de Galles ولى عهد الملكة فيكتوريا ونجلها الذى كان يريد القيام برحلة الى الوجه القبلى . وكان سير صمويل هـــذا قد قام حديثاً بزيارة فى تلك النواحى النائية واستكشف بحيرة البيرت نيانزا فوقع اختيار الخديو عليه وقد دارت محادثات فى هذا الشأن بينه وبين نوبار باشا أولا ثم مع الخديو اشترك فيهـــا ولى عهد انجلترا المذكور الذى كان يؤيد تأليف هـــذه الحملة ويشجع على ارسالها أثناء تلك المحادثات .

وقد تم الاتفاق بين الحكومة وسير صمويل بيكر وحرر عقد بخدمته مدة أربع سنوات براتب سنوى قدره عشرة آلاف جنيه انكليزى ومنح سلطة مطلقة تخول له حتى الأمر بالاعدام . واليك ترجمـــة الأمر العالى الذى صدر بتعيينه رئيساً للحملة المصرية :

نحن اسماعيل خديو مصر قد أمرنا بما هو آت :

نظراً للحالة الهمجية السائدة بين القبائل القاطنة فى حوض نهر النيل ،

ونظراً لأن النواحى المذكورة ليس بها حكومة ولا قوانين ولا أمن ،

ولأن شرائع الانسانية تفرض منع النخاسة والقضاء على القائمين بها المنتشرين بكثرة في تلك النواحى ،

ولأن تأسيس تجارة شرعية في النواحى المشار اليها يعتبر خطوة واسعة فى سبيل نشر المدنية ويفتح طريق الاتصال بالبحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء بواسطة المراكب التجارية ويساعد على إقامة حكومة ثابتة ،

أمرنا بما هو آت :

تؤلف حملة لاخضاع النواحى الواقعة فى جنوب غوندوكورو لسلطتنا ،

ولابطال النخاسة وإيجاد تجارة منظمة ؟

ولفتح طرق الملاحة مع البحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء ،

ولاقامة خط من النقط العسكرية ومستودعات للتجارة يبعد بعضها عن بعض مسافة ثلاثة أيام للماشى فى أنحاء أفريقية الوسطى ابتداء من غوندوكورو .

وقد فوضنا رئاسة هذه الحملة إلى سير صمويل بيكر لمدة أربع سنوات ابتداء من أول ابريل سنة ١٨٦٩ وقلدناه حقوق السلطة التامة المطلقة حتى السلطة المتعلقة بحياة وإعدام كل من له علاقة بالحملة .

وقلدناه كذلك نفس هذه السلطة على كل النواحى التابعة لحوض النيل جنوب غوندوكورو .

* * * *

وقد سميت هذه الاراضى التى فتحتها مصر وضمتها الى أملاكها
خط الاستواء » وكانت حدودها كما يأتى :

فى الشمال	مصب نهر السوباط .
وفى الجنوب	أوغنده التى بسطت مصر نفوذها عليها .
وفى الشرق	الحبشة .
وفى الغرب	مديرية بحر الغزال .

والحد الجنوبى هو أهم هذه الحدود وهو الذى ينبغى أن نعير
اهتمامها عند البحث فى حقوقها بهذه المديرية .

وقد بسطت مصر نفوذها أيضاً على بعض البلاد المجاورة لهذه
مثل أوغنده السالفة الذكر والأونيورو ثم جاءت انجلترا واستولت
على هاتين المملكتين وضمت الى الأولى مديرية خط الاستواء بعد اقتطا
من الاملاك المصرية .

وكل هذه البلاد لم تفتحها مصر دفعة واحدة بل بالتدريج وذ
حكمدارين متعددين كما سنبين ذلك فيما بعد :

سنة ١٨٦٩ م

اعـــداد الحملة على هـــذه المديرية

بعد أن تم تعيين سير صمويل بيكر Sir Samuel Baker حكمداراً لمديرية خط الاستواء أخذ يعمل بجد ونشاط فى ترتيب الحملة على هذه المديرية واختيار المساعدين له من ذوي الـكفايات إذ كان يعلم حق العلم أن نجاح مثل هذا العمل يتوقف على هذين الأمرين .

وكان الوقت لديه قصيراً بحيث لاينبغي التفريط فى ذرة منه لأن السنوات الأربع المحـددة لخدمته كما سيرى فيما بعد ربما لاتفى بالقيام بعمل كهذا متشعب الأطراف لا سيما اذا راعينا ماتستلزمه مثل هذه الحملة من الرحلات الطويلة وما تحتاج اليه من الزمن فى قطع المسافات الشاسعة عدا ما يطرأ فى أثناء ذلك من العقبات .

ولما كان مفوضاً تفويضاً تاماً من الجناب الخـــديو فقد أمر بانشاء باخرة بدولابين قوتها ٣٢ حصاناً بخارياً وحمولتها ٢٥١ طناً ، وأخرى برفاسين ذوى ضغط شديد وقوتها ٢٠ حصاناً بخارياً وحمولتها ١٠٨ أطنان ، وثالثة أيضاً برفاسين ذوى ضغط شديد وقوتها ١٠ أحصنة وحمولتها ٣٨ طناً ، كما أمر بانشاء مركبين من الحديد طول الواحد ٣٠ قدماً وعرضه ٩ أقدام وحمولته ١٠ أطنان . وأوصى بعمل آلات بخارية لقطع الاخشاب ونشرها مع مرجل (قزان) يزن ٨٠٠ رطل

وكل ماذكر كان يتحتم نقـــله من الاسكندرية الى غندوكورو أى

مسافة ٤٨٠٠ كيلو متر على ظهور الجمال وعلى متون السفن ومن بين ذلك مسافة بضع مئات من الأميال فى فيافى بلاد النوبة .

وعندما تم تجهيز هـــــذه البواخر سميت الأولى « الاسماعيلية » والثانيـة « الخديو » ، والثالثة « نيـانزا » . أما الباخرة « الاسماعيلية » فجهزت بعد سفر سير صمويل بيكر أعنى فى غضون حكمدارية غوردون باشا Gordon Pasha وقد استعملت للقيام بالخدمة مابين « غندوكورو » والخرطوم فـكانت تقطع هذه المسافة فى ظرف عشرة أيام . واشتركت فـــيما بعد مع أسطول الحكومة فى الدفاع عن الخرطـوم حينما حاصرهـا جيش الدراويش فى سنة ١٨٨٤ م وأسرهـا هؤلاء عندما استولوا على تلك المدينة . وعلى ظهر هـذه الباخرة اجتـاز المهدى النيل من أم درمان الى الخرطوم عند أول زيارة له لهـذه المدينة بعد سقوطها فى يــــده .

وتم تركيب الباخرة « الخـديو » فى عهد حـكم سير صمويل بيكر عندما كان يقوم برحلة فى جهة الجنوب فى اقليم الاونيورو Ounyoro وهى التى نقلته فى عودته من هذه الجهة الى الخرطوم وكان ذلك عند انتهاء مأموريته .

وبعد سير صمويل بيكر عاد غوردون باشا الى غندوكـورو Gondokoro على ظهر الباخرة المذكورة ثم أمر بفكها وحملهـا الى « دوفيليـه » Doufilé فوق شلالات « فولا » Fola حيث أعيد تركيبها وخصصت للقيام بالخدمـة فى النهر بين هـذه النقطة وبحيرة البرت نيانزا وبداخل البحيرة نفسها لأن هذه الشلالات تعوق الملاحـة مباشرة بين « غندوكورو » والبحيرة . وظلت هـكذا تعمـل فى هـــــذه المنطقة حتى بعد سفر أمـين باشا ثم خربهـا الدراويش عنـد استيلائهم على « دوفيليه » .

أما الباخرة « نيانزا » فأمر غوردون باشا بنقلها فوق شلالات فـــولا المذكورة وتركيبها هناك لتأدية نفس العمل الذى كانت تقـــوم به الباخرة « الخديو » فكان حظها فى النهاية كحظ هذه .

ولقد طاف جيسى باشا Gessi Pasha الطليانى أولا فى سنة ١٨٧٦ م بمركبي الحديد وميسون بك Mason Bey الامريكي ثانياً فى سنة ١٨٧٧ م بالباخرة « نيانزا » حول شواطىء بحيرة نيانزا باسم الحكومة المصرية فكانا هما السابقين لكل انسان فى التطواف حول تلك الشواطىء .

وكانت جماعة الانكليز الذين صحبوا سير صمويل بيكر تتألف من الليدى بيكر زوجه ومن الملازم جوليان ألين بيكر Julien Alleyne Baker ابن أخيـــه من رجـــال البحرية الملكية ومستر ادوين هجنبوثام Edwin Higginbotham المهندس الملكى ومستر وود Wood السكرتير والطبيب جوزف جيدج Joseph Gedge ومستر ماركوبولو Marcopolo رئيس مخازن الحملة ومترجمها ومستر ماك وليام Macwilliam رئيس مهندسى البواخـــر ومستر جارفس Jarvis رئيس بنائي البواخـــر ومستر هـــوايتفيلد Whitfield ومستر سامسون Samson وهيتشمان Hitchman ومستر رمسول Ramsall من بنائي السفن والمراجل (القزانات) وغيرهم . وكان مع هذا الجمع اثنان من الخدم .

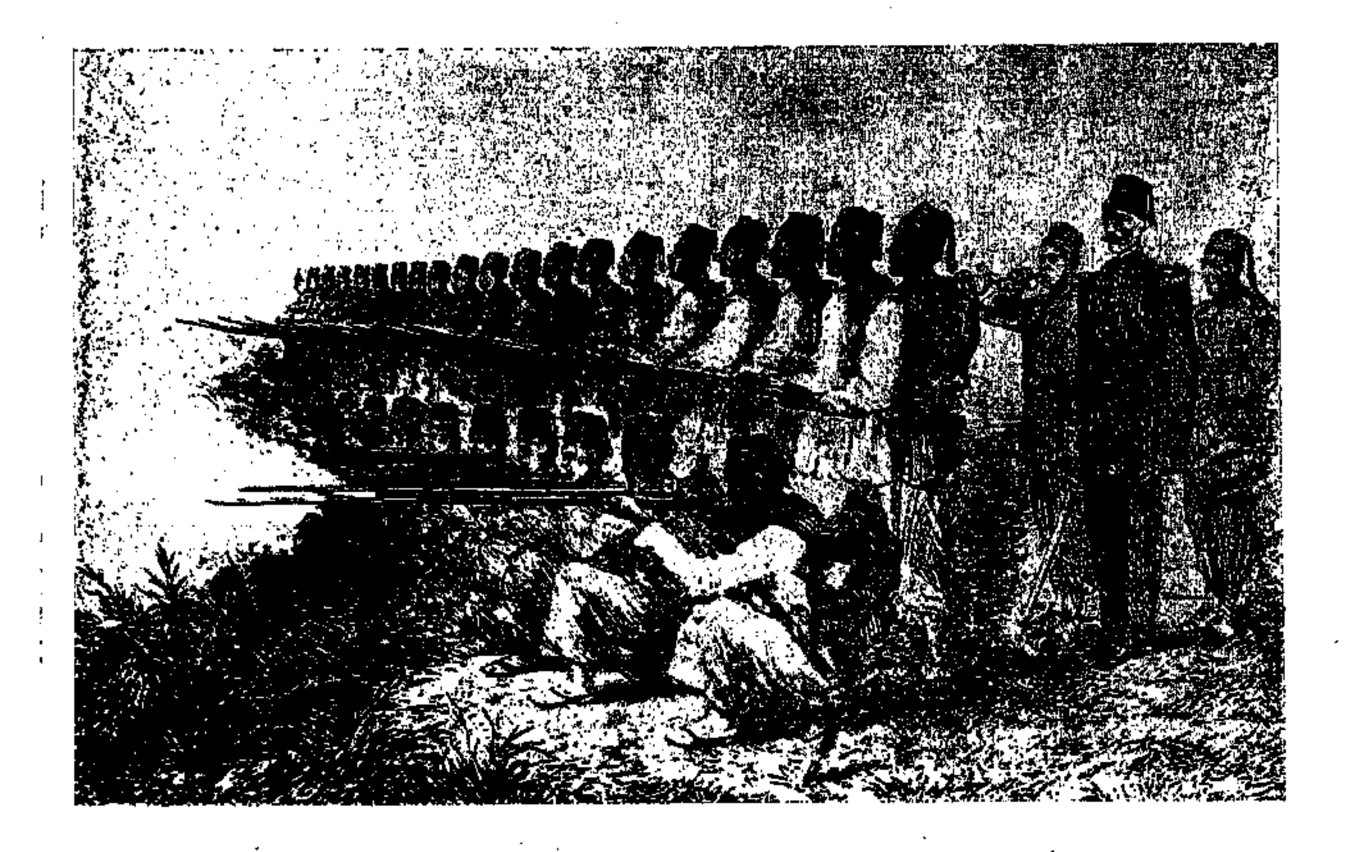
وكان من المقرر أن تتألف القوة العسكرية التى سترافق هذه الحملة من ١٤٠٠ جندى من البيادة و ٢٥٠ من السوارى الباشبوزق وبطاريتين من المدافع وأن تتجزأ البيادة الى أورطتين احداهما مصرية والأخرى سودانية وأن يكون رجالها من خيرة الرجال . وكان فى الأورطة السودانية ضباط وجنود خدموا

بعض سنوات فى بلاد المكسيك فى الجيش الفرنسي تحت قيادة المارشال بازين Bazaine ـ راجع كتابنا « بطولة الأورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك » .

ولما كانت الحالة تستدعى القيام بأعمال فى مناطق لا تصلح إلا قليلا للسوارى رئى أخيراً ترك ال ٢٥٠ من السوارى فى الخرطوم .

وكانت المدافع من النوع الجبلى ذى الماسورة الحلزونية (ششخانة) وهى مصنوعة من الشبه (البرنز) ووزن ماسورة المدفع ٢٣٠ رطلا ووزن القذيفة ٨¼ من الارطال . وكانت دار صناعة وولويتش L'arsenal de Woolwich تبرعت لهذه الحملة بمائتى صاروخ من هال Hale وزن الواحد رطلان ، وبخمسين بندقية من طراز سنيدر مع خمسين ألف ظرف للبنادق المذكورة .

وكان يجب أن يتجمع الجنود ومعهم الذخيرة فى الخرطوم وينتظرون فيها مقدم سير صمويل بيكر . وكانت جنود هذه الحملة تحت إمرة أمير الألاى رءوف بك الذى ترقى فيما بعد الى رتبة باشا وتعين حكمداراً عاماً للسودان ومعه فيها البكباشية احمد رفيق افندي وعبد القادر افندى والطيب عبد الله افندى . والأول من عنصر تركى حضر حرب القرم مع النجدة المصرية ـ راجع كتابنا « الجيش المصرى فى حرب القرم » . وكان فى هذه الحملة يقود الأورطة المصرية وقتل فى أثنائها . والثانى مصرى الجنس وألقيت اليه مقاليد قيادة حرس سير صمويل بيكر الخصوصي وقد فاض روحه فى غضون حرب الانكليز مع العرابيين فى سنة ١٨٨٢ م . أما الثالث فكان سودانيا وألقى على عاتقه قيادة الأورطة السودانية .



حرس سير صمويل بيكر باشا ويرى خلفهم قائدهم البكباشي عبد القادر افندي

قيام الحملة

قرر سير صمويل بيكر أن تسافر الحملة منقسمة ثلاثة أقسام . وكان قد تقرر فيما سلف أن تبارح ست بواخر من القاهرة فى شهر يونيه . وقوات هذه البواخر تتراوح بين ٤٠ و ٨٠ حصانا بخاريا . كما كان مقرراً أن يسافر أيضاً فى الوقت نفسه خمس عشرة سفينة شراعية وخمس عشرة ذهبية . فتكون جملة ذلك ٣٦ مركباً تصعد النيل الى الخرطوم أعنى تجتاز مسيرة ٢٨٣٠ كيلو متراً مقلة المهمات والذخائر .

وكانت الأوامر قد أعطيت الى جعفر مظهر باشا حكمدار السودان العام بأن يعد فى الخرطوم فى ميعاد معين ٢٥ مركباً شراعيا و ٣ بواخر وأن يهيء فى الوقت نفسه الجمال والخيول اللازمة للنقل براً بحيث يكون ذلك مجهزاً عند قيام الحملة للسفر . وبهذه الكيفية عندما يصل الأسطول الذى سافر من مصر الى الخرطوم تكون قوة الحملة البحرية مؤلفة من ٩ بواخر و ٥٥ مركباً شراعياً متوسط حمولة كل منها ٥٠ طناً .

وتولى مستر هجنبوثام أمر تسيير النقليات فى صحراء النوبة من كروسكو الى الخرطوم وفضلا سلم سير صمويل بيكر لهذا الضابط البارع قطع البواخر وآلاتها مفكوكة ووضع تحت تصرفه المهندسين والسواقين الانكليز .

وكان يجب أن تبارح البواخر الست والأسطول الصغير مياه القاهرة فى ١٠ يونيه حتى يتيسر لها أن تصعد شلالات وادى حلفا وقت ارتفاع مياه النيل عند الفيضان ، لكن نظراً لغياب الخديو فى أوربا لم تقلع المراكب من مراسيها إلا فى ٢٩ أغسطس . ولما وصلت الى الشلال الثانى كانت المياه قد

انخفضت فلم تتمكن من اجتياز المر وأمسى مرورها غير متيسر إلا فى الفيضان القادم . وهكذا ذهب اثنا عشر شهراً هباء منثورا ووجد سير صمويل نفسه وهو لم يزل فى بادىء الأمر محروماً من هذه المؤنة التى لا يمكن تقدير فائدتها .

ثم نشأ عن احتفالات فتح قناة السويس صعوبة أخرى جرت أيضاً الى تأخير لا مفر منه . ذلك أن الخديو بما هو معهود فيه من السخاء وكرم الضيافة قام باستعدادات هائلة من أجل هذه الاحتفالات وأمر بحجز كل مركب صالح للملاحة .

ووصل الى القاهرة قطار يجر ٤١ عربة بها أجزاء بواخر ومراجل وآلات وغير ذلك وأنزل مشحونه فى ١١ سفينة كبيرة بالأجرة فكان ذلك سببا فى أن سير صمويل بيكر لم يجد بعد مشقة عظيمة إلا باخرة قوتها ١٤٠ حصانا بخاريا لتجر هذا الأسطول الصغير الى « كروسكو » حيث يجب أن يشرع فى اختراق الصحراء . ولم يظفر سير صمويل بيكر بهذه الباخرة إلا بعد مخابرة الخديو نفسه .

وقد أتيح له فى نهاية الأمر أن يرى كلا من مستر هجنبوثام والطبيب جيدج مسافرين ومعها المهندسون والسواقون الانكليز . وقطرت الباخرة « المنيا » سلسلة المراكب الطويلة هذه المكونة من ١١ سفينة وقاومت بقوتها عزم تيار النيل الشديد .

وكان لابد من حمل مجموعة الآلات الثقيلة هذه بما فيها باخرتان ومركبان من الحديد حمولة كل منهما ١٠ أطنان مسافة ٤٨٠٠ كيلو متر تقريبا منها نحو ٦٥٠ كيلو مترا فى صحراء النوبة المحرقة .



قطار من الابل ينقل أجزاء السفن البخارية وغيرها فى صحراء العطمور بين فروسكو وابى حمد
نقلا عن كتاب الاسماعيلية لسير صمويل بيكر

وقد سافر القسم الأول بأحماله الثقيلة فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٦٩ م مع المراكب الشراعية ليصل مباشرة الى الخرطوم بعد صعود الشلالات . ولم يتجاسر سير صموئيل أن يرسل فى هذه الطريق المحفوفة بالمخاطر أية قطعة من قطع البواخر إذ أن ضياع أى مركب يكون محملا بقطع من أجزاء البواخر كان ممكناً أن تكون عاقبته فقد كل أمل فى نجاح الحملة .

وصول سير صموئيل بيكر الى سواكن
واستقباله فيهـــا

وتجمع ساق الجيش فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩ فى السويس . ومن هذه المدينة أبحر سير صموئيل بيكر مع ذلك الساق على ظهر المركب الحربى المصرى « سنار » وفى ظرف أربعة أيام ونصف يوم وصل الجميع إلى سواكن حيث ألقت المراكب مراسيها في أمان وسلام وأنزلت بدون حدوث أى عارض محمولها من الخيول البالغ عددها ٢١ رأساً .

وكان فى استقبال سير صموئيل بيكر ممتاز بك محافظ سواكن وهو ضابط جركسى الأصل ذو ذكاء شديد انعقدت بينهما أواصر الصداقة بمـــا أظهره له من العطف أثناء رحلته الأولى .

والتزم ساق الجيش أن يلبث في سواكن أسبوعاً تحت انتظـــار الجمال وبعد مسيرة ١٤ يوماً احتـــاز الـ ٤٥٠ كيلو متراً فى أرض صحراوية ووصل إلى بربر التى على النيـل حيث وجد باخرة وذهبية نقلتاه إلى الخرطوم فى بحر ٣ أيام ومقدار هذه المسافة ٣٢٠ كيلو متراً . ولم تستغرق هذه الرحلة ابتداء من السويس سوى ٣٢ يوماً بما فى ذلك مدة الوقوف عن السفر .

سنة ١٨٧٠ م

وصول الحملة إلى الخرطوم

وكان قد مضى ستة أشهر مذ أعطى سير صموئيل بيكر الأوامر الخاصة بسفر السفن والمؤونة . ولشد ما كانت دهشته عندما علم أن تعليماته تركت نسياً منسياً وأنه وإن كانت عساكره قد صارت على قدم الاستعداد للسفر غير انه لا توجد سفينة واحدة مجهزة لنقلها . وقال له جعفر مظهر باشا الحكمدار العام انه استحال عليه جمع السفن المطلوبة ولذلك اشترى له بيتاً لاعتقاده أنه سيظل في الخرطوم هذا العام فلا يسافر إلا في الفصل الثانى .

ولم يجتز أى مركب بخارى من تلك المراكب التى أبحرت من مصر ، الشلالات . وعدلت الخمسة عشر مركباً الكبيرة التى كان قد عول على ان يشحن فيها الجمال عن محاولة صعود الشلالات ورجعت إلى القاهرة . أما المراكب الصغيرة فهى التى اجتازتها ولا ينتظر أن تصل إلى الخرطوم قبل عدة شهور .

ووصل إلى الخرطوم القسم الأول الذى كان معه كل المهمات التى سبق أن أرسلها من القاهرة والذى كان سير صموئيل فوض قيادته إلى شخص سورى .

وعلم سير صموئيل بيكر أن مستر هجنبوثام وبصحبته الطبيب جيدج وجماعة الانجليز وكل العمال المصريين سلكوا طريق الصحراء ومعهم البواخر والآلات محملة على ظهور نحو ألف جمل ، وأن القسم الثالث بقيادة مستر

ماركوبولو وصل إلى سواكن بعد قيام ساق الجيش ببضعة أيام ، أى ان كافة الأوامر التي اصدرها سير صمويل بيكر إلى ضباطه تم تنفيذها في الوقت المناسب .

وأخيراً بعد إلحاح كثير وضياع زمن طويل شرع الحكمدار جعفر مظهر باشا فى العمل غير أنه اشترى سفناً عتيقة ودفع فيها ثمن مراكب جديدة ولم يفحصها مندوب الحكومة إلا فحصا سطحيا عند التسليم .

تأهبها للسفر

وتم تجهيز الحملة بعد صعوبات كبرى لأن قلوع المراكب نادرة الوجود وحبالها المصنوعة من الكتان تكاد تكون معدومة فى الخرطوم إذ جرت العادة ألا يصنع فى هذه المدينة إلا حبال رديئة يفتلونها من ألياف النخل وكان يطلب فى كل شيء ثمن فادح .

وكان سير صمويل بيكر يحرض ويحض العمال من مطلع الشمس إلى غروبها على العمل . وقد عاونه فى ذلك معاونة جدية الملازم ج . ا. بيكر J. A. Baker من البحرية الملكية بفضل خبرته التي كان قد اكتسبها من ممارسة مهنته . ودب روح جديد من النشاط فى الخرطوم وأخذت مئات من العمال تشتغل واصطف أمام دار الحكومة عدة صفوف من الصوارى والأشرعة .

وفى بضعة أسابيع أعدت ٣٣ سفينة حمولة كل منها تتراوح بين ٥٠ و ٦٠ طناً وتم جلفطتها وترميمها واستعدت لقطع المسافة التى بين الخرطوم وغندوكورو البالغة ٢٣٠٠ كيلو متر .

وتأهبت هذه العمارة للسفر بعد بذل مشاق هائلة فى سبيل استئجار النواتية إذ أن جميع اللاحين تقريباً كانوا قد هاجروا من الخرطوم حتى لا يشتركوا فى الحملة وكان ذلك بايعاز من النخاسين الذين عملوا على أن يضعوا العقبات فى سبيل الحملة فدفعوا الأهالى لأن يقطعوا كل صلة معها إذ قام فى رؤوسهم أنها لا تستطيع السفر بدون اللاحين . وتم الحصول على النواتيــة اللازمين بواسطة القوة وباستعمال طرق عنيفة غير أن هؤلاء كانوا من أردأ العناصر .

قيامها من الخرطوم

ونفخ فى البوق فى ٨ فبراير من سنة ١٨٧٠ م إيذاناً بالرحيل . واصطف على ضفة النهر أورطتان من الجنود ودوت أصوات المدافع فى الفضاء كالمعتاد تحية للمسافرين .

واتخذ الأسطول المؤلف من باخرتين إحداهمـــا قوة ٣٤ حصانا بخاريا والأخرى قوة ٣٢ حصانا بخاريا سبيله فى اليم ومعه ٣١ مركبا شراعيا تحمل نحو ٨٠٠ جندى . وسار الجميع بنظام لا بأس به وما لبث تيار النيل الأزرق الشديد أن دفع بذلك الأسطول بعيداً عن الخرطوم وبعد أن دار حول ملتقى النيلين الأزرق والأبيض سار فى هذا الأخير صعداً .

وصولها إلى فاشوده

وبعد مسيرة ١٠٣ ساعات وصل الأسطول إلى فاشوده وهي محطة الحكومة فى بلاد « الشلك » Shillouks وتقع على بعد ألف كيلو متر تقريباً من الخرطوم فى الدرجة ٩ والدقيقة ٥٢ من العرض الشمالى .



الحملة وهى تغادر الخرطوم فى ٨ فبراير سنة ١٨٧٠

وكان سير صمويل بيكر قد أخـــذ مؤونة شهر على متن الفلك وأتت الرياح حسبما تشتهى السفن فوصل الأسطول إلى ملتقى النيل بنهر سوباط فى ١٦ فبراير فى منتصف الساعة الواحدة ليلا . وبعد أن بارح هذا الملتقى وصل الى ملتقاه ببحر الزراف بعد أن قطع مسافة ١٤٢ كيلو متراً فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٧ فـــبراير المذكور وظل هناك فى انتظار وصول باقى المراكب .

سفرها الى الدبة

وما لاقته فى ذلك من الصعاب

وفى ١٨ منه انضم مؤخر الأسطول اليه فى الساعة العاشرة صباحاً وأقلعت البواخر فى الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ وأخذت تقاوم التيـــار بشدة وكان سحب المراكب متعسراً فى النهر لظهور المنحنيات فيه فجأة أمام عين المسافر .

وكان بحر الزراف يسير بعرض من ٦٠ الى ٧٠ مـــتراً بين ضفاف عالية يابسة يبلغ متوسط عمق المـــاء عندها من ٣ الى ٤ أمتار مجتازاً أرضاً تامة الاستواء ينتشر فى أنحائها مجموعة من الغابات الجافة فى تلك الآونة يدل منظرها على أن مياه النيل كانت تغمرها فى فصل الأمطار . وينساب تيار هذا البحر بين أعشاب هذه الغابات المشتبكة الملتفة فيتفرع الى عدة ترع تكون الملاحة فيها غاية فى الصعوبة .

وفى هذا الوقت من السنة (٢٣ فبراير) تفيض الميـــاه على حـــافتى النهر فكانت القرى المبعـــثرة فى النواحى القصية مغمورة بالمياه وتكبدت الحملة

العنـــاء الجم فى سيرها إذ كان عليها أن تشق لها طريقا فى وسط الأعشاب السابحة التى هى أشبه شىء بقصب السكر والتى يبلغ ارتفاعها من ٥ الى ١٠ أمتار وتمتد منها فروع يشتبك بعضها ببعض اشتباكا لا انفكاك له .

وهـــذه السدود كانت تعترض الأسطول تقريباً فى كل خطوة واذا سكنت الرياح وحرمتـــه قوة الاندفاع التى كانت تهبها له عند هبوبهـــا لا يستطيع أن يخترق له طريقاً إلا بجهود تكاد تفوق قدرة البشر .

وأخيراً هبت من الشمال فى ٥ مارس ريح طيبة نفخت أوداج الأشرعة فأخذت السفن تسير سيراً حسناً ثم بعد أن سكنت هـذه الريح برهة قصيرة عادت فنشطت وجعلت مواصلة السير ممكنة ,وصعدت الحملة النهر بعد أن قاست صعوبات هائلة . وعندما وصلت الى الارض الجافة التى يقال لها « الدبه » وجـــدت هناك البـــاخرة رقم ٨ وجميع الأسطول وبذا صار لدى سير صموئيل ٣٤ سفينة بما فى ذلك الباخرتان .

وهنا قامت الصعوبات الجمة لأن هذه المنطقـــة هي منطقة السدود وسائر نواحيها عبارة عن مستنقعات تغطيها نباتات مائيه مرتفعة جـداً والماء تحتها بعيد العمق . وبعد أن حاول سير صموئيل بيكر على غير جـــدوى أن يفتح له طريقا ، وبعد جهود شتى بذلت للوصول الى هذه الغاية انقضى فيها شهر ، اقتنع أن دون مروره خرط القتاد ، فقرر العودة حالا الى بلاد الشلوك ، وأن يقيم بها محطة مع أن ذلك سيرغمه على ضياع عدة شهور فى انتظار الفيضان القادم . وكان يعلل نفســه بأن يشغل رجاله فى مدة فصل الأمطار بزراعة الغلال بينما يقوم هو بعمل استكشافات على ظهر باخرة فى النيل الأبيض لعـله يهتدى الى ترعة صالحة للملاحة .



سحب وابورات الحملة فى منطقة السدود

وخنع على كره منه وفى قلبه حسرة ورضى أن يعمل على تنفيذ هذه الفكرة . وفى الساعة الثالثة مساء وصل مع رفاقه الى الأسطول واستدعى جميع الضباط وبحضور رؤوف بك بين لهم الموقف وفى الحال غيرت السفن اتجاهها . وفرح الكل من ضباط وجنود وابتهجوا لهذا الرجوع الذى كان حسبما قام بأفكارهم لا بد أن يكون مآله الرجوع الى الخرطوم وانفضاض الحملة .

وانسحبت مراكب الأسطول جميعها فى ٣ أبريل وساعدتها الرياح والتيار معاً فى ذلك الانسحاب ووصلت الحملة الى بحر الزراف فى ٩ أبريل حيث حصل الشروع فى حفر الخنادق وهو عمل شاق استغرق يوما كاملا .

وفى ١٠ أبريل نزلت النهر الذى سارت فيه أولا الى ان وصلت إلى « الدبة » أو الأرض الجافة حيث كشفت عن آثار النخاسين وأخيراً وصلت فى ١٣ أبريل الى محطة « كجك على » .

وفى ١٦ من الشهر المذكور وصل من الخرطوم اربعة مراكب وانضمت الى الحملة وكان على ظهرها بلوك امداد وجوابات من جعفر مظهر باشا ومن مستر هجنبوثام . وفى ١٩ منه وصلت الحملة الى النيل الأبيض .

وفى ٢٠ منه سافرت فى الساعة الخامسة صباحاً وكانت الذهبية حسب العادة يجرها مركب بخارى . وفى الساعة ٦ والدقيقة ٣٥ ألقت مراسيها على طول الضفة المقابلة للضفة المقام عليها مضرب محافظ فاشوده .

وفى ٢١ منه فى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ صباحاً شوهد ١٢ مركباً آتية من الخرطوم منشورة الأشرعة تدفعها رياح شديدة تهب من الشمال الشرقي

وشمل سير صمويل الفرح عندما رأى أن هذه المراكب تحمل مستر دجنبوثام والطبيب جيدج والمهندسين الستة الانكليز وغيرهم وجميعهم فى غاية من الصحة .

انشاء محطة التوفيقية

وفى ٢٣ أبريل سار سير صمويل بيكر ومعه باخرتان وذهبيتان بقصد البحث عن موضع صالح لاقامة مستديمة فوصل الى ملتقى نهر سوباط بعد مسيرة ٢٠ كيلومتراً قطعها فى ظرف ٣ ساعات وربع . ثم استمر في طريقه مسافة ٥٥ دقيقة أيضاً فانتهى هو ومن معه الى غابة واقعة فى الشرق على مرتفع من الشاطئ . وفى هذا المكان صمم على أن يقيم تلك المحطة اذ أن أرضه ثابتة ومرتفعة فلا تعلوها مياه الفيضان فضلا عن أن هذه الغابة ستكون ينبوعاً لا ينضب يستورد منه ما يلزم من الأخشاب للبناء وللوقود .

وفى ٢٦ من الشهر المذكور دخل الأسطول برمته تجره سفينة بخارية وألقى مراسيه تجاه المحطة المزمع بناؤها . ومن أول مايو تكون المعسكر وذلك بعد أن نزعت الشجيرات النابتة فى أسفل جذوع الأشجار أما الأشجار الممتدة على حافة النهر فكان لكل منها مالك ولذا لم يشأ سير صمويل نزعها .

وسمى سير صمويل بيكر المحطة الجديدة « التوفيقية » وهو اسم مأخوذ من اسم ولى العهد توفيق باشا . وفى زمن يسير نالت هذه المحطة أهمية كبرى وتم تجفيفها بحفر عدة مصارف عميقة في اتجاهات شتى . وأنجز تشييد المحطة في زمن قصير جداً . وأقيمت ثلاثة مخازن من الصاج الأبيض بسرعة مدهشة حتى كأنها بنيت بقوة السحر . وكان طول كل منها ٢٥ متراً . وتقرر

اليها مسيو ماركوبولو في برهة وجيزة المقادير الهائلة من المؤن والذخيرة التى كانت في السفن .

وقد أضحت بذلك محطة « التوفيقية » بهجة للناظرين غير أن الجراثيم المستنشقة من جو المستنقعات الفاسد ما لبثت أن نشرت بين ربوعها مرض الدوسنطاريا وسرعان ما أنشأت مقبرة للتوفيقية .

وكان سير صموئيل بيكر قد نوى من مدة مديدة أن يقوم باستكشافات ابتغاء الحصول على ممر بين الأعشاب النابتة في النيل فاختار رجلا اسمه عبد الله من قبيلة الشلك ليرافقه في هذه الرحلة ويستحضر له ما يلزمه من الأدلاء .

وسافر لهذه الغاية في ١١ أغسطس سنة ١٨٧٠ م وكانت مياه النهر تفيض على جوانبه ثم عاد مع رفاقه الى التوفيقية في ٢١ أغسطس بعد أن غاب ١٠ أيام قضاها في كد وعناء في استكشاف غدران بحر الغزال الوخمة المؤذية للصحة بدون جدوى .

عودة سير صموئيل الى الخرطوم

وعاد سير صموئيل في هذه الأثناء الى الخرطوم ليتأكد بنفسه مما اذا كانت أوامره تنفذ في أوقاتها أو يعتورها التسويف وكان قد قرر سفر الحملة من التوفيقية الى الجنوب في أول ديسمبر لأن هذا الوقت يكون النيل فيه في أعلى الفيضان وفيه تهب ريح الشمال فتساعد سير المراكب .

ولما كانت التوفيقية واقعة في منتصف الطريق بين الخرطوم وغندوكورو طلمح أن يجد الوقت الكافي لاجتياز المستنقعات والمنخفضات قبل انخفاض مياه

النهر . وكان قد أرسل مستر هجنبوثام الى الخرطوم ليكترى سفناً . ثم سافر عقبه في ١٥ سبتمبر وكان معه باخرة تقطر ذهبية وعشرة مراكب فارغة أعدت لجلب مؤونة من الغلال فوصل الى الخرطوم فى ٢١ سبتمبر ولشد ما كانت دهشة الحكمدار والأهالى معاً عند رؤيته فأخذ الجميع يتراشقون بالظنون بشأن أوبة الحملة .

وقوبل سير صمويل بيكر احسن مقابلة من صديقه القديم جعفر مظهر باشا غير انه وجد ان جميع الاعمال متأخرة حسب العادة فلم يستعد من الثلاثين سفينة التي كان موعوداً بها للحملة سوى سبعة مراكب . ولم تصل حتى ذلك الوقت البواخر من مصر وكذلك الخمسة عشر مركباً الكبيرة ظلت عند الشلالات ولم تستطع اجتيازها . فوجد نفسه مضطراً أن يقنع بمراكب الخرطوم التى ليس لها سطح وهى من أردأ أنواع المراكب فضلا عن أنه لا يوجد منها العدد الكافى . إلا أنه لحسن الحظ كان لديه السفن العشر التى استحضرها معه من التوفيقية فارغة فبدونها كان يستحيل عليه أن يشحن أى شيء حتى ولا مؤونة الغلال . ومع كل فان حضوره الى الخرطوم نتج عنه بعض السرعة فى تجهيز المعدات .

عودته الى التوفيقية

وبعد أن أخذ سير صمويل أهبته ورتب اعماله على احسن الاحوال التى تقتضيها مصلحته ابحر من الخرطوم فى ١٠ اكتوبر سنة ١٨٧٠ الى التوفيقية وحضر جعفر مظهر باشا وكبار موظفيه الى المرفأ لتوديعه وعزفت الموسيقا

واطلقت المدافع ثم تحرك الأسطول للرحيـــل . وفى ٢٢ اكتوبر وصل الى التوفيقية والفيضان بالغ اقصاه فكان يزيد ارتفاع النهر على زمن التحاريق ٤ امتار .

وكان الوقت لا يسمح له بضياع لحظة منه اذ انه قرر ان يسافر فى اول قسم من الأسطول فى اول ديسمبر الى غندوكورو .

وفى ٢٣ نوفمبر دارت الريح وعصفت من الشمال بشدة وكانت الاستعدادات اوشكت ان تتم وكانت كل سفينة قد رممت من اساسها الى رأسها إلا ان الكثير منها كان قد اصابها العطب ووجدت اخشابها متعفنة حتى انه ليلوح انها لا تقدر على الأسفار الطويلة رغماً عن جلفطتها . والذهبية الحديدية استبدلت ألواحها التي اكلها الصدأ بألواح اخرى جديدة بعد أن سحبت الى البر .

سفر الأسطول من التوفيقية

وسافر القسم الاول من الأسطول وكان مؤلفاً من ثمانى سفن فى اول ديسمبر وكل ثلاثة أو اربعة ايام كان يقوم على الأثر قسم آخر منه وذلك حسب الترتيبات التي كان سير صمويل بيكر قد قررها من قبل .

واخيراً فى ١١ ديسمبر سافر هو على ذهبيته مع ساق الأسطول المكونة من ٢٦ سفينة .

وبلغ الفيضان فى هذا الوقت ارتفاعاً خارقاً للعادة وهذه مصادفة حسنة إذ ان نجاح الحملة يتوقف على عبور هذه المنطقة قبل انخفاض المياه . هذا اذا اريد ان تكون الحملة فى هذه الآونة اسعد حظاً مما كانت فى شهر ابريل من السنة الماضية .

وبعد سفر سير صمويل بيكر بزمن يسير علم بحدوث حادث مكدر ذلك أن سفينة من سفن ساق الأسطول كانت تحمل أجزاء الباخرة التي طولها ٥٠ قدماً قد غرقت قرب مصب نهر سوباط فكان لا بد من الرجوع على عقبيه نحو ٢٠٠ كيلو متر .

وقد عاد فعلا ووصل الى محل الحادثة في ١٨ ديسمبر ثم أرسل فى طلب ٢٥٠ رجلا من الشلك وبمجهودات هؤلاء ومجهودات الجند أمكن تعويم السفينة فاتخذت طريقها ثانية فى البحر فى ٣١ ديسمبر .

سنة ١٨٧١ م
وصول الأسطول الى غوندوكورو

وبعد سفر دام ٢٦ يوماً وصل الأسطول فى ٧ يناير سنة ١٨٧١ م الى الغابة الواقعة جنوب محطة « كجك على » . وصادفت الحملة عند ملتقى بحر الزراف عقبة كأداء يكاد يكون تذليلها فوق طاقة البشر . ذلك أن الطريق الذى قطعته فى السنة الماضية عاد فانسد واحتاج الأمر الى حفر خنادق وجر المراكب وتفريغها وإعادة شحنها مراراً وتكراراً .

واستمر هذا العمل من ١١ فبراير الى ٢٠ مارس وهو تاريخ دخول الأسطول الى المياه الطلقة فى النيل الأبيض بعد أن مات خلق كثير . أما الأمراض فلم يسلم منها إنسان . وفى النهاية دخل الأسطول جميعه إلى المياه الطلقة فى هذا التاريخ الأخير . وبعد استراحة بضعة أيام عاد الأسطول واتخذ سبيله الى غوندوكورو فوصل اليها فى ١٥ ابريل .

إخضاع الحملة لقبائل هذه الجهة
وما جرى فى ذلك من الحوادث

وقد أرسل سير صمويل بيكر فى طلب رئيس قبيلة البارين Baris المدعو اللورون Alloron فحضر فى الحال ومعه بعض أهالى تلك الجهات . وقال هذا الرئيس لسير صمويل ان قبيلة لوكوياس Loquias أغارت على هذه المنطقة ونهبتها وحرضها على ذلك التجار . فوعده بأن يمد له يد المعونة إذا هو تعهد بأن يرجع مع شعبه الى منطقته ويعترف بتبعيته

للحكومة الخديوية ويزرع حبوبا ويشيد مساكن للجيش . ووعد اللورون بإجابة كل هذه المطالب . وبناء على اقتراح سير صمويل استدعى بعض رجال قبيلته وكبار رؤسائها لعقد مجتمع عام بعد وقت قصير .

وفى ١٦ أبريل حضر اللورون ومعه عدد من رجاله وافتتح كلامه بطلب عرق وكنياك ثم صرح أنه فى حالة عداء مع القبائل المجاورة له ولذلك لم يستطع أن يجازف ويبحث عن خيزران أو غيره من الادوات اللازمة لبناء المعسكر للآن . فأجابه سير صمويل بأنه اذا لم ينفذ أوامره فسيكون مضطرا لأن ينزل عساكره فى قراه وبذا يكون هو وقبيلته عرضة للأمطار .

وكانت ملامح اللورون ورجاله تنم عن أخلاق غاية فى الشراسة . وكان سير صمويل بيكر يعرف الباريين حق المعرفة ويعرف أنهم يفوقون من عداهم من سكان حوض النيل توحشا وهمجية ولكنه ما كان ينتظر أن يلاقى منهم مقابلة سيئة الى هذه الدرجة .

ولم يعتقد الملك اللورون صحة التفصيلات التى أبداها سير صمويل بيكر بشأن الغرض من الحملة وأبدى لرجاله الذين معه بعض ملاحظات وهو يبتسم ابتسامات استهتار . فمع إدراكه أن النخاسة ألغيت إلغاء تاما فى نفس قبيلته لم يسلم بتطبيق هذا المبدأ تطبيقاً عاما فسأل : وماذا يكون مصير تجار العبيد ؟

أما الايضاحات الشافية التى أبداها البكباشى عبد القادر افندى رداً على سؤاله السابق فقد قوبلت من ذلك الملك بضحكة عالية وحشية .

وكان رجال أبى السعود العقاد ابن عم السيد حسن موسى العقاد ووكيل

شركة العقاد التى كانت استأجرت المركز من الحكومة تحت ستار المتاجرة فى العـاج ظاهراً والنخاسة باطناً عندما اخبروا اللورون بوصول الحملة حذروه منها وأفهمـوه أنها إذا لاقت صعوبات كبيرة ترتد على أعقابها الى الخرطـوم . وكان مازال قائماً بفكر اللورون أن كثيراً من الاوربيين زاروا غندوكورو كما يزورها الآن سير صمويل ورجع الكل ولم يبق منهم واحد . فكان إذن من الطبيعى أن رجلا همجيا كهذا اتحدت رجاله بآخرين يشتغلون بالنخاسة لغزو البـلاد البعيدة ونهبها ينفر من حكومة جديدة وطدت العزم على بث روح النظام واحترام الشرائع والقوانين . وكانت قبيلة اللورون قد اشتركت مع النخاسين من عدة سنين ، ومن وقت ما استأجر الناحية برمتها شخص واحد ، أى أبو السعود ، صار هذا الملك وكيلا له . ولم يلبث سير صمويل أن أدرك الحقيقة وعرف أن عدداً كبيراً من رعايا اللورون فى داخلية البلاد وأنهم مأجورون لأبي السعود .

والباريون قوم جبلوا على الحرب والكفاح وهم من خـيرة الجند وبذلك كانوا يؤدون لصيادى العبيد بمعونتهم خدمة جلى لاسيما أن غندوكورو نظراً لحسن موقعها هى النقطة الوحيدة الصالحة لاقامة محطة هامة . والتجار الذين احتكروا تجارة العاج أصبحوا بحكم الطبيعة حلفاء اللورون .

وكان المحتكرون قد سلحوا مئات من الرجال بالبنادق تسليحاً تاما بكيفية صيرت قبيلة اللورون وشركة أبي السعود جيشاً من قطاع الطرق منتشراً بين مختلفى المحطات التى فى حوزتهم فى أنحاء الاقليم . وبلغ مجموع ذلك الجيش ١٨٠٠ رجل وأقامت الشركة مخزنا لها فى غندوكورو .

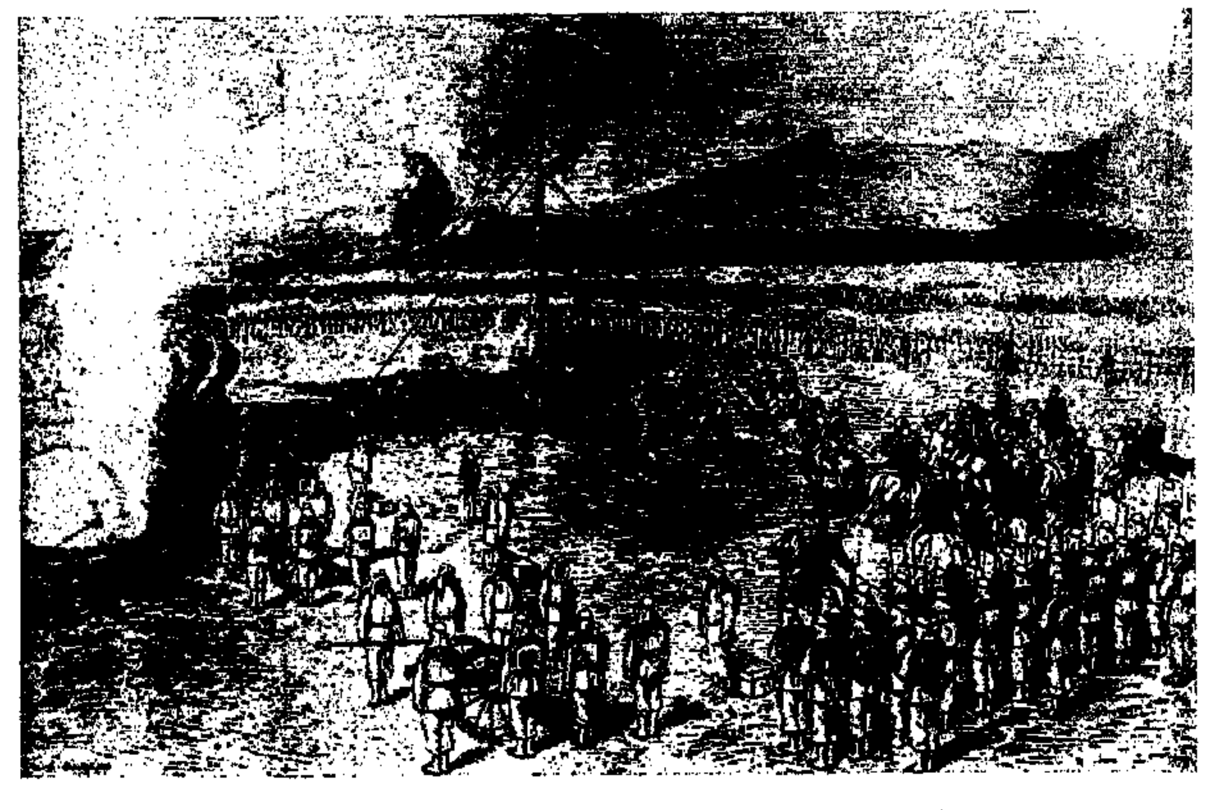
وحدثت مفاوضة جـديدة بين اللورون وسير صمويل فطلب هـذا

من الأول بطريقة حاسمة مواشي لجيشه ووعده بأن يدفع له فيهـا ثمنا عاليا . ورأى سير صمويل بجلاء أن السياسة السيئة التي ينحوها الوطنيون تنحصر في تجويع الجيش حتى تضطر الحملة الى الرجوع الى الخرطوم ، وعلى ذلك أفهم اللورون الخطر الذي ينجم عن اللعب مع أسد جائع فكشر اللورون عن نابه بابتسامة وقال : أتريد ماشية ؟ هذا شيء حسن . سأعطيك أدلاء وعليك أن تذهب فتغير على واحد من جيراني وتستولى على قطعانه فتغنيك زمنا طويلا .

فأجاب سير صمويل بأنه لا يريد أن يلحق بأى انسان أذى إذا كان هذا الانسان لم يلحق به ضررا . وبما أنه هو أي اللورون يأبى مساعدته فلا يقبل أن تدخل قطعانه في مراعيه ، بل عليه بناء على ما تقدم أن يرعيها من الآن فصاعداً في جزر النهر المنخفضة .

ودعا سير صمويل بعد ذلك اللورون وجميع مشايخ البلد وشيخ قرية بلنيان Bélinian الى وليمة كبرى كان يريد من اقامتها أن يعلن ضم هذه الناحية رسمياً الى مصر . وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ كانت قد أعدت جميع لوازم الحفلة ونصب اللازم بيكر فوق مرتفع مشرف على النهر سارية يبلغ ارتفاعها ٢٥ مترا . وفي الساعة السادسة صباحا سارت الجنود الى غندوكورو وكانوا قبيل ذلك قد منحوا يومين للراحة وليغسلوا في غضونهما ثيابهم ويصقلوا اسلحتهم .

وكان لدى سير صمويل بيكر ١٢٠٠ جندى و ١٠ مدافع جبلية حلزنة زنة مقذوفة الواحد منها ثمانية أرطال وربع . وكانت هيئة الجنود وهم متشحون ببذلهم البيضاء وفوق رؤوسهم كوفياتهم المنسدلة على أكتافهم



الاحتفال فى غندوكورو باعلان ضم مديرية خط الاستواء الى أملاك الحكومة المصرية
بصفة رسمية يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ م .

حسنة جداً . وعند ما ساروا والموسيقا تصدح أمامهم من المحطة الى أن وصـــلوا الى السارية المذكورة . ثم لما لاحوا من خـــلال الأشجار الخضراء وانتظموا على شكل بلوكات بميدان المناورات ، أخذت مشايخ القرى العـديدة ترمقهم بأبصارهم دهشة منذهلة من هذا المنظر العجيب الذى لم يسبق أن تقـع أعينهم على مثيله .

اصطف الجيش صفين عندما وصـل أمام هذه السارية فى النجد المطل عـلى المحطة واسترعى صف الحراب اللامعة المتـلألئة وكساوى الضباط الحسنة اللطيفـة نظر الاهالى ، ولبس البحارة والخدم والنوطون بصيانة ونظافة المعسكر أنخـــر ثيـابهم . وبرز اللونان الأبيض والأحمر فى المؤخر بين الأشجار وعلى النجد الأخضر بشكل يبهر الأنظار ويأخذ بالألباب .

وكان أركان حرب سير صمويل مؤلفـا من اللازم بيـكر والبـكباشى عبد القادر افنـدى وثلاثة ضباط آخرين غـير مستر هجنبـوثام . وبعـد أن دار سير صمويل بيـكر حـول الصف وقف تحت السارية وشكلت الجيوش مربعـاً احتلت البيادة ثلاثة أضلاع منه وكونت الطوبجية مع مدافعها الستة الضلع الرابع وهي متجهة نحو النهر .

وتمت قراءة اعـــلان ضم الناحية الى مصر رسميـا باسم الخديو تحت تلك السارية وعند تلاوة الـكلمة الأخيرة من آخر جملة رفع العلم المصرى بسرعة وأخذ يخفـق على رأس السارية تتلاعب به نسمات عالية تخفض الضباط سيوفهم ورفعت الجنود أسلحتها للسلام وأطلقت البطاريات مدافع التحية الملـكية .

وبعد أن انتهت الحفلة سار الجنـد بنظام ثم اصطفوا متهيئين للقتـال كأنهم

يغون قتال عدو وهمى واطلقوا ما يقرب من عشرة آلاف طلقة وهم نازلون الى السفح القليل الانحدار الموصل الى المعسكر الموقت والمضارب التى نصبت ثاوليمة . وعندما وصلوا اليها نفخ فى البوق ففضت الجنود صفوفها وتفرقت وأخذت فى الحال تهيء الطعام لأكلها . وفى الغد أعلن الأمر الآتى :

أولا — ممنوع قطع أو إتلاف أشجار الأثل أو الاشجار التى يستخرج منها الزيوت مهما كان الداعى . وممنوع أيضاً إبادة أو اتلاف أية شجرة من أى نوع كانت وذلك فى دائرة قدرها ٢٠٠٠ خطوة حول المعسكر .

ثانياً — ممنوع الابتعاد عن المعسكر أكثر من ٢٠٠٠ خطوة إلا إذا كان ذلك بأمر من الباشا أو من رءوف بك .

ثالثاً — تجارة العاج ممنوعة وممنوع أيضاً قبول هذا الصنف بصفة هدية أو مبادلة بشىء آخر . وممنوع كذلك قتل الأفيال أو السماح بقتلها إذ أن جميع العاج هو ملك للخديو وتجارته محتكرة لسموه .

رابعاً — ممنوع شراء الرقيق أو قبوله بصفة هدية .

وكل من يخالف هذا القانون يعاقب بالعقوبة التى يقررها بيكر باشا .

(س . و . بيكر)

* * *

ولولا صدور هذا القانون لكان الرجال الذين يشتغلون فى المخازن وفى بناء المحطة قد قطعوا جميع الأشجار المجاورة للمعسكر .

ولما رأى سير صمويل بيكر أن البارين لم يخضعوا ولم يوردوا الادوات اللازمة لتشييد المحطة ولا الأنعام المطلوبة لغذاء الجيش أمر بحجز جانب من سائمتهم وأودعها المعسكر . وعلى أثر ذلك حضر وفد مؤلف من مشايخهم لزيارة سير صمويل ليرجوه أن يفك عقالها .

فأجابهم أنه يجب عليهم تقديم الطاعة للحكومة . وبما أنهم لم ينفذوا أى أمر من أوامره فسيحتفظ بماشيتهم وهى تقرب من ٢٠٠ رأس الى أن يخضعوا لسلطة الحكومة الخديوية وأنه مستعد أن يردها لهم إذا هم احضروا قشا وأمدوا الجيش بمعونتهم في بناء المحطة العمل الذى كانوا يقومون بتأديته سنويا لرجال أبى السعود .

وقامت على أثر ذلك مجادلة بين المشايخ فصرح سير صمويل بيكر بأن عدداً كبيراً من الشيوخ البارين لايدين بالطاعة الى اللورون فصار من اللازم انتخاب شيخ مسئول وان الشيخ الذى ينتخب فى هذا المجلس يعتمده هو نائباً عن الامة جميعها وتعطى له السيطرة . فقبل الجميع ذلك وانتخب باجماع الآراء شخص يقال له مربيه Morbé ليكون شيخا مسئولا . وقد قبلته كل المشايخ بدون استثناء وصرحت بأنها ستطيع أوامره .

ووجه بعد ذلك الشيخ الجديد الكلام الى سير صمويل بيكر فقال : بالنيابة عن جميع المشايخ أرجوكم توطيدا لدعائم الثقة وحسن الارادة أن تطلقوا سبيل الماشية التى حجزتموها .

وكان سير صمويل بيكر منتظراً أن يباغت بهذا الطلب فأجابه أنه سيجرب إخلاصهم برد ماشيتهم . وفعلا أمر بذلك فى الحال . وأحضر

الباريون بعض حـــزم من الخيزران وبعض القش ولكنهم لم يقدمـــوا حتى ولا بقرة واحـدة الى الجيش بل اكتفوا بأن حصلوا على انعامهم وصرفوا النظر عن وعودهم وصرفوا أذهانهم حسب عادتهم فيما سلف لتجويع الحملة مؤملين زيادة استيائها ووقوعها فى الفشل وذلك أمر لايطاق الصبر عليه طويلا .

وفى ذات ليلة أحاط الجنـــود بقطيع بناء على أمر سير صمويل بيكر وساقوه الى مكان المعسكر بدون أن يحس بهم أحـــد . فتجـدد الحادث الأول وذلك بأن حضر الشيخ الجديد مريبه وبمعيته اللورون وعدد كبير من المشايخ وطال الأخـذ والرد فى الكلام بواسطة الترجمان تومبى Tomby . وتكررت الوعـود بالطاعة والخضوع فقال لهـم سير صمويل : أنا لا أحجز أنعامكم إلا لأحتفظ بها ضمانا لسلوككم فى المستقبل وسأختـار منهـــا للجيش عدداً من الابقار وادفع لكم ثمنها . فانفض الجمع وهم يؤكدون إخلاصهم ومحبتهم ومضت بضعة ايام لم يعد الباريون فى خلالها .

وفى ٢٩ يونيه ليـــــلا قامت ضجة فى المعسكر . ذلك ان الأهالى حاولوا أن يسلبوا بعض المواشى فأطلق الحارس بعض طلقات إلا انهـا لم تصب احـداً من اللصوص . ولما كان من المنتظر حدوث مناوشات اعلن سير صمويل الأمر الآتى :

بمـــا ان الباريين شقوا عصا الطاعة وعصوا أمر الحكومة ولم يخضعـوا للقوانين المعمول بها فصار من اللازم استعمال القـــوة . ففى حالة حدوث قتال احظر عليكم حظرا باتا أن تأسروا النساء والأولاد سواء كانوا ذكورا أم إناثا. وكل من يخالف ذلك من الضباط والجنود يحكم عليه بالاعدام .

س. و. بيكر

ولما كان معتقدا أن الحرب لابد أن يشب أوارها عاجلا اتخذ عدته لذلك . ففى ليلة ٤ يونيه ألقت الحراس القبض على اثنين من الوطنيين انسلا الى حظيرة الماشية تحت جنح الظلام واعترف واحد منهما أن ثلة من الأهالى كانت مجتمعة في الاعشاب العالية قرب مجرى النهر وقصدها مهاجمة الحظيرة في الليل وأطلقت بعض طلقات نارية .

وعلى ذلك قرر سير صموئيل نهائياً القيام بمقابلة الشر بالشر . ففى ٥ يونيه ذهب ستون جنديا على خمس سفن ونزلوا فى طرف الجزيرة من الجهة الشرقية ونزل بلوكان على الضفة المواجهة للمحطة وتم هو الجهة الغربية ومعه بلوكان آخران على ظهر باخرتين .

وأعلنت هذه التعبئة فى الأوامر ودوى صوت الطبل الكبير فى كل الأنحاء ولم تقابل هذه الجيوش بادىء بدء احداً من الاعداء ، ولاحت الجزيرة أشبه شىء بالصحراء لكن لم يركن سير صموئيل الى الظواهر فأمر مقدمته بأن يسيروا عدوا الى الامام . وفى هذا الحين سمعت طلقات البنادق تدوى فى طرف الجزيرة فاندفع الجيش عدوا ووصل تماما فى الوقت اللازم ، ورأى الوطنيين قد بلغوا بماشيتهم شاطىء النهر الشرقي فاجتازت الجنود النيل بسفنهم بسرعة واقتفوا أثر الهاربين .

ولم يكن الباريون ينتظرون أن تطاردهم العساكر فى منطقتهم فاستمروا يسيرون الهوينا آمنين مطمئنين بعد أن دخلوا الغابة ولما كانت عساكر الحملة السود بارعين فى العدو خفوا خلفهم حتى لحقوهم وأثخنوهم وعادوا ومعهم جانب كبير من الماشية . وقد رجع الجيش الى معسكره في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر بعد أن ظل على قدمه أربع عشرة ساعة تحت وهج

الشمس المحرق .

وفى ٧ يونيه اقترب لجأة باريو « غنـدوكورو » المتحالفون مع أهل بلنيان Bélinian ضد الحملة زاحفين خلف الأشجار والأدغال كما هي عادتهم وانقضوا على حراس المواشى وقتلوا جنديا بسهم وجرحوا آخر بضربة حربة فأمر سير صمويل بيكر فى الحال بمهاجمة قبيـــلة بلنيان في نفس هذا اليـــوم . وبارح المحطة بعـــد منتصف الليـــل بنصف ساعة ممتطيا جـــوادا ومعـــه الملازم بيكر ومستر هجنبوثام والبكباشى عبد القادر افندى وعشرون جنـــديا من رجال حرسه . وكانوا يسيرون فى سكوت عميـق حتى لا ينتبه لهم رقباء الأعداء الذين من عادتهم أن يجوسوا كل ناحيـة فى جوف الليـــل . وعندما وصلوا الى المعسكر العام الواقع على بعد كيلو مترين ونصف كيلو متر وجدوا أربعـة بلوكات بأسلحتها ومعها مدفع وانطلقوا في السير عنـــد الساعة الواحدة ويصحبهم دليل من الباريين اسمه شروم Sherroum وهو الذى انضم مع صديقـه مرجان Morgan فى خدمة سير صمويل من وقت بداية الحرب . ويتكلم هذان الشخصان اللغة العربية وصارا من بعد هرب الترجمان تومي Tomby وانضمامه للأعداء حليفين للحملة لا تقدر لخدمتها قيمة .

وتمتـــد الطريـق الموصـــلة الى قـرية بلنيان ثلاثة كيلومترات فى منطقة جرداء . وبعد هذه المسافة دخل الجيش فى غابة مظلمة جداً لاقى فيها مصاعب شتى فى جر المدفع الذى كانت دواليبه تشتبك فى كل لحظة في جرائيم الشجر وجذوره . ومما زاد الطين بلة كثرة الغـــدران في تلك الجهة فكانت الخيول تسوخ أرجلهـــا في الطين ، وكان الانسان لا يستطيع أن يرى المواضع الموحلة لشدة الظلام . ففى هذه الامكنة كان يلزم لجر المدفع ثلاثون

جنديا وخيف من عواقب التأخير أن تكون وخيمة . وبعد انصرام الليـل أخذ المطر يهطل من فروج السماء وبعد مضى ساعة وصلت الفرقة الى أرض جافة غير مستوية ليست بها أشجار وتبددت الغيوم وانقطع المطر .

وفى الساعة الخامسة صباحا أوقف الدليـل الحملة وقال ان القرية التى أتينـا للاغارة عليهـا أضحت قريبة . وبعد استراحة نصف ساعة عاود الجند المسير وكان ذلك عند بزوغ الفجر فوصلوا بعـد قليل من الزمن أمام القرية فوجدوها محاطة بحاجز مستدير كبير .

ولما رأى الأهالى الحملة أرسلوا عليها وابلا من السهام التى لم تصب لحسن الحظ إلا واحدا فصوب الجنود عليهم فى الحـال طلقات عديدة دفعـة واحـدة جعلتهم يفرون الى الغابة مشتتين تاركين القرية فدخلتها الجنود آمنين وغنموا منها ٦٠٠ رأس من البقر .

وبعد أن استراح الجنود وتناولوا فطورهم أضرموا النـار فى القرية وأخذت الحمـلة طريق العـودة فوصلت الى محطة « غندوكورو » من بعـد غروب الشمس بساعة تقريبـاً وعلى هذا يكون غيابهـا قد استغرق نحو ١٩ ساعة من الزمن .

وفى ٩ يونيه رأت الحملة ثمانى سفن من مراكب أبى السعود . وقد سافرت هذه السفن وصادفتها ريح طيبة فوصلت وألقت مراسيها أمام الجزيرة عند منتصف الساعة الثالثة مساء ، وكان نفس أبى السعود مسافرا على ظهـر إحداها . وقد ساعد تلك السفن فى رحلتها هذه الخنادق التى حفرتها الحملة في قدومها .

فأمر سير صمويل بيكر أولئك الرجال أن يحطوا رحالهم على ضفة النهر الغربية لكى يبعدهم عن جيشه إذ لا يبعد ان يؤثر أولئك على هؤلاء أو يفسدوا أخلاقهم . وأخبر أبو السعود سير صمويل بوفاة العقـــاد وبأنه تولى لكونه صهره إدارة شركته . وقد كان هناك شيء آخر اخفـــاه عنه ذلك أنه بينما كان قادما فى سفره هذا سلب مواشى من منطقة احد مشايخ قبيلة الشيريين Shirs اسمه نيانـــبوريه Nianboré وكان هـذا الشيخ قد اضحى مواليا للحكومة فترك لديه سير صمويل نائباً عنه يمثل الحكومة وهو البكباشى احمد رفيق افندى ومعه اونباشى وستة جنود .

وقد ذهب جمع غفير من الباريين الى أبى السعود وعاونوا رجاله فى إقامة معسكرهم العمل الذى أبوا بتاتا ان يقدموه للحملة فدل هذا على أن أبا السعود خائن إذ أنه كان يعلم حق العلم ان هذه الحملة فى حالة حرب علنية مع الباريين .

ولما ذهب سير صمويل وبمعيته بعض الحرس الى معسكر أبي السعود ووقع انظار الباريين عليه لاذوا بأذيال الفرار واختفوا بين الأعشاب . وعندما نزل من الباخرة توجه توا الى حظيرة المواشى وأقام أربعة حراس عليها واعلن مصادرتها . وكان لا بد من إبداء هذه السيطرة والقوة لوضع حد للسلب والنهب الذى كان يقع من أولئك الذين يقال لهم تجار الخرطوم .

وعندما رجع حرر المرقوم الرسمى الآتى الى أبى السعود :ـ

الاسماعلية « غندوكورو » فى ١٨ يونيه سنة ١٨٧١
الى أبى السعود وكيل شركة العقاد .

لقد وصلت فى ١٠ الجارى ومعك عدد كبير من المواشى التى سلبتها

أنت ورجالك . ومع أنك كنت تعلم أن الباريين يناصبوننا العداء فاننا نراك ترتبط معهم كل يـــوم بروابط الصداقة والمودة . فاذا كان باريو هذا البـــلد يناصبون كل حكومة نظامية العداوة والبغضاء فما ذلك إلا بمعونة رجالك الذين يسرقهم العبيد والمواشى فى داخلية البـــلاد واحضارها الى هنا أضاعوا كل أمل فى تحسين حالة شعب همجى بسليقته ، وصيرتموه أنتم شعب لصوص وقطاع طرق . وبما أنى لا أستطيع احتمال تماديكم على ذلك فأعلنكم كما يقتضى بذلك واجبى أن تخـــلوا أنتم وأتباعكم عند نهاية العقد الذى بيدكم المنطقـــة النازلين بها والموكول إلى التصرف فيهـــا . وفى الوقت نفسه أصرح بأنى قد صادرت لمصلحـــة الحكومة المواشى التى سلبتموها من هذه المنطقة .

صمويل . و . بيكر

* * *

وعندما وصل أبو السعود الى غندوكورو واصل دسائسه وطفق يخابر بارى اللورون وبارى بلنيان سراً وكانت جواسيس هؤلاء تنقل له حركات وسكنات الحملة وتذيع فى كافة انحاء البلد اشاعة مقتضاها أن أبا السعود سيمد يد المساعدة للأهالى فى سبيل مقاومة سلطة سير صمويل . وفى الوقت نفسه كان ذلك الشقى يذكى باستمرار نار الخلاف التى أوقدها بين ضباط الحملة وجنودها .

ولما كان الباريون لايجرءون على مهاجمة الحملة وجها لوجه كانوا كثيرا ما يأتونها ليلا فيقلقونها ويتعبون الجند كثيراً إذ يضطرونه بصيحاتهم أن يستمر واقفا على قدميه .

وبما زاد فى تحرج الموقف ان وقع كثير من الجنود بين براثن الحمى

والدوسنطاريا وخصوصا مرض تقرح السيقان وهو على ما يلوح مرض معد وفى بعض الأحوال يقضى على الساق قضاء مبرما فيتلفهـــا إتلافا تاما . وكان لا محيص ان يتولد من جميع ذلك حالة يأس وقنـــوط فكان رجال سير صموبل يشعرون بمرارة من حرج موقفهم فقد انهكهم واضناهم التعب إذ كان عليهم أن يبنوا المسكر ويقاتلوا فى الوقت نفسه البارين . وكان الجـــوع يهددهم من جهة أخرى لأن حالة النيل المخيفة ما كانت تترك مجالا للأمل فى وصول مؤونة الغلال المرسلة من الخرطوم .

وكان موضع المحطة التى يبعـــد بعض المسافة من المسكر العام كثير الملاءمة إذ كان يحدها شمالا بحيرة عميقة وشرقا مجرى النيل الأبيض فما كان يستطيع أحد أن يصل اليها إلا من ناحيتين .

وقد واصل أهالى قبيلة بلنيان بالاتحاد مع بارى غندوكورو محاولاتهم الليلية بقصد سرقة مواشي الحمـــلة رغما عن الانذارات التى وجهها سير بيكر فاضطر رجاله أن يكونوا دواما واقفين على قدم الاستعداد .

وفى ٢٨ يونيه قتل رجل من البارين بطلق نارى وألقى الحراس القبض على آخر وشنق على شجرة فى نفس الطريق الذى يسلكه رجال بلنيان أثناء قدومهم للاغارة على المسكر . وكان الغرض من ذلك إنذارهم ولكن هـــذا العمل لم يأت بجدوى . واستمر شن الغارات وزاد عما كان فى المدة السابقة .

وفى ١٠ يوليه هوجمت سائمة الحملة فى وسط النهـــار بينما كانت ترعى فى مراعيها وكان المهاجمون مئات من البارين فردهم جنود الحملة الى الغابة بعد أن قتل جندى وجرح آخر .



هجمة ليلية من البارين على معسكر الحملة بغندوكورو فى ٢١ يوليه سنة ١٨٧١

وكان لابد من انتظار حدوث غارة كل ليلة . وهذا تمرين جليل للجنود يضطرهم لأن يكونوا دواما على قدم الاستعداد إلا أنه أيضاً تمرين شاق متعب لأن العساكر لا تستطيع الراحة ليلا مع أنها تشتغل يومياً نهاراً .

وكان أبو السعود ورجاله في الوقت نفسه في اتصال مستمر مع أعـــداء الحكومة ويقدمون لأهالي بلنيان المؤونة متبعين في ذلك خطة خيانة الحكومة التي رسموها لأنفسهم .

وفي ٢١ يوليه عند منتصف الساعة الثانيـة صباحاً استيقظ سير صمويل على أصوات طلق البنادق آتية من ناحية المعسكر العام . وبعد نصف ساعـة أخذت أصوات الأهـالي في الخفوت شيئاً فشيئاً . وفي الوقت نفسه أخـــذ يضعف وينخفض صوت الطبول والأبواق وسكتت طلقات جماعات العساكر وحل محلها طلقات فردية متقطعة .

وفي صباح الغد ذهب سير صمويل بيكر قبل بزوغ الشمس الى المعسكر ليستقي الأخبار فعلم أن الحراس بوغتوا وأن خسائر الحملة أسفرت عن قتل أونباشي واحد وجرح ملازم أول وجندي .

وكان البارون واللوكياس يقصدون بهذه المباغتة احراق المعسكر . وقد حملت هذه الحادثة الأخيرة سير صمويل بيكر على أن ينفذ عاجلا فكرة كانت قد خامرته منذ زمن طويل وهي حفر خندق وعمل منحدر ابتغاء وقاية المحطة وحمايتها .

ولما كانت إقامة المخازن الحديدية قد تمت ووضعت فيها جميع المؤن والذخائر وكانت العساكر قد نزلت في ثكنات لائقة باقامتهم أخذ سير صمويل بيكر في

تخطيط حصن وفوض الى مستر هجنبوثام رئيس مهندسيه أمر إنجازه . ودعت الحال لأن يشتغل فى اقامة ذلك الحصن كل الرجال حتى البحارة . وسار العمل بهمة كبيرة ونشاط عظيم إذ كان كل من الجنود والضباط قد شعر بارتياح وانشراح لأنه سينفصل عن العدو ومشاغبه بحفيرة عميقة .

وفى زمن يسير أقيم حصن قوى متين له خندق ومتاريس تصد كل مغير ومهاجم . ومن ذالك الوقت اصبحت المحطة فى طمأنينة ولم يجرؤ الباريون على مهاجمتها لعلمهم ان حراسها فى يقظة كما اعترفوا بعد ذلك بهذه الحقيقة .

وفى ٣٠ يوليه سنة ١٨٧١ دهش سير صمويل بيكر كثيراً إذ رأى الشيخ نيانبوريه Nianbouré وهو احد رجال عشيرة الشيريين Shirs يأتى اليه ومعه رجال من خيرة مستشاريه وكان سير صمويل قد ترك عند هذا الرجل ضابطاً وستة من الجنود لمراقبة زراعة القمح وكان نيانبوريه هذا قد قضى ومن معه من الرجال ست ليال مسافراً لا يجرؤ على السير نهاراً خوفاً من الباريين ، وقد ضل الطريق مراراً بسبب حلوكة الليل وكان يقضى النهار نائما فى الأجمات الكثيفة التى فى طريقه وقد كابد كل هذه الأخطار ليحمل قبل اى انسان آخر الى سير صمويل بيكر خبراً مشئوماً حتى لا يتهم بارتكاب الخيانة ألا وهو قتل جميع عساكر هذا الشيخ ماعدا البكباشى احمد رفيق افندى وواحداً اونباشياً .

وقبل وقوع هذا الحادث ببضعة اسابيع كانت رجال ابى السعود قد نهبت عند مرورها من ذلك البلد متاع احد المشايخ المجاورين له وقدموا جانباً من أسلابه الى احمد رفيق افندى فقبله بعكس ما تقضى عليه واجباته . فاعتبر الاهالى بالطبع هذا القبول اشتراكا فى الجريمة وطلبوا طرد عساكر

سير صمويل بيكر . واقتضت شهامة نيامبوريه وهى صفة قلما توجد فى العبيد أن يعارض فى أمر هذا الطرد فهوجم وفى أثناء الواقعة قتلت العساكر .

وفى اليوم التالى رد سير صمويل بيكر الشيخ نيامبوريه الى بلده ومعه حرس مؤلف من عشرين جنديا على ظهر باخرة وكتب فى الوقت نفسه الى أبى السعود يخبره بأنه يعتبره مسئولا عما حدث .

ومنذ تم تشييد الحصون فى « غندوكورو » أو « الاسماعيلية » كما سماها سير صمويل تيمنا باسم الخديو صارت هذه الناحية محمية بخندق حول نشز من الأرض مقام عليه المخازن ومنصوب فوقه ستة مدافع . فكان فى استطاعة سير صمويل أن يلقى على الأهالى درساً أقسى من الدروس السابقة .

وفى ٣٠ اغسطس سنة ١٨٧١ ذهب مع ٤٥٠ جنديا وأخذ معه مدفعين احدهما من مدافع رمى الصواريخ التى يزن الواحد منها ثلاثة أرطال .

ولم يكن غرض الحملة الوحيد معاقبة البارين بل كان عليها أيضاً ان تجدد مؤونة الذرة التى كانت على وشك الانتهاء وكان ذلك الاوان اوان الحصاد وكانت الحقول مغطاة بمزروعاتها الناضجة .

وقد وصل سير صمويل بيكر عندما بان ضوء النهار الى وادى بلنيان أمام التلال الواقعة فى سفح الجبل حيث كان يوجد مئات من القرى مبعثرة يحيط بأغلبها حواجز خشبية مدببة الأطراف .

ولما كان الاهالي على بينة من الامر ومتسلحين بالبنادق وطدوا العزم على الدفاع عن حبوبهم وماشيتهم ودافعوا فعلا دفاعاً حماسياً وعندئذ أمر سير صمويل

بيكر الجند ابتغاء حسم القتال بالقيام بحملة على المواقع بالحراب امتاز فيهـــا اليوزباشي مرجان شريف افندى ، وهـو سودانى الأصـل خـدم فى الجيش الفرنسى فى بلاد المكسيك أربع سنوات ، بوثبة جاراه فيهـــا جنود البلوك الذى تحت امرته فكان هو أول من دخل متاريس العدو .

وكان البارون معتادين قتـــال بلوكات النخاسين غير النظامية ولم يروا قط للآن حملة شعواء كهذه بالحراب . فكان هذا عملا من شأنه بالطبع أن يذهلهم ويفت فى ساعدهم فطفقوا يتسلقون الصخور ويرتقون الجبل فكانوا فى فعلهم هذا أشبه شيء بالقردة وكانت الجنود فى اثناء ذلك تتعقبهم وتصليهم ناراً حامية من أفواه قراباناتهم التى كانت من طراز سنيدر .

وانفجرت فى تلك اللحظة قذيفة على رؤوس ثلة من الاعداء كانت متجمعة على بعد سبعمائة متر تقريباً من مؤخرة الجيش فكان هـذا نذيراً لهم بمبارحـة المكان ادركوا معناه حق الادراك .

وبعد أن أمر سير صموئيل بيكر باحراق الحواجز المحدقة بالقرى وبعد أن اختفى البارون اختار موضعاً فى الخلاء لتعسكر فيه الجنود . وانقضى الليل بهدوء وسكينة .

وفى اليوم التالى تقدم نحـو الشمال فى السهل واستولى بالحراب على منطقـة هائلة مساحتها هكتار ونصف (١٥٠٠٠ متر) .

وعند ما وصل الى الوادى أمر باحتلاله وأقام فيه ثلاثة أماكن محصنة يبعد الواحد عن الآخر كيلومترين تقريباً وبذلك أضحت تحت تصرفه مساحـة واسعة من الأرض .



هجوم جنود الحملة على قرية بلنيان يوم ٣١ اغسطس سنة ١٨٧١

وبعد ذلك أمر فى الحال بالشروع فى الحصاد غير أن العدو استمر يناصب الحملة العداء واشتبك معها فى عدة مواقع قتل فى احداها البكباشى احمد رفيق افندى ثم بعد إقامة خمسة وثلاثين يوما عاد فى النهاية الى غندوكورو ومعه زاد يكفيه ويكفى جيشه شهرين .

ولم يكن لدى ضباط وعساكر سير صمويل بيكر أقل ميل للمبدأ الذى كان يسعى فى سبيل تنفيذه ففى أوائل الحرب مع البارين سلكت الجنود المصرية والسودانية مسلكا شائنا كريها . فلقد رآهم السير صمويل بيكر ينقضون على قرية للعدو ويطلقون لأنفسهم الاعنة فى السلب والنهب .

وقد أكد له أميرالألاى رءوف بك انه من المستحيل منع نهب القرى إذ يعتبر الجند ان هذا النهب هو بمثابة جائزة لنصرهم ولكن سير صمويل بيكر لم يشأ أن يقر هذا المبدأ فكان عند ما يضبط العسكرى متلبساً بالجريمة يعاقب عقاباً صارماً .

وانتهى العمل فى المحطة انتهاء تاماً وحصنت تحصيناً منيعاً بحفر خندق وعمل منحدر . ولكن تلفت زراعة الأهالى والجيش معاً فى أرض غندوكورو الصفراء الرملية . نعم سقطت الامطار ولكن لم يكن ذلك إلا فى المناطق الجبلية حيث تتجمع السحب . أما فى الجزر فالمحصول هناك فى حرز حريز إذ أن جذور النبات تغوص فى الأرض على عمق يكفيها أن تستقى من رطوبة النهر ما يرويها . وكانت الجنود تركت العصافير تبيد نصف محصول الجزيرة وكان فى متناول أيديهم محصول جيد فأهملوا جنيه وأخذوا الآن يشتكون ويقولون ان أرض غندوكورو لا تصلح لشيء .

ولم يرجع ابو السعود للآن الى الخرطوم . أما الرحلة التى قام بها الى البلنيان ليستأذن من السير صمويل بيكر فى السفر فهذه لم يكن القصد منها إلا إخفاء أغراض مجهولة .

وفى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧١ أرسل رءوف بك (فيما بعد باشا) خطابا الى سير صمويل بيكر ومعه خطابان آخران موقع عليهما من جميع ضباط الجيش ما عدا ضباط حرسه الخصوصى يلتمسون فيهما مبارحة الحملة لهذه النواحى والعودة الى الخرطوم وكان الخطابان قد خطتهما يد واحدة ومما لا يحتمل الشك أن الذى املاهما شخص عالى المقام وقد عزاهما سير صمويل بيكر فى الحال الى رءوف بك صديق وشريك أبى السعود فى جرائمه غير أنه لم يبال بهذه المسألة .

وكان سير صمويل بيكر يرمى الى أن يشن غارة على جزر البارين فى جنوب جبل الرجاف ويرى ان كمية الحبوب التى يجدها هناك تمكنه من اجتثاث هذه المؤامرة من أصلها .

فسافر مع تجريدته فى الوقت المعين وسار صعدا مسافة اثنى عشر كيلومتراً فى النيل وكانت الملاحة فيه سهلة فى هذا الفصل . ووصل الى الشاطىء الغربي ولما كان الهواء معاكساً لسيرهم نزل الجند الى الارض وجروا الوابورات ضد التيار وكان اتساع النهر يناهز ٤٥٠ متراً .

وكان البلد الذى يخترقونه بلدا جميلا فتانا به تلال صخرية عالية واقعة على مسافة بعض كيلومترات وتنحدر تلك التلال انحداراً خفيفاً فيتكون من مجموع هذه الانحدارات سهول نضرة تنتهى عند ضفة النيل وينتشر فى جنباتها باقات من الاشجار الخضراء الزاهية غير أن عدم وجود غابات بتلك النواحى كان يجعلها غير صالحة لاقامة محطة كبيرة عليها .

وصادفت الحملة فى طريقها قرى عديدة إلا أنهـــا لم تقابل فى أى ناحية مقابلة حسنة . فكان الوطنيون يخرجون من أوكارهم يشيرون ويومئون ويهزون رماحهم بأيديهم ويفعلون ما شاكل ذلك من المظاهرات العدائيـة التى لا يمكن أن يخفى معناها على أحد .

ومن الواضح الجلى انهم كانوا يتحرشون للقتال غير أن السير صمويل بيكر كان قد اعتاد ألا يهاجم البازيين ويتربص الى أن يصدر أى عداء من جانبهم .

فنزل الى البر وتقدم على الضفة عدة مئات من الخطوات وكان ينتشر فى جنبات تلك النواحى صخور غريبة جـــداً وقطع ضخمة من حجر الصوان المصقول متراصة فـــوق بعضها حتى ليحسبها الرائى انهـــا نظمتها ورصفتها يد الانسان . وكلما مشت الحملة انسحبت الاهالى وتوارت خلف تلك الاحجار والصخور . وعند ما صارت على بعد مائة متر منهم صاح الترجمان الذى كان مرافقا لها : ان هذه الحملة ما أتت لتقاتلكم بل لمشترى غلال فقط وان سير صمويل بيكر سيبادل « الجوجو » من السورجو بكيزانه ببقرة والجوجو مكيال سعته ١٤٠٠ لتر والسورجو نوع من الذرة . وكان هذا هو السعر الجارى .

فقوبل هـذا العرض اللطيف بافظع الاجوبة واشنع الشتائم وكان ضمن ما قالوه ان الحملة فى غير حاجة أن تعرض عليهم مواشيها التى عقدوا العزم على أخذها منها بالقوة وانه لا شىء خير لهـــا من أن تنكص على عقبها وترتد الى الخرطوم .

وقد حاول سير صمويل بيكر أن يبين للاهالى ان رجاله عضهم الجوع بنابه وانه سيضطر أن يأخذ منهم قـوة واقتداراً الغلال التى أبوا ان يبيعوها له

فقوبلت مطالبه هذه السلمية بوابل من اللعنات والشتم .

فلم يبق لديه بعد ذلك إلا استعمال الشدة فنشر جنوده بكيفية تمكنها من تغطية ثمانمائة متر من الأرض ثم اتجه الى جبل الرجاف وكان محظوراً قطعياً على العساكر أن تدخل الاكواخ وكل ما كانوا مكلفين به التحقق من امتلاء الجوجات (١) أو فراغها وبهذه الكيفية تم اجتيازه ٢٥ أو ٣٠ قرية كل واحدة منها بها خمسة عشر جوجو كلها طافحة بالغلال .

وعند ما وصل الى نجد الرجاف فحص بمنظاره البلد فرأى على امتداد بصره خطاً من القرى الصغيرة ممتداً بلا انقطاع وعدداً كبيراً من الاهراء . وذهلت الجنود لوجود هذه الخيرات الجزيلة ودهش الضباط الذين كانوا كتبوا للسير صمويل بيكر يقولون : ان البلدة ينقصها الحبوب ومن اللازم الرجوع الى الخرطوم .

وقد احتل جملة قرى كان قد تركها اصحابها ورحلوا عنها وأتت المراكب فألقت مراسيها بجانب ضفة النهر واستحضر رءوف بك وزوده بالاحتياطات اللازم اتخاذها فى غضون الليل .

وما نفخ فى بوق الايقاظ حتى استقدم رءوف بك وأمره أن يأخذ بلوكا والمراكب ويحتل الجزر . أما هو أى سير صمويل بيكر فيمم جهة الجنوب وبعد بحث دام ثلاث ساعات أقام فى نقطة صالحة جداً محطتين وسلمها إلى الصاغقول اغاسى عبد الله الدنساوى افندى . والى ضابط آخر وأعطى كلا منها عدداً من العساكر مساويا للعدد الذى أعطاه للآخر . والأول ضابط سودانى اشترك فى حرب المكسيك وانعم عليه بنيشان الليجيون دينور وهاتان المحطتان اللتان

(١) جمع جوجو وهو مكيال يصنع من عيدان الصفصاف أو الخيزران وقد سبق ذكره .

تبعد احداهما عن الأخرى مسافة ١٥٠٠ متر تقريباً كانتا قائمتين على نجد يشرف على مراكب رءوف بك التي كانت قد وصلت ورمت مراسيها على شواطىء الجزيرة على بعد كيلومترين ونصف فتكون من هذه المراكز الثلاثة مثلث فى جوف أرض خصبة .

وبعد أن اخذت هذه الاحتياطات رجع سير صمويل بيكر الى النهر وأمر رءوف بك أن يعجل بشحن الغلال ويرسلها بلا توان الى غندوكورو وكانت اهراء الجزيرة ملأى وموضوعة على مقربة من الشاطىء حيث كانت المراكب مربوطة فى مراسيها فكان فى الاستطاعة تعجيل الشحن .

وبعد أن فرغ من اصدار هذه الأوامر سافر الى غندوكورو ومعه الجندى منصور القائم بخدمته ومراسلاته وجنديان آخران وبحاران . ولما كان قد عقد النية على أن يراقب عملية حصد الغلال بادر حالا بالرجوع الى الجزر على ظهر ذهبيته .

وكان رءوف بك لم يحتل إلا واحدة من هذه الجزر وكان الوطنيون يسرعون فى نقل الغلال التى فى الجزر الغربية وعندئذ أعاد أميرالألاى الى غندوكورو مع المرضى . وشرع الملازم بيكر فى احتلال الجزر . وفى زمن يسير جداً وضعت الحملة يدها على ثلاث جزر كبار خصبة لدرجة خارقة للعادة ولم تنقطع مراكبها من الاياب والذهاب وهى محملة احمالا ثقيلة من هذه الجزر الى غندوكورو .

وانتهت الاعمال التى ألقيت على عاتق كل من الصاغقول اغاسى عبد الله الدنساوي افندى والضابط الآخر وكان هذا الأخير فى انتظار مراكب ليشحن عليها ما بقى من الغلال المتجمعة . أما الأول فكان قد انجز شحن كل ما كان

عنده منها فأرسله سير صمويل بيكر الى الجنوب ومعه أمر باحتلال كل قرية تقابله .

وأما الصاغقول اغاسى عبد الله الدنساوى افندى فنظراً لقلة جنوده وهم ٩٠ جنديا قاتله الباريون فارتد وتمكن من بلوغ النهر فأقلته ومن معه المراكب التى كانت راسية فيه وعانوا جميعاً الأمرين فى هذا القتال وقتلوا خلقاً كثيراً من الباريين وقد لاحظ ذلك سير صمويل بيكر عند ما زار ميدان القتال الذى كانت تنقض عليه جموع من العقبان .

وسافر فى ٣ نوفمبر ثلاثون مركباً من غندوكورو الى الخرطوم وعلى ظهرها من المسافرين ١١٠٠ نفس من نساء واولاد وبحارة وعساكر ومرضى .

وبالرغم من الأوامر الصارمة التى أصدرها سير صمويل بيكر بعدم تسفير أحد الى الخرطوم إلا من كان مصابا بمرض حقيقى فان رءوف بك انتهز فرصة غيابه ورد عدداً كبيراً من الرجال الذين لا يشكون من أى ألم فخفض بهذه الكيفية قوة الحملة الى ٥٠٢ من الجنود بما فى ذلك الضباط والبروجية وضاربو الطبول والكتبة وغيرهم ، والى ٥٢ بحاراً . وهكذا صارت الحملة التى كان من اللازم أن يكون عدد رجالها ١٦٤٥ جنديا ليس بها غير ٥٥٤ جنديا وهو عدد ضئيل لدرجة أنه يفقد كل أمل فى تقدم الحملة فى داخلية البلاد .

وكانت الظواهر جميعها تنم على أن أبا السعود بلغ مرامه وأن حركات الحملة أصابها الشلل إذ كان من المفروض أن سير صمويل مع جيش انحط عدده لهذه الدرجة لا يتجاسر أن يتزحزح من معسكره العام . وبما أن عقد خدمته ينتهى أجله فى أول أبريل من سنة ١٨٧٣ فليس أمامه متسع من

الوقت غير ستة عشر شهراً وهـــو زمن قصير جداً لا يسمح له بانجـــاز مشروعاته .

ومن ناحية اخرى فان حـــالة النيل فى ذلك الوقت كانت سيئة بحيث لا تترك بارقة أمل فى وصول امداد للحمـــلة من الخرطوم أما الحفائر والخلجـــان التى كان قد شقها فى بحر الزراف فهذه ما كان يدرى أردمت أم بقيت كما تركها .

وكتب سير صمويل بيكر الى الخديو ملحاً فى بيان الضرورة القصوى القاضية بشق خليج مجـــرى النيل الابيض بدون ابطاء وكتب ايضاً الى جعفر مظهر باشا بأن يبعث له فى الحال بعـــدد من الخرطوم وبمئونة من الذرة وظل هذا المدد ثلاثة عشر شهراً فى النهر بين غندوكورو والخرطوم ولم يصل الا قبيل نهاية الحملة .

وبما أنه كان يخشى ألا يصله شيء من السودان فقد رأى أنه لا بد من أن يأخذ احتياطات مستقلة عن كل معونة خارجية ملافاة للطوارىء التى ربما تحدث فى المستقبل وان يباشر اتمـــام مأموريته بواسطة الـ ٥٠٢ من الجنود والضباط و الـ ٥٢ بحاراً الذين بقوا معه إذا كان ذلك فى حيز الامكان .

وكان عدد الجنود الذين يحيطون به فى ذلك الوقت ٢٥١ ضابطاً وجنديا فكان الذين تحت تصرفه نصف قواته تقريباً . ولما كانت غندوكورو محصنة تحصيناً متيناً والبليان كسرت شوكتهم فلم يبق لديه ما يخافـــه من هاتين الناحيتين . وأما من ناحيـــة المئونة فكان مخزن من مخازنه الكبرى تطفح جوانبه بالغلال فاذا أضفنا الى ذلك الذرة المشحونة فى

جملة من مراكبه نجد انه كان فى حيازته من المئونة ما يكفيه زيادة على العام وهذه نقطة هامة ايضا . ومن جهة أخرى كانت الجنود الباقية لديه جنوداً من خيرة الرجال الابطال البواسل ألاصحاء الاجسام المتعودين النظام فكان اليأس بعيداً عن أن يتسرب الى نفسه بل بالعكس كان قد قرر أن يواصل بمعونة الله القيام باتمام المشروعين اللذين قدم من أجلهما ألا وهما منع النخاسة وضم منطقة خط الاستواء .

استكشاف سير صموبل لشلالات النيل الأبيض

وفى ١٠ نوفبر استصحب ١٥٠ جنديا للقيام بعمل استكشاف لغاية شلالات النيل الابيض الاخيرة الواقعة جنوبا على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من المعسكر الذى شيده فسافرت الحملة فى البكور وسارت بجانب النجد المرتفع الممتد حذاء مجرى النيل مجتازة الموضع الذى كانت الاهالى هاجمت فيه الحملة من بضعة أيام مضت . وقد قال سير صموبل بيكر أن لا شىء يفوق جمال هذه المنطقة من الوجهة الزراعية .

وكان الباريون قد عدلوا عدولا تاما عن خططهم فأثمرت الدروس التى ألقيت عليهم ثماراً يانعة وأنقلب سخطهم وبغضهم مودة وصداقة واستقبل سير صموبل بيكر رؤساءهم واتحفهم بعدة هدايا .

أما رحلة الاستكشاف هذه من أولها الى آخرها فلم تكن إلا نزهة عسكرية .

وفى ١٩ نوفبر آب سير صموبل بيكر الى غندوكورو قرير العين من نتائج رحلته فكانت مخازنه طافحة بغلال تميره أكثر من عام وكان

السلم انتشر بين ربوع اقليم هام وكان قد حصل على وعود بالمساونة واقرار بالاذعان لسيطرة الحكومة الخديوية .

اما أبو السعود الذى كان سير صمويل بيكر قد صرح له بالرجوع الى الخرطوم فاكتفى بأن يهبط مع النيل لغاية محطة بور Bohr وهناك أخذ استعداداته لكى يعرج بالعاج الصادر عن محطة لاتوكا Latouka الواقعة على بعد مائة وستين كيلومترا شرق غندوكورو عن طريق معسكر سير صمويل بيكر العام ويصل به الى بور من سكة غير مطروقة .

وكان الغرض من هذه الخدعة أن يضيع على الحكومة الرسم المقرر لها وهو خمس كمية العاج حسب الاتفاق المعقود مع شركة العقاد .

وبما أن أبا السعود حضر بنفسه رجوع الجند الى الخرطوم فقد كان يعتبر أنه فاز وحصل على مايشتهيه إذ حسب أن الحملة أصبحت غير قادرة على التحرك من غندوكورو بعد أن لم يبق منها إلا ٥٠٢ من الضباط والجنود . وعلى ذلك سافر الى محطاته البعيدة الواقعة فى الجنوب بقصد اثارة الاهالى ضد الحكومة .

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يرود فيها أبو السعود الداخلية . وكانت عادته من زمن طويل أن يسافر دفعة واحدة فى السنة من الخرطوم الى غندوكورو على مراكب شركة العقاد ويحضر معه عصابة جديدة من اللصوص وكميات من الاسلحة والزاد ويظل فى غندوكورو عدة أسابيع يتسلم فى غضونها العاج والعبيد الذين تكون قد جمعتهم مختلف المحطات التى فى داخلية البلاد ثم يقفل بعد ذلك راجعاً الى الخرطوم .

وأوحت اليه ضرورة الوقت أن يشمر عن ساعد الجد ويضاعف مجهوداته . ولما كان يعرف حق المعرفة التاريخ الذى فيه تنتهى مدة خدمة السير صمويل بيكر فقد وضع نصب عينه هدفا واحداً اصابه تقريباً وهو الحيلولة دون تقدمه فى المدة الباقية له .

فكان يريد بناء على ذلك زيارة محطاته والتنبيه على وكلائه أن يحتفظوا بعاجهم وعبيدهم لغاية انتهاء مدة عقد سير صمويل بيكر فيضطر الى مغادرة غندوكورو وبعد هذا تعود الامور الى مجراها السابق كما كان يعتقد .

ورأى سير صمويل بيكر أنه من المفيد أن يفهم قبيلة الشير قبل أن يسافر الى الداخلية أنه لم ينس ذبح عساكره المساكين الذين تركهم لديها للمحافظة على المزروعات فجهز حملة وحاربهم حربا لن تزول ذكراها من ذاكرتهم

وعند رجوعه الى غندوكورو كانت الاهالى قد جمعت كمية من الاحجار وأرسلوا يطلبون منه أن يعين لهم مكان العمارة لينقلوا اليها تلك الاحجار . فقدم بقرة هدية للرسل وأقام لهم حفلة رقص . والظاهر أنهم سروا كثيراً من مقابلته لهم وعاد أولئك الرسل الى قراهم وبصحبتهم مركب على ظهره ضابط و ٢٠ جنديا . وهكذا فاز سير صمويل بيكر فى كل أعماله وفى جميع الامور نخضعت له الأهالى خضوعاً تاماً وذاع فى البلد بسرعة البرق خبر عدو الخيل وفعل قربينات «سنيدر» فارتعدت من ذلك فرائص الاهالى . وشاع أن ليس هناك مفر للمواشى من الخيول وان راكبها فى استطاعته أن يطلق النيران وهى فى أسرع جريها وأن لا شيء يمكنه مقاومة هذه الحيوانات الغريبة النادرة . وكانوا يعتبرون قربينات « سنيدر » كطلسم

من الطلاسم . وهكذا كان يعتبر الاهالى ايضاً غطاء الرأس شكل «كاسك» الذى كان يلبسه سير صمويل بيكر والملازم أول بيكر .

ولم يدهش سير صمويل بيكر إلا قليلا عندما علم من مترجميه أن الشيخ اللورون يبتهل طالباً السلم ويرغب فى الطاعة للحكومة .

وفى ١٤ ديسمبر كان قد حل عيد الفطر . وفى ذلك اليوم كل أنسان ذكر أو أنثى يلبس حلة جديدة مهما كان فقيراً وكان قد مضى لغاية هذا التاريخ اثنا عشر شهراً والمواصلات مقطوعة مع الخرطوم .

ولم يعد لدى العساكر بعد أن قاموا بأشغال جمة وقتال كثير وعانوا كثيراً من السير فى الادغال الشائكة إلا أسمال بالية يرتدونها على أجسامهم ومع ذلك كان العيد قد اقترب .

وفى ١٣ ديسمبر أعنى يوم الوقفة استدعى سير صمويل بيكر الضباط فى المخزن وسلمهم ملابس جديدة ليوزعوها على الجنود . وأعطى الى كل من ال ٣١٢ ضابطا وجنديا الذين كان قد تعين أن يرافقوه فى داخلية البلاد قميصاً أحمر من الفانلا وسروالا « بنطلونا » أبيض .

وفى ١٤ ديسمبر أذن دوى المدافع فى الناس بالعيد عند شروق الشمس وذهب سير صمويل بيكر الى المعسكر العام ممتطيا ظهر جواده وهناك استعرض الجند فى ملابسهم الجديدة فكانت كل الوجوه طافحة بالبشر ثم القى خطبة وجيزة فقوبلت ثلاث مرات بالتصفيق الشديد .

وقد أدهشت كثرة الموجودات فى مخازنه العسكر والبحارة دهشا عظيما

ورسخ فى أذهانهم أنه حتى إذا قطعت المواصلات مع الخرطوم فلا يكون ذلك موجباً لوقوع الجملة فى العوز والحاجة .

وكان النظام سائداً فى غندوكورو والامن مستتباً والمؤن متوافرة والمحطة محصنة تحصينا تاما . وكان البحث يدور فى صدد التقدم نحو الجنوب . فأول الخطط التى اختطها سير صمويل بيكر كانت واضحة جلية وتنحصر فى ايجاد خط مراكز محصنة يبعد الواحد منها عن الآخر مسيرة ثلاثة أيام لصيانة مواصلاته مع غندوكورو .

غير أنه لسوء الحظ استصحب معه عددا من الجنود يقل عن العدد اللازم ٣٥٠ جنديا و الـ ١٢٠٠ جندى الذين كان قد استعرضهم مبدئيـاً فى غندوكورو لم يبق لديه منهم إلا ٥٠٠ فقط وذلك بسبب الوفاة والمرض ورجوع من رجع الى الخرطوم لعدم صلاحيته .

ولما كان لا يمكنه أن يترك فى المعسكر العام أقل من ٣٤٠ جنديا من ضمنهم ٥٢ بحاراً لم يبق لديه إلا ٢١٢ ضابطا وجنديا للقيام بصراع طويل غير مأمون العاقبة بعيد عن قاعدته . هذا فضلا عن قطع الامل من الحصول على مدد ما إذا قامت أمامه صعوبات غير منتظرة وقد قرر السفر رغما عن كل ما ذكر .

سنة ١٨٧٢ م

وصول الحملة الى شلالات فولا

وفى ٢٢ يناير سنة ١٨٧٢ فى الساعة الثامنة صباحاً سافرت الحملة . وصادفت ذهبية سير صمويل بيكر ريحا طيبة فأدركت عاجلا السفن التى كانت قد سبقته موسوقة بالاحمال الكاملة . غير أنه فى الغد وما تلاه من الايام عاكس الهواء والتيار جميع مراكب الحملة فلم تصل الى شلالات فولا إلا فى ٢٧ يناير .

ووفد شيخ الناحية المسمى بيدن Bedden وزار سير صمويل بيكر فأهدى اليه هذا كسوة أرجوانية اللون وطلب منه أن يحضر حمالين لنقل متاعه الى « لابوريه » Laboré التى تبعد مسافة ١٠٠ كيلومترا تقريباً فوعده الشيخ باجابة طلبه وانصرف غير أنه لم يبر قط بوعده . ولم يقتصر الحال على ذلك بل بدت البغضاء من جانب الاهالى فاضطر سير صمويل ببكر أن يرسل عليهم بعض صواريخ انتقاما منهم فأحرقت بعض الاكواخ فى أقرب القرى . ولما لم يأت الحمالون وكان فى غير امكانه أن ينتظر الى ما شاء الله عول على أن يسافر مع مقدمة من الجند الى لابوريه ويترك معظم قوته ومتاعه ثم عند ما يصل الى تلك الناحية يرسل الحمالين اللازمين ليأتوا بباقى الحملة لأن سكان هذه الناحيه كانوا قد أبدوا له شعور المودة حين سفرته الأولى .

وأودع سير صمويل بيكر عند الصاغقول اغاسى عبد الله افندى الدنساوى ١٤٥ جنديا ومدفعاً واحداً وفوض اليه حراسة السفن وقطيع الماشية .

وألقت تلك السفن مراسيها متراصة الواحدة تلو الاخرى عند ملتقى نهر قد نضبت مياهه فى ذلك الحين . وكان يرجى من ضفاته المتقاطعة تقاطعاً عمودياً حماية مواشى الحملة ثم أمر من باب زيادة الاحتياط بسد الخور بعوسج شائك على بعد ١٠٠ متر من النهر فيكون الخور بهذا العمل بمثابة حظيرة فى منخفض من الارض تصان فيها الماشية . وخصص ٦٠ جنديا للقيام بالحراسة ليلا يوضع نصفهم على كل ضفة وأن ينصب المدفع محشواً بالرصاص على رابية واقعة على بعد ٢٠ مترا من الضفة فى مواجهة وسط الخط الذى كونته السفن ليمنع كل اقتراب سواء كان من الوجه أم من الجانب اليمين .

وصولها الى لابوريه

وفى ٨ فبراير الساعة ٣ مساء ولى سير صمويل بيكر ومن معه وجوههم شطر « لابوريه » فوصلوا اليها فى ١٢ فبراير بسلام وبدون أن يطلقوا عيارا واحدا . وقدم شيخ لابوريه وأدى الزيارة لسير صمويل بيكر فأحاطه بمقصده من هذه الرحلة وطلب منه حمالين فأجابه الشيخ أنه يقبل بطيبة خاطر أن تذهب رجاله الى السفن اذا كانت مخفورة بعسكر . فقبل سير صمويل بيكر هذا الشرط . وفى ١٦ من الشهر المذكور سافرت الرجال الذين نيط بهم جلب الآلات تحرسهم شرذمة مؤلفة من ٥٠ جنديا وكان عدد اولئك الرجال ٤٠٠ نفس تقريباً .

وفى ٢٤ من هذا الشهر وصل الصاغقول اغاسى عبد الله افندى الدنساوى الى لابوريه بالصحة والسلامة يصحبه كل ما كان قد ترك فى عهدته . وقدم لسير صمويل بيكر تقريراً مطولا عن الحوادث التى جرت فى غيبته يتلخص في السطور

القليلة الآتيـة وهي :—

« في ليـــــل ١٧ فبراير بينما كان الضباط والعساكر غارقين في نومهم انقض على المعسكر عـــدة الوف من الأهالى ولولا يقظة جنـدى أو جنديين وعـــدم استسلامهما للنوم كرفقائهما لذبح الجيش برمته . وقد أدرك الجند الذعر لأول وهلة فولوا الادبار تاركين المـــدفع بين أيدى الباربين غير أن عبد الله افندى الدنساوى والضبـاط جمعوا شتاتهم فعادوا للقتال وحصروا العدو بين نارين واستردوا المدفع ورموا ذلك العـــدو ببعض مقذوفات منـه فلم يسعه إلا أن يرتد على أعقابه ».

وصولهـــا الى فاتيكو

وقبـــل أن يولى سير صمويل بيكر وجهه شطر الجنوب اكترى ٧٠٠ رجل من الأهالى بصفة حمالين ورعاة للماشية حتى لا ينهك قوى جنوده في هذا العمل وهم مسافرون الى « فاتيكو » Fatiko .

وابتهج الاهالى في يوم ٢٨ فبراير باقامة حفـــلة راقصة وفي اليوم التالى سافرت الحمـــلة فأوغلت في أرض كثيرة المرتفعات والمنخفضات والغابات تسكنها قبيلة تسمى المادي Madis إلا أن قراها خربها تقريباً صيادو العبيد التابعون لأبى السعود .

وفي ٢ مارس وصلت الحملة الى سهل جميل عظيم سماه سير صمويل بيكر « الابراهيمـــية » نسبة لاسم ابراهيم باشا والد الجناب الخديو وتسميه الأهالى « افـودو » Affouddo والمسافة من « لابوريه » الى هـــذا السهل هى ستون كيلومترا .

وفى ٥ مارس عسكرت الحملة فى سفح جبل « شوا » Choua الواقع على مسافة قريبة من « فاتيكو » . وفى ٦ مارس سنة ١٨٧٢ تركت الحملة فى البكور معسكرها التى اقامته فى سفح جبل شوا ولبست الجنود أحسن كساويها طبقاً لأوامر سير صمويل بيكر وبدا عليها نشاط ربما كان السبب فيه يرجع الى الهواء الطلق المنعش الذى يسود تلك النجود التى يبلغ ارتفاعها ١٢٠٠ متر والتى يمكن اعتبارها بمثابة جنة افريقية . وكان لا يوجد فى هذه الاصقاع عدو يجب الاحتراس منه لأن سير صمويل بيكر كان قد أقام فى نواحيها مدة خمسة أشهر وارتبط بأهلها وكان واثقا أنه سيقابل فى « فاتيكو » باخلاص وترحاب .

وتقرر المسير بالنظام والترتيب الآتى وهو أن يسير سير صمويل بيكر وعقيلته والملازم بيكر ثلاثتهم فى القدمة ممتطين ظهور الجياد يتقدمهم خمسة جنود من حرس سير صمويل الخصوصى ويليهم البكباشى عبد القادر افندى مع بقية الفئة المنتخبة ثم الجيش صفا صفا وبعده الأمتعة فالاربعمائة حمال التابعون للحملة وفى الآخر الماشية .

ولم يبق عليهم للوصول الى فاتيكو سوى مسيرة عشرة كيلومترات فى طريق يفوق وصف كل واصف جمالا وجلالا . فتسلقت الجنود مرتفعاً الى أن وصلت الى نجد من حجر الصوان تقع عين الواقف فوقه على منظر يأخذ بالالباب لفخامته ويترامى البصر منه غربا فى النواحى البديعة التى تركها خلفه الى ما وراء النيل فيصل الى الجبال المرتفعة الى أعلى الافق .

وبعد ما بارحت الحملة النجد سلكت طريقاً زلقا حفرته الأمطار التى نزلت أخيراً فكانت تسير فيه محترسة الى أن وصلت الى سهل فاتيكو حيث

وقفت تحت كومة هائلة من حجر الصوان وهى بقايا جبل قد انهار فاتخذت منها ملجأ يقيها أشعة الشمس فى النهار .

وكانت الحملة قد وصلت الى نجد متوج بالاعشاب بدون أن يتنبه الأهالى اليها وأمامها على بعد ١٥٠٠ متر كانت تظهر محطة أبى السعود الشاسعة الواسعة . وبينما كانت واقفة فى انتظار وصول المواشى فحص سير صمويل بيكر وهو جالس على صخرة ببصره كل ما يحيط به فرأى أن ظهورها على حين فجـــأة أحدث هرجا ومرجا بين الأهالى .

وتحركت الحملة على أثر وصول مؤخرتها ونفخ فى الأبواق إيذانا بالسير فتقدم الجند بنظام تام وأمامه الموسيقا واقترب بعض الأهالى منها فعرفوا سير صمويل بيكر وعقيلته وقفلوا راجعين الى القرية وأخبروها بجلية الأمر . وقد كان منظر العساكر بهيجا وأثار دخولهم فى فاتيكو عجب الأهالى إذ لم يسبق لأواسط افريقية أن تشهد مثله .

وكان سير صمويل بيكر قد رتب الحملة ترتيبا أنيقا فكان لديه ٢١٢ جنديا منظمين أتم تنظيم وماشية منظرها يسر الناظرين وكمية كبيرة من المؤونة . فقضى وصولها بهذا التنسيق العجيب على آمال أبى السعود قضاء مبرما .

وبعد مصاعب ومشاق وصل سير صمويل بيكر فى آخر الأمر الى مأوى صيادى الرقيق . فأتى أبو السعود لمقابلته وطلب منه مع التذلل الذى دأب عليه ولم يفارقه أن يدخل مع رفاقه فى بعض أكواخ كان قد أعدها لنزولهم فرفض سير صمويل بيكر هذه الدعوة إذ كان يرغب أن ينصب معسكره أبعد من ذلك بأربعمائة متر تحت أشجار ضخمة من أشجار الأثل حيث كان

قد عسكر من بضع سنوات مضت . وفى الحال يعم ذلك المكان المحفوف بقطع من حجر الصوان الضخمة والذى تظلله أوراق الاشجار الكثيفة بظلال وارفة .

هناك وقفت الحملة وبعد يسير من الزمن كان المضرب قد نصب وصارت بذلك الحملة على مسافة ٧٧ كيلومترا من ملتقى نهر « اونيامه » Oun-y-Amé و ١٣٦ كيلومترا من « لابوريه » و ٢٦١ كيلومترا من غندوكورو . وقد أحضر أبو السعود من محطته كثيرا من السقوف القش لضباطها واتخذ الجنود لهم اكواخا موقتة وأدخلت الماشية بين مدرج منتظم من الصخور لتقضى فيه الليل .

وفى ٨ مارس استعرض سير صموئيل بيكر الجيش وبعد أن نبه الأهالى أمر بعمل شبه قتال وهجوم على جبل « شوا » Choua . وبعد أن أطلقت بعض الصواريخ على عدو وهمى انقسم الجند قسمين فتسلقا الجبل كل قسم من ناحية منه ثم انضما الى بعضهما فى النجد الذى بقمته المكون من حجر الصوان . وهذه المناورة التى نجحت نجاحا باهراً سر لها الأهالى الذين كانوا قد أتوا فى جموع عديدة لرؤية هذه الحرب الصغيرة سرورا عظيما . وبعد اطلاق عدة طلقات نارية نزل الجند من الجبل وعادوا الى معسكرهم تتقدمهم الموسيقا وهى تصدح بألحانها .

وكان لصوص أبى السعود قد خربوا تلك النواحي . ولما كانت الأهالى لا تستطيع مقاومتهم فكثير من القرى نهبت واقتيد سكانها من نساء وأولاد فى قيود الرق والعبودية .

كان أبو السعود يعتقد أن سير صموئيل بيكر لا يمكنه مبارحة

غندوكورو غير أنه لما كان كثير الحيـــطة نصح رجال قبائل « الشولى » Shouli على كل حال أن يهاجموه اذا قدم ديارهم . وعلى هذا اعتبر الأهالى سير صمويل بيكر الذى كانوا يجهلون قدومه انه عدوهم الى أن رأوه رأى العين وعرفوا فيه وفى اللادى قرينتـه صديقيهما القـديمين واذا كان قد رآهم يركضون ويلوحون بالمزاريق والتروس فما ذلك إلا لأن أبا السعود كان قد أغراهم على مهاجمته من غير أن يتريثـــوا ولا دقيقة واحدة ووعدهم بمساعدة رجاله فى هـــذا الامر ولـكنهم عند ما شاهدوا قواته وعرفوا عدم فائدة الهجوم بادروا بارسال البعض منهم له ليستعلموا منه عن مقاصده . ورداً على بيانه لرغبات الخديو أكد له أصدقاؤه القدماء أن البلاد كلها بقضها وقضيضها تنضم اليه وتجتمع حول حكومة صالحة وان كل ما يريدونه اقامة العدل وحمايتهم وأن رجوعه بث فى قلوبهم جميعاً الطمأنينة .

وكتب سير صمويل بيكر فى الحال الى سائر وكلاء أبى السعود فى مختلف المحطات أن الاتفاق الذى أبرم مع العقاد ينتهى أجله فى آخر شهر محرم فكل عمل يعمل باسمه بعد هذا التاريخ يعتبر غير قانونى .

وأعلن رسميا جميع مستخدمى أبى السعود بأن يبارحوا هذه البلاد أو يسلكوا مسلكا شريفا ووعدهم بأن يأويهم فى غندوكورو ويزرعوا جزر النيل الخصبة بدون أن يدفعوا ضريبة ما . واذا ارادوا الدخول فى خدمة الحكومة بصفة جنود غير نظامية يقدم لهم راتبا مساويا لراتب الجنود النظامية ويكون لديهم امتياز خدمة سنة فقط .

ووطد سير صمويل بيكر العزم على اقامة محطة فى فاتيكو لتمثل فيها الحكومة فى غضون رحلته الى الجنوب .

وقد أقسم له أبو السعود يمين الاخلاص واتفق معه على أنه عند ما تنتهى مدة عقده تبطل كل الاعمال المسماة تجارية وانه يبقى فى البلد من باب التساهل فقط وذلك لغاية ما يجد وسيلة لنقل العاج الذى جمعه الى غندوكورو ويتعهد أن يجرد السبعين رجلا الذين فى خدمته من البارين من الاسلحة حتى لا يوجد بعد ذلك سلاح نارى بين أيدى اهالى معادين للحكومة . ولكنه كعادته غش سير صمويل بيكر فجرد البارين من الأسلحة النارية ثم عاد فردها اليهم بعد سفر سير صمويل .

ولم تكن فاتيكو إلا قرية بسيطة من قرى بلاد « شولى » الواسعة التى كان يحكمها الشيخ « روت جرما » Rot-Djarma وهذا كان قد بلغ سير صمويل بيكر نيته أن يقدم خضوعه للحكومة أمامه .

وقد جمع سير صمويل بيكر مائتى حمال وأعطى تعليماته للصاغ قول اغاسى عبد الله افندى الدنساوى واختار موضع المحطة على بعد ثمانين مترا تقريباً من محطة أبى السعود وأقسم له هذا الاخير من جديد أغلظ الايمان أن يسلك مسلكا شريفا .

سفر الحملة الى أونيورو

أخذ سير صمويل بيكر بعد ذلك يستعد للرحيل الى اقليم « اونيورو » Ounyoro الذى كانت تفصله منه مسيرة مائة وخمسة وعشرين كيلومترا فى مروج غير مأهولة وكان يقوده فى هذه السفرة أمينه وصديقه شولى Shouli .

فسافر فى ١٨ مارس سنة ١٨٧٢ بعد أن ودع الصاغقول اغاسى عبد الله افندى الدنساوى وترك له جانبا عظيما من الابقار والاغنام .

وكانت حدود الأرض المأهولة على بعد أربعة كيلومترات من معسكر فاتيكو ومن بعد ذلك لغاية « أونيورو » يمشى الانسان فى جوف أرض مقفرة.

وأظهر اهالى فاتيكو شمما يفوق شمم اهالى لابوريه من جهة الاخلاق والآداب حتى أن أحدهم أصيب بمرض فى ساقه منعه عن السفر فرد البقرة التى كان أخذها فى نظير كراه وبين فى الوقت ذاته الداعى لتخلفه . وهذا هو الوحيد الذي تخلف عن السفر .

وفى ٢٢ مارس وصل سير صمويل بيكر ورفاقه الى نيل فكتوريا الكبير فى « فويرا » Foweira الذى يجرى بين ضفاف يبلغ ارتفاعها من عشرين الى خمسة وعشرين مترا فى جوف غابة نضرة . ففرحوا فرحا عظيما إذ وجدوا ماء رائقا صافيا بعد أن قدر عليهم أن يسيغوا مدة أربعة أيام ماء كريها من مستنقعات تمرغت فيها الافيال والجاموس .

واجتاز سليمان وادريس النهر بقصد زيارة سير صمويل بيكر . وهذان الشخصان هما وكيلان لأبى السعود وكان يعرف سير صمويل بيكر من رحلته الأولى انهما اشتركا فى حملة ابراهيم فبادر وأحاطهما بانتهاء عقد المقاد الأمر الذى كان قد أخفاه أبو السعود عنهما اخفاء تاما .

وأتى ايضا أكبر شيخ فى الناحية لزيارته وهو المدعو « كووُنجا » Qouonga ومعه حاشية كبيرة وهو أحد معارفه القدماء والمستشار المحبوب لدى ملك أونيورو المدعو « كمرازى » Kamrasi الذي توفى منذ عامين .

وحمل له هذا الشيخ اخباراً هامة للغاية . ذلك أن موت « كمرازى » سبب حربا مدنية شبت نيرانها بين ولدى الملك المزوزين « كباريجا » Kabba-Réga

و « كباميرو » Kabb-Miro والعدو اللدود للأسرة « ريونجا » Rionga ابن عم الملك المتوفى . وان الثانى قتل واعتلى الأول عرش والده .

وأحاط سير صمويل بيكر « كوؤنجا » بمشروعات الاصلاحات التى كان ينوى اتخاذها وسلمه بعض الهدايا « لكباريجا » الذى كان يقيم على مسافة مسيرة ستة أيام تقريبا .

وكانت المئونة تصل رغما عن وعود الشيخ ببطء عظيم لدرجة كان يخشى معها أن تقع الحملة فى العوز والاحتياج فاضطر سير صمويل بيكر ان يقوم بمظاهرة عسكرية ليحمله على انجاز الطلبات فى الحال .

وفى ٥ أبريل زار السير بيكر جمع من كبار المشايخ ومن بينهم « راهونكا » Rahonka خال كرازى وفى الغد وصل رسل « كباريجا » ومعهم بقرتان جميلتا المنظر وشىء من الملح وجانب من الموز هدية لسير صمويل .

وفى ٧ أبريل سر سروراً كبيرا إذ قيد فى هذا التاريخ عقودا يتعهد فيها كافة رجال سليمان وادريس بخدمة الحكومة لمدة سنة وعلى ذلك صار فى استطاعته بعد الآن ان يؤسس خلفه محطة فى فويرا لتحرس مراكبه فى مدة سفره الى مازندى عاصمة بلد أونيورو .

وفي ١١ أبريل بينما كانت الحملة متأهبة للسفر حضر سليمان واخبر سير صمويل بيكر بأن لديه اشغالا هامة تعوقه عن السفر فى هذا اليوم برفقته . فأذن له سير صمويل بالتخلف وأمره فى الوقت نفسه بأن يلحقه فى أقرب وقت ممكن إذ أنه يريد ان يقدمه الى « كباريجا » بصفة وكيل عن الحكومة .

وسافرت الحملة من فويرا فى الساعة الثامنة والنصف ووصلت بعد مسيرة ٣٤ كيلومترا الى « كيزونا » Kisouna وهى أول محطة وكان المطر ينهمر عليها اثناء مسيرها ، والضياع المديدة التى تتألف منها هذه البلدة كانت منبثة بين باقات الموز كأوكار الطيور .

ولم يحضر أحد من الأهالى فى الغد لتوريد ما يلزم من الزاد ومما زاد فى الطين بلة أن سير صمويل لم يجد حتى ولا شخصا واحدا من المائتى حمال الذين كانوا برفقته إذ كانوا قد تسربوا ليلا . فاضطر أن يوقف مسير الحملة وان يرجع البكباشى عبد القادر افندى الى فويرا ومعه ثلاثون جنديا ويكلفه أن يأمر سليمان بجمع ثلثمائة رجل .

وقد أنجز هذا الضابط اليقظ البارع مأموريته وعاد فى ظرف ٢٧ ساعة قطع فيها ثمانية وستين كيلومترا .

وفى ١٤ أبريل قدم « كوؤنجا » شيخ هذه الناحية وأخبر سير صمويل بيكر بأن الملك « كباريجا » مشتاق لرؤيته كثيرا .

وفى الساعة الحادية عشرة من يوم ١٥ أبريل قامت الحملة ووصلت فى الغد الى « كوكى » Koki لحضر رئيسها المدعو « كيتاكارا » Kittakara وزارها .
اختفى جميع حمالى الحملة وأحضر لها غيرهم فى ١٩ ابريل فأمكنها ان

تعاود مسيرها فى جوف بلاد مخصبة خصبا مدهشا ولكن خربتها الحروب الاهلية التى حدثت بعد وفاة الملك « كمرازى » وانتهت بقتل الملك الشرعى « كباميرو » واستواء « كباريجا » على العرش . وفى ٢٠ أبريل رأى سير صمويل بيكر من فوق مرتفع على بعد ٣٢ كيلومترا غربا مياه

البرت نيانزا وكان إذ ذاك على مسافة ٤٣ كيلومترا من « مازندى » المعسكر العام للملك « كباريجا » ومع ان الحمالين الذين أحضروا كانوا يتسوارون عن الاعين تدريجا بعد احضارهم فقد تمكنت الحملة من الوصول الى المحل الذى يممته فى ٢٥ أبريل .

وتشغل مازندى عاصمة « اونيورو » نجدا غير مستوى السطح يمتد منه البصر الى مسافات شاسعة وتحجب الأفق الغربى منه على بعد ٨٠ كيلومترا سلسلة جبال ممتدة على شاطىء البرت نيانزا وتغطى الاعشاب الطويلة كل مكان فى ذلك النجد .

وكانت الحملة على مسافة ١٢٥ كيلومترا من « فويرا » و ٥٣٥ من الاسماعيلية تقريباً . وأرسل « كباريجا » هدية الى سير صمويل بيكر مؤلفة من ٢٩ حملا من حبة يسميها الاهالى هناك « طلابون » وكمية وافرة من الموز والبطاطس وست عنزات .

وفى ٢٦ أبريل زار سير صمويل بيكر الملك الزيارة الرسمية فكانت الضباط والعساكر مرتدية ثياب التشريفة الكبري تتقدمهم الموسيقا .

وكان الملك « كباريجا » متسربلا حلة جميلة من قشور الشجر مخططة بخطوط سوداء وكان يلوح أنه فى العشرين من العمر تقريباً . وحادث سير صمويل بيكر عن أعمال شركات أبى السعود العظيمة وكان حديثه فى ذلك مطابقا لما قرره رجاله وأعرب له عن الفرح الذى أدركه بمناسبة قدومه والسرور الذى شمله عند ما علم ايقاف بعض رجال أبى السعود . فجاوبه سير صمويل على هذا الكلام وأبان له حسن مقاصد الخديو ثم قال للملك انه

متأسف كثيراً للانقلابات التى حدثت فى البلاد من وقت زيارته لها واستشف من خلال المستقبل خيرات كثيرة واياما سعيدة وأكد له أن ليس له أن يخشى أمرا مادام حاصلا على حماية مصر .

وكان كباريجا قد وطد العزم أن يرد الزيارة لسير صمويل بيكر في ٢٧ أبريل فاصطفت الجنود وهى متحلية بكساوى التشريفة على جانبى الطريق المتسعة التى كان قد اختطها مبتدئة من ديوان الملك ومتصلة بسرادقه الخصوصى ووقف رجال الموسيقا بالقرب من ذلك السرادق الذى شمرت جوانبه وفرش بالسجاد .

وبعد مضى بضع دقائق دوت اصوات الأبواق وقرعت الطبول ورنت الصفافير مؤذنة بوصول الملك الذى كان يتقدم بكيفية غاية فى الغرابة إذ كان يمشى بخطوات واسعة كأنه كان يريد أن يقلد خطوات الزرافة .

وهكذا كان يمشى كباريجا ومن خلفه كبار رؤساء بلده « كيتا كارا » Kittakara و « ماتونسيه » Matonsé و « كوؤنجا » وكثيرون غيرهم . ولما اقترب من الموسيقا وصدحت هذه بألحانها ذهل عند ذلك ودخل فى السرادق بشكل لا يليق بملك . وكانت هيئته تدل على شيء من الجبن والجرأة فى وقت واحد . وبعد تردد قليل كانت فى أثنائه أعصابه ترتجف قلقا جلس على المقعد الذى كان قد أعد له وجلس كبار رؤسائه على الجلود والسجاجيد وقدمت له القهوة والمشروبات فأبى أن يشرب شيئاً غير أنه أمر اثنين من الرؤساء أن يحتسيا شيئا منها أمامه . وبينما كانا يتجرعان كان هو يحدد فيهما نظره منتظراً ولا شك فعل السم فى أمعائهما .

ولكي يغير سير صمويل بيكر مجرى الحديث استحضر علبة كبيرة من المعدن مملئة بصنوف من الهدايا ومن ضمنها ساعة وقال للملك ان هذه الساعة كانت برسم والده « كرازى » . فقال له عندئذ « كباريجا » انه يعلم أنه كان الصديق الأمين لوالده وأنه يقبل بطيبة خاطر كل هدية كانت باسم أبيه . واستأذن حينئذ « كباريجا » وانصرف عائداً من الطريق الذى أتى منه .

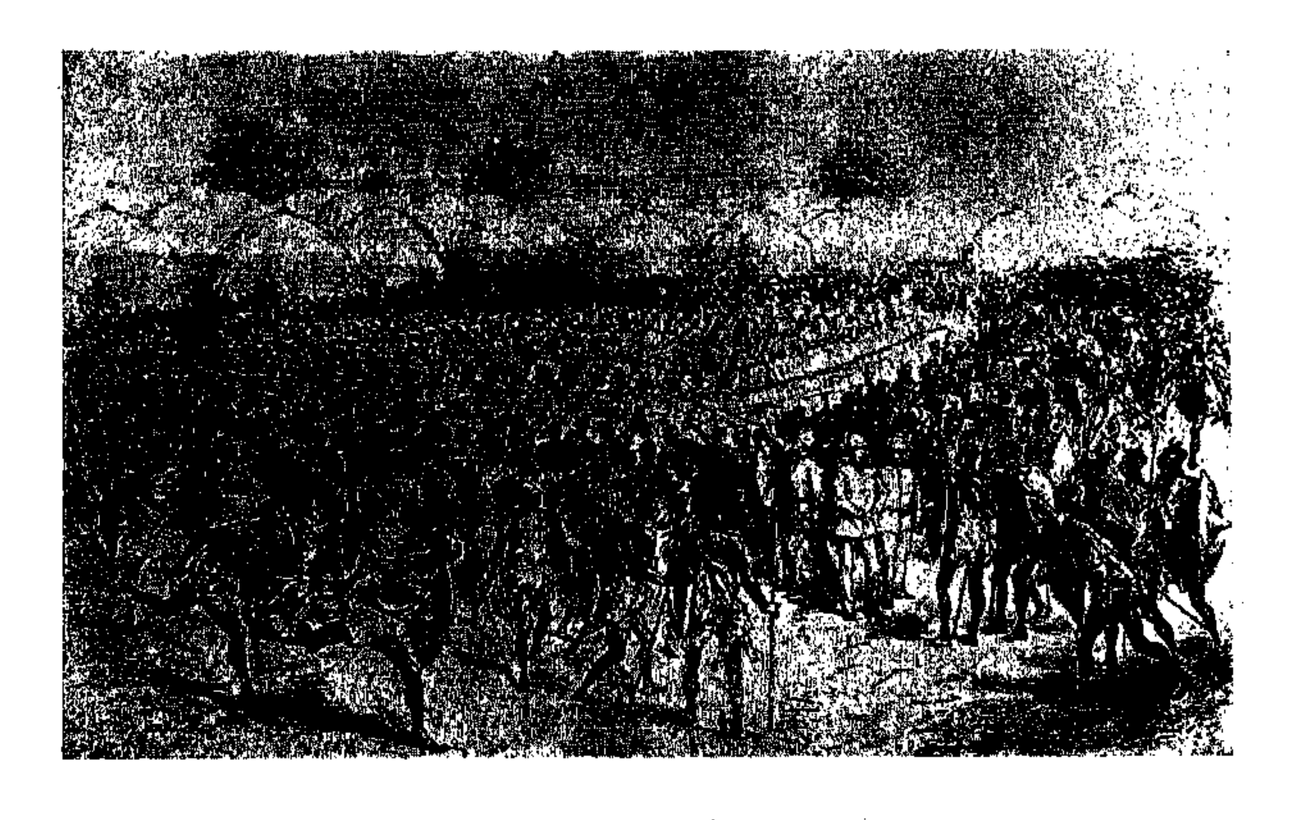
وفى ٢٩ أبريل شرع سير صمويل بيكر فى تشييد دار للحكومة وديوان عام وكان لملك اوغنده Ouganda المسمى « متيسا » Mtésé سفراء فى كل البلاد المحيطة بأراضيه . فزار مفوض هذا الملك سير صمويل بيكر وأمده بارشادات قيمة ومفيدة .

وفى ٣٠ أبريل أرسل كباريجا الى سير صمويل بيكر هدية مؤلفة من ١٢ ناب فيل و ٤١ حملا من حبوب « طلابون » و ١٢ وعاء من شراب الموز و ٣٤ بقرة .

استيلاء الحملة على أونيورو

وفى ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ وضع سير صمويل بيكر يده على مقاطعة « أونيورو » باسم خديو مصر بالطرق والاحتفالات المعتادة وبحضور كباريجا ونحو الف من الأهالى . وحالما انتهت الحفلة أرسل الملك ١٢ عنزة هدية للدلالة على رضاه وشكره .

وفى ٢٣ مايو سافرت شرذمة أرسلها سير صمويل بيكر الى فاتيكو وتتألف هذه الشرذمة من ١٢ جنديا من العساكر النظامية وجاويش



مربع من الجنود المصرية والسودانية أمام مظاهرة عدائية من الأونيوريين

و ٢٥ جنديا من العساكر غير النظامية يقودهم الترجمان محمد و ٣٠٠ من الأهالى لحمل متاع الصاغقول اغاسى عبد الله افندى الدنساوى وقد خفض سفر تلك الشرذمة قوات سير صمويل بيكر تخفيضا هائلا فلم يبق لديه إلا مائة عسكرى نظامى و ٤ بحارة و ٤ من الباريين مسلحين .

ومع ذلك لم يكن ما أظهره الملك عند ضم بلده الى الحكومة المصرية من الرضا والارتياح إلا تمويها . فقد قامت عدة مظاهرات عدائية من الأهالى إلا ان يقظة سير صمويل بيكر ومهارته أحبطت تلك الظاهرات .

وقد وطد سير صمويل بيكر العزم على اقامة حصن دائر تحميه ستارة من التراب وخندق عمقه متران حتى لا يؤخذ الجند على غرة ، الأمر الذى لا يبعد حدوثه نظراً لما هو معلوم من ميل الاهالى للخيانة . وأخذ رجاله فى العمل بنشاطهم المعهود فهلعت قلوب الأهالى خوفا من ذلك ولكنه جعلهم يركنون الى الوثوق بأنه لا يريد بهذا العمل إلا تغطية مخازن بارود الحملة وبذلك تكون مدينة مازندى Masindi فى مأمن من الحريق . وقد ابتدأ العمل فى الحصن فى ٢ يونيه وانتهى فى ٥ منه وفى ظرف أربعة ايام صار موضع المحطة أمنع من عقاب الجو .

وفى ٤ يونيه جاء رسل من قبل « متيسا » ملك أوغنده ومعهم رسالة مكتوبة باللغة العربية فأتحفهم سير صمويل بيكر بشىء كثير من الهدايا لهم ولملكهم . وأعطاهم مكتوبا للملك أوضح له فيه الغرض من مجىء الحملة . وفى ٥ يونيه رجعوا الى بلادهم مشروحى الصدر مغتبطين بزيارتهم .

وفى ٧ يونيه لم يكن لدى الجند شيء من الزاد وانقطع ورود المئونة رغما عن تكرار الطلب وكثرة الوعود . وفى آخر النهار ورد لهم ست جرات من شراب الموز وورد ايضا جانب من الغلال . واتضح ان الشراب كان ممزوجا بالسم وكل من شرب منه وقع مريضا ولكن لحسن الطالع أدركوا بالعلاج فى الحال وأبل الجميع من المرض .

وفى تلك العشية ساد سكون عميق فى مازندى خلافا للعادة فكان أشبه شيء بالهدوء الذى يسبق العاصفة . واستشف سير صمويل بيكر سوء القصد من خلال الحوادث فأخذ الحذر وضاعف الحرس وأمر باليقظة واتخاذ الحيطة . ولقد أصاب فيما رآه عين الحقيقة إذ ما كاد الفجر يلوح حتى هاجم الأهالى الحصن هجوما عاما فردوا على أعقابهم بخسائر فادحة . ومن باب مقابلة الشر بالشر ارسل سير صمويل بيكر الملازم فرج افندى السواحلى ومعه ١٥ جنديا وكلفه بحرق المدينة وفعلا أحرقها وفى ظرف ساعة من الزمان أضحت عاصمة أونيورو أثرا بعد عين .

اما كباريجا فانه من بادىء الأمر تعلق بأذيال الفرار واختفى وفى غد اليوم التالى بعث برسل ليقرروا أن ماوقع لم يحدث إلا لسبب سوء التفاهم فزعموا أن مسئولية ذلك الحادث تقع على أحد الرؤساء المدعو « ماتونسيه » وقالوا ان هذا سيعاقب وان الملك يأسف أشد الأسف على ما حصل . ومع ان سير صمويل لم يخدعه هذا القول إلا انه تظاهر بالتصديق حسما لاستفحال الشر .

وفى ١٠ يونيه أتاه رئيس ومعه عدد من الأهالى من قبل « كباريجا » وقدموا له على سبيل الهدية بقرتين لونهما أبيض ومنظرهما جميل وأكدوا



موقعة مازندى عاصمة أونيورو وقد اشتبكت فيها جنود الحملة مع الأونيوريين
فى ٨ يونيه سنة ١٨٧١

له صدق المودة فكان ما قالوه ينطبق على ما قالته الرسل الذين سبقوهم ثم قالوا له مؤكدين انه سيرد له قريباً كمية من المئونة و ٢٥ ناب فيل من الأنياب الفاخرة .

ولما كان سير صموبل بيكر يجنح كثيرا للسلم امتثل للقضاء وقبلت نفسه بأن يرسل للملك صندوق الموسيقا الكبير الذى كان يطمح دواما للحصول عليه .

وفى الغد أى ١١ يونيه أرسل ذلك الصندوق مع مندوبين وأصحبهما بشيخ يكون معهما بصفة دليل الى الملك الذى كان قد انسحب الى مدينة تبعد مسيرة نصف يوم .

ودخل الليل ولم يرجع المندوبان ولم يأت عنهما خبر فانشغل بال سير صموبل بيكر وساورته الأكدار .

وكان قد أقام معسكراً خارج الحصن فأمر باخلائه ووضع كل من كان به فى الداخل . وهذا احتياط يدل على الحكمة وبعد النظر ، ففى تلك الليلة أحرق الأهالى المعسكر لأنهم كانوا يأملون من وراء ذلك ان تخرج العساكر لتطفىء الحريق وتقع فى كمين غير أنه لم يخرج أحد وحبط مسعاهم .

وفى ١٣ يونيه فى نحو الساعة العاشرة صباحا انقض الوطنيون بغتة على ماشية الحملة التى كانت ترعى على مسافة ستين مترا من الحصن ورموا من بداخل الحصن بنبال مسمومة ودوت القذائف فوق رؤوسهم فكان القتال عاما وردوا بعد خسائر جسيمة .

لم يكن هنالك أى شك فى خداع « كباريجا » ثم ان سير صمويل بيكر أيقن أنه مع القوة القليلة التى فى حوزته ومع نقص المئونة لا يمكنه الاقامة فى البلد ليوطد فى ربوعها دعائم الأمن ولا أن ينشىء محطة دائمة فيترك فيها قسما من جنوده . وعلى هذا عقد النية على الرجوع وكان إذ ذاك يبعد عن المركز الذى كان قد أسسه فى « فويرا » مسافة سبعة أيام وكان لديه من المئونة ما يكفيه لقطع هذه المسافة . فجمع جنوده وبين لهم الحالة بجلاء ووزع عليهم المتاع الذى يتحتم نقله وقرر حرق ما يتبقى بعد ذلك .

ولم يخف سير صمويل بيكر عن رجاله أنه سوف يهاجمهم أعداء كامنون لهم فى الطريق وأن الفوز يتعلق بطاعتهم ورباطة جأشهم فقط . وأعطاهم تعليمات عن المسافة التى تلزم ان تكون بين الجندى والآخر وماهية المناورات التى يجب أن تعمل عند حدوث هجوم على الجناحين فى آن واحد .

وبعد أن أصغى الجنود والضباط اصغاء تاما للتعليمات التى وجهها اليهم قال الجميع بصوت واحد انهم مستعدون أن يتبعوه أيان يذهب وأيان يقودهم وأن يطيعوه طاعة عمياء .

وبقى على سير صمويل بيكر أن يقوم بتضحية شديدة مؤلمة . فقد كوم الأمتعة الأخرى فى ديوانه ووضع فوقها سرادقه الكبير وصب فوق كل هذا أثير حامض الكبريت والكحول وخلاصة الترابنتينة وكل محتويات صندوق العقاقير ولم يحتفظ منه إلا بلف مشمع وبعض أربطة وربطة كبيرة من النسالة ووضع فى آخر الأمر فوق ذلك كله نحو الستين صاروخا .

تراجع الحملة عن أونيورو
تحت ضغط الأهالى

وفى ١٤ يونيه فى الساعة التاسعة والنصف سارت المقدمة صفوفا متتالية فى الدرب الرملى ثم وقفت عند نهاية محطة مازندي وكان يسود صفوفها سكون عميق اتباعا للأمر .

والتفت سير صمويل بيكر الى المحطة التى أنشأها بشغف عظيم ليشهد زوالها وهى تحترق إذ وضعت مؤخرة الحملة النار على الكومة فتصاعد اللهيب فى الهواء ثم اعطى أمراً بالسير . وارتفع الدخان فكان كالسحب المتراكمة البيضاء فوق الديوان ومسكن سير صمويل بيكر الخصوصى . واشتعلت النيران فى منزل الملازم بيكر واتصلت على التوالى بباقى المساكن . ولما تمت عملية التخريب والابادة سارت المؤخرة والتحقت بالجيش . ثم ما لبث الجيش أن دخل فى الحشائش العالية التى كانت تهبط تحت هطل الامطار . وهكذا ظلت الحملة سائرة نحو الكيلومترين بدون أن تسمع همسا يشتم منه رائحة العداء . وبعد ذلك قامت خلفها ضجات وصيحات الأهالى الذين هرعوا الى المحطة عندما رأوها تحترق . وكان يكثر وقوف الحملة بسبب تشتت المواشى وتراجعها فى سيرها حتى انها بعد مسيرة سبع ساعات ما كانت قطعت إلا مسافة ١٦ كيلومترا .

ولم يكن عرض الدرب الذى تسير فيه الحملة بين الحشائش يزيد على قدم واحدة وكان يشبه خطا رسمته أرجل الغنم . وبينما كان الجيش سائراً فى طريقه اذا بالمقدمة تصوب على حين فجأة نيرانا حامية والبوق ينفخ فيه

فى الوقت نفسه إيذانا بالوقوف عن المسير وأخذت الرماح تتطاير خلال الدرب غير أنه بعد بضع طلقات من افواه بنادق السنيدر أخلى الطريق وشق الجيش له ممراً بين الاعشاب ثم تسلق سفح التل . وهناك لم تكن حشائش . ووقف الجند فى ذلك المكان بين أشجار الموز وبعد أن رتب الحرس قطعت الرجال اشجاراً ونصبوها حاجزاً حول المعسكر .

ولم ينقطع المطر طول النهار وكانت فرائص جميع الرجال ترتعد من البرد ولم يكن لدى الجيش مما يصلح للتدثر به إلا بعض المضارب التى لا تخترقها المياه وكانت فى حالة سيئة .

وكان لا يزال يوجد لدى الحملة حشيات (مراتب) فقضوا تلك الليلة براحة لا بأس بها . غير ان سير صمويل بيكر كان يرى أن هذه هى آخر ليلة تتمتع فيها الحملة بهذه الحشايا إذ ان الاحمال الباهظة التى كانت تنوء ظهور الجنود تحت عبئها كانت تستدعى اتلاف البعض من المتاع وكان يسود المعسكر سكوت أشبه بسكوت أهل القبور . ونام جميع رجال الحملة ولم يبق منها أحد متيقظا اللهم إلا الحراس .

وقد أحرق سير صمويل بيكر قبل ان يسافر عدداً كبيراً من الاشياء التى تعوق السفر ومن ضمنها عضادة منظار الرصد « تلسكوب » المصنوعة من خشب البلوط . وبعد مسير ساعة ونصف وصل الجيش الى منحدر فى نهايته ارض فسيحة بها مستنقعات يقطعها من الوسط مجرى ماء . وما كادت تصل المقدمة الى مائة متر والجند من خلفها صفوفا متراصة إلا وقامت ضجة هائلة حتى كأن الجحيم لفظ كل من به من مردة

وشياطين . وارتفع الصياح دفعة واحدة وضجت الطبول وقصفت أصوات الأبواق والصفافير مع جلبة وضوضاء شديدة بهت من هولها الجند ووقفوا لحظة وكأن على رؤوسهم الطير . وكان يستشف من خلال تماوج الحشائش وحفيفها الشديد وجود كمين واسع النطاق .

وفى الحال ألقت الجند الاحمال وخروا ركعا فكان وجه الواحد منهم متجها يمينا ووجه الآخر يساراً وذلك عند ما بدأت المزاريق تخترق الدرب . وإن هو إلا أن نفخ فى البوق حتى اشتعلت نار الحرب .

ولا يمكن القول كم من الزمن استمرت نار الحرب مستعرة غير أنه من المحقق ان الجنود استنفدت مقدارا كبيرا من الذخيرة قبل أن تضع الحرب اوزارها .

وفى نهاية الأمر أخذت اصوات الطبول تبتعد . وعندئذ نفخ فى الابواق إيذانا بالمسير . وقد وقع ضغط شديد على المؤخرة لأن الأهالى انقضوا عليها فى الدرب نفسه غير ان بنادق السنيدر اقتصت منهم قصاصا عاجلا ومجيداً .

وكان سير صمويل بيكر مقتنعا بضرورة تخفيف احمال الرجال إذ كان من الصعب حمل النقالات لأن أرجلها كانت تشتبك بالحشائش . ففاتح رجاله بهذا الصدد فكان جوابهم بالاجماع انهم لا يهابون الوطنيين إذا كانت احمالهم اقل ثقلا .

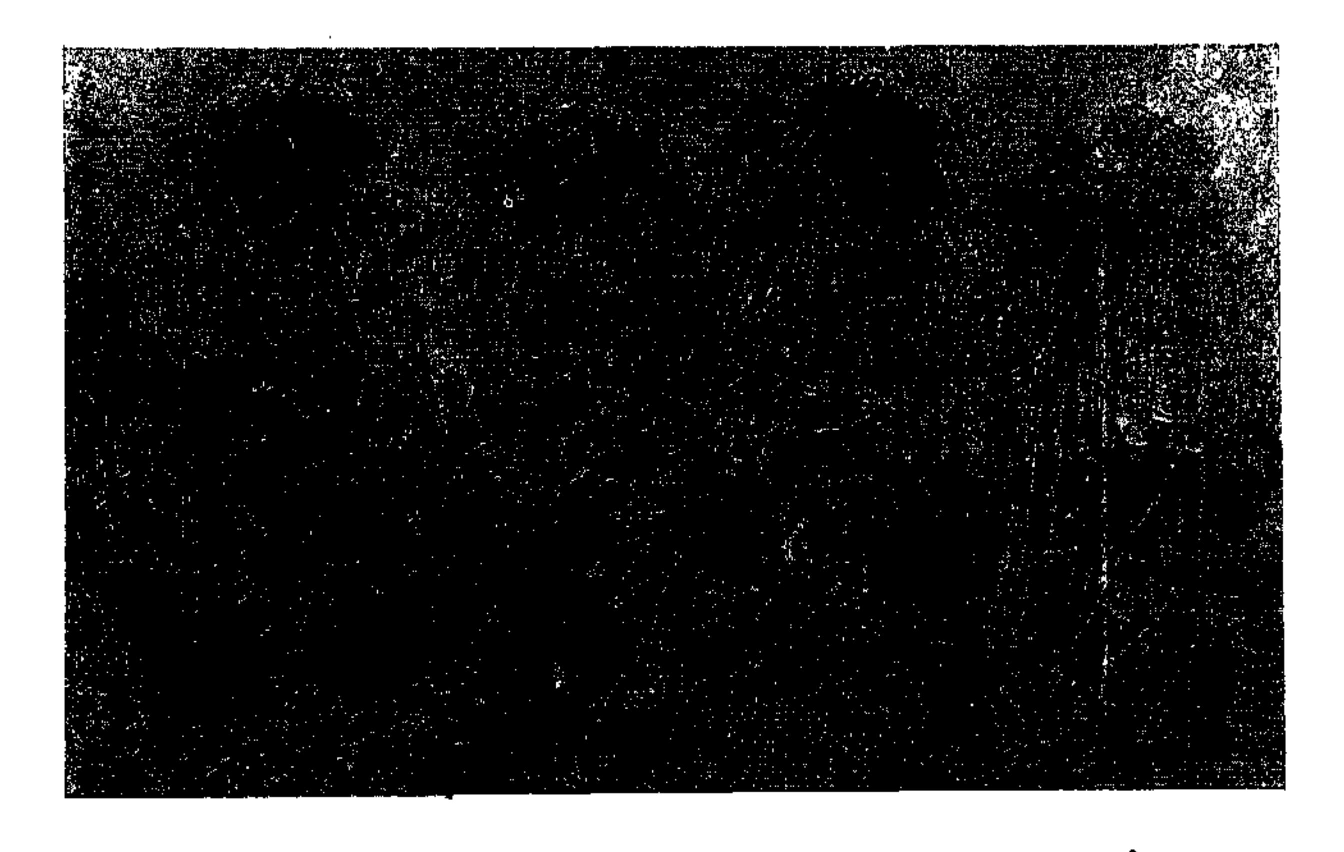
وبناء على ذلك أمر بجمع الاحطاب وأضرمها وأحرق فيها جميع الأمتعة

التى يتعسر تقلها . وبعد أن نفذ هـذا الأمر أمر فنفـخ فى البوق ايذانا بالسير وأخذت الحملة سبيلها وكانت السماء رائقـــة والشمس ترسل اشعتها فتجفف ثياب جنودها المبتلة .

ودوى فجـــأة صوت اطلاق البنادق فى المقـدمة وهوجمت المؤخـرة فى الوقت نفسه فصوب الجنـد الى الاعداء طلقات متواترة ومحكمة فلم يسع هؤلاء إلا اخـــلاء الطريـق . ولـكن لما رأى سير صمويل بيكر ان عساكره متهيجة كثيرا يدب فيها روح الحماس أمر أن ينفـخ فى البوق ايذانا بابطال اطلاق النيران وبالسير الى الأمام .

وصلت الحمـــلة في نهاية الامر الى موضـــع جعـــل السير صمويل بيكر يفترض أنه محتـــل بقوة كبيرة من الاعـــداء إذ كانت الحمـــلة تسير بموازاة صف من التـــلال الصخرية واقعة على يمينهـــا وتتجـــه الى مخاضة لا يمكنها الوصول اليهـــا إلا اذا تخطت قطعـــا هائـــلة من الصوان مشرفة على تلك المخاضـة من جميـــع نواحيها . وارتفـاع كل قطعـــة من هـذه القطع كان على أقـل تقـــدير من ٦ الى ٨ اقـــدام وارتفـاع البعض منها يزيد على ذلك وكانت تمتـــد تحت اقدامهـــا وفى كل صوب حشائش عاليـة وباقات من الأشجـار . وقد أوصى سير صمويل بيـكر الجنود بألا يطلقوا النيران إلا اذا رأوا العدو وان يحكموا اطلاقها ويسددوا مراميها اليه .

وابتـــدأ الهجوم عند ما وصلت الحمـلة الى المنحنى الذى في تلك الجهـة فأصيب البكباشى عبد القـادر افندى بحربتين احداهما أصابته فى ساعده والاخرى انزلقت على جرموقه « توزلـكه » المصنوع من جـلد سميك . واخذت بنادق



واقعة الأونيوريين مع جنود الحملة عند انسحابها من مازندى فى يوم ١٦ يونيه سنة ١٨٧٢ م .

السنيدر تفعـــل فعلها إلا أن الحملة بعد أن أطلقت الطلقات الأولى أسرعت الخطى لكى تخرج من هـذه الوهـدة . وكانت المراحل التى قطعتها قصيرة إلا أن سير صمويل بيكر رأى ضرورة الوصول الى محل صالح للنزول فيه فى وقت يترك مجالا لاقامة حاجز من فروع الاشجار والموسج تتحصن فيه الجنود ليلا .

وانقضى الليـــل فى هـدوء وسكينة وفى ١٦ يونيه رحلت الجنـــود فى الساعـــة السادسة والنصف بدون ضجة ولا ضوضاء . وحين وصولها عنـد جدول يجرى فى منخفض أرضه موحلة وقعت فى كمين هائل . ذلك أن بعض الأعداء خرج من مخبئه وانقض على الصف الأول من المقدمة وفى الحال وقع كثير منهم يتخبطون فى دمائهـــم إذ أصيبوا بطلقات من أفـواه بنادق السنيدر غير أن أحـدهم أنفذ رمحـــه فى صدر جندى لم ينطلق مقذوف بندقيته . وكان الجنـــود قد أسرفوا فى اطلاق النيران اثناء السير كما أسرفوا فى اطلاقها فى السير السابق فصار من اللازم الضرورى وضع حد لذلك .

فجمع سير صمويل بيكر جنوده وفتش اكياس الخرطوش ثم نبه عليهم ألا يطلقوا طلقا واحـدا بدون أمر اللهم إلا اذا حصل رمي بمزراق فجائى وفى هـذه الحالة تصوب بعض طلقات نحـو المكان الذى أتى منـه المزراق تصويبا محكما . وانه من غير المصرح به اطلاق النار عفـوا بأى حجة كانت . وبعـد ان وجه الى عساكره هذا التأنيب صرفهم فأخذوا يشتغلون باقامة حاجز لحماية المسكر .

وفى ١٧ يونيـه عنـد الساعة السادسة والربـع صباحا عاودت الحملة المسير

بقصد الوصول الى « كوكى Koki » وعرف سير صمويل بيكر عدة قرى تجاوزتها بدون أن تقف فيها ووصلت الى طريق معبد يسع سير عربة ذات عجلتين . وكانت الظواهر كلها تدل دلالة واضحة على أن هذا الطريق أعد نفا لجذب الحملة ووقوعها فى كمين هائل . وما كادت التجريدة تسلك خطوات فى هذا الطريق حتى هوجمت . وإن هو إلا أن صوب الجند على الاعداء ناراً حامية حتى ولوا وتشتتوا وهم يعوون عواء الذئاب ويصفرون .

ورأى سير صمويل بيكر فى ذلك اليوم ان حسابه لا يتفق والمسافات ودهش لذلك دهشا عظيما . إذ كان يجب أن يكون قد بلغ « كوكى » ومع ذلك فانه كان ما زال أمامه احراش كبيرة وحشائش ليس لها آخر . وقد كان واثقا أنه تجاوز « كوكى » وهى قرية تكتنفها المزارع وانه لم يخطئها إلا بسبب الطريق التى مهدت بقصد تضليله .

وفى الحال تطايرت الحراب فوق رؤوس الجنود فجاوبتها بنادق السنيدر بسرعة البرق وارتفع صوت بوق مقدمة الحملة منـاديا بالوقوف . وفى هذه الدفعة جرح الملازم محمد مصطفى افندى .

وفى ظرف ربع ساعة انتشر الضوء ودخلت الحملة في واد واسع تكتنفه الغابات يبلغ سطحه ١/٢ ٩ من الافدنة وكان فى قلب ذلك الوادى بئر فيها ماء عذب وعمقها يتراوح بين أربعة وخمسة أمتار واستدارتها واسعة ويمكن الانسان أن ينزل فيها بواسطة مدرجات محفورة فى جدارها الرملى . ووقفت الجنود فى هذا المكان . وكانت قد سلكت سلوكا محمودا واثمرت توصيات سير صمويل بيكر الثمرة التى كان ينتظرها فمع مواصلة اطلاق النار لم يستنفدوا إلا

قليلا جداً من الذخيرة .

وفى ١٨ يونيه عند بزوغ الشمس سارت الحملة . ومن العبث ذكر جميع دقائق سلسلة المكامن والمخابىء التى صادفتها . ففى كل يوم كان يحصل هجوم وكانت كل الهجمات ترد بهمة لاتعرف الكلال . فطول يوم ١٨ هذا قاتل الجند قتالا شديداً . وأصيب فى ذلك اليوم أربعة جنود بجراح من الحراب وكانت مسألة الجرحى مسألة محيرة . وكان الجندى اذا خر قتيلا فمها كان يبلغ كدر اخوانه من أجله فانهم كانوا لا يعودون للاهتمام به . ولكن ما العمل فى الجرحى ومن الصعب أن يتبعوا الحملة بدون حمالين ؟

وكان يستحيل الوقوف فى تلك الاقطار الشاسعة المغطاة بالأعشاب العالية والأشجار غير ان سير صمويل بيكر شاهد امامه تماما تلا تكاله أجمة من أشجار الموز فعاون عقيلته فى الصعود اليه . وبعد قليل سارت الحملة فى أجمة كثيفة حيث الارض مجردة من الحشائش كما هو الحال دواما فى الاراضى المزروعة موزا .

ثم أمرت الحملة بالوقوف فقوبل هذا الامر بالارتياح التام وبالاخص من النساء اللواتى كان قد انهكهن احمالهن الثقيلة . ووضع سير صمويل بيكر كثيراً من الحراس مختفين عن الاعين اختفاء تاما ليراقبوا العدو الذى كان ولا بد يتتبع خطواتهم ابتغاء الاستيلاء على متاع جريح كان قد تخلف .

وساد المعسكر سكوت عميق يشبه سكوت أهل القبور حتى ما كان يسمع

لمن به همس ولا ركز .

وكان يوم ١٩ يونيــــه من اشق الايام على الحمـــلة فاجتازت عدة اخوار ووديان واحراش اشجارها مشتبكة يتعسر السير فيها . وفى تلك الارض هوجمت اكثر من مرة .

وبعـــد عشر دقائق وصلت الحملة الى مزرعة بطاطة وخرجت بغتة من الظلام الذى يسود الادغال والآجام الى الضوء الزاهر الذى يتلألأ فى الاراضى المكشوفة وهذا من شأنه أن يبعث دواما فى النفوس شيئا من الغبطة والهناء .

ووقف سير صمويل بيكر فى وسط هـذه المزرعة لينتظر مؤخرة الجيش . وصار الجيش الآن فوق ارض خالية من الحشائش والاحراش وبهـــا اكواخ تأويه وحـــقول واسعة يمكنه ان يأخذ منها القـــدار الذى يريده من البطاطة .

ولما وصلت المؤخرة جمع سير صمويل بيكر كل رجاله وأثنى على الضباط والعساكر لاطاعتهم أوامره وقدم لهم التهانى على وصولهم الى هـذا المكان بعد سفر طويل رغمـــا عن كثرة الاعداء ومع خسارة طفيفة جـــدا . وأحاطهم بأن المسافة الباقية بينهم وبين « فويرا » هى فقط ٣٣ كيـــلومترا وانه يعرف الطريق الموصل اليها . ثم قال ان « ريونجا » سيصل اليه عما قريب خبر وصولهم . وانه سيحصن المكان الذى هم نازلون به الآن وانهم سيظلون به بضعة ايام ليتسنى فى غضونها للجرحى استرداد قوتهم . وانه يلزم ان يشتغل كل انسان بصنع محفوظات من البطاطة . فقبل ان ينفرط عقد صفوف الجيش صفق الجند تصفيقا طويلا وجاوب سير صمويل بيكر على ذلك التكريم بأن أوصاهم

بالاعتماد على الله وعمل الواجب دواما . ثم اقام الجند حولهم حاجزا متينا وأقاموا به عدة ايام متحصنين . ورجعت للجرحى قواهم وشفيت قدما اللادى بيكر تقريبا وتقرر سفر الحملة فى ٢٣ يونيه .

وصولهـــا الى فـــويرا
وإقامة محطة جديدة

رحلت الحمـــلة سحرا وبعد مسيرة ٢١ كيلومترا وصلت الى بئر فأناخت محملها بجانبها لتقضى الليل ولم يجرح من رجالها فى هذه المرحـــلة إلا شخص واحد . وفى يوم ٢٤ وصلت الحملة بعد مسيرة ١١ كيلومترا الى « فويرا » بدون أن تصادف فى طريقها عدوا . وفويرا هذه هى معسكر سليمان القـــديم . وكان سير صمويل بيكر معتمدا على أن يجد فيه له ولرجاله ما يأويهم إلا أنه رأى أن كل الاكواخ قد احترقت ولم يبق من المعسكر إلا رماده .

وبلغت خسائر سير صمويل من ٨ الى ٢٤ يونيـــه ٦ من القتلى و ١١ جريحا . وكانت جميـــع ضباطه وعساكره قد أدت واجباتها وأبدت كثيرا من الشجاعة ورباطة الجأش فى وسط حوادث مدلهمة تشيب لهولها الولدان . وليس لكائن أيا كان سوى العساكر السودانيين ان يقوم برحلة مداها ١٣٠ كيلومترا محملا أحمالا باهظة ويقاتل فوق ذلك كل يوم .

وقد شرع سير صمويل بيكر فى اقامة محطة جديدة واستخدم خشب حظيرة سليمان القديمة فى عمل حواجز . وبما ان الواح البلوط السميكة كان لا أثر لها فقد أمر بأن يغرس فى الأرض الى مسافة بعيدة أوتاد من

الخشب قوية بحيث ما يبقى منها ظاهرا فوق سطح الارض يكون ارتفاعه نحو ٧ أقدام وأن تسد فرجة ال ٢٥ سنتيمترا الفارقة بينها بالواح طويلة توضع بالعرض الواحد فوق الآخر وأن تشاد طابيتان فوق كل زاوية من زوايا المربع لحماية واجهة الحصن على وضع منحرف .

وتم اقامة هذه المنشئات فى ايام قلائــل . وهى تكفى لحماية الاكواخ المؤقتة فى المحطة الجديدة . وبعد أن وضع سير صمويل بيكر عساكره فيهــا شرع يفكر فيما يأتى به الغد فقال فى نفسه : من المحتم أن يكون الصاغقول اغاسى عبد الله افندى وقــع فى الشرك الذى نصبه له « كباريجا » وعلى ذلك صار لا يمكنه هو ان يعــول إلا على العدد القليل من الرجال الذى بقى الآن تحت يده . واذا كان عبد الله افندى قد ادركته المنية هو وجيشه فانه لا يخسر مــددا ثمينا فحسب بل يصبح فى الفاقة والعوز من جهة المئــونة إذ لا بد ان اسلحة الحملة تقع حتما فى يد العدو . وكان هذا الاحتمال الاخير يجول فى خاطره فيبعث فى نفسه هما وغما .

سفر سير صمويل بيكر الى فاتيكو
لاعداد حملة على أونيورو

وعلى ذلك عقد النية على ان يظل البكباشى عبد القادر افندي فى الحــاجز الحصين الذى أقامه على ضفة النهر فى نفس هذا المكان لمعــاضدة « ريونجا » وتنظيم القوات الاهلية . أما هو فيذهب مع اربعين رجــلا مسلحين ببنادق السنيدر الى « فاتيكو » ليستقى أخبار الحوادث التى وقعت فى مدة غيبته ويؤلف فيها جيشا من العساكر غير النظاميين ويرسله بلا توان

بقيادة « واد الملك » ليحتل « أونيورو » .

أما رونجا فكان ينوى أن يغير على « مرولى » Mrouli فى الحال بمعاونة « اللنجيين » Langguiens و « الأومريين » Oumiriens الذين يدخلون هذا البلد بدون أى مقاومة الآن وقد خلا « كباريجا » من معاونة صيادى العبيد .

واعطى رونجا سير صمويل بيكر ٥٠ رجلا من الأهالى ليحملوا متاع الحملة لغاية فاتيكو وأخذ هذا فى المسير فى ٢٧ يوليه . بعد ان ترك كل خرزه الى البكباشى عبد القادر افندى ليشترى به ما يمونه هو ورجاله .

وفى الغد بعد ان اجتازت الحملة النهر قابلت ٨ من اهالى « شولى » و « فاتيكو » كان الصاغقول اغاسى عبد الله افندى قد ارسلهم الى سير صمويل بيكر . وقد تبدل فرحه الذى شعر به عند مقابلة أولئك الرجال با كتئاب وهم حالما علم بالاخبار التى كانوا يحملونها . ذلك ان الخيانة التى أوشكت الحملة ان تكون وقودا لها قد نسج خيوطها أبو السعود . وبما انه كان يخالجه الأمل أن سيقضى قضاء مبرما على جميع افراد تلك الحملة فى قلب أونيورو فقد وطد هذا الشقى استبدادا منه سيطرته فى فاتيكو وضواحيها بعد سفر سير صمويل بيكر .

وكان الشيخ الكبير المدعو « روت جرما » الذى ظل مخلصا للحكومة أعطى جانبا من الغلال الى الصاغقول اغاسى عبد الله افندى رغما عن نهى أبى السعود له عن ذلك نهيا باتا فكان جزاؤه أن أغار عليه هذا الاخير بواسطة طائفة كبيرة من العبيد الارقاء ونهب مواشيه وكلف « واد الملك »

بأن يعمل فى البلد حرقا وتقتيلا .

وكان الصاغقول اغاسى عبد الله افندى قد أراد منع ذلك ولكن على غير طائل وقوبل بالامتهان والازدراء من أبى السعود بل زاد على ذلك ان أمر بأخذ الأهالى الذين التجئوا الى المعسكر عنوة .

وكتب الصاغقول اغاسى عبد الله افندى الى سير صمويل بيكر ينبئه بجلية الأمر غير أن الشخص الذى كلفه بحمل رسالته وكان من اهالى « فويرا » وصل فى نفس اليوم الذى كانت فيه الحرب سجالا إلى « مازندى » فتسلق شجرة وأخذ يرقب من فوقها ادوار القتال . وأدركه الجزع والخوف إذ سمع الرصاص يدوى فوق رأسه فنزل من مرصده وتعلق باذيال الهرب عائداً الى « فاتيكو » ومعه الرسالة التى كان يحملها وعلى ذلك لم تصل ليد سير صمويل بيكر مطلقا . وإذ رأى ان جنود سير صمويل محاطة من كل جانب ظنها قد ضاعت فراح يخبر عن هلاكها . وقد يدرك المرء مقدار الفرح والسرور الذى شمل أبا السعود عند ما بلغته هذه الاخبار .

وبعد بضعة ايام وصلت العساكر الذين كان قد ارسلهم سير صمويل بيكر الى « مازندى » وقد هاجم هذه الحملة أثناء سيرها فى الطريق فريق الحمالين الذين كانوا من الأهالى غير ان تعطش هؤلاء لسفك الدماء حملهم على ان يقدموا الموعد المضروب سالفا للهجوم فكان تعجلهم هذا سببا فى عدم هلاك تلك التجريدة برمتها ووصولها الي الجهة التى كانت متوجهة اليها بدون ان تخسر سوى احد عشر رجلا .

وكان سليمان بعد ان اخلى أبو السعود سبيله يتـــولى الامور فى محطة « فابـــو » من قبله أما « واد الملك » فكان يريد ان يظل مخلصا للحكومة ولذلك طلب من أبى السعود ١٠٠ رجل ومن الصاغقول اغاسى عبد الله افنـدى ٥٠ ليتمكن من المسير الى أونيورو وينضم الى ريونجا ويأخذ الجميع فى البحث عن سير صمويل بيكر وعن الذين بمعيته فرفض أبو السعود هذا الطلب رفضا باتا وعلى هذا ترك هؤلاء تحت رحمة القضاء والقدر .

وإذن كان يتعين على سير صمويل بيكر أن يعجـــل السفر اذا كان يرغب فى انقـــاذ الصاغقول اغاسى عبد الله افندى وانقاذ مؤن وذخائر الحملة وفى الحال اصدر أمره بالرحيل .

وفى ٢ أغسطس وصلت التجريدة الى سفح النجـــد المقامة عليه محطة فاتيكو . وكان عند اجتيازها القرى العـــديدة ينضم اليها الأهالى إذ كان قد وقر فى أنفسهم ان الصاغقول اغاسى عبد الله افندى سيهاجم من هؤلاء وكانوا فى شوق الى مشاهدة القتال . وإن هو إلا قليل حتى تجمع منهم نحو الالف وسار هذا الجمع خلف التجريدة .

وعند ما تسلقت الجنـــود المنحدر أمر سير صمويل بيكر بالنفخ فى الابواق إيذانا بالانضمام وفى الحال حدثت ضجة كبيرة فى المحطة وطفقت العساكر يعانق بعضها بعضا بينما كان سير صمويل بيكر يصافح الصاغقول اغاسى عبد الله افندى .

ولم يأت احد من قبل أبى السعود لتحية سير صمويل بيكر . وكان يجب عليه لاعتباره وكيـــلا عن الحكومة أن يقابله رافعا الاعـــلام .

وكانت هذه إهانة مقصودة .

وعقب ما وصل سير صمويل بيكر لبس كسوته واستعرض جنود الصاغقول اغاسي عبد الله افندى فوجدهم على غاية ما يرام من الصحة وقوى الجندية المعنوية .

وفى نفس اليوم الذى وصل فيه سير صمويل بيكر هاجم فريق من صيادى العبيد بقيادة اثنين من رؤسائها وهما « واد الملك » وعلى حسين مركز فاتيكو وذلك بتحريض أبى السعود فرد الجنود المغيرين وكبدوهم خسائر فادحة وجرح واد الملك وأخذ أسيرا . أما على حسين فقتل .

وعرض واد الملك على سير صمويل بيكر أن يصفح عنه وأنه يحلف له على المصحف بالطاعة والاخلاص ويقدم له فى الحال برهانا على اخلاصه بجمع جيش من العساكر غير النظاميين من رجاله . وكان هذا الرجل شجاعا فى طبيعته ولما بحالة البلاد اكثر من أى انسان . وكان سير صمويل بيكر يرغب دواما أن يضمه اليه فأراد أن ينتهز هذه الفرصة لتنفيذ ارادته والتمست الضباط شموله بالعفو .

واقتيد واد الملك الى جدول ماء رائق فاغتسل فيه من اخمصه الى قمة رأسه بالصابون واتشح بثياب نظيفة أعيرت له بهذه المناسبة ثم وضع يده المجروحة فى المصحف وهو مفتوح على آية مخصوصة وتلا وهو خاشع اليمين . ومن ذلك الحين لم يحدث منه ما يوجب أن يؤاخذه سير صمويل بيكر عليه . وبعد ذلك أمده ببعض وصايا وحاول أن يوطد فى نفسه فكرة أن الله عاقبه عقابا خاصا .

وفى ٥ أغسطس كتب سير صمويل بيكر كتابا الى أبى السعود أمره فيه بالمثول لديه عاجلا وهذا الكتاب حمله اليه حداد الحملة وهو من الأهالى وثمانية من مواطنيه . وقد عاد هؤلاء فى اليوم التالى وقالوا ان أبا السعود قابلهم بطلقات البنادق .

وفى ٧ أغسطس قدم أبو السعود ومعه أربعون رجلا ولم يشأ أن يدخل المعسكر إلا بعد أن حصل على إفادة خطية من سير صمويل بيكر يؤكد له فيها ألا يأخذه أسيرا . فأنكر كعادته شروره . وأقسم بأنه لم يعط أمراً بتصويب النار وانه اذا كانت رجاله قد اطلقت النار فما ذاك إلا لأنهم كانوا يخافون أن تهاجمهم الأهالى الذين كانوا بصحبته وأن النار فوق ذلك صوبت على الأهالى لا على جيش الحكومة .

ولكنه لم يكن قد أصيب أحد من الأهالى الذين كانوا متجمعين فوق الصخور والذين كان يبلغ عددهم نحو ١٠٠٠ بينما قد أصيب ٧ من رجال الحملة كما وقع على اكواخ المعسكر وابل من المقذوفات .

وعند ما أتم خطابته مؤكدا انه ضحية بريئة لويلات نزلت به بدون ذنب جناه وان كل العالم انقلب ضده دهش سير صمويل بيكر دهشا حقيقيا .

وأتى أبو السعود فى غد صباح اليوم التالى يستأذن سير صمويل بيكر فى السفر وأكد له مرة أخرى أنه مخلص له وأنه مذ الآن سيعمل بعزم باعتباره وكيلا له وأنه عند ما يرجع الى « فابو » Fabbo يضع أحسن رجاله فى خدمة الحكومة .

وكانت هذه آخر مرة وقع فيها نظر سير صمويل بيكر على أبى السعود . فمن هناك سافر أبو السعود الى الخرطوم . ومنها الى القاهرة ليشيع خبر قتل سير صمويل بيكر وعقيلته وهو ذلك الخبر الذى نقلته الصحف الانكليزية فى ابريل سنة ١٨٧٣ ويتظلم للخديو بوجه خاص من الطرق التى عامله بها سير صمويل بيكر .

وقدم عدد كبير من صيادى العبيد بعد سفر أبى السعود وقيدوا اسماءهم ليشتغلوا فى الجندية واستظلوا براية الحكومة .

وكان اختلاف الجنسين من عرب وسودانيين يذكى نار الخلاف فيما بينهما فاتخذ سير صمويل بيكر هذا الشقاق ذريعة لبسط سلطته على كليهما . فاختار من بينهما ٦٦ رجلا ووضعهم تحت إمرة على جن نار Ali-Genninar وهو شاب المعى كان قد ألحقه من « مازندى » فى خدمته وأرسلهم الى أونيورو ليحلوا فيها لدى « ريونجا » محل البكباشى عبد القادر أفندى وجيشه واستدعى هؤلاء الى فاتيكو .

وكان لا بد أن يكون الاسطول الذى سافر من الخرطوم فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧١ قد وصل الى غندوكورو فأرسل سير صمويل بيكر الى هذه القرية « واد الملك » ومعه ٧٥ جنديا من الجنود غير النظامية و ٢٥ جنديا نظاميا بقيادة ضابط برتبة اليوزباشى وكان هذا يحمل أمراً برسم رؤوف بك بان يرسل هذا الى سير صمويل بيكر ٢٠٠ جندى وماشية .

ولم يتم تشييد حصن فاتيكو الذى شرع فى بنائه فى ٢٨ أغسطس إلا فى ٢٥ ديسمبر بسبب يبوسة وصلابة الطبقة التى تحت سطح الارض يبوسة وصلابة



حصن فاتيكو ويرى العلم المصرى يخفق فوقه وأمامه بعض الجنود وقد خرجوا ليحيوا
سير صمويل بيكر عند وصوله يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٧٢ م

متناهية إذ كانت تبلغ فى صلابتها صلابة البتن Béton . ويرتكز هذا الحصن الذى يحميه خندق عرضه ثمانى أقدام وعمقه ثمانى أقدام كذلك على صخرة تشرف على البلد . وأمر سير صمويل بيكر بأن يشاد فوق هذا الاساس المتين مخزن للبارود ومخزن آخر لا تعمل فيها النيران . أما السقف فصنع من مادة الاسمنت الصلبة المركبة من خزف بيوت النمل بعد أن نقعت بالماء عدة أسابيع وخلطت بقش مفرى .

وانتهت اعمال سير صمويل بيكر ولم يبق لديه غير انتظار وصول المدد الذى كان قد طلبه من غندوكورو . وكانت الاهالى تقدم بدون تذمر ضريبة الغلال الخفيفة التى فرضت عليهم . وكثيراً ما كانوا يأتون بالمئات يرقصون ويغنون حاملين فوق رؤوسهم فى سلات كبيرة مقادير من حبهم المسمى طلابون فيفرغونها فى مخازن الحامية .

وقد جاء فى آخر نشرة من سير صمويل بيكر بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٢ هذه الكلمات وهى :

أتى آخر العام ونحن بحمد الله متمتعون بسلم تام فى هذا البلد . والحالة تبشر بمستقبل زاه زاهر .

سنة ١٨٧٣ م

تبادل المـــودة بين ملك أوغندة
وسير صمويل بيكر

وفى ٢٣ يناير سنة ١٨٧٣ بلغ حرس القلعة اقتراب جيش كبير آت عن طريق أونيورو . وبعد ذلك بقليل دوت طلقات نارية وأسفرت الحال عن قدوم سفراء من قبل « متيسا » ملك أوغندة مصحوبين بحرس من الأهالى وبجنديين من جنود رونجا وكان رجال متيسا مسلحين بالبنـــادق . وأدخل السفراء فى الحال الى الديوان الجديد وهو بناء دائرى قطره ٦ أمتار شيد تشييدا حسنا وطلى بدهان رمادى فاتح مخلوط برماد الخشب .

وكان السفير الاول ويدعى على يوسف من اهالى « السواحلية » وهو بلد واقـــع على شواطىء البحر الاحمر عند مخرجه الى المحيط الهنـــدى . وكان من بين ضباط سير صمويل بيكر عدة من رجال هذه القبيلة فمنهم ذلك الجرىء فرج افندى وكذلك سعيد افندى فكان لديه إذن تراجمة باريون .

وكان أولئك السفراء لابسين ثيابا فاخرة جدا من القطن صنع بمباى مهذبين كثيراً ويضارعون فى ذكائهم الاوربيين وكان يلوح انهم يعرفون معرفة تامة طريق الهنـــد ومختلف القبائل التى تقطن سفح خط الاستواء الافريقى الشرقى . فكانت إذن الطريق مفتوحة بين فاتيكو وزنزبار بفضل عواطف متيسا الودية .

وفى ١٣ فبراير اتخـذ سفراء « متيسا » سبيلهم ميممين وجوههم شطر أوغندة يصحبهم سليمان نيابة عن سير صمويل بيكر وذلك بعد ان قضوا فى فاتيكو بضعة ايام فى أتم صفاء وهناء .

وقدم فى نهـاية الأمر بعد انقضاء ٩٠ يوما المدد مع البكباشى الطبيب عبد الله افندى وكان قد سلك فى اثناء الطريق مسلكا شائنا إذ انه بدون سبب معقول قد أحرق قرية فى بلد « الموجيين » Moogis فحنق عليه الأهالى وهاجموه فخسر فى القتال ضابطا و ٢٨ جنديا وكساوى واسلحة وابقارا . ومع أنه كان لديه وتحت تصرفه ٢٨٠ جنديا فقد قاتل مرتدا بدون ان يحاول ان يأخذ أجسام موتاه أو يسترد ماشيته .

وقد صار الآن فى حوزة سير صمويل بيكر ٦٢٠ جنديا وبذلك تسنى له تقوية مختلف محطاته . وفى ٢٠ مارس كان قد تأهب للعودة الى غندوكورو وترك الى الصاغقول اغاسى عبد الله افندى قبل أن يسافر تعليمات خطية بشأن صيانة محطة فاتيكو وحرم أخذ ومشترى الرقيق تحريما باتا .

وصول سير صمويل بيكر الى غندوكورو

ووصل سير صمويل بيكر ومن معه الى غندوكورو سالمين فى أول أبريل سنة ١٨٧٣ بدون أن يصادفهم فى الطريق أى أمر يزعجهم . وكان هـذا اليوم هو اليوم الذى تنتهى فيه بالضبط مدة خدمة سير صمويل بيكر حسب الاتفاق المعقود بينه وبين الخديو . وقد قوبلوا عند قدومهم باطلاق المدافع . وشاهد سير صمويل بيكر أن رءوف بك وجيشه فى غـاية من الصحة والسلامة وأنه يوجد على صفحات ماء النهر باخرة جديدة فخمـة بمحركين مصنوعة

من الحديد حمولتها ١٠٨ اطنان صنعها ابناء بلدته الذين كانوا قد اجتهدوا أن يظهروا ما يستطيع أن يعمله البناؤون الانكليز . وقد سميت هذه الباخرة فيما بعد « الخديو » .

وقد فحص سير صمويل الباخرة المذكورة فوجدها مبنية بناء عجيبا إذ يتسنى لها نظراً لعدم وجود دواليب بجانبيها أن تنزلق مثل السمكة فى مجارى بحر الزراف الضيقة . نعم . ان المحطة كانت قذرة ومهملة للغاية إلا انه يجب إظهارا للحقيقة الاعتراف بأن رءوف بك كان قد وجه كل عنايته الى جنائن الجزر فكان يأخذ يوميا ما يلزم الجيش من الخضروات الجنية .

وكان قد أظهر هذا الضابط ايضا حزما وعزما إذ أخذ على عاتقه مسئولية عظمى ذلك أنه أمر باعدام جندى كان قد فر من الجيش رميا بالرصاص اثناء غيبة سير صمويل بيكر .

وكان المدد الذي ورد حديثا مؤلفا من العبيد المبيعة للحكومة دون سواها الذين ألحقوا بالجيش توا عقب مشتراهم . وكان اغلب هؤلاء العبيد من اهالى النيل الابيض وبالضرورة كانوا على الاستعداد للهرب عند ما تلوح لهم أول فرصة . وكان الكثير منهم قد تعلق بأذيال الفرار فيما سلف ومعهم سلاحهم وأمتعتهم وبنادق وقرابينات سرقوهـــا من منزل رءوف بك ولاذوا بجهة بلنيان .

وطلب رءوف بك الهاربين فكان الجواب الذى تلقاه القيام بمظاهرة عدائية وجهها الوطنيون أثناء الليل الى محطة غندوكورو . ومن باب مقابلة الشر بمثله أغار على بلنيان بحرب منظمة صوب فى غضونها الهاربون النار

على الجيش فقتل منه اثنان .

وأرسل سير صمويل بيكر فى الحال يستحضر اللورون الذى صار من أخلص المخلصين بين المشايخ للحكومة وأقر هذا بخطئه وألقى بالطبع الذنب على أبى السعود وقال انه هو الذى حرضه على القيام فى وجه الحكومة . ولكن لم يصغ سير صمويل بيكر الى هـذه الايضاحات إذ كان يشك فى أنها صادرة عن اخلاص وأمر اللورون أن يرجع بلا إبطاء الى البلنيان ويخبر الأهالى بأنهم اذا لم يسلموا الهاربين فأنه سيرد لهم الزيارة بالقمصان الحمراء التى عاد بها من فاتيكو . أى أنه يحاربهم ووعده فى الوقت نفسه بثلاث أبقار اذا نجح فى مأموريته .

وقد عاد اللورون بعد بضعة أيام ومعه الهاربون فحوكموا فى مجلس عسكرى واتضح ادانتهم وأعدموا بالرصاص امام الجنـــود . وفصل استعمال هذه الشدة مفعوله فتوطد النظام فى الحال بين صفوف الجيش . اما البلنيانيون فقد تراءى لهم ألا يعودوا الى الاقتراب من المعسكر ليلا بعد هذا التاريخ .

أما « واد الملك » الذى كان يرافق سير صمويل بيكر الى غندوكورو فقد رجع الى مركزه ومعه مدد وقطيع من الماشية . وفارق سير صمويل بيكر « شولى » و « چيمورو » Djimoro آسفا بعد ان زودهما ببعض هـدايا ذات فائدة .

وفى ١٠ أبريل شرع فى اقامة حصن جديد وحفر خنـــدق حوله وعمل جسر حول المخازن غير ان طبيعة الارض الرمليـــة فى هذه الجهة ستجعل صيانة هـــذا الحصن من الامور الصعبة فى فصل الامطـــار الشديدة .

وأوعز الى المستر « ماركوپولو » أن يحرر بمعاونة فؤاد افندى وهو

من الضباط المصريين قوائم بكل ما تبقى بالمخازن وأن يأخذ ايصالا بالموجودات .
واستغرق هذا العمل شهراً .

وبعد ان تم الانكليز حزم جميع قطع الباخرة رقم ٣ وآلاتها بعناية وضموها فى مخزن خصوصى وعهدوا بحراسته الى ضابط وأخذوا ايصالا بذلك .

سفر سير صموبل بيكر الى فاشودة

وسافر سير صموبل بيكر فى ٢٦ مايو بعد أن ودع عساكر حرسه الخاص الذين أبدى أكثرهم ألمه الشديد لهذا الفراق . وعند ما دار على واجهة الجيش أثناء الوداع الرسمى صاحت جنوده القدماء غير مبالين بواجب النظام : أطال الله عمرك وردك الى أسرتك وهى بأجمعها فى غاية من الصحة والسلامة .

وقطرت الباخرة الجديدة « الخديو » سير صموبل بيكر ورفاقه وسارت فى النهر بسرعة مع التيار . وفى ٣٠ يونيه وصلوا الى فاشوده فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر . وقدم يوسف حسن بك المحافظ ليقابلهم على ظهر سفينتهم وكان هذا الضابط قد عين حديثاً فى هذا المركز برتبة قائمقام وهو ضابط ذكى من أصل جركسى وقد أبدى انه مستعد استعداداً كبيراً لمعاونة سير صموبل بيكر وأكد له انه لا يمكن أن يترك مركباً محملا رقيقاً يمر أمام فاشوده بدون أن يناله عقاب الآن وهو قد أصبح نائباً عن الحكومة فيها .

سفره الى الخرطوم

وفى ٢١ يونيه ودع سير صموبل بيكر يوسف بك . وفى ٢٨ منه فى الساعة الحادية عشرة صباحاً وصل الى الشجرة الكبيرة القائمة على الفوهة الموصلة



محطة غندوكورو كما تركها سير صموئيل بيكر باشا يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٧٣ م
وبها معسكرها .



الباخرة « الخديوى » وحمولتها ١٠٨ أطنان كما وجدها سير صموئيل بيكر في غندوكورو في أول أبريل سنة ١٨٧٣ م .

للنيل الأبيض فوقف فى هذا المكان وأرسل الى اسماعيل أيوب باشا حكمدار الخرطوم الجديد أن يبعث تلغرافاً الى القاهرة بالقبض حالا على أبى السعود . وسلم هذا الخطاب الى الضابط فرج افندى وهو من أكثر ضباطه اخلاصاً وأمره أن يسلمه يداً بيد الى الحكمدار . واحتاط بأن ارسل هذا الخطاب قبل أن يشتم أحد من الخرطوم رائحة قدومه وبدون هذا الاحتياط كان ممكناً أن يرسل لهذا الطاغية أحد أصدقائه تلغرافاً ينبئه فيه بتقدمه من وقت ما اجتازت باخرته الرأس الواقع عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق فيسرع هذا ويضع نفسه فى مأمن .

وفى ٢٩ يونيه اجتاز سير صمويل بيكر ورفاقه الرأس البادى الذكر تقطرهم الباخرة « الخديو » . وهرعت أهالى الخرطوم إلى الشاطىء أو إلى الرصيف الجديد ليشاهدوا هذه الباخرة الجديدة التى تسير بدون دواليب وكانت الجنود صفوفاً وعند ما رست الباخرة بجانب الرصيف قابلهم اسماعيل باشا حسب التقاليد المتبعة فى مثل هذه الحالة .

وكان اسماعيل باشا قد قام باصلاحات واسعة النطاق فى الخرطوم . فبهمته تم تشييد دار الحكومة التى كان قد شرع فى بنائها ممتاز باشا . وكلاهما من أصل جركسى ويستويان فى اتقاد الذكاء وبعنايته تحولت اراض مقفرة الى حدائق غناء تطرب فى ربوعها الجماهير كل مساء الموسيقا العسكرية . وصار البدء فى انجاز مشروعات للرى بواسطة تركيب آلات بخارية على شاطىء النيل الشمالى لزراعة الأقطان .

سفره الى القاهرة

وودع سير صمويل بيكر اسماعيل أيوب باشا صديقه الحميم بعد أن

أقام بضعة أيام فى الخرطوم ورحـــل الى القاهرة على ظهر باخرة . وعنـد ما وصل الى بربر وجـــد حالتها قد تحسنت عما كانت عليه فى المـــدة السابقة إذ طفق العـــرب يعمرون سواقيهم على طـول ضفتى النهر الخصبتين وكان ذلك نتيجة اصلاحات حكيمة أدخلها الخديو تقضى بتقسيم السودان الى مديريات يحكم كل مديرية مدير مسئول غير تابع كما كان الحال سابقا الى حكمدار عام محل اقامته بعيد بمراحل كالخرطوم .

وكان مدير بربر وقتئذ هو حسن خليفة الشيخ العربى الكبير الذى ساعد بذكائه المفرط مستر هجنبوثام فى نقـــل اجزاء آلات البواخر من كروسكو الى بربر فى فيافى صحراء النـوبة المترامية الاطراف مسافة تبلغ على أقل تقدير ٦٥٠ كيلومترا . وقد كان فرح العرب عظيما بتعيين شخص من أبناء جلدتهم بوظيفة مدير .

مقابلته للخديو والانعام عليه وعلى ضباطه

ووصل سير صمويل بيكر الى القاهرة فى ٢٤ أغسطس وتشرف فى اليوم التالى بمقابلة الخديو وقدم له بيانات بخصوص الاراضى التى ضمهـــا الى مصر موضحا بها الظروف والاحوال التى صادفها . ومنحه الخديو مكافأة له على خدماته النيشان العثمانى من الدرجة الثانية . وقبل أن يسافر الى مأموريته كان قد منحه ايضا النيشان المجيدى من الدرجة الثانية . ومنح الملازم بيكر النيشان المجيدى من الدرجة الثالثة .

وكان قد قرر سمـوه أن يحاكم أبا السعود فى مجلس خصوصى مؤلف من شريف باشا ونوبار باشا واسماعيـل باشا وزير المالية . وطلب سير صمويل



البكباشي عبد القادر افندي قائد حرس سير صمويل بيكر الخصوصي

وهو غير عبد القادر حلمي باشا بعكس ما ذكره بعض المؤلفين لأن الأخير نال رتبة أميرالألاى فى سنة ١٨٦٦ م أى قبل حملة مديرية خط الاستواء بثلاث سنوات .

يبكر أن يحضر بشخصه المحاكمة بصفة مدع ضد أبى السعود غير أنه طلب اليه أن يعود الى بريطانيا ويترك المتهم بين يدى الحكومة لأن الخديو كان قد أبى أن يحاكمه فى المحاكم العادية .

وتفضل الجناب العالى فأذن بترقيـــة ضابطين من أكثر ضباط سير صمويل بيكر اخلاصا وهما البكباشى عبد القادر افندى[1] واليوزباشى محمد ضياء افندى فترقى الأول الى رتبة قائمقام والثانى الى رتبة صاغقول اغاسى ومنح ايضا مكافآت للعساكر الذين قاتلوا فى مازندى وامتازوا فى ذلك الانسحاب الشهير .

ومنح كل مهندس وعامل من المهندسين والعمال الانكليز مكافأة بقيمة راتب شهر ثم سافروا الى بلاد الانكليز .

وبعد ان أقام سير صمويل بيكر بالقاهرة مدة ٦ أسابيع سمح له سمو الخديو بالمقابلة وفى أثنائها استأذنه كما استأذن من الأمراء بالسفر وقد قال سير صمويل بيكر انه مدين لهم جميعا لما عاملوه به من البشاشة واللطف وحسن الالتفات وان هذا الدين يقوم بوفائه مسرورا .

وقد بلغت نفقة هذه الحملة التى كانت بقيادة سير صمويل بيكر ثمانمائة ألف جنيه .

---

(١) ـ قتل بعد ذلك فى احدى الوقائع التى دارت بين العرابيين والانكليز فى سنة ١٨٨٢م وهو بلا ريب غير عبد القادر حلمى باشا المشهور الذى كان حكمدارا عاما للسودان ثم ناظراً للحربية والبحرية فى عهد الخديو توفيق وتوفى فى ٨ يوليه سنة ١٩٠٨ م.

اذارة أميرالآلاي محمد رءوف بك(١)

لهـــذه المديرية

من سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٤ م

بعـــد سفر سير صموئيل بيـكر عـــين أمـيرالالاى رءوف بك مديرا لمديرية خط الاستواء لكونه أرقى الضباط الذين كانوا مع سير صموئيل . ولم يكن حكمدارا لهذه المديرية لأن مديرية خط الاستواء التى كانت مستقلة عن حكومة السودان فى عهـد سلفه قد ألحقت بهذه الحكومة فى عهده وصارت تابعة لحكمدارية السودان العامة لغاية قدوم غوردون .

والظاهر أن رءوف بك قام بأعباء المهمة التى ألقيت على عاتقه خير قيام كما سيتبين ذلك من مكاتبات غوردون الرسمية المنشورة بعد فى غير هذا المكان .

ويبدو أنه لم يحدث أى شىء له خطورة فى عهد هذا المدير .

---

(١) ـ هو فيما بعد محمد رءوف باشا محافظ زيلع ثم فاتح هرر وحاكمها العـام ثم حكمدار عمـوم السودان من ٢١ يناير سنة ١٨٨٠ الى ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ م وفى عهـده ظهر المهـدى واستفحل أمره . ولو استعمل الحزم والحكمة فى بدء ظهوره لمـا كان ما كان . وقد عاد رءوف باشا من السودان الى مصر ورأس وهو فيها المجلس العسكرى الذى حكم على عرابى باشا بالاعدام .



رءوف باشا

حكمدارية غوردون باشا

من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٦ م

سنة ١٨٧٤ م

مفاوضته فى توليه هذه الحكمدارية

فى عام ١٨٧٣م كان ينتهى أمد عقد خدمة سير صمويل بيكر . وكانت الحكومة المصرية قد أخذت بواسطة نوبار باشا تبحث عن خلف له قبل ذلك التاريخ . وكان غوردون يشغل فى تلك الفترة منصب عضو بريطانى فى قومسيون[١] نهر الدانوب . وقد قابل فى سبتمبر سنة ١٨٧٢م الوزير المصرى نوبار باشا فى السفارة البريطانية فى الآستانة وتعرف به . ثم سأله نوبار عما اذا كانت له معرفة بضابط من فرقة مهندسى الجيش البريطانى يقبل أن يخلف سير صمويل بيكر فوعده غوردون بالتفكير فى هذا الأمر وان يأتيه بالجواب فيما بعد .

وفى يوليه عام ١٨٧٣م كتب غوردون لنوبار أنه يقبل هو نفسه أن يشغل هذه الوظيفة اذا رضيت بذلك الحكومة البريطانية . وفى الحال عملت المساعى اللازمة للوصول الى ذلك الغرض وقبلت بريطانيا هذا التعيين . ووصل غوردون الى القاهرة فى شهر فبراير سنة ١٨٧٤ . فقابله الخديو

(١) ـ هذا القومسيون ألف من جراء تعدى روسيا على الملاحة فى فم نهر الدانوب (الطونة) فى البحر الاسود ، وكان قومسيونا دوليا مؤلفا من مندوبى فرنسا وانجلترا وروسيا وتركيا وبروسيا وسردينيا . والغرض منه الاشراف على الملاحة فى هذا النهر .

اسماعيـــل وطلب منه أن يعين بنفسه اشتراطاته فالتمس أن يعطى راتبا قدره ٢٠٠٠ جنيه فى السنة فأجاب طلبه بالطبع إذ ان هذه القيمة كانت زهيدة جـداً بالقياس الى قيمة راتب سلفه الذي كان ١٠٠٠٠ جنيه .

تقسيم السودان وفصل مديرية خط الاستواء عن ادارته

كان السودان برمته ابتداء من رحيل سير صمويل بيكر لغاية تاريخ تعيين غوردون تحت سيطرة حكمدار عام واحد غير أن الخـــديو غير هذه الطريقة وقسمه الى قسمين وهما :—

(١) ـ السودان مع فاشودة كحد جنوبى وقد ولى عليه اسماعيل أيوب باشا .

(٢) ـ مديرية خط الاستواء وهى تشمل جميع المنــاطق الخاضعة لسلطة الحكومة المصرية ابتـداء من جنوب فاشودة وتشمل أيضا المنـاطق التى يجب ان تتكون منها وقد ولى عليها غوردون باشا .

وهاك صورة الأمر العالى الذى وجه اليه بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١هـ—١٩ فـــبراير سنة ١٨٧٤م رقم ٩١ ونحن ننشرها هنـا بالنص الذى وجـدت به فى الأوراق التى بسراى عابدين :—

عزتلو قولونيل غوردن   مأمور جهة خط الاستوى .

أمر كريم منطوقه أنه بحسب المشهور فيــكم من اللياقة والاهلية قد عيناكم مأمورا على جهة الاستوى التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهــة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعـــة الحكمدارية انما كان لوازماتها التى تقتضى الحال تداركها من طرف الحكمدارية هـذه يجرى تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفـــه مقابلة محاسبة



غوردون باشا

المالية بذلك كما أمرنا الحكمدار الموى اليه بأمرنا الصادر له فى تاريخه ومرسول لكم طى هذا لتوصيله اليه عن يدكم . وبما أن أمور التجارة فى ذاك الطرف هى يد واحدة يقتضى ان الذى تتحصلوا عليه من تلك الجهات من انواع التجارة وبعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعيينات ترسلوه الى حكمدار السودان لقبوله من أصل ما يصرفه فى أثمان اللوازمات التى تطلبوها منه . وعند وصولكم الآن لتلك الجهات واختباركم احوالها تجروا ترتيبها بحسبما يتراءى لكم وتستحسنوه سواء كان باجمال مديريتين أو اجمال أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة أهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم فى سلك الانسانية شيئا فشيء . وهكذا مما يلزم اجراه على حسب التعليمات التى اعطيت لكم بالفرنساوى وها هو موجود هناك رءوف بك قومندان العساكر الموجودة بذاك الطرف . وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب اجراه فى صالح المصلحة ولو ان الموى اليه وما معه من العساكر صار لهم مدة زايدة فى تلك الجهات ولذلك منظور من ارسال خلافهم من هذا الطرف لتغييرهم لكنه فى مسافة ارسال البدل يكون الموى اليه والعساكر منقادين لاوامركم حسب أصول وقوانين الجهادية . وعلى هذا وما هو منظور لنا فيكم من حسن الغيرة والاهلية مؤملين الاستحصال عليا فيه عمارية جهات خط الاستوى المحكى عنها وراحة اهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول فى سلك الانسانية شيئا فشيء كما هو مطلوبنا .

حاشية — انه بعد توجهكم ووصولكم ذلك الطرف تعملوا الترتيب اللازم

عن مصاريف تلك الجهة بحسبما يلزم لها من الخدمة والعساكر . وكلما يلزم تداركه وارساله من جهة الحكمدارية على حسب الترتيب المذكور تطلبوه من الحكمدار وتعينوا له الاوقات والمواعيد اللازمة تدارك وارسال اللوازمات المذكورة فيها بحيث اذا كانت الايرادات على فرض لا تكفى المصروفات فالحكمدار يرسل لكم كلما تطلبوه . ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم »

* * *

وفيما يلى ترجمة خلاصة التعليمات التى أعطيت لغوردون باللغة الفرنسية بتاريخ ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤ وهى التعليمات التى أشير اليها بالأمر العالى السابق :—

« ان المديرية التى شرع أميرالألاى غوردون فى مباشرة تنظيمها وحكمها لا يعرف من أمرها سوى الشيء القليل . ولغاية هذه السنوات الاخيرة كانت واقعة بين مخالب قوم من الأفاقين همهم فقط الحصول على الارباح غير المشروعة فكانوا يتجرون بالعاج والرقيق مما وذلك بأن ينشئوا متاجر يديرونها بواسطة رجال مسلحين . وكان يضطر رجال القبائل المجاورة سواء أكان ذلك بطيبة خاطر أم باكراه أن يشتركوا معهم فى تلك التجارة . وكانت الحكومة المصرية قد استولت على مكاتب أولئك التجار بعد أن دفعت تعويضات لأربابها مؤملة أن تتوصل من وراء ذلك الى وضع حد لهذه التجارة الممقوتة المنافية لشروط الانسانية .

وكان قد أبيح للبعض من هؤلاء أن يستمر فى تعاطى متاجره فى المراكز بعد ان قطع هذا البعض على نفسه عهودا بأن لا يتجر فى الرقيق ووضع بعد ذلك تحت مراقبة حكمدار السودان . غير ان سلطة الحكمدار لم

تكن قد تمكنت إلا قليلا من جعل الناس تشعر بها فى تلك الاقطار النائية القصية . لذلك قرر الخديو أن يؤلف من هذه الارجاء حكومة منفصلة وان يجعل التجارة مع الخارج كاحتكار من حق الحكومة . وما كانت توجد وسيلة أخرى لوضع حد لتجارة الرقيق التى ما زالت ترتكز الى الآن على قوة السلاح دون سواها متحدية الشرائع والقوانين .

فتى انقطعت اللصوصية وأضحت فى سير العابرين وانفتحت ثغرة فى عوائد هؤلاء الاقوام تلك العوائد المجحفة التى تأصلت فى نفوسهم مع كر السنين فعندئذ يؤذن بحرية التجارة للجميع .

وكان على أميرالألاى غوردون اذا رأى الفرق التى كانت مأجورة لأولئك الأفاقين مستعدة لخدمة الحكومة أن يجنى كل فائدة يمكن جنيها منهم . واذا رآهم يتوخون سلوك سيرتهم الأولى كان عليه أن يشعرهم بكل ما فى الاحكام العسكرية من بطش وشدة . فأمثال أولئك المخلوقات كان لا ينبغى ان يلاقوا من الحكمدار الجديد رحمة ولا شفقة . وكان يلزم ان يعرف الناس قاطبة حتى من كان منهم في الاصقاع البعيدة النائية ان فرقا بسيطا فى لون البشرة لا يحول بنى البشر الى سلعة تباع وتشرى وان الحياة والحرية هما من الأشياء المقدسة .

وقد وقع آخرون فى خطأ وخيم العاقبة كان يجب أن يتجنب . ذلك أن من الواجب اطعام الجيش اطعاما جيداً فلا يكون هنالك حاجة للاستيلاء كما كان حاصلا فى الزمن الماضى على مستودعات حبوب القبائل . إذ ان مثل هذا العمل يدعو تلك القبائل الى سوء الظن بالحكومة فضلا عن أنه مناف لارادة الخديو الذى يود كسب ثقة الاهالى وحسن ظنهم . فيجب ان

تزرع الجنود الارض وان تزداد المحصولات .

واذا كانت غندوكورو كما هو الظاهر موضعا أخطىء فى اختياره لكون تربته جدباء فكان يجب نقل عاصمة المديرية الى مكان اكثر ملاءمة .

واذا وجد بين الأهالى الذين يعتقون من ايدى النخاسين اناس لايمكن الاهتداء الى عشيرتهم نظراً للأماكن القصية التى نقلوا منها وتعذر ردهم الى أوطانهم فهؤلاء يستحسن تشغيلهم فى استغلال الارض بجوار البلاد التى بها محطات .

ويجب على الحكمدار الجديد أن يجعل نصب عينيه اقامة خط للنقط العسكرية خلال المديريات التابعة له يربطها مع بعضها من طرف الى آخر بحيث تستطيع جميعها ان تراسل الخرطوم مباشرة . ويجب أن يتتبع هذا الخط ضفة النيل ويتمشى معها الى اقصى حد ممكن . وبما انه فى غير حيز الامكان الملاحة فى النيل فى مسافة طولها ٧٠ ميلا بسبب الشلالات فعلى الحكمدار أن يتلمس وسيلة يستطاع معها التغلب على هذه العقبة ويرفع تقريرا بذلك للخديو .

وعلى الحكمدار قبل كل شيء فيما يختص بعلاقاته مع القبائل الضاربة على سواحل البحيرات أن يحاول اكتساب مودتهم وان يجعل نفسه موضعا لثقتهم . وان يحافظ على ممتلكاتهم وان يستجلب رضاهم بواسطة الهدايا . وعليه ايضا مهما كان نفوذه عندهم ان يجتهد فى حملهم على الاقتناع بالكف عن الحروب التى يضرمون نارها بغية الحصول على العبيد . ولبلوغ ذلك الأرب لا بد من كثير من المهارة والذوق . وفى الواقع حتى لو وفق الحكمدار الى ابطال

النخاسة أن الحروب ستستمر بين رؤساء القبائل وأن من الجائز كثيرا لعدم وجود سوق للرقيق ان تذبح الأسرى .

و اذا رأى الحكمدار ضرورة لفرض رقابة حقيقية على قبيلة ما من تلك القبائل فيكون الافضل ان يترك للرؤساء الحكم المباشر . وعليه ان يتحقق من خضوعهم وطاعتهم مع جعلهم يخشون سيطرته » .

واليك نص الخطاب الموجه الى اسماعيل باشا أيوب حكمدار السودان بتاريخ ٦ الحجة سنة ١٢٩٠هـ ـ ٢٥ يناير سنة ١٨٧٤م رقم ٩ واننا ننشره هنا كما وجدناه بنصه فى محفوظات سراى عابدين :—

أمر كريم منطوقه ـ حيث أنه من مقتضى ارادتنا اجرى الوسايط والاسباب الموصلة للحصول على ما فيه ادخال جهات خط الاستوى التابعة للحكومة فى سلك العمارية وانتظام احوالها وتقدم وتأليف اهاليها وسكانها شيئا فشيء ولذلك سبق تشكيل مديرية مخصوصة اليها كما حررتم لمعيتنا عن ذلك . غير أنه بالنظر لكون تلك الجهات فى نقط مبتعدة وتلاحظ انه شق عليكم نوعا ملاحظتها وقتيا فلهذا قد صار انتخاب وتعيين القولونيل غوردن بوظيفة مأمور خط الاستوى لما هو معلوم فيه من حسن الادارة الموصلة للنتائج المرغوبة فى عمارية تلك الجهات وحسن توطن اهاليها بحيث ان هذه المأمورية تكون قائمة بنفسها خارجة عن ادارة الحكمدارية وحساباتها واوراقها تتعلق بالمالية بدون واسطة الحكمدارية وفقط يلزم عليكم مراعاة تجهيز وتدارك لوازماتها وطلباتها أول بأول وكلما يقتضى الحال لمشترى وتدارك مأكولات أو مهمات وغيره من المعتاد ارساله الى ذاك الطرف فبمعرفة الحكمدارية يجرى تداركه وصرف ثمنه مقابلة قيده

فى العهـــد وما يرد من تلك الجهات من الاصناف المتاد توريدها على ذمة الميرى مثل سن فيـــل أو ريش نعام أو غيره يجرى قبوله بالحكمدارية بالخصم من القيد بالعهـــد وفى آخر السنة ينظر لمقـــدار ما صرف على تلك المأمورية وبعد استبعاد وخصم ما يكون ورد منها من تلك الاصناف فاذا ظـــهر باق للحكمدارية يحسب من الايرادات المقررة على السودان . واذا ظهر فايض تجـــرى ضمه وعلاوته على ايراد السودان ويتقدم بذلك حساب واضح البيان للماليـــة لمراجعته بها حسب الاصول . هذا مع بقاء العساكر وقومندانهم الموجـــودين هناك والحالة هذه تحت إدارة القولونيـل غوردن المأمور المومى اليـــه حتى ينظر فيما بعد فى تغييرهم بخلافهم . وأمرنا رءوف بك قومندان العساكر المذكورة فى تاريخه بما ذكر وأصدرنا أمرنا هذا اليكم لاجراء مقتضاه »

وهاك ايضا نص الخطاب المحرر الى رءوف بك قومندان عساكر مديرية خط الاستواء بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١هـ ـ ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤م رقم ٩٠ :ـ

أمر كريم منطوقه ـ حيث أن مديرية خط الاستوى صار نزعها من إدارة حكمدارية السودان وصارت مأمورية قائمة بنفسها بالتبعية الى الماليـة بدون توسط الحكمدارية وقد تعين القولونيل غوردن مأمورا عليها بحسب اهليته لذلك وصارت مأموريتكم هى قوماندة ورياسة العساكر الموجـودة بذلك الطرف تحت أمر المأمور المومى اليـــه وانه وان كان منظور فى تغييركم وارسال من يلزم بدلا عنكم لرياسة هؤلاء العساكر لمناسبة طول اقامتكم بتلك الجهـــات غير انه فى مسافة تعيين وارسال خلافكم يقتضى أنكم تكونوا أنتم وما معكم من العساكر تحت أمر المأمور المومى اليه كما ذكر وتنقادوا

لما يأمركم باجـــراه حسب شؤون المصلحة بالتطبيق لقـــوانين الجهادية حتى يتعـــين خلافكم كما تقـدم الايضاح وأصدرنا أمرنا هـــذا لـكم بالاشعار لتجروا بمقتضاه .

حاشية ـ الضباط المـــوجودين معكم يقتضى انكم تفهموهم أمرنا هـذا واننـا ممنونين منكم ومنهم جميعا من منذ توجهكم فى هـــذه المأمورية للآن وتخـــبروهم بأنه سيجرى تغييرهم ايضا عند تغييركم حتى عند حضوركم يحضروا معكم سوية الى هذا الطرف وبذلك لزم التحية ؟

وها هو أيضا نص الخطاب المرسل الى محافظ سواكن بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١هـ ـ ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤م رقم ٩٢ :—

أمر كريم منطوقه ـ بما ان القولونيـل غوردن مأمور جهة خط الاستوى متـوجه الآن الى مأمـــوريته من على طريق سواكن فيقتضى بوصول المومى اليه لطرفكم حالا تجروا ترحيله من سواكن الى الخرطـوم بدون تأخير . وكلما يصرف من طرفـكم على ترحيل المومى اليه تحاسبوا ديوان المالية وأصدرنا أمرنا هذا لـكم للاجراء كما ذكر ؟

* * *

واختـار غوردون القائمقام شاليه لونج Chaillé Long ليكون ضابط أركان حرب له وهو ضابط امريكى الجنس ومن ضباط اركان الحرب العام بالجيش المصرى . وقد قال غوردون له ان الجنرال ستانتون Stanton قنصل بريطانيا العام عارض فى تعيينه وقال انه ينبغى ان يعين شخص انكليزى فى هذه الوظيفـة فأجابه أنه لا يريد أن يستصحب معه ضباطا من الانكليز وانه يميـل

الى الامريكان لأنه خدم معهم فى الصين.

وقال شاليه لونج ان غوردون أرسل خلفه واستحضره فى ليل ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤ وأخبره بأنه تعين وأمره بالاستعداد للسفر وعرفه بأن الخديو يطلب مقابلته فى صباح الغد فى الساعة الثامنة فى سراى عابدين . وبعد ذلك استأذن لونج من رئيسه فى الانصراف وتوجه فى اليوم التالى الى السراى فى الساعة المبينة وأذن له فى الحال بمقابلة الخديو .

واليك ما كتبه شاليـــه لونج بصدد هذه المقابلة فى كتابه « حياتى فى أربع قارات » ج ١ ص ٦٧ :—

« كان الخديو اسماعيل يذرع قاعة الاستقبال بخطوات واسعة ومتهيجا تهيجا عصبياً عندما دخلت يصحبنى طونينو بك Tonino Bey التشريفاتى الثانى . فسألنى الخديو هل رأيت الاميرالاى غوردون فأجبت : نعم رأيته يامولاى وقضيت معه الهزيع الاكبر من الليل . فقال الخديو احسنت والآن أصغ الى ما سأقول .

لقد وقع الاختيار عليك بصفة رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها حماية مصالح الحكومة واعلم ان القـــوم فى لندن على وشك ان يجهزوا حمـــلة تحت قيادة رجل متستر بالجنسية الامريكية يسمى استانلى Stanley وهو فى الظاهر ذاهب ليمد يد المعونة الى الدكتور لفنجستون Livingstone أما فى الباطن والحقيقة فلرفع العـــلم البريطانى على أوغندة . فعليك الآن أن تذهب الى غندوكورو إلا انه يلزمك ان لا تضيع شيئا من الوقت بل يمم فى الحال أوغنده واسبق هناك حملة انجلترا واعقد محالفة مع ملك تلك

البلاد . ومصر لا تنسى لك أبد الدهر هـــذه العارفة وهذا الجميل . اذهب وليسر عقبك النجاح إن شاء الله » .

ولكن هل كان غوردون ملما بهـــذه التعليمات أم لا ؟ هـذا السؤال من الأسئلة التي يتعذر الاجابة عليها ، غير أن شاليه لونج روى فى ص ٦٧ من كتابه الآنف الذكر أنه كان يجهلها وقد تحدد ميعاد السفر فى اليوم التالى . وكان غوردون يريد أن يسافر من السويس على سفينة الـــبريد المعتـــادة حتى بذلك يمكنه أن يقتصد نفقات السفينة الخصوصية فعارض نوبار باشا قائلا إنه لايجوز لحكمدار عام فى رتبتـــه أن يذهب الى مركز عمله بهذه الطريقة .

قيام الحمـــلة من القاهرة الى السويس

وفى صباح ٢١ فـــبراير سنة ١٨٧٤ كان قطار خاص يتأهب لينقـــل من القاهرة الى السويس أميرالالاى غوردون الحكمدار العـــام لمديرية خط الاستواء المصرية لكى يذهب الى غندوكورو عاصمة حكمدارية حكومته فى المستقبل .

وكان يرافقه فى هذه الرحلة القائمقام شاليه لونج بصفة رئيس أركان حرب الحملة والملازم الأول حسن واصف افندى الذى كان أيضا من ضباط اركان الحرب العام بالجيش المصرى بصفة ياور لغوردون . وحسن واصف افندى هذا هو الذى تعين فيما بعد مـــديرا لأسيوط وأنعم عليه بلقب الباشوية .

وحضر بالمحطة خلق كثيرون من موظفـــين وغير موظفين لوداعهم . وحضر أيضا ابراهيم بك توفيق وكان عندئذ من ضباط أركان الحرب ثم صار

فيما بعد محافظ عموم القنال وأنعم عليه برتبة الباشوية . وكان هذا الضابط قد كلف من طرف سمو الخديو بمصاحبة غوردون ومن معه من رجال مقدمة الحملة لغاية السويس حيث كانت الباخرة « لطيف » فى انتظاره .

وكانت مؤخرة الحملة المعدة لاقتفاء أثرهم ومعها الأمتعة وباقى الأدوات واللوازم تحت إمرة البكباشى كامبل Campbell . وكان من بين صفوفها مسيو م. أوجست لينان دى بلفون[1] M. Auguste Linant de Bellefonds والمهندس كمب Kemp ، و رسل Russell وهو ابن اللورد رسل ، و أنسون Anson ابن عم غوردون وابن الأميرال أنسون ، و رومولو جيسى Romulo Gessi وهذا كان يتولى جميع أعمال غوردون وكان محل ثقته وقد صحبه بهذه الصفة منذ حرب القرم ثم ترقى فيما بعد الى مدير بحر الغزال ونال رتبة الباشوية . و دويت Dewitt ، و بهرندورف Bohrendorf وهما معاونا جيسى فى أعماله . ثم أبو السعود الذى أضحى أشهر من نار على علم والذي بعد أن خرج من السجن ألحق بالحملة بصفة عضو وذلك بناء على الحاح خلف سير صمويل أعنى غوردون .

وقبيل منتصف الليل بلغ القطار السويس وقضى غوردون ورفاقه بقية ليلتهم فى الفندق البريطانى وفى صبيحة ٢٣ فبراير استقلوا الباخرة لطيف التى كانت قد أعدت سلفا لنقل مقدمة الحملة الى سواكن .

وصولها الى سواكن

وقد قطعت الباخرة الطريق بسرعة وبدون أن يعترضها فيه أى

(١) ـ هو أحد أنجال لينان باشا المهندس الفرنسى المشهور الذى أحضره محمد على باشا الى مصر وكلفه بأعمال هندسية كثيرة منها القناطر الخيرية .



أوجست ليتان دى بلفون

عارض . وفى ٢٥ فبراير عند منتصف النهار شوهد ساحل سواكن وهو ساحل مستو لا جبال فيه وفى الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الباخرة أمام سواكن . وحالت اجراءات مصلحة المحاجر التى كانت متخذة فى ذلك الوقت دون نزول اعضاء الحملة الى البر قبل صباح اليوم التالى . وقابل علاء الدين بك المحافظ غوردون ومن معه مقابلة غاية فى البشاشة والايناس وأكرم وفادتهم أيما اكرام . وعلاء الدين بك هذا عين فيما بعد حكمدارا عاما للسودان ونال رتبة الباشوية . وهو الذى رافق حملة هكس باشا وكان من قتلاها .

قيامها الى بربر ووصولها الى الخرطوم

وفى ٢٨ منه ولت القافلة التى كان المحافظ قد أعدها لهم وجهها شطر بربر يحرسها ١٥ جنديا وبعد سير مضن ومستمر ليلا ونهاراً على متن الجمال بلغت بربر في ٨ مارس وبذلك تكون قد قطعت المسافة بين هذه المدينة وسواكن فى ظرف عشرة أيام .

وقد استقبلهم الشيخ حسين خليفة مدير الناحية استقبالا فخما ورحب بقدومهم . والشيخ حسين هذا نال فيما بعد لقب باشا .

ثم أعدوا لوازمهم بسرعة واستعدوا فى الحال لمبارحة بربر . وفى صبيحة يوم ٩ مارس استقلوا سفينتين نيليتين ويمموا الخرطوم . وفى ١٢ منه قابلتهم باخرة كان حكمدار السودان العام اسماعيل ايوب باشا قد أعدها لهم فتركوا مراكبهم البطيئة وركبوها فرحين مسرورين . وفى صباح يوم ١٣ منه بلغوا الخرطوم أى بعد ٢٠ يوما من مغادرتهم القاهرة .

واستقبلهم سعادة الحكمدار العام بمزيد الحفاوة واستعرضت أمامهم الجنود وحيتهم مدافعها ونزلوا بسراى واقعة شرق المدينة تسمى سراى راسخ بك أحد حكمدارى السودان السابقين .

وفى ١٨ مارس دعاهم الحكمدار العام الى وليمة أعدها لهم وكان يوجد بين المدعوين العديدين عدا الموظفين ضباط الحامية وقناصل الدول . وبعد ذلك بيومين اثنين دعا غوردون نفس تلك الهيئات الى مأدبة أقامها لهم فى السراى المذكورة .

إزالة الحكمدار العام السدود من طريقها

وقدمت الحملة الشكر الى اسماعيل باشا أيوب الحكمدار العام لانتزاعه اكداس الحشائش الملتفة والمشتبكة ببعضها من المنطقة المعروفة بالسدود تلك الحشائش التى كانت تحول دون الاتجاه صوب الجنوب بين بحر الغزال وبحر الزراف والتى أعجزت همة سير صمويل بيكر واضطرته للنكوص على عقبه راجعا الى التوفيقية فى شهر أبريل سنة ١٨٧٠ .

ففى تلك الناحية عسكرت جنود صمويل على بعد بضعة أميال من مصب نهر سوباط بجوار مستنقع وبىء فهلك من رجاله خلق كثير وذهبت بأرواحهم الحميات . وبعد ذلك ذهب الحكمدار العام الى تلك الجهة على رأس أورطة من عساكر السودان قبل قدوم حملة غوردون ببضعة اسابيع وباشر انجاز تلك المهمة بقصد فتح طريق للمواصلات مع غندوكورو التى كانت وقتئذ تابعة له وواقعة تحت إشرافه .

وبعد بذل مجهود عظيم متواصل استغرق ثلاثة أسابيع أزيلت اكداس

تلك المـواد النبـاتية الهـائلة بهمة هـؤلاء الجنـود البواسل المخلصين الذين زهقت ارواح كـثيرين منهم متأثرة بحمى الملاريا والحميات الأخرى الخبيثة والدوسنطاريا ثم ان كثيراً من أولئـك الذين بقـــوا على قيـد الحيـاة أمست حياتهم مهددة بدودة غـانة الرهيبـة التى تسمم الميـاه ومستنقعات هـــذه الانهر . وفى اللحظـة التى سقط فيها كـوم الاعشاب الكـثيف تدفق المـاء بجرف التيـــار بشدة قوية عـددا وافرا من أفراس البحر التى تملأ النيـل من هذه المنطقة الى منبعـــه وغلبهـا على أمرها فأخـذت تصيح صيـــاحا مزعجا شنيعا عم الفضاء لمـا أصابها من الخـــوف والجزع . وفى الوقت نفسه ارتطم مركـب واختفى بين تلك الاجرام المضطربة التى انتثرت على مسافة بعيدة فيما بعد وحمله التيار معه تدريجيا .

وارتاح الحـكمدار العام لهذا الفوز المبـين جد الارتياح وقال لأعضاء الحملة بصيغة التوكـيد انهم سينقلون على باخرة الى غندوكورو مباشرة دون أن تصادفهم أية عقبـة فى الطريق . وكان لابد من مقـابلة هذه البشرى بالفرح والابتهـاج إذ ان وسائل التغلب على هذه العقبة كـانت شغلهم الشاغل وموضع تفكيرهم واهتمامهم اثناء مجيئهم . وقد تفاءلت الحملة خيرا بازالة هذا العـائق لأن ذلك يمكنها من ان تنقل فى الحال الى غندوكورو مركز عملها .

وصولهـــا الى فاشودة

وكانت جميع ادوات الرحيـل قد تم اعدادها فى صباح ٢٢ مارس ، وكانت سبع بواخر راسية وقتئـذ فى الخرطـوم مهيأة للقيـام بالخـدمة فى مديريات خط الاستواء بين الخرطوم وغندوكورو .

هذا ومن الانصاف ان ننوه بأن سير صمويل بيكر كان قد استحضر من انكلترا سفنا مفككة وركبها هنا تحت مباشرته وهى لا تحتاج الى مياه غزيرة للعوم وفى استطاعتها أن تذهب صعدا فى النيل الى غندوكورو وهى من النقط الصالحة للملاحة واكثرها ارتفاعا فى الجنوب وذلك فيما عدا حقبة قصيرة فى فصل الامطار حيث يستطيع المسافر فى أثنائها ان يبلغ جبل الرجاف الواقع على بعد ١٥ ميلا من هذه الناحية جنوبا ولكن مع بعض المشاق .

وبعد تناول الطعام على النمط التركى مع الحكمدار العام توجه اعضاء الحملة الى الباخرة « تلحوين » التى كانت على تمام الاستعداد لنقلهم وأطلقت المدافع تحية لهم وودعتهم الجموع الكثيرة التى كانت قد اجتمعت لتزود حكمدار خط الاستواء الجديد بالتمنيات العظيمة للنجاح التام .

ومن الضرورى أن نشير هنا الى التأثير السىء الذى أحدثه فى نفس الحكمدار العام والموظفين وكل من كان يهمه أمر نجاح هذه الحملة ، خبر رجوع أبى السعود الى وظيفته وعلمهم أنه قادم فى الطريق لينضم الى رفاق غوردون ثم يواصل السير الى غندوكورو بصفة ملحق بمصلحة مديريات خط الاستواء . وفى الواقع كان أبو السعود مشهورا فى الخرطوم بأنه يسلك مسلكا مضادا لمصالح الحكومة فى تلك الأقطار .

وفى ٣١ مارس وصلت الحملة الى فاشودة . فنقلت متاعها وكل ما معها الى جوف الباخرة « بردين » وهى باخرة تفوق فى النظام والترتيب الباخرة التى كانت الحملة تستقلها . وكانت هذه الباخرة عائدة من غندوكورو .

وفاشودة واقعة على ضفة النيـــل اليسرى . وهى أبعد نقطة فى ولاية الخـــرطوم . وعلى يسارها توجد قرية مأهولة بقـــوم من قبيلة الشلك وهى مؤلفة من اكواخ من القش . أما نفس المدينـــة فليست إلا مجمـــوعة من الاكواخ المبنية بالطين يضاف اليها بعض أبنية من الحجر منها سجن وبناء للحكومة .

ولما كانت تلك القبيـــلة وضعت تحت مراقبة ضابط من شيمه الحلم والعدل والرفق ألا وهو أميرالألاى يوسف حسن بك فقد شجعت تلك الصفات الشلك وبثت فيهم روح العزيمـــة فزرعـــوا الارض ذرة فتحسنت حالة معيشتهم تحسنا محسوسا لأن تربة هـــذه المنطقة صالحة لمثل هذا الزرع . ومع ذلك فمن فاشودة الى غندوكورو لا تقـــع عين الانسان إلا على بحر من المستنقعات وفى وسط هـــذه المستنقعات المملوءة بأكداس من الأوحال يسير النيل فى مجرى كثير المنعرجات والمنحنيات فى مسافة تبلغ ١٠٠٠ ميل .

بلوغهـــا مديرية خط الاستواء

وفى ٢ أبريل بلغت الحمـــلة مصب نهر سوباط حيث توجد نقطة عسكرية إشارة الى نهاية حدود ولاية الخرطوم وبداية مديرية خط الاستواء . فوقفت الحملة فى هذا المكان لتحتطب .

وفى ٥ أبريل وصلت الحمـــلة الى الموضع الذى كانت عاقت فيه الحشائش مسير بيكر باشا وقد ذكرنا ذلك آنفا . ووجدت الحملة طريقها به مسلوكا . وكان يوجد على متن الباخرة التى أقلتها بعض الجنـــود الذين استخدموا

فى نزع أعشاب السدود وفى سيقانهم الجـــراح التى أحدثتها دودة غانة وهى تنم عما قاسوه من الصعاب والمشاق .

وفى ١١ منه انتهت الى « بور » Bor وهى محل لتجارة العاج وبها يوجد شرذمة من الدناقلة وهى جزء من فرقة مستقلة مأجـورة لجماعة تجار العبيد وتجار العاج بالخرطوم فاستقبلتها وحيتها .

وفى ١٧ أبريل سنة ١٨٧٤ حطت الحمـــلة رحالها فى غندوكورو حيث استقبلها بالحفاوة قائد الحامية أميرالألاى رءوف بك الذى كان مدير هذه المديرية بالنيابة من وقت سفر سير صمويل بيكر .

وصف غوردون لهـــذه النواحى

ولقد وصف غوردون فى خطاب أرسله الى صاحب السعادة نوبار باشا ناظر الخارجية التأثيرات التى وقعت فى نفسه فى أول الأمر فقال :—

لقد استقبلنى رءوف بك احسن استقبال وهو انسان يستحق الحمـــد والثناء الجم لعنـــايته بجنده واهتمامه بشؤونهم . فمعسكره غاية فى النظافة ويلوح أنه محبـــوب من عسكره . فألتمس من صاحب السمو أن ينيط به مراقبة مديريتين .

وانى لا أريد أن اتوسع فى ذكر ما يقوم بخاطرى من الاعمال غير أنه فى استطاعتى أن اقول انه لا يوجد أمامى أية صعوبة يجب على تذليلها . وأظن أنه لا يلزم ان نصوب حتى ولا طلقـــة واحدة من فوهة بندقية سواء أكان ذلك على الزنـــوج أم على المشتغلين باختطافهم وأعنى بذلك

صيادى العبيد .

والمديريات الخاضعة الآن لصاحب السمو ليست على جانب عظيم من الأهمية ومحطاتها هى حامية غندوكورو وتتألف من ٣٠٠ عسكرى سودانى و ١٦٠ جنديا مصريا . وفاتيكو وتتكون من ٢٠٠ جندى سودانى . وقد عملت الآن كل ما فى الاستطاعة عمله فتركت حامية فى بور لاحتلالها . وبور هذه موقع هام فى شمال غندوكورو .

وجميع الحروب التى شب أوارها ههنا فى الزمن الماضى ليس لها إلا سبب واحد هو نقص المئونة . ولقد قيل لى أن الزنوج لم يكونوا فى مرة من المرات المعتدين الأولين وانهم ما قاتلوا قط إلا فى سبيل الدفاع عن قطعانهم وانه حتى فى هذه الحالة ما كانوا يقاتلون بحماسة .

وقد كان من رأى رءوف بك محاربة القبائل غير أنى لم اشاركه فى هذا الرأى كما أنى لم أقره على طلباته الخاصة بزيادة الجيش زيادة كبيرة . ومع ذلك ينبغى أن اصرح لسعادتكم أنه كان يجب أن يكون لدينا هنا اكثر من هذه الجنود الخمسمائة . هذا اذا كان صاحب السمو الخديو يرغب فى مراقبة كل الاراضى التى يحتلها الآن صيادو العبيد من جهة حدود هذه المديريات . ولا أرى من المستحسن والصواب أن يكون عندنا قدر ضئيل من المصريين كالعدد الذى لدينا يقابله عدد كبير من السودانيين . وغندوكورو كما شاهدنا على مسافة غير بعيدة من القاهرة . ويوجد هنا جملة مواقع تستحق بلا ريب ما يبذل من المشاق فى سبيل احتلالها .

وانى لست مرتاحا كثيراً لاستخدام غير النظاميين من الجند إلا ان

استخدامهم فى الوقت الحاضر من الضروريات .

أما اسماعيل باشا أيوب فيستحق منى كل اعجاب وثناء لقيامه بفتح السدود فبعمله هذا المجيد رد فى الواقع هذه المديريات الى صاحب السمو الخديو » .

* * *

وكان يوجد أيضا خلاف حاميتى غندوكورو وفاتيكو اللتين ذكرهما غوردون فى خطابه الآنف الذكر حامية فويرا وكانت مكونة من ٢٠٠ جندى سودانى من الجيش النظامى كما يرى فيما بعد عند ذكر رحلة القائمقام شاليه لونج الى أوغندة وقد فات غوردون ذكر هذه الحامية .

وتم تفتيش المحطة وحاميتها فى زمن يسير وعلى جناح السرعة . وهذا التفتيش كان نتيجة طبيعية لقدوم غوردون . وبعد ذلك عقد النية على أن يعود الى الخرطوم ليعجل مجيء أبى السعود الذى بارح القاهرة مع مؤخرة الحملة ثم يرجع معه الى غندوكورو .

واستقبل أميرالالاي غوردون فى غندوكورو رسلا قدموا من قبل « متيسا » ملك أوغندا ومعهم هدايا من العاج واشياء اخرى متنوعة صنع بلده برسم سمو الخديو . وأعرب هذا الملك فى الوقت نفسه على لسان رسله عن رغبته فى أن يرتبط مع حكومة مصر بعلاقات ودية وطلب ارسال أحد العلماء كى يعلمه وشعبه العقيدة الاسلامية حسب نص القرآن .

وأرسل الأمير الزنجى « رونجا » رسلا الى غوردون ليعلن هو الآخر على لسانهم أنه راغب الرغبة الأكيدة فى صداقة الخديو .

ولما كان لا يعزب عن بال أميرالألاى غوردون أهميـــة الحصول على مـودة واحـترام هـــؤلاء الرؤساء الزنوج ارسل فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٤ القائمقام شاليه لونج محملا بالهـدايا لكل من « متيسا » و « ريونجا » ورد فى الوقت ذاته الى متيسا جانباً مما بعث به من الهــــدايا وهو عبارة عن أطفال من العبيـد وأصحبهم رسالة قال له فيها انه سوف يوضح له الداعى الذى حـدا به الى رد هؤلاء الاولاد .

عودة غوردون الى الخرطـــوم

وبعد أن زود غوردون القائمقام لونج بالأوامر اللازمة بشأن رحلته وأقرضه حصانه الخصوصى ليستخدمه فى سفره هـــذا وتحقق أن كل شيء أضحى على ما يرام ، بارح غندوكورو فى ٢١ ابريل موليا وجهـه شطر الخرطوم لـكى يستعجل أثناء وجـــوده فى هذه المدينة بما يبذله من المجهودات نقـل المؤن المعـدة لما سيقوم به من الاعمـــال . وبعد سفر دام أحد عشر يوما وصل الى الخرطوم .

وفى أثناء رحلته الى الخرطوم هـذه أنجز رسم مسودة خريطة مجرى النيل بين الخرطوم وغندوكورو وكان ابتدأ فى عملها فيما سلف عند صعوده النهر .

وقال فى خطاب كتبه وهو فى الخـــرطوم بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٧٤ . إنه وطد العزم على أن يقيم نقطـة عسكرية على مقربة من مصب نهر سوباط ليشرف بطريقــــة مثلى على خطوط المواصلات بين مديرياته والعالم المتمـدين وليحول بهـذه الواسطة بطريقـة أضمن دون مرور عصابات صيادى العبيـد عنـد اقتيـادهم لفرائسهم البشرية وأيضا ليمنع تهريب الأسلحة النارية والذخائر

فى نفس هـذه المديريات تلك الأدوات التى لا بد منها ولا غنى عنها فى أعمال صائدى العبيد .

وكانت تساوره الآمال أيضا أنه يستطيع من هـذه النقطة مباشرة رقابة فعالة على تجارة العاج التى كثيرا ما كان يتستر تحتها النخاسون ويتخذونها ذريعة لممارسة تجارتهم الممقوتة .

وفى الخطاب المذكور إشارة الى تأسيس ثلاث مديريات والاعراب عن أمله أن يحصل على جمال وحمير فى المستقبل لاستعمالها فى نقل الذخيرة والمؤونة الى تلك المديريات الثلاث فى الذهاب والعودة وابتغاء نقل العاج الى مركز الحكمدارية ليرسله بطريق النهر الى الخرطوم . وبذا يستغنى عن استخدام عدد كبير من الحمالين كالعدد الذى كان يستخدم دواما حتى ذلك التاريخ . ويظهر أنه مال لهذا الترتيب كل الميل للسببين الآتيين :

١ ـ ان مثل هـذا التغيير كان يفضى الى اقتصاد محسوس فى وسائل النقل .

٢ ـ بالاستغناء عن جيش عرمرم من الحمالين لا تكون هناك حاجة لطلب زاد فى الطريق من الاهالى لتموين أولئك الحمالين وبذلك يزول السبب الرئيسى الذى يدعو الاهالى للتذمر .

وقد أوصى غوردون فى ذلك الخطاب أن يلفت نظر سمو الخديو الى الهدايا المرسلة من قبل متيسا عن يده تلك الهدايا التى بعضها كما يقول غوردون ويكرر القول — يدل على وجود درجة من المدنية بين الاهالى الاوغنديين . ويشير بارسال شيخ صالح من القاهرة له المام تام بنصوص

القرآن ومعانيه الى أوغنـــدة ليكون فى معيته وتحت رعاية متيسا ليباشر تعليمه وتعليـــم شعبه وان يلفت كذلك نظره الى توجيه هــــدايا لائقة الى هـذا الأمـــير . ويسترعى الانظار الى ان متيسا ملك أقـــوى من « كباريجا » أو « رومانيكا » ويوصى أيضاً بارسال هـدية مليحة الى الشيخ « لورو » الذى أظهر استعداداً حسناً نحو الحكومة وهو من الرؤساء الوطنيين وكان قد أعرب عما تكنه جوانحه بارسال ناب فيل بصفة هدية وهو ناب من أحسن الأنياب وألطفها .

وذكر فى خطابه أيضا أنه أمر بزراعة الذرة بدون تأخير وأنه من حسن الحظ ان كان ذلك فى الموسم الملائم لهذه الزراعة وانه بذلك يمكنه اجتناب المجاعة .

وقد أرسل غوردون مع هـــذا المكتوب ثلاثة مكاتيب أخرى جاءته من متيسا .

وفى ١٨ مايو سنة ١٨٧٤ كان أميرالألاى غوردون فى بربر حيث أنجـــز بنفسه الاحتياطات التى رآها لازمة للتـــأكد من شحن المئونة والذخائر بانتظام .

ومن تلك الساعة أضحى هادىء البـــال آمنا مطمئنا لانه لم يكن ثم ما يشغله عن التفرغ تماما مدة سنين لاعماله الهامة فى اواسط افريقية بدون أن يرى نفسه فى حاجة الى ان يبارح مرة أخرى منطقة المديريات التى ألقي عليه مقاليـد حكمها قبل أن يكون قد وطد أسس نظامها توطيدا محكما .

وفى تلك الحقبـــة كانت الاوامر قد أعطيت الى أورطة من الجيش

كانت تخدم تحت إمرة صاحب السعادة مونزنجر بك Munzinger Bey الحاكم العام للسودان الشرقى وساحل البحر الأحمر بأن تنتقل الى مديريات خط الاستواء لكى يستطيع غوردون أن يعتمد عليها فى اجراآته القادمة عند الاحتياج الى امداد .

وفى ٣١ مايو كان غوردون بالخرطوم وفيها لحق به البكباشى كامبل وهو من الضباط البحريين وكان قد طلب غوردون تعيينه للاستفادة من خبرته وانضم اليه أيضا بهذه المدينة عدد كبير آخر من الملحقين بالقيادة تحت أمره . ووقع اختياره كذلك على ٤ بلوكات مسلحين بسلاح من طراز رمنجتون أقلتهم البواخر الآتى اسماؤها وهى : بردين و تلحوين و الصافية و المنصورة .

عودته الى فاشودة واقامة محطة عند مصب نهر سوباط

وقد أقلعت تلك البواخر قبل سفر الحكمدار العام بعد ان زودها بتعليمات مقتضاها ان تنتظره عند مدخل نهر سوباط . اما هو فقد بارح الخرطوم فى ٨ يونيه سنة ١٨٧٤ على ظهر الباخرة الخديو وكان ابراهيم افندى فوزى الذى أنعم عليه فيما بعد برتبة الباشوية يقود حرسه الخاص . وبعد مسيرة ٧ أيام ألقت سفينته مراسيها فى فاشودة واستقبله يوسف بك حسن المدير بجميع انواع الحفاوة والاكرام اللائقين بشخص فى مرتبته . وبعد اقامة يومين فى فاشوده عاود السير ميمما مصب نهر سوباط فوصل بعد يومين ووجد البواخر والجند فى انتظار مقدمه .

وكانت مديرية خط الاستواء التى تولى غوردون حكمداريتها تبتدىء

عنـد هذه المنطقة . فعقد النية على أن يؤسس فيها محطة وفعلا خططها وأمر الجند بأن يشتغلوا بعملها . وفى ظرف ١٥ يوما تم عملها وعين لقيادتها اليوزباشى محمد افندى احمد وترك له بصفة حامية البلوك الذى تحت إمرته وذلك بعـد أن وصاه بأن يعامل الأهالى المعاملة الحسنة ويرعاهم بعـين رعايتـه ويراقب من جهـة أخرى النخاسين مراقبـة دقيقة ليستأصل تجارة الرق إذ ان مركز مصب نهر سوباط هذا كان له أهمية كبرى من هـذه الوجهـة أعنى وجهة منـع تجارة الرقيق .

وقد أقام غوردون فى هـــذه الناحية شهرين تقريباً القى القبض فى غضونها على كـثير من المراكب المشحونة بالعاج والرقيق إذ كان تجار هذين النوعين يجهلون وجوده فى هـذه المنطقة وقد صادر الحكمدار العـــاج باعتباره محتكرا للحكومة . أما العبيد فأطلق سراحهم . وقام عدا ذلك بعدة استكشافات فى تلك البقعة .

وفى أثنـاء اقامتـــه عنـد نهر سوباط أرسل جيسى Gessi الذى نال فيما بعد لقب باشا و أنسون Anson ليقـوما بجـــولة تفتيش على طـول بحـر الغـزال وفى اثناء هذه الجـــولة أصيب الاخير اعنى أنسون بحمى خبيثة لقى من جرائها حتفه .

وبعـد أن رحل من نهـــر سوباط حط رحـاله فى شمبى Shambé حيث أقام كبار التجار مثل أبى عمـــورى وكشك على وغطاس وآخرين غـيرهم محطات هامـة لمتاجـــرهم فاستقبله فيها بغاية الاحـترام شيخ المركـز وهو رجـــل دنكاوى اسمه الشيخ الحـداد . وبعد أن أخذ راحته خطط رسوم محطـــة وأقامها ثم قـلد قيـــادها اليـوزباشى مصطفى فتـحى افندى

وترك له بصفة حامية البلوك الذى تحت قيادته ووصاه نفس الوصاية التى أوصى بها قائد المحطة التى قبلها .

عودته الى بور وغندوكورو

وانطلق من هناك الى محطة « بور » فوجد بها ٤٠٠ جندى من الجنود غير النظاميين التابعين للتجار فأمر بتجنيدهم فى خدمة الحكومة ونبه عليهم بأن يقدموا له بيانا بعدد الاسلحة وأنواع المؤن والذخائر التى فى حوزتهم فصدعوا بالأمر وعين لهم بالمركز بصفة قائد ومدير ضابطا سودانيا كان من جملة الضباط الذين خدموا فى حملة سير صمويل بيكر . ويسمى هذا الضابط آدم افندى عامر وقد ارتقى الضابط المذكور فيما بعد الى رتبة البكباشى وعند قيام ثورة المهدى كان مديرا فى « كبكبيه » وهى من ملحقات دارفور . ولما سقطت هذه المديرية سلم مديريته لجيوش المهدى بأمر من سلاطين باشا الذى كان سلم قبله سلاحه .

وبعد ان سوى غوردون سائر الاعمال الخاصة بالمحطة تفصيليا وأعطى أوامر مطابقة تماما للأوامر التى أعطاها للمحطات السابقة ولى وجهه شطر غندوكورو فوصل اليها فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٧٤ .

وقد وجد أميرالألاى غوردون عند قدومه هذه الناحية أن جميع الأوامر سائرة حسبما يشتهى وذلك بهمة القائمقام رءوف بك الذى قام بواجباته خير قيام ونفذ التعليمات التى أصدرها له بشأن الخطة الواجب اتباعها تجاه الأهالى ومشايخهم فكانت جميع العشائر الضاربة بجوار المحطة على أحسن ما يرام من العلاقات مع الحامية .

ولـكن كان القائمقام رءوف بك قد قضى سنين عديدة فى الخدمة فى تلك الاصقاع ولذلك كان يحن الى زيارة القاهرة فحمله هذا الحنين الى طلب اجازة مداها تسعة أشهر .

وكان اميرالألاى غوردون لا يستطيع أن يستغنى عن خدمة رجل محنك مثله ولكنه كان يرى من جهـــة أخرى أن العدل لا يرضى بأقل من إجابة هذا الطلب فكتب الى نوبار باشا فى ٥ سبتمبرسنة ١٨٧٤ ما يأتى :—

« اقدم لسعادتكم هذا الخطاب بواسطة رءوف بك الذى طلب منى التصريح باجازة قدرها تسعة أشهر ليزور فيها القاهرة .

وأخبر سعادتكم أنى أعربت لصاحب السمو فيما سلف عن ارتياحى لرءوف بك نظرا لما أبداه لى هنا من المعونة وتقديرى لما قام به من المجهــــودات فى وسط ظروف بلغت غاية الحـرج وذلك فى سبيـل حفظ وصون جنوده . وان هؤلاء يعتبرونه كأب نظرا للصعاب التى تحملها فى سبيل راحتهم .

ويخامرنى الأمل بأن صاحب السمو الذى هو على بينة من كفايته وجدارته قبل الآن يتقبل شهادتى فيه قبولا حسنا .

واكرر القول ياصاحب السعادة بأنه فيما اذا لو سمح سموه وتنازل برجوع رءوف بك الى هنا فان ذلك يكون من حسن حظى وانا على يقين من ان اجد له دواما محلا يليق بمرتبته ويرتاح لوجوده فيه » .

عودة رءوف بك الى القاهـــرة

عاد هـــذا الضابط الباسل الى القاهرة وفيها كافأه سمو الخديو على شهامته فى تأدية وظيفتـــه بترقيته الى رتبة لواء معتمداً فى هذه المنحة على شهادة أميرالآلاى غوردون . ورءوف باشا الذي صار فضـــلا من ذلك الوقت يلقب بهـــذا اللقب لم يعد الى مديريات خط الاستواء بل عهد اليه فيما بعد قيادة منفصلة وقائمة بذاتها فى منطقة أخرى وهى منطقة هرر حيث أدى اعمالا لسمو الخـــديو تذكر فتشكر وبذلك حقق مرة أخرى الرأى الذى أبداه غوردون فيه .

وبعـــد سفر رءوف بك نصب غوردون البكباشى الطبيب عبد الله افنـــدى قائدا لغندوكورو ومنحه رتبة قائمقام وهـــو الذى كان يقود الاورطة السودانية فى حملة سير صمويل بيكر ثم نقله الى « لادو » عند ما تقـــرر جعلها عاصمة لمديرية خط الاستواء وعين كذلك الصاغقول أغاسى عبـــد الله افندي قائد فاتيكو بنفس هذه الوظيفـــة فى الرجاف وقتما أنشئت فيها محطة .

وفى هذا الحين ـ ٥ سبتمبر سنة ١٨٧٤ ـ أى عنـــد ما بارح رءوف بك مـــديريات خط الاستواء كان جميع أولئك الذين يجب بحكم الطبيعة أن يعول أميرالآلاى غوردون عليهم لتأدية مأموريته الهامة غائبين وليس فى استطاعته الانتفـــاع بأحدهم . فالقائمقام لونج كان غائبـــا فى مأمورية فى أوغنـــدة والبكباشى كامبل الضابط البحرى والمستر أوجست لينان والمستر رسل كانوا الثلاثة يقاسون آلام الحمى التى أصيبوا بها وحالتهم

خطرة فكان يقضى اكثر أوقاته فى بذل العناية بهم . وكان مع هــــذا لا يفتر عن أن يهيء المشاريع والرسوم اللازمة لترتيب وتنسيق الأقطار الواقعـــة تحت سيطرته ويستعد لعمل استكشافات منظمة فى الأرجاء التى كانت ما زالت مجهـــولة من النيل والبحيرات الكبرى كما أنه كان يعمل فى سبيل ايجاد مراكز فى نقط تستطيع منها حكومته مراقبة المراكز التى كشفت بطريقة ثابتة ومستديمة .

وكان يعمل أيضا على ايجاد مواصلات بطريق النيل تحل محل وسائل النقل بطريق البر المنهكة والتى كانت تكلفه نفقات باهظة . وهـذه الوسائل كان لا بد منها بين معسكره العام ونقط نواحى الجنوب .

وكان مشروع استخدام النيل للنقل فى جنوب غندوكورو فيه شيء من المجازفة إذ كان يسود الناس لغاية هـذا الزمن وذلك بدون سبب معقول ، الاعتقاد بأن النيل ابتداء من جنوب الرجاف لغاية دوفيليه غير صالح للملاحة ولا يمكن استعماله لهذا الغرض .

وكان شلال دوفيليه أمره معلوما وكان من المظنون ان المسافة بين الرجاف ردوفيليه لم تكن صالحة للسلوك إلا قليلا . فسلم بهذه الفكرة ولكن مؤقتاً فقط وترك فحص هـذا الجزء من النهر الواقع بين الرجاف ودوفيليه الى ما بعد وكان لم يزل لديه بقية أمل فى العثور على قسم مطروق وذلك عند ما يدرس سائر الترع درساً وافياً . فأرسل الى دوفيليه مـــع المستر كمب المهندس الميكانيكى الانكليزى أجزاء باخـــرة صغيرة وآلاتها بقصد ضم هذه الأجزاء وتركيبها هناك لأجــل استخدامها . وكان قد استحضر معه من القاهرة أبا السعود وهـو ذلك الرجـــل الذى صيرته أفعاله فى عهد حكمدارية سير

صمويل بيكر أشهر من نار على علم .

ولما كان غوردون على بينة من أن أبا السعود له معـــرفة تامة بجميع تلك الأقطار والقبائل الضاربة فيها وبسائر عصابات صيادى العبيـــد التى يستخدمها التجار فقد كانت لديه أسباب وجيهة تدعوه لأن يعتقد أن ما نال أبا السعود من العقاب الصارم بسبب ما بثه من الدسائس والفتن فى الزمن الغابر يرده الى صوابه ويبرئه من تصرفاته العوجاء فيما يستقبل من الزمان ويبث فى نفسه الرغبة فى أن يبرهن للحكومة بأمانته وشرفه فى خدمتها على ان شخصه فى الحقيقة خير من سمعته .

فلكى يستفيد من معلومات هـــذا الرجل وخبرته ونشاطه استفادة تامة تجاسر غوردون وجعله المعاون الأول له وكلفه بالمأمورية الهامة ألا وهى مأمورية العنـــاية الدقيقة بنقل اجزاء الباخرة السابق الكلام عنها والتى كان يعلق آماله على أن يجعلها تقـــوم بالملاحة فيما بعد بين شلال دوفيليـــه وبحـــيرة البيرت نيانزا .

وتراءى بادىء ذى بدء أن أبا السعود حقق ما ارتآه فيه غوردون بتفويضه إياه مركزا ذا أهمية كبرى إذ أظهر الشىء الكثير من الدقة والمهارة والنشاط فى تنفيذ التعليمات التى أمده بها رئيسه .

وقد قال أميرالالاى غوردون فى كتاب كتبه بتاريخ ٢٧ سبتمبر : « انه من حسن الحظ يمكن ان أقول انه فى ظرف ١٠ أيام ستكون اجزاء الباخرة كما أرجو فى محطة الابراهيميـــة « دوفيليه » وما ذلك إلا بهمة ومجهودات أبى السعود » .

وبتاريخ ١١ من الشهر المذكور كتب مرة أخرى يعرب عن ثقته بأن أبا السعود والآخرين الذين كانوا فى جيوش النخاسين ثم سرحوا وانضموا بعد ذلك الى خدمة الحكومة ستستفيد الحكومة من عملهم لا سيما وقد تحققوا أن الاشغال التى كانوا يمارسونها فيما سلف أصبح لا وجود لها وستظل كذلك الى ما شاء الله . ولما كانوا زيادة على ذلك ملمين الماما تاما بالبلاد واحوالها فقد تهيأت لهم الفرصة التى تمكنهم من أن يبرهنوا للحكومة على انهم لم يبلغوا فى عدم الاستقامة والدناءة الدرجة التى ظنتهم بها .

ترتيب غوردون قيادة الجنود وتقديم
مشايخ القبائل الطاعة

وقد اتخذ أميرالالاى غوردون فوق ذلك احتياطات حكيمة ذلك أنه مع وضعه أبا السعود ورجاله فى مراكز يستطيعون فيها تأدية خدمات جليلة قد وجه عنايته الى ترتيب القيادة بكيفية لا تجعل الجيوش النظامية بحال من الاحوال تابعة لأولئك الرؤساء غير النظاميين بل تضعهم تحت سلطة الضابط النظامى الاقدم رتبة الذى كان عليه ان يرجع فى كل الامور الى الحكمدار العام .

وفى ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٤ قدم ٢٥ شيخا من مشايخ قبائل الزنوج الضاربين حول غندوكورو ليقدموا لغوردون خضوعهم وحسن ولائهم فأكرم وفادتهم وعرض عليهم كلهم الذهاب لمدينة الخرطوم لزيارتها فتقبلوا هذه الدعوة بشغف . وكتب غوردون أنه يقصد من وراء هذه الزيارة لتلك المدينة على متن وابور بخارى أن يتنسم أولئك الشيوخ من

من خلالها ريح المدنية الأمر الذى لا بد أن يأخذ بألبابهم ويؤثر على مشاعرهم ويريهم عدا ذلك السلطة والسيطرة المخولة له .

الصعاب التى صادفها وتغلبه عليهـــــا

وكان كل من البكباشى كامبل ومستر رسل مصابا بالحمى وحالتهما خطرة وحــــوالى منتصف شهر سبتمبر سافرا بطريق النيـــــل الى الخرطـوم تبديلا للهـــواء وليعالجا فى مستشفاها . أما مسيو أوجست لينان السكرتير الخاص للحكمدار العام فكان فى حيز عدم الاستطاعة ارساله معهما كما كان ينـــوى غوردون إذ انه ما كان يتحمل مشاق السفر بسبب اشتداد وطأة المرض عليه وضعفه بعـــد الانتكاس الذى أصيب به . وهذا الرجل المنكود الطالـــع فاض روحه فى ١٦ سبتمبر . وعلى هـذا ظل غوردون تقريبـــاً وحيـدا فريدا مع جيوشه الوطنية غير النظامية . وفى برهة يقـل مداها عن شهر واحد نكب أيضا بمرض أربعة من الأوربيين الستة الذين كانوا معه قضى عليهم . أما الاثنـان الباقيـان فكان أحدهما وهـو المستر كمب المهندس قد رحل مع قطـع الباخرة وأرسل الآخر وهو مسيو جيسى الى الخرطـــوم لينوب عنه فيها بصفة وكيل عام له .

وغرت كثيرا هــــذه الحالة أبا السعود وكبار ضباطه غير النظاميـين والحديثى الولاء وقام برؤوس أولئك الرجال ان الفرصة سنحت للاستيلاء على حكم الأقطار التى جابوها فيما سلف وأن يكونوا أربابا لهــــا . فانقلب أبو السعود فجأة وغير خطته وتظاهر أمام رؤوس الأهـالى ورؤوس الجيش بمظهر الشدة والعظمة وربما فعل ذلك لاعتقاده انه أصبح الآن فى قدرته أن يجعل الحكمدار العام الجديد يخضع لأرادته .

ولقد ضل أبو السعود سواء السبيل وجهل الرجل الذى كان يريد أن يخدعه جهلا مطبقا . ولم يلبث غوردون ان أدرك حالا رياءه وسوء نياته كما أدرك كفاءته فيما سبق . فمذ ظهرت أول أمارة منه تدل على سوء مقاصده نحو الحكومة رأى نفسه معزولا من مركز المعاون الاول لغوردون ووضع تحت المراقبة فى غندوكورو ومن ثم أرسل بطريق النيل الى الخرطوم .

وبدا من صغار الضباط فى أول الأمر الاستعداد لاظهار سوء شعورهم من هذا الابعاد إلا ان غوردون عند ما لاحت منهم بارقة التظاهر بعدم الرضا عاجلهم مع الهدوء المشفوع بالثبات بأعلانهم بأن فى استطاعته الاستغناء عن خدماتهم بسهولة فى المديريات اذا لم يظهروا تمام الطاعة والخضوع . وفى الحال رجعت المياه الى مجاريها وانحسم الاشكال .

تعليمه الأهالى التبادل بالنقود وتعميم ذلك بينهم

وكتب أميرالألاى غوردون من الرجاف بتاريخ أول اكتوبر بشأن الرؤساء الدنقلاويين ما يأتى :—

« ان الاطروش وكيل محل المقاد وبعض الدناقلة كانوا حانقين منى فقلت لهم ان كنتم غير مرتاحين ففى استطاعتكم العودة الى الخرطوم وعلى ذلك لم يلبثوا ان طلبوا العفو فى الحال . وقد كان من اللازم تفهيم أولئك الدناقلة أن سمو الخديو هو السيد الحقيقى لهذه البلاد وان الحكومة لديها قوة كافية فلا تخشى اناسا مثلهم غير لازمين لنا بالمرة الأمر الذى كانوا قبلا غير مقتنعين به .

وفى ٢٦ سبتمبر سافر من هذه الجهـــة المستر كب الى دوفيليه ومعه عساكر نظامية وغير نظاميـــة والقسم الاكبر من قطع المركب البخارى . ومقتضى الخبر الوحيـــد الذى نقل الى بشأنه بواسطة بعض الزنوج ان الاهالى قتلت البعض من رجالنا فى أثناء الطريق وجندلت العساكر خمسة منهم وان جنـــودنا ما فعلت ذلك إلا فى سبيل الدفاع والذود عن أرواحهم ويتضح من ذلك اننا غير قادمين على حرب .

وكان المستر كامبل قد تلقى تعليمات تقضى عليه بأن يجتهد فى معاملة الرؤوس الأهليين معاملة حسنة .

وفى ٢٦ سبتمبر أيضا ذهبت في النيل نحو الجنوب مسافة ٤ أميال فوصلت قرب جبـــل الرجاف . والارض هناك مرتفعة وهى مركز أصلح بكثير من مركز غوندوكورو التى عولت على تركها لرداءة مناخها وسوء اختيارها كمعسكر عام .

وقد حاولت فى عهد وصولى الى هنا تدريب الأهـــالى على المعاملة بالنقود ونجحت . وللوصول الى هذا الغرض دفعت أول يوم ثمنا للقش الذى استحضر لعمل المساكن عملة من الخرز .

وكانت العادة الجارية هي أن لا يعطى شيء للرجال بل تقـــدم هدية للشيخ . وهذه طريقـــة فاسدة لأن الرجال الذين كانوا اشتغلوا لم ينالوا شيئا مقابل كدهم وجدهم . وفى اليوم التالى أعطيت كل رجل من الرجال الذين اشتغلوا قطعا من النقـــود ثم استرجعت منهم النقود وقدمت لهم بدلها خرزا . وهكذا صرت افعل حتى آل الامر الى أن فهموا ان النقود تضارع

الخرز فى القيمة .

ولقد يخالجنى الأمل ان آتى بهذه الوسيلة على طريقة الاقطاعيات التى فرضها الشيوخ . ومتى عرف الزنجى ان فى استطاعته ان يكتسب نقودا لنفسه بواسطة عمله الخاص ضعفت درجة خنوعه لرئيسه وزادت بالعكس درجة تعلقه بالحكومة . ولم يلاحظ الشيوخ مع ذلك شيئا من كل هذا إذ انهم هم انفسهم مرتاحون لطريقة قبضهم النقود . وأتى اليوم شيخ ومعه ناب فيل وأراد ان يبادل عليه بجلجلين لدوابه فأبيت ان أعطيهما اياه بل قدمت له ريالين فى مقابل هذا الناب فقبل ثم عرضت عليه الجلجلين فى مقابل رياليه فاشتراهما . وأحضر فيما بعد فى اليوم نفسه نابين وعرضهما للبيع .

والآن لايخامرنى الشك ان فى استطاعتنا من اليوم ان نشترى بالنقود دون ان نصادف صعوبة ، العاج والابنوس والذرة وغير ذلك . ولا بد من الاعتراف بأن الطريقة القديمة التى كانت متبعة هنا مناقضة على خط مستقيم لهذه الطريقة .

وقد دهش الزنوج حينما رأونا نطلق المدفع ونحن على بعد ١٥٠ ياردة منه وذلك بواسطة آلة كهربائية . ويسلك هؤلاء مسلكا حميداً . وحقا يستغرب الانسان كثيرا عند ما يجد ان سير صمويل بيكر كان يضطر لشن الغارات للحصول على مواشى فى نفس قرية الرجاف هذه التى نعيش فيها هادئين آمنين والزنوج على أتم الاستعداد لاجابة مطالبنا » .

وفى ٦ أكتوبر سنة ١٨٧٤ كتب ايضا ما يأتي :—

« توجهت اليوم الى غندوكورو فوجدت جميع الاحوال على غاية

ما يرام . والمأمـــول أننا نتمكن من تقرير طريقة المعاملة بالنقد فى سائر انحاء المديريات » .

مكاتبـــات من أميرالالاى غوردون
فى شؤون أخـــرى

وفى ٧ من شهر أكتوبر المذكور عاد إلى الرجـــاف ومنها كتب ما يأتى :—

« رأيت اليوم لاركو Larco وهو الذى بدت منه امارات العدوان . وانى لا اثق بهذا الرجل رغما عما يظهره من المـــودة . فاذا رأيت من وارث هـــذا العرش الصغير حسن الاستعداد وانه من الممكن أن نستفيد منه فانى أبعث « لاركو » واسرته الى الخرطوم للاقامة فيهـــا ونمنحه مبلغا صغيرا ليعيش به . ومتى رأى وارثو أولئك المشايخ ان الحكومة مصافية لهم على شرط أن يكونوا هم ايضا لها مخلصين فأنى أظن أنه لا يكون أمامنا الا قليل من المصاعب .

وأظن اننا لا نلاقى ايضا مصاعب بخصوص توريد الذرة لنا ولقد اشتريت منها بالأمس ٣ أرادب ونصف أردب أرسل لكم منها عينة . ومتى أعطيت الاهالي من ذرة الخرطوم ليزرعوها فسيكون فى المستقبل هذا النـوع هنا » .

وفى ٩ من الشهر عينه كتب ما يأتى :—

« لقد استدعيت اليوم مرة أخرى الى غوندوكورو بمناسبة وصول الباخرة بردين . وورد لى خطاب مع هذه الباخرة من القائمقام يوسف حسن بك مدير فاشودة يخبرنى فيه بأنه قبض على ارسالية تحتوى على ١٦٠٠ من العبيد و ١٩٠

بقرة قادمة من محطات « غطاس » و « كشك على » الواقعة على بحر الزراف . ولقد أوضحت فيما مضى . أنى على يقين من أن هذه الارسالية سائرة فى الطريق وتأسفت لعجزى عن القبض عليها . ويحزننى عدم الاحتفاظ بأولئك العبيد برسم مديرية الفيوم (١) .

ولقد تصرف يوسف حسن بك أحسن تصرف . ويكون من حسن حظى أن تتكرموا سعادتكم وتلتمسوا له من الجناب العالى رتبة أميرالألاى .

ومن الهام جدا بذل همة عظمى لمنع جلب الأسلحة النارية والبارود الى هذه المديريات لأنى اعتقد أن الخراب قد حل بتجارة الرقيق من جراء القبض الذى حدث حديثا على هذه الارسالية . وسوف تكون عاقبة هذا الحادث زيادة عدد العاطلين من الدناقلة . ويصبح من المحتمل ان أولئك سيذهبون أفواجا الى دارفور حيث يعرضون خدماتهم على سلطانها وفى ذلك بعض المكاره لحكومة الجناب الخديو » .

والسبب الذى جعل غوردون يقول هذا هو أنه كان عالما بالحملة التى كانت تجهز تحت قيادة اسماعيل أيوب باشا حكمدار عموم السودان والزبير رحمة الله باشا لفتح دارفور ولو توجه هؤلاء الاشخاص لسلطان ذلك الاقليم لزادوا قوته ضد قوات الحكومة المصرية .

وفى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ كتب أميرالألاى غوردون من الرجاف ما يأتى :—

(١) ـ ذكرت مديرية الفيوم هنا لمناسبة عرض غوردون على الخديو اسماعيل مشروعا مقتضاه ان العبيد الذين يقبض عليهم ويؤخذون من النخاسين بواسطة الحكومة يرسلون الى مديرية الفيوم ويقطعون اطيانا لاستغلالها .

« لقد آب بالأمس المستر كب المهندس الميكانيكي ومعه الحمالون الذين أمده بهم احمد الاطروش فلم يحتاجوا لاكثر من ١٠ ايام لقطع المسافة بين الرجاف ودوفيليه وعلى ذلك يكون طول تلك المسافة ١٣٤ ميلا انكليزيا قطعوها وهم حاملون القسم الأكبر من اجزاء الباخرة .

ولم يبد الزنوج فى اثناء الطريق أية مظاهرة عدوانية . ولكن التراجمة الدناقلة نهبوا مساكن أولئك الزنوج فقاوموهم بحكم الطبيعة وقتلوا منهم أثنين أو ثلاثة .

واستقبل شيخ الماديين Madis القافلة أحسن استقبال فى « دوفيليه » وسر سرورا كثيرا إذ رأى جنودا منظمة معسكرة على مقربة منه بدلا من الدناقلة . ويوجد فى دوفيليه كميات كبيرة من الذرة وسأقيم بها أو على الضفة المقابلة لها محطة حسنة ومتينة . هذا وقد كان المستر كب عند قدومه مريضا مرضا شديدا إلا أن حالته قد تحسنت الآن .

وربما كان من الضرورى أن نفسر لكم معنى كلمة « تراجمة » فهذه الكلمة تطلق على طائفة العبيد الذين أسرهم الدناقلة وهم حديثو السن ثم لما شبوا وكبروا زودوا ببنادق عتيقة . ويحتسب هذا الفريق من عداد خاطفيهم القدام أعنى الدناقلة .

والتراجمة بلا استثناء هم من اكبر اللصوص الذين وقعت عليهم عينى . وقد جربتهم واختبرت سلوكهم والمستر كب حدثنى عما ارتكبوه من حوادث السرقات فى الطريق . ومن الضرورى تجريدهم من السلاح أينما وجدوا لأنهم لا يدينون لأحد لا باحترام ولا بطاعة حتى ولا

لأسيادهم القدماء .

ولقـــد لاحظت انه لا يوجد دواما عمق كاف من الماء بين الرجاف وغندوكورو ولذلك قررت ان يقيم نصف حامية هـــذه الجهة الأخيرة فى جبل « لادو » Lado الواقع على بعد ٨ أميال منها شمـــالا والنصف الآخر هنا . وانى ارغب كثيرا فى سحب الجند من غندوكورو للأسباب الآتية وهى : أن مناخ هذه الجهة غير صحى بسبب الغدران التى تكتنفها . وهـــذا عدا خلوها من الاخشاب التى تستعمل وقودا للبواخر الأمر الذى يضطرنا للسير ساعتين أو ثلاثا للحصول عليه . وبالعكس لادو فان مناخها صحى وتربتها جيدة فضلا عن أنها واقعة بالقرب من غابة . وعلى الرغم من هذا يلوح أن الكل هنا أى فى غندوكورو كأنهم موثقون فيها حتى أنه ليتعذر اخراج الجنود منها للخدمة فى جهة اخرى » .

وفى ١٨ أكتوبر سنة ١٨٧٤ كتب أميرالآلاى غوردون ما يأتى بعد ما جاءته تقارير القائمقام لونج عن رحلته في أوغنـــدة ذهابا وايابا وكان لونج وقتئذ بالقرب من غندوكورو وفى طريق عودته منها وقد وصل تقريبا فى نفس الوقت الذى وصلت فيه تقاريره :—

« لى الشرف بأن أرسل الى الجناب العالى ملخص بعض تقارير وردت من القائمقام لونج الذى رجع من أوغندة وكان قد ذهب اليها مع الرسل الذين حضروا هنا بالهـــدايا المرسلة لسمو الخديو من قبل متيسا فى شهر أبريل . ومرسل اليكم ثلاثة من هذه التقارير بصورتها الأصلية .

وانى اتجاسر فألتمس من سموه أن يتفضل بالموافقـــة على ترقية هذا

الضابط الى رتبة أميرألاى إذ أنه لبث وقتا طويلا برتبـــة القائمقام . وأرى أنه قام بالمأمورية التى ألقيت على عاتقه خير قيام . وقد كتبت لـكم هـــذا المكتوب قبل أن يصل الضابط المشار اليه الى هنا حتى لا يفوتنى البريد .

ولا يوجـــد لدى الآن شىء هام اذكره منذ خطابى الأخير اللهم إلا أن أقـول لـكم انى ازداد مـــع الوقت يقينا بضرورة تطهير الناحيـة التى نحن فيها من الدناقلة وهذا ما سأفعله تدريجا مع توالى الايام كلما أتتنا جنود ليحلوا محلهم .

ولم يزل المستر كمب للآن طريح الفراش يعانى آلاما شديدة » .

وفى ١٩ من الشهر السالف الذكر كتب أميرالألاى غـوردون يخـــبر بوصول القائمقام لونج ويبين بايجـــاز ولـكن مع الايضاح ما وقع أثنـاء رحلة هذا الضابط وما تلاهـا من العواقب . أما بيان هذه الرحلة فنحيل القارىء عليه فى ملحق سنة ١٨٧٤ م الآتى بعد .

واليك القرارات التى اتخذها غوردون بعد ان تلقى التقارير الـكتابيـة وسمع البيانات الشفوية من القائمقام لونج .

لقـــد أمرت بطرد سائر الدناقلة الذين فى هـذه الانحاء والقاء القبض على أبى بـكر حال قدومـــه من قبل متيسا وايجاد نقط عسكرية فى الجهات الآتية وهى : لابوريه ، و دوفيليه ، « الابراهيمية » ، و فاتيكو ، وفويرا .

وأمرت عـلاوة على ما ذكر بارسال مفوض حاذق للملك متيسا واستبقاء كباريجا فى مركزه مؤقتا .

ويقــول القائمقام لونج الذى ساح فى بحيرة فكتوريا إن عرض هـذه البحيرة لا يجاوز عشرة أميــال . وقـد عانى هـذا الضابط مشاق كثيرة وصادف مصاعب شتى بسبب الدسائس التى دسها له الدناقـلة . ومن المدهش حقا نجاته من شر ما ألقي فى سبيـله من المكائد والأشراك . وانى لعلى يقـين بأنه سيكافأ من الجناب العالى لأن العمل الذى أداه عمل جليل » .

وعند وصول هذا الخطاب نشر الأمر العالى الآتى :—

مكتب رئيس أركان حرب

القاهرة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٨٧٤

« هجم نحـــو ٤٠٠ رجـل من اعادى سمو الخـديو على القـائمقام لونج وهـو مسافر بقرب بحيرة البرت ولم يكن لديه سوى جنـديين فصد هجماتهم المتـــواترة وشتتهم بعد أن قتل منهم ٨٢ رجلا . فنظرا لهذا الفوز البـاهر ونظرا لقيامه بالمهمة التى عهـــد اليه أمر القيام بها فى أوغنـدة خير قيام رغما عما لقيـــه من المشاق الكبيرة تفضل سمو الخـديو فرقاه من درجة قائمقـام الى درجة أميرألاى فى هيئة أركان الحرب » .

بأمر سمو الامير ناظر الجهادية
رئيس أركان الحرب العام
الامضاء « استون »

وأرسل أيضا الخطـاب الآتى الى أميرالألاى غوردون الحكمدار العام لمديريات خط الاستواء من حضرة صاحب السمو الأمـــير حسين كامل ناظر الجهـادية « الحربية » فى ذلك الحين :—

القاهرة فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤

نظارة الجهادية   مكتب الناظر

ياحضرة الميرالاى

أراد سمو الخديو ان يقدم برهانا لحضرة القائمقام لونج عن رضاه نظرا لحسن سلوكه واقدامه وثباته فى الممعتين اللتين لقيهما فى « مرولى » بالقرب من خط الاستواء فأنعم عليه برتبة أميرألاى وقلده النيشان المجيدى .

وتجدون مع هذا براءة الرتبة فأرجوكم تسليمها لأميرالألاى لونج بك وتقدموا له من قبلى التهانى .

وتقبل ياحضرة الميرالاى أحسن عواطف الود ؟

الامضاء   « حسين »

* * *

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ان أورطة كانت تعمل مع صاحب العزة موزنجر بك قد صدرت لها الأوامر بالقيام بالخدمة فى مديرية خط الاستواء تحت إمرة أميرالألاى غوردون . وهذه الأورطة مضى على وجودها فى الخرطوم مدة فأرسل غوردون أميرالألاى لونج ليمد المدات لاستحضارها الى لادو لتشتغل بأعمال أخرى تخص مديريات خط الاستواء .

وفى ٢٩ أكتوبر بارح لونج غندوكورو لتأدية هذه المهمة فوصل الى الخرطوم فى ٩ نوفمبر . وبعد أن أقام شهرا فى هذه المدينة رجع الى

لادو قبيل آخر العام ليتولى قيادة القوة التى تقرر تخصيصها لضم بلد المكركة مكراكا « نيام نيام » .

وفى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٤ وصل الى معسكر أميرالألاي غوردون العام الملازمان « وطسون » Watson (١) و « شيبندال » Chippendall من رجال الهندسة فى الجيش البريطانى وعرضا خدمتها عليه . وهذان الضابطان استقالا مؤقتا من هيئة الهندسة الملكية وتعينا فى الخدمة تحت إمرة غوردون فى الجيش المصرى .

وفى ٢١ من الشهر السالف الذكر كتب الحكمدار العام من غندوكورو ما يأتى :—

« أتشرف بأن احيطكم علما ولتعلموا بذلك الجناب العالى ان الملازمين وطسون و شيبندال وصلا الى هنا فى ١٧ نوفمبر . وانى أرى نفسى عاجزا عن الاعراب عما يخالج فؤادى من الارتياح والشكر لصاحب السمو نظرا لما أسداه لى من المعونة بارسال هذين الضابطين .

فان على عاتقى اشغالا كثيرة تدعو الى وجودى هنا وفى جهة الشمال حتى انه ليتعذر على بدون ان يكون لى معين ان اتقدم نحو الجنوب فى اتجاه البحيرة لأقوم ببعض الاستكشافات على مسافات بعيدة .

فوجـــــود هذين الضابطين اللذين نالا من العلوم قسطا وافرا يفسح أمامى المجال ويترك لى مندوحة اتفرغ فيها للعناية بالأمور الخاصة بوظيفتى أعنى ترتيب

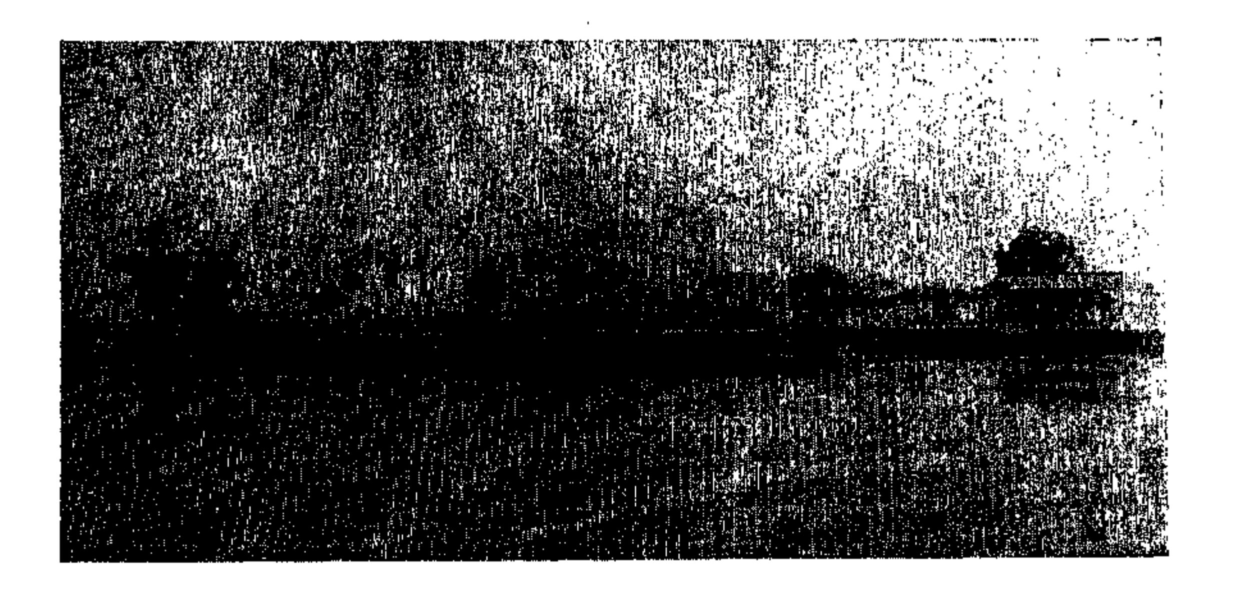
(١) — كان أحد الضباط الذين عينتهم الحكومة المصرية فى الجيش الجديد الذى ألف بعد الثورة العرابيـة وكان فيه برتبة اللواء .

وادارة أعمال المديريات .

ولقــــد استقررنا الآن تقريبا فى الرجاف وفى لادو ولم يبق هنا فى غندوكورو سوى حامية صغيرة . وان لادو احسن كثيرا من الوجهـــة الصحية ومتوافر فيها اشياء لا وجود لها فى غندوكورو ففيها اخشاب كثيرة لوقود البواخر . ومازال رؤساء الأهالى يحضرون الينا عاجهم وهذا شىء لم يكن معهودا فى الزمن السالف .

وانى أرى نفسى سعيدا بأحاطتكم بأنى وطدت العلائق الحسنة مع قبائل « لوقير » Locqui r فاذا حالفنى النجاح فى هـــذا السبيل اختصر الطريق بين غندوكورو و لاتوكا Latouka وأصبح الراحل يقطعه فى ٤ أيام بدلا من عشرة كما هو الحال الآن إذ من الضرورى أن يرسم المسافر برا فى طريقه منحنيا كبيرا ابتغاء اجتناب جر عداوة تلك القبائل وانى كثير الرغبة فى عقد وفاق مع أولئك القوم والغرض من ذلك شق طريق يذهب من بلدة لاتوكا وينتهى عند نهر سوباط . ولا ينبغى أن يجاوز طـــول هـذا الطريـق سفر أكثر من ٦ أيام . ويجب أن يمـــر الخط التلغرافى المزمع أنشاؤه من هذه السكة .

وانى الآن أجهز حمــــلات للجنوب وتخامرنى الآمال بأن تلك الحملات تكون على قـــدم الاستعداد للرحيل فى القريب العاجل . وسأرسل احد المراكب الحـــديدية الى فويرا للقيام بالخدمة بين هذه القرية و « أوروندوجانى » Urondogani وهـذا الطريق اختبرها أميرالألاى لونج فوجدها صالحة للملاحة . وأوروندوجانى على مسافة لا تجاوز مسيرة ٣ أيام من سراى متيسا الذى سأوجه اليه الجواب والهـــدايا التى أرسلها برسمه



محطة « لادو Lado » العسكرية عاصمة مديرية خط الاستواء

جناب الخديو . وسأعجل بارسال العالم الدينى مع المركب فيصل قبل الجواب والهدايا .

وانى لم أشأ ان أرسله قبل الآن إذ ينبغى ان يصل عند متيسا بحالة أفضل من حالة من سبقه من زوار متيسا - أعنى الحالة المزرية التى وصل بها سبيك وغرانت وأميرالألاى لونج .

ولقد كلفت المستر أرنست لينان Ernest Linant (١) بهذه المهمة . وارنست هذا انضم الى وموكول له القيام بخدمتى الخاصة وهو شاب مثقف ثقافة حسنة بديع الاسلوب . وبما أنه يتكلم اللغة العربية فلذلك يفضل على من سواه فى هذه المهمة .

وسأرسل المركب الحديد الثانى « والمركب الذى تكرم صاحب السمو الخديو بتعيينه إذا أتى فى الوقت اللازم » الى الابراهيمية « دوفيليه » ويقوم بخاطرى أنى قبل زمن طويل سأكون فى حالة تمكننى من ان ارسل تلغرافا للجناب العالى أخبره به أن المراكب أقلعت قاصدة البحيرات . وانى فى غير حاجة لكثير من الجنود كما بعثت لكم بذلك تلغرافيا — واذا أحسنت العساكر مسلكهم فأننا لانخشى أمرا من جانب الزنوج » .

وانى أنعى لكم مع الاسف البكباشى كامبل بالخرطوم . وعلى ذلك لم يبق لدى من كبار الضباط غير أميرالألاى لونج . لذلك التمس من سمو الجناب العالى ان يتكرم بالسماح لى بابقائه لدى حتى ولو بضعة شهور . وان

---

(١) — هو شقيق أوجست لينان ونجل لينان باشا المهندس الفرنسى المشهور الذى ذكرناه آنفا .

هذا الضابط خدمنى خدمات جليلة » .

وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ أرسل الى القاهرة تقارير خاصة بملاحظات علمية لاحظها الملازمان وطسون و شيبندال لغاية هـذا التاريخ بشأن مرور كوكب الزهرة . وفى الخطاب الذى أرسله مع هذه التقارير كتب يقول :—

« ان المستر كمب ما زال مريضا . ومن جراء ذلك حدث بعض التأخير فى تركيب الباخرة إذ أن كمب هذا هو المهندس إلا انه سيكون لدى قريبا المراكب الحديدية متأهبة للقيام بالخدمة .

وعندى الآن كمية وافرة من العاج وأملى وطيد أن اتمكن من دفع كل نفقات الادارة فى المديريات وأن يبقى فوق ذلك لدينا شىء من المال زائدا » .

وكتب فى حاشية هذا المكتوب يقول : ان « لاركو » وهو من الرؤساء المحليين ما برح يشن الغارات على القبائل الخاضعة للحكومة فلذلك ألقيت القبض عليه وأرسلته الى الخرطوم . وان هذا العمل كما يلوح أحدث تأثيرا حسنا فى القبائل المجاورة ونال ارتياحا عاما .

وفى هذا الحين كان فى استطاعة أميرالاى غوردون ان يحرر بيانا بترتيبات مراكز الحكومة الواقعة على طول الخط الجنوبى النازل من الحدود الشمالية لغاية نيل فكتوريا .

واليك بيان المحطات الهامة .

١ — محطة نهر سوباط واقعة عند ملتقى نهر سوباط بالنيل . وعدد

حاميتها ٥٠ جنديا سودانيا نظاميا .

٢ — محطة نصر موقعها على نهر سوباط وعدد حاميتها ١٠٠ جندى من الدناقلة غير النظاميين .

٣ — محطة شمى و عدد حاميتها ٣٠ جنديا سودانيا نظاميا و ١٥٠ من الدناقلة غير النظاميين .

٤ — محطة مكراكا واقعة فى بلاد المكراكا « نيام نيام » وعددها ٢٠ جنديا سودانيا نظاميا و ٢٠٠ من الدناقلة .

٥ — محطة بور وعدد حاميتها ١٠ جنود سودانية نظامية و ١٥٠ من الدناقلة .

٦ — محطة لاتوكا وعدد حاميتها ١٠ جنود سودانية نظامية و ١٥٠ من الدناقلة .

٧ — محطة لادو « وهى المعسكر العام » وبها ١٨٠ جنديا سودانيا نظاميا و ٥٠ جنديا مصريا نظاميا .

٨ — محطة الرجاف وبها ٨٠ جنديا سودانيا نظاميا .

٩ — محطة الابراهيمية « دوفيليه » وبها ١٠٠ جندى من السودانيين النظاميين .

١٠ — محطة فاتيكو وبها ٢٥٠ جنديا سودانيا نظاميا و ١٠٠ من الدناقلة .

١١ — محطة فويرا وبهـا ١٠٠ من السودانيين النظاميين و ١٠٠ من الدناقلة .

ووضعت الجيوش النظاميـة كلها تحت قيادة ضباطها انفسهم وبهذه الكيفية تمكن هؤلاء بواسطة ما اكتسبوه من خبرة بأحوال البلاد وعادات قاطنيها ان يكبحوا جماح الدناقلة وان يحولوا دون تصرفاتهم القديمة مع الأهالى . والفضل فى ذلك عائد الى وجـود الضباط فى النقط النظامية التى أسستها الحكومة فشعر الناس للمرة الأولى ان النظام قد استتب وشرع فى تنفيذ منطوق القوانين فى افريقية الوسطى .

ويعتبر خطاب غوردون الآنف الذكر خاتمة سلسلة التقارير الخاصة بعام ١٨٧٤ م .

النتائج التى أفضى اليها تولى غوردون حكم هذه الجهات

اننا اذا القينا نظرة على ما سبق وفكرنا فيما كانت عليه الحـالة عند قدوم أميرالألاى غوردون الى هذه النواحى أعنى قبـل ٩ أشهر ارتحنا للنتائج التى حصلنا عليها فى هذه المدة الوجيزة بل حق لنا ان نعجب وندهش .

واليك هذه النتائج :—

١ — رسم خريطة النيـل الأبيض من الخرطوم الى الرجاف رسما مضبوطا ضبطا تاما .

٢ — إصابة النخاسة فى النيل الأبيض بضربة قاتلة وهى ضربة لم يسبق لها نظير حتى أضحت هـذه التجارة شديدة الخطر على من يزاولها للدرجة القصوى ولا فائدة ترجى من ورائها اللهم إلا فائدة تافهـة إذا صادفها

حسن الحظ حتى ان أى تاجر عــاقل مهما نزعت به شهواته الى ممارسة هذه التجارة لا يخاطر بنفسه فى هــذا السبيل طالما كان غوردون أو رجل آخر من عجينته مكلفا هناك بتنفيذ أوامر الجناب العالى بدقة تلك الأوامر التى تقضى بمنع النخاسة والغائها .

٣ — سيادة السلام وتوطــد الأمن وحلول الثقة بين الأهــالى حوالى غندوكورو حتى أن القبائل التى كانت تناصب الحكومة أشد العداوة والبغضاء ولا تأمن الحكومة جانبها كلية منذ ٩ أشهر لا أكثر فــكانت تضطر ان تلجأ الى الخرطوم لتحصل على المؤن للجيش أو تشن الغارات على القبائل ، أصبحت الآن ترتع فى بحبــوحة من السلم والأمن جميعها فلا تناوىء احداها الأخرى ولا تناصب الحكومة أية عـداوة وصارت تأتى طائفة مختارة لتبيع فى النقط ثيرانها وذرتها وعاجها .

٤ — الشروع بجد ونشاط فى شق طريق بين غندوكورو والبحيرات الكبرى للملاحة والمضى فى ذلك بخطوات واسعة .

٥ — فتح باب المواصلات مع متيسا وهـو ذلك الرئيس القوى المسيطر على بلاد أوغندة الواقعة على ضفاف بحيرة فكتوريا ولم يعد بعد هذا شك فى الاتصال المباشر بين المجرى الآخذ من هذه البحيرة عند مساقط ريبون والمجرى الذى يصب فى بحيرة البرت قرب ماجونجو إذ تحقق اتصالها ببعضها .

٦ — تشييد مراكز للحكومة فى هذه الجهات وتنظيم أعمال هــذه المراكز من أقصى حدود المديريات الشمالية الى فويرا جنوبا وترتيب المواصلات بين النقط البعيدة والمحطة الرئيسية بطريقة مأمونة .

٧ — تجهيز الحملات الجديدة المعدة للترتيب والاستكشاف للشروع فى اعمالها عند ما تهل السنة الجديدة .

هذه هى أعمال تسعة أشهر وقد حازت ارتياح صاحب السمو الخديو الذى تعطف وأنعم على أميرالألاى غوردون برتبة فريق وأرسل له الوسام العثمانى .



شالیــــه لونج بك

١ — ملحق سنة ١٨٧٤ م

مأمورية القائمقام شاليه لونج فى اقليم أوغندة

من ٢٤ فبراير الى ١٦ أكتوبر

كلف الخديو اسماعيل القائمقام شاليه لونج كما نوهنا بذلك سابقا أن يقوم بمأمورية فى أوغندة . وكانت هذه المأمورية سياسية أكثر منها عسكرية والغرض الحقيقى منها تمهيد السبيل إما لضم هذا الاقليم الى الديار المصرية أو وضعه تحت حماية هذه الديار . فنى ٢٠ أبريل سافر أميرالألاى غوردون الى الخرطوم وألقى على عاتق شاليه لونج عهدة توصيل الهدايا الى متيسا وارتياد ذلك الاقليم فى آن واحد .

وكان قد وصل الى فويرا رسول من قبل متيسا يسمى أبا بكر يحمل هدايا برسم الخديو وخطابا من الملك المذكور الى سير صمويل بيكر . وكان الفصل مع ذلك غير موافق نظرا لاقتراب زمن الامطار إلا أنه لاح لشاليه لونج أن الفرصة مناسبة إذ تمكنه من الاستفادة من مرافقة أبى بكر هذا عند أوبته الى أوغندة .

وبعد أن تزود لونج بتعليمات الحكمدار العام غوردون طلب من رءوف بك قائد حامية غندوكورو أن يعطيه حرسا . وبما ان الحالة تتطلب العمل باحتراس حتى لا تتطرق الريب والظنون الى نفس متيسا تقرر أن لا يزود إلا بحرس قليل عداده وان يكون هذا الحرس مؤلفا من جنديين فقط حتى لا يشم منه رائحة حملة عسكرية ووقع الاختيار على اثنين احدهما يسمى سعيد

بقاره والثانى عبد الرحمن النوراوى وهما سودانيان قاتلا فى حرب المكسيك تحت قيادة المارشال « بازين » Bazaine فى الاورطة السودانية التى أرسلتها مصر لمساعدة فرنسا فى الحرب المذكورة . أما أعضاء حاشيته فهم : ابراهيم افندى وأصله من المصريين المنفيين بصفة مترجم . وكلرمان Kellermann وهو من بلاد الألزاس اصطفاه غوردون من الخرطوم ليكون فراشا . وآدم وهذا اتخذه شاليه لونج من القاهرة ليكون طاهيا له . ثم سليم وهو رجل من بلاد الزنزبار اختاره لونج من بين عساكر فاتيكو لألمامه بكلام أهالى أوغندة إذ أنه أقام بها زمنا .

وانتهز شاليه لونج فرصة إياب كتيبة عسكرية من غندوكورو الى فاتيكو مؤلفة من اثنين ملازمين ومن ٦٠ جنديا ومن سليمان ، وهو رجل من الدناقلة وقائد فرقة من العساكر غير النظامية ، و ٣٠٠ حمال فسافر معها الى هذه المحطة .

وقد سافر هذا الجمع فى ٢٤ أبريل وشيعهم رءوف بك مسافة ساعتين ثم ودعهم وعاد أدراجه بعد أن تمنى لهم سفرا سعيدا . وبعد ان اجتازوا مجرى السيل الذى ودعهم رءوف بك عنده استمروا فى السير الى الساعة الثالثة والنصف مساء حيث شعروا بقرب هبوب اعصار فحطوا رحالهم . وقد ابتدأت العاصفة فى الساعة الرابعة واستمرت باقى اليوم وهزيعا من الليل فجرت عليهم بعض المكاره . وكانت الناحية التى اجتازوها فى ذلك اليوم تموج بالمنخفضات والمرتفعات والتلال وتقطعها مجارى سيول عسيرة العبور .

ثم عاودوا السير فى اليوم التالى « ٢٥ منه » عند الساعة السادسة



الى اليمين سعيد بقاره وبجانبه عبد الرحمن الفوراوى

والنصف وأخذ منظر الجهة يتحسن وسطحها يأخذ فى الارتفاع شيئا فشيئا نحو الجنوب بكيفية ظاهرة . وعند الظهر عبرت القافلة خور الرملة وهو خور عمقه متر واحد ثم نزلت فى الساعة الثالثة فى قرية مهجورة .

وفى ٢٦ أبريل انطلقوا فى السير فى الساعة السادسة والنصف وزاد فى نظرهم منظر البلاد حسنا وأضحى جديرا بريشة المصور وهذه الجهة تسمى بلاد ناشو Belad Nashou وأبدى شيخ الناحية روح المحبة غير ان الأهالى تعلقوا بأذيال الفرار وذلك بسبب ما عانوه من غارات الدناقلة فيما مضى .

وفى ٢٧ منه ارتحل المعسكر فى الساعة السادسة . وأصيب الملازم الذى يقود الكتيبة بمرض فأعطاه شاليه لونج شيئا من العقاقير وعسكرت القافلة تحت هطل الامطار .

وفى ٢٨ منه شرعت فى السير فى الساعة السادسة . وبعد مسير أربع ساعات تركت بلد البارين لتمعن فى بلد الموجى . وفى الساعة الرابعة بعد الظهر بلغ مقدمة الكتيبة وجود جموع محتشدة من الأهالى وأن هذه الجموع تتظاهر بالعداوة . وكان قد قتل فى هذا المكان منذ عام ملازم وثلاثون جنديا بيد هؤلاء الأهالى .

وما كاد المعسكر يأخذ أهبته والحراس يستعدون حتى أتى الى شاليه لونج خبر ذبح ثلاثة من الحمالين كانوا قد جاوزوا حدود المعسكر مخالفين بذلك أوامره . فخرج فى ٢٠ جنديا إلا أن الأهالى تشتتوا أيدى سبا بعد بضع طلقات من البنادق . وبعد البحث عن جثث القتلى لم يعثر عليها ومع ذلك فقد قام الأهالى بضجة مزعجة رهيبة حول

المعسكر فاضطر الجنـــود أن يظلوا طول الليل متأهبين بسلاحهم مستعدين للقتال .

وفى ٢٩ أبريل سافروا فى الساعة السادسة . وقد أتعب رجال الموجى الكتيبة بالهجوم على جناحها اليسار وساقها غير ان شاليه لونج أمر الجند بعدم اطـــلاق النيران معتبرا الغاية المقصودة نشر السلم لا المحاربة .

وفى ٣٠ منه رفع المعسكر وكانت الأهالى مازالت تتبع الجنود ومشت الكتيبة فى أرض تكسوها الأشجار والحشائش العاليـــة مدة ثلاث ساعات وعنـــد الظهر وصلت الى « لابوريه » وهى مسقط رأس بعض الحمالين فقدم ذووهم للتسليم عليهم وسلم والد أحـــد أولئك الحمالين على ولده بأن أمسك برأسه بين يديه وبصق على جبينه .

وفى أول مايو بدأت تسير فى الساعة السابعة . وكان في عهـــدة سليمان سجين من أهالى تونس تسلمه من غندوكورو ولما رآه وقـــع فى مرض تركه فى عهدة الشيخ « وانى » Wani وكان هذا وكيلا للعاج فى هذا المركز .

وفى ٢ مايو همت للرحيـــل عند الساعة السادسة وكان الطريق كثير المنحنيات والمنعرجات يمر بين ادغال وغدران . وفى الساعة الواحـــدة بلغت القافلة نهر أسوا Asua وقد عبرته وعمقه متر واحد . وقال سليمان انه بعد بضعة اسابيع يتعذر اجتياز هذا النهر خوضا على الاقدام بسبب هطل الامطار وقد عسكرت الكتيبة فى الساعة الثالثة .

وفى ٣ مايو هبت تسير فى الساعة الخامسة وبعـــد مسير ثلاث ساعات

وصلوا الى « أبودو » Appudo وهنا انفصل سليمان بجيشه غير النظامى عن الكتيبة وولى وجهه شطر فابو Fabbo و فالورو Faloro .

وفى ٤ مايو شرعت الكتيبة تسير فى الساعة السادسة . وكان منظر الناحية أشبه الاشياء بمنظرها فى العشية . وكان السير بين الادغال والحشائش العالية صعبا عسيرا . وعند الساعة الواحدة والنصف عسكرت .

وفى ٥ مايو مات أثناء المسير اثنان من الحمالين المرافقين للكتيبة وبعض الذين كانوا عائدين الى أوغندة . وكانت أهالى فاتيكو أكثر الزنوج أمانة واخلاصا . وعسكرت الكتيبة فى الساعة الثانية فى ظل جبل « شوا » . وفى ٦ منه عند الساعة السادسة والنصف همت بالرحيل وبلغت فاتيكو فى الساعة الحادية عشرة والنصف .

وقابل أهالى هذه القرية مواطنيهم وهم واقفون على الصخور بالترحاب والحماسة . واستقبلت الحامية المؤلفة من ٢٠٠ جندى سودانى شاليه لونج على باب الحصن وأدت له رسميا واجبات التعظيم وحيته الضباط والجنود أحسن تحية . وكان كثير من أولئك الجنود يحمل الأوسمة والشارات العسكرية التى أنعم عليهم بها جزاء خدمتهم فى حرب المكسيك .

وكان القائد لهذه الحامية الصاغقول اغاسى عبد الله افندى الدنساوى وهو من الجنود الذين حاربوا فى المكسيك وكان يحمل شارة « اللاجيون دونور » التى نالها عند مروره من باريس هو وآخرون غيره من الضباط حال عودتهم من الحرب المذكورة . وكانت هيئة ونظام أولئك الجنود على ما ينبغى وبالغين حد الكمال . وفى فاتيكو هذه انضم

سليم الى حاشية شاليه لونج .

وفى ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ مايو لبث شاليه لونج ومن معه ممن يتألف منهم وفده الى متيسا مقيمين فى فاتيكو للاستراحة من وعثاء السفر وليستردوا قواهم ويستتموا معداتهم فى رحلتهم الخصوصية الى أوغندة . وفي ١٢ منه سافر هذا الوفد عند الساعة الثامنة ورافقه واد الملك لغاية فورا مع بعض جنود فاتيكو .

وفى ١٣ و ١٤ و ١٥ منه سار فى جوف بلد غير مأهول به كثير من المستنقعات . وفي ١٦ منه واصل سيره عند الساعة السابعة وفى الساعة الثانية مساء بلغ نيل فكتوريا تجاه فورا . وكان اتساع هذا النهر فى الموضع الذى ينبغي عبوره للوصول الى هذه المحطة زهاء ١٠٠ متر .

وقد قامت مصاعب فى سبيل نقل حصان شاليه لونج إذ لا يوجد هناك لعبور النهر سوى شبه زوارق وهى عبارة عن جذوع أشجار يحفر الجزع منها حتى يكون له جوف مثل الزورق ثم يرققون مقدمه ومؤخره ويستعملونه للنقل والملاحة وأخيرا أدتهم الحالة الى تغطية عينيه ونزوله فى احد هذه الزوارق ووصوله الى الشاطىء المقابل سليما .

واستقبل شاليه لونج عند بلوغه محطة فورا بنفس الحفاوة والتعظيم اللذين قوبل بهما فى فاتيكو من الحامية المؤلفة من ١٥٠ جنديا سودانيا نظاميا و ٦٠ من الدناقلة غير النظاميين . وجميع هذه الجنود تحت إمرة الصاغقول اغاسى بابا توكا افندى الذى كان يحمل شارة « اللاجيون دونور »



محطة فويرا ويرى أمامها فى الطوف « المعدية » شاليه لونج وجواده

هو وآخرون غيره من الضباط تلك الشارة التى حازوها لاشتراكهم فى حرب المكسيك . وكان يحمل كذلك كثير من العساكر نياشين عسكرية أخرى . وكان المسكر مثالا فى النظام والنظافة .

وقدم ريونجا الذى كان فيما سلف ملكا ليزور شاليه لونج . وهذا الملك خلعه من مرولى مقامه قديما ملك أونيورو المدعو كرازى . وبعد وفاة كرازى استمر ولده وخليفته كباريجا يقاتل ريونجا حتى اضطره أن يأتى ويضع نفسه تحت حماية حامية فويرا وان يتخذ له مسكنا فى جزيرة تبعد زهاء ١٥ كيلومترا من هذه المحطة .

وقضى الوفد أيام ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ مايو بمحطة فويرا وفى ٢٥ منه تحرك فى الساعة التاسعة واتخذ طريقه فى السفر ورافقه الصاغقول أغاسى لغاية كسمبواس Kissembois وهو محل اقامة ريونجا الذى أكرم وفادتهم واستقبلهم أحسن استقبال . وقد قضى عنده شاليه لونج ومن معه يومى ٢٦ و ٢٧ من الشهر المذكور .

وفى ٢٨ منه امتنع حمالو أبى بكر عن السفر وبعد مناضلة ساعة من الزمان أجبرهم شاليه لونج على متابعة السير ومشى معه الصاغقول أغاسى وريونجا بعض مسافات ثم استأذنا منه ورجعا من حيث أتيا . فأصبح شاليه وحيدا منفردا مع جنوده الثلاثة ورفاقه الآخرين وكان الطريق مارة بين غابات وأشجار موز والبلد سطحه مستو مبسوط .

وفى ٢٩ منه قدم الحمالون مرة أخرى أعذارا بقصد اعفائهم من متابعة السير واضطر شاليه الى الخضوع لأجابة هذا الطلب . ولاحظ أن

حمالى أوغندة يعدون فى مقدمة كسالى العالم بأسره وينبغى أن يكون هو ومن معه بمعزل عنهم وان استخدام الجنود والبغال لنقل الأمتعة خير من استخدامهم .

وفى ٣٠ مايو أمطرت السماء فكان الطريق أشبه بالمستنقعات . وبعد مسير سبع ساعات ونصف ساعة حط الوفد رحاله وأخذ يبحث عن ماء للشرب فلم يجد إلا ماء آسنا . وفى ٣١ من الشهر المذكور أخذ فى السير وعند الظهر مر بجهة مرولى .

وفى ١ و ٢ و ٣ و ٤ يونيه أكرهوا على الوقوف والاقامة لأنهم أصيبوا بالحمى ومن بينهم شاليه لونج . وعند ما علم متيسا بقدمهم أرسل يستحث أبا بكر على المجيء بسرعة .

وفى ٥ منه تابع الوفد سيره غير أنه بعد مسيرة ساعتين طلب من شاليه لونج جميع رفاقه أن يحطوا رحالهم فأجابهم الى مطلبهم إذ أن ابراهيم افندى لم يزل مريضا هو وكلرمان وآدم واضطر شاليه لونج ان يجهز طعامه بنفسه .

وفى ٦ منه ساروا خمس ساعات تحت أمطار منهمرة مدرارة . وفى ٧ منه أخذوا طريقهم عند الساعة السابعة وعند الساعة العاشرة صباحا وقفوا بسبب هطل الامطار التى حولت سطح الأرض الى مستنقعات حتى كانت حوافر الحصان تنزلق فى كل خطوة .

وفى ٨ منه سافروا فى الساعة الثامنة وواصلوا السير لغاية الساعة الثانية مساء . وكانت أهالى البلاد كلما دنوا منهم فروا من وجوهم تاركين

أكواخهم . وكانت هذه البلاد أكثر عمارية بالسكان ويستدل من ذلك أن الوفد أضحى على مقربة من أوغندة والأرض التى كان يسلكها أرض محايدة بين هذه البلاد وبلاد أونيورو .

وفى ٩ يونيه حمل متاعه عند الساعة السابعة وواصل السير لغاية الساعة الحادية عشرة صباحا . وكان عندئذ فى أرض أوغندة . وأغار الشيخ موراكو Morako على قرية مأهولة بتوابعه ورجع رجوع الظافر ومعه ٣ عنزات و ٣ خراف و ٣ كلاب و ٣ نساء . وقد علم شاليه لونج من هذا الشيخ ومن سليم أن متيسا صرح للمتونجوليين Mtongolis أى المشايخ بهذا تميزا لهم .

وكلما أمعن المرء فى جوف أوغندة ازدادت مناظر بلادها بهاء وحسنا وبعد أن كان يرى فى الاقطار الأخرى المستنقعات الموبوءة التى كانت تعترض سيره يرى الآن طرقا رحيبة ممتدة بشكل حلزونى تصل به الى قمم تلال عالية خلعت عليها الطبيعة حللها السندسية .

وفى ١٠ منه لم يتحرك الوفد من مكانه . وفى ١١ منه أتى اليه « كاهوتاه » Kahotah أعنى شيخا كبيرا من قبل متيسا مزودا بأمر منه أن يحمل الى شاليه لونج أبقارا وبطاطس وموزا . فقدم كاهوتاه هذا ومعه حاشية كبيرة رافعة الاعلام وتتقدمها الموسيقا وعسكر قرب شاليه لونج وأرسل يقول له إنه مستعد لمقابلته . ورأى شاليه لونج أنه إذا لبى طلبه لكان ذلك بمثابة اعتراف منه بأن ذلك القادم أرفع منه مرتبة فقرر ألا يجيب هذا الطلب وقال للمرسلين إنه أتى ليزور متيسا فقط وكلفهم أن يقولوا ذلك لمن أرسلهم . وقد حسم هذا الجواب هذه المسألة فأرسل الكاهوتاه يقول إنه على

قدم الاستعداد لزيارته .

وفى ١٢ يونيه لبث شاليه لونج فى مكانه منتظرا قدوم الكاهوتاه وفعلا أتى هذا وزاره وقال ان متيسا أعد له دارا وأقام له أفراحا كثيرة .

وفى ١٣ منه قامت أدلة على رياء ابراهيم افندى الترجمان وخيانته فألقى القبض عليه وقرر أن يظل فى زريبة موراكو Morako الى ان يتمكن من ارساله الى فويرا . وفى ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ منه لم يتحرك الوفد من مكانه إذ ان جميع افراده كانوا مصابين بالحمى .

وفى ١٨ منه انطلق فى المسير عند الساعة السابعة . وقدمت رسل من قبل متيسا لحث الوفد على سرعة القدوم لأن متيسا كان شديد الرغبة لأن يرى الرجل الأبيض أى شاليه لونج . وفى الساعة العاشرة والنصف وصل الوفد الى طريق واسع عرضه ٢٥ مترا وهذا الطريق غاية فى النظافة يوصل الى قمة تل مشرف على منظر شيق فاخر ممتد اتجاه بحيرة فكتوريا نيانزا . ولما كان المطر قد أخذ يتهاطل حط الوفد رحاله فى الساعة الحادية عشرة .

وفى ١٩ منه سافر فى الساعة السابعة . وكانت الارض التى يجتازها كثيرة المرتفعات والمنخفضات والطرق لا بأس بها . وفى الساعة التاسعة بلغ ذروة تل تطل على النواحى التى حوله وهى نواح يأخذ منظرها بالألباب لعظم جماله وبهائه . وقد أقام الوفد فى هذه الجهة عند منتصف النهار .

وفى ٢٠ منه سار فى الساعة السابعة وكان منزرعا على حافتى الطريق



قصر متيسا ملك أوغنده ويرى أميرالألاى شاليه لونج بك وهو متوجه لزيارته
فى يوم ٢٠ يونيه سنة ١٨٧٤

مـــوز فيخرج منه جموع كبيرة من الخلق رجالا ونساء وأولادا ليمتعوا أنظارهم بالرجل الأبيض والحصان ذلك الحيوان الذى لم يسبق لهم رؤية نظيره . واستقبلتهم فى أسفل الجبل شرذمة مؤلفة من ٢٠٠٠ رجل متشحين بأغرب الملابس وكونوا حرسا خلف شاليه لونج وأعضاء الوفد . أما الكاهوتاه فكان يمشى الى الامام يتقدمه علم أوغندة منشورا .

وبهذه الكيفية كان الوفد فى المقدمة . وأخذ أعضاء الحرس يقفزون ويثبون ويطلقون الأعـــيرة النارية الى أن بلغوا ذروة تل حيث يوجد قصر أم الملك وهناك وقف الجمع وتلقى شاليه منها التحيات وقابلها بمثلها .

واستمروا فى السير وبعـــد ساعة تقريبا وصلوا الى قمة تل آخر يرى منها على بعـــد مسافة ٥٠٠ متر تل آخر وعلى هذا التل أقام متيسا قصره . وقدم رسل من قبل هـــذا الملك وارتموا على أقدام شاليه لونج ورحبوا به نيابة عن ملكهم ورجوه ان يأتى ويطلع الملك على الحصان الذى يركبه فأخذ يجرى بحصانه فى اتجاه القصر إلا أنه لما رأى أن ذلك يرهب الملك ويرهب الجمع المحتشد حوله عدل عن ذلك وآب الى رفاقه .

ورافقه بعـــد ذلك المتونجوليون Mtongolis الى الدار التى أعدت له وأرسل له الملك هدايا . وقد قطع المسافة من غندوكورو الى هـــذا الموضع فى ٥٩ يوما .

وفى الغد « ٢١ يونيه » أتى رسول من قبل متيسا ليصحب شاليه لونج الى القصر . وكان العلم المصرى يرفرف فوق داره فلبس شاليه كسوة التشريفة الكبرى وانطلق هو وأبو بكر والجنديان سعيد وعبد الرحمان وسليم الى

القصر وهو على مرتفع . وإن هو إلا قليل حتى بلغه واجتاز سبعة أبواب ثم وقف وترجل فأدخل فى التو والساعة عند الملك فسلم عليه واقفا وأجلسه بجانبه بعد أن جلس هو . والظاهر أنه لم يحظ أحد قبل الآن بمثل هذا الشرف .

ومتيسا هذا رجل ناهز الخامسة والثلاثين من العمر طويل النجاد يلبس الملابس العربية التى يرتديها علية العرب ويتقلد حساما تركيا محلى بالذهب أهداه اليه سلطان زنزبار .

وقد وجه شاليه لونج كلامه الى الملك قائلا إنه قدم باذن باشا غندوكورو من قبل سلطان مصر الاعظم ليسلم على ملك افريقية العظيم وليعرب عما يكن له فى قلبه من خالص الود فقوبل هذا الخطاب بصيحات الفرح من جميع الحاضرين قائلين : كورنجى !! كورنجى !! ومعنى ذلك : حسنا !! حسنا !! والمتونجوليون خروا ركعا وجثيا مشتبكى الأيدى صارخين : يانزج !! يانزج !! أعنى يشكرون متيسا لأنه أحضر لهم أميرا بلغ نهاية العظم ويعنون بهذا الأمير شاليه لونج .

الى هنا كان المنظر يكاد يكون هزليا ولكن سرعان ما تبدل بمنظر آخر مروع ورهيب لدرجة لا نظير لها . ذلك انهم أحضروا ٣٠ رجلا مكبلين بالأحبال وفصلوا رؤوسهم من أجسامهم احتفاء بقدوم الرجل الأبيض . ومع أن هذا المنظر بلغ فى شناعته مبلغا يستفز القلوب الصخرية فان شاليه رأى نفسه مكرها على كبح جماح مشاعره وان ليس أمامه إلا ان يتظاهر بأنه غير مبال بما رأى إذ أنه لو صدرت اى إشارة يلوح من خلالها الاشمئزاز لعرض ذاته للسخرية وأضاع نفوذه .

وانتهى الاستقبال عند هذا الحد فنهض شاليه لونج وهم بالانصراف إلا ان متيسا ألح عليه طالبا منه ان يريه نساءه اللواتى يبلغ عددهن مائة فصحبه الى داخل القصر وأحاط به أولئك النسوة وأخذن فى فحص كسوته وزخارفها الذهبية . وبعد هذا أطلعه على جميع غرف وقاعات القصر وكانت نساؤه يتبعنه اثناء ذلك . وعند ما تم هذا استأذن من متيسا وانصرف الى داره .

وقد وقع الاختيار على يوم ٢٢ يونيه لتقديم الهدايا . وأتى رسول من قبل متيسا عند الساعة الثامنة صباحا ليخبر شاليه لونج بأن الملك منتظر قدومه بفارغ الصبر فامتطى الجواد بعد أن لبس كسوة التشريفة الكبرى ومشى وخلفه حاشيته الى القصر .

وأخذ أبو بكر على عاتقه حمل الهدايا بصفته رئيس تشريفات الملك . وعند ما وصل شاليه الى القصر قابله الملك فى الحال وهو واقف وأجلسه على الكرسى الذى قعد عليه بالأمس . واستحضرت الصناديق التى بداخلها الهدايا . وأمر أبا بكر بأن يضعها بجانب بعضها عند اقدام الملك وان يفتحها . وكانت تحتوى على أنسجة قطنية وأنسجة أخرى ذات ألوان قرمزية وبصمة وعقود وفتخات « دبل » وأساور ومرآة كبيرة مذهبة وصندوق بداخله موسيقا واصناف أخرى كثيرة . فقوبلت كل هذه الأشياء بفرح شديد ولكن الشىء الذى وقع فى نفس متيسا موقع الاستحسان العظيم بندقية تعبأ برصاص ينفجر فقال لشاليه : حقا إنك لرجل عظيم حتى أنك أتحفتنى ببندقية من طراز بندقيتك . ألا يمكنك أن تقتل كباريجا إكراما لخاطرى ؟ وهذا الموضوع كان يحلو له أن يردده والسبب فى ذلك عداوة قديمة توارثها

بحكم التقليد ملوك أونيورو وأوغندة ـ فأجابه شاليه لونج بأنه يلزمه قبل أن يقدم على ذلك أن يستأذن باشا غندوكورو .

ثم ضحوا بعد ذلك بعشرة أنفس بالطريقة عينها التى فعلوها بالأمس وعندئذ استأذن شاليه لونج من الملك وانصرف فى الحال ونفسه تتقزز من هذا المنظر الشنيع .

وقد أقام شاليه لونج فى ضيافة متيسا لغاية ١٤ يوليه . وكان يقابله يوميا ولا يتخلف عن زيارته إلا فى الأيام التى يكون فيها مريضا وكان يعرب له أثناء تلك المقابلات عن رغبته فى زيارة بحيرة فكتوريا نيانزا ومنها يعود الى غندوكورو بطريق النهر .

فقوبل هذا الطلب بعدم الرضا من جانب الوزراء وما ذلك إلا لأنه يرين على قلوب هذا الشعب اعتقاد فاسد فهم يتخيلون أن ضفة البحيرة المقابلة لضفة بلدهم مأهولة بالشياطين وأن أولئك المخلوقات مكلفة بحراسة مائها ، وانهم كثيرا ما أمسكوا بأناس من أهالى أوغندة وأهلكوهم . وبعد الحاح كثير آل الامر بالسماح له بزيارة البحيرة وأبى الملك أن يصرح له بالعودة بطريق النهر بحجة أن النهر لا يتصل بجرولى كما يظن شاليه وانه اذا قتل فسلطانه يأتى الى متيسا ويقتله أيضا .

وفى عشية يوم السفر ذهب شاليه لونج وودع متيسا وشكره على ما أولاه من العناية وحسن الرعاية . وأمر لونج كلرمان Kellermann وآدم أن يتوجها رأسا الى أوروندوجانى ومعهما الأمتعة والحمالون الذين زودهم الملك بهم وينتظروه هناك حتى يفرغ من عبور البحيرة ويصل الى الشاطىء

الشرقى ثم يولى وجهه بعد ذلك نحو الشمال ليذهب الى أوروندوجانى بطريق النهر غير أن هذه الترتيبات تعذر تنفيذها .

وفى ١٤ يوليه اتخذ شاليه لونج سبيله موليا وجهه شطر البحيرة فبلغها بعد مسيرة ٣ ساعات . وهناك يرى الانسان من قمة رابية مشرفة على خليج مرشيزون بحيرة فكتوريا نيانزا وماءها الرائق الصافى الهادىء الشبيه بسماط من اللجين ينعكس على صفحاته أمواج من الضوء فيتلألأ ذلك الماء تحت وهج شمس الجنوب .

أتى المتونجولى « وهذا هو أميرال البحيرة » ومعه ٤٠ زورقا وبكل زورق ٢٠ مجدفا هذا عدا الموسيقيين والطبالين . وأمر شاليه لونج سليماً أن يقيم فى هذا الموضع ٤ أيام ومعه الجواد وقال انه إذا لم يعد اليه عند نهاية هذه المدة فعليه أن يرجع الى متيسا ومن هناك يتوجه الى اوروندوجانى وفيها ينتظره مع الآخرين . وفى الساعة الخامسة أبحر مع الجنديين سعيد وعبد الرحمن وبعد أن ساروا مدة ولوا وجوههم شطر رأس واقع على الضفة الشرقية حيث قضوا ليلتهم .

وفى ١٥ منه صباحا بكروا بالسفر وكانت صفحات الماء تلمع كالمرآة وظهر من سبر غور الماء أن عمقه يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ قدما . وحاول شاليه لونج عبثا ان يحمل المتونجولى على عبور البحيرة لأن متيسا أسر اليه أن لا يفعل ذلك فاضطر ان يعفيه راضيا من الغنيمة بالاياب قبيل الغروب فوصلوا الى مدخل خليج مرشيزون حيث قضوا ليلتهم .

وفى ١٦ منه أبحروا فى البكور ووصلوا الى المحل الذى رحلوا منه يوم

١٤ وهو الموضع الذى أمر سليماً أن ينتظره فيه ومعه الجواد . وعاد منه موليا وجهه شطر متيسا فوصل عنده فى العشى .

وفى ١٧ يوليه بعث له متيسا بتحياته ووعده بأن يمده بحمالين غدا غير ان هؤلاء لم يأتوا فى اليوم الموعود . وقضوا هذين اليومين فى اعداد معدات العودة .

وفى ١٩ منه قدم الحمالون . وقام الوفد بعد أن ودع متيسا الذى أطل عليهم من باب قصره تكتنفه نساؤه وكان اليوم ممطراً . ومن ٢٠ منه الى أول أغسطس أعنى التاريخ الذى وصل فيه الوفد الى أوروندوجانى عانى شاليه لونج صعوبات جمة من الحمالين حتى انه أجبر مرارا أن يقف عن السير ويخابر متيسا فجاء الرد بأنه يقطع رأس كل الذين يعصون أوامره .

وكانت خطة شاليه لونج ان ينحدر مع النيل فى زورق من أوروندوجانى الى مرولى وربما الى فويرا .

وفى ٢ أغسطس طلب من المتونجبولى الذى كان مرافقا له ان يحضر المراكب اللازمة فأجاب هذا بأن ليس لديه مراكب وان من اللازم الانتظار .

وفى ٣ منه قدم متونجولى آخر من قبل متيسا وكان لدى هذا أمر باستحضار المراكب . وفى ٤ منه قضى الوفد ذلك اليوم فى معسكره فلم يتحرك منه . وفى ٥ منه بارح الوفد اوروندوجانى مع المتونجولى وأقنع هذا شاليه لونج بأنه مع متابعة السير حذاء النهر الذى كان فى ذلك الوقت صالحا لسير السفن توجد مراكب حسنة .

وسار الوفد مع مجرى الماء وعند الظهر دخل فى فضاء رحيب مربع الشكل يخفق فوقه علم أوغندة . وهذا المكان هو المركز العام لقيادة الأسطول النهرى .

وفى ٦ أغسطس زار الأميرال شاليه لونج ووعده بأن يحضر له مراكب غدا وأعطى لونج أوامر لسليم بأن يسير بحصانه بمحاذاة النهر على قدر استطاعته ثم يذهب الى مرولى وينتظره فيها مدة ثلاثة أيام وفى حالة عدم قدومه يتوجه الى فويرا ويبلغ الضابط المتولى قيادة هذه المحطة لكى يأخذ الاحتياطات التى تتطلبها الحالة .

وفى ٧ منه كانت أربعة مراكب واقفة ومتأهبة لنقلهم فنزلوا بها ورافقهم المتونجولى وكان الماء عميقا صالحا لأن تمخر فيه البواخر الكبيرة . فأبحروا وقتا وإذ بهم يرون مركبا كبيرا مشحونا بالرجال يقترب منهم . وسأل أولئك الرجال شاليه ومن معه : من أنتم وأين وجهتكم ؟ ولما رأوا أنهم لم يحصلوا على جواب شاف انصرفوا .

وصرح المتونجولى ورجال الحرس بأنهم بلغوا المنطقة المحايدة بين أونيورو وأوغندة وعلى ذلك لا يستطيعون مجاوزة هذا الحد . وأن المركب الذى دنا منهم هو من ممتلكات كباريجا . ثم قال المتونجولى ان الاصوب هو الدنو من اليابسة لطلب الترخيص بالمرور فقبل شاليه أن يعمل بهذا الرأى واقترب الفلك من الشاطىء وحط الوفد رحاله وندب شخصا للقيام بمأمورية طلب الرخصة .

وفى ٨ منه انتظروا الجواب طول اليوم ولما لم يرد قرر شاليه لونج

متابعة السفر فى الغد . وفى ٩ أغسطس أقلع هو ورفاقه فى ثلاثة مراكب فى الساعة الثامنة وتركوا المتونجولى ورفاقه وقطر أحد المراكب المركبين الآخرين . وظلت المراكب الثلاثة تسبح بهم الى الساعة الخامسة وفى هذا الوقت لاحت بوادر عاصفة فرسوا على الضفة ليقضوا عليها الليل . وهنا استغنوا عن أحد المراكب وتركوه .

وفى ١٠ أغسطس أبحروا فى الساعة السادسة . وأتى بعض الأهالى لزيارتهم غير أنهم ما لبثوا أن فروا واختفوا . وهطل المطر طول اليوم ولم يتمكنوا من الدنو من البر فقضوا ليلهم فى جوف المركب .

وفى ١١ منه أقلعت بهم المراكب فى الساعة الرابعة وعند الظهيرة دخلوا فى بحيرة وبعد ان ساروا فيها بعض الوقت صادفوا جزيرة عائمة مكونة من نبت مائى وفوقها كوخ مصنوع من الخيزران يسكنه بعض الصيادين . واستمروا فى سيرهم ولما لم يتيسر لهم الاقتراب من البر قضوا ليلهم فى المراكب .

وفى ١٢ منه أقلعوا عند الساعة الخامسة مستعينين بالمجاديف حتى المساء . وبعد كثير من الجهد والعناء رسوا على البر وأقاموا تحت هطل الأمطار .

وفى ١٣ منه سافروا فى الساعة الخامسة . وكان يوما عسيرا للدرجة القصوى إذ توالى فيه نزول الأمطار ولم تنقطع تقريبا وكان لا بد من نزح المياه من وقت الى آخر من المراكب التى قضوا ليلهم فيها أيضا .

وفى ١٤ منه سافروا طول اليوم بواسطة الاستعانة بالمجاديف . وفى ١٥ منه كانت الريح على ما تشتهى السفن فساعدتهم على السير إلا أنهم لم يستطيعوا الدنو



واقعة مرولى التى اشتبك فيها أميرالألاى شاليه لونج وجندياه مع الأونيوريين المرسلين من قبل كباريجا ملك أونيورو فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٧٤ م .

من البر . وفى ١٦ أغسطس التزموا أن يعودوا الى التجديف حتى المساء ولكنهم تمكنوا من الرسو فجروا المراكب الى اليابسة ورمموها على قدر الامكان لمنع تسرب الماء الى جوفها . وقد قل الزاد فاضطروا أن يخفضوا الجراية الى النصف .

وفى ١٧ منه أقلعوا فى الساعة العاشرة . وقبيل منتصف النهار قام بفكر شاليه لونج انه على مقربة من مرولى التى أمر سليماً أن ينتظره بها فأطلق من بندقيته عيارين ناريين ودنا الى الشاطىء واذا به يدهش إذ رأى بين البردى النابت على ضفة النهر عدة مراكب مشحونة بالرجال المسلحين بالمزاريق وكان يلوح من خلال احوالهم أنهم يرقبونه ويتربصون له . وفى الحال دوى صوت البوق ودقت الطبول . هذا مما لا يدع شكا من جهة نياتهم ومقاصدهم إذ أن معنى ذلك صراحة : العدوان .

وأمر شاليه لونج الوفد فى الحال بالانسحاب فتبعهم ٤٠ مركبا بها زهاء ٤٠٠ رجل مزودين بالحراب . ولما رأى شاليه لونج أن مراكبهم تلاحقه وتوشك أن تلحقه أمر بتعبئة الاسلحة وربط المراكب ببعضها .

وكان المتونجولى الذى يقود قوة العدو فى المقدمة واقفا فى مركبه ويبدى حركات العدوان فأنذره شاليه بالانسحاب وأعلمه على غير جدوى ولا فائدة ان صلاته حسنة مع ملكه كباريجا ولما رآه آخذا دواما فى الدنو صوب نحوه رصاصة سكنت فى صدره وأردته فى جوف مركبه وأمر عساكره باطلاق النيران . ولما كان سلاح الاهالى الوحيد هو الحراب فالقرابينات ذات المرى البعيد لم تدع لهم سبيلا للتقدم وأقصتهم بعيدا وأهلكت عددا كبيرا منهم فضلا عن انها أغرقت كثيرا من مراكبهم .

وبعد ان حاولوا الاقتراب عبثا مدة ساعتين لاذوا فى النهاية بأذيال الفرار تاركين نحو ٨٠ قتيلا .

واستمر شاليه لونج ورفاقه فى السير طول الليل تفاديا من تكرار الهجوم خصوصا بعد أن استنفدوا ٤٥٠ ظرفا وبعد ان قل الزاد وصار من أصالة الرأى الابتعاد على قدر الامكان من أولئك القوم .

وفى ١٨ أغسطس استمر الجداف طول اليوم مع ان الرجال كانت منهوكة القوى خاوية البطون . ولم يفتروا عن التجديف إلا عند الساعة العاشرة مساء وبعد ذلك رست المراكب فحطوا رحالهم . وكان النهر واسعا وعميقا وصالحا لأن تمخر فيه البواخر الكبيرة . ولاح جبل كيكو نجورا Kikungura الى شاليه لونج فساورته الآمال بأن يصل فى الغد الى كسمبواس محل اقامة ريونجا .

وفى ١٩ منه شرعوا فى السير فى الساعة السابعة بعد ان أتوا فى العشى على آخر ما عندهم من الزاد . وكانت الريح على غير المراد فدعت الحالة للتجديف واستمر الرجال هكذا يعملون الى منتصف الليل بدون تناول طعام . وقد ظن شاليه لونج فى هذه اللحظة انه تجاه كسمبواس فأمر ان يطلق عيار نارى وردا على ذلك سمع دوى طبل . فأرسوا المراكب وأطلقت أعيرة أخرى . وفى هذه المرة سمع فى وضوح وجلاء رنات عزف جيش نظامى تدق دقات الاجتماع . وبعد ساعة قدم فلك حاملا على متنه الصاغقول اغاسى بابا توكا افندى قائد محطة فويرا وريونجا ومعهما طعام التهمه الوفد حال وصوله اليه .

وفى ٢٠ منه ذهب أعضاء الوفد الى محل اقامة ريونجا حيث أحضر لهم فطورا فاخرا فاكلوا هنيئا وشربوا مريئا .

وكان سبب مجيء الصاغقول اغاسى بابا توكا افندى الى هذه الناحية الحصول على العلف وكان مقررا ان يعود الى فويرا فى نفس اليوم . وسافر الكل معا فدخلوا هذه القرية عند الظهر . وتبين أن سليما والجواد لم يصلا الى ذلك الوقت .

ومن ٢٠ أغسطس الى ١٣ سبتمبر أعنى المدة التى أقامها شاليه لونج فى فويرا ما زال هذا يخامره الامل بأن يصله امداد يمكنه من ان يضم الى قائمة الاستكشافات التى أتمها حل المسألة الخاصة ببحيرة البرت نيانزا فلم يصله أقل مدد لأن العبيد لا يريدون المجازفة باقتحام السير في فصل الامطار .

وأرسل شاليه لونج مكتوبا الى كباريجا فى مازندى ليستعلم منه عن السبب فى هجوم رئيس بحارته ورجاله عليه هجوما متعمدا فى مرولى . فلم يرد له الرد رأسا بل ورد له جواب من سليمان سفير مصر فى أونيورو القاطن فى قصر كباريجا وهو جواب عباراته ملتبسة مبهمة تؤيد ما خامر شاليه من الظنون بشأن مسلكه فى هذه المسألة . وفى مدة اقامته فى فويرا دخل المعسكر ثعبان هائل الجثة فقتلوه ووجدوا طوله ٩ أمتار .

وفى ١٣ سبتمبر وصل سليم وسليمان والسائس ومعهما الحصان والحمير . فتقرر السفر بعد الغد وكلف ريونجا بتقديم الحمالين . وانقضى يوم ١٤ من هذا الشهر فى تجهيز معدات السفر . والتمس ابراهيم افندى وهو ذلك الترجمان

الذى رده شاليه الى هـذه النقطة مغضوبا عليه ، الصفح عنه فوعده باعادته الى غندوكورو مع واد الملك الذى سيذهب اليها بالعاج .

وفى ١٥ سبتمبر كان الحمالون وفريق من الجند على استعداد للسفر . وأخـذ الجميع فى السير عند الساعة الثامنة . وفى ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ منه تابعوا السير فكانت المرحـلة اليومية تبتدىء عنـد الساعة السادسة صباحا ولا تنتهى الا فى السادسة مساء . وكان على وجه عام لا ينقطع يوميا المطر المدرار وأضحت الادغال والحشائش الطويلة الأليـاف غـير المأهولة بالسكان غير مسلوكة .

وفى ٢٠ منه بلغت القافلة فى هذا اليـوم فاتيكو فقوبلت بمزيد الحفاوة والتكريم من الضباط ومن الصاغقول أغاسى عبد الله افندى الدنساوى قائد هذه المحطة . ومن ٢١ سبتمبر الى ٥ اكتوبر قضى الوفد هذه الايام فى فاتيكو للاستراحة من عناء السفر وليتعافى افراده ويسترجعوا قواهم .

وفى ٥ اكتوبر ودع شاليه لونج قائد المحطة وضباطهـا وقدم لهم مزيد تشكراته على ما خصوه به من الاكرام ثم انطلق فى السير ورافقه ضابط برتبة ملازم و ٦٠ جنـديا من المحطة و ٢٠ جنديا من الجنود غير النظاميين و ٧٠ من الأهالى لحمل العاج . وكان هـذا الحرس لازما لداعى ماتبديه قبيـلة الموجى من العـداوة والبغضاء . ورجال هذه القبيلة هم الذين هاجموه حين ذهابه الى الجنـوب .

وفى ٧ منه واصلوا السير من الساعة السادسة وفى ٨ منه بلغوا فاجرنيا Fagrinia . وفاجرنيـا هـذه هى زريبة للدناقلة وكانت موضوعة إذ ذاك تحت

مراقبة الحكومة المصرية ويديرها جندى قديم يسمى بخيتا . وقد قضوا ليلتهم فى هذه الزريبة .

وفى ٩ أكتوبر وصلوا الى ضفة نهير يقال له « أسوا » Asua . وفى ١٠ منه اجتازوه بلا صعوبة . وفى ١١ منه دخلوا لابوريه . وفى ١٢ منه مروا من بلد أهالى الموجى فلم يبد هؤلاء أى اشارة عدائية . وفى ١٣ و ١٤ منه واصلوا السير وفى ١٥ منه كانوا ازاء الرجاف غير أنهم لم يستطيعوا عبور النهر لعدم وجود مراكب والتزموا أن يحطوا رحالهم .

وفى ١٦ منه استحضر القائمقام الطيب عبد الله بك قائد محطة الرجاف مركبا وقدم اليهم بها وقابلهم بفرح عظيم . ولما كان شاليه لونج شديد الحنين الى الرجوع حرك كتيبته ونزل الى المركب يرافقه الجنديان سعيد وعبد الرحمن وولوا وجوههم شطر غندوكورو فوصلوا اليها عند غروب الشمس .

وقد استقبلهم غوردون بها أحسن استقبال وكال لشاليه عبارات المدح والثناء وقال « لقد عملت فوق ما عمله أى انسان آخر فى هذا البلد » . فكان هـــذا القول تعزية لشاليه لونج وتعويضا لما عاناه من الصعاب فى سبيل استكشافاته .

سنة ١٨٧٥ م

فتح غوردون طريق المواصلات مع أوغندة

وكان غوردون قد أرسل فى أواخر العام المنصرم الملازمين وطسون وشيبندال ليرتادا بحيرة البرت إلا أنه علم فى أوائل شهر يناير أنهما وقعا بين براثن المرض .

فبعث بباخرة لتأتى بهما وعهد بهذه المهمة فيما بعد الى مسيو جيسى وكان من الضرورى أن يتوجه غوردون الى جهة نهر سوباط إلا أنه لما كان جميع اركان حربه تقريبا مصابين بالامراض لم يتمكن من الذهاب الى تلك المنطقة وقد قال إنه لا ينبغي لأى شخص أن يأتى الى تلك الجهات اذا كانت سنه دون الثلاثين سنة . وكانت حركة العمل قد ازدادت وتضاعفت فى اقامة المستودعات والورش فى لادو التى اضحت عاصمة لمديرية خط الاستواء . وكان أميرالألاى لونج قد وصل ومعه ٤٠٠ جندى من الخرطوم الا أنهم كانوا لسوء الحظ من الجنود المصرية إذ أن غوردون كان يؤثر على هؤلاء جنودا سودانية لتستطيع مقاومة المناخ لأن ال ٢٥٠ جنديا الذين كان استحضرهم معه عاجلت المنية نصفهم واضطر ان يرجع الى مصر مائة منهم . أما العسكر الذين قدموا حديثا فنصفهم وقع فى مخالب المرض فى الأيام التى وصلوا فيها .

وتلقى غوردون تقريرا قبيل آخر شهر يناير من الضابط المعين للقيادة فى فويرا يقول فيه انه أرجع الجنود القدماء الذين كانوا تابعين فيما سلف

للنخاسين وجهزهم سير صموئيل بيكر باشا للقيام بخدمة الحكومة لأنهم تواطئوا عمداً مع كباريجا ملك أونيورو على الخيانة والاستيلاء على المحطة . ووصل أولئك الجند البالغ عددهم ٥٠ جنديا بصحبة واد الملك وفى الحال جردهم غوردون من أسلحتهم ووجههم الى الخرطوم وأرسل كذلك أمرا الى محطة فاتيكو بأن ترد من عندها من أولئك الجنود البالغ عددهم ٩٠ الى لادو وعند وصولهم عاملهم بالطريقة التى عامل بها جنود فويرا . ووطد العزم لوقوع هذه الحوادث على ان يعاضد ريونجا العدو اللدود لكباريجا ضد هذا وان يضع الأول محل الثانى . والتمس من الخديو أيضا أن يرسل على ظهر باخرة ١٥٠ جنديا الى خليج ممبسه الواقع على ساحل افريقية الشرقى ليقيم هناك محطة ويفتح طرق المواصلات مع أوغندة وذلك ابتغاء تسهيل الاتصال بمديريته .

وقد أجاب الخديو اسماعيل طلبه وأرسل حملة تحت قيادة ماكياوب باشا احتلت فعلا تلك المنطقة ولكن نظرا لتشبث الحكومة الانكليزية بانسحاب هذه الحملة من هناك أمر الخديو بانسحابها وهذا العمل من الحكومة الانكليزية لم يكن إلا تمهيدا لغايتها الذاتية حيث أنها أعلنت حمايتها على زنجبار وملحقاتها فى سنة ١٨٩٠ م كما سيمر بك ذكره فيما بعد .

وسافر غوردون من لادو الى نهر سوباط فى ٢٦ يناير حيث كان فى نيته زيارة محطات مديريته الشمالية ليزودها بجميع ما تحتاج اليه من المئونة والذخيرة مدة ثمانية أشهر ثم العودة والتوجه الى فاتيكو مع نقل السفن الحديدية وجميع آلات البواخر الى دوفيليه . وقرر فى أثناء السير أن يشيد محطات تبعد احداها عن الأخرى مسيرة يوم واحد إذ بهذه

الوسيلة يكون فى حيز الاستطاعة حراسة كل ارسالية بعشرة من الرجال بينما كانت أخبار المحطات لا تصل الآن إلا فى ظـــرف ستة أشهر هـــذا عدا انه كان من اللازم أن يرافق كل ارسالية مائة جنـدى لتدفع كل غائلة عنها .

وعنـــد ما وصل الى سوباط فى ٩ فبراير أرجع الملازم وطسون الى انجلترا لأن حالته الصحية لم تسمح له بالبقاء فى السودان وقد أرجعـــه على كره منه لأن ذلك كان يخفض عـــدد أركان حربه الذى أمسى من قبل ضئيلا .

وعاد غوردون الى لادو فى ٥ مارس وفى ١٣ منـه يمم محطة الرجاف . وكان يوجد على مقربة من هذه المحطة شيخ يقال له « بيدن » وكان هـــذا الشيخ لا ينفك عن اظهار العداوة والبغضاء للحكومة حتى فى مدة وجود حكومة سير صموئيل بيكر كان غوردون قد حاول أن يستجلب مودته بواسطة تحف وهدايا كان يرسلها اليه غير أن جميع مساعيه ذهبت أدراج الرياح . وبما أنه كان قد عول على تخفيض حامية هذه المحطة وكان لا يمكنه ان يترك قريبا منها نفرا يبدون للحكومة الكراهة فقد صمم على الاغارة على زرائب هذا الشيخ ونهب ماشيته بطريق المباغتة .

فألف لهـــذا الغرض كتيبتين احداهما من ٥٠ جنـــديا وقد سار معها بنفسه والثانية من ٢٠٠ جنـدى وهذه الأخيرة كلفت بالأحاطـة بالزرائب ومحاصرتها .

وفى الساعة العاشرة مساء أخذت الكتيبتان فى السير ووصلتا قبيل انبثاق

الفجر الى موضع الزرائب وبعد اطلاق عدة طلقات ولى الخفراء الادبار وتركوا بين يديه وتحت تصرفه ٢٦٠٠ رأس من المواشى .

وأغار فى الغد على أرض شيخ من المشايخ المعادية يقال له « لوكوكو » Lococo واستولى على ٥٠٠ رأس أخرى . واستبقى عنده هاتين الغنيمتين مؤملا أن يرجع أصحابهما عن غيهم ويبدوا شيئا من المسالمة .

وفى ٣٠ مارس سافر من الرجاف الى نقطـــة تبعد عنها ٤٠ كيلومترا ليبتنى عليها محطة . وكان عاقدا النية على أن يقيم أيضا محطتين بين هذه ودوفيليه وبذلك تمسى مواصلاته طلقة لا شىء يعوقها عن فاتيكو .

وفى ٧ أبريل رجع الى الرجاف ليهتم بنقل أجزاء البـــواخر الباهظة الثقل التى كان قد عول على أن يسيرها فى البحيرة . وكان هذا العمل عرضة لمصاعب كبرى نظرا لثقل هـــذه الاجزاء من جهة ولطول المسافة اللازم قطعها من جهة أخرى وهى مسافة لا تقل عن مائة وخمسين كيلومترا تقريبا . غير أنه كان يرى ان شرفه مرتبط بوعد صدر منه على أن يسير باخرة فى البحيرة . وقد انقضى الميعاد دون أن يبر بوعده والوقت أمسى لديه قصيرا فلا يسمح له بضياع برهة منه .

وبعـــد وصوله الى الرجاف ببضعة أيام وردت ارساليتان الواحدة من لاتوكا والاخرى من غربى مكراكا . وكان قد هل فصل الامطار . وكان عليه أن يباشر نقل جميع الآلات الثقيلة وقطع الباخرة على مرحلة ١٥٠ كيلومترا فى طرق مجهـــولة . ففكر أولا فى تأجيل هـذا العمل الى السنة القادمة ولكن ذلك كان لا يأتى منه سوى تأخـــير مسألة كان ينبغى

أن تكون قد تمت فى الأيام الحالية وعلى هذا كان ليس ثمة فائدة ترجى من وراء التأجيل .

وقد نوى أيضا أن ينشىء محطة على قيد مسيرة يوم من الرجاف ثم ينقل اليها الآلات . ومتى وصلت هذه الى تلك المحطة يكرر هذه العملية وذلك بأن يقيم سلسلة من المحطات الى ان يبلغ فوق الشلالات . غير أنه قامت فى وجهه مسألة تموين هذه المحطات وهى مسألة لا يستهان بها . وكان أمامه حل آخر وهو أن ينشىء محطة فى لابوريه وان يشترى الميرة من الأهالى وهذا اعترضه أيضا أمر عبور نهر « أسوا » إذ ان اجتيازه فى فصل الامطار ليس من المسائل الهينة . حتى على فرض انه اجتاز ذلك النهر يكون قد صار هذا خلفه ولا يكون هو متأكدا أن يحصل على اقوات من الأهالى .

وآل الامر فى النهاية الى أن يوطن العزم على أختيار الحل الأول مؤملا أنه متى أقام المحطة على مقربة من لابوريه فان الأهالى تأتى بالاقوات ليبيعوها ولكنه فى الوقت ذاته كان يرى أنه لا ينبغى الركون كثيرا الى هذا الحل وذلك لأن هذا الأوان كان اوان بذر الحبوب وبعبارة أخرى كان وقت انتهاء الفصل وفى هذا الوقت لا يمتلك الأهالى بالطبع إلا النزر اليسير من القوت .

وبما أنه لم يكن لديه متسع من الوقت فقد شرع في السير مع ٤٠ جنديا سودانيا و ٥٠ آخرين من اهالى نيام نيام من ناحية مكراكا وأخذ معه زاد ١٥ يوما . واستخدم أيضا حمالى ارساليتى لاتوكا ومكراكا

فى الغرض عينه .

وتقدمت الحملة مسافة ٤٠ كيلومترا تقريبا فوصلت الى مكان يقال له كرى Kerri واقع على شاطىء النهر . وبلغه عند وصوله الى هذه الناحية أن الماشية التى اخذها غنيمة وهو يحسب انها من ممتلكات الشيخ بيدن الذى يناصب الحكومة المداوة هى فى الواقع ونفس الأمر خاصة بشيخ من المشايخ الموالين للحكومة . فدهش لذلك كثيرا واصلح فى الحال هذا الخطأ برد الماشية الى صاحبها الحقيقى . وقرر أنه لا يقدم من هذا الحين على عمل كهذا إلا بعد أن يتأكد مما هو قادم على فعله .

وبعد أن قام المعسكر هبت عاصفة واستدعت الحال الالتجاء الى الاشجار لاتقاء شرها على قدر الاستطاعة وعند ما بلغت تلك العاصفة أشدها سمعت طلقات بعض الاعيرة النارية صادرة من الأهالى ولما رأى الجند أن هذه الطلقات مصوبة اليهم جاوبوها بطلقات ردت المغيرين على اعقابهم ونهبوا القرية القريبة من المعسكر على سبيل العقوبة لهم .

وأطلقت أيضا بعض اعيرة صوب الأهالى المقيمين على الضفة المقابلة فجعلتهم أعداء بطبيعة الحال .

عودة غوردون الى الرجاف

وعند ما أتم غوردون اقامة المعسكر رجع الى الرجاف بطريق النهر ليتحقق من صلاحيته للملاحة فاتضح له ذلك .

وعند ما ألقت سفينته مراسيها عند الرجاف خرج وولى وجهه شطر جزر

بيدن ليفحص مضيق النهر فاذا به يرى بعض الأهالى جلوسا تحت شجرة فاتجـه نحوهم وسألهم عما إذا كانوا من أتباعه ودهش عند ما رآهم يشيرون الى واحـد منهم وهو رجل بلغ من الكبر عتيا ويوشك أن يكون كفيف البصر قائلين ان هذا هو الشيخ عينا وذاتا فاشتبك معه غوردون فى الحديث وقال له انه لا يأخـذ منهم شيئا لو سلكت قبيلته مسلكا حسنا ثم ناوله صفارة وتبغا وحثـه على أن يأتى لزيارته فوعـد الشيخ باجابة هـذا الطلب . وأمر غوردون جنـوده بأن لا يمسوا شيئا من ماشيته . والذى بعث الطمأنينـة فى نفس بيدن هو رد ماشية الشيخ المسالم للحكومة تلك المسألة التى نقـل اليه خبرها هذا الشيخ . اما لوكوكو وهو ذلك الشيخ الآخـر الذى كان يناصب غوردون العدوان فبلغتـه أيضا هذه الحكاية فكان ذلك داعيا لمجيئه الى المعسكر وتقديمه الطاعة .

وفى ١٠ أبريل قدم بيدن الى المعسكر لخباه غوردون بمنحة قدرها ٢٠ من الابقار ومقص . وهـذا المسلك كان لا بد أن يؤدى فى الواقع الى عواقب محمـودة لأنه عند ما ينتشر هـذا الخـبر بين الأهالى كانت تتـوطد الثقة فى نفوسهم فيجنحون الى الخضوع وينبث السلام بين ربوعهم .

وفى ١٧ منه أقلع غوردون من الرجاف ليذهب فى النهر صعدا فصرح رئيس السفينة أن ذلك من رابع المستحيلات وقال انه قد كان حاول فيما سلف من الايام القيام بمثل هذا العمل فكان الفشل نصيبه إلا ان غوردون الح كثيرا وفى النهاية عثروا على ممـر . وكان التيار السريع يمتد الى

طـــول زهاء ٦ كيلومترات ووصلوا الى مكان يبعد ١٥٠ مترا عن النقطة التى تسهل منها الملاحة الى كرى . وفى هـــذه ال ١٥٠ مترا كان يوجد فرق فى منسوب سطح الماء قدره خمسة أمتار وذلك مما يجعل صعود هذه المسافة عسيرا جدا ويستلزم نقل المشحونات الى مراكب اخرى وهذا كان يستدعى ايجاد اسطول آخر صغير فى القسم العالى من النهر .

فعاد غوردون الى الرجاف وهناك تلاقى مع المـــلازم الأول شيبندال الذى كان آتيا ومعه عدد كبير من حمالى فاتيكو . وكان هذا الملازم صعد النهـــر حتى صار على مسافة صغيرة من البحيرة . غير أنه لم يستطع الوصول اليها بسبب عدم امداده بأية معـــاونة من المدير . واتصل بغوردون علاوة على ما ذكر أن كباريجا ملك أونيـــورو كان يقيم العقبات فى سبيـل انجاح مهمتـه وان متيسا ملك أوغنـــدا أرسل اليـــه ساعتين لاصلاحها .

بناء محطة فى بيدن وتحسن سبل المواصلات والأمن

وفى ٢٠ مايو رجع غوردون الى لادو ليسوى بعض أعمـــال مصلحية وعاد الى كرى فى ٥ يونيـه . وكانت رجاله منذ زيارته الاخيرة قد تمكنوا من امرار ٣ مراكب صعدا من المضيق الشرقى فذهب الى هـــذا المكان ومعه ١٠٠ رجـــل ليبتنى محطة سماها باسم الشيخ بيدن . وقد لاقت ال ٣ مراكب مصاعب جمة فى الصعود وكان يخشى عليها كثيرا من الغرق إلا أنه لحسن الطالع جرت الامور مجراها بدون ان يقع حادث مكدر .

وفى ١٣ يونيـــه آب غوردون الى لادو وكان الفيضان بلغ أشده وماء

النهر مرتفعا ارتفاعا شديدا وبالتالى كانت الملاحة صعبة . ووجد الامور جارية فى مجرى لم يرتح اليه لأنه فى أثناء غياب المدير الذى عاد الى الخرطوم كان قد وقف دولاب الاعمال . والبواخر التى كانت سافرت الى الخرطوم من مدة ١٣٠ يوما لم ترجع لغاية ٢٩ يونيه فظن غوردون ان يد الاقدار لعبت بها واغتم لذلك . وتحسنت حالة المواصلات مع المناطق الجنوبية تحسنا محسوسا حتى لقد قدم رجل بمفرده من محطة بيدن فى يوم واحد مع ان هذه الرحلة قبل هذا الوقت كانت تستغرق زهاء ٢٠ يوما وكان لا يخلو الأمر من ان يغير على سالكيها الاهالى . وهذا يدل على أن السلم كان يجرى فى مجرى التقدم وأن الثقة أخذت تسود فى النفوس .

وكانت الحملة التى كان يقودها المهندس كمب الى كرى فى شهر سبتمبر من العام الماضى لاقت أعباء ونصبا على طول الطريق بينما كان غوردون قد ذهب بمفرده ومعه ٥ من الجنود الى هذه الناحية فى هذا العام بدون أن يصادف فى طريقه ازعاجا ولا اقلاقا . وكان لابد لكل مركب تسافر فى العام المنصرم ان يكون معها حرس مؤلف من ٥ من الجند أما الآن فكانت تسافر السفن وحدها وبدون حرس ويمكن ان تعزى هذه الحالة الى الأوامر التى صدرت بمنع نهب القرى الواقعة على الطريق .

ولغاية ٥ يوليه أيضا ما كانت البواخر وصلت وكان النهر آخذا فى الازدياد وتكونت بحيرة واسعة شاسعة جنوب المحطة ولم يبق مكان يمكن السفن ان ترسو فيه للاتصال باليابسة إلا فى سوباط ، وبور ،

وشير ، ولادو ، وغندوكورو ، والرجاف .

قيام العقبات فى طريقه وتذليلها

وفي ٩ يوليه رجع غوردون الى بيدن وسبر غور الماء فوجد ان عمقه يكفى لمرور الباخرة « الخديو » فأخلى سبيل عـــدد من الجنـد القـدماء وجند ٧٠ جنديا جديدا .

وورد بعد كل هـذا وذاك البريد وعلم منه اتمام الباخرة الكبيرة التى كان استحضرها سير صمويل بيكر وسماها : « الاسماعيلية » .

وولى غوردون وجهـــه فى ٣١ يوليـه شطر موضع واقـــع على مسافة ٣ كيلومـترات جنـوب كرى ليصعد السفن من ممر صعب وتم له ما أراد إلا انه فى أثناء القيام بهذه العملية هب عليهم إعصار شديد نالهم منه مكاره جمة .

وفى ٣ اغسطس فرغـوا من عمليـة صعود ٣ سفن فى تيار مـوجى السريع بعد أن نالهم من المتاعب والمصاعب مالا يحصى ولا يستقصى لان سرعة التيار كانت ١٠ كيلومترات فى الساعة . وبسبب قطع عدد كبير من الاحبال انسابت السفن وذهبت تتخبط فى النهر على غـير هدى . واستلزم الحال البحث عنها فى اماكن قصيـة . وبقى عليهم بعد كل ذلك قطع زهاء ١٠ كيلومـترات حتى يكونوا قد اجتازوا بلاد قبيلة الباريين الذين وان كانوا عاونوا غوردون فى هذه الاعمال ولم تبد منهم أية اشارة عدوان الا انه كان يفضل ان يعـبر بلادهم ليدخل بلد قبيلة المادبين التى هى اكثر وداعـة من القبيلة الاولى . وكان يرى فوق ذلك ان مروره من منطقة قبيلة الباريين بدون قتـال يعـد فوزا مبينا .

وتحسنت الحالة فى اليوم التالى واستطاعوا ان يقطعوا زهاء ١٥ كيلومترا غير ان الريب التى كانت تساور نفس غوردون وجهل ما يخبئه المستقبل فى طريقه غرسا فى مخيلته الهم والغم . نعم ان الاهالى لم تبد نحوه شيئا يومى الى سوء النية وفساد الطوية ولكن حالتهم كانت تنم عن مبلغ كبير من الخوف والفزع وما كان فى حيز الاستطاعة الحصول منهم على أية دلالة أو أى ارشاد . وساورت غوردون تلقاء جميع هذه المصاعب الشكوك بصدد صعود الباخرة النهر هذا العام .

وحاولوا فى ٨ اغسطس صعود الباخرة الخديو تيار بيدن السريع فتم لهم ذلك بسهولة وبكيفية ما كانوا يحلمون بها وصعدت تلك الباخـــرة ذلك التيار براحة تامة بقوة البخار وبمساعدة الجر بالحبال « اللبان » وبذلك تأيد انه فى امكانها أن تصل الى كرى لأنه لم يبق فى طريقها شىء يعوق سيرها .

وفى ١٠ منه وقع حادث . ذلك انهم عبروا الاجزاء الصعبة المريبة ودخلوا فى أقسام الماء الهادى واذا بمركب قطعت أقلاسها بسبب بلاهة وغباوة رئيسها وجرها التيار الى الماء السريع الجريان وشحطت على الصخور فى منتصف المضيق وأرسلت مركب أخرى لانقاذها فكان حظهـــا نفس حظ سابقتها . ومما زاد فى الطين بلة ان جميـــع الاحبال كانت فى جوف هذين المركبين . غير أنه لحسن الطالع أمكن فى اليوم التالى تعويمها .

وفى ١٤ منه جاهر الاهالى بالعداوة وكان قد بدا منهم منذ يومين بوادر تنم عن الاستعداد لنشر راية العصيان . فأخذوا يتسللون خلال الحشائش المرتفعة باذلين الجهود ابتغاء الوصول الى المعسكر غير أن الجنود كانوا يقظين واقفين لهم بالمرصاد فأمكنهم بواسطة القرابينات ذات المرمى البعيد أن يوقفوهم

على بعض المسافة منهم ويدعوهم الى تغيير ما قام برؤوسهم . وما كان لهؤلاء القوم عذر فيما أتوه وذلك لأنهم كانوا يعاملون معاملة حسنة إلا أنهم لما رأوا ان الحملة مشتغلة بجر المراكب أرادوا الاستفادة من هذه الحالة وأخذ المعسكر على غرة منه وصرفوا النظر عن دعوتهم لسلوك المسالك الحسنة وإعطائهم الوعود بان لا يمسوا بشيء .

وقدم فى اليوم التالى ثلاثة من المشايخ وقدموا المعاذير فقبلت معاذيرهم وعافاهم غوردون من الغرامات التى كان قد فرضها عليهم وتنحصر هذه الغرامات فى توريد عدد من الابقار .

وقد كان يرتقب امدادا من لادو مكونا من ٢٥٠ جنديا وعددا آخر من اهالى « مكديه » Makadé يمكنه بواسطتها تسيير الأعمال بسرعة عظيمة .

وكان الأهالى القيمون على الضفة الغربية حيث تشتغل الحملة أعجز من أن يسوقوا لها ضررا كبيرا . لأنهم كانوا محصورين بين النهر شرقا والجبال الواقعة على بعد ١٠ كيلومترات من النهر ومحطات الحكومة التى فى الشمال والجنوب غربا .

اما لو كانت الحملة تشتغل على الشاطىء الشرقى حيث الجبال واقعة على مسافة زهاء ٦٠ كيلومترا من النهر والاهالى أكثر عددا لثارت عليها كل قبيلة البارين إذ أن الأهالى ما كانوا مرتاحين لأن يروا بلادهم تحتل احتلالا نهائيا .

وفى ١٧ اغسطس عبر غوردون النهر الى الضفة الشرقية ليرى اذا كان المضيق أكثر موافقة من الشاطىء الغربى . وعند ما سمع دوى صوت طلق

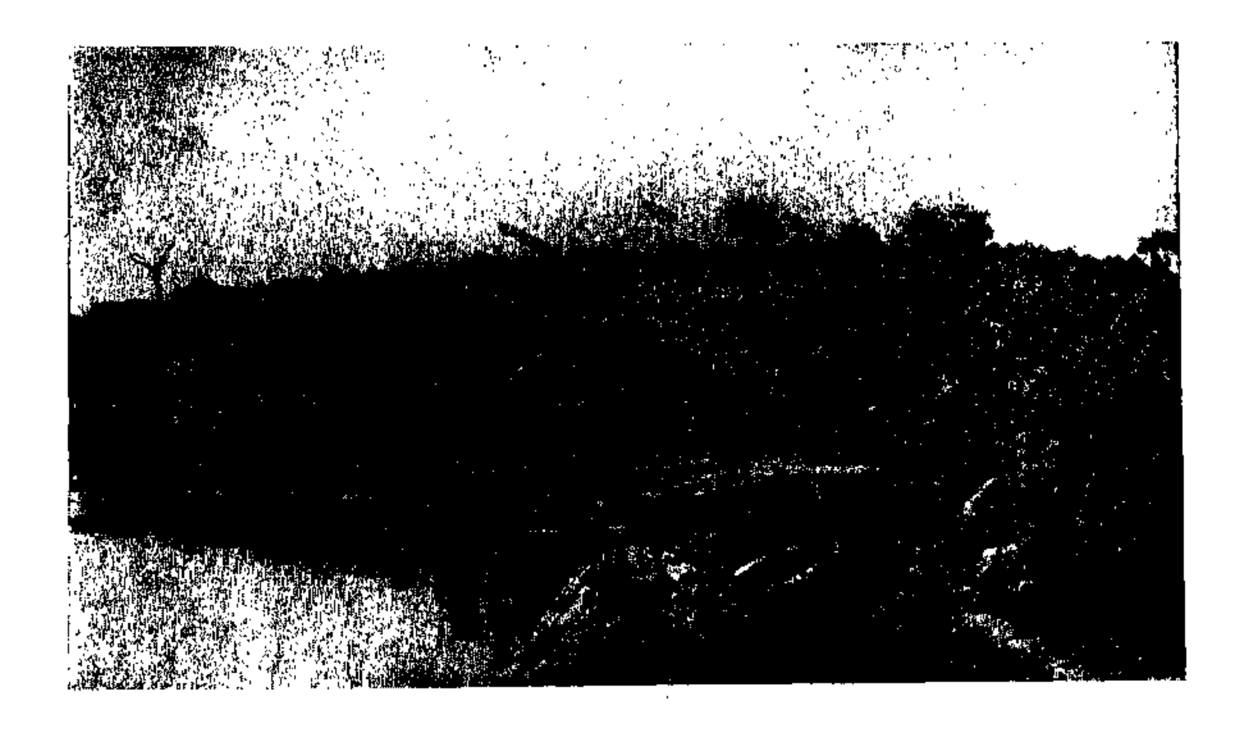
نارى يتجـــاوب صداه فى الفضاء صوبه غوردون الى فرس من أفراس البحر أدركت الحامية رهبة وساورتها الظنون على حياته لأن قاطنى هـذا الشاطىء كانوا أشد عداوة للحكومة من ساكنى الشاطىء الشرقى .

ورجع غوردون دون أن يقع له أى حادث ولكنه شعر بأنه قوبل مقابلة مجردة من المودة وان هذا العبور صادف استياء من الأهالى .

وفى ٢٠ أغسطس ورد الى غوردون نبأ بأن المحطة الواقعـــة على مسيرة كيلومترين من المحطة التى كان يقيم بها هوجمت فى الليلة الماضية إلا أنها صدت المغيرين بعد أن حملتهم خسائر يظن بعدها أن لا يجـــددوا هجومهم الذى يلوح أنه كان متواطئا على القيام به ثلاث قبائل . وأراد غوردون أن يعطيهم درسا قاسيا يوقظهم من سباتهم إلا أن قوته كانت ضئيلة لا تسوغ له القيام بالعمل الذى كان يرمى اليـــه . نعم انه كان لا يضمر للقوم أية عداوة غير أنه مما لا يحتاج الى ايضاح أنهم اذا استمروا فى مثل هذا المسلك كان يضطر الى قتالهم .

وفى ٢٢ منـه وصل الأهالى الذين كان يتربص قدومهم من مكديه برفقة إرنست بن لينان دى بلفون باشا . وكان هـــذا الشاب سافر بمهمة الى متيسا ملك أوغندا وقدم منها . وكان قد قابل فى هـذه المملكة فى شهر أبريل استانلى الذى كان قد سبقه اليها بثمانية ايام .

وفى ٢٨ منه كان غوردون فى مكان يقال له موجى واقع جنوب « كرى » التى كان قد تقرر انشاء محطة بها . ولما علم أن الباخرة وصلت الى نقطة تبعد عنها قليلا من الخلف وقريبة للضفة الشرقية اجتـــاز النهر



محطة « كري Kerri » العسكرية بمديرية خط الاستواء

وسار مسافة بقصد مقابلتها . غير أنه لما لم يرهـــا أصدر أمرا بصعودها من الجهة الشرقية . ولدى وصول الباخـــرة الى المضيق لم تتمكن بسبب وجـــود جزيرة مستطيلة أن تتصل بالبر الغربى . وفى أثناء دخول غوردون فى المضيق أرسل أمرا الى ٣٠ جنديا من الجنـــود المقيمة فى محطته بعبور النهر الى الشاطىء الشرقى .

وعنـــدما رأتهم الأهالى قادمين أخذوا يقرعون طبولهم الكبيرة للتجمع والقيام بالهجوم . واندفعوا بقضهم وقضيضهم على الجنـــد . ولما رأى ذلك غوردون عجل بعبور النهر وانضم الى جنـــده تماما فى اللحظة التى بدأ فيها نشوب القتال ورد الهجوم بسهولة .

وقد حاول أن يدخل معهم فى مفاوضة فذهبت مجهـــوداته فى ذلك أدراج الرياح فأمر قوته بالصعود الى جبـــل هناك فلما رآهم الأهالى بذلوا جهودهم ليحيطوا بهم فتركتهم الجنـــود يقتربون ثم أمطروهم وابلا من الرصاص فارتدوا على أعقابهم الارتداد الأخير . وأظهـــر الأهالى فى هذا الهجوم الفاصل كثيرا من الشجاعة والمهارة فكانوا يزحفون على بطونهم وعندما يرون المساكر تحشى سلاحها ينهضون ليركضوا نحـــوهم ثم ينطرحون عند ما يرونهم مصوبين عليهم النيران . وانتهى بهم الأمر الى أن بلغوا الى مسافة ٨٠ مترا من خط النار . وقد حضر إرنست دى بلفون هذه الموقعة .

ولما كان غوردون يريد أن يستوثق من المكان الذى به الباخرة نزل قليلا فى الضفة الغربية ورجع الى المعسكر بدون أن يهتدى الى موضعها .

ولم يرافقه إرنست فى هـــذه الرحلة القصيرة بل ظل فى المعسكر لينشىء مكاتيب . وطلب من غوردون فى المساء السباح باجتياز النهر مرة أخرى الى البر الشرقى وان يضرم النار فى أكواخ الأهالى المعـــادين . وبما ان غوردون كان يخشى انه لو تركهم فى هدوء وطمأنينة لشنوا الغـــارة على الباخرة فقد أجاب هذا الطلب مؤملا انه بهذه المشاغلة يستطيع أن يمنعهم عن القيام بمثل هذه الغارة وأعطاه ضابطين و ٣٦ جنديا وصندوقى جبخانة . هذا عدا ٣٠ رصاصة أودعت فى جراب كل واحد من العساكر .

وقامت هذه الحمـــلة فى الساعة ٨ صباحا وكان يسمع من وقت لآخر دوى بعض أعيرة نارية يرن صداها فى الفضاء . وقبيل الظهر كانت الحمـــلة فوق الروابى على بعد ٣ كيلومترات تقريبا من المحطة ورأى غوردون إرنست يلبس قميصا أحمر كان قد أعطاه له .

وكان يلوح ان كل الامور تجرى فى مجرى حسن . وظلت الحملة فى هـــذا الموضع لغاية الساعة الثانيـة مساء ثم توارت عن الأعين . وخرج غوردون عنـد الساعة الرابعـة والنصف للرياضة واذا به يسمع صوت طلق مدفع من المحطة فارتد على عقبـه مسرعا وأمسك نظـارته وتطلع واذا به يرى زهاء ٤٠ نفسا من الأهالى ينحدرون ركضا فى الضفة المقـابلة فلم يعر ذلك التفاته وظن أولا أنهم أتوا ليردوا الباخرة واستمر يتطلع اليهم فشاهد أنهم أخـذوا ينسحبون وعندئذ أرسل عليهم بعض رصاصات . وبعد نحـــو ١٠ دقائق رأى وبالشؤم ما رأى ١١ رأى على الضفة المقابلة جنـديا مجردا من سلاحـه فأرسل قاربا ليأتى به فى الحـال وسأله : أين بنـدقيتك ؟ فأجاب : أخـذها الاهـالى ثم سأله : ولماذا انفصلت عن رفاقك ؟ فأجاب : لم يذر الأهالى منهم ديارا . ثم

سأله : وكيف حصل ذلك ؟ فأجاب : لأنهم استنفدوا ذخيرتهم .

ولم يكن لدى غوردون في هذه اللحظة سوى ٣٠ جنديا و ٣٠ آخرين في محطة موجى وكان يظن انه يوجـــد ٩٠ جنديا غيرهم مع الباخرة فى المضيق الشرقى إلا أنه ما كانت توجد لديه أية وسيلة للاتصال بهؤلاء وكانت الساعة عندئذ ٦ مساء . وبما أن معسكره لم يكن محصنا قرر ان ينزل وينضم الى المحطة الاخرى . وبعد ان تكبد عناء جما فى السير ليلا وصل ومن معه الى محطة موجى فى الفجر . وحال وصوله شوهد جندى آخر من العساكر التى صحبت إرنست الى الجزيرة المستطيلة على الجهـــة الاخرى فعبر غوردون بنفسه النهر ليأتى به وليرى ايضا مافعل الله بالباخرة لأنه كان فى هم وغم ناصب من جهتها .

ولما طلع الى الجزيرة داخـــله الفرح إذ رأى أن الباخرة رجعت الى البر الغربى بعكس الأوامر التى أصدرهـــا . وعلى هذا رجع أدراجه ومعه الجندى الذى قدم للبحث عنه الى المحطة . ولدى وصوله اليها سر سروراً آخر إذ علم ان أربعة عساكر آخرين من جنود إرنست قدموا اليها . وذكر هؤلاء الجنـــود الاربعة أنه أحيط بالجنود وأنه بعد فراغ جبخاناتهم هاجمهم الأهالى وقتـــلوهم . وقتل بين من قتل إرنست متأثرا من الجـــروح التى أحدثتها حربتان إحـــداهما أصابته فى عنقه والثانية فى ظهره . غير انه اتضح فـــيما بعد أن سبب نفاد الجبخانة انهم كانوا قد أعادوا مقدارا منها الى المركب التى كانت فى انتظارهم وقد استولى الأهالى مع الأسف على ٣٣ بندقية . والقبيلة التى اجترحت هـــذه الفعلة هى نفس القبيلة التى قتلت من رجال البكباشى الطيب عبد الله افندى ضابطا واحدا و ٢٨ جنديا

سنة ١٨٧٢ م .

وكتب غوردون الى لينان باشا ينعى اليه ولده المذكور . فكانت هذه مهمة بالغة أقصى درجات الايلام إذ كان هذا الابن النجل الثانى الذى يفقده لينان فى هذه الحملة .

وكان من الواجب أن لا تمت هذه المسألة فى عضد غوردون وتدعوه الى تأجيل إتمامه مشروع اقامة خط من المحطات يبتدىء من لادو وينتهى عند مكديه إذ أنه لم يبق عليه لأجل اتمام هذا الخط سوى انشاء محطة واحدة إلا أن انشاءها كان يستوجب تأخير اصعاد الباخرة لانه كان لا يستطيع ان يكون فى مكانين فى آن واحد .

ووصل الى غوردون إمدادات بلغ بها عدد الجنود الذين تحت إمرته ٥٠٠ جندى . وقدم أيضا نور افندى محمد (١) مدير فاتيكو فارتاح غوردون الى ذلك جد الارتياح إذ أنه كان يعتبره ضابطا من خيرة الضباط وأنه سيوفر عليه متاعب كثيرة .

وبما انه قد أصبح لديه الآن العدد الكافى من الجند فقد رأى أن يجمع غنائم فأرسل كتيبتين من الجند لهذا الغرض وباغت هؤلاء الاهالى واستولوا منهم على ٢٠٠ من الأبقار و ٥٠٠ رأس من الضأن .

وفى ١٣ سبتمبر بذلت مجهودات أخرى فى سبيل اصعاد الباخرة غير أنه

---

(١) — وصل فيما بعد الى رتبة أميرألاى وكان قائدا لحامية سنار فى أثناء الثورة المهدية وعند سقوط هذه المدينة أسره الدراويش . وقد عاش بعد ذلك الى أن توفاه الله .

بسبب خطأ وقع فى العمل أفلتت الأحبال من أيدى الجنـــود الذين كانوا يعاونون فى جر هذه الباخـــرة فتراجعت وارتمت على جانبها فوق الصخور . ولـكن والحمد لله لم يحصل بها عطب وانحصر الضرر فى ضياع شيء من الزمن لتعويمها وهو زمن كان يمكن صرفه فى اشياء أكثر منفعة . وفى غـداة اليوم التالى شرع فى العمل ولم يمض سوى ٤ أيام حتى كانت الباخرة تسبح فوق سطح الماء .

وفى ١٦ سبتمبر بدت من قبيلة من القبائل روح المداوة وفى ١٨ منه قامت ثلة من الجنـود للاستيلاء على غنائم من هذه القبيلة غـــير ان الأهالى استنشقت الخبر فرجعت الثلة بخفى حنين لأنهم كانوا قد هربوا الماشية فلم يجد الجند غير الأوانى المنزلية فغنموها .

انشاء محطة لابوريه ومحطات أخرى

وطد غوردون العزم على ان ينشىء قبل كل شيء محطـــة لابوريه لـكى يكون آمنا من جهة سيره الى الامام فسار من موجى موليا وجهه شطر تلك الناحية فى ٢١ سبتمبر فدخلها فى ٢٤ منه . واشتم من احدى القبائل رائحة العـدوان فقر رأيه على أن يستولى منها على غنائم وفعلا انطلق فى المسير صبيحة ٢٧ سبتمبر غـــير أنه لم يستطع ان يغنم منها سوى ٢٥ بقرة ثم أضرم النـار فى الاكواخ .

وفي ٣٠ منه مشى نحو ١٠ كيلومترات جنوبا بين مناظر تأخـذ بالالباب ورأى من الأهالى مودة أنعشته وقوت عزيمته كثيرا .

وكان أيضا مرتاحا جد الارتياح لحيازته خطا من المحطات تربط جنوب

البلاد بشمالها . ومما زاده ارتياحا على ارتياح تأكده من صلاحية النهر للملاحه طول أيام السنة للمراكب الصغيرة وشطرا من السنة للسفن الكبيرة . وهذه الحالة أبانت له صواب الخطة التى اختطها . وكانت تساوره الآمال بأنه سوف يتمكن فى السنة القادمة من عبور الباخرة و ٦ أو ٨ مراكب الشلالات وأن يقيم محطات على طول نيل فكتوريا فى ماجونجو ، و انفينا Infina ، و فويرا التى قد تم إنشاؤها ، و مرولى ، وعلى بحيرة فكتوريا . وكان من ضمن الفوائد الجلى التى يجنيها من وراء تلك الخطة الحصول على الماء الرائق الصافى طول الطريق وكذلك لما رأى الأهالى أن تشييد خط المحطات أضحى فى حكم الشىء الواقع جنحوا الى الهدوء والسكينة . هذا عدا أن السير بمحاذاة النهر يجعل الانسان بمنجاة من أن يضل الطريق . وفوق هذا وذاك كانت الاخشاب توجد بكثرة والامدادات سهلة وذلك بدون القاء كثير من الجور على عاتق الأهالى .

وفى ٨ أكتوبر سافر غوردون من لابوريه قاصدا دوفيليه وحط رحاله فى أول يوم على قيد زهاء ٢٠ كيلومترا جنوب المحطة الأولى بين صفين من الاطواد الشامخة فى المضيق الذى نوه عنه بيكر . وكان النهر ضيقا جدا فى هذا المكان ويبلغ عرضه ٤٠ مترا على اكبر تقدير . وفى اليوم التالى عاود السير ووصل الى دوفيليه بدون ان يعترضه أى عارض من قبل الأهالى الذين لبثوا متمسكين بالهدوء والسكينة طول الطريق .

وفى ١٧ منه بارح دوفيليه واتخذ سبيله فى الاقسام العالية التى تبعد قليلا عن النهر وذلك ابتغاء تجنبه شواطئه المغطاة بالغدران . ثم عاد وسلك طريقه على الشواطىء بعد ان قطع نحو ١٠ كيلومترات . وعندئذ تسنى له

ان يسمع ضجة مثل قصف الرعد وكان يزداد هذا الصوت كلما سار الى الامام . وفى نهاية الأمر ارتقى صخرة مرتفعة ارتفاعا عموديا من جهة النهر ومن فوق هذه الصخرة تمثل امام عينيه منظر فخم يفتن الألباب ويلقى فى النفوس فى الوقت نفسه فزعا وجزعا .

وكان اتساع النهر من جهته العليا حيث ينحدر الماء يتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ مترا والماء فيها هادىء ساكن . أما أمام الصخرة فالنهر ضيق وينحصر انحدار الماء منه فى مضيقين تبلغ سعة كل منهما زهاء ٢٠ مترا وتفصل احدهما عن الآخر صخرة . ويستمر الماء فى انحدار بنسبة ١ : ٦ وهو يفور ويجيش الى مسافة ٣ كيلومترات . وما كانت تلك إلا شلالات فوره الشهيرة باسم « مكديه » . أما تحت هذه المسافة فالماء ساكن . وكان يجب على المرء أن يصرف النظر بتاتا عن التفكير فى الجر بالحبال طول هذه الكيلومترات الثلاثة بل كان لا بد من نقل جميع الأشياء جليلها وحقيرها وهذه ولا ريب عطلة ينبغى إضافتها الى ما سبقها من العطلات وضياع الوقت .

والأهالى فى هذه الناحية يبنون أكواخهم مجتمعة مع بعضها عكس الباريين الذين يقضون معيشتهم فى اكواخ متفرقة . والأولون يجنحون الى الهدوء والسكينة أكثر من الآخرين . وهذا ما سر له غوردون .

وفى ١٨ أكتوبر ورد البريد من لابوريه وورد معه نبأ نعى الطبيب فقد توفاه الله فى ١٤ منه وبذا أمسى غوردون محروما من أية مساعدة طبية . وجالت بفكره المصاعب التى يلاقيها الخديو فى سبيل حكم البلاد بواسطة موظفين من الاجانب إذ أودت هذه الحملة بكثير من أركان حربه .

وفى ٢٢ اكتوبر جاء بريد آخر يحمل خبر قتل رجل بينما كان ذاهبا من محطة الى أخرى وتقريرا من الضابط المعين لقيادة لادو يقول فيه إن الأهالي ينوون مهاجمة هذه المحطة . وبما أنه كان بها ٤ ضباط و ٨٠ جنديا وهى قوة يراها غوردون كافية لصد هجمات المغيرين فقد رد عليه غوردون يقول :

« ماعليك أنت ومن معك إلا ان تكونوا يقظين وعلى حذر دواما وأن تكون المحطة محاطة بسياج » .

وكان يوجد أيضا كمية كبيرة من العاج كان قد صادرها سير صموئيل بيكر أيام ان كان هو وأبو السعود يناصب كلاهما الآخر العداء وهذه الكمية أمر غوردون بتصديرها .

وأصيب غوردون بحمى متقطعة فذهب الى فاشيليه Fashelie الواقعة على بعد ١٢ كيلومترا شرق دوفيلية إذ ان سطح أرض الأولى مرتفع عن أرض الناحية الثانية التي تحيط بها الغدران والمستنقعات . وهنالك أبل من مرضه . وكان يبحث عن مكان يصلح لتركيب الباخرة فيه .

وفى ٣١ منه أتى بريد يحمل نبأ قتل جندى من الجنود ذلك ان هؤلاء الجنود ارادوا ان يسلبوا شيئا من الأهالى وانتهت المسألة بقتل ذلك الجندى .

وفى ١٠ نوفمبر ورد بريد علم منه ان الأهالى تحاصر جانبا من محطة لاتوكا . فخطر بباله ان المدير لابد أن يكون قد اقترف عملا من الاعمال ثارت له نفوسهم وإلا فما كانوا هاجموه . فأرسل فى الحال الأوامر الى محطة بور ان ترسل اليه مددا .

وطلب مدير محطة أخرى نجـــدة وعلل طلبه هذا بأن قبيلتين تقتـلان وأنه مكره على أن يتدخـل فى الأمر فرد عليه غوردون يقول : بما أنه ليس لديك العـــدد الكافى من الجنـد فما عليك سوى ان تلازم الأقامة فى محطتك .

وكان لديه مقادير من العاج تبلغ قيمتها ٤٥ ألف جنيه مصرى كان ينوى أن يرسلها مجزأة .

إخضاعه قبائل المـــوجى .

وكان ينـوى أيضا السفر نحو الجنـوب غير أنه لما كانت القبائل التى تحيط بموجى لم تقـــدم الطاعة رأى أنه ليس فى شىء من أصالة الرأى أن يقـوم بتلك الرحلة قبـل أن تخضع تلك القبائل . وعول على أن يجمع ٦٠٠ أو ٧٠٠ جندى للقيام بهذا العمل .

وفى ١٤ نوفمبر رجع غوردون الى دوفيليه ومنها عاد الى مـــوجى فى ٢٠ منه فوجد فيها خطابا من الخـديو يقـول له فيـــه إنه وضع تحت إمرته الأميرال ماكيلوب باشا وانه أرسل معـه ٣ مراكب حربيـة و ٦٠٠ جنـدى بقيادة أميرالآلاى شاليـه لونج الى « جـــوبا » Goba الواقعـة على شاطىء افريقية الشرقى ليحتلوها .

وقد ألفت هذه الحملة بناء على إيعاز من غوردون للخديو منذ مدة وذلك لفتح طريق المواصلات من هذه الناحية مع مديرية خط الاستواء لأنه كان يظن أنها من هذا الطريق أسهل منها من طريق ناحية السدود .

وعلم أيضا بوقوع كارثة فى ناحية فاشودة . ويظهر ان قبائل الشلك رفعت راية العصيان وطردت الجنود من محطة « حلة كاكا » Hillet Kaka واستولت على مدفع وان المدير يوسف حسن بك خرج ليعاقبهم فلقى حتفه وأنه لولا قدوم جيسى الى فاشودة على ظهر باخرة لكانت فاشودة وقعت فى أيدى الثوار .

وفى ١٠ ديسمبر سارت التجريدة التى أعدت لقتال قبائل الموجى غير انها لم توفق فى اعمالها ولم تفز بشىء من الغنائم حتى ولا ببقرة . والكتيبة التى سارت نحو الجنوب تابعت فى مسيرها مجرى النهر بدلا من ان تتوغل فى داخلية البلاد وعلى ذلك وجد الأهالى مندوحة من الوقت للفرار بماشيتهم .

وفى ١٢ منه أعادت التجريدة الكرة وفى هذه الدفعة كانت اكثر توفيقا إذ انها غنمت ١٥٠٠ من الأبقار ، وأمل غوردون هذه المرة أن تقدم تلك القبائل الطاعة .

وفى ٢٢ منه رجع غوردون الى لابوريه ليشتغل بمسألة نقل قطع الباخرة المراد نقلها . وفى ٢٩ منه تأكد أنها سائرة فى الطريق .

١ — ملحق سنة ١٨٧٥ م

تجريدة مكراكا (نيام نيام) .

من ٣٠ يناير الى ١٤ مارس

إعداد التجريدة واحتـــلال بلاد نيام نيام

بعد أن آب أميرالألاى شاليه لونج من مأموريته فى أوغنـــدة أذن له غوردون بالذهاب الى الخرطوم ليستريح من وعثاء السفر ثم يرجع ليتسلم قيادة التجريدة المزمع إرسالها لضم بلاد مكرا كا « نيام نيام » . واتباعا لهذا الأمر عاد فى ١٠ يناير سنة ١٨٧٥ الى لادو التى أصبحت مقرا لكرسى مديريات خط الاستواء . واستدعى عمل هـــذا التبديل زيادة عدد الوفيات زيادة فاحشة فى غندوكورو صيرت هذه الجهة مقبرة حقيقية وثوى فى ترابها كثير من رجال الحملة من أجانب ووطنيين .

وطفق بمجرد قدومه يشتغل فى تحضير لوازم التجريدة التى كان الغرض من ارسالها شق طريق وسط قبائل ينبارى Yanbaris المعادية والتى حالت لغاية هذا الوقت دون المرور الى بلاد المكرا كين وسدت طريق الوصول اليها فى غرب النيل . وكان الغرض من احتلال هـذه النواحى الاستفادة بمقدار من العاج الذى يوجد فيها بكثرة وتوطيد دعائم سيطرة الحكومة حتى تتمكن من تأدية مهمتها فى نشر المدنية بين تلك الربوع .

ثم انه كان يوجد هنالك داع آخر ألا وهو صحة الجنود المصرية التى أمست فى حالة حرجة كثيرا . فقد اختار شاليه لونج فى الخرطوم ٤٥٠ جنديا من أورطة مكونة من ٨٥٠ جنديا وصلوا بصحة جيدة ولكن ما لبث ان وقع منهم عدد كبير بين براثن المرض وهذا دليل واضح على أن أجسامهم لا يلائمها مناخ هذه النواحى .

ولما كانت بلاد نيام نيام مشهورة من الوجهة الصحية انها جنة افريقية الوسطى فقد تقرر احتلالها لاستغلال ثروتها ولاستشفاء الجنود بعليل هوائها .

والكتيبة التى تألفت لهذه التجريدة كان مجموعها ٧٠٠ جندى بين مصريين وسودانيين والكل مسلحون بأسلحة رمنجتون .

وفى مساء ٣٠ يناير تمت كافة الاستعدادات وفى ٣١ منه بارح شاليه لونج لادو باكرا على رأس ثلة من الجند يرافقه ٢٠ عسكريا سودانيا بصفة حرس خصوصى . وقبل ذلك ببضعة أيام أرسل كتيبة مثل هذه تقريبا معدة لنفس هذا الغرض وأمرها بأن تتقدم فى مسيرها متحرزة وان تمشى الهوينا . وكان عقد النية على ان يلحق بها وينضم اليها قبل ان يدخل فى بلد اليبناريين الذى كان يتعين عليه حتما ان يجتازه . وكان يرافقه الجنديان سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوى و ١٥٠ حمالا من قبيلة الباريين ليحملوا أمتعة التجريدة بأجرة بقرة لكل حمال منهم .

ونصبوا المعسكر فى اليوم الأول على مد البصر تقريبا من غندوكورو التى كانت فيما سلف عاصمة المديرية على ضفة النهر الغربية .

وفى أول فبراير عند الساعة السادسة صباحا اقتلعت الجنــــود المضارب واستدبرت النهر وولت وجوهها شطر داخلية اليابسة . والطريق التى ساروا فيها فى اليـــــوم الأول والثانى تنساب فى بلد جميل المنظر كثير المرتفعات والمنخفضات وتنتشر بين ربوعه الأشجار الشامخة فيرى الانسان وهو يستظل بظلالها الوارفة قرى بديعة تتألف من اكواخ من القش ذات شكل مستدير واهراء ملأى بالحبوب .

وفى ٢ منه توغلت التجريدة فى بقاع تغطيها الأدغال أرضهـــا ذات أخاديد وجافة واخاديدها صيرت السير فيهـــا ليس صعبا فحسب بل خطرا أيضا . وحرها لافح يشوى الوجوه والماء فيها معـــدوم ولا يوجد إلا فى جـــذوع الأشجار فى مواضع حفرتها الفيلة وتلك المواضع تعلوها الأوحال . وكان لابد من الوقوف مرارا وتكرارا ليتيسر أخذ شيء من الراحة للجنود والحمالين البارين . وقد وصلت التجريدة فى ذلك اليـــوم الى خور عسكرت بجانبه لتقضى فيه ليلتها .

وفى ٣ منه سارت فى الساعة السادسة صباحا ووصلت فى منتصف الساعة الثانية الى جبل مرى Gabal Meri وهناك قضى الجنود ليلتهم . وفى ٥ منه بعد مسير بين أدغال لاقت بسببه التجـــريدة عناء جما انتهت الى جبل المياه حيث حفرت فى مسيل خـــور ناضب حفرا ابتغاء العثور على الماء . وفاض روح الاونباشى على جـــلال افندى بعد ان شعر بالمرض قبل وفاته ببضع لحظات فواروه التراب عنـــد غروب الشمس باحتفال عسكرى . وفى ٦ منه مات جندى آخر متأثرا من مرضه بالحمى وورى التراب باحتفال عسكرى كذلك .

بلوغهـــا بلد الينبـــاريين

وفى ٧ فبراير بلغت التجريدة حدود بلد الينباريين . وهـذه العشيرة تمشى تقـــريبا بقمة ذات اتساع شاسع برمتها كانت واضعة اليد عليها فى العصور الخاليـــة قبائل اكثر منها ركونا الى الهدوء والسكينة فقتلها الينباريون أو طردوها . ونظرا لكونهم قوم حرب وجلاد غلاظ الاكباد فقد نجحوا فعلا فى سد المرور بين النيل والغرب .

ومع ان شاليه لونج لم تحـــدثه نفسه أن يعلن عليهم حربا إلا أنه ما كان يرتاب فى انهم سيهاجمـــونه . وعلى ذلك سير التجريدة صفين وسير خلفهـــا ساقة ذات قوة كبيرة لوقايتها وأعطى أوامر مشددة حتى لا يبتعد أحد من الجنـــود عن الصفوف وارسل الى المقدمة كشافة لاستكشاف حالة الادغـــال التى يتخذ منها الأهالى مواقع صالحة للهجوم وكان يرى من خـــلال الحشائش زرائب كثيرة . وهـــذه الزرائب المبنيـة بناء ليس فيه شىء من النظام يحيط بها سياج من صغار الصبار يجدد دواما زرعها . وهذا النبات له اشواك قاطعة كالسكاكين وعلى ذلك فالسياج الذى يتخذ منـه لا يمكن للمحاصر العارى الجسد ان يخترقه . والسائل اللبنى الذى يخرج منه سم قاتل يغمس الينباريون فيـه سهامهم وحرابهم مرات عديدة الى ان تكتسى طبقـة عجينية منه . والجـــروح التى تحدثها هـذه السهام والحراب هى جروح قاضية ولم يكن معروفا فى ذلك الوقت دواء مضاد لهـــذا السم ينجى المصاب به وهـــذه القبيـلة هى الوحيـدة بين قبـائل افريقيـة الوسطى برمتها التى تسمم بهـــذه الطريقة سلاحها . وفى ليلة هذا اليـوم نفسه بلغت التجريدة ارضا مكشوفة ونزلت تحت دوحة هائلة . ولم تقع العين لغاية هذه

اللحظة على الينباريين الذين كانوا يفرون فرار الآبق عند ما يلوح لهم شبح التجريدة . ومع هـذا لوحظ عند أفول الشمس عدد كبير منهم مجتمع على الميسرة .

وفى ٨ فبراير حملت التجريدة رحالها مبكرة . وابتعد جندى من جنود ساقتها عن صفوف الجيش مخالف بفعلته هـذه تعليمات شاليه لونج وهو عسكرى سودانى يقال له اسماعيل داشا . وكان ابتعاده هذا فى اللحظة التى أوشكت ان تعطى فيها الأوامر بالوقوف . وفى هـذا الوقت سمع فى الخلف طلـق عيار نارى فامتطى فى الحال شاليه دابته ورجع عدوا مع العساكر السودانية فوجد الجنـدى سابحا فى بحر من الدم الذى سال من الجـروح الهائلة التى أحدثتها بجسمه السهام والحراب . وخف هو ومن معه خلف أولئك السود الذين كانوا منهم على مرمى البصر وأصلوهم نارا حامية وهم على وشك الاختفاء فى جوف الادغال وبعـد ذلك أضحت كل مطاردة عقيمة . وعند ما وصلوا الى المصاب ضمدوا جراحه وتيسر لهم ايقاف النزيف ثم نقـل على سرير « عنقريب » الى المحطة حيث توفى بعد أربعة أيام متأثرا من جراحه . وعقدوا النيـة على الاقامة فى هذه المحطة وكان وصولهم اليها فى ١٠ منه .

وصولها الى خور إليه

وعند ظهيرة اليوم العاشر من فبراير بلغوا شواطىء « خور إليـه » Khor El Yeh قرب زريبة الشيخ الاطروش وهو شيخ مصاف للحكومة وهناك وجدوا الفصيلة التى أرسلت قبلا . وقدم الاطروش والضباط ليقدموا واجب التحية الى شاليه لونج وأخبروه انهم أضاعوا كثيرا من الرجال أثناء

الطريق بسبب الحميات .

والاطروش هذا صياد من صيادى العاج القدماء قدم الى هذه البلاد منذ زمن بعيد مع عصابة من الدناقلة واشتغل في تجارة العاج فى بلد المكراكيين « نيام نيام » ونجح فيها . وسار بعدة حملات سيرا مرضيا وتوغل بها فى داخلية البـــلاد . ثم لما احتكرت الحكومة العاج انضم اليها ودخل فى خدمتها . وكانت الصلات مع نيام نيام على أتم ما يكون من الصفاء والمودة وكان ينقصهم أمر واحد ألا وهو القوة العسكرية وكان شاليه قد عقد النية على سد هذا الفراغ باقامة نقطة عسكرية مستديمة فى ديارهم .

وكان نهير إليه La rivière El Yeh ينساب متجها الى الشمال ويستمر فى اتجاهه هذا الى أن يبلغ شمبي وفيها تختلط مياهه بمياه البحر الأبيض . وهذا النهير لا يصلح لسير السفن الكبيرة إلا فى فصل الأمطار . وكانت محطة الاطروش واقعة على قيد ١٥ دقيقة من ضفته وعلى ضفة مجرى صغير يصب فى نهير إليه .

وقسم شاليه لونج كتيبته الى اربع فصائل كل فصيلة قائمـــة بذاتها مسترشدا فى ذلك بتجارب الأطروش . ووضع كل فصيلة تحت إمرة واحد من الضباط وزود كل ضابط بتعليمات مقتضاها أن يبذل كل منهم مجهوده فى توطيد حسن العلائق مع الأهالى وأن يسعى فى تحسين أحوالهم من جميع الوجوه . وبعد أن أتم تقسيم جنوده وواجه كل قسم منها الوجهة التى أرادها عقد النية على أن يكترى ٦٠٠ حمال لترافقه الى البحر الأبيض ولتنقل ٦٠٠ ناب من أنياب الفيلة طبقا لرغبة الأطروش .

وبسبب ما قاساه النيام نيام من ضروب القسوة وما عانوه من المشاق بسبب غارات الينباريين على بلادهم التمسوا من شاليه لونج أن يأذن لهم باعلان الحرب على هؤلاء الآخرين . وجعلوا فى هذا الاذن شرطا لعودتهم معه . وكان هذا جل مراده أيضا إذ انه كان يرغب أن يثأر من الينباريين لسفكهم دم اسماعيل داشا وكان رفاق هذا يرغبون هم الآخرون فى أخذ الثار أضعافا مضاعفة عما كان يرغب شاليه لونج وعلى ذلك تم الاتفاق على ان يذهب النيام نيام معه .

سفرها الى بلاد مكراكا

وفى ١٥ فبراير سافر الى محطة أخرى فى الشمال الغربى يصحبه حرسه السودانى والاطروش . وهذه المحطة يقال لها مكراكا اساريا Makraka Assaria وبعد مسيرة أربع ساعات دخلوها بسلام . وشيخ هذه النقطة كان رجلا أفغانيا اسمه احمد أغا قدم هذه النواحى منذ اعوام كثيرة وعلق آماله بنيل الثراء بواسطة الدناقلة . وزريبته التابعة للاطروش كانت مثالا فى النظافة وحديقته الشاسعة الواسعة المعدة لزرع الخضر والموز كانت برهانا ساطعا على ما تجلى به من حسن الفطن الأمر الذى لم تعهد رؤيته فى افريقية . وبما ان شاليه لونج كان ينوى أن يقيم هناك محطة وكان قبل ذلك قدم الى هذا المكان الضباط والجنود فتقدم هؤلاء وقدموا له شكرهم وأكدوا له أنهم يرتاحون جد الراحة للاقامة فى هذه الجهة . والظاهر أن فى استطاعتهم أن يجدوا فيها عدداً من النساء لا حصر له .

وفى ١٨ منه بارح هذه المحطة فى الساعة السادسة صباحا يصحبه أيضا الاطروش وولى وجهه شطر مكراكا الكبيرة حيث كان فيما سلف من

الأيام قد أقام محطة . فكانت عينه تقع دائما أبدا على مناظر لا تتغير ولا تتبدل والأهالى الذين يقابلهم فى طريقه يبدون له ولاء ومودة . وانتهوا من المرحلة الأولى الى نجد مستوى السطح تكسوه أكواخ من القش حسنة البناء حيث كان فى انتظارهم الشيخ بارافيو Parafio ليرحب بقدومهم ويكرم وفادتهم . والشيخ بارافيو هذا من اهالى النيام نيام وله ١٠٠ زوجة و ٢٥٠ ولدا . وبعد أن أكرم مثواهم وقضوا ليلتهم انطلقوا فى الغد يمشون الى ان بلغوا نقطة أمامية وضعت فيها ثلة من الجند . اما المحطة نفسها فكانت قائمة عند قاعدة جبل لينجتير Lingeterre . ومن هذا المكان يستطيع المرء ان يرى جبل باجينسى Baginsi الذى وصل اليه الدكتور شوينفورث Dr. Schweinfurth عند ما قدم من بحر الغزال بصحبة أبى حامد . وهذا من المشايخ الدناقلة رافق الأول بصفة دليل فى هذه السياحة .

وكانت طبيعة أراضى تلك الناحيـــة حديدية وساكنوها يشتغلون باذابة المعادن وصنع مزاريقهم ذات الأسنان المهلكة . أما السبائك والأطواق النحاس التى يتخذون منها حلاهم فترد اليهم من أقليم دارفـــور الذى يمكن الوصول اليـــه بعد مسيرة ٢٥ يوما فى طريق يسلكه الدناقلة رواد الزبـــير رحمة الله باشا .

وكان هؤلاء دخلوا هذه الأراضى منذ سنين كثيرة بقصد استغلال العاج . وبين هذه الناحية ولادو قاعدة الحكومة على ضفة النيل مسافة ٢٥٠ كيلومترا وذلك مما يجعل طريق الداخلية أكثر استقامة وبالتالى أقصر كثيرا . وهى فائدة عظمى للحكومة . غير انه كان يبقى بعد ذلك لتوطيد الأمن فى هذه المسافة ايقاع العقـــاب بالينباريين وخضـــد شوكتهم بل ملاشاتهم

اذا دعت الحالة الى ذلك لأن وجود هؤلاء القوم كان ضربة قاضية على القبائل المجاورة .

وكانت الزريبة الموضوعة تحت اشراف كبير من كبار الزنوج يقال له فضل الله لا تختلف فى شىء عن مجموعة الاكواخ التى من القش المحاطة بسياج والمسماة بهذا الاسم .

وفى ٢١ فبراير رجع شاليه لونج الى مكراكا أساريا مبكرا بعد أن عرض الجنود . وكان عليه ان يظل فى هذه الناحية يوما وكان ينوى بعد ذلك ان يعود الى « مكرا كا موندو » Makraka Mundo وهى محطة الاطروش لكى يتخذ الاجراءات اللازمة لايجاد العدد اللازم له من النيام نيام ليرافقوه بصفة حمالين لنقل العاج .

وبعد مسافة أربع ساعات وصل الى زريبة صديقه بارافيو Parafio الذى أقنع الاطروش صديقه أن يطلب منه البقاء الى اليوم التالى فأجيب الى هذا الطلب وفى المساء أقيمت حفلة رقص كبيرة من نوع رقص الكنغو احتفاء به .

وفى الغد عند الساعة السادسة صباحا ودع شاليه لونج بارافيو وبعد مسيرة ثلاث ساعات دخل محطة مكراكا أساريا تحت رذاذ من المطر واستقبله الشيخ احمد اغا بكثير من الابتهاج والفرح وأنبأه أنه جمع كثيرا من العاج وأن مسألة جمع الحمالين سائرة سيرا مرضيا .

وفى ليل ٢٣ منه أقام الشيخ مرقصا كبيرا على النمط الكونغى وجمع لهذه المناسبة سائر رجال حربه وأرسل دعوة الى كل عذارى النيام نيام .

وكان الشيخ وهو رجل قوى البنية شديد العضل يدير حركة مرقص رجال حربه . وكان يحمل صارما عجيب الشكل رمزا لسيطرته . وظلت الحفلة حتى مطلع الفجر .

وفى ٢٤ فبراير رجع شاليه لونج الى مكراكا موندو وهى محطة الأطروش التى كان ينوى ان يجهز فيها معدات السفر فى أقرب وقت لأنه كانت تتوعده رياح زعزع عاتية تحمل فى ثناياها بردا منذرة بقدوم فصل الأمطار قبل الأوان . ونبأه الشيخ أن فصل الأمطار هناك يتقدم شهرا على زمن حلوله فى غندوكورو .

معاقبة شاليه لونج للينباريين

وكانت التجريدة عندئذ قد بلغت مرادها وأصابت المرمى الذى قدمت من أجله . وكان يحق له أن يغتبط بالنتيجة التى وصل اليها لأنه وطد اركان الحكومة وثبت دعائمها وجمع معلومات قيمة خاصة بالبلد وسكانه ولم يبق على كاهله إلا أمر واحد ألا وهو إنزال القصاص عند أوبته بعشيرة الينباريين . فوجه كل التفاته وحصر كل عنايته فى تجنيد اهالى النيام نيام وهذه المسألة لم تكلفه سوى شىء زهيد من العناء . ومهد له الطريق لبلوغ غرضه هذا منحه الأهالى بعض هدايا من نسيج القطن .

وفى ليلة ٦ مارس كان شاليه قد فرغ من تجهيز جميع المعدات . وأمر باقتران كل ناب من ال ٦٠٠ ناب الفيل المتجمعة لديه الواحد بالآخر بواسطة حبل . وكان ٦٠٠ رجل من المكراكيين واقفين على أهبة السفر فى الغد عند أول إشارة . ورغب الشيخ الأطروش الاياب معه وأن يستصحب

صيادى العاج الدناقلة غير النظاميين البالغ عددهم ٥٠ . وكان قد زاد عدد الحرس السودانى المكلف بمرافقته بمن انضم اليه من المجندين الجدد . وانضم كذلك الى حرسه الخاص كثير من أهالى نيام نيام . هذا ، وبضم غير النظاميين والحمالين الى من تقدم ذكره كان يبلغ عدد الذين تحت إمرة شاليه لونج ١٤٠٠ رجل . وقد ساوره شىء من الهم بشأن أقواتهم إلا أن الأطروش طمأنه من هذه الناحية وقال له انهم سوف يجدون الشىء الكثير من الزاد اثناء الطريق .

وكانت التجارب قد علمته انه اذا أراد السفر مبكرا لزم أن يأخذ فى السير من العشى . وعلى هذا أمر حمالى العاج وغير النظاميين أن يذهبوا ليلا الى نهير إليه ويعسكروا بجانبه وان يتأهبوا للسفر فى الغد وهذا الاحتياط حال دون أى تأخير فى المسير صباحا .

وفى ٧ مارس عند ما برز قرن الغزالة بارح شاليه لونج المعسكر مصحوبا بالأطروش وبالجنديين سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوى وحرسه السودانى كى يذهب وينضم الى الكتيبة النازلة على ضفة نهير إليه التى كانت مترقبة قدومه لتعاود السير معه متجهة شطر البحر الأبيض . وشعر شاليه بتحسن فى حالته الصحية بينما كان موليا وجهه نحو لادو مع أنه كان هو ورجاله عرضة فى كل يوم لنوبات الحمى . وما ذلك إلا لأن جسمه كان يتوق الى الراحة عقب عام قضاه فى حركة مستمرة بين أوحال وأدغال والاختلاط بأقوام همج متوحشين . وبناء على ما تقدم كان يرى أن وصوله الى لادو يضع حدا لمتاعبه .

ولم يبد العساكر السودانيون أى تذمر من المسافات الشاسعة التى كان

يكافئهم بقطعها . وهذه شهادة حق كان يقر لهم بها فرحا مسرورا . وفوق ذلك فانه لم ير منهم ولا من الجنود المصرية فى أثناء رحلات متعبة وطويلة إلا إخلاصا ووفاء ونظاما لا يسمو عليه نظام عند ما كانوا يقومون بأعمال تحت إشرافه .

وفى ٩ مارس قبيل منتصف النهار وصلت التجريدة قرب المكان الذى كان هوجم فيه الجندى اسماعيل داشا هجوما فظيعا لقى فيه حتفه . فتهيج عند ذلك رفاقه السودانيون هيجانا شديدا غير أنهم أطاعوا الأوامر التى وجهها لهم شاليه لونج ولم يخرجوا عند منطوقها قيد أنملة . وكانت هـذه الأوامر تقضى بأن لا يقوموا بأى عمل دون أن يوافق عليه . وكان فى نيته أن يتجه الى نجد ملاصق لجبل حتى إذا بلغه استحضر الشيخ الذى وقعت من رجاله الجناية وطلب منه تسليم القاتل . وأقيمت العقبات فى سبيل بلوغ هذا الأرب وعند ما انتهى الجيش الى المضيق الموصل الى النجد الذى كان يطمح الى الوصول اليه رأى أن الذروة اليمنى منه تحتلها قوة من اليناريين . وقابل هؤلاء الجيش بالصياح وتحرشوا لقتاله وعندئذ دفـع شاليه القوة غير النظامية الى الامام بقيادة الأطروش لتطرد العدو من الأدغال الكثيفة التى كان يحتجب فيها ويقذف منها الجنود بسهامه المسمومة . وعند ما طرد شيخهم من مكمنه أصابته قذيفة فى رأسه فخر صريعا على الطريق . وفى هذا الوقت كان شاليه لونج لابدا على صخرة مشرفة على الميدان يدير حركة القتال وما لبث الجيش أن طرد الأعداء من مكانهم واجتاز المضيق عدوا بدون خسارة واستمر يرسل النار بانتظام وهو يتسلق منحدر النجد .

وأمر شاليه لونج رجال نيام نيام أن يكدسوا العـاج وأقام عليه فصيلة



واقعة الينباريين مع الجنود المصرية والسودانية بقيادة أميرالألاى شاليه لونج بك
وهو المتطى الجواد ، فى ٩ مارس سنة ١٨٧٥ م

من السودانيين لحراسته وأحاط المعسكر ايضا بحرس بعد أن جمع بداخله غير المقاتلين . وطرد بواسطة العساكر السودانية والجنود غير النظامية الينباريين من الأدغال التي تحيط بالناحية وأرسل رجال نيام نيام في وسط الأعداء لينازلوهم جسما لجسم . وفي الحال أخذ الينباريون وهم لائذون بأذيال الفرار يبذلون الجهد لبلوغ الجبال القائمة أمام الجنود .

وعند ما أرخى الليل سدوله شوهد لهب ودخان يتصاعد في الفضاء ويحيط الوادي والجند بدائرة من النيران . ولم يرجع رجال نيام نيام إلا في الغد وذلك عند غروب الشمس بعد أن أشعلوا النار في ٢٠ قرية وغنموا ماشية . وبذا تلقى الينباريون درسا يضمن عدم عودتهم في المستقبل لسد الطريق بين البحر الأبيض وأراضي نيام نيام الموادعين .

وصول التجريدة الى لادو

وفي صباح الغد ١١ مارس والت التجريدة سيرها فلم تر في طريقها نفرا من الينباريين حتى كأنهم اختفوا بين سمع الأرض وبصرها . وفي عشية يوم ١٢ منه انتهت الى المكان الذي كان قضى فيه الانباشي على جلال أفندي نحبه ونزلت فيه عند ما توارت الشمس بالحجاب وكان التعب قد أنهكها بعد مسيرة يوم كامل . ورغما عن ال ٣٦ ساعة التي وقفتها في بلد الينباريين تقدمت بسرعة مدهشة فوصلت الى لادو في ١٤ مارس . وانتشر خبر مقدمه وعند دخوله فيها استقبلته حاميتها المؤلفة من ٢٥٠ جنديا استقبالا عسكريا

نخجا وأخـــبره البكباشي على لطفى افنـدى (١) قائد المحطة بأنه أمر بأن يعمل هـكذا وألح عليـه إلحاحا شديدا بأن يظهر أمام الجيش رغما عن ان كسوته كانت ملوثة وممزقة . فنزل شاليه لونج عن صهوة جواده واتجه نحو الجيش يصحبه القومندان وصالح افنـدى طبيب المحطة فقدمت له السلاح تكريما وتعظيما . وفى أثناء ذلك كان القومندان يتلو الأوامر العالية التى منحه بمقتضاها كل من جـلالة السلطان عبد العزيز وصاحب السمو الخـديو رتبـة أميرالألاى والنيشان المجيدى من الدرجـة الثالثـة مكافأة له على ما أداه من الخـــدم المبينة بالخطاب الذى سيذكر فيما بعد والموجه من صاحب السمو الأمـــير حسين كامل ناظر الجهادية الى أميرالألاى غوردون الحكمدار العام لمديريات خط الاستواء :—

القاهرة فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤

نظارة الجهادية   مكتب الناظر

ياحضرة الميرالاى

لقد تعطف سمو الخديو وأراد أن يظهر للقائمقام لونج التفاته وحسن رضاه نظرا لما أبداه من حسن السلوك والاقدام والثبات فى الموقعتين اللتين حدثتا عنـد مرولى بالقرب من خط الاستواء فمنحـه رتبـة أمـيرألاى مع النيشان المجيدى .

---

(١) — رقى فيما بعد الى رتبة قائمقـام وأرسله عبد القـادر باشا حلمى حكمدار السودان العام على رأس فرقة لتعزيز حـاميـة الأبيض التى كان يحاصرهـا عند ذاك المهدى فلم تتمكن من الوصول الى الجهة المرسلة اليهـا وأبادها تقريبا عن آخرهـا المهديون بالقرب من باره وقتلوه هو الآخر .

وتجدون مع هذا الفرمان الصادر بذلك فأرجوكم أن تسلموه لأميرالألاى لونج بك وتقدموا له فى الوقت ذاته من قبلى التهانى .

وتفضل ياحضرة الميرالاى بقبول تمنياتى الطيبة ؟

« إمضاء » حسين كامل

* * *

وفى ١٧ مارس قام شاليه لونج الى الرجاف ليقدم تقاريره ويتحدث مع أميرالألاى غوردون فى عدة مسائل هامة تتعلق بافريقية الوسطى . وكان يتمنى أن يكون كباريجا عوقب وكان يعتقد ان تنصيب رونجا ملكا فى مرولى يمتن رابطة المودة مع متيسا ويدعو كباريجا لمزايلة البلد ويرى ان كوكبة من الرجال ممتطية ظهور الجياد أو البغال تستطيع عندئذ أن تتكفل باخضاع تلك البقاع وتعجل حل مسألة البرت نيانزا .

وتقرر فى نهاية الأمر أن يرجع الى القاهرة للاستشفاء واسترجاع صحته التى أمست فى اسوأ حالة . وزوده الحكمدار العام بوصاية بلغت عباراتها منتهى المدح لنيل قيادة تجريدة كان تقرر قيامها من نقطة من النقط الواقعة على شاطىء افريقية الشرقى ومسيرها الى أن تبلغ بحيرة البرت نيانزا .

ولم يبق عليه إلا أن يقدم للحكمدار العام وافر تشكراته لتقديره ما قام به من الاعمال تقديرا ساميا وان يعرب له عما يخالجه من الأمل ببلوغ الأرب واتمام الاعمال التى أمست شغله الشاغل ألا وهى ترتيب باخرة فى بحيرة البرت نيانزا وسبر غور ماء هذه البحيرة جميعه .

وفى ٢٠ منه عاد شاليه لونج الى « لادو » وبعد ان سلم جميع ما بعهدته وأخلى نفسه من كل المسئوليات الرسمية أبحر منها فى ٢٢ منه على ظهر باخرة قاصدا الخرطوم واصطحب معه الجنديين سعيد وعبد الرحمن الى القاهرة لانه كان يريد أن يقدمها بنفسه الى الخديو مكافأة لما أبدياه من الاقدام والبسالة والاخلاص .

وفى ٧ أبريل بلغ الخرطوم وفيها تلقى أمرا من خيرى باشا بأن يتوجه فى الحال الى القاهرة عن طريق كروسكو . وبرح الخرطوم فى ١٦ منه ميمما بربر وفيها قابل البكباشى بروت Prout الذى كان قد تقرر أن يخلف أميرالآلاى غوردون بصفة حكمدار عام لمديريات خط الاستواء .

وفى ٢٨ منه سافر من بربر وفى ٨ مايو وصل الى كروسكو ومنها أبحر فى الحال على متن ذهبية كانت قد أعدت له خصيصا لتنقله الى اسوان . وفى ١٦ منه وصل اليها فوجد الباخرة فؤاد راسية بها متربصة قدومه من عدة أيام فركبها وسافر فى اليوم الذى ولى يوم مجيئه وقصد اسيوط وهى المحطة الاخيرة لسكة الحديد فدخلها فى ٢١ منه .

وصوله الى القاهرة ومقابلته للخديو

وفى بكور يوم ٢٢ مايو ركب القطار الى القاهرة فوصل اليها فى اليوم عينه الساعة السادسة مساء . وبلغ الخديو خبر قدومه غداة اليوم الذى وصل فيه فأرسل يقول له انه مستعد لمقابلته فى الحال بسراى عابدين . وعند ما أدخل عليه تقدم نحوه وصافحه وشكره بعبارات مؤثرة على

الخدم التى أداها فى افريقية الوسطى .

وبعد ذلك ببضعة أيام استدعاه مرة أخرى الى قصر النيل حيث كان الخديو يحيط به وزراؤه وكبار موظفى البلاط وضباط الجيش فقابله بالايناس والبشر والمجاملة وانتهز شاليه لونج هذه الفرصة لتقديم مجموعة الأسلاب والغنائم التى رجع بها من حملاته .

وفى ٣٠ مايو أرسل الخديو يستدعيه مرة ثالثة فى قصر النيل حيث اجتمع عدد كبير من الموظفين ملكيين وعسكريين والجنديان سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوى اللذان أمرا بمرافقته .

وألقى الخديو خطبة حافلة بعبارات فصيحة مؤثرة ردد فيها جميل المدح والثناء على ما أبدوه من الاخلاص والبسالة فى واقعة مرولى وما قاموا به من الخدم فى الحملة الثانية . وقدم الجناب العالى كدليل على رضاه وارتياحه الى شاليه لونج فرمانا بالانعام على الجنديين المذكورين برتبة باشجاويش والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة حتى يمكنه أن يعلقه بنفسه على صدريهما . وهذه أول مرة فى تاريخ الخدمة تمنح فيها النياشين للجنود البسطاء .

واليك ما حدث فيما بعد لهذين الجنديين البطلين أثناء قيامهما بالخدمة :

ترقى سعيد الى رتبة ملازم وكان يقود فصيلة فى محطة بور عام ١٨٨٨ م حين اغارة المهديين على مديرية خط الاستواء فهاجم هؤلاء نقطته واستولوا عليها وقتلوا جميع الحامية بما فيها سعيد .

أما عبد الرحمن فبقى برتبة باشجاويش لغاية سفر أمين باشا من مديرية

خط الاستواء ولحق بأحد قسمى الجيش الذى انضم تحت قيادة سليم بك مطر عند تقسيمه كما سيأتى ذكره .



ارنست لينان دى بلفون

٢ — ملحق سنة ١٨٧٥ م

مأمورية ارنست دى بلفون في أوغندة

من ٢٥ فبراير الى ٢٢ أغسطس

إرسال وفد لربط العلائق بين مصر وأوغندة

أراد أميرالألاى غوردون أن يوثق عرى الصداقة والمودة بين مصر وأوغندة فوطد العزم على أن يرسل وفدا الى ملكها متيسا يكون على رأسه إرنست دى بلفون لأتمام المأمورية التى قام بها أميرالألاى شاليه لونج فى تلك النواحى فى السنة الماضية .

وصول الوفد الى فويرا

وفى ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٥ بارح مسيو إرنست دى بلفون محطة فاتيكو العسكرية التى كان بها ويمم محطة فويرا ومعه ٣٠ جنديا سودانيا وسعيد أغا بصفة دليل . وعبر بادىء ذى بدء نجد فاتيكو من الشمال الى الجنوب . وامتداد هذا النجد فى هذا الاتجاه يبلغ زهاء ثلاثة كيلومترات . وكان الفصل عند ذاك فصل الجفاف والأرض مغطاة بأعشاب جافة وهذا ما صير اجتيازها سهلا . وكان يوجد فى الغرب بعض قرى كبيرة موليه ظهورها الى جبال شاهقة . أما فى الشرق فكان النجد ممتدا فى الفضاء الى ما وراء مرمى البصر . وينحدر الانسان بغتة من النجد فيصادف اخوارا قليلة الاتساع .

وعلى بعد ١٤ كيلومترا من فاتيكو توجد قرية « ساكا » Saka وتسمى كل هذه البقعة بفاتيكو . أما مركز ساكا فقد اصطلح الدناقلة على ان يسموه وادى العجوز Wadi El Agouz .

ومركز فاتيكو غني فقيه الشيء الكثير من الحبوب والطيور والمعز والشاء وبه قرى عديدة ونواحيه عامرة وسكانه عائشون فى بحبوحة من العيش هادئين ساكنين والحماية لا تدع يد السوء تصل اليهم فيبيعون منتوجاتهم بلا خوف ولا وجل من حيف أو ظلم من الدناقلة الذين قد زالت اشباحهم واختفت آثارهم .

ولدى الوصول الى ساكا تنازل الأهالى عن اكواخهم لرجال الوفد بما فيها من الأدوات المنزلية وتركوا بها حتى النيران موقدة . والشيخ ساكا المسماة القرية باسمه هو ترجمان وادى العجوز قدم لهم دقيقا ودجاجا وبيضا وكل ذلك عن طيبة خاطر وبشاشة مبديا ارتياحه لرؤية الجيش فى دياره . وقضت الارسالية يومى ٢٦ و ٢٧ فى ساكا .

وفى ٢٨ حملوا متاعهم عند الساعة ٥ صباحا . وكان المطر قد هطل طول الليل وبلل الأرض . ويمم الوفد وجهه شطر الجنوب الغربى وبعد مسيرة ١١ كيلومترا انتهى الى « خور الزلط » وهو خور يمكن عبوره إذ انه لا يوجد به فى هذا الأوان إلا طبقة رقيقة من الماء ولكنه فى فصل الامطار ينقلب سيلا عرما .

وبعد مسيرة ١٢ كيلومترا أخرى وصل الوفد الى « خور الطور » وهو نهر يتجه نحو النيل الأبيض ويصب فيه تجاه فسويرا . وفى جنوب هذا

الخور وعلى بعد ٨٠٠ متر منه يوجد مكان معسكر سير صمويل بيكر القديم ودوحة من شجر الجميز يطلق عليها اسم « شجرة الباشا » لأنه كان يعقد تحتها جلساته . وهنا قضى الوفد ليلته .

وفى أول مارس حمل الوفد متاعه عند الساعة الخامسة بعد ليلة ممطرة واجتاز نجدا واسما فياحا به غابات وبه تشاهد آثار كثيرة لأقدام الفيلة والجاموس . وعلى مرحلة ١٥ كيلومترا من خور الطور يصل المرء الى بقعة مستديرة يقال لها « سجا » Sagga كان بها قديما معسكر الدناقلة وهى نقطة مفرق طريقى « فاتيكو » و « فاو » وفى وسطها شجرة وارفة الظلال حفر فى جذعها : « شاليه لونج ١٨٧٤ م » .

وبعد مسيرة ١١ كيلومترا من سجا يصل المسافر الى خور يقال له « خور الكرفا » Khor El Korva وعند هذا الخور نزل الوفد . وكان المطر قد أخذ يهطل ولم ينقطع إلا عند ما آذنت الشمس بالمغيب . وفى ٢ منه سار عند الساعة السادسة وعبر غابة وبعد سفر ١٣ كيلومترا حط رحاله ليقضى ليلته . وفى ٣ منه انطلق فى السير عند الساعة السادسة . وفى أثناء الطريق فرغ من رجاله الماء ووعد الدليل أن يجد لهم ماء فى بئر « الألابار » Elabar . وقد بلغ الوفد هذه البئر بعد أن قطع ١٠ كيلومترات غير أنه ألفاها ناضبة لا ماء فيها وعلى ذلك اقتضى الحال مداومة المسير لغاية « خور الكابولى » Khor El Kabouli الواقع على مسافة ١٥ كيلومترا حيث وقف . وهاجمت بين هذين الموضعين جماعة من قبيلة يقال لها لانجو Lango المتخلفين من رجاله ولكن نيران الخمسة الجنود الذين كانوا مكلفين بمرافقة هؤلاء المتخلفين بددت شملهم وجعلتهم يلوذون بأذيال الفرار . وعند الساعة

السابعة هبت زوبعة عاتية وأرسلت السماء صاعقة وقعت على مسافة ٢٠٠ متر من المعسكر ونزل المطر مدرارا الى الساعة التاسعة .

وفى ٤ مارس كان رجال الوفد فى ارتقاب بزوغ الشمس ليجففوا متاعهم . وفى الساعة التاسعة تكشفت السماء وأرسلت الغزالة أشعتها فتحرك واتجه شطر فويرا وبعد سفر ساعة بلغ مصب خور الكابولى فى الموضع الذى تصب مياهه فى النيل اتجاه فويرا .

وكان الخبر قد بلغ مسامع ريونجا فى العشية فأرسل عدة زوارق ليجتاز الوفد النيل عليها وكان يوجد بين هذه الزوارق زورقان طول الواحد ١٥ مترا وعرضه ١٫٥٠ من الامتار فعبر الوفد النيل أمام فويرا .

وهنا تجلى أمام العين منظر يفتن الالباب ويأخذ بمجامع القلوب إذ يسرح الطرف فوق سطح ماء النيل البالغ مسطح عرضه ٤٠٠ متر وقد صقلت تلك الصفحة وكانت شبه المرآة ثم ينتهى الى الضفة الشمالية وقد وقفت منتصبة انتصابا يوشك أن يكون عموديا وفرش الشاطىء فوقها ببساط من زهر النيلوفر تحمله حشائش ذات خضرة فاقع لونها داعبتها أنفاس نسيم عليل فتمايلت عجبا ورقصت طربا . وقامت عند منتصف تلك الضفة غابة من أشجار الموز بسطت أوراقها العريضة الزاهية فكانت كستائر نصبت لوقاية تلك الحشائش . وفوق هذا وذاك كانت أكواخ فويرا تلوح كأنها تتكون منها سلسلة قباب سقوفها ذهبية . ويرفرف العلم المصري مزدهيا على السفح وقد قامت خلفه دوحات باسقات تزدرى بهبوب الرياح ولا تبالى بالعواصف الجسام طاولت أعناقها وشمخت رؤوسها فراحت تناطح السحاب . وقد سبى ذلك المشهد عقل المسيو إرنست وشجى لبه . وتقدم اليه الحكمدار بكير افندى

وصدره محلى بالنيشان العسكري الذي أنعم عليه به لاشتراكه فى تجريدة المكسيك . وبعد تأدية حفلة الاستقبال العسكرية يمم المحل الذى أعد لنزوله فوجده مستوفيا جميع أسباب الراحة .

وقضى يومى ٥ و ٦ مارس فى فورا . وجاء ريونجا ليزوره وأحضر له بقرة وخروفا . فأهدى اليه إرنست ثوبا من الحرير ومسدسا وظروف جبخانة . وأخبر ريونجا مضيفه ان رجال كباريجا فى منطقة مرولى يمنعون أهالى مجنـــدا M'Ganda من المرور فى الأرض . فضاق صدره لهذا الخبر لأنه خشى أن يكون ذلك سببا فى تأخير سفره لمقابلة متيسا إذ يتعذر حينئذ وجود الحمالين .

وكان الشيخ انفينا قد انزوى فى جزيرة على مسافة زهاء ٣٠ كيلومترا شمال فورا وامتنع كلية من المجيء الى المحطة خوفا من أن يقع أسيرا ويسلم الى كباريجا . وأراد إرنست أن يقابله ويزيل ما علق بذهنه من المخاوف .

وفى ٧ منه انطلق ومعه ٢٠ جنديا ونزل النهر وسار بمحاذاة الضفة اليسرى وكان دليلهم فى هـذه الرحلة رئيس من رؤساء سفن ريونجا أى « متونجولى » واجتازوا غابة من العوسج والحشائش لا حد لهـــا وبلغوا شلالات أساكا Assaka وفيها أقاموا معسكرا . وكلف إرنست سعيد اغا بأن يتوجه الى الأمام مع ثلة من الجنود لينبيء انفينا بقدومه . وشيدت الجنود سقيفة ببعض من فروع الأشجار غير أنهم لم يحسبوا للمطر حسابا . وفى الساعة الحادية عشرة أخذ المطر يتساقط وبلل كل المعسكر .

وفى ٨ منه جففوا متاعهم وساروا متتبعين مجرى النهر . وعند الظهر وصلوا أمام معسكر به ٢٠٠٠ من رجال قبيلة يقال لها لانجو Lango غير أن مقدم

سعيد أغا بث فى نفوسهم الطمأنينة فى الحـــال . وكان الجنـد عندئذ امام دار انفينا . أما رجال قبيلة لانجـــو فكانوا عائدين من غزوة وجهوها ضد كباريجا وكانوا يفعلون ذلك بأمر انفينا فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا قدرا كبيرا من الماشية .

وعند ما قدم إرنست بارح انفينا جزيرته وأتى لزيارته . فبث إرنست فى نفسه الطمأنينة من نحـــو نيات الحكومة وأهدى اليه ثوبا وخرزا من الزجاج . وبعـــد ذلك ذهبوا الى انفينا فأعـــد لهم ملجأ وأرسل اليهم بقرة وخرافا وفراريج وبيضا ودقيقا وذرة وأهدى الى إرنست أربعة أنياب جميلة من أنياب الفيلة .

وفى ٩ مارس رجع انفينا معه ليتعرف بحكمدار فـــويرا وأعطاه دابة وهـذه الدابة عبارة عن ثور فسر بها كثيرا وعلم انفينا علم اليقين عند ما دخل فويرا حيث يسود النظام والنظافة أن الجيوش التى أمامـــه هى بلا جدال جيوش الحكومة وقرر أن يعين نائبا عنه مستديما فى هذا المكان ويجلب فيه العاج والدقيق .

وفى ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ منه لم يستطع إرنست أن يباشر عمـــلا ما لانحراف صحته . وفى ١٤ منه تقدمت له شكوى من بعض الجنـــود يطلبون فيها الانتصاف من ضابطهم ويتهمونه بأنه قال لريونجـــا أن الجنود ما هم إلا عبيد له أرقـــاء . فشكل مجلسا لفحص هـذه الشكوى والبت فيهـــا . ولفت نظره شىء واحد وهو أن عساكره السودانيين لا شىء يثـــير ثائرة الغضب فى نفوسهم اكثر من تسميتهم عبيـــدا بل هم يعتبرون هذه التسمية أكبر مسبة .

وفى هـذا التاريخ حضر من قبل ريونجـــا ٤٠ زنجيا بقصد الذهاب الى فاتيكو ليأخذوا باقى الأمتعة التى برسم مديرية فـــويرا . وقبل سفرهم أقامو مرقصا .

وفى ١٥ مارس وصل وفد من اهـــالى أوغندة مؤلف من ٤٠٠ رجل . ووقتما زايلوا أوغندة لم يكن عندهم علم بقدوم إرنست . وهـذا الوفد كان مرسلا من قبل متيسا الى غوردون باشا ومعه مكتوبان بطلب أرسال حلاق ومقرىء . وكان متيسا يطلب غير ذلك عقـاقير طبية ويرجـو أن يؤذن بتصليح ساعتين له . فذهب ثمانية من المتونجوليين فى هـذا الوفد لزيارته وقرروا أنهم لا يذهبون إلى لادو بل يرافقونه عند ملـكهم .

ولغاية ٢٦ منـه كان إرنست لم يزل فى فـــويرا بسبب انحراف صحتـه . وكان عند ما قدم اليها ينـوى أن يصعد بلا توان فى النيـل لمقابلة متيسا . ولـكن قيـل له ان أهـالى مرولى وهم أولئك القوم الذين هاجموا شاليه لونج سيحولون دون مروره .

وكان غوردون قد سمح لارنست أن يستولى على ناحية مرولى عنوة ويولى عليها ريونجـــا الذى كان صاحبها فى الأصل ثم انتزعها منـه كرازى والد كباريجا . ولـكن بعـد أن فكر إرنست فى الأمر مليا رأى أن ريونجا لا يستطيع أن يثبت أقدامه فى هذه الجهة إلا اذا أقيم فيها حاميــــة . وفوق ذلك فان قوات النقط كانت ضعيفة كثيرا والذخيرة غير وافية إذ لم يكن لدى كل جنـدى سوى ٣٠ ظرفا . ورأى أيضا أن الحـالة ستكون عند الاياب على غير ذلك إذ تكون المؤونة والذخيرة قد وردتا من فاتيـكو فلا يكون عندئذ ما يمنعه من البقاء فى مرولى الوقت اللازم لينظم المحطة الجـديدة . وعلى ذلك

صحت عزيمته على الرحيل فى غد اليوم التالى الى أوغندة .

وقدم وفد جديد من أوغندة وكان يقوده شيخ من كبار المشايخ يسمونه القاضى . وقد دخل هذا الشيخ المحطة وزار إرنست . والظاهر ان متيسا كان ينتظر بفارغ الصبر قدومه . وكان هذا الشيخ يتخيل أنه سلطان كبير ولكنه صار يدرك الآن أنه لا سلطان فى افريقية الا واحد وهو سلطان المسلمين . وطلب أن تقدم له جميع الوسائل لدخول رعاياه فى الدين الاسلامى فأجابه إرنست بأن مليكه سيرسل حتما كل ما يلزم لتثقيفه وتهذيبه .

وفى ٢٧ مارس راى إرنست أن صحته قد تحسنت فأخذ يجهز معدات السفر فى الغد . وقدم الأوغنديون ليتفقوا على مسألة الترحال وكان عددهم يربو على ٤٠٠ رجل وكان من المحقق أن يوجد العدد الكافى من الحمالين . وأتى ريونجا لمقابلته والحزن يطفح على وجهه إذ رآه متهيئا للسفر قبل أن يقره فى مرولى . وكان سير صمويل بيكر وبعده شاليه لونج وعداه باتمام هذه المسألة ولم يفيا بذلك وها هو الآن يرى للمرة الثالثة الاخلال بالوعد . وشق ذلك على إرنست وأعطى على نفسه عهدا بأنه عند إيابه اذا شاء الله يمده بالمساعدة .

وفى ٢٨ منه فى الساعة السادسة كانت معدات السفر قد جهزت وأخذ الأوغنديون يتجاذبون الأمتعة وقد حدث اختلال وضجيج مريع لكثرة عددهم . وسافروا فى نهاية الأمر عند الساعة الثامنة . وعلل إرنست النفس بالآمال ألا يتجدد هذا المشهد كل يوم وترك فى فويرا حميره لأنه ما كان يرجى من وجودها معه سوى حدوث العراقيل . وجواده الثانى كان قد نفق على أثر لدغة ذبابة ولم يأخذ غير الثلاثة البغال .

وولوا وجوههم شطر الغرب تاركين النهر خلف ظهورهم . وكانت السماء محجبة بالسحب والشمس تطل من ورائها بين حين وآخر وترسل عليهم أشعتها . ودخلوا غابة بها أشجار يسر مرآها الأعين وعند ما خرجوا منها توغلوا فى غابة أخرى تختلف عن الأولى . وهاتان الغابتان عبارة عن أشجار موز غاية فى الجسامة تكون من مجموعها بساط من الخضرة لا يدرك البصر نهايته وتعجز أشعة الشمس عن اختراقه . وكان مسيرهم تحت هذا البساط .

وبعد ٤ ساعات اتجهوا شرقا وساروا حتى أفضوا الى شاطىء النهر تجاه الجزيرة التى يقيم فيها ريونجا . وأخذت الغيوم التى كانت تتجمع ترسل ماء ثجاجا فوق رؤوسهم وساروا ساعة تحت نزول هذا المطر الهطال ابتغاء الوصول الى « كسامبوا » Kissembois . وهو المحل الوحيد الذى يستطيعون أن يجدوا لهم فيه عاصما من الامطار . وهذا المكان عبارة عن زريبة لريونجا ومحطة أيضا للاوغنديين الذين كان عددهم فيها ينوف على ٨٠٠ رجل بما فى ذلك الرجال التابعون لارنست . ووصل عشية اليوم رئيس من رؤساء بحارة متيسا ليستحث الوفد على الاسراع فى القدوم . وجاء أيضا ريونجا من جزيرته ومعه رأس من الضأن برسم إرنست وبقرة للجنود . واحتل القوم بعض الاكواخ ودفئوا ثيابهم بواسطة النيران على قدر ما استطاعوا .

وفى ٢٩ مارس علم إرنست بوفاة جندى يدعى مرسال فى غضون الليل وكان هذا الجندى يشكو وهو فى فويرا ألم المرض فأمر بالبقاء فيها إلا أنه لم يطع وهكذا قضى نحبه ومات شهيد أداء الواجب وورى التراب بعد القيام بعمل ما تقضى به شعائر الاسلام وتأدية الاحتفال العسكرى الواجب لشخص فى مرتبته . وبعد الفراغ من ذلك انطلق الوفد فى سيره واتجه غربا بين أشجار

شائكة فكان شوكها يمزق الوجوه والأيدى ثم مر بعد ذلك من غابتين من شجر الموز وأفضى فى نهاية الأمر بعد أن جد مسيرة ٣ ساعات الى « فانياتورى » Faniatori وهى زريبة عتيقة من زرائب ريونجا والآن أضحت خاوية وذهب كل ما كان بها إلا نحو ١٠٠ من الأكواخ الصغيرة أقامها الأوغنديون ليتخذوها محطة لهم .

وفى ٣٠ مارس سافر الوفد مبكرا وعند الساعة السادسة جابوا نجدا فياحا تكسوه نباتات تستوقف محاسنها الأبصار وبه كثير من الفيلة وفيه تصاد . وشوهد فى ربوعه سرب منها لائذا بأذيال الفرار مادا خراطيمه فى الهواء .

وبعد رحيل ٤ ساعات انتهى الوفد الى « مسمودى » Massoudi وهى محطة لريونجا وقد أمست خالية تنعق فيها الغربان . وعند الظهيرة بلغ « طيطى » Tili وهى عبارة عن معسكر للأوغنديين وحمد القوم السرى إذ وجدوا بها أكواخا تقيهم الأمطار التى بدأت تنزل مدرارا .

وصوله الى مرولى

وفى ٣١ مارس بارح الوفد طيطى متجها شمالا في وسط سهل كثير الاخاديد . وفى الساعة التاسعة صباحا بعد ان جاب ١٠ كيلومترات دخل فى ارض « مرولى » . و مرولى هذه اقليم كان يملكه فيما سلف ريونجا غير ان كبرازى استولى عليه بمعاونة الدناقلة . وهذه الناحية غنية بالأنعام والحبوب وكثرة السكان . ويوجد شرق الطريق سلسلة من الزرائب الواحدة تلو الأخرى بلا انقطاع وتعرف باسم « حلل نييكا » Hellal Nyéka

و « حلل موجا » Hellal Moga ويوجد فى ظهر هـــذه القرى طود شامخ والنهر يجرى تحت قاعدته . وفى هذا الموضع هوجم شاليه لونج وطورد .

وبعـــد مسير ٤ ساعات أفضى الوفد الى نهر « كافو » Kafu فعبره ونزل فى « حلل كافو » على مسافة ٣ كيلومترات من النهر . وكان الأهالى يتركـون أكواخهم عند ما يدنو رجال الوفـــد حاملين ما استطاعوا حمله فيحتلها هؤلاء ويقتاتون بما يجدونه بها . والظاهر أن هـذه عادة اعتـادها أهـالى هـذه المنطقة . وقد عاد على الوفـــد تصرفه هـذا بالراحـــة التـامة إذ لولا ذلك لعـانى كثيرا من الصعـاب نظرا لنزول المطر مدرارا طـول تلك الليلة .

وفى أول أبريل كانت الأرض زلقا يصعب المشى فيها . وأخذ الوفد يجوب بلا انقطاع قرى تحدق بها الحدائق وأشجار الموز وحقول واسعة بها شجيرات اللوبيا وغيرها . وكان الأهـالى فى كل مكان يفرون من وجهه هاربين تاركين كل شىء ولا يلوون على شىء .

وصوله الى حلل « واكيتوكو » و « أرجو »

وفى الساعة التاسعة بارح الوفد اقليم مرولى ليدخـل فى « واكيتوكو » Wakituku وهى من أراضى كباريجا وفيها يوجـد كثير من الحدائق . وفى الساعة الحادية عشرة نزل فى « حلل واكيتوكو » وكان الأهالى قد أخلوها . وطريقة السلب هـذه كانت لا تحلو فى عين إرنست ولكنه كان مضطرا أن يعمل كما عمل الآخرون ومع هذا فانه يرى ان من واجبه ان يوفى جنوده حقهم من الثناء لامتناعهم عن النهب .

وفى ٢ أبريل حملوا رحالهم فى الساعة السابعة . وكانت حالة الناحية كحالتها بالأمس وقطعوا فى مدة ثلاث ساعات ١٥ كيلومترا فقط وحطوا عند « حلل وارجو » Wargu . وفى ٣ منه ساروا عند الساعة السادسة وعبروا سهلا أرضه مبللة بماء المطر الذى سقط فى الليل الأمر الذى سير السير عسيرا وجعل الاقدام تنزلق فى كل خطوة . وبعد أن ساروا نحو ساعة فى الأوحال حمدوا الله إذ وجدوا الشمس قد أشرقت ومتاعهم أخذ يجف . وعند ما خرجوا من هذا السهل الذى صير المطر أرضه أشبه شىء بالمستنقعات دخلوا فى سهل آخر ومشوا فيه ما يزيد على ٦ ساعات دون أن تصادفهم أية قرية أو أى كوخ وأفضوا فى نهاية الأمر بعد مسيرة ثمانى ساعات الى « حلل ميرمبا » Hellal Merimba وفيها حطوا رحالهم .

دخوله أراضى أوغندة

وفى ٤ أبريل دخل الوفد مركز « كاجانجو » Kagangu وهو أول منطقة من أراضى مملكة أوغندة وشيخه المتونجولى موريكو من رجال حاشية إرنست . أما الناحية فنظرها تستوقف العين محاسنه . وبها من الذرة والبطاطا والقرع وغيرها الشىء الكثير . ونزلوا فى جوف غابة من الموز . والشيخ عمر الذى كان يتألم من قرح فى قدمه طلب منهم أن يظلوا فى كاجانجو اليوم التالى . ولم يكن لدى إرنست مانع يمنعه من إجابة طلبه .

وقضوا يوم ٥ فى كاجانجو وفى ٦ منه طفقوا يسيرون عند الساعة السابعة . وهنا يتسربل البلد حللا أجمل رونقا وأكثر بهاء فلم تعد تقع العين بعد لا على سهول ولا على غابات بل على ربى تكسوها أشجار الموز ووديان صغيرة جميلة بها كثير من القرى . وبعد أن

عبروا منطقة « كارموري » Karmouri كلها بلغوا « لوجابالا » Lugabala فنزلوا بها .

وفى ٧ أبريل حملوا متاعهم وولجوا فى منطقة « بيراماز كنجاؤونى » Biramaz Kangaouni وكانت أوصاف هذه الناحية كاوصاف الناحية التى قبلها ثم أفضوا الى « برياكى » Briaki وبها وجدوا جدولا ماؤه رائق فقرر إرنست المبيت عنده .

وفى ٨ و ٩ منه ساروا فى طريق عرضه ٢٠ مترا شيده متيسا فى قلب مملكته وعن يمينه ويساره أقيمت قرى كبيرة وغرست النباتات البهيجة . وعسكروا فى ذلك اليوم فى « حلل سفارجا » Hellal Safarga . وفى يوم ١٠ منه وهو اليوم الاخير فى هذه الرحلة تابعوا مسيرهم فى طريق الملك وعند الساعة الحادية عشرة نزلوا على قيد كيلومتر واحد من قصر متيسا .

وفى ١١ منه عند منتصف النهار جاء رسول من قبل الملك يحمل سلامه . وشرع رجال الوفد يسيرون فى طريق عرضه ٤٠ مترا وكان مرأى العساكر السودانية بسترهم الحمراء وسراويلهم البيضاء مؤثرا تأثيرا لطيفا . وكان المتونجوايون يسيرون فى المقدمة يدقون بتقاريابهم ويلوحون باعلامهم . وكان فى اثناء ذلك يحيط بالموكب جمع مؤلف من بضعة الوف من الأهالى وهو يركض ويغنى ويقفز . ولدى المرور أمام قصر الملكة وقف الموكب ليبعث بسلامه اليها وحتى ترد اليه السلام كما هى العادة المتبعة فى مثل هذه الحالة ثم عاود المسير . وكان فى كل ربع ساعة يأتى ساع وهو يلهد من الجرى حاملا سلام الملك ويرجع بلا توان ومعه الجواب . ولاح فى نهاية الأمر قصر الملك وهو قائم على منحدر رابية من ناحيتها الشمالية إلا أن هذا اليوم لم يكن

اليـــوم المعين لمثول إرنست أمام متيسا فرافقتـه حاشيته الى المـــنزل الذى أعده له .

مقابلة إرنست لملك أوغندة

وكان يوم ١٢ أبريل هو الموعد المضروب لمقابلة إرنست للملك متيسا غـير ان المطر الذى أخذ يسح الى ان انتصف النهار حـال دون ذلك . وعند الساعة الثانيـــة تكشفت السماء وانقطع المطر فأرسل متيسا رسولا ينبىء إرنست بأنه استعـد لاستقباله . فأخـذ الوفد فى السير حسب النظام والاحتفال الذى جرى بالأمس . وبعد نصف ساعة بلغوا باب القصر الخارجى ثم بابا آخر وهـكذا الى أن عـبروا خمسة أبواب فترجل إرنست واستقبـله الملك وهو واقف أمام قـاعـة الاستقبال وصافحـه . وكان على يسار الملك فى ذلك الوقت شخص أوربى ظنـه إرنست لأول وهـلة كمرون Cameron وهو فى الحقيقة استانلى .

ودخل متيسا قاعة الاستقبال وجلس على عرشه وأجلس إرنست على يمينـه واستانلى على يساره . وكان مرتديا الثياب التى كان متسربلا بها حين زيارة شاليه لونج ومتقلدا ذات السيف الذى كان يتقـلده وقت تلك الزيارة . وعرضت الهدايا ولـكن متيسا أظهر عدم الاكتراث لأن مركزه السامى لا يسمح له بفحص مثل هذه الأشياء .

وبعد محادثة دامت بعض الوقت استأذن إرنست بالانصراف . وعند ما صافـح استانلى دعـاه لتناول الطعام فلبى دعـــوته . وقـدم قبـل المساء وظـلوا معـا الى الساعة الحـــادية عشرة يحـدث كلاهما الآخر بما وعــــاه وقيـده أثناء رحلته .

وفى ١٣ أبريل ذهب إرنست لتناول الطعام على مائدة استانلى وأعطاه هذا معلومات جغرافية لها أهمية كبيرة . وفى ١٤ منه انتقل إرنست الى قصر متيسا فأطلعه على محتوياته ومتع نظره بالمنظر الباهر الذى يشرف عليه قصره من الجهة الجنوبية وهو منظر بحيرة فكتوريا نيانزا .

وأتى استانلى ليتناول العشاء مع إرنست وفى هذه الليلة عقدا النية على أن يذهبا فى الغد الى البحيرة . وفى ١٥ منه سافر استانلى ليخطط رسما لقسم البحيرة الغربى . وتأهب ارنست لمرافقته لغاية الموردة التى سيبحر منها فى خليج مورشيزون وانطلقا معا . وبعد مسير ساعتين تسلقا تلا رأيا من قته منظرا يبهر الأبصار لفخامته ألا وهو منظر صفحة ماء البحيرة اللجينية ترسل عليها الشمس أشعتها فتنعكس شررا والجزر الخضراء النضرة يتكون منها نطاق من الزبرجد فى خليج مورشيزون . وعاودا السير الى أن وصلا الى شواطىء هذا الخليج بعد ساعة .

وكان من المقرر أن يرافق رئيس ربابنة متيسا استانلى بثلاثين مركبا إلا انه ما كان يوجد هناك شىء مما ذكر . ووردت له الأنباء بأن كل شىء سيكون على استعداد فى اليوم التالى . وقضيا الليل فى اكواخ قائمة على الشاطىء .

وفى ١٦ منه لاح هناك عند الساعة الرابعة فقط شبح الاسطول ثم ركباه ابتغاء النزهة لأن استانلى قرر السفر فى الغد وبعد ذلك رجعا الى المعسكر .

وفى ١٧ منه ايقظتهم الطبول فى الساعة الخامسة وفى الحال تمت المعدات ورافق ارنست استانلى الى الاسطول وتصافحا وركب هذا الاخير السفينة

وغرت به فى اليم واخـذ عند ذلك كلاهما يلوح للآخر بمنديله برهـــة ثم قفـــل ارنست راجعا متخـذا طريق « روباجـــا » حيث يقيم متيسا فوصل الى قصره عنـــد الساعة الحادية عشرة . ثم ما لبث أن لزم الفراش لاصابته بالحمى .

وفى ١٨ أبريل قابله الملك وألقى عليـه أسئلة مختلفة خاصـة ببناء السفن والمساكن . وفى ١٩ منـه قابله رمضان كاتب يد الملك ليجس نبضه ويرى اذا كان يقبل هو وجيشه الانضمام الى متيسا لمهاجمة كباريجا فأجابه ان العساكر ليست له بل لخديو الديار المصرية وأنه لا يمكنه أن يتصرف فيها فى مأمورية أخرى غير المأمورية التى كلف بها .

وفى ٢٠ منه ذهب إرنست الى قصر الملك وعرض الجنود السودانية أمامـه ساعة بناء على طلبه وعقب ذلك طلب أن يتنـــح كل جندى عشرة من العبيد غـــير أن ارنست مانع فى ذلك . وفى ٢١ و ٢٢ و ٢٣ منـه تحدث متيسا معه فى شؤون مختلفة إذ أنه طلب منه معلومات شتى عن دول العـــالم على أنواعها من جهـــة عباداتهم وتأليف حكوماتهم وقوامهم الحربية وغير ذلك من الأمور .

وفى ٢٤ منه وهو اليوم المضروب لمقابلة أم الملك جاء « شمبارانجـــو » Chambarango رئيس الوزراء الذى ندب ليقدم لهـــا إرنست عند الساعـة السابعة وأخبره أن الملك ذهب ليزور والدته ولذلك تأجلت المقابلة . وفى ٢٥ منه استدعى الملك ارنست وفقيه الخطرية فى آن واحد وحصر محادثته فى القرآن دون سواه فارتبك الفقيه واحتار فى أمره ولم يدر كيف يجاوب على جميع الأسئلة التى وجهها اليه .

وفى ٢٦ منه قابلت أم الملك إرنست فى حفلة حافلة . وكان شمبارانجو مكلفا بتقديمه لها . ولدى وصوله الى قصرها وجد الباب مغلقا وما أمامه يسوده سكوت عميق يشبه سكوت أهل المقابر . وبعد انتظار نصف ساعة فتح الباب بغتة واخذت نحو ٢٠ نقارية ترن وعدد آخر مثله من الطبول يدق ثم دخلوا فى حوش كبير يوجد فى نهايته كوخ وتجاهه الموسيقا .

وهذا الكوخ ـ وان شئت فقل قاعة الاستقبال ـ مبنى من الخيزران وترتكز قبته على فروع من فروع الاشجار . وكانت الملكة جالسة على الارض فوق ثوب من نسيج القطن وثيابها تتألف من قطنية تلتف حول جسمها ومشبوكة بأعلى صدرها . وثوب آخر من هذا النسيج يحيط برأسها وعقد من الخرز متمم للكسوة . وكان فريق من الضباط واقفا من ناحية وطائفة من العذارى واقفة فى الجانب الآخر .

وبعد التحيات وفحص الهدايا التى قدمت اليها قال ارنست شيئا من العبارات المعتادة للمجاملة فى مثل هذه الاحوال فكانت أقواله توجه الى سليم وهذا يترجمها الى شمبارانجو وهذا ينقل نفس العبارة الى وزير الملكة فينقلها بدوره اليها . وعلى هذا كان لا فائدة مطلقا من وجود الوزير ولكن المقام الملكى يترفع عن التفاهم المباشر . وبعد تبادل بعض العبارات بالكيفية والصيغة التى سلف ذكرها استأذن ارنست بالانصراف وودع بالطريقة التى قوبل بها .

وفى ٢٧ أبريل استدعاه متيسا وسأله عن الشمس والقمر والسماء فاضطر لكى يفهمه حركات الاجرام السماوية ان يرسم صورا على لوحة ومثل الاجرام السماوية بكرات دقيقة من الزجاج . وكان المجتمع قليلا عدده اذ انه

لم يكن يضم غير الوزيرين « كاتيكيرو » و « شمبارانجـو » وأربعة من الضباط والكاتبين وبعض الندماء .

وكان متيسا منشرح الصدر فكان كلما سمع شيئا من ارنست شرحه بنفسه للحاضرين فتبدو على وجوههم سمة الدهش والاستغراب .

وفى ٢٨ أبريل بعث له الملك ١٠ أبقار ومثل هذا العدد عنزات و ٨٠ حملا من الموز هدية . وفى ٢٩ منه أحاط متيسا ارنست بتاريخ أوغندة . وفى ٣٠ منه تفرغ متيسا للصيد فكانوا يستقلون على مسافة ما تارة بقرة وطورا عنزا ثم يتمرن الملك وهو جالس فى كوخ على اطلاق النار . وهذا ما يسمى فى عرفهم بالصيد الملكى .

وقضى ارنست يوم ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ مايو فى معالجة المرضى فى المسكر ولسوء الحظ ونكد الطالع كانوا كثيرين والضابط همام افندى كان مصابا بالتيفوس وكان يائسا من شفائه .

وفى ٦ منه طلب متيسا من ارنست أن يرافقه هو وجيشه وبروجيته وطبالوه فى رحلة نوى القيام بها لمعاينة طريق أمر بتمهيدها . فاعتذر إرنست بانحراف صحته وأرسل اليه البروجية وبعض الجند وذلك ما حمد الله فيما بعد لأجله لأن الجنود عند العودة أخبروه أن الرحلة كانت شاقة جدا .

وفى ٧ منه جاء الوزير « كاتيكيرو » من قبل الملك ليزوره ويسأل عن صحته وليخبره بانه سيسلمه الدناقلة العشرة الفارين من معسكره الذين عنده . وفى ٨ منه توجه متيسا للصيد فانتهز ارنست هذه الفرصة وذهب لزيارة « كاتيكيرو » المتزوج من أخوات الملك الأربع وابنته فوجده فى داره فدار

بينهما الحديث وعلم انه عنده من النساء ما يربو على ٢٠٠٠ امرأة .

وفى ٩ مايو استقبل متيسا ارنست واستعلم منه عن كيفية تحنيط الاجسام والمدة التى يمكن ان تظل فيها الجثة محفوظة وأبدى رغبته الشديدة أن يرى عنده اناسا لهم دراية بهذه الصناعة . وفى ١٠ منه استدعاه متيسا واخذا يتجاذبان الحديث وكان الكلام يدور بينهما حول النساء وابدى إرنست رغبته فى العودة الى فوبرا إلا أن متيسا طلب منه أن يمد مدة اقامته شهرا .

وفى ١١ منه زار ارنست « كاتيكيرو » فاستقبله وسط جمع من النساء وقدم إرنست الى مضيفه بعض الخرز على سبيل الهدية فقدم اليه فراء من جلد فأر وكسوة من قشور الشجر .

وفى ١٢ منه قابل إرنست الملك وشكا له من الاهمال الحاصل فى تموين عسكره فوعده انه سيضع حدا لذلك . وانصرف بعد ان سمع نوبة موسيقية عزفت ادوارها جماعة من اهالى « السوجا » Sogas على القيثارات .

وقضى يوم ١٣ و ١٤ و ١٥ منه فى معسكره . وفى ١٦ و ١٧ منه اشتبك ارنست مع متيسا فى محادثة طويلة بخصوص واجب الرجل نحو نفسه وواجبه نحو اقاربه . والامر الذى كان يهتم له بنوع اخص هو ان يعرف ماهية الجنة وماهية النار والملائكة . واين مركز هؤلاء من العالم وما هى انواع المتع التى يتمتع بها الانسان أو العقاب الذى يناله بعد الموت .

وانقضى يوم ١٨ و ١٩ و ٢٠ منه في تصليح وترميم الاكواخ التى كان ينزل المطر من سقوفها لبنائها على عجل . وفى ٢٤ منه حصل ارنست من الملك أثناء محادثة طويلة جرت بينهما على أمر يحظر بيع

وشراء الرقيـــق فى مملكته . وأبان له انه مادام يرغب فى ربط صلاته بالدول المتمدينـــة فيجب عليه بادىء ذى بدء أن يعمل وفق مبادىء الهيئة الاجتماعية الأولية أعنى حرية الانسان .

وحصل منه أيضا على أمر ببيع سلع أوغندة فى محطات الحكومة المصرية وعلى تصريح بزيارة « أوسوجا » Usoga وكان وطـد العزم على ان يسافر فى الغد وأن يصعد فى النيل لغاية خروجه من بحيرة فكتوريا نيانزا .

وكان يوم ٢٥ مايو الموعد المضروب لسفره . وفى ٢٦ منـه لم يظهر أى شىء لغاية الساعة الثامنة . ووصل فى نهاية الأمر « عيـد » كاتب متيسا ومعه شيخان وقال انه قد تقرر أن يرافقا الوفـد وأن يقدما لارنست ما يلزم من الحرس ثم انصرفا بدعوى استحضار ذلك الحرس غـير انهما لم يعودا . وانقضى طول اليوم ولم يرد أى نبأ بخصوص سفره .

وفى ٢٦ منه علم ارنست ان عيـــدا الذى تعين لمرافقته سافر الى مزارعـه فكتب خطابا الى متيسا يقول له فيـــه ان مأموريتـه انتهت واضحى من واجباته الاياب الى غوردون باشا . فطلب منه الملك ان يقابـــله لأنه لا يريد أن يراه مسافرا وهو غير منشرح الصدر ولـكنه أبى وأرسل سليما ليعتذر نيابة عنه ويبدى انشغاله فى تجهيز معدات السفر لأنه قرر قطعيـا الرحيل غـدا ميمما « اوروندوجانى » فأرسل اليه متيسا مؤنا لجنوده .

وفى ٢٧ منه عند الساعـة العاشرة حضر شقيق الملك بنفسه ومعه ضابط من كبار الضباط وعدد كبير من الرجال يقال لهم « مرونجولى » Mrongolis وهم الاشخـاص الذين تعينوا لمرافقتـه فشكره ارنست للرعاية التى شمله بهـا الملك

وسافر فى الحال غير ان الطريق كانت رهيبـــة يسير فيها الانسان دواما بين ادغال تمزق الايدى والوجوه . هـذا عدا مما كسة الامطار . وبعد سفر بطىء شاق وصل عند الساعة الثالثة الى « كيسيجولا » وفيها قضى الليل .

وفى ٢٨ مايو بارح « كـيسيجولا » Kissigula وعبر عـدة مجارى مياه وكان اجتيازهـا متعبا وشاقا دواما . وآخر مجرى عـبره يقـال له « لواجارى » Luagari وهذا هـو المجرى الوحيد الذى يستحق الذكر من بين المجارى التى اجتازها ابتداء من روباجا حيث يقيم متيسا وبعد عدة لحظات افضى الى املاك عيد حيث توجد ابقاره ومعزه وفيها قضى الليل .

وفى ٢٩ منه لازم ارنست المعسكر ولم يتحرك منه يمنة ولا يسرة وعزم على ان ينطلق الى الصيد فى الغد وعلى ارتياد منابع مجرى « لواجارى » .

وفى ٣٠ منه ذهب لصيد النمر واصطاد واحـدا بديع الشكل . وعـــثر ايضا على منبـع « لواجارى » غـــير انه لاحظ ان ما ينبع منه من الماء يسير جدا فلا يكفى لتغذية هذا النهر وعلم من الاهالى ان له منابع اخرى تمده اثناء جريانه .

وفى ٣١ منـه أتى الى ارنست نبأ بأن النـار شبت فى قصر متيسا وان ضابطـا مصريا ومعه عشرة جنود قادمون لمقابلته ومعهم شيء كثير من المتـاع وان هذا الضابط يوجـــد الآن فى منطقة « موريكـو » Moreko وهذه الظروف حملته على أن يرتد على عقبه الى « روباجا » .

* * *

هـــذه هى خلاصة « رحلة إرنست دى بلفـون » التى دونت فى نشرة

الجمعية الجغرافيـة الخـديوية « الملكية الآن » فى السلسلة الأولى لعام ١٨٧٦ م لغـــاية ٣١ مايو . أما القسم الذى بعد هـــذا التاريخ لغاية ايابه الى لابوريه فى ٢٢ اغسطس فلم يمكنا العثور عليه . وكل ما علم عن هـــذه المدة الاخيرة مسطر فى ملخص الخطاب الآتى الذى كـــتبه إرنست الى والده بتـاريخ ٢٣ اغسطس أى قبل وفاته بثلاثة أيام وقد سبق ذكر تفصيلات هـــذا الحادث الحزن ، قال :—

تركت متيسا فى ١٥ يونيه بعد مشقة عظمى لأن هذا الماتى المشوم كانت ارادته الوحيـدة ابقائى فى خدمته مـع حرسى وكان لا يريد ان يتحول عن ارادته هـذه قيد أنملة . وكان لا يدرك ان مملـكته برمتها لا تقدر ان تعوضنى الاقامة عنده اسبوعا واحـــدا . ولما رأى أن فى غير استطاعته بلوغ أربه من طريق الاقناع صمم على أن يسلك مسلك الشدة وإراقـــة الدماء . واتفق مع كباريجا ملك اونيورو الذى قاتل بيكر باشا لادراك غرضه هذا .

وفى ٥ يوليه عند الساعة السابعة صباحـــا لدى وصولى الى شاطىء نهـير « كافـو » الذى كانت ميـاهه تفيض من على جوانبـه فتسد فى وجهى الطريق هاجمنى خلائق كـثيرة يبلغ عددهم ٨ أو ١٠ آلاف رجل تقريبا وكان حرسى مؤلفا من ٤٦ رجلا . وطفقنـا نقاتل من الساعة ٧ صباحا الى الساعة ٣ مساء واستوليت على اكواخ المغيرين قبل الساعة العاشرة صباحا . وبما ان هـذه الاكواخ مبنية من القش فكان من السهل اتلافها . وصنعت فى لمح البصر رمثا واجتـاز اتباعى النهـير عليه . وفى الساعة الثالثة لم يبق معى إلا ١٠ جنود وكلهم يحسنون السباحة . وعندئذ صوبنا آخر طلقات الى اعدائنا ثم القينا بأنفسنا فى المـاء بعد أن وضعنا أسلحتنـا على الرمث واجتزنا النهير سابحـــين بدون أن

يعترضنا ولله الحمد حادث ما .

وبعد عدة أيام بلغنا فاتيكو وفيها أخذنا شيئا من الراحة . ثم زايلت هذه الناحية وسرت وجبال شوا Shua الى ان أدركت نهير « أسوا » لأن الطريق من « فابو » كانت فى هذا الفصل غير مطروقة . فوجدت ان مياه هذا النهير تطفح من فوق شواطئه ومكونة سيلا عرما جارفا وبذا انقطع خط السير أمامى . وكان من العبث التفكير فى عمل رمث أو اجتياز النهر سباحة أو محاولة عبوره فى أى نوع من أنواع الفلك إذ أن كل ذلك كان من الامور الصعبة فى فصل الأمطار . فيئست من الوصول الى لادو قبل نهاية هذا الفصل . وبينما انا كذلك إذ أخبرت بأن الجنرال غوردون صعد النيل فى سفينة لغاية لابوريه . وفى الحال اجتزت النهر عند الابراهيمية « دوفيليه » وسرت والضفة الشرقية ونزلت فى لابوريه وفيها قابلت الجنرال المذكور وعلمت منه ان محطة غندوكورو أزيلت واستعيض عنها بمحطة بور واتخذت هذه مقرا للمعسكر العام وأقيمت بالتبع لها محطات فى « إلياب » Eliab و لاتوكا و مكراكا . وانه شيدت أيضا محطات على بحر سوباط .

وبعد ان تم انشاء محطتى لادو و الرجاف صعد الجنرال غوردون النهر من هذه المحطة الى لابوريه مع ان الناس كانوا مجمعين حتى الآن على ان هذه المسافة لا يمكن اجتيازها . نعم كان يوجد عدد عديد من التيارات السريعة فى هذا القسم ولكن استطاع الجنرال عبورها بصعوبة وياليت هذه الصعوبة كانت منحصرة فى هذه العوائق الطبيعية بل زاد الطين بلة ما كان يبديه قاطنو شواطىء النهر من ضروب المداوة . ومع ذلك فقد عثر الجنرال بالمضيق الصالح لعبور المراكب واضحى اليوم يوجد فى النهر عند لابوريه

وابور بخارى و ٣ مراكب كبيرة . وعلى هذا يرى ان هذا العام كان مجديا وجنيت فى غضونه اثمار يانعـــة . ومن ناحية اخرى فان المواصلات مع الخرطوم أصبحت يومية لأنها صارت بطريق النيل . وقد جعلت الطريق فى غاية من الأمن محطتا « بيدن » و « كري » الجديدتان اللتان أقيمتا بين الرجاف و لابوريه .

وقد عهد الى الآن بمهمة جديدة ذلك انى سأسافر بعد بضعة أيام لأقوم بانشاء محطات بين فويرا وبحيرة « موتان » Mutan ـ بحيرة البرت نيانزا ـ على فرع سومرست . وسأدخل فى البحيرة واخرج منها فى النهر وانحدر فيه بمركب لغاية مساقط « ماكيدو » Makedo حيث التقى مرة اخرى بالجنرال غوردون الذى يكون قد وصل فى ذلك الحين الى هذه الناحية التى سنتخذها مركزا لدائرة اعمالنا . وأؤمل ان اكون قد انهيت من عملى هذا فى ٣ أو ٤ أشهر على اكثر تقدير . وسنضع بعد ذلك الوابور البخارى فى البحيرة ونأمل انه بمعونة الله تعالى سيكون لنا بعد مرور ١٥ شهرا أو سنتين مركب تجارى على بحيرة « اوكريو » ـ بحيرة فكتوريا نيانزا .

سنة ١٨٧٦ م

سفر غوردون من فاتيكو الى ماجونجو

والخطة التى رسمهـــا

قدم غوردون الى فاتيكو الواقعة على قيد ٨٠ كيلومترا من « فاشيليه » Fashelie فى ٣ يناير ورحل عنها فى ٩ منه ميمما فويرا فدخلها فى ١٣ من الشهر المذكور . وكانت المنطقة التى سار فيها عبارة عن برية مترامية الاطراف شاسعة واسعة تمـــوج بالادغال والشجيرات ليس بهـــا ديار ولا نافخ نار . وبعد أن سار اليوم الأول دخل فى أرض لا يوجد بها ماء إلا فى الغدران . وكان عرض النهر تجاه فويرا ٢٠٠ متر وماؤه راكدا والغدران منبثة فى سائر أرجاء ضفته الجنوبية .

وهذه هى خطة السير التى كان رسمها غوردون لنفسه :—

يقطع فى ظرف ٣ ايام المسافة إلى مرولى الواقعة على بعد ٥٠ كيلومترا من جنوب النهر فينشىء بها محطة ثم يتابع السفر الى أوروندوجانى فيقيم فيها محطة اخرى . ويولى بعد ذلك وجهه شطر شلالات ريبـــون عند أول مخرج النيل من بحيرة فكتوريا نيانزا فيبتنى ثالثة وعند إتمامها يقفل راجعا الى فويرا ومنها يذهب الى « ماجونجـــو » حيث كان ينوى أن يؤسس محطة وبعدها يؤوب بطريق النهر الى دوفيليه . وكان قد أقام صرح آماله على أن يجد الباخرة والسفينتين المصنوعتين من الحديد وسفينة أخرى جاهـــزة ومستعدة فوق الشلالات فتنقل المثونة الى ماجونجو فيدخل جيسى فى البحيرة ويرتادها وبذا

يكون قد رفع العلم الخديوى فوق البحيرتين . وكان عليه بعد ذلك أن يقوم بتفتيش فى « مكراكا » ومن ثم يرجع الى الخرطوم فالقاهرة .

هذه هى الخطة التى كان قد وضعها غوردون . وعلى ذلك بدأ يسير من ١٨ يناير قاصدا مرولى وكان السير عسيرا جدا فى أرض غير مسلوكة لابد للمنبعث فيها أن يشق له طريقا بين الادغال . ولا تقع العين فى هذه المنطقة على مخلوق من البشر والماء لا يوجد فيها إلا فى المستنقعات . أما النهر فلا يمكن الوصول اليه لحيلولة الغدران المبثوثة على ضفته . وكان غوردون يريد سرعة الوصول الى بحيرة فكتوريا نيانزا ليرفع هناك علم الخديو حتى يستطيع أن يثبت حقوقه عليها . وكان قد نبذ ظهريا مسألة فتح المواصلات عن طريق البحر الاحمر لأنه كان يرى أن جنوده لا تستطيع القيام بهذا العمل وأنه لو استمر عاقدا النية على فتح هذا الطريق لاضطر الاميرال ماكيلوب وأميرالألاى شاليه لونج أن ينتظراه مع حملتها زمنا طويلا .

وقد استرجع الخديو فيما بعد هذه الحملة بناء على طلب انجلترا التى حتمت على مصر استدعاءها حتى أنها تمهد السبيل لوضعها تحت حمايتها كما حصل بالفعل .

وفى ٢٢ منه جد غوردون فى السير الى ان أفضى الى ضفاف الكافور Kafour أمام مرولى ولدى وصوله أشعل رئيس المنطقة وهو من اتباع كباريجا ملك أونيورو النار فى مسكنه وتعلق هو وقومه بأذيال الهرب ونزلوا فى مازندى على مرحلة يومين من مرولى ودخل غوردون هذه المحطة بعد أن عبر نهر الكافور وأرجع ريونجا خصم كباريجا إلى مركزه الذى عينه فيه سير صمويل بيكر عام ١٨٧٢ م وكيلا للحكومة عوضا عن كباريجا الذى كان خلعه منه . وعين كذلك القائمقام محمد ابراهيم بك المكنى بابن جميعه ومن مواليد

السودان قائدا للمنطقة . ورحل غوردون من مرولى فى ٢٤ يناير ميمما فويرا بطريق النهر على مــتن زورق فوصل اليها فى يوم ونصف يوم . وفى ٣١ منه بارح هذه الناحية قاصدا دوفيليه لان وجوده فى هذه كان محتما ضروريا لاسباب جمة . وكان يريد ايضا أن يرسل المؤن صعدا فى النيل قبل أن يهاجمه فصل الامطار الوشيك الحلول .

وفى ٣ فبراير قدم غوردون الى فاتيكو بعد أن قطع المسافة التى بينها وبين فويرا البالغة ١٢٠ كيلومترا فى ظرف ثلاثة أيام ونصف يوم . وسمــع لدى وصوله ان كباريجا حين سمع بتقدمه بارح مازندى عاصمة ملكه متأبطا عرشه السحرى لأن العقيدة السائدة بين قومه هو انه اذا فقد عرشه فقد معه سيطرته وضاع نفوذه .

وفى ١٠ منه وصل غوردون الى دوفيليه وأدركه أسف شديد لعــدم استطاعته قياس فوهات نيــل فكتوريا إذ أنه كان يرى أنه لا يوجــد ما يبرر استعمال وسائل النقل التى فى حيازته للاستكشاف بينما الجند فى مختلف المحطات ينقصها كل شيء . وتلك الوسائل كانت ضرورية ولا بد منها لتموين أولئك الجنود الذين يجب أن تعطى لاحتياجاتهم الافضلية على كل ما سواها وأنه حتى فيما اذا كان انتهى العمل من الباخرة يكون من غــير المستطاع استخدامها فى ارتياد بحــيرة البرت نيانزا إلا بعد أن تمخر بعض الزمن بين دوفيليه و ماجونجو لنقل الزاد والذخيرة للجنــود . ولدى وصوله الى دوفيليه وجد ان الاعمال تقدمت تقدما كبيرا وان سفينة من السفن الحديدية كان انتهى العمل منها واخرى على وشك التمام وأما الباخرة فكانت الاعمال فيها سائرة سيرا مرضيا .

وفي ٢٣ فبراير بعث غوردون من دوفيليه الى مرولى بكمية من المؤونة . وكان مرتاحا جد الارتياح من سير الاعمال . وكان قد تقرر ايضا سفر جيسى بعد بضعة أيام الى ماجونجو بالسفينتين الحديديتين ومعه قدر من الميرة ثم يبحر منها فيطـــوف بدائر البحيرة . وكان غوردون مترددا في السماح له بالقيام بهـــذه الرحلة غير أنه لشدة إلحاحه أذن له بالارتحال . وبما أن ثلث الباخرة كان قد تم وجميع المحطات تقريبا كانت انشئت ساورت غوردون الآمال بان لا يقع جيسى في أنيـــاب المرض فيضطر عند ذاك أن يذهب هو بنفسه لارتياد البحيرة .

وفي ٧ مارس سفر غوردون جيسى في السفينتين الحديديتين من دوفيليه الى ماجونجو ليذهب منها الى البحيرة ثم بعد أن أرسل في ٨ منه قافلة الى لابوريه توجه الى هذه الناحية سيرا على الاقدام بمحاذاة النهر ومر بشلالات فـــولا ليتمم خريطته . وكان ماء النيل ينساب من ثغرة ضيقة متدهورا من ارتفاع ٢٥ مـــترا ويجرى تياره مسرعا مدى ٣ أو ٤ كيلومترات يستحيل على أى انسان اجتيازها لسرعة جريان مائه . ولما كان ارتفاع كلتا الضفتين ١٥ مترا وتقطعها الجـــيران العميقة كان من المتنع المسير عليها وسحب المراكب بالاحبال .

وحمل له البريد الذى جاءه من فويرا خطابا من متيسا ملك أوغندة يصف فيه ما حاق به من الهم والغم ويقسم انه مخلص لمصر . أما كباريجا فقد سافر بحمل عرشه شطر الجنوب وأخلى القسم الشمالى من مملكته .

وفى ١٢ منه شخص غوردون الى « كري Kerri » ومر فى طريقه على « موجى Moogi » ونظرا لما صادفه من الصعوبات فى سبيل الحصول على

جمالين استحضر زهاء ٤٠ جملا بقصد التجربة . وكانت تساوره الآمال بأن يفلح باستعمال هذه الطريقة وفاته ان ذلك يثير حنق الاهالى .

وفى ٢٣ مارس رحـــل غـوردون الى « لادو » حيث دعت بعض الأعمال إلى وجوده .

وفى ١٠ أبريل رجـــع الى بيـدن وقرر أن ينشىء محطـة صغيرة على نهـير « طيـو » Tyoo لأن المسافة بين لابوريه و دوفيليـــه يوم ونصف فكان ينشأ من جراء ذلك أن العساكر التى تسير بين هاتين المحطتين تضطر الى المبيت فى الطريق وتستولى من الأهالى على أشياء ليس لهم حق فى أخذها وكان ينتـج من ذلك تغيظ الأهالى وبغضهم للحكومة . وفوق ذلك فان هـذا النهر كان لا يمكن خوضه فى فصل الامطار وكان يحول دون عبوره مخاطر كبيرة وهـذا ما دعا غوردون أن يشيد محطة صغيرة فى هــــذه النقطة ويعين بها ٤٠ جنديا ومركبا وبهذه الكيفية يقضى الجنـود الذين يجتازون هـذا الطريق الليل فيها .

وفى ١٢ منه بارح بيدن ميما كري . فوجـد الناحية مليحة جـدا الا أنه لاحظ ان ابقار هـذه الناحية لا تعيش فى فاتيكو ولا فى الجهات الجنوبية وان الخيل تنفق ايضا وبالعكس تعيش الحمير والبغال .

وفى ٢٩ منه قدم الى كري جيسى ليرى غوردون إذ أنه كان قد فرغ من ارتياد سواحل بحـيرة البرت نيانزا . وأتم هـذا العمل فى ظرف ٩ أيام فوجـد طولها ٢٢٥ كيلومترا وعرضها ٨٠ وان الضفة الغربية لا يمكن الاقتراب منها نظرا لما يضمره الأهالى من العداوة والبغضاء . وانه لا يخرج من البحـيرة أى نهر

من ناحـــية الضفة المذكورة وان الماء فى القسم الجنوبى قريب الغور والضفة تكسوها المستنقعات . وهبت عاصفة هوجاء فألقته على شاطىء جزيرة بها رجال من قبائل كباريجا واضطر الجند أن يرموهم بالمقذوفات النارية ليبعدوهم . وكان جيسى بحارا ماهرا ومع ذلك قال انه لم ير قط شيئا كهذا . وجاهر البحارة بأنهم لا يعودون الى البحيرة مقابل ما ينالونه من اجر مهما بلغ الاجر وانهم يؤثرون الهروب من الجندية على الرجـــوع الى البحيرة . وحاول جيسى أن يفاوض الأهالى فأبوا واصروا على عدم حصول أية مفاوضة قبل ان ينصرف لأنهم يعتبرونه كشيطان لبياض لون بشرته .

وارتاح غوردون جد الراحة من هـــذه الزيادة . وفى ٢٠ مايو قفل راجعا الى لادو فعلم ان الباخـــرة سيفرغ العمل منها بعد مرور ٣ اسابيع . وفى أول يونيـــه حضرت باخرة من الخرطوم تقل ٤٠ رجلا من الدناقلة .

وفى ١١ منه انتقل الى كري وفيها علم ان الرحالة « بياجيا » Piaggia كشف بحيرة بين مرولى و « اوروندوجانى » على نيل فكتوريا طولها ٨٠ كيلومترا وكان أميرالألاى لونج قد تحدث عن هذه البحيرة غير ان غوردون ظن ان هذه لم تكن سوى منخفض من الأرض مغمور بالمياه . وقال « بياجيا » انه رأى فرعا آخذا من البحيرة وان هذا الفرع لابد ان ينصب ماؤه إما فى سوباط أو فى أسوا .

وفى ٤ يوليه وصل غوردون الى لابوريه وكان قد استعاد صحته وزالت من أمامه جميع العوائق . وأخذ يتأهب لفك الباخرة « الخديو » التى حمولتها ١٠٨ أطنان فى « موجى » لكى يعيد تركيبها فوق الشلالات فى « دوفيليه » واعدادها للملاحة فى بحيرة فكتوريا نيـــانزا وكان يطمح أن يفرغ من هـذا

العمل فى أبريل القادم فيضمن بذلك ملكية البحيرة للخديو .

وكان قد ورد اليه ٢٥٠ جنديا أخذت تتأهب للذهاب الى أونيورو لتعزز مركزه فى تلك الاقطار . وكان يشعر بشيء من الارتياح إذ آنس من ضباطه وجنوده انشراحا وسرورا من عدالته وحسن طويته . وها هو قد مر على معاشرته لهم واختلاطه بهم أكثر من عامين وكان همه الوحيد فى أثنائها السهر على راحتهم واسعادهم على قدر ما فى استطاعته ومراعاة أحوالهم وغذائهم وكافة احتياجاتهم .

وصوله الى ماجونجو

وفى ٩ يوليه رحل غوردون الى دوفيليه فوجد ان الباخرة « نيانزا » على قدم الاستعداد فاعتلى ظهرها ومخرت به عباب النهر فى ٢٠ منه تقطر السفينتين الحديديتين . وكان عرض النهر يتراوح بين كيلومتر واحد و ٥ كيلومترات وماؤه راكدا . وكانت جزر البردى منثورة فى سائر أرجائه وتمتد بطول ضفتيه أوحال من الطمى تحول دون الدنو منها الاهم إلا بصعوبة كبرى . وهاتيك الربوع تكاد تفص بمن فيها من السكان .

وفى ٢٨ منه وصل غوردون الى ماجونجو عند مخرج نيل فكتوريا فى بحيرة البرت نيانزا وقضى ليلته هناك . وكان يحجب مدخل النهر عدة جزر من شجيرات البردى . وكان قصده ان يذهب من ماجونجو الى فويرا فيرسم خريطة تلك الارجاء لأنه قرأ فى صحيفة للدكتور شوينفورث يقول فيها إنه قد يجوز أن تكون بحيرة « البرت نيانزا » تابعة لحوض النيل . ولكن هذا الأمر لم يقم عليه دليل ما لأنه كان لا يزال الى ذلك الوقت نحو ١٠٠ كيلومتر

بين فويرا وبحيرة البرت لم يرتدها أحد . وانه بناء على ذلك ليس فى استطاعة أحد أن يجزم بأن النيل يخــــرج من بحيرة البرت إذ أن هـــــذه المسألة كانت لا تزال الى تلك الساعة من الأمور المشكوك فى صحتها .

وكتب غوردون يقـول إنه من المختلف فيه أن النيـل يخرج من بحـيرة فكتوريا ويجرى مارا ببحيرة البرت نحـو الشمال بل انه يخرج نهير من بحيرة فـكتوريا وآخر من بحيرة البرت ثم ينضمان الى بعضهما فيـكونان النيل . ويقول ان هذا البيان لا يمكن نفيه بتاتا بمجرد القول بأنه إلى الآن لم يتتبع أحـد مجرى النهر من فويرا الى ماجونجـو . وهذا هو السبب الذى حداه للقيام بهذا العمـل ومتابعـة مسير النهر مـــع احتمال كثير من المشاق ليفصل فى هذه المسألة .

واتضح له أيضا انه ابتداء من فـويرا أو من مساقط « كاروما » Karuma الى مساقط « مورشيزون » وهى واقعة بين بحيرتى فـكتوريا نيانزا و البرت نيانزا وأقرب من البحيرة الثانية بكثير ، توجد سلسلة مساقط اخرى يختفى بسببها تدريجيا فرق الألف قدم التى فى منسوب المياه بين « فويرا » و « ماجونجو » .

وبعد تأدية هـــــذا العمل كان ينـوى غوردون أن يمم مرولى ثم يذهب من هـذه الى اورونـدوجانى ومن ثم الى مساقط ريبون حيث يرفـــع العلم المصرى على بحيرة فكتوريا نيانزا وبعد ذلك يتمم خريطة النيل من هذه المساقط الى اورونـدوجانى ومنها الى مرولى . والمسافة الأولى طولها ٦٥ كيلومترا بطريق البر لأن الملاحة ممتنعة بين هاتين النقطتين وذلك بخـلاف المسافة الثانيـة فانه ممكن اجتيازها بطريق النيل وقد سبق لغوردون أن مخر عبابها . وبهذا العمل

تكون خريطة النيل قد تمت .

الأعمـــال التي قام بها بعد ذلك

وكان غوردون يبنى صرح آماله على أن يسافر بعد ذلك من فـــويرا الى مازندى ثم يهبط ليصعد الباخرتين « الخديو » و « نيازا » .

وفى ٢ اغسطس ورد من مرولى ومازندى بريد فعلم منـــه ان متيسا يطلب بالحاح أن تقام فى عاصمته روباجـــا الثكنة التى أرسل غوردون الضابط نور محمد افندى ليقيمها فى « اوروندوجانى » . ولما كانت هذه رغبته لبى غوردون هـــذا الطلب وأرسل اليه ال ١٦٠ جنديا وقد جال عندئذ بخاطر غوردون أن احتفاظ متيسا باستقلاله لم يكلفه شيئا اكثر من احتلال جيشه خط اوروندوجانى ـ مساقط ريبون . أما وقد أضاع الآن ذلك الاستقلال فبخطئه لا بخطأ سواه وليس له ان يلوم غير نفسه .

وكان يرى غوردون انه يصيب من وراء وجـــوده فى مركزه هذا مزية اخرى ذلك انه يستطيع اعتمادا على وجـــود حامية له فى عاصمة متيسا ان يكتفى بتعيين عدد قليل من الجنود فى المحطات الأخرى وانه اذا أظهر روح التمرد أمكنه ان يأمر بأخذه أسيرا ويقبض بكلتا يديه على أزمة التجارة بحذافيرها مع زنزبار .

ورسخ فى ذهن غوردون ان متيسا لم يطلب اقامة الثكنة فى عاصمته إلا بقصد أن يغرى الضباط والجنـــود ويسول لهم أن يهاجموا معه اعداءه . واستدل على صحـــة استنتاجه هذا بأن متيسا سبق أن طلب من ارنست دى بلفون لما كان عنده ان يهاجم سكان جزيرة كبرى يقال لها جزيرة

ساسيه Sassé وذلك بسبب ما بينه وبينهم من العداوة . وكان هؤلاء القوم من مهرة الغطاسين وكان كلما أرسل اليهم زوارق وزودها برجاله ليهاجموهم غطس أولئك تحت الزوارق وقطعوا عيدان الخيزران المؤلفة منها تلك الزوارق فتغرق بمن فيها من رجال متيسا .

وفى ٥ اغسطس كان غوردون على قيد خمسة كيلومترات غرب مساقط مورشيزون وكانت ضفتا النهر تكسوهما الغابات البالغة غاية الكثافة وماؤه يسيل ببطء وكانت شجيرات البردى تغطى كلتا حافتيه كما هو الحال فى دوفيليه ولذا لم توجد إلا أمكنة قليلة يستطيع الانسان الدنو فيها من البر . وكان عرض البحر لا يتجاوز ال ٢٠٠ متر . وقدمت طائفة من اتباع كباريجا ليقسموا يمين اخلاصهم للحكومة فأراد انفينا وهو من رؤساء القبائل المتحابة وكان عندئذ بصحبة غوردون أن يذبحوا فمانع غوردون فى ذلك بطبيعة الحال .

وفى ٦ منه كان قد رسم خريطة النهر على طول ١٥ كيلومترا غير أنه اضطر أن يمشى والمطر يهطل فوقه ضعف هذه المسافة بين الأدغال حتى أنهك قواه . وعلى بعد ١٠ كيلومترات من المساقط تقع العين على نجد مرتفع تكسوه الغابات وبأسفله تلاع يفصل الواحدة عن الآخرى خور عميق يهبط لغاية مستوى النهر . ومن كبريات المجازفات عبوره مشيا على الاقدام وكان النهر صالحا للملاحة لغاية المساقط وقد أمكن الباخرة أن تصل اليها بالفعل .

وفى ٧ منه سار ٢٥ كيلومترا ورسم خريطتها وقد صادفه فى هذه المسافة نفس الصعوبات التى صادفته بالأمس لبعد الدرب عن مجرى النهر

مسيرة ٥ كيلومترات . وفى ٨ أغسطس قطع نفس المسافة وقام بالعمل عينه الذى قام به أمس . وفى ٩ منه رسم ٣٠ كيلومترا لقى فى خلالها ما لقيه فى الأيام التى قبلها ونزل على ضفة النهر .

وفى ١٠ منه بعد أن خطط ٢٥ كيلومترا وصل الى زريبة مهجورة لأنفينا . وتجاوزت الصعوبة التى لقيها فى هذا النهار حد الصعوبات التى عاناها فى الايام السابقة لأنه لم يجد دربا يمشى عليه وسقط عدة مرات على الحضيض .

وفى ١٣ منه وصل غوردون الى فويرا . وكان عند ما رحل من مرولى فى ٢٥ يناير أمر ضابطا من ضباطه أن يستعلم من متيسا عما اذا كان يريد جيشا فى أوروندوجانى فاذا كان الرد بالايجاب يتوجه لزيارته أما اذا كان سلبيا فيذهب ويحتل ناميونجو Nyamyongo التابعة لكباريجا وبالاستيلاء عليها تصبح مرولى من ممتلكات الحكومة . وكان يظن عند ما قدم ان الامر قد تم واذا بالضابط يكتب له الآن يعلمه بأن متيسا يرغب فى الحصول على الحامية فى روباجا عاصمة مملكته وانه لبى طلبه وبعد أن وصل الى هذه الناحية صرف حماليه ارتكانا على وعد متيسا بأن يقدم له ما يلزمه من الحمالين . غير أنه لم يبر بوعده حتى هذه الساعة وأبدى لذلك اعذارا أوهى من بيت العنكبوت وأنه ـ أى الضابط ـ أقام ثكنة وأنه فى انتظار ما يصدر اليه من الاوامر .

وعلم غوردون أن متيسا يمتار بكميات كبيرة من البارود يبتاعها من زنزبار فتخيل أنه عقد النية على القيام بعمل عدائى وقام بفكره أن الاصوب أن يذهب بنفسه الى روباجا ويسحب منها الحامية ويضمها كما

كانت عزيمته متجهة فى بادىء الأمر فى نياميونجو الواقعة على قيد ١٥ كيلومترا شمال أورونودوجانى حيث يمكنه منها أن يرقب مجرى الحوادث . وكان النهر صالحا للملاحة بين فويرا و أورونودوجانى ومن اللازم اصعاد احدى البواخر للملاحة فى هذه المرحلة . وكان الضابط قد أخبر غوردون بأن متيسا اضحى اقل اسرافا فى القتل منه من قبل .

وصوله الى مرولى

وفى ١٨ اغسطس وصل غوردون الى مرولى وفى أثناء الطريق عدل عن فكرة ذهابه الى « روباجا » للأسباب الآتية :—

١ — تأكده أن متيسا لا يستطيع مطلقا ان يحول دون عودة جنوده .

٢ — اذا ذهب هو نفسه فمن الممكن حدوث ارتباكات من المستحسن اجتنابها .

٣ — ان المسافة طويلة شاسعة ومنهكة والأمر لا يستحق هذه المشاق .

وعلى ذلك اكتفى بأن أرسل ٦٠ جنديا الى نور محمد افندى وهذا العدد مضافا اليه ال ١٦٠ جنديا التى لديه من قبل كان يجعل فى استطاعته التغلب على جميع الطوارىء .

وفى ٢٣ منه قرر وهو فى مرولى ما يأتى :—

يأخذ لدى رجوع الجنود من « روباجا » ١٠٠ جندى منها ويرسم خريطة النهر بين مرولى و « نياميونجو » و أورونودوجانى . أما قسم النهر الذى بين

أوروندوجانى وبحيرة فكتوريا فقد رأى نفسه مضطرا أن يؤجل رسمه مؤقتا اجتنابا لحدوث قلاقل وارتباكات قبل ان يستمد . وقد اسف لذلك جد الأسف إذ أن هذا كان القسم الوحيد من النهر بين بربر والبحيرة الذى لم يكن قد خطط خريطته . وقادته حصافته الى أن يضم قوته ليعززها بدلا من ان يفرقها فيضعفها .

وفى ٢٨ اغسطس وردت الأنباء بخلع السلطان عبد العزيز وإحلال السلطان الجديد محله . وفى ٢٩ منه أحدث هذا النبأ هرجا ومرجا بين صفوف الجند .

وفى ٣٠ منه عرض غوردون على متيسا عقد محالفة يعترف فيها باستقلال أوغندة ووعده أن يصحب سفراءه الى القاهرة وكان يقوم بفكره ان هذا أحسن ما يستطيع .

وفى ٢ سبتمبر كتب غوردون من مرولى مذكرة الى البعثة الدينية الانكليزية فى أوغندة ليعرفها الخطة التى يجب عليها اتباعها إذا كانت ترغب أن تفيد متيسا فائدة مستديمة فقال : « ان المصريين أخذوا يديرون للانكليز اكتافهم ويولونهم إعراضهم . وانه اضحى من المحقق أنهم لن يصبروا طويلا على احتمال ما يرسمونه لهم من الخطط إذ ان كل حادث صغير يحدث يذكى فى نفوسهم نار الكراهة للانكليز ويزيد فى شنآنهم لهم . فمداخلة الانكليز فى زنزبار والحبشة وارسالهم الآن ايضا هذه البعثة التى يتجلى من كيفية تأليفها انها بعثة لا دينية اكثر منها دينية كل ذلك مما يزيد فى جفاء المصريين لهم . وقال ايضا لها انها اذا لم تتصرف فى أعمالها بالعقل والحكمة فسوف تجر الخراب على متيسا وانها بالعكس اذا تصرفت حسب مشورته

فأن تصرفها يعود عليه بالخير . وانه يجب عليها أن تسعى فى توثيق عرى الاتحاد والمودة بينه وبين مصر إذ ان وقوفه فى موقف المعارضة يعرضه لأوخم العواقب . وانه مهما كانت جنود متيسا منظمة ومزودة بالسلاح فان جنود مصر لا تلبث أن تنتصر عليهم وتلحق بصفوفهم الهزيمة . وعلى البعثة أن تفهم أنه يقصد من هذا القول مهمتها الدنيوية لا الدينية وهو يسألها إلى أى الأمرين يجب توجيه نظر متيسا : أ إلى تسليح رجاله أم الى التكفير عن ذنوبه ؟ إن أولئك الذين يأخذون الناس بالسيف يؤخذون . انه ـ أى غوردون ـ يعتقد اعتقادا لا يتسرب اليه الشك ان الله تكفل برعاية الأمور الدينية أما اذا ما هوى الانسان فاتخذ الوسائل الدنيوية فمن غير المستبعد ان تصادفه مقاومة عالمية » .

وفى ٢ سبتمبر عند ما كان غوردون فى مرولى طرأ على فكره ان مأموريته أشرفت على النهاية وانه بعد بضعة أيام سيولى وجهه شطر بلاد الانكليز وانه لم يقم بعمل يسمى عملا حقيقيا إلا سنتين فقط بدايتها سبتمبر عام ١٨٧٤ م ونهايتها الشهر المذكور عام ١٨٧٦ م ومع ذلك سلم بأن ما أداه من الاعمال كان فى حيز الاستطاعة تأديته فى ١٥ شهرا فقط بدلا من عامين . هذا اذا لم تعترضه رداءة المناخ وترامى المسافات وهما العلتان اللتان تقفان عثرة فى سبيل تقدم البلد بسرعة .

وفى ٩ منه قدمت الجنود التى كانت فى عاصمة متيسا الى مرولى وكان بصحبتها طبيب . وكان متيسا قد طلب من هذا الطبيب أن يترجم له التوراة التى كان استانلى قد أهدى اليه نسخة منها . وللوصول الى ذلك دعت الحالة لترجمتها الى ثلاث لغات متباينة . وأخذ غوردون يتساءل عما

استطاع ان يفهمه متيسا بعد ذلك . وأراد متيسا ان يحجز لديه الشيخ الذى أرسله اليه الخديو رغما عن كونه خرج عن دينه واعتنق الديانة المسيحية ولكن غوردون لم يجبه الى مرغوبه .

سفره من مرولى الى نياميونجو

وفى ١١ سبتمبر بارح غوردون مرولى وانتقل الى جبل ماروزى Marousi الواقع على مسافة ٢٥ كيلومترا جنوب مرولى ولدى وصوله تملق الأهالى وهم من اتباع كباريجا فيما سلف باذيال الفرار وتواروا عن الابصار فى جوف الحشائش العالية القائمة على جروف النهر . وورد اليه تقرير من أحد ضباطه كان قد ذهب لمقابلة متيسا وهو تقرير مضحك . ويلوح ان هذا الملك استاء أشد الاستياء عند ما علم بقدوم غوردون الى ما جونجو بالباخرة .

وزايل متيسا اعتقاده فى الاسلام والنصرانية فأرسل فى طلب السحرة وتحادث معهم زهاء خمس ساعات دون ان يحصل على نتيجة طيبة . ثم بعث بعد ذلك وراء الضابط وأقسم له انه لا يضمر لغوردون إلا المودة والحب العظيم ثم وجه الى الضابط وابلا من الاسئلة عن الموجب لقدومه دون أن يحصل من ذلك الضابط على جواب مطمئن . وكان نصف بنادقه بشطف ولم يكن لديه رصاص ولكنه كان يعمل خردقا من الحديد . وكان لديه ٥ مدافع صغيرة من البرونز بدون جرار من الطراز الذى يوضع فى اليخوت لتأدية السلام .

وكان متيسا اضاع ثقته من الناس قاطبة فما لبث أن غير ضباطه وكان جميع ما فى حوزته من البنادق ٨٠٠ بندقية مختلفة الطراز . وخشى غوردون

ان يكون متيسا تعلم من جنود مصر كيفية تشييد الزرائب غير أنه يلوح انه هدم الزريبة التى أقامها هؤلاء الجنود .

وكانت بلاده مكشوفة من جميع نواحيها وبها الشىء القليل من الحشائش عكس بلاد المشايخ الآخرين الجانحين للعداوة والخصام الامر الذى كان يلقى المصاعب فى سبيل كبح جماحهم . ومن باب الاحتياط ابتعد غوردون عن البحيرة وكان المصريون مغتاظين أشد الاغتياظ لميل متيسا للديانة المسيحية . وقد استدعى متيسا الطبيب وكان المانى المحتد ويدين بالديانة الاسلامية وتسمى باسم امين افندى وترقى فيما بعد الى رتبة باشا وصار حكمدار مديرية خط الاستواء . وبعد أن أراه ناقوسا قال له ان عرب زنزبار حجروا عليه أن يدقه فى أوقات الصلاة وطلب منه أن يعلمه ماذا ينبغى عليه ان يعمله . فسأله الطبيب عن الدين الذى يعتنقه فأجابه انه نصرانى فقال له انه ينبغى عليه ان يدقه وقت الصلاة فأجابه بأنه سيفعل ذلك . وبعد سفر الطبيب استدعى متيسا الشيخ الذى كان بعث له به الخديو وأمره بأن يقيم الصلاة جهرا حسب الشعائر الاسلامية .

وفى ١٣ سبتمبر مشى غوردون ٣٠ كيلومترا وكان الحر شديدا . وكان عليه ان يسير علاوة على ذلك يوما ونصف يوم نحو الجنوب ليتمم رحلته ثم يقفل راجعا نحو الشمال . وفى ١٤ منه قطع مسافة ٢٥ كيلومترا مشى ال ٨ كيلومترات الاولى منها بين حشائش عالية وأدغال كثيفة وهجم عليه من الأدغال شرذمة من الأهالى فرد غارتهم بنوبة طلقات من افواه البنادق بعد ان جرح من عسكره جندى واحد . وفى ١٥ منه وصل الى نياميونجو وكانت الاراضى كثيرة الآجام والغابات .

عــــودته الى مرولى

وصمم على ان يقفل راجعا فى الغد الى مرولى التى تبعد عن نيامبونجو ١٢٠ كيلومترا . وكان فى كل هذه المسافة لا يمكن الرسو بجانب ضفاف النهر بسبب شجيرات البردى والمستنقعات إلا فيما يقرب من الكيلومترين . وتبعد مرولى عن فويرا هــــذه المسافة عينها ولا يمكن الدنو فيها من البر إلا فى نقطتين اثنتين . وبين فــــويرا ومساقط مورشيزون يوجد اكثر من نقطتين . ومن هذه الى ماجونجــــو مسافة ٣٠ كيلومترا لا يوجد اكثر من ٣ رسوات . ومن الناحية الاخيرة الى دوفيليه كان يوجـــد ٥ رسوات فى مسافة ٢٢٠ كيلومترا . وفيما وراء مساقط فــــولا الى الرجاف أى مسافة ١٧٠ كيلومترا كانت السفن تستطيع الرسو أينما أرادت . ومن الرجـــــاف الى لادو مسافة ٤٠ كيلومترا لا يمكن الدنو من الــــبر إلا فى غندوكورو لا غير . ومن لادو الى بور مسافة ١٤٠ كيلومترا لا توجـــد إلا رسوة واحدة فى بلد الشير . ومن بور الى سوباط مسافة ٦٠٠ كيلومتر لا يمكن الرسو إلا فى محل واحد هو محل البعثة القديمـــــة . ومن سوباط الى فاشودة مسافة ١٠٠ كيلومتر لا توجد أية رسوة .

وفى ١٧ سبتمبر وصــــل غوردون الى مرولى وكان النهر أشبه شىء بالبحيرة وماؤه رهوا . وشرع رجال كباريجا يهددونه بالهجوم غير ان بعض طلقات من البنادق ردتهم الى الصواب وحملتهم على العدول عن الاغـــــارة . وكان اجتياز المعابر الضيقة أمرا فيه شىء كثير من الخطر لأن فى استطاعة الأهالى الاختفاء بين الاعشاب العالية وتصويب حرابهم نحو المراكب بدون أن يستطيع من بها أن يراهم .

ووجد غوردون لدى وصوله مكاتبات من متيسا ردا على ما كان حرره له بشأن ما عرضه عليه من عقد المحالفة وقد التزم متيسا فى رده الصمت عن هذا الأمر وأخذ يوجه الى غوردون الاستعطافات وطلب منه بنادق .

سفره الى مازندى

وفى ٢٠ سبتمبر اتخذ سبيله فى البر ميمما مازندى وسار الى أن وصل فى ٢٢ منه الى نجد مرتفع يقال له « كيسوجا » وكان غوردون ارسل من فويرا قبل ذلك بأيام تجريدة لاحتلال مازندى وكان رغما عما بلغه من التوكيدات بصدد احتلال التجريدة لهـا تساوره الشكوك فى صحة الاخبار التى وصلت اليه . أما الآن وهو على قيد زهاء ٢٠ كيلومترا من مازندى فقد تحققت ظنونه وثبت لديه ان الناحية التى احتلتها باسم مازندى ما هى إلا قرية تبعد عن هذه مرحلة يوم وكان سائرا شطر مازندى معتقدا ان جنوده محتلة ربوعها . ولما وصل اليها وجد انه بقى بينه وبين جنوده مرحلة يوم وكان يصحبه ١٠٠ جندى وكان يأمل أن يصل اليها بسلام . وبعد أن جالت برأسه هذه الأفكار ارتأى أن هذه الحالة ربما مهدت له سبيل توزيع الجند بطريقة اكثر نفعا وأنه على كل حال لا يقع فى ملكه سبحانه وتعالى إلا ما أراد .

وفى ٢٤ منه اجتاز مسافة ٢٥ كيلومترا . وكان الأهالى يحدقون بجنوده طول عصر هذا اليوم وهم يدقون الطبول وينفخون فى الابواق اشارة لما يجنحون اليه من مناصبته العداوة والبغضاء وعلامة على نيتهم الاغارة عليه . وكان ما زال عالقا بذهن غوردون مسألة انسحاب سير صمويل بيكر من

مازندى ولذلك ما كان مطمئن الخاطر ولا مستريح البال لا سيما ان ال ١٠٠ جندى التى كانت برفقته كان من بينهم ٣٠ جنديا من الجنود الحديثة لا تتجاوز سن الواحد منهم ١٦ عاما . وفى الواقع كانت الحالة داعية لعدم الطمأنينة موجبة للاشفاق لان الجنود كانت تمر منطقة تكسوها الحشائش العالية الشديدة الكثافة تحيط بها الأهالى من كل ناحية . وكان هؤلاء صوبوا ذات مرة النيران على الجنود غير انه لحسن الحظ جرت جميع الامور فى مجرى حسن وتم كل شىء على غاية ما يرام فقدم غوردون الشكر على ذلك لله وحمده من سويداء قلبه

وأخطر ضابط القوة التى كانت أرسلت لاحتلال مازندى بأن يحضر لمقابلة غوردون وكانت الآمال تساور غوردون بأن يتحدث معه عشية اليوم اذ انه كان دهشا لاقدام هذا الضابط على ان يؤرخ مكاتباته من مازندى ويرسل إليه الأخبار بالاستيلاء عليها . وكان غوردون يظن انه استولى على « كيروتو » فى الاغلب . ولما علم كباريجا بقدم غوردون بارح مازندى وولى وجهه شطر بحيرة البرت .

وفى ٢٥ سبتمبر قطع ١٥ كيلومترا فى نواحى مغطاة بالحشائش المتناهية فى الكثافة وكان يأمل ان يصل فى الغد الى الجهة التى يقال لها مازندى . وفى ٢٦ منه قطع ايضا ٢٠ كيلومترا بين غابات كثيفة ظل فى جوانبها فأرسل ادلاء للبحث عن « كيروتو » التى قيل انها مازندى وانتهى الأمر بالعثور عليها ودخلوها فى اليوم نفسه بدون ان يحضر أحد من الحامية لمقابلته فأنب غوردون ذلك الضابط على ما حدث منه وعنفه تعنيفا شديدا الا انه نظرا لعدم طروء أى حادث مكدر وانقضاء الحالة على ما يرام

عفا وصفح عنه .

وقد عزم غوردون على مناوأة كباريجا وتربص حتى تجف الحشائش فيحرقها ثم يؤلف كتائب لهذا الغرض بالكيفية الآتية :—

تؤلف الكتيبة الاولى من ١٥٠ جنديا و ٣٠٠٠ رجل من قبيلة « اللانجو » وتذهب من مرولى الى كيسوجا .

وتؤلف الثانية من مثل هذه القوة وتسير من كيروتو الى مازندى .

وتقيم هاتان الكتيبتان زرائب فى كيسوجا وفى مازندى . وهذا العمل يستغرق ٤ أيام ثم بعد ذلك يجوسون خلال الديار فى سبيل البحث عن كباريجا .

وتقلع الكتيبة الثالثة على ظهر الباخرة ميممة شطر بحيرة البرت نيانزا ومنها تذهب الى فاكوفيا فتحتلها بقصد تلهية كباريجا وتضليله .

وكان غوردون يتساءل عما اذا كان ينبغى عليه ان ينتظر وقتا ما ليسير هذه الكتائب .

وبعد أن قتل هذه المسألة بحثا وتمحيصا رأى أن تربصه لاتمام هذا العمل ليس ضروريا لأن القوة التى تحت تصرفه من الرجال للقيام بهذا المشروع تضمن نجاحه . نعم يوجد لدى كباريجا عدد كبير من الاتباع ولكن عند ما يهاجم من كل صوب وناحية لا يستطيع البتة الخلاص من الهزيمة . وعلاوة على ذلك فانه بعد ما نزود الضباط بالتعليمات والآراء اللازمة وتغدو فى حوزتهم جميع الوسائل المؤدية لتنفيذها فانهم يقومون بالعمل

على الوجه المرضى أحسن مما لوكان معهم غوردون إذ أن وجوده بينهم يغل أيديهم ويحصر دائرة افكارهم فلا يتصرفون إلا حسبما يوحيه اليهم ويأمرهم به . وكان وجود السياجات فى كيسوجا و مازندى سندا للجنود وعضدا كبيرا لهم . ثم إن احراق الحشائش يزيل جميع الأخطار إذ به تنكشف الأرض فيمتد البصر ويرى الاشياء على مسافات شاسعة . وفوق هذا وذاك فان اهالى هذه النواحى بعكس البارين لا يشنون غارات البتة فى الليل .

وقد تألفت التجريدة السابق ذكرها بعد ذهاب غوردون وطاردت كباريجا وعادت بغنائم كثيرة من الماشية إلا أن الجنود ما كادوا ينسحبون من البلد حتى رجع كباريجا اليه .

وبارح غوردون فى ٢٨ سبتمبر « كيروتو » Keroto وسار ٣٠ كيلومترا ثم عاود المسير فى الغد (٢٩ منه) حتى وصل فى هذا اليوم عينه الى ماجونجو . ومن هذا يستنتج أن صحته كانت على ما يرام .

وكان من عادته انه عند ما يصل الى محطة يجمع الجنود ويسألهم عما اذا كان لديهم ما يشكون منه . وكان يفعل ذلك اتقاء لوقوع جور على الجند . غير أنه فى هذه المرة لم يفعل ذلك إذ انه رأى ان جمع الحامية عقب وصوله فى الحال من سفر ٦٠ كيلومترا عمل غير سديد .

وذهب فى الغد لمشاهدة مساقط مورشيزون فوجد ان ليس لها من الأهمية ما كان يتخيله أولا . وفى ٢ اكتوبر بارح ماجونجو قاصدا « شيبيرو » Chibero الواقعة على بحيرة البرت نيانزا وقد عقد النية على أن يعود

الى حيث سافر بعد ٤ أيام . وألقيت المرساة على قيد ٢٥ كيلومترا من « ماجونجو » .

وكان البحر ماؤه رهوا غير ان تموجه كان يشعر به . وهذا يدل على ان عاصفة قريبة العهد مرت به . وأخذت الباخرة فى الليل تمايل بين فيها على الجانبين ومن الأمام الى الخلف وبالعكس بسبب مرور عاصفة الأمر الذى جعل غوردون يدرك أن الابحار على تلك البحيرة مع ملاحين مجردين من الخبرة لا يميزون رداءة الجو ولا كيف يعدون المواقف الموافقة للرسو ، شيء لا تحمد عقباه .

وفى ٣ اكتوبر واصل السفر الى ان بلغ بقعة تجاه « شيبيرو » وأبصر جبال مازندى على بعد زهاء ٤٠ كيلومترا . وكان صياد من الأهالى يصطاد فى زورق ففاجأته الباخرة على حين غرة منه ولم يرها إلا بعد ان دنت منه . وحاول عندئذ الهرب إلا انه لم يجد الوقت الكافى لذلك وقبض عليه وسيق الى ظهر الباخرة . ودهش الرجل إذ أن بصره لم يقع قبل الآن على شيء كهذا . واعطاه غوردون خطابا برسم كباريجا الذى كان يوجد فى داخلية الأرض على مسافة بضعة أيام وأعطى له كذلك بعض الهدايا وأطلق سراحه فانصرف وقد تلعثم لسانه وأخذ يسير بدون أن يلتفت وراءه لشدة ما أصابه من الذهول الى ان اختفى فى الحشائش .

وكان غوردون ينوى من وراء هذه السياحة أن يقيم محطة فى شيبيرو لكى ينظم خط مواصلات بين البحيرة ونيل فكتوريا ولذا أصدر أمرا لجنوده بالعودة عند ما وصل الى الموضع الذى كان يرى وصوله اليه لازما .

عودته من ماجونجو الى لادو

وفى ٦ اكتوبر رحل عن ماجونجو ميمما وجهه شطر الشمال ابتغاء العودة . وفى ١١ منه بلغ لادو . وبعد بضعة أيام من وصوله اليها وردت له انباء من « لاتوكا » منبئة بأن طائفة من الزنوج هاجمت السيد احمد العقاد وتجارا آخرين وأن هؤلاء جميعا أمسوا فى أحرج المراكز محاصرين من جميع النواحى وأخذ زادهم ينضب .

وتقول هذه الأخبار أيضا ان لدى أولئك التجار كميات كبيرة جدا من السلع الغالية عظيمة القيمة وانهم يلتمسون الاسعاف فى اقرب وقت وإلا فمصيرهم الأسر أو القتل ومصير بضائعهم ومتاعهم السلب والنهب . فاضطر غوردون ان يعد تجريدة ويسيرها الى تلك الربوع بقيادة الصاغ محمد عبد الكافى افندى وهو ضابط سودانى من ضباط الجيش المصرى .

وانطلق ذلك الضابط ووجهته « لاتوكا » فى طريق تتخلله الجبال الوعرة وأراضى يسكنها زنوج متوحشون فكانوا يقطعون عليه الطريق ويضطرونه لمحاربتهم وايقاع الهزيمة بهم بواسطة الأسلحة النارية .

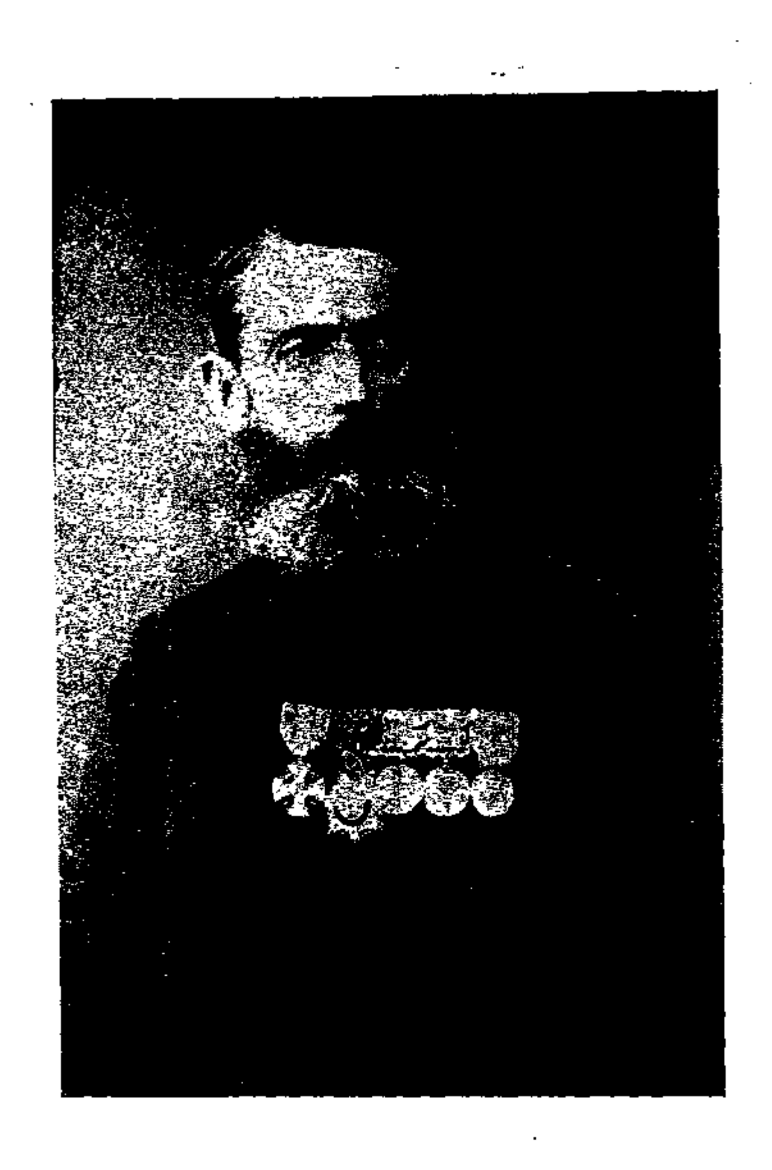
واستمر سائرا على هذا الحال الى ان ادرك المكان الذى يقصده فوجد طه بن محمد وكيل محمد السيد موسى العقاد وفريقا من المصريين فخلصهم من الورطة التى كانوا واقعين فيها والمأزق الحرج الذى كان محدقا بهم ورجع ومعه أولئك الاشخاص بأمتعتهم وبضعة آلاف من حمير لاتوكا وهى حمير ذات لون اخضر تمشى ببطء فهى تشبه فى مشيها الابقار وتدر لبنا كما تدر هذه وتقتنى لهذا الغرض لا للركوب وحمل الاثقال .

وقد دهش الجنود لما رأوا هذا النوع من الحمير بهذا الشكل وهذا اللون الغريبين . ووزع غوردون هذه الحيوانات على الضباط والجنود وأوصى بتدريبها تدريجيا على حمل الاثقال والانسان ودربت فعلا الى أن استعملت لذلك ولكن بعد صعوبة كبرى .

سفره الى الخرطوم ثم القاهرة

وفى ١٦ اكتوبر بارح غوردون لادو الى الخرطوم فبلغها فى ٢٩ منه . ثم سافر من الخرطوم فى ١٢ نوفمبر موليا وجهه شطر القاهرة فدخلها فى ٢ ديسمبر .

والى هنا انتهت حكمدارية غوردون لمديرية خط الاستواء وقد دامت من الوقت سنتين وشهرين وثمانية عشر يوما .



جيسى باشا مدير مديرية بحر الغزال

١ — ملحق سنة ١٨٧٦ م

رحلة جيسى وارتياده لبحيرة البرت نيانزا [١]

من ٧ مارس الى ٢٣ أبريل

تكليف جيسى كشف بحيرة البرت نيانزا

كان أميرالألاى غوردون يحاول حل اشكال بحيرة البرت نيانزا من الوجهة الجغرافية أثناء وجود جيسى فى نواحى بحر الغزال وكان يريد أن يتحقق مما اذا كانت هذه البحيرة هى آخر خزان للنيل أو تابعة لمجموعة « الشيرى » أو الكنغو المائية .

وقبل هذا كان سير صموئيل بيكر قد كشف من عهد غير بعيد وجود اتصال بين فكتوريا نيانزا وبحيرة البرت أعنى نيل فكتوريا ، وأكد أنه يوجد مجرى ماء شمال نيل فكتوريا الذى هو عبارة عن خزان وانه من الجائز ان هذا المجرى لم يكن سوى النيل بين دوفيليه وغندوكورو .

غير ان بعض علماء تقويم البلدان ارتابوا فى وجود هذا المجرى الشمالى الذى لم يستطع سير صموئيل بيكر أن يجزم برؤيته رأى

---

(١) — راجع كتاب « سبع سنوات فى السودان » لمؤلفه جيسى باشا من ص ٩٩ الى ص ١٣٦ .

الصين . وكان هؤلاء العلماء يؤيدون ان نيل فكتوريا يخرج من بحيرة فكتوريا نيانزا ويسير محاذيا لبحيرة البرت من جهة الشمال الشرقى بدون أن يختلط ماؤه بماء هذه البحيرة . ويوجد بالفعل عدة خرائط مخططة فى ذلك العهد وفيها نيل فكتوريا مرسوم على يمين بحيرة البرت .

وعلى هذا كان يهم غوردون بنوع خاص ان يفصل هذا الاشكال لما فى ذلك من الفوائد العلمية عامة والفوائد الاقتصادية والسياسية خاصة التى تعود على الحكومة المصرية . إذ أنه لو تحقق ان النيل يخرج من بحيرة البرت لاستطاع السودان المصرى بواسطة هذا المنفذ النيلى المظيم أن يمد نفوذه وممتلكاته الى قرب خط الاستواء لغاية مملكة كباريجا شرقا ومونبيتو Monbettu و أكا Akka والاقطار التى لم يرتدها أحد الى ذلك الوقت غربا .

وقد أرسل لهذا الغرض اثنين من أفاضل ضباط الانكليز وهما المستر وطسون وشيبندال وكلفهما أن يصعدا مع النيل لحسم هذا الاشكال . فسافر وطسون وبعد أن سار بضع مراحل غير مجدية رجع الى دوفيليه التى سافر منها . أما شيبندال فتابع السير وأخذ يرتاد النواحى الى أن بلغ وادلاى . وهنا علم ان مرض الجدرى منتشر فى أعالى النهر الذى كان يرتاده . ولما لم يكن مزودا بأية آلة من آلات التلقيح وكان يخشى على حرسه من الهلاك آب هو ايضا الى دوفيليه بدون أن يتمكن من انجاز مأموريته .

وعندئذ فكر غوردون فى استدعاء جيسى الذى قبل القيام بهذا المشروع العسير . وكان جيسى فى هذه الآونة فى الخرطوم فاستقدمه غوردون الى غندوكورو فى شهر اكتوبر سنة ١٨٧٥ .

اعداد حملة لهذا الغرض

حضر جيسى وأخذ يشتغل فى اعداد وترتيب الحملة . وتزود لهذا الغرض بباخرة ومركبين مصنوعتين من الحديد احداهما اسمها « دوفيليه » والاخرى « ماجونجو » حمولتها معا زهاء أربعة اطنان ونصف طن . وهاتان المركبتان كانتا فى غندوكورو من نحو سنة واستقدمهما سير صموئيل بيكر ثم أمر بفكها . وكان نقلها الى دوفيليه وهى النقطة المزمع الاقلاع منها لا يخلو من الصعوبة . واضطر جيسى لاتمام عملية النقل ان يجمع ٧٠٠ رجل من مكراكا واستحضرهم خصيصا من بلادهم لهذا الغرض وجمع من غندوكورو ٣٠٠ من الحمالين . وكان الطريق بأسره محفوفا بالمصاعب . وكان على الحملة ان تجتاز جبالا شاخة وغابات ليس بها مسالك مطروقة ومخاضات وتقتحم عقبات شتى .

ووصلت الحملة أخيرا الى دوفيليه وفى الحال شرع جيسى فى تركيب الباخرة والمركبين بهمة كبيرة حتى ان غوردون لما قدم بعد شهر ليعاين الاعمال وجد ان المركبين قد تم تركيبها وان العمل فى تركيب الباخرة سائر شوطا بعيدا .

وهذه ترجمة مذكرات جيسى التى كتبها بالقلم الرصاص يوما يوما فى خلال رحلته المحفوفة بالأخطار :—

سفره من دوفيليه

فى ٧ مارس سنة ١٨٧٦ أقلع من دوفيليه ومعه سفينتان من الحديد

وهما « دوفيليه » و « ماجونجو » وكانتا مسلحتين وبها ١٨ ملاحا من الدناقلة و ١٢ جنــــديا . وانضم الى جيسى حينما شرع فى القيام بهـــذه الرحلة « كارلو بياجيا » Carlo Piaggia وكان كلف هذا بمرافقـــة الحملة لغاية « ماجونجو » على أن يحاول بمفرده القيام بارتياد نواحى بحيرة كاپيكى Kapeki .

وقضى جيسى الليل فى زريبة بخيت ومنها اكترى مترجمـــا . وفى الغد هـدأت الريح فمخرت بهم السفن النهر بسرعة أعظم منها فى اليوم السالف غير أنه عند ما أشرفت الشمس على الأفول هب إعصار اضطر الحملة الى الرسو عند زريبة . وصاد جيسى وعلا وفرقه على رجاله .

وفى ٩ مارس أتت الرياح بغير ما تشتهى سفن الحملة إذ اخذت تهب من الغرب والجنوب الغربى . واقلعت المراكب عند الساعة الثانية والنصف صباحا وداومت السير الى الساعة ٦ مساء فقطعت ١٨ ميلا .

وفى الغد عاود جيسى الابحار عند الساعة ٥ صباحا . وفى الساعة العاشرة صباحا لاح للحملة بعض جزر مغطاة بأشجار الموز ولكن الحشائش العالية حالت دون الاقتراب منها . وفى الساعة الثانية والنصف مساء عصفت رياح عاتية من الغرب مصحوبة بالامطار واستمر هذا الحال الى الساعة الرابعة والنصف مساء . وفى الساعة ٧ اخذ ثانية فى السير إلا أن زوبعة أخرى مالبثت ان ثارت فعاقت سير المراكب فى الحال .

وفى ١١ منه بينما كانت المراكب تمخر عباب الماء عند الساعة ٥ صباحا اصطاد جيسى حيوانا يقال له « بيرينجى » Piringi غير انه لم يستطع ان ينتشله لكثرة الحشائش السابحة . وعند الساعة العاشرة مرت المراكب أمام

زريبـــة « بارو Baro » . وتشبه الأرض المرتفعة فى هذه الناحية جزيرة بارزة فى وسط المستنقعات تكسوها غابة على حافتها تقوم القرية . فجال فى خاطر جيسى أن هذا المكان يصلح كثيرا لبناء محطة وللحصول على الوقود اللازم للملاحة . وقد تعلق اهالى تلك الجهة بأذيال الفرار .

ويوجد فى هذه المنطقة عدة مسطحات من الأرض صالحة كثيرا للزراعة وأشجار جمة من شجر الموز والنهر فيها عميق تستطيع فيه المراكب ان تدنو بعضها من بعض بسهولة . ومن « بارو » الى دوفيليه أى مسافـــة ٧٣ ميلا يوجد دواما بالنيل العمق الكافى رغما عن ازدحامه بالجزر السابحة ازدحاما خارقا للعادة ولا يوجد بهذه الجزر كثبان من الرمل بل كلها مكونة من الاعشاب ونباتات البردى ذات الجـــذور المشتبكة اشتباكا عظيما ويبلغ عرض الجزيرة الواحدة منها على وجه العموم ٤ أو ٦ ياردات ولكنها غـــير صالحة للسكنى والبعض منها يمتد فى الطول ٣ أو ٤ أميال بدون أن تعوق مع ذلك الملاحة . وكثيرا ما كانت تنتقل هذه الجزر من مواضعها . فاذا ثارت عاصفة عاتية اكتسح الهواء الجزر امامه وسيرها بسرعة ٤ أو ٥ أميال فى الساعة ثم يلقيها على جزر أخرى من نوعها أو على حافات النهر فيقلبها فى الماء .

فلهذه الاسباب كان منظر النهر يتغير دائما ويتعذر رسمه على الخريطة رسما محكما . وعلى ذلك كانت الخريطة التى شفعها جيسى برحلته لا يمكن أن تكون مضبوطة من حيث دلالتها على مجرى القنوات . وكان كذلك من المتعسر ذكر سرعة جريان الماء فقد كانت تبلغ فى بعض المواضع ميلا واحدا فى الساعة وفى مواضع اخرى كانت تتراوح بين الميلين والثلاثة اميال . ويمكن تقدير متوسطها بنحو ميلين فى الساعة .

وكانت ضفتا النهر وبخاصة الضفة اليمنى مأهولة بكثير من السكان . وبشرة الأهالى سمراء كلون البرنز والجميع بدون استثناء يكسون جانبا من اجسامهم بجلد الماعز أو جلد الوعل . وهم من مهرة الزراع . سلاحهم المزاريق والقسي . ومساكنهم فى القرى لم تك متفرقة ومشتتة على مسافات بعيدة كما هو الحال فى الجانب الاكبر من الاقطار الافريقية بل مجتمعة مع بعضها ومحاطة بسياج من الاخشاب .

وفى الساعة ٣ مساء وصلت الحملة الى ممر كثير الاخطار ليس له منفذ نحو الجنوب . وكانت المراكب التى يجرها الرجال تلاقى صعوبة كبرى فى اجتيازها هذا الممر وبعد معاناة الأهوال مدة ٥ ساعات دخلت فى المجرى الاصلى غير أن جيسى عندئذ أدرك أنه ضل الطريق وأنه لابد أن توجد قناة أخرى فكان عليه ان يدرس الوضع درسا أوفى ما دامت الطريق التى سلكها لا تصلح لاتجاه الباخرة صوب البحيرة .

وفى صبيحة ١٢ مارس حصر همه فى البحث عن القناة التى يجب عليه ان يمر منها فاهتدى الى ترعة صالحة للملاحة رغما عن كون مدخلها تكاد النباتات المائية تحجبه عن الأبصار .

وزايل هذا المكان فى الساعة الثامنة والربع صباحا واتجه شمالا مغربا وسار بمحاذاة الضفة المأهولة بقبيلة « مادى » Madi . ووقع نظره على مكان مرتفع به غابات يصلح كثيرا لاقامة محطة فيه . ويلوح أن الأهالى على جانب عظيم من الجبن إذ أنهم ما وقعت أبصارهم على أفراد الحملة حتى لاذوا بأذيال الفرار الى داخلية البلاد خوفا وجزعا تاركين ضياعهم وقطعانهم . وإن هى إلا أن انسحبت الحملة بعد ذلك حتى رجعوا الى مساكنهم .

ولم يكن الهـواء موافقا وكانت المراكب تسير ببطء وألقت مراسيهـا في الساعة ٦ مساء . وفي ١٣ مارس أقلعت عند الساعة ٥ صباحـا . وكان الهواء يهب على غـير المرام جنوبا مغربا فأخذت البحـارة في التجديف . وانكشفت أمامهم قرية جهة اليسار على مد البصر وعلى مسيرة ساعة . وأهالي هذه القرية يختلفون اختلافا كليا عن قبائل « الاردرو » Ardrus لأن مئات منهم لا حقت مراكب جيسي ولمـا رأوا انه لا ينوي الوقوف أخذوا في الصياح . ويقـول جيسي انه مـع شدة رغبته في التفاهم معهم لم يتوصل الى ادراك شيء مما كانوا يقولون . وركب ثلاثة منهم قاربا ونجحـوا في الوصول اليه فاستقى منهم الاستعلامات التي كان يريد الحصول عليهـا بصدد بلاد وادلاي .

وفي الساعة العاشرة من اليـوم المذكور وقفت الحمـلة عند قرية واقعـة على الضفة اليسرى بين القـرية السالفـة الذكر وجدول ماء صغير . فبادل أهلها بأن أعطاهم أشياء وأخذ في نظيرها دجاجا وبعض المأكولات وانطلق بمراكبه يمخر عباب الماء . وبعـد مسير نصف ساعة وجد الطريق مسدودا . وكانت سرعة التيـار في هـذا المكان ميلين في الساعة والريح فيه تهب من الجنوب فتحول دون تقدم المراكب . وبعد بضع ساعات عاودت الحمـلة الابحـار ثم ألقت عصا التسيار عند قرية « اديلاي » Adilai الكبيرة التي شيخها شقيق وادلاي . وهـذه القرية واقعـة على ضفـة النهر اليسرى . وحضر اكثر من ٤٠٠ نسمة من الاهالي وهم عزل من السلاح لاستقبال الحمـلة وصافحوها ووجوههم طافحـة بالبشر دلالة على الارتياح . وأزال عدم حملهم الاسلحـة كل ريب من النفوس لدى الحمـلة . وكان جيسي قد علـم عند ما بارح دوفيليه أن مدير هـذه الناحية غاب عن ذهنـه أن يزود جنوده

بكمية من الذرة تكفى مدة شهر وسافر الجنـود بدون أن ينبسوا ببنت شفة .

وقد حدث به الجفاوة التى قابله بها الأهالى أن يأمل منهم الحصول على شىء من الزاد . وبالفعل أمدوه بكمية وافرة من الدقيق وجانب من البطاطة وعـدد من الدجاج وعندئذ أقام سرادقه ليقضى ليلته متمتعا براحة هنيـة . وفى ١٤ مارس حضر عـدد آخر من الأهالى فى الصباح وقدم ميرة غير التى أحضرت بالأمس . وبعد ان اختار جيسى منها ما رآه لازما وضروريا أصدر أمره بالرحيل . وفى هذا الوقت علم ان التراجمة الذين استحضرهم الشيخ بخيت اختفوا عن الابصار . واستطاع جيسى بعد كثير من الترغيب بالوعـود والهدايا أن يحصل على رجل هرم من الجهة يقتادهم الى وادلاى .

وأقلعت المراكب فى الساعة ٨ صباحا وكان النهر فى أديلاى عميقا وماؤه يجرى بسرعة ميلين فى الساعة بين ضفتين مرتفعتين اليسرى منهما تكسوها نباتات . وارتفاع الضفتين مائة قدم تقريبا . وكانت اراضى هاتيك البقاع عامرة بالسكان والأدغال وقراها ليست عديدة إلا أنها تفوق فى الاتساع كل القرى التى وقعت عينه عليها فى أواسط افريقية .

وفى نهاية الأمر وصلت الحملة عند الساعة ٤ مساء الى مسكن شيخ وادلاى وكان غرض جيسى من هذه الزيارة الحصول على ترجمان .

وفى الساعة ٦ مساء أرسل الشيخ يقول انه سوف يأتى غـدا واشترط لحصول ذلك أن يرسل له جيسى جنديين إذ أنه كان يخشى أن يقلع هـذا قبل قدومه . وعلى هذا جاوبه جيسى أنه باق فى انتظار مجيئه .

وأرسل جيسى جميع اللاحين فى بكور صباح الغد الى الشاطىء حتى يتمكنوا من نزح ماء المطر المدرار الذى هطل فى جوف المراكب . وبعد ان أتموا ذلك أرجعوا السوارى الى مواضعها . وقبيل الساعة ٦ مساء كان كل شىء فى مكانه والبحارة انتظموا فى أماكنهم . وكان جيسى يريد بعمله هذا الاستفادة من الوقت الذى اضطر الى ضياعه فى انتظار هذا الشيخ الذى رغب كثيرا فى لقياه ومن المتعذر جدا مرآه .

وبعد ساعتين من اتمام جميع ما ذكر حضر شقيق وادلاى ومعه عنز وبيض وموز واشياء أخرى وأخبر بأن الزيارة الموعودة ستتم بعد الظهر . وكان الوقت قصيرا غير انه كان لابد حتما من الصبر والاحتمال لأهواء ذلك الرجل . غير ان عدد الأهالى الآخذ فى الازدياد كان يلوح مدهشا إذ أنه ارتفع من ٣٠ الى بضع مئات وأخذ السهل يموج بهم . وعرف جيسى بسهولة بين هذه الجموع عدة وجوه سبق له رؤيتها فى بعض الزرائب التى زارها فى سياحة سالفة . وهنا تساءل جيسى : ماذا يعمل هؤلاء هنا ؟ وقال فى نفسه لعلهم قدموا للدفاع عن وادلاى . ومما لا مراء فيه انهم لم يأتوا لمطلق المشاهدة إذ أنهم فيما سبق رأوا الحملة اكثر من مرة .

وطلب شقيق وادلاى من جيسى هدايا . فجبر هذا خاطره ومنحه عطايا مؤلفة من أشياء متنوعة مثل بلطة وادوات نحاسية وخيط وجواعير [1] وغير ذلك وعلم منه ان وادلاى وان كان رئيسا ذا قوة وبطش فهو لم

---

(١) — الجاعور لعبة للأولاد من الخشب أو غيره وهى أشبه بالخذروف ولها يد رأسية يقبض عليها باليد وتهز فتدور ويصدر من دورانها صوت أجش .

يخرج عن كونه واليا من اتباع كباريجا ملك « أونيورو » وان وادلاى يتنزل عن جميع ما يجمعه من العاج الى الملك ويرسله اليه على ٥ أو ٦ دفعات فى العام ويحتاج فى نقله كل مرة الى ٢٠٠ أو ٣٠٠ حمال . وأن كباريجا يقطن فى جزيرة ومنها يدير شؤون مملكته . وكل هذه التفصيلات نقلت الى جيسى بواسطة الترجمان ومع هذا لم يستطع أن يفهم اسم الجزيرة . وكان جيسى شديد الشغف والشوق لمحادثة وادلاى وكانت تساوره الآمال بأن يأخذ عنه معلومات أوفى واخبارا أصح .

ولاح فى نهاية الأمر رجل وطنى هرم مرتد ثوبا قطنيا قرمزيا تتبعه حاشية مؤلفة من ٣٠٠ رجل . وخطر فى بال جيسى فى بادىء الأمر ان هذا هو الشيخ ولكنه ما عتم ان تذكر ان الاوصاف التى تلقاها بصدد وادلاى تنبىء بأنه رجل بادن قوى الجسم فأدرك فى الحال ان هذا الذى حضر لم يكن سوى رسول . وقدم هذا الرسول جرتين من المريسة Merissa وعنزة وقال ان وادلاى مريض فلا يستطيع المجىء وانه كلف بأن يصطحب جيسى الى حيث يقيم سيده .

وبينما كان جيسى مرتبكا محتارا فى اختيار المسلك الذى يسلكه مع هؤلاء القوم اذا بذلك الرسول الذى حادثه بالأمس يقترب . وإن هو إلا أن وقعت عين ذى الثوب القرمزى على جيسى حتى تملص من ثوبه وفر فرار الآبق . وعندئذ أيقن جيسى أن أمامه عصابة لصوص وعقد النية على الانتقام .

واستدعى شيخ زريبة تبعد نحو ٦٠٠ قدم عن النهر وأمره أن يخبر وادلاى بأنه اذا لم يرد إليه هداياه قبل غروب الشمس ولم يحضر الترجمان

قبل الغد أضرم النار فى الزريبة وأحـدث من الخسائر جهد ما يستطيع . ولم يلبث جيسى بعد هـذا التهديد إلا قليلا حتى قدم الشيخ وادلاى . وهو شخص بادن غير أن هيئته لا تنم على شيء من الوحشية . وأحضر وادلاى معه الى جيسى على سبيل الهدية جرتين من المريسة وهى ضرب من الجعـة يستعملها الاهالى ، وعنزتين وجانبا من الموز .

وتحادث فى نهاية الأمر مع الحملة وبذا استطاع جيسى أن يأخذ معلومات منه بصدد فرع من النهر يتفرع من النيل وينساب متجها نحـو الشمال الغربى . واتساع هـذا الفرع على ما يقال ٦٠٠ قدم وعمقه يتراوح بين ال ١٨ و٢٥ قدما . وقال وادلاى لجيسى إن تياره شديد جارف ولكنه لا يستطيع أن يدله على مدخله . وأنه يجرى تحت سفح الجبـال فى بلاد « اللورى » Lori وان هـؤلاء هم عبارة عن قبائل رحل غارقين فى بحور التوحش والهمجية . وأردف ذلك فقال إنه لم يستطع قط أن يخاطر بالتوغل فى حدود أراضيهم ثم طفق يشكو من نهب هؤلاء القوم لماشيته واحراق قراه وذبح رعاياه .

وبعد أن قدم جيسى للشيخ وادلاى بعض هـدايا من الزجاج والأوانى النحاسية والحديدية والأنسجة القطنية انقلبا صديقين حميمين لدرجة ان الشيخ عرض عليه أن يتبادلا الدم . ولمـا كانت هذه الصداقة تفيد كثيرا جيسى قاوم ما كان يجيش بصدره وتغلب على ما كانت تشعر به نفسه من الاشمئزاز من حفـلة تبادل الدم وامتثل لشعائرها ما دام ان ذلك يعتبر عندهم بمثابة عين الاخاء .

وهـذه كيفية القيام بتبادل الدم حسب اصطلاح أهالى أعـالى النيل :

بعد أن توثق ذراعا المتحابين يتبادلان الدم من جرح صغير يحدثانه فى القسم الأسفل من الذراع فيمتص كل منهما دم الآخر .

وأعطى وادلاى وقتئذ الى جيسى مترجما وعند الساعة الثانية اتخذت المراكب سبيلها فى البحر واستمرت فى سيرها لغاية الساعة السادسة وكان منظر النهر واتساعه فى المكان الذى وصلت اليه الحملة أشبه شىء ببحيرة وكان منقسما الى ترع احداها متجهة الى الجنوب الغربى والاخرى الى الشمال الغربى . وقال الأهالى لجيسى ان هذه الترعة الأخيرة واصلة الى مسافات بعيدة وهذا ما جعله يظن أنها موصلة الى مكركا غير انه لم يجد احدا يستطيع ان يمده بمعلومات شافية بهذا الصدد .

وفى ١٦ مارس عاودت الحملة السير فى الساعة الرابعة صباحا إلا أنه عند ما وضح ضوء النهار أدرك جيسى أنه أخطأ الطريق وتوغل فى رافد من روافد النيل خاله أنه المجرى الرئيسى . وأدت الحال الى مسير ساعتين حتى استطاعت الحملة الاهتداء الى الطريق اللازم أن تسلكه غير أنها اضطرت الى الوقوف بسبب ريح صرصر هبت من الجنوب الغربى .

وتقوم فى هذه الناحية على الضفة اليسرى سلطة وادلاى محل سلطة الشيخ « ياكو » Yako لأن هذا كان فى حرب مستعرة دائمة وعلنية مع « اللورين » . وكان هؤلاء نازلين فى الجنوب الغربى وقاموا أخيرا بحملة شعواء فاجئوا بها قوم ياكو وأثخنوهم ذبحا وتقتيلا ثم بادلوا بعد ذلك الأسرى بثيران . وكان ياكو هذا مثل وادلاى من اتباع كباريجا ويورد له ما يجمعه من ولايته من العاج .

وكانت ضفاف النهر مرتفعة من كل ناحية ولا يمكن الدنو منها إلا فى مواضع قليلة إذ كان يوجد بينها وبين مجرى الماء الصالح للملاحة لسان من الأرض مفروش بالنباتات المائية . والجانب الممتد من النهر بين « دوفيليه » و « بيرا » Bira متسع وعميق وهو بحسب رأى جيسى أصلح الاقسام التى مر بها .

ويوجد على ضفاف النهر قرى عديدة عامرة بالسكان فيها يسرح ويمرح الأهالى فى سعة من العيش واليسار مما لم تقع عين جيسي على مثله فى بقعة أخرى من بقاع اواسط افريقية . وزراعة الذرة فى تلك الجهات قليلة نادرة بل تكاد تكون معدومة . اما الموز فيقطع وينشر ويجفف ويقوم مقام القمح . ويزرع مع ذلك كميات وافرة من أنواع الفاصوليا والبطاطة . ويباع الدجاج والبيض بأثمان بخسة . فبخمس عشرة خرزة من الزجاج يستطيع الملاحون أن يأكلوا اكلة دسمة مشبعة . ولقد توغل العرب أو النخاسون الدناقلة فى غاراتهم فى العصور الغابرة وواصلوا السير الى هذا المكان ولكن هذه الغارات كانت قليلة .

وفى ١٧ مارس دفع نسيم خفيف الحملة الى اراضي مملكة اللانجو Langos . وفيها يزداد عدد القرى عن الممالك الأخرى . وأحصى جيسى ٢٧ قرية فى ميلين . والارض مرتفعة من جانبي النهر ويعم الخصب سائر الارجاء . وكانت الضفاف عارية من الاعشاب . ويبلغ عرض النيل فى هذه الجهة ١٥٠٠ قدم وعمقه ثابت على حالة واحدة وهو أحسن مجرى ماء رأته عين جيسى فى افريقية وربما فى أوربا .

وفى ١٨ مارس أخذت السفن مجراها عند الساعة ٤ صباحا . وكان

النهر متسما فى بعض الجهـــات اتساعا كبيرا جدا حتى انه كاد يتعذر على العين تمييز ضفافه .

ورأى جيسي بعض الأهالى من بعد يصطادون فحاول ان يقترب منهم إلا انهم كانوا حذرين فلم يشاءوا ان يتريثوا ولاذوا على عجل بالفرار . وبعد ذلك لما رأوا انه لم يطاردهم وقفوا عن كثب ولكنه لم يستطع أن يحصل منهم على المعلومات التى كان يطمح فى الحصول عليها .

وترك هذا المكان وعند اجتيازه للنهر صادف زورقا يسيره أربعة من الأهالى فساورته الآمال أن يستقى منهم المعلومات التى يبتغيها . ولكنه لم يستطع ذلك رغم ما بذله من المنح .

واظلمت السماء واكفهر الجـــو ولاحت بوادر العاصفة فألقى الملاحون المراسي فى مكان أمين . وأخذت تهب ريح الاعصار عند الساعة ٨ واشتدت حتى تخيـــل المرء ان السموات قد فتحت فروجها . وقضت الحمـــلة طول ليلهـــا تحت مطر كأنه الطوفان مصحوب بريح صرصر عاتية حالت دون نصب المضارب .

وفى ١٩ مارس لاح نور النهار والمطر ما زال ثجاجا ولم يبرز قرن الغزالة إلا عند الساعة ٨ صباحـــا . وامكن البحارة وقتئذ ان يعرضوا ملابسهم لأشعتها ليجففوها . وكانت المراكب ملأى بالمـــاء فأخذوا فى نزحها وعند الساعة ١١ كانت المراكب انسابت تسير فى اليم ودخلت فى الفرع الموصـــل الى ماجونجو . وكان الهواء يهب من الجنوب باعتدال . وعلى هـــذا قام بخلد جيسى ان يصل فى الليل ولكن سرعان ما تبدد هذا الأمل إذ ان

زوبعة أخرى أتت من ناحيـة ماجونجو فاضطرب الماء وتلاطمت الامـواج فى مدخل البحيرة وعلى ذلك رسى الملاحون المراسى عند الساعة الثانية .

وفى ٢٠ مارس كانت اعاصير مناطق خط الاستواء المتواصلة تعـوق تقدم الحملة . وانتهز جيسى مـع ذلك فى هذا اليـوم وقتا هـدأت فيـه الريح وحاول ان يجتاز المسافة الواقعة بين مكان الحملة و « ماجونجو » . وبعد عبـور ٤ ساعات كاملة وصل الى الضفة الشرقيـة . وعلى بعد ٤ أو ٥ أميـال من البر لاقت الحملة بضع جزائر وكثبان من الرمل غير أنه لما كان عمق الماء لا يقل عن ٦ أقدام أمكنها المرور من بين هـذه العقبات . ولمح فى هـذه الجزر سطوح بعض اكواخ لاذ سكانها بأذيال الهرب ومعهم انعامهم ودخلوا فى الارض اليابسة حيث الضفة يتكون منها خليج يلتجأ اليه من هبوب رياح الجنوب .

وفى ٢١ منـه كانت الحملة على أهبة الرحيـل عند الساعة ٤ صباحا . وعلى مقتضى حساب جيسى كان لابد ان يكون نهر « ماجونجو » غـير بعيد بعـدا كبيرا . ووصلت الحملة الى شبه جزيرة كبيرة . وإن هى إلا أن وقعت عـين سكانها عليها حتى هرع منهم ألوف الى الشاطىء يلوحـون باشارات تدل على التهديد والوعيـد . ورأى جيسى أنه من الرزانة والحيطة أن يجعل بينه وبينهم مسافة . وسألهم عما اذا كانت الشقـة الى « ماجونجو » لم تزل بعيـدة . فأجابوا مرارا وتكرارا قائلين : نحن رعايا كباريجا . وهـذا ما جعـله يظن أن كباريجا يقطن هـذه الاصقاع أو فى النواحى التى تحيط بها مباشرة .

وعنـد ما كان جيسى مـع شيخ « وادلاى » حضر رسول من قبل

السلطان كباريجا وطلب ارسال جميـــع الرجال الذين تحت يده الى مازندي لنقل العاج المجتمع فيها الى محل أمين لأن العرب أخذت فى الاقتراب من ممتلكات السلطان . وكان كباريجا مع سائر رجال الحرب التابعين له يتهيئون فى غضون ذلك لمهاجمة محطة انفينا . وكان وادلاى قد وعد بالشيء الكثير من الزاد والمئونة غير انه لم يرسل شيئا .

وعلى هـــذا سار كباريجا نحو الشمال على رأس قوة كبيرة إذ روت له الانباء ان مراكب العدو الحربية لاحت . ولم تكن تلك المراكب سوى مراكب حملة جيسى . وهذا الخبر الفجائى غير المنتظر انقض على رءوس جميع رجال القبيلة انقضاض الصاعقة فكان كلما اقترب جيسى ورجاله من القرى الواقعة على شاطيء النهر ينادى المنادى بين اهاليها : الفرار !! الفرار !! الهرب !! الهرب !! وفى الحال ترك السكان اكواخهم حاملين متاعهم وسائقين أمامهم أنعامهم واختفوا فى الادغال الكثيفة أو فوق قنن الجبـــال . وكانوا يداومون على النفخ فى الابواق ليلا ويستدعون المحاربين بواسطة إشارات مصطلح عليها فيما بينهم ويشبون النار فوق المرتفعات . وفسر ترجمـــان جيسى هذه العلامات التى كان على علم بها فقال : إن نارا واحدة معناها اقتراب عـدو . ونارين إحداهما تبعد قليلا عن الأخرى معناهما الاحتراس والتحصن فى أماكن منيعة . وثلاث نيران بمثابة استدعاء للتجمع والاستعداد للقتال . وأربعا تفيد تقدم العدو وهكذا .

وكان كباريجا قد دخل قلبه الرعب فاستنجد بالسلطان متيسا وطلب منه عقد محالفة وامداده بالمعونة غير ان متيسا استصوب معالجـــة المسألة وتسوية الحالة بارسال مكتوب الى أميرالألاى غوردون . وكان هذا المكتوب مسطرا

بلغة انكليزية رديئة جـــدا . وقد ظن جيسى أن كاتبه خادم انكليزى تركه استانلى فى « روباجا » (١) عاصمة السلطان متيسا ليحتفظ بجميع الاشياء التى تركت فيها على سبيل الأمانة .

وهذا مغزى الكتاب المذكور :—

« أنا متيسا سلطان سلاطين أوغندة بعثت لكم هـذا الخطاب لاخبركم بأن لا تشبوا نيران الحرب على كباريجا لأن ذلك يكون بمثابة إعـــلان الحرب ضدى أنا . وكباريجا هـو ملك أونيورو . ولقد علمت انكم شيدتم مراكب حربيـــة . وسأذهب الى بومباى . وان ملك ملوك أوغنـدة يهدى اليكم سلامه » .

هذا ، ولربما أراد متيسا باخبار غوردون أنه مزمع السفر الى بومباى إشعاره بأنه سيضع نفسه تحت حماية الحكومة الانكليزية .

وكان متيسا يشنأ العرب شنآنا كبيرا ويتمسك بأن سلالته الملكية هى من عنصر حبشى ولذا فهـــو يمت فى الدين الى المسيحيين . ولتأييـــد هـذا الرأى يكتفى الحال بالقول ان العنصر الأونيورى كالعنصر الأوغندى تماما يختلف عن جميع قبائل أواسط افريقية الأخرى سواء أكان من ناحيـــة لون البشرة أم من ناحية العوائد والاخلاق . وكباريجا خليفة أبيـــه كرازى الطائر الصيت الذى كان جالسا على العرش فى عهد حكمدارية بيكر باشا . ولدى وفـــاة كرازى أقيمت احتفالات شتى تستوى فى غرابتها ووحشيتها .

(١) — كانت عاصمة أوغندة وهى كمبالا Kampala والآن أوروندوجانى .

فقد وضعت جثة الملك فى حفرة على طبقة من الاحياء وما كانت هذه الطبقة إلا نساءه . ومن المدهش ان يرى نساء هذا البلد ونساء أرجاء أخرى جنوب البحيرة يستسلمن للدفن أحياء كما علم جيسى وذلك محبة فى بعولتهن . وهذا برهان على الحب والاخلاص أشد هولا من ذلك البرهان الذى كانت تقدمه فى الأزمان الماضية أرامل الهنود لأزواجهن بالقاء أنفسهن فى المواقد التى كانت تعد لاحراق جثث أولئك الازواج .

وقال جيسى لابد أن يأتى يوم يدخل فيه التمدن هذه البلاد ومتى تأصل فى أوغندة فأول الاصلاحات التى يجب القيام بها ابطال هذه التضحية البشرية الوحشية .

ولنرجع الآن الى متابعة الكلام على رحلة جيسى وارتياده لبحيرة البرت فنقول :

كانت الأهالى متجمعة على مدى طول الشاطىء الجنوبى الشرقى والزحام شديدا . وكانوا متسلحين بالحراب يرمون رجال الحملة بالنبال ويدعونهم الى النزول من المراكب ويلوحون لهم فى الوقت نفسه بالحراب ليريهم كيف ستكون مقابلتهم . لكن جيسى تركهم وشأنهم فاستمروا فى متابعة الحملة وحالوا دون رسوها فى أى خليج من الخلجان .

وتغيرت حالة الجو وأخذ المطر يهطل والرياح تثور ولاحت بوادر الشر وحرج الموقف . وبينما كانت المراكب على أهبة الدخول فى مأوى يعصمها من الارياح اذا بمئات من الرؤوس تطوف فوق سطح الماء . فكان لابد من الاسراع الى القيام بعمل حاسم . ولم تدع الحالة لتشتيت شمل أولئك

السائحين الى اكثر من طلقتين من فوهة قربينة جيسى .

وفى ٢٢ مارس قضت الحملة ليلتها فى هدوء وسكينة تحميها فرضة صغيرة وتقيها شدة ريح الجنوب جبال شامخة . وكانت سلسلة الجبال الممتدة من لسان الأرض الذى اتخذه كباريجا مقرا له الى مسافة ٤٠ ميلا من الشاطىء جرداء عارية تقريبا من الغابات . وجميع رؤوس الجبال صاعدة صعودا عموديا وضفة النهر ضيقة ومبثوثة فى أرجائها الحجارة الساقطة من عل . وكانت توجد قطعة من الأرض منفصلة من الشاطىء ومرتفعة ارتفاعا تدريجيا بحيث تتكون منها شبه جزيرة أقيم عليها عدة زرائب . ويؤخذ من المعلومات التى استقاها جيسى من أحد أهالى هذه النواحى ان عدد الوفيات فيها كان كبيرا جدا بين رعايا كباريجا .

وكان أولئك القوم ملزمين أن يقتصروا فى تغذيتهم على الاسماك محرومين من الموز ليس لديهم من الانعام إلا القليل التافه متكدسين على بعضهم ألوفا فوق لسان ضيق من الارض فلا عجب إذن ان تنتابهم جميع الأمراض وتفتك بهم .

واستمرت الحملة فى سيرها نحو الجنوب وفى الساعة ٣ مساء اظلم الجو وغامت السماء فى اتجاه الجنوب فاعتصمت الحامية بسفح تل متوقعة هبوب الزعازع ونزول المطر مدرارا ولحسن الطالع أخذت الرياح وجهة اخرى وكفى الله الحملة شرها هذه المرة .

واعتصم اهالى قرية مجاورة بالجبال واخذ غيرهم وكانوا مسلحين يرمقون الحملة عن بعد ولما رأوا انها لا تعيرهم التفاتا اقدموا على المجىء لغاية الشاطىء

ولوحوا لها بالابتعاد والانصراف وحاولوا فى الوقت ذاته الحبل الذى كانت مربوطة به السفينة واخذوا يضاعفون حركاتهم ويهددون جيسى بالهجوم . وحاولوا فى آخر الأمر ان يقطعوا بحرابهم طرفا من الحبل ولما هددهم جيسى بقربينته عدلوا عن ذلك وانصرفوا وهم يكررون حركاتهم التى يريدون بها أن يحملوا الحملة على مبارحة المكان .

وفى ٢٣ مارس قضت الحملة عدة ساعات فى اصلاح أدوات السفينة ثم لما لاح ضوء الفجر عاودت المراكب الابحار بعد أن قضت الحملة ليلة مدلهمة قد أزعجها فيها طائفة كبيرة من افراس الماء فلم تترك لها فرصة للراحة . وكانت الجبال المحدقة بالناحية لا تدع أملا البتة فى الحصول على وقود . غير أنه كان فى حيز الامكان الحصول على هذا الوقود بعد مشقة وعناء من شاطىء البحيرة الجنوبى .

وقد عارضت تقدم الحملة ريح شديدة هبت من الجنوب فاضطرتها الى الوقوف فى الساعة الثانية بعد الظهر . وفى ٢٤ مارس قضت ليلتها قرب قرية لها فرضة صغيرة وقال الأهالى انها تجاه « فوكواش » Foquash وبالقرب من « فيجارو » Faigaro وانها غير بعيدة عن ماجونجو . فالتزمت الحملة أن ترجع أدراجها الى القرية التى قضت الليلة الماضية بالقرب منها نظرا لقيام زوبعة أخرى فى البحيرة حين فجأة .

وعاودت الحملة اجتياز البحيرة فى الساعة ٦ صباحا . غير أن ريحا صرصرا عاتية هبت من الجنوب الشرقى فاضطرتها الى طى أشرعتها . ولما كانت المراكب تمخر فى موج كالجبال وكانت الحالة منذرة بالخطر فقد آبت الى ملجئها المعتاد . واقترح جيسى على ترجمانه أن ينزل من المركب ويذهب ليعقد

استشارة مع رؤساء الناحية فقبل وبارح الحملة .

ولما لم يعد بعد ظن جيسى أنه صار فى عداد العابرين رغمـــا عن أنه فى ذلك اليـوم لم يظهر ديار من الأهالى . وزايل هـذه الرسوة فى نفس المساء والقى المراسى فى محـل آخر يبعد عن الاول مسافة ثلاثة أميال شمالا بدون ان يدنو مع ذلك من الشاطىء حيث كان جمع غفير من الأهالى آخذ فى الازدياد مسلحا ومهددا الحملة .

وعند الساعة ٣ مساء تغـــير مهب الريح من الجنـوب الى الشرق وصار منظر البحيرة مع عظم سمتها وارتفاع الأمواج فيها وتلاطمها أشبه شىء بمنظر البحر عند ما تثور الزعازع . وكان الوقت قد أمسى ولم يعد هناك وقت كاف للوصول الى محل يعصم الحملة من الماء .

ونقل جيسى كل من كان بالمراكب فى مؤخرها لكى يخفف مقدمها على قدر الامكان . ولكن هـذه المراكب الواهيـة كانت تمتلىء بالماء على الدوام ولم تعد بعـد فائدة من مجهودات الرجال الذين كانوا يدأبون على العمـل فى نزحها ولم ينقطع المطر فى صبيحـة يوم ٢٥ مارس عن الهطل إلا عند الساعة الثالثة فابتلت ثياب جميع رجال الحملة وكان من العبث محاولة تغيير ملابسهم .

ولما كان الموضع الذى فقدت فيه الحمـــلة ترجمانها عرضة لمهب الرياح وضفته مغطاة بالصخور قـرر جيسى تركه . وسافرت الحملة عند الساعـة الثانية واخذت تبحث عن مكان صالح لرسوها وكان الجـو يهدد بالنوء والبرق يشق

أعنان السماء فيسطع نوره على صفحات الماء .

ووجدت الحملة فى نهاية الأمر عند الساعة ٨ مساء نقطة سهلة المدخل وضفتها رملية غير أنه فى الساعة ٢ عادت الأنواء وغيرت الريح التى كانت تعصف من جهة اليابسة اتجاهها فجـأة وأخذت تهب من الشمال الغربى ولعبت الأمواج بالمراكب واستحال على الملاحين اقتلاع المراسى والاقلاع من النقطة الراسية بها .

ورفع جيسى شراعا فى المقدمة ليحول على قدر الاستطاعة دون دخول الامواج فى المركب واغراقها إلا أن مرساة السفينة « دوفيليه » لم يستطع تثبيتها فى موضع مع ان جميع سلاسلها كانت ملقاة بالماء وكانت كلما تمايلت على جانبيها انساقت صوب الضفة . وعند الساعة الثالثة والنصف شحطت وبمجرد ما هاجتها أول موجة امتلأت بالماء وغابت برمتها فى جوف البحيرة ولم يبق ظاهرا منها غير جانب من مؤخرها . فقفز الرجال فى الماء إذ كانوا على قيد ٥ أو ٦ أمتار من البر . وطفقوا يجمعون المؤنة التى كانت بالسفينة وسقطت من على حافتها . وقد انتشلوا فيما بعد مؤونة أخرى غير انها كانت مبتلة بالماء . ولقد فقد كل شخص بعض ملابسه ومتاعه إلا أن أعظم الخسارة حاقت بلا مراء بالمسيو جيسى . والذى أحزنه اكثر حرمانه من بوصلته وساعته ومنظار الرصد « تلسكوب » وتألم كذلك أشد الألم من التلف الذى حصل للآلات العلمية . وشرعت أعضاء الحملة فى الحال فى تجفيف الملابس والآلات الخاصة بمعرفة ارتفاع الاماكن وعند الظهر أرسلت الشمس عليها أشعتها .

وكان أول شىء وضعه جيسى نصب عينيه فى غضون زمجـرة العاصفة

انقاذ جميع لوازم السفر . فبعد أن كد وجد ساعتين تماما وفرغ المركب من الرمال التي كانت تجمعت في باطنها رآها وهو يكاد يبكي من شدة الفرح تسبح على سطح الماء وتلاطم الامواج .

وصولها الى ماجونجو

وفي ٣٠ مارس وصلت الحملة الى ماجونجو واستحال عليها أن تعثر على محل للنزول فيه الى البر لأن الترع التي حفرها الأهالي كانت قريبة الغور كثيرا . فاجتهدت ان تذهب في النهر صعدا إلا أنها لاقت من العوائق ما لاقته أولا . ولدى رجوعها الثلاثة الأميال التي كانت قد قطعتها عثرت على المرسى الذي نزل فيه سير صمويل بيكر غير أن شجيرات البردي قد طمرته . وإن هو إلا ان لاحت للأهالي الحملة حتى دقوا الطبول ونفخوا في الأبواق علامة على الاستعداد للحرب وأخذوا يركضون الى الشاطىء وكان عددهم زهاء ال ٢٠٠٠ .

وذهب جيسي على متن المركب الصغيرة وسار حتى اقترب منهم وأخذ يشرح لهم الحالة ويقول انه لم يأت ليلحق بهم أي أذى وان ليس لهم ان يخافوا منه شيئا غير أنهم أعاروا كلماته أذنا صماء ولم يشاءوا أن يصدقوه وأخذوا يرشقون النبال وما كاد يرجع الى السفن حتى استدعوه وطلبوا منه النزول الى الشاطىء . وبينما هو عائد اليهم اذا بالحملة تتوسل اليه أن يرجع قائلين له ان الأهالي مصوبة اليه سهامهم . وكان بالفعل كثير منهم مختفين في آجام المستنقعات وشرعوا يجعلونه هدفا لمقذوفاتهم ولو لم ينسحب في الحال لكانت عاقبته غير محمودة .

ولما لم يكن لديه ما يجب عليه أن يقوم بعمله وكان يرغب فى أن يتريث الى ان يتمكن من الاتصال بواد الملك صمم على ان يواصل السير الى مساقط مورشيزون مؤملا ان يعثر على طريق مؤدية الى قرية يكون سكانها اكثر ألفة وان يجد ايضا وسيلة تمكنه من ارسال مكتوب الى واد الملك .

وفى أول أبريل توجه الى المساقط . وكانت شواطىء النهر على ارتفاع ٥٠ قدما مفروشة بالنباتات النضرة وبأسفلها اعشاب وشجيرات البردى . ومتوسط عمق الماء ٢٤ قدما وهو مشوب بالوحل وبه الشيء الكثير من حطام النباتات والفروع الناشفة وافراس البحر وهى حيوانات تأكد أنها مصدر خطر فى أثناء الليل . أما التيار فليس على حالة واحدة إذ كان يظهر للرائى فى بعض النقط انه راكد بينما فى البعض الآخر كانت سرعته تبلغ ميلين ونصف ميل فى الساعة . ولم تتمكن الحملة من الاقتراب بسبب ما أبداه الأهالى من العداوة والبغضاء وقد تعقبها مئات منهم ولم يدعوها تغيب لحظة عن ابصارهم . وتمكن جيسى بعد اللتيا والتى من التخلص منهم ولكنه عول على ان لا يتحرش بهم اذا وجد الى ذلك سبيلا .

وفى ٢ منه رأت الحملة على مد البصر المساقط . وقد كان منظرها عجيبا وهى من أبهج ما وقعت عليه الأعين . وكانت الجبال النضرة تكتنفها من جميع النواحي والماء يتدهور الى الحضيض من بين صخور بارزة ومنبثة على مرتفعات شامخة ويتصاعد من خلال الماء المزبد ضباب لونه أبيض ناصع كالثلج . كل ذلك ودوى الماء الذى يصم الآذان أذهل جيسى وقتا ما . وكانت توجد تجاه المساقط صخرتان ارتفاعها ٢٠ قدما وشكلها هرمى يخالها

الرأى من صنع يد الانسان .

وفى اثناء ذلك طلب سكان القرى المجاورة ان يؤذن لهم بالدنو من الحملة وان يبيعوا لها ما تحتاج اليه . وبعد حوار طويل ارتدوا الى قراهم ورجعوا بدون سلاح علامة على جنوحهم للسلم ومعهم دقيق ودجاج . وتوصل جيسى الى ان يعلم منهم ان واد الملك كان فى انفينا وان الجنود زايلت مازندى وان عساكر كباريجا فى ضواحى ماجونجو . وسأل عما اذا كان فى الامكان ان يتحادث الى الشيخ فكان الجواب بالايجاب . وعلى مسافة ٢٧ ميلا تفرق مصب النهر من المساقط ولم يدر جيسى لماذا كانت الخرائط تجعل هذه المسافة اثنى عشر ميلا ونصف ميل فقط .

وفى ٣ أبريل عند الساعة ٧ صباحا قدم الشيخ فطلب منه جيسى رجلا ليوصل خطابا الى انفينا فى مقابل أجر يتقاضاه . فتقدم شخصان من الأهالى لتأدية هذه المهمة وسافرا فعلا . وقد قال فى هذا الخطاب لواد الملك انه حضر ومعه أدوات للمحطة وعليه أن يبعث بمن يلزم لتسلمها .

وفى عصر ذلك اليوم هطل المطر وكان الموضع الذى تحتله الحملة ضيقا جدا فقرر جيسى ان ينحدر قليلا . وأحضر له الأهالى ميرة فوق الكفاية . وفى ٥ أبريل بلغ جيسى خبر اياب الرجلين اللذين ذهبا الى انفينا .

وفى الساعة ١١ صباحا أخبره ترجمانان من قبل واد الملك ان رئيسها على وشك ان يعلن الحرب على اتباع كباريجا فى شبه الجزيرة التى سبق ذكرها . وزادا على ذلك بأن قالا ان هذا الرئيس سيكون عند مدخل النهر بعد يومين .

وفى الغد استعد جيسى لمقابلة وادى الملك . والآن نترك هذا الاخير سائرا فى طريقه الى ماجونجو ونذكر بعض تفصيلات نقلها عن جيسى بشأن بلد واد الملك وسكانه وحاصلاته وها هى :

يؤكد جيسى ان من بربر الى ٢٠ ميلا فوق دوفيليه لا توجد منطقة أحسن من هذه المنطقة لغاية ماجونجو وانه لا يقصد بكلامه هذا المناطق الواقعة فى داخلية البلاد لأنه لم يرها بل يريد الاراضى التى يقطعها النهر . ففى هذه الأراضى لا يرى الانسان جبال لادو و دوفيليه الجدباء ذات النبات الضئيل القليل ولا الزرائب الحقيرة المأهولة بالسكان الكسالى الذين يكاد يقتلهم الجوع . وقد رأى جيسى فى هذه المنطقة شعبا لديه استعداد كبير لقبول المدنية . ولما كان الأهالى متعودين احترام سيطرة الرؤساء فقد كانوا يطيعون الأوامر ويؤدون الرسوم المفروضة عليهم سواء أكانت عينا أم عبيدا . وأخذ منظر قراهم بمجامع لب جيسى فاستشف من وراء ذلك انهم يسيرون امورهم فى طرق منظمة . ويعيشون كذلك عيشة داخلية هنيئة . فلديهم الادوات الخشبية والاوانى للمطابخ . وهم يدبغون الجلود ويصنعون الاحبال ويغزلون الشباك لصيد الاسماك باتقان واحكام ويخيطون الجلود أحسن مما يخيطونها فى روسيا وتركيا . وتتألف ثياب الأهالى من جلد واحد أو جلدين من جلود الوعل أو الماعز .

وأما المحصولات فأنواعها وكمياتها اكثر مما هو فى وادى دوفيليه . وتوجد الذرة البيضاء والبطاطس والفاصوليا بمقادير وافرة . وزراعة الدخان منتشرة ونوعه من أجود ما يزرع فى السودان . وتعادل أحجام الثيران ضعف ما يوجد منها فى « كري » و « لادو » . وعدد المعز فى تلك المنطقة يجاوز الحد المعتاد فى الجهات الاخرى .

وقد رجع واد الملك من الجزيرة التى احتجب فيها اعداؤه بعد ان قتل منهم ٤٠٠ نسمة فى ميدان الحرب وغنم ٧٠٠ رأس من المعز . وركب جيسى الباخرة الصغيرة وذهب لمقابلته وأخـــبره عن ازماعه السفر فى ١١ أبريل . وسافر فى الواقع للقيام برحلة إلى البرت نيانزا يوم الاثنين التالى .

وفى ١٢ أبريل سارت الحمـــلة سيرا بطيئا لهدوء الريح غـــير ان النسيم اشتد فيما بعـــد واستقوى حتى انقلب إعصارا هائلا . وعثر جيسى على جزيرة أمل ان يعتصم فيها من العاصفة إلا أنه رأى ان قوم كباريجا الذين فروا من ماجونجو ونجوا من مطاردة واد الملك التجئوا اليها واحتلوها . وبدت من هؤلاء العداوة والبغضاء نحو الحمـــلة وهددوها بالهجوم اذا لم تبادر بالانسحاب . ولم يبال جيسى بتهديدهم ووعيدهم وعددهم وأطلق عيارين ناريين وألقى المراسى ونزل هو ومن معه الى البر وهكذا انقضت تلك الليلة بعواصفها وهم فى راحة تامة .

وأخـذ الأهالى يقتربون تدريجيا فأعلمهم جيسى أن من واجباتهم أن يعودوا بهدوء وسكينة الى مساكنهم ويبعثوا بوفـــد منهم الى اتفينا ليقدم الطاعة والخضوع . فانصرف القوم في اليوم نفسه . وعلم فيما بعد ان ٢٠ منهم ذهبوا فعلا الى اتفينا .

وأبى جيسى قبول ثورين كانوا يبتغون تقديمها له على سبيل الهـــدية فوعدوه عندئذ أن يعودوا اليه بعد يومين بمقدار من سن الفيل . فأشار عليهم بأن يقدموه الى واد الملك . والجـــزر الآنفة الذكر على مسافة ٧ أميال فقط من ماجونجو .

وفى ١٣ أبريل بارح جيسى هــذه الجزر عند الساعة السادسة والنصف صباحا . وكانت الريح هادئة ولكن ماء البحيرة كان مضطربا هائجا عقب الزوبعة التى ثارت بالأمس . ومرت الحملة أمام أرض منخفضة قد فرش جانب منها بالعوسج وكان النزول اليها سهلا . ولاحت لجيسى قرية كبيرة بها عدد هائل من الثيران وغيرها من الانعام . وعلى قيد ٦ أميال داخل اليابسة كشفت الحملة جبال « بيسو » Bisso الواصلة إلى البحيرة ومتوسط ارتفاعها يبلغ زهاء ١٠٠٠ قدم .

وفى الساعة ٢ اعتصمت الحملة من زوبعة هبت بجانب جزيرة سابحة . وكان يوجد على جزيرة صغيرة نحو ٣٠ كوخا تركها أربابها قبل بضع دقائق بمجرد اقترابها منهم . وعثر النوتية على بعض الدجاج وقطع من الاحبال . وبعد ساعتين عاد الأهالى وأخذوا يقتربون شيئا فشيئا ويصيحون : انفينا !! انفينا !! فقدم لهم جيسى هدية من الخرز عوضا عن الدجاجات التى أكلتها الحملة وأرجع اليهم الأحبال وقال لهم انه ليس هنالك من داع للهرب عند اقتراب سفن الحكومة . وعادوا فعلا الى أماكنهم وصرحوا بأنه لم يعد لهم بعد علاقة بكباريجا ويعترفون لانفينا بالسيطرة عليهم . وكان المطر سجالا والحالة الجوية سيئة إلا أن الحملة قطعت ٦ أميال .

وفى ١٤ منه أيقظ جيسى النوتية عند الساعة ٢ وكان ذلك عند بزوغ القمر تماما إذ أنه كان يبتغى أن يمر بالنقطة المعادية التابعة لكباريجا بدون أن يشعر به أحد ويذهب لمعاينة المساقط التى رسمت على خريطة سير صمويل بيكر .

وساءت حالة الجــو وأخذ قصف الرعد ولمعان البرق يشيعان الحملة أثناء مسيرها الذى استمر طول اليوم وقطعت فى غضونه ٣٢ ميلا وعبرت

ممتلكات كباريجا إلا ان جيوشه توارت واختفت عند ما اقتربت منها الحملة . وكانت الرياح تهب طول النهار . وكانت الجبال التى يتكون منها الشاطىء شامخة ووعرة المنحدرات تكسوها نباتات ضئيلة والماء عميقا . وشاهد جيسى حول الشواطىء تقريبا سيلا ينحدر من الجبال من ارتفاع ٣٥٠ قدما فكان أشبه شىء بالشلال . وقال له الأهالى ان هذا الماء لا ينضب قط ولم يستطع أن يتسلق المنحدر لوعورته .

وألقت الحملة مساء يوم ١٤ أبريل عصا التسيار قرب هذا الشلال . وهو موضع رأت أنه أكثر صلاحية لذلك من غيره . وفى الواقع كانت الجبال التى تكتنفه تقيه شر رياح الجنوب الشديدة التى هبت طيلة الليل . وفى ١٥ منه بزغت الشمس ووضح ضوء النهار والريح مستمرة الهبوب بشدة . وحاول جيسى ورجاله جر الباخرة الى الشاطىء لتكون فى مأمن اذا زادت حالة الجو سوءا إلا أنه رغما عما بذلوه من الجهد لم يتوصلوا الى مطلوبهم وذهبت مساعيهم ادراج الرياح .

وسفن الحملة وان كانت فى غاية من الجودة إلا انها لم تكن معدة لمثل هذه الرحلة إذ انه كان يجب ان تكون مسقوفة . نعم ان الامواج فى هذه الجهة لايبلغ ارتفاعها الارتفاع الذى تبلغه أمواج البحر المتوسط ولكنها تتلاحق بسرعة هائلة فتدخل السفن . وكانت الرجال دواما مبتلة ان لم يكن بسبب الامواج التى تتكسر على المراكب فمن الامطار المنهمرة الدائمة . فلو كانت السفن مسقوفة وأحسنت قيادتها لتيسر عبور البحيرة والسير فيها فى جميع الاتجاهات . والدناقلة قوم مهرة وحذاق للغاية فى السفر على النيل غير انهم ليس لهم الملم أو أية دراية بالبحيرة

ويتلمسون دواما متابعة الابحار بجوار الشاطىء .

وفى عصر هذا اليوم « ١٥ أبريل » احتجب وجه السماء وراء الغيوم وأخذت تهب ريح شمالية غربية واستحال سحب المراكب . فترك جيسى الجنود على اليابسة ونوتيا كان يقول إنه يداخله شيء من الخوف . وألقى مراسى السفن وأخذ يرتقب اعتدال الجو . ولحسن الطالع برزت الغزالة من خدرها بعد زمن يسير فعاد جيسى الى قرب الضفة وأخذ يحاول مرة أخرى سحب المراكب بالأحبال .

ووصلت الحملة الى مسافة ثلاثة أميال ونصف ميل من الشلال السابق ذكره فوجدت شلالا آخر يقل عنه كثيرا فى الاهمية . ووجدت بقرب هذا الشلال قرية . وإن هى إلا أن وصلت اليها حتى هبت أهاليها من مساكنهم ليروها . وقد زودوا جيسى بكل المعلومات التى طلبها منهم . فأكدوا له أنه يوجد نهر كبير آت من نواح بعيدة من جهة أوغندة يسمى « التيزا » Eltisa وبه ثلاثة مساقط : الأول وهو الذى مر به جيسى ويسمى « هويوما » Hoyoma والثانى « وانبابيا » Wanbabia والثالث « نانزا » Nanza ، وماء الثلاثة لا ينقص على مدى طول أيام السنة .

وكان الأهالى يعرفون ان هذا النهر يمر من أسفل جبل « انموكا » Anmoka لأنهم سافروا عدة مرات فى داخلية أوغندة لينقلوا عاجا برسم كباريجا غير أنهم لم يتابعوا السير لغاية منبع النهر . وكان يود جيسى أن يرى هذا المجرى الذى وصفوه له بانه يبلغ فى عرضه وعمقه مبلغا كبيرا . إلا أن الجبل الذى كانت الحالة تدعو الى تسلقه صخرى وواقف وقوفا رأسيا كأنه حائط وكان لا بد من القيام بعمل دورة كبيرة ليجد

له ممرا مطروقا .

وفى ١٦ أبريل انتهز جيسى هدوء الريح ليعاود السير عند الساعة ٤ صباحا ورأت الحملة المسقط الثالث عند الساعة السادسة وهو يشبه تماما المسقط الثانى . وتصب هذه المساقط الثلاثة فى البحيرة من الماء مقدارا وافرا جدا . وتنحدر هذه المياه من ارتفاع يتراوح بين ال ٥٠٠ و ٦٠٠ قدم . وكان ماء البحيرة كثير الاضطراب . والظاهر إن اعصارا هب فى ناحية ما أثناء الليل .

وتقدمت الحملة فى ذلك اليوم فى سيرها بواسطة المجاديف ولم تعثر حتى الساعة الثانية صباحا على موضع تلقى فيه مراسي المراكب . وكانت السماء متلبدة بالغيوم والبرق يشق بين آونة وأخرى عباب الجو فينير وجه البسيطة الى مد البصر . وحاول جيسى ان يدرك رأسا بارزا فى البحيرة على شكل مقدم سفينة أبصر به وقت الغروب . وكان منظر ضفاف البحيرة كأنه اكمات مستديرة غطيت بالحشائش والآجام وغطست فى الماء عموديا .

وعلى مقربة من الشاطىء كان الماء كدرا بسبب ما يجلبه التيار من الطين الأصفر . وفى هذا الموضع تكثر الاسماك كثرة ما عليها من مزيد . وكان رجال الحملة يرونها تثب فوق سطح الماء على الدوام فى كل صوب هربا من مطاردة التماسيح التى يوجد منها عدد وافر من ذوات الاحجام الهائلة فى هذه المنطقة . أما افراس البحر فيندر وجودها فيها .

وعاد الجو ينذر بتدفق الامطار غير ان جيسى عرف كيف يستفيد

من شدة الريح فكانت المراكب تسير بانتظام بسرعة ٦ أميال فى الساعة وفى مدة ٤ ساعات وصلت الحملة الى فرضة صغيرة لكنها ملائمة جدا عرضها ٧٥٠ قدما وعمقها ٨٠٠ قدم غير معرضة للرياح فسماها جيسى « فرضة شبرا » Port de Shoubra وهذه الدائرة واقعة حسب تقدير جيسى فى وسط البحيرة تقريبا وفى الامكان بحسب رأيه استخدامها كمأوى للمراكب ومحطة للوقود .

وكان جيسى قد قطع الى هذه المسافة ٥٢ ميلا . وأحدث ذلك فى نفوس النوتية أثرا عظيما إذ أنهم كانوا موقنين ان العاصفة لو باغتت سفنهم وهم على مقربة من الشاطىء لما نجت من الغرق مطلقا . وسر أيضا جيسى لحدوث هذا الأثر . وبلغ الاعصار النهاية العظمى فى الشدة وقاوم المركبان « دوفيليه » و « ماجونجو » هجماته مقاومة جديرة بالاعجاب . وأذن جيسى للملاحين والجند بالاستراحة فى اليوم التالى مكافأة لهم على المشاق التى لاقوها فى الليلة الماضية .

وفى ١٧ أبريل لما صادفت الحملة فى اليوم السابق ضفة موافقة خرج جميع افرادها ليجففوا ملابسهم ونزح الملاحون الماء الذى أغار على السفن ودخل جوفها ورمموا الأشرعة والاحبال وهكذا انقضى ذلك اليوم كله .

وفى ١٨ منه كان الهواء يعصف بشدة من الجهة الجنوبية الشرقية . وانطلقت الحملة فى السير عند الساعة ٦ صباحا . غير ان ماء البحيرة كان هائجا لدرجة اضطر جيسي معها ان ينقلب الى النقطة التى سافر منها .

وعاودت الحمله السير عند الساعة ٩ نظرا لهبوط هبوب الرياح وتمشت بمحاذاة

جبال ذات منحدرات وعرة نازلة الى البحيرة وبعد أن جابت زهـــاء ال ٢٠ ميلا وقـــع نظر جيسى على جزيرة كبيرة ممتـدة فى اتجاه الشاطىء فنشر البحـــارة جميع الاشرعـة ابتغاء الوصول اليها فى أقرب وقت . ورأى جيسى على حين فجأة ان ماء البحيرة انقلب من رائق شفاف الى لون أبيض فتسلق سارية سفينـة ورأى لون الماء مشربا بالحمرة بالقرب من الضفاف المنخفضة التى كان بهـــا اكداس جمة من شجيرات البردى . وهـذا مما يدل بلا ارتياب على ان الحملة كانت بالقرب من نهر . وفعـلا عند ما حـدق جيسى نظره فى الاتجاه الجنوبى الشرقى وقعت عينه على مصب اتساعه ٤٠٠٠ قدم تقريبا فأمر بالولوج فيه .

وبعد ان سافرت الحملة فى ذلك النهر ٦ اميال صعدا أفضت الى موضع به مسقط كبير ماؤه زاخر . والنهر يقف عند اسفل هذا المسقط . وللتمكن من فحص هذا فحصا أتم يمم جيسى قرية صغيرة قائمة على الضفـة اليسرى غير ان السكان امتنعـوا عن الاقـتراب من الحملة أو التحدث اليها . ولما رأى أن لا فائدة من محاولة ازالة ما علق بأذهانهم من الخوف أمر بالقاء مراسى السفن تجاه القرية إذ أنه ما كان يريد ان ينصرف بدون ان يبذل كل ما فى وسعه ابتغاء الوصول لمحادثة أولئك الاقوام .

وكان يأمل من وراء ربط السفن وعدم ابداء اية حركة ان يترك لهم وقتـا لتبـديد مخاوفهم والرجوع عما بدا لهم فى برهـــة مباغتـة الحملة لقريتهم . وتنـاول جيسى قلمه وشرع يدون رحلتـــه وإذا بالنوتيـة استدعوه وأروه فـرس بحـــر كبير الحجم يسبح وهو يتجه الى الضفـة ورأسه بارز من الماء على قيد ١٠٠ قدم بعــــد القرية . فصوب اليه طلقا ناريا اصابه

فى جهته وجــــره النوتيـة والجند الى البر . واقتحم اهــــالى القرية الخطر ودنوا مسافة تقرب من ١٠٠ خطوة من الحمـــلة وأخـذوا يرمقون الفريسة بعين الشراهة متمنين الحظوة بمقدار من لحمها . فأمر رجاله أن يعـودوا الى ركوب السفن ثم اقـترب من الاهـالى بمفـــرده وقدم لهم فرس البحر الذى اصطاده . وان هو إلا أن أتى بهذا العمل حتى انطلقوا يشرحون تلك الجثـة الهائلة وفي لمحة عين أضحت قطعا وتوارت . وفاز جيسى بالحصول منهم فى نظير ذلك على المعلومات الآتية :—

ان النهر الذى ينتهى عنـد المسقط يأتى من جهات قصية وتصطف على طـول جوانبه قرى عديدة مهمة . وان هـذا النهر ينضب ماؤه والمسقط يقف جريانه فى شطر من السنة ولكن فى فصل الامطار يـكون الماء عميقا وعكرا وتبلغ سرعته فى الساعـة ٣ اميال . وان البـلد يسمى « كواندا » Quanda وخاضع لسلطان كباريجا .

وهب إعصار بلل أفـراد الحمـــلة بلا اخـترق الجلد ووصل الى العظم رغم وجودهم داخل مضرب وفى نفس هذه اللحظة بصروا بجزيرة كبيرة سابحة مقبلة عليهم بشدة ولم تترك لهم من الزمن إلا الوقت الضرورى للتنحى عن طريقها . ولولا الحركة السريعة التى أجـــراها رجال الحملة لوجدت نفسها لجـــأة فى وسط حقـــل شاسع من شجيرات البردى عرضـة للسحق أو الدفن بين أدغال الجـــزيرة المتحركة أو أدغال جزيرة اخرى اصطدمت بها الجزيرة الأولى .

وفى ١٩ أبريل تقدمت الحملة بمحاذاة امتـــداد شبه الجزيرة التى رأتها فى اليــــوم الماضى وهى عبــــارة عن حطام نباتى . وصرف جيسى مقـدارا

كبيرا من الوقت فى البحث عن ممر وفى نهاية الأمر وجد نفسه على ضفة النهر الأخرى . وكان الانسان أينما سار يجد الماء كدرا وراكدا وعمقه يزيد على ٣ أقدام . ولونه الترابى ناشىء من إثارة الامواج لقاعه المكون من الاوحال . وكان رجل من رجال الحملة يتسلق من حين لآخر سارية احدى السفن ويتطلع فلا يرى شيئا الى مد البصر اللهم إلا أعشابا وحشائش . وكان يرى على الشاطىء بجانب منه جبل لا يقل ارتفاعه عن ٤٠٠٠ قدم أطلق عليه جيسى اسم « جبل نوبار » . ويوجد فى طرف البحيرة سلسلة جبال على شكل نصف دائرة فاستنتج جيسى من ذلك ان البحيرة تنتهى فى هذه الجهة .

وأضاعت الحملة عدة ساعات فى سبيل البحث عن منفذ يوصل الى الضفة حتى يمكن الاتصال بالاهالى إلا ان الضفاف كان يتعذر الاقتراب منها فى هذا الموضع بسبب الحشائش وشجيرات البردى والخيزران الممتد على طولها بعرض ربع ميل . وفى نهاية الأمر بصرت الحملة زورق للصيد إلا أنه ما لبث أن توارى بسرعة البرق .

وجد جيسى فى أثر هذا الزورق متتبعا نفس الطريق الذى سلكه وبعد ساعتين نزلت الحملة إلا ان اهالى الناحية ما لبثوا ان أتوا مهطعين مهددين طالبين رجوع الحملة الى المراكب . وكان واد الملك زود جيسى برجل يفهم لغة هؤلاء القوم ليرافق الحملة غير انهم كانوا يجاوبون على كل سؤال أو طلب يوجه اليهم بقولهم : اليكم عنا !! انصرفوا !! نحن لا نقبلكم !! ولا يريدون ان يتحولوا قيد شعرة عن هذه الكلمات .

وفى اثناء ذلك أقبل الجنود الوطنيون يهرعون من كل الزرائب المحيطة

بالناحية غير ان ذلك كان فى وقت متأخر وصار من الضرورى للحملة البحث عن مأوى تعتصم فيه ليلا بعيدا عن متناول يد أولئك الفتاكين .

وفى ٢٠ أبريل بذل جيسى مجهودا آخر فركب مركبا واقترب منهم وهرع اليه عدد كبير من الأهالى فوعدهم بواسطة الترجمان بهدايا إذا هم دلوه على الطريق التى يجب عليه ان يسلكها . فأجابوه ان هذه الجهة هى نهاية البحيرة وأن التقدم الى ما وراء ذلك أمر محال .

ووجه اليهم هذا السؤال : وما هو غاية العمق فى هذا المكان ؟ فأجابوا بالاشارة : لغاية الركبة .

وكان من المستحيل الحصول منهم على معلومات اكثر من التى صار الحصول عليها فعقد جيسى النية على أن يستقى معلومات اخرى ليتأكد من صحة ما رووه .

ووصلوا بعد ذلك بساعتين الى قرية غير القرية التى سبق ذكرها . ولدى اقتراب الحملة فر أهلوها واختفوا ولم يعودوا للظهور إلا بعد أن وضعوا أدوات مساكنهم وأنعامهم فى أماكن منيعة .

وعقب أن أتموا عملهم هذا أخذوا يقتربون شيئا فشيئا الى ان وصلوا بجانب السفينة التى بها جيسى فنحهم بعض التحف فهدأ ذلك روعهم وأصلح مزاجهم . وانتهز جيسى هذه الفرصة ليوجه الى شيخهم نفس الأسئلة التى وجهها الى القرية الاولى . وكان هذا الشيخ قدم بعد قدوم رجاله بساعة وهو رجل طاعن وفى العقيد السابع من عمره . واعطاه جيسى بعض اللعب التى تهدى

للأطفال وقضيبا من النحاس وأشياء أخرى تافهة القيمة . وكانت أجوبته منطبقة على تلك التى استقاها من القرية التى سبق ذكرها . ولما لم يعد لدى جيسى شىء آخر يجب عليه تأديته عاود السفر .

وساعده فى السير ريح خفيفة فمر فى الثلاثة المساقط الواحد تلو الآخر . ويوجد فى هذه البقعة جبل لا يقل ارتفاعه عن ٤٠٠٠ قدم فأطلق عليه جيسى اسم « جبل مدرج » Mont Modrog وجوانبه من كل ناحية تكاد تبلغ ١٥٠٠ قدم تكسوها الحشائش وسفوحها غاطسة عموديا فى البحيرة .

ولما لم يجد جيسى موضعا يلجأ اليه فى الليل وكان يسمع من مسافات دوى الرعد قرر الاستمرار فى السفر وظلت الريح هادئة والجو صحوا الى الساعة ٨ مساء . واشتدت الرياح عند الساعة ٩ تدريجيا الى أن بلغت غاية الشدة حتى أنه حار فى أمره ولم يدر كيف يوجه الأشرعة . وفى منتصف الليل انقلبت الى زوبعة قل أن يهب نظيرها فى البحيرة . وقد قال جيسى انه لم ير نفسه طول حياته واقعا فى خطر كهذا وهو على صفحات الماء .

وعند الساعة الثانية عشرة والنصف صباحا تغير اتجاه الهواء فبعد ما كان يهب من الغرب صار يعصف من الشمال الغربى واهتاجت البحيرة وثارت أمواجها واضطربت اضطرابا ينذر بالويل والثبور فولت الحملة الادبار أمام العاصفة مدة ١٢ ساعة متوالية . وعند الساعة الخامسة والنصف اشتد الهواء اشتدادا ليس بعده من مزيد وابتدأ يهب من الجنوب الشرقى . وفى وقت ما اشتد الذعر وتمكن الهلع من نفس الحملة حتى كانت تتخيل أن امواج اليم ستبتلعها . وطوى النوتية بعض الأشرعة وحاولوا الاقتراب من الشاطىء

فلم يفلحوا فى ذلك لأن حافة الجبل كانت نازلة فى الماء نزولا رأسيا والامواج تتكسر على الصخور بعنف وشدة .

وفى صباح اليوم التالى عند الساعة ٧ دار الهواء وأخذ يهب من الجنوب وصار فى حيز الاستطاعة توجيه مقدم السفن الى جهة الشمال . وفى الساعة ٥ مساء وصلت الحملة ازاء ماجونجو وفى الساعة ٨ دخلت النهر .

وصولها الى دوفيليه

وفى ٢١ أبريل كان جيسى قد قطع بحيرة البرت نيانزا . ولكى يتصور المرء السرعة التى قطع بها هذه البحيرة من اقصاها الى اقصاها يجب أن نذكر انه أقلع فى يوم ٢٠ صباحا وظل مسافرا حتى عشية اليوم التالى الى الساعة ٨ فقطع ١٣٥ ميلا وباضافة ٥٠ ميلا قطعها عبثا وبدون فائدة و ٢٠ أخرى قطعها فى النهر يكون المجموع ٢٠٥ أميال طواها فى ظرف ٣٥ ساعة .

ويبلغ مقاس أكبر عرض للبحيرة حسب تقدير جيسى ٦٠ ميلا . ويقول جيسى علاوة على ما ذكر انه ابتداء من فرضة شبرا الواقعة شرقا الى نهاية حدها الشمالى تتكون ضفافها من سلسلة جبال متصلة ببعضها وجروفها نازلة فى مياهها نزولا رأسيا . أما فى الضفة المقابلة فالجبال تمتد الى البقعة التى يصب فيها النهر الآتى من الجنوب فى وسط المضيق الذى فى البحيرة .

ويقول جيسى ايضا إنه لا يستطيع أن يصرح بشىء يتعلق بداخل الأرض لانه لم يكن فى حالة تمكنه مع الحرس الضئيل الذى كان يرافقه

والمؤلف من ١٢ جنـــديا أن يتوغل فى السير بين قبائل يضمرون العداوة والبغضاء ومن شيمهم الغدر ، ولو فعل ذلك لاضطر عندئذ أن يترك السفن بدون حرس ما .

وبذا قد توصل جيسى الى الغرض الرئيسى من ريادته .

وتأتى كمية الماء التى تصبها البرت نيانزا فى النيل من المساقط التى شاهدها جيسى وكذلك من مساقط مورشيزون القائمة على نيل فكتوريا . ويقول فوق ذلك ان كل من يعاين بحـــيرة البرت فى نفس الفصل الذى سافر هو فيه ورى الطوفان الذى ينزل من السماء ٢٠ مرة فى النهار ويسقط كذلك أحيانا كثيرة فى الليل لا يعجب قط من غزارة البحيرة .

وحالما دخل جيسى فى البرت نيانزا بين منسوب ارتفاع الماء بعلامات خطها على صخرة ليتثبت من حقيقة الفيضان فى مدة فصل الامطار . واستنتج من بعض العلامات التى نزل عنها الماء فيما بعد ان المنسوب نقص عن المنسوب السابق بضع بوصات . وحين عودته وجد ان الماء لم يرتفع إلا بضعة خطوط .

ولما كانت ضفاف البحيرة كما سبق القـــول معظمها عموديا لم يصادف جيسى إلا القليل من الضياع ولكن المنطقة الواقعة وراء هذا القسم مأهولة كثيرا بالسكان ويشبه ساكنوها أهل أوغندة مشابهة تامة . ويقال ان العاج يوجد فيها بوفرة .

وتبين لجيسى ان المناخ مليح جدا رغمـــا عن الامطار ففى لادو و غندوكورو عانى كثيرا من وطـــأة الحمى . ولكنه وهو على البحيرة كان يتمتع هو والبحارة بصحة تامة رغما عن بقائهم يوميا مدة ١٦ ساعة مغمورين

بالماء . وفى ٢٢ أبريل نزل والتيل متجها الى دوفيليه . وليس ثمت اخبار بعد ذلك . وفى ٢٣ منه وصل الى دوفيليه .

ومما تقدم يتبين ان الجنود المصرية كانوا أول من ارتادوا هذه البحيرة وأن المراكب المصرية التى أقلتهم اليها كانت أول المراكب التى مخرتها كما أن العلم المصرى كان أول الاعلام الخافقة فوق هذه الجهة التى اغتصبتها من مصر بريطانية وحكومة الكونغو البلجيكية .

٢ — ملحق سنة ١٨٧٦ م

مأمورية الطبيب أمين افندى فى أوغندة

من ٣ يونيه الى ٧ سبتمبر

سفر الطبيب امين افندى الى دوفيليه

استمر غوردون ممعنــا فى سياسته التى ترمى الى تقــوية مركز مصر فى أوغنــده فكلف الطبيب أمين افندى بالذهاب اليها فى بعثة فأخــذ طريقه يضرب فى الأرض ووجهته مملكة متيسا . وبدأ رحلته من لادو فى ٣ يونيه ومعه حرس من الجند وهدايا الى ملك تلك البلاد . وفى ٥ منه وصل الى بيدن .

وفى ١٥ منه وصل الى دوفيليه . ووصف أمــين افندى هذه المحطة فقال انها صغيرة يحيط بها متراس من التراب وواقعــة فى سهل مبثوثة فى أرجائه أشجار . ويوجــد فى النهر على مسافة قليلة فوق المحطة منحن ظاهر كثيرا ممتد فى الاتجــاه الغربى . وكل القبائل التى تحيط بها مصافية للحكومة .

وصــوله الى مرولى

وقام أمين افندى باستكشافات شتى حــول دوفيليه ثم ولى وجهه شطر

الجنوب واستمر فى سياحته فوصل الى مرولى فى ٤ يوليه ويوجد بقرب هذه المحطة بقعة يحتلها ٥٠٠ رجل من اتباع متيسا . وطلب أمين افندى من هؤلاء أن يرخصوا له بالدخول فى أرضهم وقضى عدة ايام فى التفاوض معهم على غير جدوى .

وفى ١٠ يوليه صرحوا فى نهاية الأمر بأنه لا يمكنهم بدون أمر متيسا أن يسمحوا لأحد بالدخول فى أرضهم ولا بطلب حضور حمالين .

ولم يأبه أمين افندى لمعارضتهم البتة واستمر فى مسيره وبعد سفر ١٢ يوما وصل الى « روباجا » عاصمة متيسا سليما معافى رغم ما اعترضه من الموانع الأخرى .

ولدى وصفه لرحلة اليوم الأخير قال ان الجو كان رائقا وكانوا يسيرون فى طريق عرضه ٣ أمتار وعلى جانبيه أشجار الموز ثم هبطوا من جبل وعر المنحدرات مخترقين قطعا من الاراضى بها أصناف منوعة من النخيل والموز البرى وبعد ذلك أفضوا من درب ضيق مار بين الحشائش المرتفعة الى جدول ماء صاف وهذا أول ماء رائق صادفهم فى طريقهم من وقت مبارحتهم فويرا .

وبعد ذلك عبروا أرضا بها كثير من المستنقعات ثم صعدوا جبلا ولدى هبوطهم منه مروا بغابة من النخيل ثم فى وسط سلسلة من الزرائب وأخيرا بلغوا فضاء مكشوفا . وهنا أمر أمين افندى الحملة بالوقوف للاستراحة . وبعد ان استراحوا نصف ساعة افتقدوا « مريما » Mrema فلم يجدوه . ومريما هذا هو الدليل المكلف بارشادهم . وكان السبب فى عدم وجوده انه تأخر فى

بعض الزرائب ليحتسى قدرا من « المريسة » . وأبى « كيتاكا » Kilakka دليل أمين افندى المسير مع الحملة محتجا بأن لديه أمرا بانتظار حضور مرعا المكلف بالسير على رأس الحملة . ورفض أمين افندى الانتظار أكثر من ذلك وأمسك بوصلته « بيت الابرة » بيده وسار أمام الحملة هو وستة من الجنود .

وتابعت الحملة السفر فى الطريق الملكى مارة فى أرض متماوجة السطح وبعد ذلك بأوقات تسلقت تلا عاليا قابلها فوقه حرس تشريفى واقفا هنالك يرتقب قدومها وكان يرتدى رجال هذا الحرس ثيابا بيضاء وبعضهم كان متسلحا بالبنادق والبعض الآخر بالسيوف وكان معهم رسولان من قبل متيسا مكلفان باستقبال الحملة بالترحاب وارشاد أمين افندى الى المحل الذى اعد لاقامته .

وانطلق الجميع يسيرون والموسيقا فى مقدمتهم وكلما تقدموا فى السير ضخم الموكب الى أن وصلوا الى أرض مكشوفة قابلهم عليها ال ٢٠٠ جندى المصريون مصطفين لتقديم التحية العسكرية للحملة [١] . وكان هؤلاء الجنود قد قدموا لاحتلال « روباجا » عاصمة أوغندة بقيادة نور افندى محمد وكان لدى أمين افندى أمر بسحبهم . وكان قائد هذه الحامية غائبا عند قدوم الحملة ووكيله محمد افندى ابراهيم ذهب ليشترى بعض المرافق . وألقى أمين افندى خطبة وجيزة شكر فيها الحامية ثم استمر فى طريقه

(١) — يلاحظ القارىء هنا أن جنود الجيش المصري النظامية كانت قد احتلت روباجا عاصمة أوغندة .

مصحوبا بضابط و ١٥ جنديا ليصل الى سكنه .

وفى الساعة ٤ قدم محمد افندى ابراهـــيم ووضع نفسه تحت أوامره وأتى بعد ذلك فى الحال وفد من قبل متيسا . وهـــذا الوفد مؤلف من وزيره ومن ثلة كبيرة من الوجهاء . وكان يحمل مكتوبا مخطوطا باللغه الانكليزية وفيه يصف أمين افندى بـ : « صديقى الغـــالى العزيز » . ويهنئه ويتمنى له طيب الاقامة . وسأل الموفدون عما عساه يطلبه . فطلب منهم أمين افندى منزلا أحسن من الذى أعد له وفى الحال وضع تحت تصرفه مسكن آخر أوسع من الأول وانتقل اليه . وقدم له من قبل متيسا عجلان وعنزة وكمية من الموز وقصب السكر على سبيل الهدية . وقدم هو الآخر لكل من الرئيسين قميصا أبيض ولثالثهما صندوقين بهما صابون ثم عادوا أدراجهم مغتبطين ووعدوا بأن يصلحوا كل الأمور . وفى المساء ورد الى أمين افندى جرتان من الماء وكمية من الوقود .

مقابلته للملك أوغندة

وفى ٢٨ اغسطس أعد كل شىء فى البكور للمقابلة . وأراد محمد افندى ابراهيم ان يذهب أمين افندى بدون انتظار دعوة فرفض . وفى أثناء ذلك أتى « مرعا » Mremma مطالبا بهديته ومع انه لا يستحق شيئا من ذلك فقد منحه أمين افندى ثوبا « قمطانا » أبيض ففرح به . وفي هذه البرهة سمع طلقة مدفع فاستدل من هذا ان الملك بارح الحرم . وقـــدم في الحال بعد ذلك جندى وقال ان متيسا في انتظاره في قاعة الاستقبال ويرغب في حضوره .

وقام أمين افندى لتأدية هذه الزيارة يرافقه محمد افندى ابراهيم و ٢٠ جنديا وقدامهم الحمالون يحملون الهدايا . وكان الحرس مؤلفا من عدد كبير من الرجال وبأيديهم سيوف بمقابض جميلة من الفضة . وكان الموكب يزداد عددا كلما تقدم فى السير وبعد نصف ساعة وصل الى قصر الملك بعد ان عبر زرائب ومزارع من أشجار الموز . وقبل أن يصل الى الباب الخارجي بقليل رأى عمارة لم يتم بناؤها وهى عبارة عن جامع من الطوب الأحمر كان إرنست دى بلفون شرع فى تشييده بناء على أمر متيسا ثم تركه .

وقوبل الموكب بالتحية العسكرية لدى المرور من الأبواب وكان عددها ستة والساحات الواقعة بين كل باب وآخر طافحة بالجماهير . وعند الوصول الى الباب الأخير وقف الموكب برهة . ثم فتح الباب وظلت الجماهير خارجه وسار أمين افندى بين صفين من الجند يبلغ عددهم ٢٠٠ جندى يرتدين كساوى بيضاء ويرتدى ضباطهم كساوى حمراء أو زرقاء الى منزل له دهليز صغير متصل بقاعة رحبة كان متيسا جالسا بها فوق أريكة مرتفعة مغطاة بالبسط الفارسية .

ونهض متيسا عند دخول أمين افندى وتقدم لمقابلته لغاية منتصف القاعة وصافحه ثم رجع وجلس مكانه . وجلس أمين افندى امامه وقعد على الأرض كبار الموظفين من الجانبين . وإذ ذاك سلم أمين افندى للسكرتير الأول للملك خطاب غوردون باشا وثنى بشرح مقصده من هذه الزيارة باللغة العربية واهداء تحياته الى متيسا . وكان من بين كبار الموظفين الجالسين رجل لون بشرته أفتح من لون بشرة الآخرين قدم الى أمين

افندى باسم الشيخ احمد من أهالى زنزبار . وأدى هذا الشيخ وظيفة مترجم لأن متيسا رغما عن فهمه اللغة العربية كان يؤثر هذه الطريقة على الكلام المباشر . ويظهر أن كلام أمين افندى قد أعجبه بدليل أنه رفع يده مرات كثيرة ووضعها على قلبه وجبهته . وقدمت الهدايا وبعد بضع لحظات أمضياها فى تبادل الحديث استأذن أمين افندى وانصرف قائلا للملك انه دواما تحت أمره متى اقتضت إرادته واستحسن أن يستدعيه . واستعملت لدى انصرافه ذات المراسيم التى عملت عند قدومه ورافقه الوزير والشيخ احمد الى مسكنه وثلة من الجند بصفة حرس . وعند الوصول دعاهما لتناول القهوة فلبيا الدعوة وبعد ان قضيا معه أوقات قفلا راجعين .

وبعد رحيلهما بزمن يسير أتى صبيان وقدم أحدهما وهو راكع دجاجتين ومقدارا من البيض من قبل متيسا والثانى قدم جرة مملوءة مريسة من قبل الوزير ففرح بها رجال أمين افندى .

وعند الساعة ٤ قدم سكرتير الملك يحمل مكتوبا منه باللغة الانكليزية لا يستطاع فهم معناه إلا بمشقة عظيمة وبه يخبر متيسا صديقه العزيز أمين افندى بأنه نصرانى ويود ان يرى قومه على هذا الدين . فكتب له أمين افندى واختصر على ان يقول انه لم يأت ليشتغل بمسائل تتعلق بالدين بل ليحمل الهدايا وانه فيما عدا ذلك يضع نفسه تحت تصرف الملك حتى لو رأى ضرورة سفره فى الحال بما انه هو نفسه على الدين الاسلامى . وعلى هذا انقلب السكرتير على عقبه راجعا بعد أن طلب وحصل على قطعة من الافيون .

وفى ظرف ال ٢٤ ساعة التى وليت ذلك ظلت الحالة فى الشك الذى

أثاره جواب متيسا الأخير وما استطاع أحد أن يبدى رأيا . على ان متيسا كان يعلم جيد ان أمينا الذى أراد ان يعامله كمسيحى قدم اليه بصفة سفير من قبل أمة اسلامية .

واثناء الليل هرب جندى بسلاحه وذخيرته لينضم الى متيسا ولما كان هذا رابع جندى اقترف مثل هذا العمل منذ قدمت البعثة إلى اوغندة أتى محمد افندى ابراهيم الى امين افندى وقال انه عول على الذهاب للمطالبة بأولئك الجنود فوافقه على ذلك وقال علاوة على ما ذكر انه سيعاضده فى مسعاه بكل ما أوتى من قوة . وكان متيسا لا يرسل أقواتا للعساكر ليشجعهم على الهرب وعند ما يطلب منه إرجاعهم يختلق شتى الأعذار ويبنى عليها رفض تسليمهم .

وارتد البكباشى محمد افندى ابراهيم على عقبه بدون أن يرى الملك والظاهر انه كان يصيد الفيران فى الحدائق الملكية إلا انه قابل الشيخ احمد فقال له مفسرا جواب متيسا بأنه ظن ان أمينا نصرانى وعلى ذلك رأى ان يرضيه بهذا الجواب . ثم زاد على ذلك بان قال وعلى كل فان جميع العرب متأهبة للسفر مع أمين افندى اذا أبى الملك ان يقدم الايضاحات اللازمة . وان هذه الايضاحات يجب أن يبديها فى اليوم التالى .

غير ان البواعث التى حملت أمين افندى على الجزع وانشغال البال تبدلت معالمها فى الأيام التالية عقب عدة جلسات مع متيسا انقضت فى غاية من الصفاء والود . وفى الحال نال امين افندى ثقة الملك التامة وانعاماته حتى انه عرض ان يكتب الى غوردون باشا ليستبقى امينا بصفة دائمة فى

أوغندة . ولاحت لأمين افندى فى الوقت نفسه الفرصة لاستخدام مهنته الطبية ليس بين رجال حملته الذين كان كثير منهم يعانى آلام الأمراض فحسب بل ايضا بين كبار حاشية الملك .

ولما كانت المحادثات التى دارت بين متيسا وأمين افندى بصدد المسائل الدينية قد أوجدت ريبا فى نفس الأول وأراد ان يتحقق مما اذا كان أمين مسلما حقا فكتب له ليستعلم منه عما اذا كان هو فى الواقع ونفس الأمر تركيا أو الرجل الأبيض الذى كان قد طلب من غوردون ان يبعث به اليه .

فأجابه أمين افندى بقوله : انك طلبت من غوردون باشا ان يرسل اليك موظفا ساميا ابيض بدون ان تذكر دينا ما . وان الباشا أرسلنى كما هو ثابت من الخطاب والهدايا التى حملتها اليك . فاذا كنت قد اقترفت زلة فى مأموريتى أو اذا كنت ارتكبت ما يسيئك فى اقوالى أو افعالى فما عليك إلا ان تشكو للباشا . واذا كنت ترغب الحصول على موظف مسيحى فما عليك إلا ان تطلبه وانه من المرجح أن يرسل اليك ذلك الموظف .

وفى ٣١ أغسطس تمكن أمين أفندى فى هذا التاريخ فقط من السفر بالرغم من مشيئة متيسا . ووقع اختياره على طريق فاتيكو ثم دوفيليه ثم لادو . غير أنه لما انتهى الى مرولى فى ٧ سبتمبر وجد بها غوردون باشا فبسط له ما تم فى مأموريته . وبعد أن سمع أقواله أخبره بأن طبيبا آخر سيصل قريبا من القاهرة وأنه لهذا سيضطر الى الاستغناء عن خدماته إلا أنه سوف يكلم بصدده البكباشى « براوت Prout » الذى سيخلفه فى حكمدارية مديريات خط الاستواء .

وفى اليوم التالى استدعاه غوردون وأخبره بأنه عينه أمينا لعموم مخازن المديرية حتى انه عند قدوم الحكمدار الجديد يجد ان التعيين قد أضحى فى حكم الأمر الواقع وكلفه أن ينتظره فى مرولى لغاية أوبته التى ستكون بعد زهاء ٨ أيام .

٣ — ملحق سنة ١٨٧٦ م

رحلة الطبيب جونكر
الى محطة ناصر (١)

من ٢٠ أغسطس الى ٣٠ سبتمبر

سفر جونكر الى فاشودة

قدم الطبيب جونكر Junker وهو روسى الجنس الى السودان ليقوم ببعض استكشافات . ووصل الى الخرطوم فى ٤ مايو سنة ١٨٧٦ بعد ان جاب السودان الشرقى . وكان ذلك بعد بضعة أيام من قدوم اسماعيل أيوب باشا حكمدار السودان العام الى هذه المدينة عائدا من « دارفور » التى كان قد تم فتحها وأقام فيها حوالى ليرتب إدارتها وينظم فيها الحاميات التى تلزمها من الوجهة الحربية .

وكانت الخرطوم إذ ذاك قائمة قاعدة فى إقامة الزينات ودق طبول الافراح ابتهاجا بهذا الحادث السعيد واستمر ذلك عدة أيام واشترك جونكر مع الحكمدار العام فى هذه الافراح وكان الحكمدار قد وصلت اليه وصايا على جونكر من مركز السلطة العام فى القاهرة فاستقبله بغاية

(١) — راجع كتاب « رحلات فى افريقية » للدكتور جونكر المجلد الأول ، الفصل الخامس .



الدكتور جونكر

البشاشة والايناس .

وفى ١٩ يونيه قام اسماعيل باشا الى القاهرة بناء على دعوة من الخديو ليبسط له شفويا تفصيلات ما حدث فى فتح دارفور ويحيطه علما بأحوال هذا البلد . وقام عبد الرازق بك مدير سنار باعباء حكمدار السودان العام فى مدة غيابه فى عاصمة القطر .

وكان جونكر عاقدا النية فى بادىء الأمر على أن يرتاد كردفان و دارفور . وبينما هو يتأهب لذلك اذا به قد تعرف بجيسى وكان هذا قادما من غندوكورو ليقيم فى الخرطوم بصفة وكيل لأميرالآلاى غوردون حكمدار مديريات خط الاستواء العام .

وبعد اقامة بضعة أيام علم جونكر من جيسى ان باخرة آخذة فى التأهب للرحيل قريبا بميرة الى محطة سوباط التى أنشأها غوردون والرجوع منها بسن الفيل . وعرض عليه جيسى القيام بهذه الزيادة فقبل ذلك شاكرا لأن هذه الزيادة تمهد له سبيل السياحة فى النيل الأبيض والالمام به .

وفى ٢٠ أغسطس أقلع جونكر على ظهر الباخرة « الصافية » التى مخرت فى الحال تجر ٣ سفن بها جنود لمحطات الجنوب .

وبما ان ابتداء السفر كان من النيل الأزرق فقد انحدرت فيه السفن لتجتاز الرأس الفاصل بين النيلين وبذا تمكن من ان يمتع نظره بالمشهد العجيب الذى ينبسط أمام عينيه ويرى مياه الفرعين ذات اللون المختلف تنساب

جنبا لجنب الى بضع مئات من الامتار بدون ان تختلط .

وفى اليوم التالى لسفرهم صادفهم اعصار شديد جدا اضطرهم الى أن يلقوا المراسى ويوقفوا السير .

وفى اليوم الثالث وصلت السفن الى الدويم وهى بقعة كان فيها سوق ذات شأن تتردد عليها قبيلة البقارة التى كانت تمتد اراضيها من النيل الى داخليـــة مديرية « كردفان » وبعد ان أمضت فيها ساعات الليل أبحرت ثانية ميممة شطر « كـوا » Kawa وهى ناحية على جانب من الاهمية ويطلق عليها كذلك « حلة الدناقلة » ولما لم يكن بعد ذلك نواحى هامة داومت الحمـــلة المسير ولم تقف إلا فى المحـــلات التى تتزود منها حطبا لتستعمله وقودا للباخرة .

ووصلت الحملة فى نهاية الأمر الى فاشودة وهى نقطة وسيطة على جانب عظيم من الاهمية ومركز لمدير . وكان بها حامية وتعتبر منفذا لمناطق النيـــل العليا ومنها يتزود جميع السياح الصاعدون والنازلون مع مجرى النيل ما يلزمهم من التجار اليونانيين المقيمين بها . وهى أيضا محطة اصلاحية ترسل اليها الحكومة المصرية المجـــرمين السياسيين والذين اجرموا ضد الهيئة الاجتماعيـة .

وعند ما نزل جونكر من الباخرة ذهب لزيارة المدير يوسف حسن بك الكردى فقابله هـذا بالبشاشة والترحاب وكانت عمائر الحكومة قريبـة من النهر . أما قرية الشلوك الواقعـة فى فضاء شاسع فتبعد عن النيل مسافة كيلومتر واحـــد .

وصـــوله الى محطة سوباط

أقلعت السفن فى عشية نفس اليوم السابق وبعد ان سرت طول الليل أفضت فى بكور اليـــوم التالى الى محطة سوباط وهى الاولى فى مديريات خط الاستواء . وكان غوردون قد أنشأها قبل ذلك بعامين على ربوة حيث ينحدر منها فى الحال ماء الأمطار الى النهر . وقائد هـــذه المحطة ضابط سودانى يقال له سرور افندى بهجت اشترك فى حرب المكسيك سنة ١٨٦٣ م تحت اشراف المارشال بازين ونال فيها وساما وترقى فيما بعـــد الى رتبة قائمقام واشترك فى عدة معامع حربية ضد الدراويش وفى نهاية الأمر كان ضمن حامية الخرطوم وقتل مع من قتل فيها حين سقوط هذه المدينة فى يد المهديين سنة ١٨٨٥ م .

وأكد سرور افندى لجونكر ان الاقليم مناخه صحى ومما يثبت ذلك حالة الحامية المكونة من ٧٠ جنـــديا فانها فى غاية من الصحة والسلامة . وكان يوجـــد أيضا فى المنطقة مزارع من الذرة والدخن على جانب عظيم من النمو والجودة .

واتخذت السفن سبيلها فى اليم فى ذات اليـــوم ثم ألقت مراسيها على قيد ٥ كيلومترات من المحطة ابتغاء احتطاب الوقود للباخـــرة . وقابلت الحملة فى هذا المكان باخرة أخرى رست لنفس هذا الغرض وهى قادمة من « لادو » ووجد جونكر على متنها صديقه الرحالة لوكاس Lucas الذى كان قد سافر من بضعة أشهر مضت الى الجنـوب . وكان قد رافق غوردون لغاية « ماجونجـــو » الواقعة على بحيرة البرت نيانزا ثم تركه

واتجه غوردون صوب الجنـــوب قاصدا بلاد أونيورو وقفل الآخر راجعا الى لادو عن طريق دوفيليه لكي يعود منها الى الخرطوم على ظهر باخرة وكانت صحته وقتئذ فى حالة يرثى لها .

وعند ما آذنت الشمس بالمغيب أقلعت الباخرة « الصافيــة » وسارت ليــلا بين ضفاف مرتفعة واستولى على جونكر شيء من الأسف والحسرة لحرمانه من مشاهدة مناظر تلك الربوع فى وضح النهار وذلك لأنه كان يخيل له انها على جانب كبير من الفخامة والحسن .

وفى الغـــد تغير وجه الأرض وأخذ البصر يقع على أراض بور شاسعة بها على مد البصر حشائش عاليــة بدلا من الادغال والغابات . وكانت السفن تصادف من حين الى آخر بعض قرى يسكنها قوم من « النوير » Nouers ومزارع من الذرة .

ووقفت الباخرة فى اثناء الطريق لتقطر سفينتين موسوقتين ذرة لتموين محطة ناصر . ثم وقفت بعد ذلك لدى الشيخ « عامول » Sheikh Amol وهو كبير قبيلة « الفلنج » Tribu des Falanjs وكان مرتديا حلة حمراء أهداها اليه غوردون وكان يتيه عجبا وهو لابسها .

ومع أن ربان الباخرة « الصافيــة » كان قد ذهب مرة الى ناصر مع أميرالألاى شاليه لونج بك إلا انه كان غير ملم تماما بالمسافات وكان يظن أنه يصل اليها قبل الظهر والحال انه لم يدركها إلا بعد الغروب بساعة . وكانت المحطة ترى على قيد بعض الابعاد حتى فى جنح الظلام لوجــود غيضة بها من شجر الدوم وهى واقعة على أحد منحنيات النهر الحادة . ومركزها يقل فى

الصلاحية عن موقع محطة سوباط وهى مؤلفة من نحـو ال ٣٠ كوخا يحيط بها سياج شائك مشتبك بنباتات متسلقة .

ويوجد فى الجهة الشرقية من المحطة جزيرة قائم عليها قرية يسكنها زنوج من قبيلة يقال لها قبيلة « النواق » Tribu des Nouaks . وقد ذهب جونكر الى هذه القرية وزار سكانها واهتم لحالتهم كثيرا لأنه وجـد نفسه لأول مرة أمام عالم يختلف اختلافا كليا عن العالم الذى وقع نظره عليه الى تلك الساعة . ورد اليه شيخ القبيلة فى اليوم ذاته الزيارة وقدم له جملة هدايا ضمنها بقرة بيضاء مايحة الهيئة . وبعـد ان قدم لزائريه شيئا من مشروب « الابسنت » انصرفوا يتحدثون بمحاسن هذا المشروب .

وأخبر قائد الموقع جونكر بأنه على مرحلة ٢٥ كيلو مترا فيما فوق ينقسم نهر سوباط الى أربعة افرع . وكان جونكر يود كثيرا أن يرى ذلك بعينه إلا أنه لما كانت مأمورية رئيس الباخـرة « الصافية » هى المجىء الى ناصر فقط لم يستطع ان يغريه بالذهاب الى تلك البقعة .

وفى ٤ سبتمبر قفلت المراكب راجعة . وفى ٧ منه وصلت الى فاشودة . وفى ١٣ منه وصلت الى الخرطوم ولم يحدث فى اثناء ذلك كله أى حادث يخـل بنظام السفر .

---

٤ — ملحق سنة ١٨٧٦ م

رحلة الطبيب جونكر
الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الاول

من ٢٣ أكتوبر الى ٣١ ديسمبر

اتضح للطبيب جونكر بعد رجوعه الى الخرطوم ان الرحلة التي عقد النية على القيام بها فى نواحي دارفور لم تزل الى ذلك الوقت غير مستطاعة إذ أن تصريح الحكومة المصرية لم يصل بعد . واسماعيل باشا أيوب ما زال أيضا فى القاهرة . وفوق ذلك فانه كان فى شك كبير من سماح الحكومة المحلية له بالذهاب الى تلك الاصقاع حتى لو جاءه ذلك التصريح وذلك لاستحكام حلقات القحط فى دارفور حتى ان مكيال الذرة الذى يساوى ريالا واحدا فى الخرطوم كان يباع بثلاثين ريالا هناك . وجال فى خاطره علاوة على هذه الاعتبارات ان الضباط الامريكيين الذين رافقوا الحملة المصرية التي فتحت دارفور لا بد ان يكونوا ارتادوها فى ظروف موفقة كثيرا وبطريقة أفيد مما لو كان ارتادها هو نفسه نظرا لما لديهم من الاستعدادات والوسائل الكثيرة التي تزيد على ما فى حوزته . وعلى

(١) — راجع كتاب « رحلات فى افريقية » للدكتور جونكر المجلد الاول ، الفصل السادس .

ذلك لم يكن فى استطاعته ان يجنى من وراء رحلته الثمار التى كان يأمل الحصول عليها .

ومن جهة اخرى قد بعثت رحلته الاخيرة التى قام بها حديثا فى اعالى النيل فى نفسه حب تلك الاقطار واخذ شوقه يزداد يوما فيوما للقيام برحلة اكثر امتدادا من الرحلة السالفة فى الاصقاع التى يسكنها الوثنيون .

وقرر لهذه الاعتبارات المتضاربة أن يعدل عن رحلة دارفور ويسافر الى لادو ابتغاء ارتياد مناطق مديرية خط الاستواء المتباينة وأعالى النيل . إلا أن تخاوفه من السياحة فى اراضى خاضعة لسيطرة غوردون كانت تفت فى عضده إذ أنه لو عومل بحسب التعريفة الرسمية الحديثة التى سنها ونشرها لنضبت ماليته بين عشية وضحاها .

وبما ان عددا كبيرا من السياح كان قد شخص الى مديرية خط الاستواء وحدث منهم فى الواقع ونفس الأمر ما أوجب استياء غوردون فقد بعث هذا بمذكرة رسمية الى سائر قناصل الدول بالخرطوم قال فيها ان على كل سائح يسافر من هذه المدينة ان يدفع غير أجرة السفر على الباخرة الرسوم الآتية عما يأخذه من المتاع حسب هذه التعريفة : ٢٠ شلنا عن كل بقرة ، و ١٠ شلنات عن الخروف ، ١٥ شلنا عن اردب الذرة ، و ٥ شلنات أجر الحمال الواحد فى اليوم .

وكان من المحظور بتاتا استصحاب رجال مسلحين بدون ترخيص من الخديو ويشترط على السائح ان يكون اثناء اقامته فى المديرية خاضعا لسلطة ضباط الحكومة .

وكان جيسى الذى عرض عليه الطبيب جونكر هذه الملاحظات ملما تمام الالمام بما انطوت عليه جوانح غوردون فطمأنه طمأنينة تامة ونزع من صدره جميع المخاوف من ناحية تلك الرسوم واشار عليه أن يأخذ معه بعض الحمير حتى لا يكون خاضعا لمطالب الحمالين وتحكماتهم .

ولما أتم جونكر فى نهاية الأمر مشترى لوازمه تأهب للاقلاع على ظهر الباخرة التى أعدت للابحار من الخرطوم بعد عيد الفطر وهى الباخرة « الاسماعيلية » . وكانت من احسن واسرع البواخر المعدة للسفر الى اعالى النيل .

وتحدد يوم ٢٢ اكتوبر للسفر . وفى اليوم المعين ذهب جونكر وامتطى متن الباخرة فوجدها غاصة بمن فيها من الركاب والسلع والانعام الصادرة لمختلف الجهات . وسافرت الباخرة على بركة الله .

وفى اليوم التالى دهش الركب وأى دهش إذ قابل الباخرة « تلحوين » آتية من ناحيـة الجنوب وعليها غوردون . وكان جونكر يأمل أن يراه فى « لادو » لأنه كان قد طالع فى جواب صدر منه أن فى نيته أن لا يبارح هـذه المحطة إلا بعد ثلاثة أسابيع . وعلى كل حال كان لابد أن يراه لأنه ليس لديه أية رخصة رسمية اللهم إلا بعض توصيات من جيسى لقواد محطة « سوباط » و « شمبى » و « بور » .

وانتقل غوردون الى ظهر الباخرة « الاسماعيلية » ليفتشها وعند ما رأى جونكر سلم عليه وحياه وهش فى وجهه وبش . ودارت المحادثة طبعا حول الرحلة التى نوى جونكر القيام بها فى المديريات المعهود اليه

أعمالها . فسلمه خطابات توصية الى ضباطه وأكد له ان التسعيرة الرسمية ستعدل فيما يختص بمعاملته ودعاه للذهاب معه الى الباخرة « تلحوين » وفي اثناء الحديث عرض له جونكر بحالته المالية وعرفه بأنه اطاعة لمشورة جيسي أحضر معه ٢٥٠ ريالا وأودع في الخرطوم ٥٠٠ جنيه انكليزي فأجابه غوردون حالما سمع منه هذا القول بأنه ليس هنالك من حاجة الى الدراهم ثم استرد منه الخطابات التي أعطاها له ومزقها وكلف سكرتيره أن يكتب الأمر الآتي :—

على كافة المديرين والمأمورين ورؤساء المحطات ان يزودوا حامله عند طلبه بالذرة والثيران والحمالين بدون مقابل أو أي أجر . وحرر له هذا العمل بمقتضاه وعليهم فوق ذلك ان يحتموا على من يلزم تقديم الطاعة والامتثال .

حكمدار مديريات خط الاستواء العام
(الامضاء) غوردون

* * *

وتحدثا بحكم الطبع عن المناطق التي يلزم ارتيادها فأشار عليه غوردون ان يذهب الى « مكراكا » مع القافلة التي ستشخص اليها عما قليل . لأن أوغندة والبلاد الواقعة في الجنوب يعمها الهرج والمرج وصادف ذلك استحسانا من نفس جونكر لأنه رأى ان هذا الرأي ينطبق على رأيه . وهكذا قضيا معا الهزيع الأول من الليل ثم انصرف جونكر ولما انبثق نور النهار عاد كل منهما فاتخذ وجهته التي يقصدها .

وفى ٢٩ اكتوبر وصل جونكر الى فاشودة فقابل الباخرة « الصافية » وعلى متنها ابراهيم افندى فوزى الذى تولى فيما بعد حكمدارية مديرية خط الاستواء ونال رتبة الباشوية وكان إذ ذاك مديرا لبور فاستدعاه غوردون الى الخرطوم . وكانت هذه هى المرة الأولى التى رأى فيها جونكر ابراهيم افندى فوزى وبعد ذلك كانت له به صلات كثيرة .

وصوله الى محطتى « سوباط » و « بور » .

وفى ٣٠ اكتوبر وصل الى محطة « سوباط » ووقفت فيها الباخرة أوقات لتمتار بالوقود وتبادل جونكر وقائد المحطة سرور افندى بهجت بعض الهدايا .

وبعد هذه المحطة دخلت الباخرة فى منطقة شجيرات البردى والسدود . ودعت الحال فى كثير من المواضع الى الجد والكد ابتغاء شق طريق فى السدود القائمة فى النهر .

وفى ٤ نوفمبر ألقت الباخرة مراسيها أمام شمبى وهى عبارة عن محطة أخرى تحت قيادة يوسف الشلالى [١] الذى كان يحترف قبلا النخاسة وعلك عددا كبيرا من الزرائب استولت عليه الحكومة فيما بعد .

واذا استثنينا المحطات العسكرية التى شيدها سير صمويل بيكر وغوردون وجدنا ان كل الزرائب التى تملكها الحكومة كانت قبل ذلك للنخاسين على

(١) — نال فيما بعد رتبة الباشوية وتولى قيادة فرقة أرسلت لمحاربة المهدى عند بداية ثورته فأبيدت هذه الفرقة عن آخرها وقتل معها .

اختلافهم ثم استولت عليها الحكومة فى نظير عوض أخذه هؤلاء .

وفى ١٥ نوفمبر وصلت الباخرة الى محطة « بور » وهى المحطة التى تلى شمبي . وكانت بور فيما مضى زريبة للشيخ احمد العقاد . ونزل جونكر وزار المحطة والديوان وكان هذا مكلسا وفى غاية من النظافة . وكان المدير متغيبا . وسمع على حين فجأة صوت بوق وبعض طلقات من أفواه البنادق . وكان ذلك من باب التحذير وقد ضوعف الحرس فى هذه الليلة نظرا للعداوة والبغضاء التى يبديها أهالى تلك النواحى .

وانتهز وكيل المديرية فرصة وجود الباخرة وشحن بها ٥٠ جنديا فاجتازت بهم النهر وأنزلتهم بالضفة المقابلة ثم وجههم الى قرية مشاغبة لتأديبها . وكانت هذه القرية قائمة فى وسط ادغال من الحشائش العالية . وبعد ذلك سمع بعض طلقات اعقبها رجوع العساكر بعد زمن قليل ومعهم بعض سلال مفعمة بحبوب الذرة . اما الاهالى فلاذوا بالفرار بمجرد أن وقعت ابصارهم على الجند . وبعد أن افرغت الباخرة ما بها من الجند والغنائم عاودت الابحار وفى اليوم التالى ١٧ نوفمبر وصلت الى لادو وذلك بعد ابحار ١٧ يوما .

وتوجه جونكر فى اليوم نفسه الى أمين افندى وقدم له خطابات التوصية التى زوده بها غوردون . فرأى هذا فيه لأول وهلة رجلا من رجال الأدب وفطاحل العلم . وكان أمين افندى عائدا حديثا من مهمة سياسية كان كلفه بها غوردون لدى متيسا ملك أوغندة . وكان غوردون ترك لأمين افندى تعليمات بأن يلحق به فى الخرطوم على ظهر الباخرة الاسماعيلية ليعرض عليه نتيجة مأموريته . وعلى ذلك لم يكن لدى هذا الأخير

إلا أيام قلائل ليمضيها فى لادو مع جونكر .

وكانت هذه المحطة إذ ذاك غاصة بمن فيها من الناس . واضطر جونكو بسبب ازدحام المساكن أن يبقى على ظهر الباخرة لغاية سفر أمين افندى الذى وضع تحت مطلق تصرفه مسكنه مدة غيابه .

وضرب اليوم التالى موعداً لسفر الباخرة . وارسل أمين افندى متاعه اليها فى ساعة مبكرة وفى الوقت نفسه نقل حمالو الباريين الذين بعث بهم كوتاح افندى المدير الى دار أمين افندى لنقل متاع جونكر الى هذه الدار .

وقد أنشأ غوردون لادو سنة ١٨٧٤ لأن النهر انتقل من مجراه فصارت غندوكورو غير صالحة لرسو السفن طول فصول السنة وفضلا عن ذلك فانه نشأ بسبب هذا الانتقال تكوين مستنقعات امام محطة غندوكورو صيرت جوها فاسدا فانتشرت فيها الحميات واضحى من اللازم البحث عن بقعة اخرى لاقامة المحطة عليها .

وفى ٢٦ نوفمبر وصل الى « لادو » القسم الاول من القافلة آتيا من مكراكا وكان مؤلفا من بضع مئات من الرجال وبعد بضعة ايام وصل القسم الآخر أيضا . وتضطر ندورة الماء فى الطريق القوافل الكبيرة ان تتجزأ وتسير اقساما وتترك فترة من الأيام بين سفر قسم وآخر . ولما كان سياج المحطة ضيقا كثيرا لا يتسع لأيواء عدد كبير كهذا نزل رجال مكراكا على قيد ١٠ دقائق خارج المحطة .

وكان يرافق القافلة حرس من العساكر النوبيين غير النظاميين عدا

موظفى مديرية مكراكا . واقيمت الأفراح وسرت روح المسرة الى النفوس لأن كل هؤلاء لهم اصدقاء فى لادو . ويعرف الكثيرون من أهالى مكراكا اللغة العربية ويرجع السبب فى ذلك الى ان تجار الخرطوم أقاموا مذ سنين طويلة زرائب فى بلادهم لتجارة العاج والنخاسة .

ووصل مع القافلة بخيت افندى بتراكى مدير مديرية مكراكا وهو ضابط سودانى [١] . ودعا بخيت افندى جونكر الى مشاهدة حفلة رقص وسماع أغانى أهالى مديريته فدهش هذا مما رأى وسمع .

وفى ٣ ديسمبر وصلت الباخرة بردين الى لادو وعليها البريد . وتلقى جونكر به خطابا من قنصل دولته بالاسكندرية ينبئه بقبول الخديو سياحته فى دارفور إلا أنه يلزمه مع ذلك انتظار أوبة اسماعيل باشا أيوب الى الخرطوم . فقدم جونكر الحمد والشكر لله على قيامه من هذه المدينة قبل ورود هذا الخطاب .

وفى ٥ منه قدمت باخرة اخرى تقل شخصا من أتباعه والثلاثة الحمير التى كان تركها فى محطة سوباط لعدم وجود محل لها بالباخرة الاسماعيلية .

وحدث فى هذه المدة مشاغبة بين الأهالى فى غندوكورو أفضت الى معركة سالت فيها الدماء وقتل فى غضونها ١٧ جنديا فسافر كوتاح افندى

---

(١) — اشترك فى حرب المكسيك تحت إمرة المارشال بازين ونال وسام الشرف العسكرى وترقى فيما بعد الى رتبة أميرألاى وتولى قيادة برجى ألاى سودانى فى الخرطوم اثناء حصار الدراويش لها وقتل عند ما استولوا عليها ـ انظر كتابنا : بطولة الاورطة السودانية فى حرب المكسيك .

مدير لادو ليخمد أنفاس الثورة ويرد الثائرين الى الصواب . وتمرد الأهالى أيضا فى موجى وهذه الناحية هى التى قتل فيها « إرنست دى بلفون » فى السنة الغابرة . وبارح كذلك بخيت افندى لادو مع قسم كبير من رجاله فى مكراكا ليوطد الأمن فى الجهات التى اختل فيها النظام .

وشرع جونكر يعد معدات حملته فى مكراكا واضعا نصب عينيه وصية غوردون له فاجتهد أن يخفض على قدر الاستطاعة متاعه لدرجة أنه اكتفى بـ ٤٠ حمالا .

وفى ٢٤ ديسمبر فوجىء بمفاجأة سر لها . ذلك أنه جاءته حزمة خطابات من « سان بترسبورغ » وأوراق وردت له مع الباخرة المنصورة من الخرطوم .

وقضى جونكر عيد الميلاد مع رفاقه فى هدوء وراحة بال .

وفى غد ٢٦ منه كان أول يوم من أيام عيد الاضحى فتوجه الى الصيدلى حسن افندى وزاره بمناسبة العيد وكان حسن افندى زاره قبل ذلك مرارا . وفى أثناء هذه الزيارة عاد بخيت افندى من رحلته فقدم له جونكر التهانى .

وفى ٢٨ منه رجع كوتاح افندى من رحلته . وأحضرت الحملتان كثيرا من الغنائم وأغلبها من الذرة والاسلحة وادوات الزينة وآلات من التى يستخدمها البارون فأخذ القسم الأكبر منها جونكر وفرح به لأنه كان قد بذل جهدا كبيرا فى الحصول على شىء من ذلك فأخفق فى مسعاه ولم ينجح فى الحصول عليها مباشرة من البارين .

وتتمة هذه الرحلة مدونة فى الملحق الأول للسنة التالية .



أميرالألاى براوت بك

حكمدارية أميرالاى براوت

من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٧ م

عند ما سافر غوردون من الخرطوم عهد الى الكولونيل الأمريكى براوت Colonel Prout من اركان حرب الجيش المصرى العام بحكمدارية مديرية خط الاستواء فذهب اليها فى شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦ وقام بالمهمة التى ولى أمرها بهمة ونشاط عظيمين . فتوجه من « لادو » الى « فاتيكو » ومن هذه الى « مرولى » الواقعة على نيل فكتوريا ثم تقدم لغاية ماجونجو الواقعة على بحيرة البرت نيانزا وعين موقعها بالتدقيق إلا أن المرض اضطره للاياب الى « لادو » .

وفى مايو سنة ١٨٧٧ م تحرجت صحته فالتزم أن يسافر الى انكلترا ثم عاد بعد ذلك غير أن صحتـــه ما كانت لتسمح له بالبقاء فاضطر أن يبارح المديرية نهائيا .

حكمدارية أميرالآلاى ابراهيم فوزى بك

من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٧٨ م

سفر ابراهيم فوزى بك الى لادو

عند ما استعفى أميرالألاى براوت لأسباب صحية من حكمدارية مديرية خط الاستواء عين غوردون بدلا منه فى هذه الوظيفة أميرالألاى ابراهيم فوزى بك . وكان فى ذلك الحين فى الخرطوم ولما وصل اليه أمر تعيينه أخذ يعد معدات السفر .

وأقلع على الباخرة « الاسماعيلية » من الخرطوم ووصل الى لادو وهى أهم مراكز تلك المديرية . ولدى وصوله حرر منشورا وبعث به الى كافة المراكز ليخبرها بتعيينه حكمدارا للمديرية وليبين لها الطرق اللازم اتخاذها لتوطيد دعائم الأمن فى سائر انحاء البلد واسعاد الأهالى وانجاحهم .

طوافه بالاقاليم وتفتيشه لها

ثم استحسن بعد ذلك أن لا يطيل إقامته فى لادو وأن يطوف بالأقاليم ليتحقق من حالة البلد وقاطنيها . وابتدأ يزور الجانب الجنوبى وأخذ يتنقل من بقعة الى أخرى واستغرقت رحلته زهاء ال ٤٠ يوما وبعد ذلك قفل راجعا الى لادو . وبعد أن مكث بها نحو ال ٢٥ يوما شخص الى الجانب الشمالى أي قسمى « بور » و « سوباط » على متن الباخرة



ابراهيم فـــوزي باك « باشا »

« الاسماعيلية » .

وهذا ما قاله ابراهيم فوزى بك « فيما بعد باشا » بعد طوافه بتلك البقاع ورجوعه الى لادو واننا نثبته هنا نقلا عن كتابه « السودان بين يدى غوردون وكتشنر » ج ١ ص ٤٠ وما بعدها ، قال :—

« وبعد عودتى من الرحلة التى لقيت فيها ادريس ابتر جاءنى سائح اسمه الدكتور ينكر « جونكر » يطلب منى أن أجمع له مائة شخص من الاهالى يحملون أثقاله مدة تجوله فى انحاء خط الاستواء . وكانت العادة المتبعة عندنا إذ ذاك أن نسمح بمثل ذلك لكل سائح على شرط أن يؤدى أجرة كل شخص ثلاثة غروش من العملة الصاغ عن كل يوم وأن يدفع لكل شخص أجرة ثلاثة شهور سلفا وأن يكون مكلفا بلوازمهم اليومية من الطعام . فعرضت عليه هذه الشروط فأكبرها وادعى ان لديه أوامر من غوردون باحتساب كل نفقات سياحته على جانب الحكومة . فطلبت منه الرقيم الصادر من غوردون فلم أجد عنده شيئا من ذلك . وأخيرا دفع أجرة شهر واحد لكل حمال من الذين جمعناهم له وتعهد بدفع الباقى عند عودته . وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن دفع ما بقى فى ذمته من أجرة الحمالين . وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرة الشهرين الباقيين ثم أخذ فى أهبة السفر ومعه شىء كثير من العاج فأخبرته باحتكار الحكومة هذا الصنف ومنعها الاتجار به وحمله الى الجهات الشمالية وأفهمته ما تقضى به الأوامر من ضبط ما معه وأخذه لجانب الحكومة فامتنع أولا ثم رضخ ثانيا . وكان كثير الألفة والتودد الى طبيب الحكومة الدكتور شنيتزر (Schnitzer) الذى سمى نفسه بعد باسم « محمد أمين » ثم صار حاكما على أقاليم خط الاستواء

باسم أمين باشا .

وفى غضون إقامة هذا السائح بخط الاستواء تقل الى كثير من تجار الأوروبيين هناك أنه مصمم على الوشاية بى عند غوردون وأنه لابد من أن وشايته ستفضى الى فصلى وأنه يرشح أمين افندى طبيب الحكومة لولاية الحكم على أقاليم خط الاستواء بعد فصلى .

على أنى لم أكترث بهذا القول وعددته من قبيل الهوس وخصوصا ما ذكر من أمر أمين افندى الطبيب لأنى وسائر من معى من الموظفين نعتقد فيه فقدان الروية وعدم الحذق حتى فى صناعته التى انقطع لها ودرسها فكيف يكون شأنه إذا عين بوظيفة حاكم لأقاليم خط الاستواء ادارتها عسكرية ومدار عملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ؟ ثم غادر الدكتور « ينكر » خط الاستواء على إحدى البواخر فكتبت الى الكولونيل غوردون اعلمه بكل ما وقع بينى وبين الدكتور المذكور وشرحت له ما علمته من أولئك التجار من نواياه ونوايا أمين افندى الطبيب . ولما وصلت الباخرة الى مكان يدعى « شبشه » يبعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها فخرج السائح منها واستأجر نوقا وصل على ظهورها الى الخرطوم وقابل الكولونيل غوردون والقى عليه ما شاء من الاكاذيب والوشايات فاحتدم غيظا جريا على عادته حيث كان من طباعه أن يصغى لكل واش سبق غيره بالشكوى اليه من غير أن يتحرى صدقه ويقف على كنه قصده .

وبعد بضعة أيام أصلح خلل الباخرة فاستأنفت سيرها الى الخرطوم وبعد وصولها ذهب صاحب البريد ليسلمه للكولونيل غوردون فامتنع من

استلامه وأصدر أمرا بفصلى من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندى الطبيب وكيلا عنى حتى تصدر أوامر أخرى . ثم غادرت خط الاستواء قاصدا الخرطوم حيث أصدر الكولونيل غوردون أمرا بتعيينه حاكما عاما على أقاليم خط الاستواء فوقع ذلك موقع الدهشة والاستغراب لدى الموظفين الذين لا يعرفون لهذا الرجل أهلية إدارية أو عسكرية تبوئه هذا المنصب الخطير وأيقن الكل بأن الدكتور ينكر هو الذى مهد له هذا السبيل وبوأه هذا المنصب .

ولا غرابة فى ذلك فان الدكتور شنيتزر قدر على اخفاء دينه وتسمى بمحمد أمين فليس ببعيد على منافق كهذا استمالة مثل الدكتور ينكر ما داما عالمين من الكولونيل غوردون الاصغاء لكل مبادر بالوشاية ولو كان ذا قصد سيء » . اه

ولا يخلو هذا الكلام من بعض الحقائق فقد ذكر الدكتور جونكر فى المجلد الأول من كتابه « رحلات فى افريقية » من عام ١٨٧٥ الى ١٨٨٦ م بصدد تعيين خلف لابراهيم فوزى بك ما يأتى :—

« سألنى غوردون عن افكارى فى هذا الشأن ومن الذى يمكننى أن أشير بتعيينه . فعرضت عليه الطبيب أمين افندى فعارض غوردون فى بادىء الأمر إلا أنه انتهى بالقبول وعين فعلا أمين افندى حكمدارا لمديريات خط الاستواء ومنح لقب بك » . اه

١ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

رحلة الطبيب جونكر
فى مديرية خط الاستواء [١]

القسم الثانى

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفر جونكر من « لادو » الى « نيامبارا » .

قدم أمين افندى من الخرطوم ووصل على غير موعد الى لادو فى ٢ يناير ففرح جونكر بذلك لأنه كان يأمل انه بوساطته لدى السلطة المصرية تذلل مصاعب كثيرة وتنجز الأمور بسرعة .

وفى ١٢ منه أتى الى جونكر موظف ليتناقش معه فى مسألة الحمالين فدعاه ذلك الى الأمل باقتراب موعد الرحيل الى « مكراكا » . وكان قد طلب ٤٥ حمالا فلم يجب طلبه فحسب بل وعد بخمسين . وتمم معدات السفر غير أنه رغما عن الأوامر التى أصدرها غوردون صادف بعض صعوبات فى مكتب مأمور المؤن والذخائر . وفى نهاية الأمر حصل على مؤونة

(١) — راجع كتاب « رحلات فى افريقية » المجلد الاول ، الفصل السابع والثامن والتاسع والثالث عشر .

شهر له ولرفاقه .

وفى ١٩ يناير أخبره أمين افندى ان القافلة ستسافر فى الغد ثم حدث بعد ذلك تأجيل آخر فلم تسافر إلا فى ٢٢ منه .

وقدم فضل الله افندى وهو رجل نوبى وقائد محطة من محطات « مكراكا » ومعه بعض الجنود والحمالين ليسلم الى هؤلاء الأحمال المكلفين بنقلها بعد أن وضع على كل حمل علامة لأن العادة المتبعة هو أن لا يغير أى حمال الحمل الذى تسلمه طول مدة السياحة . وقضى جونكر آخر ليلة مع أمين افندى ولم يفارقه إلا فى ساعة متأخرة .

وبعد إقامة شهرين ونصف شهر فى لادو سافر منها جونكر فى نهاية الأمر فى ٢٢ يناير سنة ١٨٧٧ فى الساعة ٧ صباحا ورافقه أمين افندى وأصدقاؤه الى باب المحطة ثم ودعوه بعد أن تمنوا له سفرا سعيدا .

وكانت القافلة مؤلفة من ١٢٠٠ نفس من مختلف القبائل ومن كل جنس وسن . وكان يوجد فيها عدا هؤلاء الموظفون وأسراتهم و ١٠٠ جندى غير نظامى بصفة حرس ثم عدد كبير من المواشى منها ما هو للركوب ومنها ما هو للذبح والتغذى بلحومها مدة السفر . وكان جميع هذا الخليط تحت قيادة بخيت بتراكى افندى مدير مكراكا الذى كان مركزه فى « واندى » Wandi . وفضل الله افندى مدير « كابايندى » Kabaiendi .

وكان النظام المتبع فى تسيير مثل هذه القافلة هو النظام المألوف منذ أجيال لدى أهالى تلك الاصقاع . فكل قسم يمشى مع رئيسه والعلم المصرى

يخفق فى مقدمته . وكان بخيت افندى يسير راكبا هـــو وأركان حربه فى المقـــدمة وتتكون منهم الطليعة . ويأتى على أثره مباشرة حمالو الحكومة الذين يحملون الأشياء الخاصة بمختلف محطات مديريته من بنادق وذخيرة وأطعمة ومنسوجات وغير ذلك من الأشياء المعدة لمبادلتها بالعـــاج . أما فضل الله افندى فكان يؤلف المؤخرة ومن واجباته أن لا يدع أحـــدا يتخلف . وكانت القافلة تقف فى الطريق للراحة كل ساعتين .

وبعـــد مبارحة لادو بزمن يسير غاب النهر عن الابصار بتوغل القافلة فى غابة من السنط واللبخ ومرورها على كثير من قـــرى البارين المحاطة بسياجات شائكة ومزارع الذرة والتبـــغ . ويعتنى اهل هـــذه البقاع بزراعة التبغ اعتناء خاصا فيغطونه بأوراق العوسج لوقايته من شعاع الشمس .

ونزلت القافلة فى أول يوم قرب « خور الرملة » الذى كان جافا فى تلك الآونة إلا أنه كان فى الامكان الحصول منه على ماء بعد حفر بعض أقدام فى مجراه . ويصير هذا الخور فى فصل الامطار مسيلا عمقه متران ويصب فى النيل فيكون صالحا لملاحة المراكب الصغيرة .

وانطلقت القافلة فى السير فى اليـــوم التالى عند ما انبلج وجه الصباح ومرت على مجموعة من قرى البارين فى ذلك النهار وكان قاطنوها يولون الأدبار فى كل مرة يقترب منها رجال القافلة ومع ان هذه القرى كانت على وجه الاجمال تماثل بعضها بعضا إلا انه كان يوجد بون فى الاراضى التى تكتنفها بحسب حالة اصحابها رعاة أو مزارعين .

ووقتما حطت القافلة رحالها فى اليـــوم الثانى للاستراحة اخبر بخيت افندى جونكر ان البارين الساكنين غرب هذه البقعة ما زالوا غير خاضعين الخضوع التام وانهم كثيرا ما يناصبون الحكومة المداوة ويتحرشون بها وانهم ذبحوا منـــذ عامين قافلة مؤلفة من ٨٠ رجلا كانت تحمل عاجا من مكرا كا الى لادو .

وأتى جملة مشايخ خاضعين لسيطرة الحكومة ومرتدين ثيابا حمراء طويلة كان منحهم اياها الحكمدار العام لتكون علامة يتميزون بها عن المشايخ الآخرين وقدموا واجب الاحترام الى بخيت افندى والموظفين الآخرين وقدموا للقافلة بعض أشياء أخذوا عوضا عنها بعض رؤوس من الماشية .

وكان عندئذ لا بد من الحصول على كمية الذرة اللازمة لتمـــوين القافـــلة الى ان تصل الى اراضى « النيامبارا » [1] Niambaras وكانت الوسيلة الوحيـــدة المؤدية الى ذلك هى الاغـــارة على أراضى البارين المشاغبين فأرسلت تجريدة لهذا الغرض وبعد أن أطلقت بعض العيارات فى الهواء لاذ سكان القـــرى المجاورة بالفرار وهكذا عادت التجريدة ومعها الذرة اللازمة .

وفى ٢٤ يناير دخلت القافلة فى أرض « النيامباريين » . وهى عبارة عن سهل رحب منظره على منـــوال واحد وليس به أشجار يتقى فى ظلالها ساعات الهجير . وفى ذلك اليـــوم حطت القافلة رحالها بجانب مسيل ليس به ماء . وصادفت فى اليـــوم التالى أول قرية من قرى « النيامباريين » .

(١) — أسماها أميرالالاى شاليه لونج بك : « يمبارى » .

وهى تشبه تماما قرى البارين . وبعد أن نصبت القافلة المضارب للنزول هب إعصار سبب لرجالها كثيرا من المتاعب .

وفى ٢٦ يناير مكثت الحملة مكانها طلبا للراحة وفى الغد شخصت مبكرة فى السفر ووصلت فى اليوم نفسه الى محطة « نيامبـــارا » وهى المحطة التى رئسها عبد الله افندى المرافق للحملة . وكانت هذه المحطة قد انشئت من ١٨ شهرا فى منتصف الطريق بين « لادو » و « مكراكا » ، وكانت تستعملها القوافل التى تنقل العـــاج للاستراحة وتمتار منها الذرة والماشية وتجد فيها ايضا الأمن والطمأنينة من شر قبائل النيامبارا المعادين وذلك تحت كنف حاميتها المؤلفة من الجنود النوبيين غير النظاميين . وكان فريق كبير من هذه القبائل يأبى باصرار أن يدخل فى علاقة ما مع موظفى الحكومة رغما عما حصلوا عليه من المنح والهدايا الكثيرة .

ولما كانت الحامية قاست كثيرا من الاهوال من تلك القبائل فكان لا بد من القيام بعمل شديد حاسم لابقائها فى مركزها إذ بغير ذلك كان لا يمكن مطلقا تأمين طريق القوافل بين « لادو » و « مكراكا » . وعلم جونكر من بخيت افندى ان احمد الأطروش مدير « وانـــدى » قادم على رأس فرقة مؤلفة من ٢٠٠٠ جندى من مكراكا و ١٠٠ عسكرى نوبى بقصد توجيه بعض حملات ضد القبائل الأكثر عـــداء ابتغاء تموين المحطة . ولما كانت الحاجة ماسة للاسراع أرسل فضل الله افندى على جنـــاح السرعة فى ٢٩ يناير ومعه فرقة ليقوم بغزوة فذهب وآب فى نفس ذلك اليوم ومعه مقدار من الذرة أودعه فى مستودعات المحطة .

ووصل احمد الأطروش فى اليوم التالى وتقرر أن يقوم بحملة تأديبية ليغزو شيخا من المشايخ الثائرين على الحكومة وكان هذا الشيخ يهدد الطريق الجنوبية الموصلة الى لادو وسبق له أن قاوم ضابطا من معاونى يوسف الشلالى فى منطقة « رول » Röl ونجح فى مقاومته .

وقامت الحملة فى أول فبراير ورجعت فى ٩ منه ومعها كمية كبيرة من الذرة و ١٠٠٠ رأس من الانعام فأخذ الحمالون ما خصهم من الذرة وأودع الباقى فى مخازن المحطة لتستقضى منه الحامية والقوافل التى تأتى بالمرور لوازمها ولتوزيعها أيضا على الأهالى الذين يقدمون الطاعة .

وفى ١١ منه بعد أن تقوت القافلة بانضمام فرقة الاطروش اليها شرعت فى المسير وكانت مؤلفة من ٣٠٠٠ نسمة . وبعد سفر خمسة ايام أفضت الى محطة « وندى » فى ١٦ فبراير . ووندي هذه هى عاصمة مديرية مكراكا .

ولدى وصول جونكر كانت هذه المديرية التى هى احدى مديريات خط الاستواء مقسمة الى ٥ مراكز وهى :—

(١) — وندى وهى مرتفعة ٢٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر وعاصمة المديرية ومحل اقامة المدير بخيت افندى الذى كان احمد الاطروش افندى تحت إمرته .

(٢) — مكراكا الصغرى وهى مرتفعة ٢٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ورئيسها احمد افندى وهو ذلك الرجل الافغانى الذى ذكره أميرالألاى شاليه لونج بك عند الكلام عن الحملة التي قام بها لضم مكراكا .

(٣) — مكراكا الكبرى أو « كابايندى » وهى مرتفعة ٢٧٥٠ قدما عن مستوى سطح البحر ورئيسها فضل الله افندى الذى توفى بعد ذلك بزمن يسير وحل محله ريحان افندى . وهذا ضابط سودانى ترقى فيما بعد الى رتبة بكباشى وهو الذى كان يقود ١ جى أورطة فى لادو حينما وصلت حملة استانلى الى خط الاستواء وتوفى قبل حملة الدراويش على المديرية .

(٤) — رعو Rimo وهى مرتفعة ٢٨٢٠ قدما عن مستوى سطح البحر ورئيسها عبد الله افندى ابو زيد .

(٥) — مديرفى Mdirfi وهى مرتفعة ٣٠٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر .

وكان فى كل محطة من تلك المحطات ٣٠ جنديا نظاميا مسلحون ببنادق « رمنجتون » ومن ٥٠ الى ٧٥ جنديا غير نظامى من الدناقلة كما انه كان يوجد فى كل محطة عدد مماثل لهذا من التراجمة مكلفون بتنفيذ أوامر الحكام والسهر على تحصيل الضرائب المفروضة على المحاصيل .

ولدى وصول جونكر الى واندى نزل على بخيت افندى الذى أكرم وفادته كل الاكرام . وبخيت افندى هذا هو من اهالى « دار النوبة » الواقعة جنوب كردفان وكان فيما سلف مستخدما عند « بثريك » Petherick قنصل انكلترا فى الخرطوم ثم اندمج فى ألاى سودانى وكان ضمن جند الاورطة السودانية التى حاربت فى بلاد المكسيك بقيادة المارشال بازين ونال من اجل ذلك الوسام العسكرى ثم ترقى فيما بعد الى رتبة أميرألاى وتولى قيادة ١ جى

ألاي سودانى فى الخرطوم عندما حاصر الدراويش هذه المدينة وقتل عند وقوعها فى قبضة ايديهم . وغوردون هو الذى عينه مديرا لمديرية مكراكا .

وكان فضل الله افندى و ريحان افندى من بلد بخيت افندى أى من مواليد « دار النوبة » وكانوا يسمون انفسهم بـ « الاخوان » . أما احمد الاطروش فكان تركى المحتد .

ويمكن وصف المنزل الذى وضع تحت تصرف جونكر بأنه منزل مزخرف بالقياس الى المسكن الذى نزل فيه فى لادو لاتساع ارجائه وطلاء حيطانه بالجص من الداخل والخارج واحتوائه على شبابيك فى سائر الاتجاهات ينفذ اليه منها النور والهواء بكثرة . وكان يورد له احمد الاطروش ماء قراتا للشرب وموزا وشماما وبيضا ولبنا وخضرا وحماما .

وصوله الى مكراكا الصغرى ومكراكا الكبرى

لم يشأ جونكر ان يطيل الاقامة فى وندى رغم هذا النعيم الذى كان يتمتع به أثناء وجوده بها وشخص فى ٢٢ فبراير الى مكراكا الصغرى الواقعة فيها محطة احمد افندى الافغانى فوصل اليها فى اليوم نفسه صحبة المذكور إذ ان هذا هو أيضا كان عائدا من وندى .

وكانت المحطة مقامة فى بقعة جميلة بالقرب من نهير فاستقبله احمد افندى بغاية البشاشة والايناس وأسكنه فى منزل حسن ودعاه الى وليمة تناول فيها أكلة لم يتمتع بمثلها من مدة مديدة .

وكان احمد افندى يعتنى ويهتم كثيرا بالزرع بدلالة شدة اعتنائه بروضته الغناء التى أوجد فيها الليمون والنارنج والبرتقال والبلح والشمام والتفاح والخيار وكل انواع الخضر .

وفى الغد يمم جونكر محطة مكراكا الكبرى أو كبايندى وكان يرافقه فضل الله افندى رئيس المحطة الذى كان عائدا معه من لادو . فمروا طول نهارهم بقرى كثيرة ومزارع شاسعة من الذرة وفى المساء أفضوا الى المحطة المذكورة .

ولم تقع هذه المحطة من نفس جونكر لدى وصوله اليها موقع الاستحسان بالقياس الى المحطتين السابقتين وهذه المحطة قائمة على ربوة بجانب خور . ونزل بمنزل رحب يتخلله الهواء .

وعند ما انتشر خبر عودة فضل الله افندى قدم جميع المشايخ للسلام عليه وتقديم احتراماتهم له ولجونكر الذى زاره ايضا كبراء الدناقلة . وبذل فضل الله افندى كل ما فى وسعه لمرضاة جونكر . ولما كان جونكر ينوى القيام برياده فقد أحضر له دنقلاويا بصفة مرشد اسمه حسن كما أحضر له الحمالين الذين طلبهم .

وفى ٤ مارس شرع فى الرحيل ابتناء القيام بجولان دائرى حول المحطة وفى غضون هذه الرحلة زار البقعة التى كانت مقامة عليها محطة فضل الله افندى القديمة وهى المحطة التى مر بها أميرالالاى شاليه لونج بك من مدة عامين . وزار أيضا زريبة ابراهيم جورجورو Gourgourou وأقام بها يومين لانحراف صحته ثم بعد ارتياده الضواحى عاد الى محطة فضل الله افندى التى

كان رحل منها بعد أن غاب عنها ١٦ يوما قطع فيها ١٦٠ كيلومترا .

وفى فترة غيابه سافرت قافلة من وندى الى لادو تحمل العاج تحت قيادة بخيت افندى وكان فضل الله افندى سيذهب فى إثرها قريبا على رأس قافلة أخـــــرى . وانتهز جونكر فرصة سفر هذه القافلة وأرسل معها مراسلاته الى الخرطوم وأوربا .

وكانت مديرية مكراكا قد أرسلت فى أول الأمر كميات وافرة من العاج أما الآن وقد قلت قطعان الفيلة للاكثار من صيدها فمعظم العاج الذى يرسل الى الخرطوم مصدره أرض نيام نيام .

ومع ان جونكر كان شيقا الى مواصلة السير من جـــديد إلا أنه قرر التربص الى حين قدوم الضابط المصرى المبعـــوث من قبل أميرالألاى راوت حـــكمدار مديرية خط الاستواء للقيام بجـــولة ابتغاء تفتيش مختلف المحطات وكان قد أشيع خبر وصول هـــذا المفتش الى وندى . ولايجاد شيء من التلهى كان يزور اليوزباشى محمد افندى الدكتور جونكر وكان يعطيه درسا فى اللغة العربية . وهذا اليوزباشى كان رجلا تركيا مسنا وظيفته قيادة العساكر النظامية .

ومر محمد ماهر افندى فى هذه الفترة على كابايندى ـ وهذا الافندى ترقى فيما بعد الى رتبة باشا وتعين وكيلا لنظارة الجهادية ـ ثم سافـــر ليقوم بتفتيش المحطات الأخرى . وعلى ذلك أعد جونكر معدات السفر ورحل فى ٨ أبريل . وكانت قافلته مؤلفة من خدمه و ١٠ من الحمالين فارتاد أراضى « بومبيه » Bombehs ، و « أباكا » Abakas ثم عاد فى ٢٨ أبريل بعد أن قطع ٢٥٠ كيلومترا .

وأطال جونكر هـــذه المرة مدة إقامته فى كبايندى . وفى أثناء الايام الأولى من إقامته زاره ريحان افندى واليوزباشى محمد افندى وسائر الموظفين وباقى المقيمين بالمحطة وهنئوه بسلامة الوصول .

وفى ١١ مايو ورد بريد تلقى فيه مكاتبات من برلين والخرطوم ومن أمين افندى من لادو . وكانت مثل هـذه المراسلات تبعث فى نفسه دواما بهجة وسرورا لانها تجعله فى اتصال مع العالم المتمدين .

وفى ٢٧ منـه سافر جونكر للقيام برحلة ثالثة دائرية ومر فى ٣٠ منـه بكرا كا الصغرى ونزل فيها ضيفا على احمد افندى ومع ان هذا كان غائبا فى لادو فلم يحل ذلك دون اكرام وفادته وتأدية جميع مطالبه نظرا لاتقان ترتيب منزله . وبعد أن أتم جولته آب الى كبايندى فى ١٣ يونيه وهو على غاية ما يرام من الصحة والعافية وقطع فى هذه الرحلة ١٥٠ كيلومترا .

ونزل جونكر عند عودته الى كبايندى فى منزله مرة أخرى . وبمـا أنه كان ينوى الذهاب الى وندى أبقى متاعـه على حاله ولم يفك منه إلا النزر اليسير . وكان يقصد من ذهابه الى هـــذه الناحية الأخـيرة المداولة مع بخيت افندى فى مسألة رحلته الى كاليكا Kalika مع القافلة المزمع سفرها اليها والتى كان منتظرا قدومها من لادو بين عشية وضحاها .

وانتشر فى اليــوم التالى خبر وفاة فضل الله افنـدى فى محطة لادو . وعند ما طرق الخـبر مسامع جونكر توجه الى ريحان افندى فعلم منه ان الناقل لهــذه الاشاعة هم جماعة الأهالى القادمون من وندى . وقبـل ان يتركه أتى عدد كبير من النوبيين وأكد صحة الخبر وعلى ذلك أقيمت الرسوم

الواجبة فى مثل هذه الحالة .

وبناء على طلب بخيت افندى بارح جونكر فى ١٨ يونيه كابايندى وسلك طريقا يمر بكراكا الصغرى وهى محطة احمد افندى الافغانى . ومع أن هذا لم يعد من لادو فان جونكر نزل فى نفس المسكن الذى نزل فيه فى المرة الأولى وبارحه فى الغد ووصل الى وندى فى ١٩ منه فنزل فيها على احمد افندى الأطروش الذى أكرم وفادته .

وكان جونكر شديد الرغبة أن يباحث بخيت افندى مباحثة جدية فى مسألة سفره الى كاليكا وأن يطلب منه امداده بما يلزم من التسهيلات أثناء الوصول اليها وإلا فانه ينوى الذهاب الى يوسف افندى الشلالى فى منطقة « رول » . وفى غضون هذه المقابلة قال له بخيت افندى انه لم يكن لديه ثم مانع من الاذن له بالقيام بهذه الرحلة وأنه سيمده بالتسهيلات بقدر ما فى طاقته وأنه عدا عبد الله أبى زيد افندى المكلف بقيادة القافلة سيرافقه ايضا احمد افندى الأطروش .

رحلة جونكر الى كاليكا

وصلت القافلة بعد ذلك بزمن يسير من لادو الى وندى وقدم معها عبد الله افندى أبو زيد رئيس محطة نيامبارا وبعض الجند ولما كان يزمع العودة بعد بضعة أيام سلمه جونكر مراسلاته التى كان ينوى إرسالها الى الخرطوم .

وفى نهاية الأمر سافرت القافلة فى ٧ يوليه وكان يرافق جونكر فيها احمد الاطروش حسب الوعد الذى قطعه على نفسه بخيت افندى .

وبما ان الاطروش كان يود المرور على محطته أولا يممت القافلة ريمو حيث كان فى انتظارها الحرس النوبى غير النظامى .

وفى اثناء الطريق لحق بها رسول من وندى يحمل خطابا فيه دعوة للأطروش بأن يتوجه فى الحال الى مكراكا وبسبب عدم وجود من يعرف القراءة تقرر الذهاب الى مكراكا الصغرى للاستفهام من احمد افندى الافغانى رئيسها عما اذا كان لديه شىء من الاخبار . وعند الوصول الى مكراكا الصغرى تبين ان مدير مديرية بحر الغزال استدعى سائر مديرى المناطق المجاورة للحضور ومعهم القوات التى تحت ايديهم لكى يقاوموا ذلك الخليط المغير على مديريته بقيادة سليمان بن الزبير باشا وعلى ذلك دعت الحالة الى العدول عن رحلة كاليكا وعاد الجميع الى كابايندى وهى المقر الذى كان تعين سفر الحملة منه .

وفى ١٦ يوليه سافرت الحملة من كابايندى بقيادة بخيت افندى ومن ضمنها جونكر . غير انه لما كانت هذه الحوادث وقعت بعيدا عن مديرية خط الاستواء فلا محل لذكرها فى هذا الكتاب ونكتفى بالقول إن الحملة ومعها جونكر عادت فى ٢٧ أكتوبر الى كابايندى بعد ان غابت اكثر من ثلاثة أشهر .

ولما كان مع ذلك مقررا السفر الى كاليكا اتخذت الأهبة لهذه الرحلة وقامت فى ١٢ نوفمبر . وكان تقرر الاجتماع فى محطة ريمو وان يأتى اليها احمد الاطروش ورجاله من وندى وذهب اليها أيضا جونكر فوجد فيها حركة شديدة وكان كل يوم يمر يأتى اليها جموع جديدة من كافة انحاء المديرية . وكان قد استقر الرأى على ان تتألف الحملة من ٣٠ جنديا نظاميا

و ٤٠٠ من غير النظاميين و ٦٠٠ حمال . وكانت هذه الجموع تحت قيادة احمد افندى الأطروش وعبد الله افندى ابى زيد رئيس محطة رعو بصفة قائد ثان . وكان الغرض الحقيقى من هذه الحملة جلب عاج للقيام بنفقات الحكومة ومواشى لتموين المديرية .

وسارت الحملة فى طريقها الى جهة الجنوب فى ٢٠ نوفمبر وكانت تقوم بغارات تارة يسارا وطورا يمينا ولسوء الحظ كان لا بد أن تكون هذه الغارات سببا فى اهراق دماء الأهالى وتخريب البلدان مع أن الافضل من ذلك كان بلا جدال استعمال الطرق التى تتفق مع مبادىء الانسانية . إلا أنه لا يلزم أن نغض النظر عن أن بعض الدول الأوروبية تتخذ فى الأراضى الواقعة تحت نفوذها نفس هذه الاجراءات باسم حملات تأديبية وتقترف فيها من الفظائع ما هو أكثر من ذلك .

ووصلت الحملة الى نهاية مرحلتها قبيل أواخر العام بعد أن أسرت ٤٠٠٠ رأس من الماشية .

وتتمة هذا الكلام مسطرة فى الملحق الأول للسنة التالية .

٢ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

تقـــرير [1]

فى استكشاف بحيرة البرت نيانزا مقدم من الكولونيل ميسون بك الى سعادة غوردون باشا حكمدار عموم السودان بمقتضى الأمر الصادر من سعادته الى الكولونيل المذكور .

من الخرطوم فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٧

الى سعادة غوردون باشا حكمدار عموم السودان .

اتشرف بأن اخبر سعادتكم انى رجعت من بحـيرة البرت نيانزا وهأنا أقــدم اليكم التقرير المشتمل على نتيجة مأموريتى هـــذه مصحوبا بالخرط الاستكشافية والأدلة المختلفة المتعلقة بها فأقول :

قد قمنا من قرية ماجونجو فى اليوم الرابع عشر من شهر يونيه سنة ١٨٧٧ ورجعنا اليهـا ثانيا فى اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر بعد ما استكشفنا مع

(١) — ورد هذا التقرير فى نشرة الجمعية الجغرافية الخديوية بمصر (رقم ٥ ـ سنة ١٨٧٨ م) وفى جريدة أركان حرب الجيش المصرى فى سنتها الثالثة بالجزأين الثانى والثالث من المجلد الثانى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨م) ترجمة مصطفى افندى توفيق ملازم ثانى أركان حرب . وقد نقلناه عن هـذه الجريدة الأخيرة .



ميسون بك

الدقة شواطىء البحيرة بواسطة ركوبنا فى المركب البخارية المسماة نيانزا لأن المركب المذكورة بعد أن تجهزت للسفر سارت مدة ٥٢ ساعة وهذا الزمن كان يبيح لنا أن نمتحن بالكلية جميع مسالك البحيرة مع الحالات الخصوصية لكافة جهاتها .

ولما سرنا بطول الشاطىء الغربى منها وجدنا أنه يشرف عليه جبال شاهقة تكاد أن تكون واقفة بالكلية ومع ذلك فكان يتراءى لنا أن ذلك الشاطىء يحتوى على سكان كثيرة العدد وفى جميع جهاته كانت منافذ الجبال ومهابط السيول المكونة لأشكال مثلثية تسوغ للنظر أن يمتد بحيث تشاهد عدة قرى كبيرة وعلى العموم فسكان تلك القرى مقيمون فى أودية صغيرة خلف هذه الجبال .

ويستدل على وجود السكان هناك بوجود عدة مراكب صغيرة مربوطة بالشواطىء وبأعمدة الدخان التى ترى صاعدة فى الجو فوق تلك الاودية .

وفى اليوم المذكور عند غروب الشمس رمينا مرساة المركب البخارى بالقرب من ساحل أرض مستوية عليها قرية كثيرة السكان محاطة بأشجار الموز فانشرحت كثيرا لما رأيت شيخ تلك القرية المسمى « حقيقى » الذى كان أتى ليقرئنا السلام وبيده خروف سمين اهداه لنا .

فقال لنا ذلك الشيخ ان اسم تلك القرية هو « نورسوار » وظهر لنا فى الحال من حقيقة كلامه ان السبب الاصلى من زيارته ايانا هو أن يندبنا لمساعدته فيما صمم عليه من حرب سكان بعض القرى التى فى

شمـــال قريته وعلى مقتضى كلامـــه ان اهالى تلك البلاد عندهم كثير من الماشية فالتزمنا أن نمنع عنـــه جميع انواع المساعدة ونصحناه بأن يستمر فى صلح معهم .

وكان ذلك الشيخ لابسا أساور من معدن أصفر وقد أخبرنا انهـــا وصلت إليـــه من رجـــال أنفينا وحقق لنا إنه ليس فى قبيلتـه شىء من انواع سن الفيل .

وفى اليـــوم الثانى اخذنا فى الاستمرار فى طريقنا الى الجنـوب الغربى وسرنا بجانب تلك الجبـــال مدة ست ساعات وبعد ذلك أخذ خط الجبال فى التباعد كثيرا الى جهة الجنـــوب ونشأ من ذلك بينه وبين الشاطىء سهل متسع جزء منه مغطى بغابة كبيرة كثيفة جدا ووجدنا شواطىء البحـــيرة مبسوطة جدا فى ذلك المكان .

وفى الساعة الثالثة من بعد الظهر دخلنا فى خليج متسع وركبنا فيه المرساة لاجل ان نستكشف تلك الامكنة جيدا ولنحتطب ما يلزم لنا من الخشب ولنأخذ الملحوظات اللازمة لتعيين خطوط العرض فى ذلك المكان .

وفى صباح اليـــوم التالى له عبرنا الخليج وسلكنا طريق البر واحتطبنا ذخـــيرة الخشب اللازمة وقد اتى الينا بعض سكان تلك البـــلاد لاجل زيارتنا وفهمونا ان ذلك المحـــل يسمى « كفالى » واننا اذ ذاك بالقرب من نهاية البحيرة وقالوا لنا أيضا انه من هناك يمكنهم ان يصلوا الى الجبـــال التى على الشاطىء المقابل لهم فى ظرف ثلاثة ايام وانه من المستحيل ان يمروا من المنبج الذى بالقرب من النهـــاية الجنوبية للبحيرة ومع كون

ذلك المحل مستنقعا كبيرا يوجد خلفه كثير من القرى العديدة السكان ثم قمنا من « كفالى » بعد الظهر بقليل وشاهدنا اننا لو اتبعنا ذلك الشاطىء لرجعنا بسرعة الى جهة الشرق وبعد ما سار المركب البخارى مدة ساعتين وصلنا الى المنبج الذى كنا أخبرنا به من اهالى كفالى ووجدنا النهاية الجنوبية للبحيرة قليلة العمق ومشحونة بالحشائش ورأينا فى الجنوب الغربى لجزء هذه البحيرة خليجا آخر كبيرا جدا .

ولما شاهدت الجبال قد انحطت نظرت حينئذ غابة كثيفة جدا فظننت فى مبدأ الأمر أنه لا بد أن يوجد هناك بعض مجارى مياه ولكن لما لم أجد ولا مصبا واحدا فى البحيرة هناك تحققت أن أهالى كفالى كانوا أخبرونى بالحقيقة مع انبائهم لى أنه ليس فى ذلك المحل نهر تصب مياهه فى البحيرة .

ثم اننا أخذنا فى الاستمرار فى طريقنا وعند غروب الشمس رمينا مرساة المركب البخارى فى وسط أشجار وعما قليل وجدنا سحابا كثيفا جدا من الناموس محيطا والذى يظهر انه في هذا المحل أكثر مما على نهر النيل منه .

وفى اليوم الذى يليه بعد ما دخلت بالتعاقب فى جملة مصبات صغيرة كنت انجبر على الرجوع منها بسرعة نظرا لقلة عمق مائها ودخلت اخيرا فى نهر واسع مياهه محمرة قليلا ومتجهة جهة الشمال ولكن مع سرعة بطيئة جدا ولم يكن مغطى بنباتات طافية على سطح مياهه بل كان يظهر أنه لا يحمل على سطحه إلا جزءا من مواد جافة وبعض آثار من الخشب والتبن وكلها طافية على سطحه كما لو كانت مملوءة بالماء .

وعرض مجـرى الماء هذا هـو ٤٠٠ متر تقريبا وشواطئه عاليـة وظاهرة الوضوح ومغطاة بالاجمات ولم يمكنى أن أسير فيه إلا مدة ساعة واحدة فقط لأنه كان قليل العمق جـدا بحيث ان المركب كانت تمس سطح الأرض فى كل لحظة وظهر لى أن جزءا كبيرا جـدا من النباتات كان يمنع المرور الى جهة الجنوب والى أمام السالك وشاهدت أيضا فى الجنـوب الشرقى غـابة عظيمة من النخيل وفى الجنوب مع الجنـوب الغربى بلدة أرضها ذات طيات مغطاة بالاشجار العظيمة . وقبل أن أترك هـذا النهر أمكننى أن أتحقق اننا عـبرنا البحيرة واننا لو اتبعنا ذلك الشاطىء لأخذنا اتجاه الشمال .

وارتفاع الجبـال فى ذلك المحل قليل جدا على الشاطئين وفى الجنوب بين سلسلتى الجبال وخلف نهاية البحيرة يشاهد جبـل عظيم منفرد عن الجبال الاخـرى . وبرصد الشمس فى وقت الزوال تبين لى عرض درجة واحـدة و ١١ ثانيـة من العروض الشماليـة وكنا وقتئذ فى نهاية الجنوب الشرقى فحينئذ النهـاية الجنوبية للبحيرة لا تتجاوز الدرجة الأولى من العروض الشمالية المذكورة .

ولما تبعنا جانب الشاطىء الشرقى وجـدنا أن الجبال التى تشرف عليه أقـل ارتفاعا من التى على الشاطىء المقابل له وانمـا هناك جبل واحـد ارتفاعه يقرب من أن يساوى ارتفاع أعلى جبـل من الجبال التى على الشاطىء الغربى ووجدنا أيضا فرقا بينا بين نباتات جزأى هـذه البحيرة ، والجبال فى جهـة الغرب مغطاة كلية بالخضرة والغابات بخلاف جهـة الشرق فانها بعكس ذلك وميل الجبـال فيها مكشوف وخال بالكلية

من النباتات .

وباتباعى للشاطىء الغربى فى اتجاه الجنوب كنت أميز من غير تأكيد جبال الشاطىء الشرقى . وأما عند اتجاهى الى الشمال مجانبا فى سيرى للشاطىء الشرقى فأنى كنت أميز جيدا جبال الشاطىء الغربى .

وخلاف ذلك رأيت جميع أهالى القرى التى على الشاطىء الغربى مولين الأدبار وراكنين الى الفرار بمجرد ما شاهدوا مركبنا البخارية وشاهدت بالقرب من النهاية الجنوبية الشرقية للبحيرة دوى ماء ضعيف كان أخبرنى بعض أهالى « متنجولى » ان مياهه واردة اليه من مجرى ماء يقال له « كاتوكا » .

وفى اليوم التالى له مررنا من أمام عدة قرى كبيرة يقال لأحدها انها محل إقامة « كباجونزا » أخى كباريجا . وبعيدا عنها بقليل صادفنا قرية « كيبيرو » وأبعد منها أيضا والى جهة الشمال وصلنا الى « تيابوته » التى أقمنا فيها ساعة واحدة وأمكننى أن أنجح ولم يكن نجاحى فى منع الأهالى من الفرار فقط بل ألزمتهم أيضا أن يحملوا لى خشبا من مراكبهم الصغيرة وفى شمال تيابوته أرض البلدة مستوية وبعد ذلك يتجه الشاطىء الى جهة الشمال كما تعلم سعادتكم جيدا هذا الاقليم .

وحقيقة الخط المرسوم على خريطة البحيرة وكذا الطريق الذى تبعته الآلة البخارية فى سيرها تتعلق بتدقيق رصد السمت الذى اخذته فى خليج كفالى لأجل تعيين انحراف بوصلة الآلة البخارية . وأما الأوضاع الأخرى فقد صار تعيينها بطريقة خصوصية .

وقد عينت أيضا فى كفالى فرق الطول بينها وبين ماجونجو والناتج الذى تحصل من حسابى تطابق جدا مع الناتج المتحصل من سير الآلة البخارية وقد استعملت أيضا الفرق بين العروض المتعينة بالرصد مقياسا لذلك والطريق الذى تبعته المركب فى سيرها كان معينا بدقائق زمنية مع حذف السموت وقد عينت المسافة التى بين كل وضعين بالعامل المتوسط الناتج من عدد الدقائق وتعين أيضا عدد الأميال المحصورة بين كل رصدين .

وقد عينت أيضا طول ماجونجو بأربع رصدات لكسوف بعض الكواكب التابعة للمشترى وصار تعيين عرضها بالمتوسط بين عدة ارتفاعات لعدة كواكب فى شمال وجنوب سمت الرأس وتحصلت على عروض النقط الأخرى برصد ارتفاعات الشمس فى وقت الزوال وفى كفالى قد عينته بواسطة الافق الصناعى وفى بعض نقط أخرى صار استعمال الافق الطبيعى وهو سطح البحر وبقية عروض النقط الأخرى هى المتوسط الناتج كما فى ماجونجو . وبينت فرق الطول بين ماجونجو وكفالى بواسطة ساعة كانت تسير بالانتظام وكانت منتظمة على حسب سير كرونومتر مضبوط جدا . وأما أطوال المحلات الآتية وهى قرية دوفيليه ، و لابوريه ، و كرتي ، و لادو فقد تعينت بالطريقة عينها .

والناتج من ذلك وجد متطابقا جدا مع الفرق المتحصل من فروقات السموت وزيادة على ذلك أضفت الى هذا التقرير مختصر الارصاد الفلكية . اه

وقد جاء فى جريدة أركان الحرب بعد ذلك ما يأتى :—

ولنتم هذا التقرير بما ذكرته جريدة الجمعية الجغرافية الخديوية المرقومة

بنمرة ٥ وهو تقرير مجلس الجمعية المذكورة المنعقدة فى ١٧ فبراير سنة ١٨٧٨ وفيه ان سعادة رئيس عموم اركان حرب الجنرال استون باشا اطلع عليه فنقول .

قد قرأ سعادة الجنرال استون باشا هذا التقرير المتعلق بالملحوظات المضيئة المختصة باستكشاف بحيرة البرت نيانزا وبين النتائج التى هى الآن متبعة فى العلم الجغرافى فأول خبر حكاه سعادته ان قال .

ان بحيرة البرت نيانزا الموتانزيجة كان اخبر بها سائح مشهور وهو حضرة القبطان « سپيك » ومع ذلك لم يكن رآها قط فضلا عن كونه رسم صورتها فى خريطته وذلك بواسطة الاستفهامات التى أخذها المذكور من اهالى تلك البلاد فرسمها بضبط واحكام يوجب التعجب للغاية وفى تلك الحالة قد بين المذكور شواهد جديدة تدل على مهارته العظيمة وان تحريراته على حسب الاستعلامات الصحيحة التى كان يأخذها من هؤلاء المتوحشين الجاهلين .

ولكن الفضل فى ذلك يعود على سعادة سير صمويل بيكر باشا فانه اجرى استكشافا حقيقيا عن هذه البحيرة المهمة لأن المومأ اليه كان فى قرية غندوكورو وقت وصول كل من مسيو « سپيك » و مسيو « جرانت » عند عودتهما من سياحتهما الشهيرة فى بحيرة فكتوريا وذلك فى اليوم الخامس عشر من شهر فبراير سنة ١٨٦٢ قال سعادة الجنرال استون باشا يحق لى أن أقول ان هذا الاستكشاف هو أول استكشاف لسير صمويل بيكر أعنى وجود بحيرة البرت نيانزا التى كان هو أول رائد لها حيث قال .

قد كنت فى قـــرية غندوكورو من منـذ اثنى عشر يوما وأنا منتظر قافلة « دبونو » التى ترد من أقاليم الجنوب وكنت اريد أن أصحبهـــا الى تلك الأقاليم فبينما أنا كذلك فى اليوم الخامس عشر من شهر فـــبراير سنة ١٨٦٢ إذ سمعت على بعـــد طلق بنادق مجتمعة وبعض طلقات منفردة فى جهة الجنوب فلأجل أن أبين الأحوال التى اعترتنى فى ذلك الوقت شرحت ذلك فى جرنالى المختصر الذى احرره الان فأقول .

الطلقات البعيدة عـــلامة حضور الجلابين لسن الفيـــل الذين أنا فى انتظارهم وعندها ما أشعر الا ومن كان برفقتى من الناس قد انقضوا بسرعة نحو مركبى بحـــالة مدهشة قائلين ان معهم رجالا بيض الخلقة آتين من جهة البحر فقلت أنا فى نفسى هل من الممكن أن يكون مسيو سبيك و مسيو جرانت فعند ذلك أسرعت فى السير اليهم ثم قلت بميـــل رأسى نعم هما هذان وأتبعت هذا بقولى « هورا » لأنجلترة قديمة الشرف وها همـــا قد أتيا من بحيرة فكتوريا نيانزا التى يخرج النيل منها وحينئذ مخبئات القرون السالفة استكشفت الآن .

فانشرحت كثيرا عند رؤيتهم ولكن كان سرورى ممزوجا ببعض الخجل لأنى كنت أردت أن اقابلهم فى محـــل أبعد من ذلك ومـــع ذلك فقد اكتفيت بمـــا أجريته من التجهيزات وكنت متحققا من انقاذهم اذا كانوا فى حالة الضيق والطريق الذى كنت مصمما على سلوكه كان يوصلنى اليهم مباشرة لأنهم كانوا آتين من البحيرة بذلك الطريق وجميع من كان بمعيتى انشرحوا جدا وطلقات الرصاص تسبب عنها قتل أحـــد الحمير التى كانت معى وقتل هـذا الحيوان كان قربانا عزنا لتتميم هـذا الاستكشاف الجغرافى وعند ما

شاهدتهم اتجهوا نحـــو مراكبي سائرين الى بطول النهر فعلى بعد مائة قصبة تقـــريبا عرفت صاحبي قديم العهد وهو مسيو سبيك وخفق قلبي من شدة الفرح ثم انى رفعت لاجله برنيطتى وصحت قائلا « هـــورا » وجريت اليه بكل قوتى .

وبمجرد ما قابلت هـؤلاء السياحين أول ما طـــرق باب فكرى قلت ان سياحتى قد تمت بتلك المقابلة وانهم قد استكشفوا منابع النيل ولكن عندما قدمت اليهم للتهنئة بما حصلوه من الشرف العظيم أعطونى تخطيطـــا مشتملا على سياحتهم يفهم منه أنه ما أمكنهم أن يتمموا استكشاف النيل وأن جزءا كبير الاهمية من مجراه باق لم يتم استكشافه وظهر لى أنهم قد عبروا النيل من النقطة التى على ٢١٧ درجـــة من العروض الشمالية بعدما تبعوه من ابتداء بحيرة فكتوريا وهذا النهر بعد خروجه من تلك البحيرة يجرى الى جهة الشمال ثم يأخذ بسرعة اتجـــاه الغرب بالقرب من شلال « كاروما » وهذا المحل هـــو الذى قد عـــبروا النيل منه وما رأوا ذلك النهـــر ثانى مرة مطلقا إلا عندما وصـــلوا الى النقطة التى على ٣٣٢ درجـــة من العروض الشمالية وهى التى عندها يتجه النيل الى الغرب مع الجنوب الغربى .

وقد قالت أهالى تلك البلاد وملك « أونيورو » المسمى « كرازى » إنه من ابتداء كاروما يتجـــه مجرى النيل الى الغرب مسيرة عـــدة أيام ثم يصب اخيرا فى بحيرة كبيرة يقال لها « موتانزيجـــه » واتجاه تلك البحيرة يأتى من الجهـــة الجنوبية ويدخل النيل فى نهايتها ويخرج منها بسرعة من الجهة الاخرى ويمكن ان تستمر المراكب سائرة فيه آخذة اتجاه الشمال الى ان

تصل الى قرية « كوسهى » وقرية « مارى » .

ثم لما كان مسيو سبيك و مسيو جرانت يعتقدان الأهمية الكبرى لهذه البحيرة كانت تظهر عليهما حالة الكآبة حيث لم يمكنهما استكشافها جيدا .

وقد علم مسيو سبيك أنه لا بد من وجود بعض علماء جغرافيين جالسين على كراسيهم المزخرفة ويبحثون بطريقة فى غاية السهولة وهى ان يضعوا اصابعهم على الخريطة ويسألون لماذا لم يسر من ها هنا الى هناك ولماذا لم يتبع النيل لغاية بحيرة موتانزيجه وايضا من تلك البحيرة الى قرية غندوكورو وقد كان من المستحيل ان مسيو سبيك و مسيو جرانت يتبعان نهر النيل من ابتداء كارومه لأن الأهالى كانت مشتغلة بغارة الملك المسمى « كرازى » ولم يسمحوا لاجنبى بعبور بلادهم .

وحينئذ فالموما اليهما قد اخذا الاستفهامات بالاعتناء على قدر الامكان وتمما خريطتهما ورسما البحيرة فى الوضع التوهمى لها باتباع مجرى النيل من بعد خروجه من تلك البحيرة على حسب استعلامهما من الأهالى .

وقد وصل مسيو صمويل بيكر الى شواطىء البحيرة فى اليوم الرابع عشر من شهر مارس سنة ١٨٦٧ بالقرب من قرية فاكوفيا وقد وصفها كما سيأتى فقال .

انه عند وصولنا الى تلك البحيرة لم تكن أشرقت شمس اليوم الرابع عشر من شهر مارس وقد حثثت الثور الذى أنا راكبه على المسير بان وكزته بمهموز الجزمة لان حميتى وغيرتى كانت متوجهة الى الدليل الذى كان

متقدما علينـــا وكنت وعدته بتضعيف ما شرطت عليه أخذه منى من الخرز عند وصولنا الى البحيرة وكان ذلك اليوم صحوا معتدلا وبعدما عـــبرنا واديا عميقا محصورا بين التلول تسلقنا على ميـــل الجبل القابل لنا وقد أدركنا قمته بكل سرعة فعنـــد ذلك انتشرت أمام أعيننا مكافأة المشقات التى كابدناها وهى انه تراءى لنا ان أسفل منا بحر من زيبق وأن طـــول امتداد البحيرة يحدد الافق من جهة الجنوب والجنوب الغربى وكأن البحيرة تقدح نارا بمصادمة اشعة شمس الظهيرة لسطحها وانه فى جهة الغرب من هـذه البحيرة على مسافة خمسين أو ستين ميلا يظهر ان عدة جبال لونها ضارب للزرقة خارجة من المـــاء وتصل الى ارتفاع يقرب من ٧٠٠٠ قـــدم أو « ٢١٥٠ متر » .

وكان من المستحيل أن أصف عـــلامات الظفر التى حصلت عليها وحصلت أيضا على كافة أشغالى جميعها وجميع السنوات التى كنت فى مدتهـــا أتبع أغراضى مع المعاندة الشديدة فى افريقية الوسطى « وقد استكشفت انجلترة منابع النيل »

وقبل أن نصل الى البحيرة كنت اتفقت أنا ومن معى من الناس على أن نصيح ثلاث مرات بلفظة « هورا » كعادة الانجليز بسبب هذا الاستكشاف ولكن الآن لما تأملت من هـذا البحر المتسع الداخلى الموضوع فى وسط افريقيـــة تذكرت السعى الذى اجتهدت فيـــه الناس من مدة قرون من السنين السالفة لأجـــل أن يصلوا الى هذه النقطة من الكرة الأرضيـة وافتكرت إذن انى الآلة الوحيدة المنتخبة لتبيين حقيقة جزء من الكرة الأرضيـة وذلك عبارة عن سر مخبأ كان لا يمكن القرب منه لكثير ممن

هم أعظم منى قدرا وحسست انه اعتراني عدة أفكار مفرحة للغاية تحثنى على الصياح بعدة أصوات عالية تنبئ عن حالة الفرح التى قامت بى فى ذلك الوقت وحمدت الله تعالى بكلية قلبى حيث نجانا وحمانا من كافة الاخطار الشاقة حتى توصلنا الى مقصودنا وكنت وقتئذ مرتفعا عن سطح ماء البحيرة بقدر ١٥٠٠ قدم تقريبا لأنى كنت على جزء منحدر بالكلية من حجر الجرانيت وما أمكننى أن احول نظرى عن هذه المياه المباركة وعن هذا الحوض المتسع الذى تتغذى منه أرض مصر ويخصب الصحراء فى سيره وكان هذا المنبع الكبير مخبأ من منذ زمن طويل على ملايين من أفراد النوع البشرى مع كونه عبارة عن فاعل خير لهم مبارك وهو من عجائب الكرة الأرضية وأردت أن أسميه باسم شهير فلأجل التذكار دائما باسم الشخص الذى توفى أخيرا وحزنت عليه جلالة الملكة هى وجميع والامة الانجليزية قد سميت هذه البحيرة الكبيرة بهذا الاسم « البرت نيانزا » وحينئذ فبحيرة البرت نيانزا وبحيرة فكتوريا هما منبعا النيل .

والمدق المعوج الذى يقتضى الحال سلوكه لنزولنا الى شاطئ الماء كان واقفا وصعبا جدا حتى انجبرنا على أن نترك أبقارنا خلفنا برفقة دليل وأمرناه أن يذهب بها الى ماجونجو وينتظر فيها حضورنا .

ثم شرعنا فى النزول مشاة وابتدأت فى أن أسير متكئا على عصا قوية وبما ان زوجتى كانت ضعيفة جدا ومنحلة العزم بالكلية كانت تنحنى على أكتافى عند النزول وكانت تقف فى سيرها من عشرين خطوة الى اخرى للاستراحة وبعد ما نزلنا بكل مشقة مدة ساعتين تقريبا ونحن ضعيفون دائما بالحمى التى كانت ملازمة لنا من مدة عدة سنوات تقوينا الآن

بحصولنا على النجاح ودركنــــا السهل المتصل بقاعدة تلك الصخور وبعدما مشينا مسافة تقرب من ميل فى أرض مستوية مرملة ذات اجزاء هشة جدا مغروسة بأنواع الأشجار التى يكثر فيهــا شجر العوسج وصلنا الى شاطىء الماء فوجدنا ان موج تلك البحيرة يتبدد شمــله بملاطمته لشاطىء من الحصا الأبيض فعنـد ذلك أسرعت فى الدخول فى البحيرة حيث اعــترانى الظمأ الشديد من كثرة الحــر والتعب ثم انى شربت عدة جرعات كبيرة بشهية عظيمة من منـــابع النيل وعلى مسافة أقل من ربع ميل توجـــد قرية أهلها صيادون تسمى فاكوفيا وفيها أقمنا بعض أوقات وفى كل جهاتها تشم رائحـــة السمك وجميع ما ينظر هنالك يدل على الصيد .

وليست عمليــــة الصيد صغيرة كالتى تصنع فى بلاد الانجليز بواسطة خيط رفيع وصنارة صناعية بل كانت جمـــلة من الخطاطيف مع جـــزء عظيم من خيوط يقرب سمكها من سمــك الأصبع الصغير موضوعة فوق الاخصاص لأجل التجفيف ومسلحة جميعها بصنانير من الحديد هيئتها تعطى فكرة عجيبة من خصوص الاسماك المهولة الخلقة الموجودة فى بحيرة البرت نيانزا .

ولما دخلت أحد تلك الاخصاص وجدت كمية عظيمة من ادوات الصيد وخيوطا جيدة الصناعة من الياف شجر الموز قوية جدا وذات مرونة ويمكن أن تقاوم أعظم شدة تحصل من سمكة كبيرة .

والصنانير المذكورة وان لم تكن لطيفـــة الصناعة لكنها مزينة بعدة كلاليب يتغير سمكها من أصبعين الى ستة ووجدت أيضا عددا عظيما من الخطاطيف المعـــدة لصيد حصان البحر موضوعا فى أعظم ترتيب ومجموع ذلك الخص يفيد أن صاحبه له بغيـــة عظيمة فى صيد السمك والخطاطيف المعدة

لصيد حصان البحر هى عين ما هـــو مستعمل عند العرب الحراوية فى التاك على حدود الحبشة لها نصل ضيق يقرب عرضه من ان يكون ثلاثة ارباع اصبع مع كلاب واحد فقط وحبالها مصنوعة جيـــدا من الياف الموز والعوام عبارة عن قطعة كبيرة من خشب العنبج قطـــرها نحو خمسة عشر اصبعا والأهالى يقذفون تلك الخطاطيف على خيول البحر وهم فى مراكبهم ثم ان تلك العـــوامات الكبيرة هى ضرورية لامكان اتباعها بسهولة عندما يكون الماء مضطربا .

ومنظور البحيرة احدث لاصحابى حيرة عظيمة وكانت السياحة طويلة جدا ومملوءة بالاكدار لما انهم قطعوا الشم من وجود بحيرة وتصوروا انى كنت اقودهم الى جهة البحر وصاروا منتظرين تلك الفرجة الحالية مع غاية الاندهاش ثم ان اثنين من بينهم كانا قد رأيا البحر الأبيض المتوسط فى اسكندرية فاظهرا لنا اننا بالقرب من البحر ولكن لم يكن ماؤه مالحا .

ثم ان قرية فاكوفيا هي عبارة عن محل محتقر وأرضها مملوءة بالملح بحيث يستحيل زرع أى نوع من المزروعات فيهـــا وذلك الملح هـو محصول طبيعى فى تلك الأقاليم وجميع الأهالى يشتغلون بتجهيزه ثم يتحصلون بطريق العوض منـــه على الذخائر اللازمة لهم فى بلادهم وتوجهت لأجل مشاهدة الحفر التى يستخرج الملح المذكور منها فوجدت عمقها يقرب من ستة اقـــدام ويخرجـــون منها طينة مسودة مرملة ويضعونها فى ازيار كبيرة من الفخار موضوعة على كمرات من الخشب وهـــذه الازيار مثقوبة من قاعها ثقوبا صغيرة ثم يملؤنها بالماء فيرشح ذلك الماء من تلك الازيار فى ازيار اخـــرى ويكون ممزوجا أيضا مع جـــزء من الطين ويستمرون على اجراء ذلك

الى ان يتحصل ماء مشحون بالملح فمنـــدها يوقدون الحطب اسفله فيتصاعد الماء بخارا ويبقى الملح راسبا ويكون لونه مبيضا إلا انه مر واظن ان الملح المذكور ناتج من تحليـــل الحشائش التى تنبت فى قاع البحيرة المحتوية على مقـــدار عظيم من البوتاسا وتقذفها الامواج على الشاطىء فتصير ترابا فيجرون عليها ما تقدم والارض المستوية المرملة التى تمتد الى مسافة ميل بين البحيرة وقاعدة الارتفاع الصخرى الذى ارتفاعه الف وخمسمائة قدم يظهر انها هى التى كانت مكونة سابقا لقاع البحيرة .

وعموما فان الأرض المستوية فى فاكوفيا تشبه خليجا لأن الصخور المكونة حولها للقوس الذى فتحته خمسة أميال تسقط فى البحيرة بميـــول واقفة من يمين وشمال ذلك المنحنى الذى فى مركزه ساحل كبير أرضه مستوية ثم أنه إذا ارتفع سطح ماء تلك البحيرة عن أصـــله بمقدار خمسة عشر قدما فان جميع ذلك الساحل يصير كلـــه مغموا بالماء لغاية قاعدة تلك الصخور المرتفعة .

وفى صباح اليوم الثانى عند شروق الشمس أخـــذت البوصلة وصحبتى شيخ القرية ودليلى المسمى « رابونجـــو » والمرأة المسماة « بخيتة » وتوجهت الى شاطىء البحيرة لأجل عمل بعض رسومات والسماء كانت فى غاية الصحو وبواسطة نظارة قوية أمكننى أن أميز على الشاطىء المقابل لنا سقوط مياه غديرين قاطعين باتجاهيهما البيضين جوانب الجبال .

ولو أن تلك السلسلة المرتفعة كانت محددة بغاية الوضوح على زرقة السماء وفيها عدة انخفاضات عميقة تدل على مجـــارى سيول عظيمة فما أمكننى أن أميز إلا الشلالين الكبيرين اللذين تسقط منهما ميـــاه الغديرين مشابهة

لخيوط الفضة .

ولم تشاهد قاعدة أدنى شيء حتى ولا قاعدة الجزء الذى ارتفاعه ١٥٠٠ قدم الذى شاهدت منه أولا ذلك الماء وليست حادثة النظر اللازمة بدون شك للمسافات الكبيرة هى وحدها التى تخفى قاعدة الارتفاعات تحت الافق بل كان هناك اعمدة كثيفة من الدخان يرى انها تتصاعد من فوق سطح الماء مع انها يمكن ان تكون ناشئة عن حرق حشائش المراعى الكائنة أسفل الجبل .

وحقق لى ذلك الشيخ ان مراكب كبيرة عبرت من شاطىء الى آخر من البحيرة ولكن تلك السياحة كانت استدعت ثلاثة ايام أو أربعة وكان يلزم فى مدتها ان يجذف بالمجاذيف بغاية الشدة وكثير منها قد غرق فى مدة العبور وان مراكب الاونيورو لم تكن مصنوعة لأجل سياحة خطرة جدا كهذه .

ثم ان الشاطىء الغربى للبحيرة تابع لحكومة ماليجا الكبيرة التى ملكها المسمى « كاجورو » يمتلك مقدارا وافرا من المراكب وكان هذا الملك يتجر مع كرازى فى محل كائن فى مقابلة ماجونجو التى عندها ينضم شاطىء البحيرة بحيث يمكن عبورها فى يوم واحد وعلى حسب ما أخبرنى به الدليل أن ماليجا هى بلدة ذات شوكة واكثر امتداد من الأونيورو ومن الأوغندة .

وفى جنوب ماليجا بلدة تسمى تورى محكومة بملك يسمى بهذا الاسم أيضا وأما الجهات الأكثر بعد الجهة الشمال الشاطىء الغربى فلا يمكن أحدا أن يعرف عنها أدنى شيء .

ومن المعلوم ان هـذه البحيرة تمتد نحو الجنـــوب لغاية كاراجوه وطالما تكرر لى التاريخ القـــديم الذى مضمونه ان رومانيكا ملك تلك البـلاد كان من عادته سابقا ان يرسل الى « اوتمى » الكائنة فى شمال البحيرة عدة سريات لاجل التحصل على سن الفيـل وكيف ان مراكبه تقدمت سابقا الى ان وصلت الى ماجونجو وهذا قد أكد لى ما اخبرنى به مسيو سبيك فى غندوكورو وهو ان رومانيكا ارسل الى اوتمى صيادين الافيال .

ثم ان الشاطىء الشرقى محدد من الشمال الى الجنوب بالاماكن الآتية وهى كوبى و الأونيورو و الاوغنده و الاوتمى و الكاراجوه ومن هذه النقطة الاخيرة التى لا يمكن ان تكون على أقل من درجتين من العرض الجـــنوبى يقال ان البحيرة تنعطف دفعة واحدة الى جهة الغرب وتمتد فى هذا الاتجاه بدون ان يمكن تحديد نهايتها وفى شمال ماليجا وغرب البحيرة بلده صغيرة تسمى « مجارولى » ثم تعقبها قرية « كوسهى » فى غرب النقطة التى يخرج النيل عندها من البحر الداخلى .

واما فى شرق النهر فتوجـــد صحراء قرية مادى فى مقابلة كوسهى وقد اخبرنا الدليـــل وشيخ فاكوفيا ان مراكب ستحملنا الى ماجونجو عنـد النقطة التى فيها نهير السميرسه الذى تركناه فى كارومه يصب فى البحيرة ومع ذلك اخبرنا انه من المستحيل سلوك ذلك النهر لأنه من ابتداء كارومه الى مسافة صغيرة جدا يتكون فيه عدة شلالات متوالية .

وكان النيـل قابلا لان تسير فيـــه المراكب مسافة عظيمـة من ابتداء خروجه من البحيرة الى كوسهى ويمكن لبعض المراكب ان تنزل فى النهر المذكور الى قرية مادى .

وقد اتفق رأى الاثنين معا على ان موازنة سطح ماء بحيرة البرت نيانزا لا ينخفض عن مقداره فى ذلك الوقت وانه لا يرتفع مطلقا فوق بعض علامات مصنوعة على شاطىء من الرمل يظهر منها زيادة قدرها أربعة أقدام وساحل البحيرة عبارة عن رمل رفيع جدا تتكسر عليه الامواج عند وصولها اليه كما يحصل ذلك لامواج البحر وترسب فيه نباتات مائية كالنباتات البحرية المطروحة على شواطىء بلاد الانجليز .

وأما عرض فاكوفيا فانه يقدره ١٥ دقيقة عرضا شماليا وطولها ٣٠ درجة و ٥٠ دقيقة طولا شرقيا . واما النقطة الاكثر قربا الى الجنوب التى وصلت اليها من ابتداء سفرى من مجارولى فانها تقابل عرضا قدره درجة و ١٣ دقيقة . واما مسيو صمويل بيكر فلم يتيسر له ان يشاهد فى جنوب بحيرة موتانزيجة أبعد من فاكوفيا « التى عرضها الشمالى درجة و ١٥ دقيقة وذلك بناء على ارصاده » إلا أنه على حسب الادلة التى كانت تعطى له من الأهالى ثبت عنده ان المياه كانت تمتد فى جهة الجنوب بعيدا عن مملكة كاراجوه اعنى الى بلدة رومانيكا كما ان خريطة مسيو صمويل بيكر تبين البحيرة لغاية عرض درجة و ٣٠ دقيقة من جنوب خط الاستواء ومن ابتدائها ترك صورة الخريطة غير تامة .

وفى شهر يوليه سنة ١٨٧٦ ساح المسيو جيسى بناء على أمر سعادة غوردون باشا حكمدار عموم مديريات خط الاستواء ودخل فى البحيرة بسلوكه نهر النيل وعلى مقتضى كلامه أنه مر فى جميع امتدادها مستكشفا شواطئها حسب ما هو موضح فى الخريطة التى قدمها .

وهذه الخريطة تبين ان وضع فاكوفيا على مسافة تقرب من ٢٥ ميلا من

شمال غابات العنبج الذي يحدد البحيرة من نهايتها الجنوبية .

وفى تلك السنة لما ترك السياح الشهير استانلى تحت حكومة أوغنده ودخل فى تلك البلاد من جهة الغرب وصل الى شواطىء بحيرة كبيرة تسمى عند الاهالى موتانزيجه الكائنة على عرض ١١ دقيقة شماليا بالابتداء من خط الاستواء أعنى على درجة واحدة وأربع دقائق من جنوب فاكوفيا . وبالأقل على مسافة خمسين ميلا من جنوب نهاية البحيرة بمقتضى كلام مسيو جيسى .

والآن على مقتضى كلام مسيو استانلى و مسيو جيسى وتقرير الكولونيل ميسون بك الذى فى غاية التفصيل هل يعتبر أن هناك سدا فى جزء ضيق قليل العمق من البحيرة أو يقال أنه يوجد أيضا فى جهة الجنوب بحيرة اخرى ذات امتداد عظيم يمكن أن تكون متصلة ببحيرة البرت .

وهذا سؤال مفصل جدا ومهم فى الجغرافيا وهو باق الى أن يحل بمعرفة المستكشفين المستجدين وليس من المفيد أن نضيع أنفسنا فى الفروضات بل يلزم أن نصبر الى أن يعمل استكشاف حقيقى فى الجزء الذى بين النقطة الأكثر بعدا جهة الجنوب التي وصل اليها الكولونيل ميسون بك والمياه التى نظرها مسيو استانلى بالقرب من خط الاستواء .

فان كانت المسائل الجغرافية الكبيرة المختصة بافريقية الوسطى هى الآن تامة فلم يزل باقيا حل مسائل كثيرة مثل هذه مهمة جدا وبعض أشغال كثيرة جديرة بالاعتناء يفعلها المستكشفون أولو الجراءة والصداقة .

ولأجل أن نرجع الى التكلم على استكشاف بحيرة البرت الذى حضر من عمله الكولونيل ميسون بك تقول انه كان معه الآلات اللازمة الجيدة وامكنه عمل الارصاد الدقيقة الشافية التى يلزم اعتمادها وزيادة على ذلك فان تلك الارصاد تثبت بمجموعها الملحوظات الصغيرة التى بينها سابقا مسيو « جيسى » .

وزاد قائلا سعادة الجنرال استون باشا وكيل الجمعية الجغرافية الخديوية ان وسط افريقية صار مستكشفا ومعروفا من منذ سياحة مسيو استانلى وان الجغرافية تحصلت على اصول الاستكشاف وحينئذ فالعلم الطبوغرافى منوط بان يبين درجة الضبط والتفصيل اللازمة لها .

٣ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

مأمورية الدكتور أمين افندى في الاونيورو

من ٥ يوليه الى ٢٥ أكتوبر

سفره الى « امبارانياماجـــو » .

استدعى غوردون باشا الذى تعين حكمدارا عاما للسودان أمين افندى الى الخرطـــوم فوصل اليها فى ٣٠ أبريل وكلفه بمأمورية لدى كباريجا ملك الأونيورو تشابه مأموريتـــه السالفة فى أوغندة ثم يذهب من أونيورو ويؤدى زيارة الى متيسا ملك أوغندة . وكان يقصد بهـذه الارساليات حفظ وصون حسن الجـوار مع جيرانه وتقوية منزلة مصر فى تلك الاصقاع .

وبعد ان تلقى امين افندى التعليمات من الحكمدار العام بشأن مأموريته زايل الخرطوم موليـا وجهه شطر لادو وسافر من هذه على متن باخـــرة فى ٥ يوليه قاصدا دوفيليه فدخلها فى ٥ من الشهر عينه ولبث بها لغـــاية ٢٥ منـــه ثم رحل عنها بطريق النيل متجها الى ماجونجو الواقعة فى طرف بحيرة البرت نيانزا الشمالى . وفى هذه الناحية ترك طريق النيـل وسار برا عن طريق « كيروتو » Keroto و مازندى فوصل الى مرولى فى النصف الاول من شهر أغسطس . وهنـا التزم ان يتربص بعض أوقـات بسبب المخابرات التى دارت بغية حصوله على تصريح من كباريجا بدخوله أونيـــورو . وحالما

تسلم هـذا التصريح شخص فى ١٣ سبتمبر قاصدا « كيسوجا » Kisoga التى ترك فيها جميع متاعه خشية أن يطلبه كباريجا حسب عادته .

ومن كيسوجا توجـه الى « لوندو » Londu حيث التزم أن يحصل على اناس من رجال كباريجا بصفة حمالين لأن الحمالين الذين كانوا معـه أبوا ابتـداء من مرولى أن يدخـلوا أرض ملك الأونيورو عـدوهم الألد . وعاق مسيره مطر هطال غير أنه وصل فى نهـاية الأمر فى ٢١ سبتمبر الى مقر كباريجا فى « أمبارا نياماجو » Mpara Nyamagos .

وكانت الأكواخ المعدة لسكنه قائمـة على رابيـة على بعد ربع ساعـة من محل اقامة الملك . ولدى قدوم أمـين افندى أطلقت البنادق لتحيته . وأتى أحـد رجال حاشية كباريجا المسمى عليا متشحـا ببذلة التشريفة الكبرى لمقابلته وأبدى انه يعد نفسه سعيدا لرؤيته .

ولم يأت « كاتيكيرو » Kalikiro الوزير الاول لكباريجا إلا فى ساعـة متأخرة من الليل ليرحب بقدومه وليقول له ان الملك كان يتوخى مقابلته فى ذلك اليوم غير ان المطر حال دون ذلك وانه لهذا السبب عينـه ما امكن اقتيـاد الثيران التى هيئت له وانه يرجـو التجاوز عن هـذا التأخير . فأجابه أمين بقوله انه مغتبط وشاكر للمليك وانه لم يأت ليطلب ثيرانا وأنه اذا لم يكن لدى كباريجا شىء منها فهذا أمر يمكن الاستغناء عنه تماما .

أما على فكان واثقا بأن يتوصل الى عقد معاهدة مع الملك .

مقابلته لملك أونيـــورو

وفى ٢٣ سبتمبر فى الساعة ١١ صباحا تقريبا قـــدم دليـل أمين أفندى متسربلا ثوبا « قفطانا » وعلى رأسه طربوش وقال له ان كباريجا مستعد لمقابلته . فاتشح فى الحال كسوته وركب جوادا وسار الموكب بالنظام التالى وهو : فى المقـــدمة ثلاثة من المتونجوليين والترجمان والرجال الحاملون الهـدايا وأمين افندى وياوره ثم على .

وبعـــد أن مر الموكب ببضع زرائب ومساكن افضى الى ميدان مكشوف فيه قاعة رحبة لها بابان كبيران احدهما من الجهة الامامية والثانى من الخلف . وهذه هى القاعة التى بها عرش كباريجا . وفى وسطها مصطبة مرتفعـة من التراب مدكوكة ومحصورة بين عمـودين حاملين لسقف القاعة . وفى وسط هذه المصطبة يوجد مقعد كان الملك جالسا عليه ومرتديا ملابسه الوطنيـــة أى أنه مستور لغاية صدره بقطعـة من النسيج لونها مشرب بحمرة وما فوق ذلك مع رأسه عار ويحف به نحـــو الخمسين شخصا جلوسا هذا عدا عدد يتراوح بين الاربعمائة والخمسمائة فى الخارج .

ولما كان مقعد أمين افندى موضوعا بجانب العرش جلس عليـه وقدم جواب اعتماده بوصف أنه نائب عن الحكمدار العام . وبعد فتحه بمعرفة اتباع الملك أعيـــد الى أمين افنـدى ليقرأه إذ أنه لم يكن هناك من يعرف القـــراءة . ثم بعد تلاوته أعرب كل منهما عن سروره من هذه المقابلة وأعرب كباريجا عما يكنه شعوره من المحبة والود نحـو حكومته وعن رغبته فى قبـــول كل اقتراح يعرض عليه . وعندئذ قدمت الهـدايا ويظهر ان

الشيء الذي نال اكثر اعجابه هـــو الصابون المعطر والنقـود وهـذه عبـارة عن ٣٠ ريالا عـدت مرتين . وبعـــد اسئلة شتى فى عدة موضوعات ومحادثة جعلت الجلسة تستمر زهاء ساعتين ونصف ساعة انصرف أمين افنـدى باحتفـال كالذى عمل لدى قدومه .

وفى ٢٣ سبتمبر عند منتصف النهـــار أتى كاتيكيرو وأخبره ان الملك فى انتظاره فذهب اليه فى الحال . ولما كان القوم قد سهوا عن استحضار كرسى أمين افندى وقف يتحادث مع كباريجا الى ان احضروه وعندئذ جلس هو وجلس الجمـــع واشترك الكل فى الحديث إذ ان الاصطلاحات الرسميـة لم تـكن مرعية كما هو الحال فى أوغندة .

وقد أبدى الملك فى حديثه تذمرا من الدناقلة ومن انفينـا و ريونجـا وقال ان هؤلاء يتحرشون به ويغيرون عليه بلا انقطاع . فأجابه أمـين افندى بأن الآخرين ارتبطوا مع الحكومة برابطة الصداقة ولـكنه هـــو استمر على ابداء المداوة . وقال « كباريجا » ان من ذكروا ما عقدوا تلك المعاهدات إلا لطمأنينتهم . اما فيما يختص بما بدا منـــه من المـداوة فقـال انه حقيقـة ناوش سير صمويل بيكر ولـكن هـــذا لم يـكن إلا دفاعا عن النفس غير أنه يرجوه الآن ان يقول له عما تنـــويه الحكومة لانه يريد ان يعيش معها فى سلام ووئام .

وأجابه أمين أفندى ان الحـكومة تشعر نحوه بنفس هذا الشعور . فاذا كان يرغب الحصول على اعانة مالية ترسل اليه سنويا فما عليه إلا أن يصرح بذلك وهـــو فى امكانه ان يكفـل نيـله ما يطلب وإذا كان يريد أن ينتدب وفدا ليذهب الى القاهـــرة فهو يعطيهم جوازا للمرور واذا كان هـو

نفسه يشتاق ان يذهب اليها ، وهذا هو الافضل ، فعندئذ يظل امين فى عاصمة ملكه رهينة لحين عودته . أما رونجا و اتفينا فقد قال للملك عنهما ان من رأيه انه يجب عليه الرجوع الى جزرهما وانه لا يقطع على نفسه وعدا بأن يأتى اليه بهما ولكنه اذا رجع هنا مرة أخرى فهو يبذل كل ما فى وسعه ليصلح فيما بينهم جميعا .

ويظهر ان كل هذه المحادثات أعجبته فقال ان أمينا هو الرجل الأكثر رشدا بين جميع من وقع بصره عليهم وعرض عليه ان يبقى لديه طلبا للراحة ثم يسافر الى مرولى فالخرطوم ومعه الوفد الذى سيرافقه اليها وطلب منه امين ان يرسل اناسا يفهمون اللغة العربية حتى يستطيعوا ان يتحققوا انه لا يقول شيئا ما للباشا يخالف ما جرى بينهما فى الحديث . وعلى ذلك تناول كباريجا يد امين افندى وقال له : « نحن اخوان » . وبما ان الجلسة استمرت زمنا ليس بالقليل فقد استأذن أمين افندى وانصرف .

وفى ٣٠ سبتمبر أرسل الملك فى طلب أمين افندى ولدى وصوله وجد المجلس حافلا بالناس أكثر مما كان بالعشى ودار الحديث على جغرافية البلد والوان البشر من أبيض وأسود ولكن امينا لم يستطع ان يحصل على معلومات كثيرة عن الموضوع الأول . وبعد ان لبث قليلا انصرف .

ووصل قبل سفره بزمن يسير اونباشى وجندى وترجمان من محطة « ماجونجو » فمنح كباريجا كلا منهم بصفة هدية زنجيا وثورين وطلب الى أمين افندى أن يأخذهم معه ووضع فى الوقت ذاته تحت أمره سعاة يحملون مراسلاته التى يريد ان يبعث بها الى مرولى ليبين فيها سبب اطالة اقامته عنده وليبدد ما ربما يعلق بالاذهان من المخاوف نظرا لهذه الاطالة . وكان الجند قضوا

٧ أيام فى المجىء ثم رجعوا حاملين مراسلات أمين افندى التى بعث بها الى غوردون باشا ومرجان افندى الدناصورى (١) قومندان محطة ماجونجو وهو ضابط سودانى حضر حرب المكسيك وأنعم عليه بالوسام العسكرى .

وانتهت مأمورية أمين افندى لدى كباريجا على ما يرام . واتضح ان كباريجا لم يتخذ معه طرق الاستبداد والجبروت التى اعتاد اتخاذها مع الآخرين . ومن الجائز ان الهدايا الثمينة التى بعث بها اليه غوردون باشا أثرت فى نفسه تأثيرا حسنا وأقنعته بأن الحكومة التى بعثت له أمين افندى سفيرا هى حكومة ذات بطش وقوة ولم يأذن كباريجا لأمين افندى بمبارحة مملكته إلا بعد إقامة خمسة أسابيع .

(١) — سمى مرجان الدناصورى لأنه من بلدة دناصور احدى بلاد مركز شبين الكوم من مديرية المنوفية وهو من السودانيين الذين توطنوا بهذه البلدة وقد جند مع من جندوا من بلاد القطر للانخراط فى الاورطة السودانية المصرية التى سافرت لحرب المكسيك .

٤ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

مأمورية الطبيب أمين أفندى في أوغندة

القسم الأول

من ٢٥ اكتوبر الى ٣١ ديسمبر

سفره الى « روباجــــا » .

فى ٢٥ أكتوبر بارح أمين افندى مقر كباريجا ملك الاونيورو ليتمم المأمورية التى كلفه بها غوردون بزيارة متيسا ملك أوغندة مرة ثانية فوصل الى « كيسوجـا » فى ٢٩ منه ومنها ذهب الى محطة مرولى حيث التزم ان يتربص ثلاثة اسابيع فى انتظار مجىء الحمالين من قبل متيسا .

وفى ٢٠ نوفمبر سافر الى الجهــــة المقصودة ونظرا لبطئه فى السير دخل « روباجا » فى ٢٢ ديسمبر . وروباجــــا هذه مقر متيسا . وفى أثناء مسيره وصل اليه عدة رسل من قبل متيسا ليبلغوه تحيات الملك فتعرف من بينهم على كثير من معارفه القدماء .

مقابلته لملك أوغنـــــدة

وفى ٢٣ ديسمبر خرج من مسكنه ليقابل الملك المقابلة الأولى .

وأخـــذ الموكب فى طريقه كالمرة السالفة ولدى وصوله الى البـــاب الأول أخبر بأنه يجب عليه التربص . ولما كان لايريد أن يعامل بمثل هـــذه المعاملة عاد وأمر فى الوقت نفسه رجاله بأن يتبعـوه . وما كاد يخطو عشرين خطوة حتى لحـق به كل الرؤساء وتوسلوا اليه بأن يعود فيقابله الملك فى الحال . وبما أنه كان لم يزل مترددا أتى شامبارانجو Chambarango الوزير وعيد كاتب الملك ومن معـارفه القدماء مسرعين ورجـوه أن يرجع معهم لأن الملك أرسلها خصيصا لذلك .

وقبل أمين افندى وعـــاد ادراجه ودخـل مارا بمختلف الأبواب حسب العـادة فرأى بجانب كل منها مدافع صغيرة من البرونز الاحرى تسميتهـــا دمية تلعب بهـــا الصغار لا أداة للتدمير والهلاك . ومن الباب الأول الى أن أفضى الى مقر متيسا مر بين صفـين من الجنود مسلحين ببنادق بكبسول من الطراز القـديم . ويقدر عـــدد الجنود بألف جندى تقريبـــا ومرتدين بكساو حسنة من نسيج القطن الأبيض . ولدى وصوله الى مدخــــل دار الملك حيتـه الموسيقـا . ودخل قاعـــة الاستقبال ، وهى قـاعة مقسمة بواسطة جـذوع النخل الى ثلاثة أروقة متوازية . وهـــذه الجذوع موضوعـة رأسيا على شكل اعمـــدة . أما اتساع القاعة فلا بد أن يكون ١٢ مترا فى ٦ امتـار . وكان الرواق الذى فى الوسط المـوصل الى العرش خاليـــا والرواقان المحـاذيان له من اليمـين واليسار حافلـين بكبار الموظفين والضبـاط مرتدين بكساوى التشريفات ذات اللون الأحمر والأسود مذهبة ومفضضة . وكان واقفا بجانب كل عمود جندى متشحا بكسوة بلغت الوانها الغاية القصوى فى البهجة . وهو يقدم السلاح تعظيما .

واعتذر متيسا من عدم مقدرته الوقوف لما يعانيه من آلام المغص . ووضع مقعد أمين افندى بجانب العرش فجلس عليه وكان الملك عكس المرة السالفة مرتديا سروالا « بنطلونا » أحمر ومعطفا أسود وطربوشا أحمر وحذاء من هذا اللون الاخير ومعلقا فى عنقه سلسلة من الفضة وقرصا من الفضة أيضا سمكه كسمك الريال « مارى تريز » Marie-Thérèse .

ووجه أمـــين افندى عندئذ الكلام الى الملك فقال له : ان غوردون باشا نظـــرا لما لاقيته منكم فى السنة الماضية من حسن الوفادة وكرم الضيافة كلفنى بالمجيء الى هنا وأن أقدم لكم الهدايا التى أرسلها الخديو من القاهرة برسمكم بناء على طلب الباشا المومى اليه . وزودنى بمعلومات مقتضاها توسيع سائر انواع العلاقات الودية السائدة الآن . هذا ولا ريب فى ان الملك يرى أنه من المفيد تنمية وتقوية هذه العلاقات . واستطرد فقال ان لديه تعليمات اخرى سيبديها باسهاب أكثر فى الجلسة القادمة وقدم عقب ذلك جوابات اعتماده مكتوبة باللغتين العربية والانكليزية وهى الجوابات التى تلقاها من الباشا .

وفتحت الجـــوابات فى الحال فالجواب العربى ترجمه مسعود وهو من عرب زنزبار وسكرتير الباشا . أما الجواب الانكليزى فترجمه مفتاح وهذا كان خادما لدى استانلى . وهنا قدمت الهدايا وفتحت وعرضت واحـــدة فواحدة وعلى مسافة إذ أنه كان لا يجب ان لا يقترب شيء من الملك . وبعد عرضها رفعت وحملت داخل القصر .

وبعد مبادلة بعض الحديث العادى الذى لم يلبث سوى مـــدة قصيرة استأذن أمين افندى وانصرف يصحبه عيد و « شامباراجو » وبعد زمن يسير لحق بهم « كاتيكيرو » الوزير الأول وساكيلابو Sakilabo ورافقوه

الى باب داره . ووقتئذ أمسك بيدهم مسلما وطلب من « كاتيكيرو » أن يأتى فى الغد لزيارته ولكى يقدم له هديته .

وفى غضون هـــذه المقابلة التى استمرت ساعة من الزمن سأله متيسا عما إذا كان حقا أنه ذهب عند « كباريجـــا » وإذا كان هذا صحيحا فهل استصحب معه عددا كبيرا من الجند لأنه يرى انه من الأمور غير المحتملة التصديق انه ذهب الى هناك .

وفى ٢٧ ديسمبر أرسل فى طلب أمـــين افندى لزيارته فذهب اليه فى الحـــال وقوبل بالطريقة التى قوبل بها فى المرة السالفة . وبعد أن جلس وتحدث مع الملك فى موضاعات تافهة ليس لها أهميـــة سأله هذا لمن يتبع الخديو وسلطان زنزبار . وعما إذا كانت ملكة الانكليز تستقبل سفراءه بحفاوة وهل يوجد فى افريقية ملوك أقوياء غير الخديو . وهل ممكن أن يبعث للخديو بسفراء وهل يقبل هو أى أمين افندى أن يرافقهم اليه .

وأجابه أمين افندى أنه يرى من واجبه أن يفعل ذلك لا سيما والخديو أرسل له سفراء وهدايا فى كل الأعوام مع أنه هو لم يرسل أحدا وهذا أمر ليس فيه شيء من الظرف والكياسة .

وأجاب متيسا أنه كان أرسل « تاندى » Tandi غير أنه رجع من مرولى دون أن يتمم مأموريته . وسلم أمين افندى بصحة هذا القول إلا أنه سأله عما إذا كان من اللياقة أن يرسل ضابطا صغيرا مثل « تاندى » فى حين ان الخـــديو يرسل إليه أمراء ألايات . فسكت متيسا برهة ثم سأل عن عدد الايام التى تلزم للذهاب من هنا الى الخرطوم ومن هذه الى القاهرة وكم يوما

يلزم للوصول الى زنزبار .

وسأل متيسا بعد ذلك عما اذا كان لدى أمين افنــدى شيء آخر ليبلغه إياه فكان جواب هذا ايجابيا وقال له فى الوقت نفسه انه يود ان يراه يوميا ولكن يحول دون ذلك بعد المسافة بين بيته وقصر الملك فوعده متيسا انه سوف يعمل فى هذا الصدد ما يرضيه .

ودقت الطبول علامــة على انفضاض الجلسة فنهض متيسا ليدخل فى منزله وانصرف أيضا أمــــين . ودامت المقابلة ساعة زمانيــة أى من الساعة ١٠ الى الساعة ١١ صباحا . ولدى وصول أمــين افندى الى سكنه وجد فيه كيزا Kisa وكيله قديما وكان قد قدم من مرولى وصادفته مصاعب فى الطريق وسبق رفيقه فى السفر وهو رجــل من رؤساء تجارة ريونجا . ويحمل هذا البحار بريد أمــين افندى . وينتظر قدومه غدا .

وبقية هذه الرحلة مذكورة فى الملحق الأول للسنة التالية .

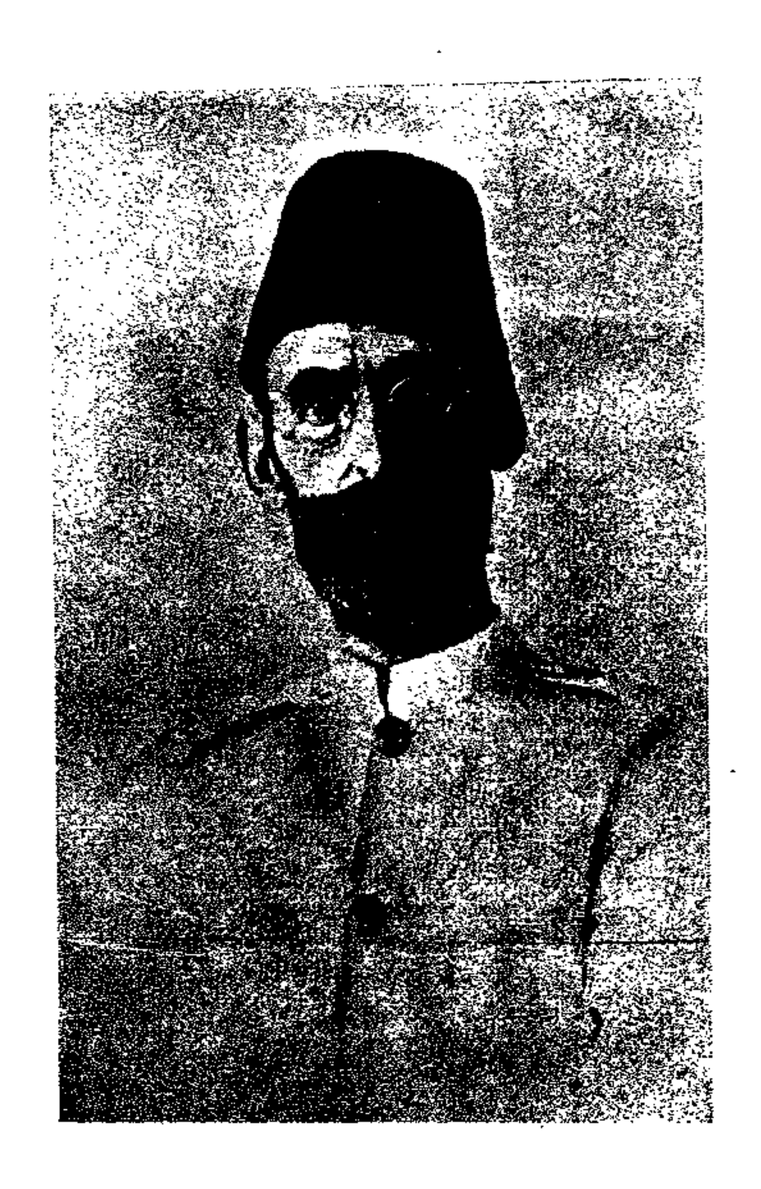
حكمدارية أمين باشا

من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨٩ م

سنة ١٨٧٨ م

كان أمين طبيبا المانى المحتد ترك دينه واعتنق الدين الاسلامى فى تركيا ثم بعد ان خدم حكومة هذه الدولة زمنا أتى الى السودان فألحقه غوردون الذى كان عندئذ حكمدارا عاما لمديريات خط الاستواء بخدمة هذه المديريات بصفة طبيب . والظاهر ان أمينا لم يقم بأعباء هذه الوظيفة قياما فعليا لأن غوردون كان كما سبق الايضاح كلفه بتأدية عدة مأموريات سياسية فى البلاد المجاورة مثل مأمورية الأونيورو والأوغندة . ويظهر أنه قام بهذه المأموريات قياما أرضى رئيسه حتى أنه فكر فى تعيينه حكمدارا عاما لمديرية من مديريتى خط الاستواء . أما المديرية الأخرى وهى مديرية بحر الغزال فكان غوردون باشا قد فصلها وقت تعيينه حكمدارا عاما للسودان وصارت فيما بعد مديرية مستقلة بذاتها .

وكان تعيين أمين لهذه الوظيفة قبيل منتصف عام ١٨٧٨ م . وبما انه قضى جميع ادوار خدمته فى الحكومة المصرية فى المديرية التى تعين فيها حكمدارا فلم تكن هذه مستجدة عليه أو هو غريبا عنها . ويلوح ان أمين كان عالما من العلماء واداريا إلا ان الخلال الحميدة التى كان يتحلى بها من الوجهة الادارية قلل كثيرا من ثمارها ضعف عزيمته



أمـــين باشا

ضعف عزيمته لأن من النتائج الطبيعية لهذا الخور التردد فى الامـور وزاد الطين بلة اشتغاله بالمسائل العلمية أكثر كثيرا من اشتغاله بادارة مديريته . وأدى هذا وذاك الى سوء المنقلب ووخامة العاقبة وما ذلك إلا لأن ادارة المديرية وقعت فى يد أوهن الحكمداريين الذين تقلبوا عليها وهذا فى الوقت الذى كانت فيه أحوج لمن يكون أمضاهم عزيمة وأكثرهم همة وذلك بسبب الحقبة الحرجة التى كانت مشرفة عليها وهى أحرج الحقب التى مرت بها .

تقسيمه المديرية الى اقسام إدارية

ابتدأ هذا الحكمدار بتقسيم الأرض من جديد تقسيما اداريا وعين ثلاثة وكلاء حكمداريين وعين لكل منهم مقرا فجعل مقر الأول « مكراكا » فى الشرق ، ومقر الثانى « كرى » فى القلب ، والثالث « ماجونجو » فى الجنوب وقسم المحطات أيضا بطريقة متساوية بين الثلاثة الاقسام على قدر الامكان . وعين لكل قسم قائدا عسكريا ووكيلا فوض اليه الفصل فى القضايا المدنية وأعطى لكل منهما كاتبا .

ورتب بريدا اسبوعيا لاتصال المحطات ببعضهـا . وقال المبشر فيلكن Felkin ان المراسلات كانت تسافر وهى فى غاية من الأمن .

وحاول ان يوسع حدود مديريته بقدر ما يستطيع . وكان سير صمويل بيكر ضم بلد اللورين و اللاتوكيين اللذين فى شرق النيل وذلك بدون ان يحتله فقام هو بهذا الاحتلال فى الحال وقوى صلات المودة مع الأهالى واجتهد فى التوسع فى الزراعة بقدر الامكان .

وأصدر غوردون أمرا باخـلاء المواضع الواقعة جنوب نيل فكتوريا

وهو القسم الموصل بحيرة فكتوريا بالبرت نيانزا واعتبار هذا النهر الحد الجنوبى لمديريته وذلك على أثر قيام مشاكل فى الجزء الجنوبى من هذه المديرية . فرفض الحكمدار أمين ان يمتثل وينفذ هذا الأمر الذى كان يعتبره ضارا بأمن مديريته . غير ان غوردون ألح وبعث بجيسى الذى كان فى بحر الغزال فى ذلك الوقت لينفذ الأمر ولكن ان هو إلا أن استقال غوردون من وظيفة حكمدار السودان العام فى السنة التالية حتى عاد فاحتلها .

ذهابه الى فالورو و فابو

وظل الحكمدار أمين وقتا فى لادو وزاره فى غضون هذا العام « بيرسون » Pearson و « ليتشفيلد » Litchfield و « فيلكن » Felkin . وقبيل آخر السنة شخص الى بلد الشوليين Shoulis حيث توجد محطة فاتيكو وذلك ان بعد مر فى طريقه بدوفيليه . وبعد ان زايل المحطة المذكورة انتقل الى فالورو وكانت المنطقة بين هاتين النقطتين عبارة عن سهل به مزروعات غاية فى الجودة . وقدم اليه شيخا الناحية وهما اخوان لزيارته وقدما اليه نابين بصفة هدية وقدم لهما هو أيضا بعض هدايا وقدم كذلك بعض الهدايا لأمهما وأحضرا له بناء على طلبه حمالين . والمنطقة التى يقطنها الماديون Madis كانت حافلة بالطماطم والموز .

ومن فالورو انتقل الى فابو فقوبل فيها مقابلة لاتقل فى المودة عن المقابلة فى الجهة الأولى . وأعرب الأهالى له فى الناحيتين عن رغبتهم فى ان تأذن الحكومة للدناقلة بالعودة الى المديرية . وكان هؤلاء الاشخاص تجارا يأتون شراذم صغيرة بمنسوجات وبارود يستبدلونها بالرقيق . وبما ان الحكومة المصرية كانت تستنكر هذا النوع من المبادلة فقد نفاهم هذا الحكمدار من مديريته .

ذهابه الى فاتيكو وعودته الى لادو

وكانت المحطة التالية لفابو فاتيكو ، وهى آخر مرحلة لزيادته هـذه . وقد قام اليها فدخلها قبيـل آخر ديسمبر . وكان الطريق بين الناحيتين ذاهبا صعدا وكانت فاتيكو هذه قاعدة مركز كثير الخصب وكانت معتبرة فى ذاك الوقت كمستودع لحبوب جميع المنطقة فيما بين دوفيليه و مرولى ويسكن هذا المركز قبائل الشولى . ويسمى شيخهم « روشاما » Rochama وبواسطة نفوذ هـذا الشيخ وسيطرته تحالفت قبيلته مع الحكومة المصرية غير ان احـد قواد المحطة السابقين عامله معاملة مهينة فانسحب الى داره وقطع علاقته بالحكومة .

ولدى قدومه أرسل هذا الشيخ له ولده ليدعـوه الى المجىء إليه لأنه كان لا يأمن هو نفسه المجىء . ولما كان الحكمدار يعلم أن الخطأ وقع من جانب الحكومة انتقل اليه عن طيب خاطر ليسوى مسألته .

وعند وصوله الى قرية روشاما القائمة على مرحـــلة يوم من المحطة استقبله حرس شرف مؤلف من رجاله متشحين بملابس ذات الوان بهيجـة جـــدا ومسلحين ببنادق عتيقة وكان الشيخ واقفا على ناحيـــة فى وسط فريق من الزنوج متسربلين بجلود مصبوغة حديثا باللون الأحمر . والتمسوا من الحكمدار أن ينتظر قليـلا ريثما يذبحون عنزتين فى طريقه ويكون الدم قد سال ثم اجتاز روشاما على الدم وأتى وصافحه وذهب به الى قريته وهناك كان يوجـد عنقـريب « سرير » تحت شجرة فجلس عليـه الشيخ . أما الحكمدار فجلس على مقعده . وكان واقفا على جانبى الشيخ حرس مسلح ويحيط به من كل ناحية جمـع من العبيد الغوغـاء مؤلف من ٣٠٠ زنجى ذكـورا واناثا لابسين كساوى

متنوعة كثيرا سواء أكان من جهة الألوان أو الزى وبها جميع انواع الزخارف .

وكان يبدو على محيا « روشاما » Roshama سيماء المسرة من زيارته ومن الهدايا التى حباه بها وعوضا عنها منحه نابين فاخرين وقدم له زوجه فحباها ايضا بنصيبها من الهدايا . ثم آب الحكمدار بعد ذلك الى فاتيكو فلبث بها يوما وانقلب راجعا الى لادو عن طريق دوفيليه .

١ — ملحق سنة ١٨٧٨ م

مأمورية الطبيب أمين أفندى فى أوغندة

القسم الثانى

من أول يناير الى ٢١ مايو

تبادل الهدايا مع ملك أوغندة ونفاد مئونة أمين افندى

فى أول يناير من سنة ١٨٧٨ م أرسل كاتيكيرو الى أمين افندى من قبل الملك هدايا متنوعة بمناسبة رأس السنة . وهذه الهدايا هى عنزتان ومزراقان وترس مصنوع من القش وحوضان من الفخار وحذاء وقطعة من قشور الشجر مشغولة ومديتان من صنع أوغندة . وعوضا عن ذلك بعث له أمين افندى ايضا بعض الهدايا . وأعطى لأمين افندى ايضا منزل غير المنزل القاطن به وهو المنزل الذى كان يسكنه فى الرحلة الأولى وهو أقرب أكثر من نصف ساعة من المسكن الذى كان نازلا به .

ومتيسا الذى كان أمين افندى قد رأى ان صحته اعتلت كثيرا سقط فى مخالب مرض شديد ولم يتمكن أمين افندى من مشاهدته فى الايام التالية واضطر أن يطيل مدة اقامته أكثر مما كان يبتغى .

وفى ١٢ منه طلب من كاتيكيرو ان يمده بجانب من الموز لأنه هو ورجاله

لم يكن لديهم طعام سوى اللحم .

وكان متيسا لا يرسل شيئا وبدون أمره وإذنه لا يجرؤ أحد أن يرسل شيئا وكانت الأهالى تخاف أن تبيع لأمين افندى شيئا حتى بعض لوازمه .

اضطراره الى السفر والعودة الى لادو

وفى ٢٦ يناير كتب أمين افندى الى متيسا يطلب أن يؤذن له بالسفر الى مرولى لأن زاده آخذ فى النفاد وليس فى امكانه أن يدع رجاله يموتون جوعا . وبعد اقامة ثلاثة أشهر لدى متيسا أخذ أمين افندى فى نهاية الأمر أجازة تخول له السفر .

وفى ١٩ مارس عند الساعة ٨ صباحا حضر لأمين افندى من أخذه بالاحتفال المعتاد ليودع الملك . ودار الحديث بحكم الطبع حول سفره وطلبات متيسا . وتقرر ان يأخذ ٣٠ ثورا وان يرافقه الى الخرطوم كاناجوربا Kanagurba واثنان آخران ومنها يشخصون الى القاهرة لطلب الهدايا . وان يعين أمين افندى لدى متيسا شخصا بصفة وكيل ويحضر له بنادق وبارودا وطرابيش وفانيلات ومنسوجات حمراء وجوارب واحذية وجوادا . وان يرسل متيسا الى مرولى فيما بعد عاجا برسم البيع ولكن كل طلباته يجب ان تقدم له على سبيل الهدية أو يدفعها أمين افندى من جيبه الخاص . واستغرق الحديث وقتا طويلا وكان حادا وألح فيه متيسا مرارا على أمين افندى بالاياب وسلمه رسالة الى غوردون باشا واخرى للخديو بطلب بنادق « رمنجتون » Remington لجنوده . وبعد جلسة استمرت ساعتين استأذن أمين افندى فى نهاية الامر وانصرف .

وفى ٢٢ مارس جهزت جميع معدات السفر . وكان المتاع يستلزم ٥٠ حمالا غير انه ما كان يوجـــد منهم سوى ١٢ . وبعد كثير من الالحاح أمكن تكملتهم الى ٣٥ ودعت الحالة لترك ١٥ حملا وعد المتونجـــولى موكاصا Mtongoli Moukassa أن يلحق أمينا بها فى الحال . وفى الساعة التاسعة والنصف انطلقت القافلة فى المسير ورافقها جميع العرب الى مسافة ثم أفرغـــوا بنادقهم اشارة للتحية وقفلوا راجعين لحيتهم الجنود بتحية مثل تحيتهم .

وكان الطريق وهو نفس الطريق الذى سلكه أمـــين افندى فى العام المنصرم مع نور محمـد افندى يمر بين مساكن ومزارع وبعد أن سارت القافلة لغاية الساعة الواحـدة نزلت فى الخلاء طلبا للراحـة لأن الجنود كان ادركها التعب لتركها المشى من مدة طويلة . وقبيـل المساء قـدم رئيس وعشرة رجال مسلحين يحملون السلام من قبل متيسا وطلبوا بعض صواريخ فوعدهم أمين افندى بارسالها لهم عند بلوغه مرولى وسألهم أن يعجلوا بارسال متاعـــه . ووصل كاناجوريا فى ساعة متأخرة من المشى ومعه أمتعته ولم يحضر أمتعة أمين افندى

وبعد رحلة شاقة ومقاساة الصعائب مع الحمالين وصل أمـــين افندى الى مرولى وقضى بهـــا خمسة أيام وبعد ذلك تابع السير على متن الزوارق الى أن أدرك فويرا ثم اضطر أن يلبث فيها زمنا ليسترد جنـوده الذين كان المرض انهك قواهم ، عافيتهم .

ومن فويرا سلك أمين افنـدى طريق البر ميمما شطر كيروتو Keroto وفى اليـوم الاول عبر بلدا غـير مأهول مؤلفـا من تلال مصفوفة وبه غابات من اشجار الموز وجميع ما فى منطقة افريقيـة الحارة من نبات ذى رونق وبهاء . وتغـير المنظـر فى اليـــوم الثانى فمرت القـافلة بمحيط واسع من الحشائش

لتنزل فى زريبـــة من زرائب ربونجا حيث قوبلت بالبشاشة والترحاب من أتباعه ، وكانت الرحلة شاقة لعدم استواء سطح الارض ولوجود كثير من المرضى بين صفوف الفرقة الأمر الذى حمل أمين افندى على ان يمشى الهوينا .

وفى ٢٨ أبريل بلغ ماجونجـــو وداوم السير متجها نحو دوفيليه و لادو فدخل هـــذه فى ٢١ مايو وقوبل فيها بالاحتفال المعتاد ان يقابل به كبار الموظفين فكانت الحامية مصفوفة على ضفة النيـــل على هيئة عرض لتقدم له واجب التعظيم . وعرض أمين افندى الجند برفقة القومندان نور محمد بك والضباط وانتقل معهما الى الديوان الذى كانت اقامته قد تمت حديثا وهناك قدم له جميع الموجودين عبارات التهانى .

ووجد امين افندى أيضا فى لادو الوفد المرسل من متيسا ملك أوغندة فأرسله الى غوردون باشا بالخرطوم .

٢ — ملحق سنة ١٨٧٨ م

رحلة الطبيب جونكر
فى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثالث

من أول يناير الى ٢٩ يونيه

عودته الى « ريمـــو »

وفى أول يناير سنة ١٨٧٨ بدأ جونكر عـــودته مسافرا من نفس الطريق التى أتى منها . وقد تفشى مرض الجدرى بين رجاله فسبب أضرارا جمـــة وأودى بحياة الكثيرين فى الطريق وانتشر هـــذا الوباء فى كل البلد حتى بلـــغ لادو فاستحكمت حلقات الضيق وساد العسر . وترك هـــذا المرض اشأم أثر فى مكرا كا التى كانت اجمـــل منطقة فى مديرية خط الاستواء المصرية .

وكانت القافلة تسير متجمعة مع بعضها عندما تكون على أرض للاعداء وحالما تخرج منهـــا تتفرق وكل قائد محطة يسلك الطريق الذى يراه أقصر

(١) — راجع كتاب « رحلات فى افريقية » للدكتور جونكر المجلد الأول الفصل ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ .

للوصول الى محطته .

وعاد جونكر الى رعسو مع احمد الاطروش اما عبد الله أبو زيد افندى رئيس تلك المحطة فسبقها اليها لاعداد معدات الاستقبال وفعلا أنزلها على الرحب والسعة واكرم وفادتها احسن اكرام . وبعد ان أقام الاطروش زمنا يسيرا شخص الى محطته فى وندى .

زيارته لمحطة مدرفى وعودته الى أوربا

وبما أن حملة كاليكا كانت انتهت من ارتيادها منطقة مكرا كا فقد خطر ببال جونكر ان يقفل راجعا الى اوربا . ولما كانت « مدرفى » هى المحطة الوحيدة التى لم تطأها قدمه قرر ان يراها قبلما يبارح هذه البلاد نهائيا . وعلى هذا قام بدورة ليزور هذه المحطة عوضا عن ان يذهب الى كابايندى التى هى فى طريقه الى مدرفى . وفى ظرف يوم واحد دخلها واستقبله فيها توميه Tomé رئيس التراجمة نظرا لغياب قائدها . وتوميه هذا كان من ضمن رجال حملة كاليكا وكان جونكر قد اخبره بما كان ينويه من أمر ارتياد مدرفى . وقد تطوع توميه لخدمة جونكر وقدم له جميع مطالبه . أما سكان مدرفى فهم خليط مؤلف من عدة قبائل . وبعد ان أقام فيها جونكر زمنا يسيرا بارحها قاصدا كابايندى التى اتخذها محطا له . ومع انه كان غير ملم بالناحية التى مر بها فانه لم يستفد منها امرا جديدا إذ انها كانت تشابه تماما الناحية التى اجتازها من قبل .

وفى ٣٠ يناير بلغ كابايندى . ولما كان يتوقع ان يقيم فيها مدة طويلة اتخذ لنفسه الوسائل اللازمة لراحته على قدر الامكان مدة

اقامتـه وقضى اوقاته فى ترتيب وتنظـيم مجموعاته واعـداد جريدته اليوميـة وتنسيق نتائج زياداته .

وقبيـل منتصف شهر فبراير جاءه اخطار علم منه ان القافلة التى تقرر سفرها من وندى الى لادو ستبارح الجهـة الأولى نحو آخر الشهر وانها ستكون مؤلفة من اناس عديدين .

وكان من أمره أن أعد معـدات السفر ورحل الى كابابندى فى ٢٠ فبراير مارا بمكراكا الصغيرة ليزور احمد افنـدى الافغانى قائد المحطـة لآخر مرة قبل ان يبارح المديرية فاستقبله هـذا ككل مرة فى منزل منظم احسن تنظيم . ويقول جونكر انه يستحق اتم المدح والثناء لعنايته العناية البالغـة ببساتينه ومزارعه وكان هو واحمد الاطروش من اقدم الجالية فى مكراكا .

وفى ٢٢ فبراير وصل الى وندى فوجد المحطة نقلت من مكانها بعد مبارحته لها الى مسافة ربع ساعة من محلها القـديم ولكن احمد الاطروش الذى كان ترقى الى رتبـة بك ظل فى زريبته القديمة مفضلا ان يبقى فى وسط بساتينه مؤثرا عدم البعد عنها .

اما بخيت افنـدى بتراكى الذى كان هو ايضا نال رتبـة القائمقـام فقـد نمى اليه خبر قدوم جونكر فأعد ما يلزم من المعدات لاستقباله . ولدى وصوله تبين له ان القافلة لن تسافر فى القريب العاجـل وعلى ذلك أعد العدة للاقامة فى وندى مدة لأنه نظرا لما كانت تبـديه قبائل النيامبارا والبـارى المقيمون على طريق لادو والذين لم يخضعوا للآن لسيطرة الحكومة من ضروب المداوة كانت هذه تأبى ، ولها الحق فى ذلك ، أن تسمح

له بالسفر مخفورا بحرس قليل العدد .

وانقضى النصف الاول من شهر مارس وتقـــرر السفر فى ٢٠ منـه وحصل فعـــلا فى هذا التاريخ . وكانت القافلة مؤلفـة من جمع كـبير واتبعت فى سيرها النظـــام الذى سارت عليـه فى الذهـاب حتى مبيت رجـال القافلة فى المعسكرات القديمة . ومرت القافلة بنيامبارا وهـــذه المحطة دواما مفتقرة الى الزاد واحتياجاتها منه كانت ترسل اليها باستمرار من مكراكا وفى نهاية الأمر وصلت الى لادو فى ٢٩ مارس ونزل معظم رجـــال القافلة خارج المحطة كالمرة السالفة .

ولدى وصول جونكر الى لادو علم بخـــبر مـكدر وهـو خـبر سفر الباخـــرة الى الخرطوم من أيام قلائل وفى هـــذه المرة ايضا اضطر أن يخضع لأحكام القضاء والقـــدر . نعم إنه كان من النظام المقرر سفر باخرة فى كل شهر الى هـــذه المدينة ولكن المواصلات لم تـكن منتظمة مطلقا نظـرا للعوائق القائمـــة فى النهر غـير انه رغمـــا عن ذلك لم يطرأ على فـكر جونكر انه سيضطر أن يبقى فى لادو لغـاية شهر يونيـــه لأنه لو كان يتوقع حدوث ذلك لـكان سافر فى الحـــال ليرتاد محطات الجنوب التى كانت على طـول النيـــل وهى الرجاف و كـري و موجى وغيرهـــا وهى الرحـــلة التى كان يريد القيام بهـــا فى الأيام الأول من اقامته فى لادو . وعلى ذلك امتثل لأن ينتظر والآمال تخامره بأن لا يتأخر مجىء وقت سفره زمنا طويلا .

وفى وقت غيابه فى مكراكا حدثت تغيرات جمـة فى ادارة مديرية خط الاستواء فغوردون الذى تولى أمر حكمها من سنة ١٨٧٤ سافر منها وعين حكمدارا

عاما للسودان وتقرر إقامته فى الخرطـــوم وخلفه فى تولى حكمدارية مـديرية خط الاستواء أميرالألاى براوت بك غير انه لم يستمر فى هـــذه الوظيفة إلا أمـــدا قصيرا وأتى بعـده أميرالألاى ميسون بك ودار حـول شواطىء بحيرة البرت نيانزا وعمـل لها خريطة وعـــاد بعدها الى الديار المصرية . وفى وقت وصول جونـكر كان ابراهيم فوزى بك حكمدارا لمديرية خط الاستواء . وكان هذا لا بد ألا يطول أمد تمتعه بهذه الوظيفة .

وكوتاح افندى Koutah Effendi مدير لادو الذى تعرف به الطبيب أمين افندى فى ابان رحلته الأولى كان قد نقل الى إحدى محطات أعالى النيل فقتل فيها هو ورجال حامية هذه المحطة فى أثناء هجوم قام به أهالى تلك الناحية .

وفى ٥ أبريل سافر كل رجل من رجال مكراكا القادرين على حمل السلاح الى الجنوب بقيادة بخيت بك للأخـذ بثأر كوتاح افندى وجنوده وكان قد تقرر أن يتبعهم أيضا آخرون من المحطات الجنوبية .

وانقضى شهر أبريل بدون أن تصل أية باخـــرة . وفى ٢٢ مايـــو داخـل جونكر الفرح لقدوم أمـــين افنـدى من رحلتـه فى أوغنـدة التى أرسله اليها غوردون . ولدى وصـوله خرجت الحاميـة الى المرسى لتقـدم له مراسم التعظيم حيث استقبله الموظفون وعلى رأسهم المـدير نور بك محمـد و جونكر . فبعد أن سلم أمـين افنـدى على الجميـع واستعرض الجند ذهب الى الديوان وفيه قدم له واجبات التهانى كل الحاضرين .

وسر جونكر سرورا لا مزيد عليـه لوصول أمـــين افنـدى وأخـذا يتبادلان يوميا المقابلات فكان كل منهما يبدى للآخر فى غضونها ما صادفه

من المؤثرات وما جمعه من المشاهدات أثناء القيام برحلته .

وفى ٣ يونيه طرق الآذان دوى صفير مؤذن بقدوم الباخرة فكان لذلك رنة فرح فى القلوب وبعد هذا بقليل أتت وألقت مراسيها أمام المحطة وكان قدومها مباغتة تامة إذ أنه لم يعلن ذلك القدوم كالمعتاد بواسطة الدخان الذى يمكن رؤيته من مسافات شاسعة لانبطاح الاراضى المحاذية للنيل انبطاحا تاما .

ويحدث دواما وصول اية باخرة الى لادو انتعاشا وفائدة مادية فى المحطة لأنه عدا البضائع التى ترسلها الحكومة لموظفيها يجلب تجارتها ايضا معهم الاشياء فيبيعونها ويجرون من وراء ذلك مغانم .

وكانت البضائع التى ترسلها الحكومة توزع على مستخدميها بواسطة مديرى المديريات كل بحسب درجته ومركزه ويحجز ثمن ما اخذوه مما يكون استحق لهم من المرتب .

وكان يوزع يوميا للعساكر علاوة من الذرة المخزونة فى مستودعات المحطة وهذه الذرة كانت تؤخذ من الاهالى نظير الجزية المفروضة عليهم أو مما يجلب من الغنائم على أثر القيام بشن الغارات . ويوزع على المستخدمين نصيب من اللحم يوميا متى كان ذلك فى حيز الامكان . اما الجنود فيوزع عليهم أنصبة فى كل يومين أو مرة واحدة فى الاسبوع وذلك حسب عدد المواشى التى فى المحطة .

ولقد استقل من هذه الوجهة مع كر الايام عدد كبير من الموظفين بأنشاء بساتين ومزارع . وهذا العمل هو خير الوسائل لتنمية الروح

الاديـــــة بين الاهالى واقربها لتناول افهامهم . ويقول جونكر نعم ان المصريين على وجه العمـــوم أساءوا معاملة الاهالى اسا آت شديدة إلا أنهم أوجدوا فى مكركا أحوالا من شأنها أن تجعل تقدم المدنيـة فى حيز الامكان وتكسب البلد شكل حكومة جامعا لعناصر من مختلف الشعوب تسودهم حكومة وحيدة موطدة الاركان .

وذكر جونكر فى المجلد الأول من كتابه الآنف الذكر بالصفحة ٥٠٠ مامعربه .

« ان الفضل فى الزام الزنوج بضرورة الاحتفـــاظ بالسلم مع القبائل المجاورة لهم ، ومكثهم على قـدر الامكان فى مواطنهم وحـراثة اراضيهـم يرجع الى ضغط المسلمين عليهم . وهـذا أمر لا يلزمنـا ان نبخس فوائده . فبحسن مساعى الحكومة المصرية وضمت بـلاد الزنوج تحت سيطرة المسلمين فتحت بذلك الطريق لاحسن المدنيـــات ومهما اشتد ضغط حكومة اجنبية فان هـذا الضغط يكون دواما أفضل وأفيـد كثيرا للزنوج من استبداد رؤسائهم الوطنيين ذلك الاستبداد الذى ينتج منه على وجه العموم حروب ابادة وفناء بين العبيد » . اه

وقضى جونكر أيام اقامته الاخـيرة فى لادو مغتبطا مسرورا وهـــو يتأهب للرحيل . وكان ابراهيم فوزى بك الحكمدار العام فى هذه المـــدة يطوف فى أنحـــاء المراكز ووصل الى لادو قبـــل سفر الباخرة بزمن يسير . وقد كان تأخر اقلاع هـــذه الباخرة أياما قلائـل لدواع مصلحية . وفى النهاية أبحـــرت تقل كمية كبيرة من العـــاج الى الخرطـوم . ودفع جونكر أجـرة سفره هـــو وخادميه ومتاعه مبلغا قـــدره ١٦٢ ريالا ثم

ذهب ليودع أمين افندى وهذا رافقه الى أن استقل ظهر الباخرة . وكان ذلك يوم ١١ يونيه . ورست الباخـــرة فى محطات بـور و شمبى و السوباط و فاشودة و جهات أخرى لأخـذ وقود ووصلت فى نهاية الأمر الى الخرطوم بتاريخ ٢٩ يونيه بدون حدوث أى طارىء فى طريقها وذلك بعد أن قضت فى رحلتها هذه ١٨ يوما .

وحالما وصل جونكر بادر بتقديم تشكراته الى غوردون للتسهيلات التى صادفها بناء على أمره . ثم بعد أن أقام شهرا فى الخرطوم بارحها فى ٢٨ يوليه ميمما القاهرة عن طريق وادى حلفا ثم رحل من القاهرة الى أوربا .

٣ — ملحق سنة ١٨٧٨ م

رحلة المبشر فلكن

من لادو الى أوغندة (١)

القسم الأول

من ١٨ نوفمبر الى ٣١ ديسمبر

فى فصل الربيع من سنة ١٨٧٨ م وردت الانباء الى جمعية مبشرى الكنيسة الانجيلية الانكليزية بأن الأهالى قتلوا عضوين من أعضاء بعثتها التى فى أوغندة عند شواطىء بحيرة فكتوريا نيانزا وعلى ذلك لم يبق من تلك البعثة فى أوغندة سوى المبشر ولسن Wilson . وعلى أثر هذه الانباء قررت الجمعية المذكورة أن ترسل إليه امدادا مؤلفا من المبشرين « ليتشفيلد » Lichfield و « بيرسون » Pearson و « هول » Hall و « فلكن » Felkin ووقع الاختيار على ان تسير هذه البعثة عن طريق النيل لأن غوردون باشا الذى كان وقتئذ حكمدارا عاما للسودان كان عرض ان يدفع نفقات جماعة من المبشرين ويدعهم يمرون من حكمداريته الفسيحة المترامية الاطراف بدون ان يدفعوا شيئا ما .

(١) — راجع الجزء الذى وضعه فلكن من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » الفصل ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٦.

وليس من اغراض هـذا الكتاب التعرض لوصف القسم الخاص برحلتهم خارجا عن حدود مديرية خط الاستواء فنكتفى بالقـول إنهم سافروا من انكلترا فى ٨ مايو سنة ١٨٧٨ وبلغوا لادو عاصمة المديرية فى ٩ أكتوبر من نفس ذات السنة فاستقبلهم امين بك الحكمدار وبذل لهم جميع ما فى استطاعته من التسهيلات .

وكان المبشر هول قد افترق من هـذه الجماعة فى سواكن ومن هـذه قفل راجعا الى بلاد الانكليز وذلك بسبب مرضه . وحـال وصولهم الى الخرطوم أصـدر غوردون باشا أمرا بتزويدهم بالحمالين بدون أن يدفعوا شيئا وأن يعطى لهم عند الاقتضاء حرس من الجند وأن تقدم لهم مساكن فى كل محطة مصرية فى جميع دائرة حكمداريته .

وفى ١٨ نوفمـبر تابعوا مسيرهم من لادو ميممين الرجاف ومن هـذه أبحروا على متن سفينتين ليصعدوا شلالات بيدن ولم يتم لهم ذلك إلا بعد أن اقتحموا اخطـارا شديدة وبعد أن جـر التيار رجلين من أولئك الذين كانوا يجرون السفن بالاحبال . وكان الممر رائعا جميلا وأفراس البحر يموج بكثرتها ماء النهر .

واستغرقت رحلتهم الى دوفيليه ستة أيام ودخلوها فى ٢٤ نوفمبر فأعجبتهم متانة بناء محطتها وهى واقعـة على ضفة النيل وذات أهميـة عظمى وشوارع هـذه القرية نظيفة ومتسعة ومساكنها مصنوعة من أعواد الخيزران بينما مكتب الحكومة وهـو فسيح الارجـاء مبنى من اللـبن وكان يوجد مخازن كبرى مبنية بالآجر والعمارة الأكثر أهميـة فيها هى الترسانة النهرية لأنها رأس خط الملاحـة الى الجنوب ومحل مرسى الباخـرتين

« الخــــديوى » و « نيانزا » ، والاولى منهما ذات قوة كبيرة ولها رفاسان وحمولتها ١٠٨ أطنان وطولها ١٠٠ قدم وحالة الاثنتين فى غاية من الجــــودة وللسفينة الأولى أيضا مخادع يجد فيها المسافرون الراحة التامة . ويكتنف المحطة سياج من الخشب وبها ثلاثة مدافع ميــــدان وللمستخدمين بساتين حسنة فيهــــا سائر أنواع الخضر المحلية . ويوجــــد على الضفة الشرقية مساحات واسعة مزروعة ذرة . وهــــذا النوع يتوسعون فى زرعه فى هــــذه المنطقة كثيرا جدا .

وكان النهر صالحا للملاحة لغاية ماجونجو وبحيرة البرت نيانزا ويستغرق السفر ٣ أيام وكانت الباخــــرة « الخديوى » لنكد حظهم داخلة فى العمرة فالتزمــوا الابحار على متن الباخرة « نيانزا » التى أقلعت من « دوفيليه » فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ .

وكانت كل المسافة تموج بالقرى والمزارع لكثرتها على الضفتين .

وفى ٢٣ منـه وصلت الباخرة الى مصب بحــــيرة البرت نيانزا وأخذت تمايل بسبب تماوج مياه البحيرة ولكن بعد ملاحة ساعة دخلت ثانية فى النيل وعندئذ عادت الى الهدوء وبعد قليل افضت الى ماجونجو .

وكانت محطة هذه الناحيـة قد أقيمت فى الأصل على الرأس الفاصل بين مصب النيل والبحيرة . ولما كانت التيارات أخذت تعدو على هذا الرأس فتجرفه دعت الحالة لنقل المحطة الى داخل الأرض .

وكانت هـذه المحطة مبنية بناء جيدا والنظافة مرعية فيها ويحيط بهــــا متراس قـوى من التراب وخندق عمقـه ١٠ أقدام ويوجد بها مدفع ميدان

وأنبوبتان للصواريخ وعدا الحرس كان يوجد فيها أيضا نقط أمامية لأن كباريجا ملك أونيورو كان يرنو اليها بعين الجشع .

وكان المرسى على شكل حدوة الفرس وكان الوابور يرسو فيه لعمقه . ولدى وصول المبشرين اصطفت فرقة من الجند أمام المرسى وعلمها يخفق على رؤوسها وحال نزولهم من الباخرة حياهم أولئك الجنود وعزفت الابواق السلام الوطنى المصرى .

ونظرا لغياب القومندان مرجان افندى الدناصورى استقبلهم وكيله محمد افندى وهو ضابط باسل لم يزل فى ريعان الشباب بحفاوة كبرى . وكان منظر العساكر بكساويها البيضاء بهجة للناظرين .

وأنزلوا أولئك المبشرين فى أكواخ قائمة فى بقعة جميلة جدا تحت شجرة باسقة وخارج المتراس بالضبط .

وكانوا قد قرروا أن يقوموا فى الغد ٢٤ ديسمبر بجولان عند مساقط مورشيزون ولذا استيقظوا مبكرين ولدى وصولهم الى المرسى وجدوا الباخرة نيانزا متأهبة للسفر وكان محمد افندى قد أعد لهم غذاء فاخرا ليأخذوه معهم فى جولانهم وسافروا فى الحال .

وبعد أن تركوا وراء ظهورهم ماجونجو أخذ النهر يضيق تدريجيا وابتدأت الضفاف فى الارتفاع . وطفقت الأعين تقع فى الجانبين على أشجار بلغت مبلغا عظيما فى الجسامة ونبت بهيج وطيور ريشها جامع لمختلف الألوان وقردة . أما النهر فماؤه كان يموج بكثرة ما فيه من تماسيح وافراس بحر . وبالاجمال تحتوى هذه البقعة على جميع ما احتوى عليه منظر المنطقة الحارة

من بهاء وجـــلال . وكلما اقتربوا من المساقط زاد اضطراب الماء وازداد دوى سقوطه . وفى نهاية الامر صارت المساقط بمرأى منهم غير انهم لم يتمكنوا من الاقتراب منها الى مسافة تقـــل عن نصف ميل وظلوا برهة طـــويلة منـذهلين أمام جمـــال سقوط الماء سقوطا رأسيا من عـلو ١٢٠ قدما . ثم حاولوا النزول من الباخـــرة ليقتربوا من المساقط سعيا على الاقدام ولـكنهم باءوا بالفشل بسبب تراكم الاشجار وكثافتها . ثم بعـد ان متعوا ابصارهم مرة أخـــرى بهـذا المنظر الفتان وهم فى البـاخـرة قفـلوا راجعـين الى ماجونجو .

ووقع عيـد الميلاد فى اليـوم التـالى فأتى اليهم موظفو المحطة وقدمـوا لهم أحسن التمنيات ودعاهم قائد المحطة للغداء عنده وكان هـذا الغداء على حسب اعترافهم من ألذ ما تناولوه من الطعام فى افريقية .

وأقامـــوا أيضا يومين فى ماجونجـــو ليظفروا بحمالين غير ان هـذا الأمر لم يـكن سهـل المنـال لأن كباريجا سمـع بقـدومهم فأمر بأن لا ينقل أحد متاعهم ولـكن محمد افندى أخذ على عاتقه ان يقدم لهم مطلوبهم وفعلا أحضر لهم الحمالين .

وفى ٢٨ ديسمبر انطلقوا فى السير بعد ان حيتهم الجنود التحية العسكرية كما حدث عند قدومهم وبعد ان ودعوا الضباط ذاكرين لهم كرم ضيافتهم وعظيم فعالهم وحسن مقاصدهم .

وتركوا الباخرة فى ماجونجو لأنها لا تستطيع ان تبعد اكثر من ذلك وساروا برا على ظهور الحمير وتجشموا كـثيرا من الصعاب مع الحمالين الذين

كانوا من طبقة الاوغاد غير أنه كان يرافقهم لحسن الحظ حرس قوى من الجنود فعاونهم معاونة كبرى . وهجم عليهم وهم فى الطريق رجال كباريجا فى اليوم الأول لأن هؤلاء الرجال ما كانوا يتوقعون ان يروهم مخفورين بحرس . وارتد المهاجمون تاركين على الثرى رجلا منهم . وأقيم فى الليل حرس قوى وحدث فى غضونه عدة هجمات فردتها نيران الجنود . ومما زاد الطين بلة تهاطل الامطار وهبوب الزوابع وعصف الرياح وبالاجمال كانت الرحلة غير سارة أبدا .

وبقية هذه الرحلة مسطورة فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

٤ — ملحق سنة ١٨٧٨ م

رحلة المبشر ولسن
من أوغندة الى كسونا (١)

ذهــــابا وإيابا

...

القسم الأول

من ٢١ نوفمبر الى ٣١ ديسمبر

كتب استانلى فى مارس سنة ١٨٧٥ وكان عندئذ فى أوغندة رسالة نشرتها الجـــرائد الانكليزية يقول فيها ان هذا البلد صالح جدا لأعمال المبشرين . وفى خبــر عدة أيام عرضت عدة هبات على جمعية مبشرى الكنيسة اذا هى تعهدت بارسال بعثة الى بلد متيسا . وقبلت الجمعية ووجهت الدعوة الى المتطوعين فلبوا دعوتها . وفى ربيع سنة ١٨٧٦ سافرت من انكلترا الى زنزبار بعثة منظمة تنظيما تاما برئاسة الملازم « سميث » Smith . ووصلت الى شاطىء بحيرة فكتوريا نيانزا الجنوبى فى مايو سنة ١٨٧٧ .

وكانت هذه البعثة مؤلفـــة من أربعة أعضاء مات منها الدكتور سميث لدى وصوله الى البحيرة وقتل اللازم سميث والمستر « أونيل » O'Neill

(١) — راجع الجزء الذى وضعه ولسن من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » ، الفصل العاشر .

بيد الاهالى فى جزيرة من جزر البحيرة وبقى منها المبشر ولسن وظل وحده فى أوغنده لغاية خريف سنة ١٨٧٨ م

وعندما علمت الجمعية بهذا المصاب بادرت بارسال بعثة أخـــــرى . وفى ٦ نوفبر وصل الى ولسن من الحكمدار أمين بك فى روباجا خطاب يقـول له فيه انه سيأتى قريبا ثلاثة مبشرين عن طريق النيـل الى مرولى وهى آخـر محطـة عسكرية مصرية فى الحد الجنوبى واقعة على بعد ٣٠٠ كيلومتر من روباجا .

وفى ٢١ نوفمـــــبر سافر ولسن من روباجا الى مرولى وفى ٦ ديسمـبر شاهد العلم المصرى على مسافة يخفق على هذه الناحيـــــة . ولدى وصوله اليها أطلقت المحطة مدفعين إيذانا بقـدومه ووجد فرقة من الجنــــــد مصفـوفة خارج المحطــــة فقدمت له الاسلحة تعظيما وعزفت الأبواق السلام المصرى . واستعلم عما اذا كان رجال من البيض قد قدموا فأجيب سلبا . غـير انه قدم اليـه خطاب من بيرسون وهـو مبشر آخر يدعــــوه فيـه أن يأتى الى فويرا وهى محطة عسكرية مصرية أخرى واقعة على بعد زهاء مائة كيلومتر من مرولى .

واستقبـل ولسن احسن استقبال وقدم له الضباط واجبات الضيـافة فى محطة مرولى ووضعوا تحت تصرفه ديوان الحكومة وقدمـوا له الطعام بالمزيد لأن الحكمدار كان أصدر الأوامر بأن يعامـل اذا أتى الى مرولى أو أية محطة أخرى من محطات مديريته معاملة ضيف عزيز نازل عنده .

وفى ٩ ديسمبر شخص من مرولى الى فويرا فوصل اليها فى ١١ منه وكان يأمل أن يجـد فيها اصدقاءه إلا أنهم ما كانوا وصلوا اليها لغاية هـذا التاريخ .

ووضع تحت تصرفه محمد افندى قومنـــــدان المحطة الذى كان عقـد معه عروة الصداقة كوخا حسنا جدا خارج المحطة مطلا على النيل ومشرفا على منظر جميل وعلى النواحى المجاورة .

وفى النهاية ورد له فى ٢٦ ديسمبر خطـاب من بيرسون وفلكن يقولان فيه ان المرض عاقهما وانهما سيأتيان بطريق البرت نيانزا وماجونجو .

وبقية هذه الرحلة مذكورة فى الملحق الأول للسنة التالية .

سنة ١٨٧٩ م

حكمدارية أمين باشا

إنجازه للأعمال الادارية فى ماجونجو

لم يتصل بنا شىء من أخبار تنقلات هذا الحكمدار لغاية شهر نوفمبر من هذه السنة وقد يجوز أنه ظل مقيما فى لادو . وقد سافر فى هذا التاريخ الى دوفيليه ومن هذه الجهة شخص نحو الجنوب .

وفى ١٧ نوفمبر وصل الى وادلاى فلم يحضر اليه شيخها المسمى أيضا بهذا الاسم غير أنه أرسل اليه أخاه مصحوبا بثلثمائة زنجى ومعه نابان من أنياب الفيلة بصفة هدية . وسبب عدم قدوم الشيخ على ما يظهر أنه رجل بادن بدرجة لا يقدر معها على المشى .

وقدم له الحكمدار هدايا وحادثه بصدد إقامة شبطة فى ناحيته وطال بينهما الأخذ والرد إلا أن الخاتمة كانت مرضية ووعده الحكمدار بأن يشدد الرقابة على جنوده وعلى ذلك وافق على إقامتها ثم طلب منه أن يحضر له وقودا للباخرة فأجيب الى طلبه فى الحال . وعلم من الأهالى أنهم يتبادلون متاجر واسعة النطاق مع الشوليين Shoulis فى الضفة الشرقية وأنه فى حيز الاستطاعة الذهاب الى فاتيكو عن طريق فابو فى ظرف ثلاثة أيام .

وتحركت الباخرة بعد شحن الوقود وكان التيار شديدا جدا وبعد

انحدار ست ساعات ألقت مراسيهـا عند سفح سلسلة تلاع بقصد مقابلة شيخ آخر غير أنه لسوء الحظ بمجرد إدراك القرية الواقعة خلف التلال لوحظ أن جميع الأهالى تعلقوا بأذيال الفرار وقضت الحال أن يرسل اليهم ترجمانا ليدخل فى روعهم الطمأنينة . وفى نهاية الأمر أقنع واحدا منهم بالرجوع وهذا وعد بأن يذهب فيستحضر الشيخ ولكنه عاد فى اليوم التالى وقال إن الشيخ يأبى اجابة دعوة الحضور لأنه استقبح عدم المجىء اليه مباشرة .

وانطلقت الباخرة تشق عباب الماء فوصلت فى العشى الى ماجونجو الواقعة عند مدخل بحيرة البرت نيانزا حيث عقد هذا الحكمدار النية على الاقامة وقتا يسيرا .

وقضى مدة إقامته فى إنجاز الأعمال الادارية ودرس العلاقات المتبادلة مع الأهالى وكان شأن هذه المحطة شأن المحطات الأخرى من جهة نفاد الذخيرة ومختلف الواردات بسبب انسداد النهر فى مناطق السدود الأمر الذى نشأ منه قطع المواصلات مع الخرطوم زهاء حولين .

وفى ٦ ديسمبر قدم من أوغندة وفد يحمل هدايا من متيسا ووزيره الاول كاتيكيرو برسم الحكمدار ومكاتيب منهما ومن عرب أوغندة والمبشرين الانكليز والفرنساويين .

سفره الى محطة ماهاجى وزيارته الضواحى التى حولها

وأبحر الحكمدار بعد أن أنهى ما لديه من الأعمال فى ماجونجو الى محطة « ماهاجى » Mahagi الواقعة على شط بحيرة البرت نيانزا الغربى

ومشت الباخرة مع امتداد الشط المذكور وكان عمق الماء لا يتجاوز ثماني عشرة قدما . وصادف صعوبة في النزول لدى وصوله أمام المحطة بسبب قلة غور الماء .

وهذه المحطة قائمة في وسط حقول نضرة منظرها يأخذ بالالباب وخلفها سلسلة طويلة من الجبال المرتفعة وأمامها ماء البحيرة ممتدا الى مسافات شاسعة .

وذهب أمين بك لزيارة سوندا Sonda وهو رئيس قرية كبيرة تسمى « توا » Toa واقعة قرب المحطة . واكواخ هذه القرية مبنية على نمط اكواخ الأونيورو . فوجد نساءها منهمكة في القيام بالاشغال المنزلية والرجال يشتغلون بالفلاحة وبصيد الأسماك والقنص وحلب البقر والمعز . أما مزروعاتهم فهي الذرة البيضاء والصفراء والتبغ والسمسم والقثاء والبامية .

والطريق البرية بين محطتي ماهاجي و وادلاي تمر بمنطقة جبلية وقائم عليها قرى كبيرة . أما أمر النظافة والنظام فيها فحدث عنها ولا حرج . وهذه القرى حافلة بكثرة سكانها وبها من الأنعام القطعان الكثيرة . وقدم الى أمين بك بعض رؤساء الزنوج المقيمين في الضواحي لزيارته فأثروا في نفسه تأثيرا حسنا سواء أكان من جهة الهيئة أم من جهة أساليبهم . وعلم منهم أنهم يقرون لكباريجا بالسيطرة عليهم وانه يوجد بينهم وبين منطقة الأونيورو صلات متينة وأنه يوجد كذلك تجارة واسعة النطاق تقوم بنقلها مراكب تسير بمحاذاة ضفة النهر الغربية الى ان تصل الى مصب النهر فتجتازه وتذهب الى ماجونجو أو « كيبيرو » Kibiro وتبادل على

ما فيها من الحاصلات . وسكان هذه الناحية يختتنون .

وكان الحكمدار يود لو أتيحت له إطالة إقامته في هذه المنطقة الكثيرة الأهمية غير أن اعماله كانت تتطلب قيامه الى جهات أخرى فولى وجهه شطر الشمال . وجاء آخر الحول وهو فى دوفيليه .

١ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر ولسن من أوغندة الى كسونا (١)

ذهابا وإيابا

القسم الثانى

من أول يناير الى ١٠ فبراير

وفى أول يناير تلقى ولسن رسالة من بيرسون يقول له فيها إنهم أمسكوا مرة أخرى فى كيروتو عن متابعة السفر بسبب ما لحقهم من التعب والنصب . وكيروتو هذه محطة مصرية أخرى على مرحلة ثلاثة ايام من فويرا . وعلى ذلك قرر ولسن أن يذهب لمقابلتهم إذ أنه لم يعد فى استطاعته ان ينتظر أكثر من الوقت الذى قضاه فى الانتظار فسافر فى اليوم التالى بصحبة ثلاثة من الجنود وثلاثة حمالين وخدمه .

ولدى بلوغه « كسونا » الواقعة على بعد بضع ساعات من كيروتو وجد فيها أنفينا رئيس الناحية فعلم منه أن أصدقاءه بارحوا كيروتو وأنهم سيكونون فى كسونا فى عشية نفس اليوم . وفى الساعة الثالثة وصلت القافلة

(١) — راجع الجزء الذى وضعه ولسن من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » الفصل العاشر .

فكان ضمنها پيرسون و ليتشفيلد فقط إذ كان فلكن بقى فى كيروتو مع الترجمان الذى كان يعالج سكرات الموت . وقضوا الليل معا يتسامرون فى مختلف الشؤون الى الهزيع الأخير منه .

وفي الغد لحق بهم فلكن وكان الترجمان قد أدركته منيته فى الليل . وتابع الجميع السير الى فويرا من جديد فدخلوها فى ٧ يناير وأقاموا بها أسبوعين ثم شخصوا الى مرولى لأنهم علموا أن الحمالين الذين طلبوهم من متيسا قد وصلوا الى هذه الجهة .

وفى ٢٧ يناير أفغنوا الى مرولى فوجدوا فيها الحمالين الذين بعث بهم متيسا وسافروا منها فى ٣ فبراير . وفى ٨ من هذا الشهر اجتازوا الحدود المصرية . وفى ١٤ منه حطوا رحالهم فى روباجا .

٢ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر فلكن
من لادو الى أوغندة (١)

من أول يناير الى ١٤ فبراير

فى أول يناير من سنة ١٨٧٩ وصلت جماعة المبشرين الى كيروتو وهى محطة عسكرية مصرية . وداخلهم شيء كثير من المسرة عندما وجدوا أنفسهم فى كنف سياجها إذ أنهم فى غضون جولاتهم فى المسافة الواقعة بين ماجونجو والمحطة المذكورة كانوا عرضة لتغير حالة الجو وعدم اعتداله ومجاهرة الاهالى بالعدوان . وحاق بهم شيء من الاحزان بسبب موت ترجمانهم نقولا السورى الذى لبث بعض وقت مريضا ثم عاجلته المنية عند وصولهم ودفن فى موضع مناسب .

وموقع المحطة بديع للغاية . ويوجد هذا الموقع فى وسط أرض مكشوفة لا شجر فيها تحيط بها غابة شاسعة مترامية الاطراف . وأنشىء حولها فضاء مساحته ٢٠٠ متر حتى لا يجد العدو ملجأ يأوى اليه . ولما لم تكن الحامية ذات قوة كافية لتقوم بالحراسة وتشتغل فى وقت واحد كانت لا تمتار إلا بصعوبة لا سيا أن القرى التى تكتنفها ليس فيها مصاف ولا صديق وكباريجا لم يأل

(١) — راجع الجزء الذى وضعه فلكن من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » الفصل ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٦.

جهدا ان يخلق لها المتاعب دواما .

وقد قال المبشر فلكن فى المجلد الأول من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » ص ٣٢٤ :—

« انه لما يؤسف له عدم القضاء على حكم هذا الملك المستبد الغشوم ـ يعنى كباريجا ـ ذلك الأمر الذى كان قد تم من زمن لولا المعارضة الشديدة التى كان يبديها بعض اشخاص فى بلاد الانكليز . وهؤلاء الاشخاص هم أولئك الذين يرون بعين الحسد كل امتداد يحدث فى الاراضى المصرية نحو الجنوب . وزاد على ذلك بأن قال : ان فى استطاعته ان يقرر وهو مستريح الضمير ان اجزاء البلاد الواقعة تحت السيطرة المصرية والمحكومة بنفس ذات الطريقة التى يسير عليها فى حكمه حكمدار مديرية خط الاستواء الحالى لهى فى حالة احسن كثيرا مما كانت عليه تحت سيطرة ملوكها الغشم المستبدين » . اه

ويظهر من هذا الكلام ان الانكليز منذ ذلك الوقت كانوا واقفين لنا بالمرصاد فى السودان ولا يرغبون أن نتوغل فيه ونمتلك من اراضيه شبرا .

وأتى انفينا ليزورهم فى كيروتو وفى ٤ يناير ولوا وجوههم شطر « پانياتول » Panyatole وهى مقر انفينا . وهبت عليهم فى الطريق عاصفة مصحوبة بمطر فبللتهم . ولدى وصولهم اليها وجدوا المبشر ولسن الذى كان قد قدم اليها من أوغندة بقصد مقابلتهم .

وكانت كل قرى هذه الناحيـــة تحيط بها زرائب ذات أوتاد لوقايتها من كباريجا ومن عادية النمـور . وهذه الزرائب ليس لها سوى مدخل واحد يقفل ليلا .

وقابلهم انفينا مقابلة ودية للغاية وأحسن مثواهم وكان ديوانه غاية فى النظافة وأرضيته مفروشة بالابسطة التركية .

وانطلقوا فى اليـــوم التالى فى الطريق ميممين فويرا . وكان الطريق وعرا وعـــر فى جوف ارض فسيحة واسعة مغطاة بالاشجـــار والحشائش العاليـــة وبها جذوع اشجار تحول دون المرور . وكان يرافقهم حرس من الجنود .

وبلغـــوا فويرا فى اليوم التالى لسفرهم . وكانت المحطة قائمـــة على مرتفع عنـــد منعرج النهر وذلك ما جعلها حصينة من جانبين . أما اتساع النهـــر فى هـذا المكان فيبلغ ٨٠٠ ياردة وماؤه عميـق جـــدا فتستطيع البواخر الكبيرة أن تمخر فيه لغاية أوروندوجانى . ويوجـــد بعد هذه الناحيـــة الاخيرة مساقط تحول دون الدخول فى بحيرة فكتوريا نيانزا . ولا بد من ايجاد ميناء بين فويرا و ماجونجو لأن انحدار النيل بين هاتين الجهتين يبلغ ٧٠٠ قدم .

وفى الغـــد أبحروا فى زوارق من فويرا وبعـد ستة أيام أفضوا الى مرولى وهى أقصى محطة مصرية فى الجنـــوب وكان وصولهم اليها فى ٢٧ يناير سنة ١٨٧٩ م .

وفى ٣ فبراير بارحـوا مرولى وتركوا فيها حرسهم المـــؤلف من

الجنـــود المصرية آسفين أشد الأسف لفـــراق رفاق غاية فى المـــودة والاخلاص .

وكان متيسا قـد أرسل لمقابلتهم ١٥٠٠ رجـل و ٤٠٠ حمال . وفى ١٤ فبراير دخلوا روباجا عاصمة بلاده .

وعند سفرهم من بلاد الانكليز كانوا قد سخروا من فكرة امكان الوصول الى أوغندة بطريق النيل . حتى ان استانلى أكد لهم بأنهم لن يصلوا ومعهم نصف أمتعتهم . ومع ذلك قد وصلوا من سواكن الى روباجا ولم يفقـد لهم طرد واحد .

٣ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر فلكن من أوغندة الى لادو [1]

من ١٧ مايو الى ١٨ سبتمبر

سفره الى مرولى

كان قد تقرر أن يسبق فلكن المبشر ولسن فبعد أن أقام فلكن فى أوغندة ثلاثة أشهر بارحها فى ١٧ مايو سنة ١٨٧٩ وسافر الى مرولى فوصل اليها فى أول يونيه من هذه السنة . وبما أنه لم يخبر أحدا بقدومه فلم يقدم له التحية سوى بوق واحد وطبل واحد وخمسة من الجنود . وبادر صديقه القديم « فرج افندى اجوك » Ajok قومندان الموقع بالاتيان للسلام عليه وليعبر له عما خالج قلبه من عظيم المسرات لمشاهدته مرة أخرى . وكان هذا الضابط وهو فى ريعان الشباب من جنود الحرس الخاص لسير صمويل بيكر وقد حدث فى يوم من الأيام ان أمر باعدامه رميا بالرصاص لهربه من الجندية ثم عفا عنه وبعد ذلك ترقى الى أن صار ضابطا من خيرة الضباط .

(١) — راجع الجزء الذى وضعه فلكن من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » ، الفصل ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٦ .

وكانت جميع الجنود مشتغلة بتقوية المتاريس وكان سلاحهم مصفوفا على شكل باقة بجانبهم استعدادا للدفاع فى حالة ما اذا طرأ هجوم لأن كباريجا كان قد هدد المحطة وقتل الأهالى بعض الجنود ولكنهم عوقبوا عقابا زاجرا واستولت الجنود منهم على ٨٠٠ رأس من الأنعام غنيمة .

وفرح الضباط لاياب فلكن لأنهم ما كانوا يتوقعون أن يروه مرة ثانيـــة بعد الاشاعات التى تواترت عنـــه بسبب مالاقاه من الصعاب فى أوغندة .

ونـ يطلب فلكن تمسا بالاقامة فى مرولى لأن ماحولها كان مغمورا بالماء وفيها اسراب كثيرة من البعوض وكان أكثر الضباط وجميع رجال المدفعية وهم مصريون : مصابين بالحمى .

وكان ريونجا يسكن بالقـــرب من مرولى وكان يتيه عجبا بالعلم الذى أعطيه وكان من وقت ما تبادل الدم مع سير صمويل بيكر الحليف الأمين للحكومة .

سفره الى خطتى كودج و فويرا

وفى ١٠ يونيه غادر فلكن مرولى ووصل فى اليوم ذاته الى « كودج » Kodj . وكودج هـذه هى المعسكر العام لريونجا ويوجد فيها حصن مصرى وقومنداته سليم افنـدى مطر الذى ترقى فيما بعـد ونال رتبـة بك ولعب دورا هـاما فى فترة حملة استانلى واخلاء مديرية خط الاستواء . وقطع فلكن هذه المسافة فى زورق بالنيـل . وكان اتساعه ٨٠٠ ياردة وكانت ضفتاه جديرتين بريشة المصور وبها نباتات وافرة منظرها يأخذ بمجامع القلوب .

وكانت محطة كودج هـذه واقعة فى موضع ذى منظر فتان على شاطىء النهر . فأقام فيها فلكن فى لذة وحبور يومين كاملين وأبحر ثانيـة منها فى زورق قاصدا فويرا . وكانت المسافة بين كودج وفويرا ثلاث ساعات لا أكثر وقوبل من قومندانها احمد افندى محمد وأقام بها لغاية ٢ يوليه إلا أنه كان منحرف الصحة طول مدة اقامته .

وفى ١٨ يونيه عندما كان مقيما فى فـويرا سمع اطلاق مدفع مؤذنا بأن البريد أصبح بمرأى من المحطة فسر لذلك ولكنه ماعتم أن حاق به شىء من الأسف إذ لم يرد له سوى مكتوب من أمـين بك يدعوه فيه الى الحضور فى فاتيكو حيث نوى الذهاب لمقابلته . ولما لم يكن قد وصله أى خبر عن ولسن وكان يريد أن يقابل أمين بك ليعرض عليه مشروعاته قرر أن يسافر حالما يوجد الحرس وعقد النية على أن يرجع لمقابلة ولسن ولكن الظروف حالت دون تحقيق غرضه .

سفره الى فاتيكو واستقباله بها

وعلى ذلك بارح فـويرا فى ٢ يوليه وبعد ستة أيام وصل الى فاتيكو . وعلى حسب العادة المتبعة أطلق عيـار نارى عند اقترابهم من المحطة فأجابه الحصن بطلق آخر ورفع العلم المصرى وفى الحال ظهرت الجنـود بكساويهم البيضاء واصطفوا صفين ليحيوا القادمين بتقديم أسلحتهم وانتظم ايضا الحرس . ولدى وصوله أمام الحامية وقف بمواجهتها وحيا الفريقان بعضها . وفى هذه البرهة رددت الابواق السلام الوطنى المصرى ونزل العلم .

وبعد تأدية هذه الرسميات سلم فلكن على قائد المحطة عبد الله افندى

نير وعلى صاحبه القديم مرجان افندي الداناصوري قائد محطة ماجونجو الذي كان فى فاتيكو فى ذلك الوقت وعلى الضباط ووجد خطابا جاءه من واسن من مرولى وكان الساعى قد نسى أن يسلمه اياه غير انه تكدر غاية الكدر إذ رأى ان أمينا لم يأت الى فاتيكو لأنه استدعى الى لادو لأعمال هامة وهو فى منتصف الطريق .

وقضى فلكن فى فاتيكو أسبوعا وهو مغتبط غاية الاغتباط . وكانت المحطة موضوعة وضعا جميلا وكان الهواء عليلا بليلا ولا أثر للبعوض . وكانت قبائل الشوليين الواقعة المحطة فى بلدهم مخلصين للحكومة فلا يكبدونها شيئا من التعب . وكان فى استطاعة الجنود ان يسيروا بغير سلاح واذا وقع أحدهم فى مخالب المرض بعيدا عن الحصن حملوه على نقالة وأتوا به الى المحطة .

وكان السهل الذى يحيط بالمحطة خصبا للغاية ويلمح المرء على مد البصر حقولا مزروعة حبوبا وهذه الناحية هى فى الواقع مستودع حبوب المديرية فمنها ترسل الذرة الى مرولى و كيروتو بل فى بعض الاوقات الى لادو أيضا .

سفره من فاتيكو الى محطة كري

وفى ١٢ يوليه غادر فلكن فاتيكو بعد ان ودع القائد والضباط الذين أظهروا له الشيء الكثير من التودد والمجاملة مدة اقامته بينهم وذهب الى دوفيليه فدخلها فى ١٦ منه ووجد المحطة حدث فيها تحسين كبير فأقيمت اكواخ جديدة ودهنت البواخر حديثا وكانت كل الاشياء مرتبة

ومنظمة تنظيما متقنا .

ولما كان الحمالون متأهبين للرحيـــل عقـد العزم على السفر في اليـوم التالي لوصوله وكانت المناطق التي اجتازها غاية فى البهاء فالجبال من ناحية والنيل من ناحية أخرى لاسيما عندما ينحصر النيل فى المضيق الواقع شمال دوفيليه ويتدهور ماؤه بسرعة فوق الصخور مرغيا مزبدا .

ومر فلكن ورفاقه بلابوريه وهى محطة واقعة على ضفـة النهر فى موضع بلغ نهاية الحسن بجانب جبـــل يشرف على النهر ويبلغ ارتفاعه ٢٦٠٠ قدم . وكانت المحطة محصنة تحصينا عظيما وكان يوجد بها عــدا الجنود الذين خرجوا ليحيوه اربعة من الفيلة الاليفة .

وبعد لابوريه أفضى فلكن ومن معه الى موجى وهى المحطـة التى فككت فيها البواخر لاعادة تركيبها فى دوفيليـه لأنه كان يستحيل جرهـا فى المساقط بالاحبال . وباشر جميع هـذا العمل مهندس مصرى يقال له ابراهيم افندى خليفة فقام به خير قيام واستحق جزيل الحمد ومزيد الثناء .

وعند زيارة فلكن الأخـيرة كان تشييد المحطة قد أعيد فى موضع آخـر جميـل بسبب غمرها بمـــاء الفيضان وأقيم المسكر على ضفـة النهر تحت شجرة ضخمـة باسقة تجاه جبل عـلوه ١٥٠٠ قدم على الضفـة المقابلة . ويتألف من كل هذا منظر يسحر الالباب ويسبي العقول .

وفى اليـوم التالي شرعوا ثانيـة فى الترحـــال واستمروا فى مسيرهم حتى بلغـوا محطة كرتي . ويشغل حصن هذه المحطـة بقعة فى غـاية المناعة وهو واقع على منعرج النهر الذى يقى ذلك الحصن من ناحيتين والناحيتان الاخريان

يحميها سور متين مشيد بالاحجار ولما كان يكتنفه أرض مكشوفة صار أمنع من عتاب الجو .

وقبل أن يصل اليها رأى على الضفة الاخرى تحت شجرة كبيرة قبر إرنست دى بلفون الذى قتل فى هذه الناحية . وقضى فلكن فى كري يوما هنيئا مع انه التزم أن يعالج عددا ليس بالقليل من المرضى عرضوا أنفسهم عليه .

سفره من كري الى لادو

وفى ٢٢ يوليه أبحر من كري فى زورق ميما « بيدن » Bedden . وكان اتساع النهر فى تلك الناحية لا يزيد عن ٤٠٠ يارده وضفتاه مرتفعتان كثيرا فوصلوا اليها فى زمن يسير إذ قطعوا المسافة بين المحطتين وقدرها ٥٠ كيلومترا فى ظرف أربع ساعات . وهاجم مركبهم فى اثناء الطريق فرس ماء فقتله فلكن والجاويش الذى كان يرافقه بطلقين ناريين .

ومحطة بيدن قائمة على جزيرة فى كل جانب من جوانبها مساقط ماء . والنيل فيما وراء هذه المساقط صالح للملاحة لغاية الخرطوم . ولذلك كان يوجد هناك باخرة صغيرة واقفة . وأنشأ غوردون باشا فى هذه المحطة « طوفا » معدية يعبر النهر بواسطة حبل من الصلب وكان يستحيل اجتيازه النهر بغير واسطة هذا الحبل بسبب قوة التيار . أما منظر ما حول الجزيرة فيسحر الالباب ويأخذ بمجامع القلوب وكان فلكن يجنح الى ان يطيل مدة اقامته فى بقعة بلغت نفاستها هذا القدار العظيم غير ان وقته لم يكن

يسمح له بذلك فأبحر ثانية فى مركب آخر الى الرجاف بعد وقوف ساعة وهنا اختلف شكل الاراضى إذ أنها بعد ان كانت جبلية من الناحيتين انقلبت سهولا تتواتر فيها مزارع الذرة الواسعة .

ووصل الى الرجاف فى نفس اليوم فاستقبله فيها صديقه قديما قائد محطتها اسماعيل افندى خطاب الذى يصفه فلكن بأنه ألطف مصرى وقعت عينه عليه . وسر سرورا لا مزيد عليه إذ حباه ذلك القائد بصفة هدية بقدر من البن والسكر والشمع والصابون تلك الاشياء التى حرم منها زمنا طويلا .

وسافر من الرجاف وحط رحاله فى غندوكورو الواقعة فى منتصف الطريق بين محطتى الرجاف و لادو . فوجد حالتها تغيرت تغييرا كبيرا عما كانت عليه فى عهد سير صموئيل بيكر إذ أمست نقطة صغيرة قائمة على ضفة النهر من وقت ما نقلت عاصمة المديرية الى لادو . وزار فلكن المعسكر القديم فلم يجد منه قائما غير متاريسه وزار أيضا قبر « هجنبوثام » Higginbotham مهندس سير صموئيل بيكر الذى توفى فى زمن الحملة كما زار قبور المبشرين الرومانيين الكاثوليك الذين كانوا أنشئوا بيعة فى غندوكورو ولم يتركوها إلا بعد أن توفى منهم ستة وعشرون مبشرا فى حول واحد . ولم يبق الآن من تلك البيعة إلا أطلالها وأشجار الليمون التى كانوا زرعوها .

واستمر فلكن نازلا مع النهر وبعد خمس ساعات وصل الى لادو وفيها استقبله الحكمدار أمين بك استقبالا وديا للغاية . وشعر فلكن بسرور لا مزيد عليه لهذه المقابلة الجديدة ونزل فى ضيافته من ٢٣

يوليـــيه لغـــاية ١٨ سبتمبر ولحق به المستر ولسن ورسل متيسا فى ١٩ أغسطس .

وكان أمين بك يدير حكمداريته بمهارة كبرى وعدالة ومع أنه ظل عامـــين لا يصل اليه شىء من الخرطوم استطاع بما كان يجبيه من المديرية من الايرادات أن يقوم بسداد المصروفات بدون أن يدع سبيلا لاحد من جنوده أن يتذمر أو يتململ . وكانت علاقة الاهالى مع الحكومة فى غاية من الصفاء والمودة . أما « اللورون » Laron رئيس « البارين » Baris الذى اقتتل مرارا مع سير صمويل بيكر فكان يعيش هو والمصريون عيشة صداقة واخاء . وفى مدة اقامة فلكن فى لادو قتل جندى يوما تمساحا كان من عادته أن يترقب النساء اللواتى يذهبن لاغتراف الماء فيختطفهن . وبشق جوفه وجد فيه سبع فتخات من نحاس « دبل » .

ولما كان فلكن قد أقام زمنـــا فى ضيافة الحكمدار فقد استطاع أن يعرف نظام مديرية خط الاستواء وهاك ما قاله فى هذا الصدد :—

« ان لادو عاصمة المديرية هى مدينـــة حسنة البناء فدوانها ومكتبها ومسجدها وجميع مبانى الحكومة فيها مشيد بالآجر ومسقوف بالحديد المصفح المتاوج . وكافة المساكن الأخرى مقامة من الخشب والحشائش وترمم كل سنتين أو ثلاث سنوات بسبب ما يحدثه بهـــا من التلف السوس ونوع من النمل لونه أبيض . وسائر الشوارع فسيحة ومستقيمة فى الامتداد وبواسطة تنظيم وتنسيق فضاء طلق تبلغ مساحته ٣٠ ياردة بين الدور والحصون أضحت المحطـــة محاطة بمحل رحب للنزهة . ويوجد خارج الاسوار بساتين وحدائق مترامية الاطراف بها عدا الموزكية كبيرة من الزهور الأوربية

واغراس شبه جزيرة بلاد العرب يعمل الحكمدار وهو الطبيب أمين بك بهمة كبيرة فى سبيل تبليدها أى تعويدها على مناخ المنطقة . وتوجد شجرة من أشجار الكافور بلغ ارتفاعها للآن ٢٥ قدما . وستستفيد أواسط افريقية من هذا النوع من الاشجار عندما تنتشر زراعته لأنه خلا تأثيره العظيم فى الاحوال الصحية فى البلد فان خشبه يسد فراغا يشعر بوجوده منذ زمن بعيد .

وللمحطة ثلاثة أبواب يقيم عليها حراس ليلا ونهارا . وتفتح هذه الابواب من الساعة السادسة صباحا الى الساعة الثامنة مساء . ومن غير المصرح به مطلقا اطلاق أعيرة نارية بجوار المحطة ابتداء من غروب الشمس الى حين شروقها اللهم إلا اذا كان الطلق اشعارا بحدوث هجوم . وفى الساعة الخامسة والنصف صباحا ينفخ فى البوق إيذانا بالاستيقاظ . وبعد هذا توقد النيران فى الحال . وفى الساعة السادسة يقومون بالمناداة بالاسماء ثم تفتح الابواب وعندئذ يقوم الجند بعملية التمرين وتأخذ النساء فى كنس الشوارع . وفى الساعة الثامنة والنصف يذهب الجميع ما عدا الحراس للشغل فى المزارع وجلب الماء أو جمع الحطب وترسل القطعان للمراعى حالما يرتفع النداء . وتستمر الاشغال لغاية الساعة الحادية عشرة والنصف وتظل معطلة الراحة للساعة الثانية والنصف وتعود بعد ذلك لغاية الساعة الخامسة مساء وعندئذ يرجع الجميع الى الحصن . وفى الساعة الثامنة ينادون الاسماء وتقفل الابواب . وفى الساعة التاسعة تطفأ الأنوار ويطوف ضابط ليتحقق مما اذا كان هذا النظام مرعيا ومعمولا به .

والأوامر التى بصدد النار فى غاية الشدة . فاذا هب إعصار فى النهار نفخ فى البوق حالا ايذانا باطفائها ويعاقب كل من لم يبادر بالعمل بهذا الأمر عقابا صارما . وهذه الحيطة ضرورية جدا لأنه إذا اشتعل كوخ من الاكواخ

يصعب كثيرا انقاذ المحطة بل تدمر تدميرا . وفى ربيع سنة ١٨٧٨ م راحت لادو نفسها طعمة للنار التى التهمت المئونة والميرة الكثيرة التى كان سير صمويل بيكر باشا قد أتى بها لتموين المديرية .

ويوجد على مقربة من كل محطة عدد من القرى يسكنها الاهالى وتقسم المديرية الى محطات يقام فى وسط كل منها حصن . ومن المفروض على الاهالى توريد رسوم الحبوب والماشية فى هذا الحصن . وسائر الجنود تقريبا من سكان مكراكا . ويتكون منهم جيش يتعسر وجود مثيله من حيث شكل الجسم ولياقته وهم جنود بواسل . ولقد يستطيع المرء ان يجترئ فينعتهم بالبطولة والنشاط التام . فهم يطيعون قوادهم اطاعة عمياء ويؤدون فى الوقت نفسه واجباتهم بفطنة وذكاء . وكلهم مسلحون ببنادق من طراز رمنجتون وهم يجاون هذا النوع من السلاح ويفخرون بحمله لامعا لمعانا تاما . أما كساويهم عندما يقومون بالخدمة فى المحطة فهى بذلة بيضاء وحذاء وطربوش وجعبة للظروف « الخرطوش » من جلد النمور يتمنطقون بها فى خواصرهم ويعلقون بها سنكهم ومداهم . ولدى المسير يلبسون سترة قائمة وسروالا « بنطلونا » قصيرا وقلما ينتعلون احذية . ورجال المدفعية هم وحدهم من المصريين وحالتهم الصحية على غير ما يرام حتى الضباط فاغلبهم الآن من الاهالى .

وعلينا أن نذكر كلمة بشأن التراجمة فنقول : ان هؤلاء اصلهم أرقاء لأولئك الرجال الذين كانوا يشتغلون فيما سلف بالنخاسة وكافتهم يتكلمون اللغة العربية ودربوا فى بادئ الأمر على حمل الاسلحة . اما الآن فيتألف منهم نوع من الشرطة الاهلية . وكل قرية من قرى الاهالى مكلفة بتموين

رجل أو أكثر من هؤلاء الرجال الذين تقع عليهم مسئولية الأمن ومراقبة جباية الرسوم المضروبة على الحبوب ويقطن منهم نحو العشرين أو الثلاثين بجوار الحصن ومتى احتاج الأمر الى حمالين أو كان بعض الأهالى مطلوبا للشغل فى المحطة يكلف أولئك الرجال بجمع العدد اللازم . وبما أن الافريقيين يعسر عليهم العد فهم ما زالوا للآن يستعملون الطريقة التى نسخت وهى تقديم حزم من القش عددها مساو للعدد المطلوب .

وقلما تقع جناية . والصعوبة الوحيدة التى تواجهها الحكومة هى العمل فى سبيل حفظ ورعاية نظام دقيق إذ بدون ذلك يتعذر ايجاد حكومة حسنة . والواقع أن الافريقيين هم أولاد كبار فلا بد من الاستمرار على مراقبتهم مراقبة دقيقة مقرونة بالحكمة . ولا يمكن ممارسة الحرية بالكيفية التى يفهمها الانكليز من هذه الكلمة . ولا بد من الامتثال واطاعة أوامر الحكومة الخاصة بدفع الضرائب فى أوقاتها وتقديم الحمالين ونقل البريد بانتظام ومراعاة اللوائح والقوانين الأخرى . ويلزم لبلوغ هذه الغاية أن يخضع الأهالى لمراقبة الموظفين وتدخلهم تدخلا بارزا أكثر مما ينبغى أن يعمل فى بلاد أخرى أعظم تقدما فى المدنية .

ويجب القيام للآن بعملية النقل بواسطة الحمالين لأنه لم يتم الى هذه الساعة ادخال طريقة العجلات التى تجرها الثيران . ومما يؤسف له ان محاولة غوردون باشا ادخال النقل على ظهور الفيلة مثل « الهند » لم تنجح . وقد قيل لى انه من المستطاع اقتناص وتدريب اثنى عشر فيلا فى عام واحد بواسطة أربعة أفيال مدربة تدريبا حسنا واثنى

عشر فيـــالا . غير أن بعض مقامات اعترضت على هذا القول بأن فيـلة افريقية لا تصلح لهذا الغرض ومع ذلك فقد روى أنها كانت تستعمل فى الازمان الغابرة بطريقة عامة .

وبصرف النظر عن المصاعب الأخرى فان الحمالين مع كل هذا اناس ذوو عناية كبرى فلم يحدث قط مرة أنى تكدرت لـكسر صندوق . نعم ضاع لى مرة طرد واحد إلا أنه جاءنى سليما بعد بضعة أيام .

ويقود كل ثلة من الحمالين مكونة من ١٠ أو ٢٠ حمالا جندى حسب أهمية القافلة . وهذا الجندى مسئول عن الأحمال فيقوم بحراستها وحراسة المشاة معا . وهـذه طريقة مفيدة للأوربيين لأنها تعفيهم كلية من الاهـــتمام بمسألة متاعهم وتمكنهم من توجيـــه كل أنظارهم الى التمتع بمشاهدة محاسن الطبيعة والابحاث العلمية .

أما نظام السير فهو بالطريقة الآتية وهى : تبتدىء المقدمة فى السير حاملة العلم يتقدمها ترجمان يؤدى فى الوقت نفسه وظيفـة دليل ويسير خلفها الحمالون على بعد ٢٠ أو ٣٠ ياردة ويسير جنـــدى خلف كل ١٠ أو ٢٠ رجـــلا . وتنقل طرود الزاد والذخـــيرة فى وسط القافـلة بحراسة أربعة من الجنـــد بقيادة جاويش يحمل بندقيته شاب صغير . ثم تأتى النساء عقب جميع الحمـــالين يحملن الزاد والحجارة التى يسوين بها الخـــبز . ثم يأتى خلف الجميع المؤخرة ناشرة علمها . ويـكابد الضابط المناوب فى الخدمة عناء جما فعليه أن يلقى بنفسه بين آونة وأخرى فى الحشائش العاليـــة ويمشى من المؤخرة الى المقدمة ويستعلم من كل جندى يمر أمامه عما إذا كانت كل الأمور جارية فى مجراها الحسن وعما إذا كان كل شيء تاما فلا ينقص طـــرد ولا رجـل . وإذا سمع

صوت بالاستغاثة تركض المقدمة الى الذخـــيرة وأولئك الذين خلفها يعدون الى الامام وتفتح الصناديق وتوزع كميات اضافية من الذخيرة . أما الحمالون والنسوة فينضمون داخل حلقة مكونة من الاحمـــال التى تكدس بشكل متراس منيع على قدر الاستطاعة . وأولئك الذين حضروا هـــذا المنظر لأول مرة وشاهدوا السرعة التى يتم بها أخذ هـــذه الاحتياطات يحكمون ان ذلك عمـــل مدهش . ولدى السير فى المناطق التى الأمن فيها موطد قليـــلا ترسل كشافة الى الامام ويمشى فى الوقت نفسه عـــدد من الرجال بجانبى الحملة على بعض مسافة منها .

ومن المستحيل اقناع الأهالى بالسير ليلا ومن ضمن الاسباب التى تحملهم على عدم السرى تشاؤمهم من القمر .

ومن الأمور العجيبة انى ما من مرة سريت والبـــدر تام إلا وأصبت بعد ذلك بحمى .

وتشمئز الأهالى كثيرا أيضا من السفر فى البكور بسبب الندى واذا اكرهوا على ذلك يعلقون على صدورهم جلودا أو غصونا من غصون الشجر حتى لا يبتلوا . والقاعدة العامة عندهم هى أنهم يأتون هـــذا العمل فى ساعة السفر الأولى حتى ولو كانوا لابسين ملابس لا يخترقها المـــاء مفضلين وهج الشمس على القر والندى .

وعند الوصول الى المكان المعين لاقامـــة المعسكر يجتمع الحمالون وتعد الأحمال وتكدس وتوقد النساء النيران ويسرعن فى طهى الطعام ويذهب الرجال للأدغال ليحتطبوا وليجمعوا حشائش لاقامة أكواخ . ولا يستغرق

هـــذا العمل وقتا طويلا ففى ساعة تقريبا يتم تشييد اكواخ حسنة هـذا اذا لم يكن قد ران على الرجال الكسل المفرط أو لحقهم شيء كثير من التعب والنصب .

وعندما تتـــوارى الشمس بالحجاب يقدم لجميع من بالقافلة طعام العشاء وتوقد النيران ليلا حول المعسكر ويرتب الحرس ولا يؤذن لأحد ان يبارح المعسكر مهما كانت الاسباب الاهم إلا اذا أخذ معه مشعلا . والغرض من هـذا الاحتياط منع اللصوص أو العـــدو من مهاجمة المعسكر بغتة . وكل انسان يجـــول حول الخطوط بدون ان يكون حاملا مشعالا يعدم رميا بالرصاص فى الحال .

فالله هـذا المنظر الغريب الذى تقع عليه عين من يتنزه حول المعسكر ويرى الرجال متكئين على جميع الاوضاع يأكلون ويغنون ويدخنون والنساء يسهرن على النيران وطحن الحبوب وصنع الخبز !! هذا المنظر الذى يضيئه لهب النيران !!

وعندما ينتهون من الطهى والطعام يسارعون احيانا الى الرقص وبهذه الطريقة يزيحون عن قلوبهم لوعة الساعات الدامسة المدلهمة ولا ينامون الا ساعتين أو ثلاث ساعات قبل الرحيل القادم . فكيف يستطيعون مقاومة مشاق السفر مع أنهم لم يمنحوا انفسهم راحة إلا تلك المدة القصيرة . هذا ما حار فيه فهمى وضل فيه صوابى .

وكل حارس له نمرة خاصة فيصيحون ذاكرين نمرهم الواحـد تلو الآخر بين آونة وأخـــرى فى مدة لاتتجاوز بضع دقائق ويصيح الصف ضابط لدى سماعه النمرة الاخيرة : « تمام » . ثم تعيد الدورية عملها واذا فات أحد الحراس دوره تقف الدورية . والويل كل الويل للحارس الذى لا يصيح ذاكرا نمرته

عندما يأتى دوره فانه يجلد من ١٥ الى ٢٠ جلدة فلا يعود بعد تغمض له عين أثناء الليل » . اه

وانهدم صرح الآمال الذى بنـــاه المبشران ولسن وفلكن حينما علما أن النيل خلافا لما كانا يأملان عاد فانسد فى منطقة السدود وأمسى غير مفتوح للملاحة فصار فى غـــير استطاعتهما الرجوع بطريقه الى الخرطوم فقررا أن يسلكا فى عودتهما الطريق المـــار من بحر الغزال و دارفور . وعلى ذلك ودعا أمين بك فى ١٨ سبتمبر عام ١٨٧٩ آسفين جد الاسف بعد أن قدما له الشكر الجزيل لحفاوته بهما واكرام مثواهما . وقد نالا من كرم الضيافة وعظيم الحفاوة فى جميع محطات الحكومة مثل ما لقياه فى مديرية خط الاستواء ووصلا الى الخرطوم فى ١٦ فبراير عام ١٨٨٠ .

٤ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر ولسن من أوغندة الى لادو [١]

من ١٦ يونيه الى ١٩ سبتمبر

أقنع المبشرون متيسا فى مايو عام ١٨٧٩ م بأن يرسل مندوبين الى انكلترا وقد اختيرت لذلك طريق النيل وفضلت عن طريق زنزبار لأنها أكثر منها أمنا . ولما كان من اللازم اخطار أمين بك فقد سافر فلكن الى مرولى ليتحادث معه فى هـــذا الصدد . وعلى ذلك شخص من روباجا الى مرولى فى ١٧ مايو عام ١٨٧٩ م .

وسافر ولسن هو الآخر فى ١٦ يونيه ووصل الى مرولى فى ٥ يوليــه ونزل كالمرة الأخيرة فى ديوان الحكومة فوجــد خطابا من فلكن يقول له فيه انه ذهب الى فويرا وأوصاه أن يخطره بوقت وصوله الى مرولى وينتظر فيها الرد لأنه يأمل أن تأتيه أخبار من أمين بك . وكانت هذه المحطة قد تحسنت تحسنا كبيرا عما كانت عليه فى زيارته لها قبل هذه المرة الاخيرة وأقيم فيها متراس حفر حوله خندق . وكان الضابط المين لقيادتها فرج افندى اجوك

(١) — راجع الجزء الذى وضعه ولسن من كتاب « أوغندة والسودان المصرى » الفصل العاشر .

وهو جندى من جنود سير صمويل بيكر .

وورد بعد ذلك بقليل الى ولسن خطاب آخر من فلكن يقول له فيه انه بارح فويرا ميمما فاتيكو فقرر ان يسافر هو الآخر ورحل من مرولى فى ١٦ يوليه موليا وجهه شطر فويرا بطريق النيل فدخلها فى ١٧ منه واستقبله فيها صديقه قديما احمد محمد افندى قائد هذه المحطة . وأقام فيها يومين ثم شخص منها الى فاتيكو بعد أن ودعه الضباط وداعا شيقا .

وقابل فى اليوم التالى لسفره من فويرا ثلة من الجند آتية من فاتيكو فسلمته خطابا من فلكن يقول له فيه انه سافر الى لادو بناء عن طلب أمين بك .

وفى ٢٤ يوليه بلغ فاتيكو فوصفها بأنها نقطة عسكرية تشغل مكانا حصينا فى وسط حقول مزروعة حنطة . واستقبله فيها القائد عبد الله افندى نمير وهو ضابط سودانى احسن استقبال وأكرم مثواه . وهنا زاد على ذلك بأن قال : انى فى جميع رحلاتى فى أرجاء السودان وهى رحلات يبلغ مداها عدة الوف من الأميال قوبلت بغاية التودد واللطف من الموظفين المصريين من أكبرهم الى أصغرهم .

وأقام ولسن فى فاتيكو زهاء ١٥ يوما على أتم ما يكون من الغبطة والسرور وزايلها فى ٨ أغسطس ووصل فى ١٥ منه الى دوفيليه وهى محطة عسكرية كبيرة ومنها عاود السير فمر بلابوريه و موجى و كري ومن هذه المحطة الاخيرة أبحر فى مركب ونزل والنيل فمر بيبدن

وفيها انتقل بسبب الشلالات الى مركب اخـــرى واستمر مقلما فى النهر الى ان أفضى الى الرجاف ثم الى غندوكورو ولبث فيها ساعة وبعـــد ذلك بلغ لادو وهى عاصمة مديرية خط الاستواء فى ١٩ أغسطس فاستقبله فيها أمين بك و فلكن الذى كان سبقه اليها .

٥ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية في مديرية خط الاستواء

القسم الأول

من ١٦ أكتوبر الى ٣١ ديسمبر

بارح جونكر الخرطوم فى ٢٨ يوليه كما ذكرنا فى الملحق الثانى لعام ١٨٧٨ م قاصدا القاهرة واوربا عن طريق وادى حلفا . وأقام فى أوربا لغاية أكتوبر سنة ١٨٧٩ وسافر منها ثانية ووجهته مصر فالسودان ووصل الى الاسكندرية فى ١٦ من الشهر المذكور .

وبعد ذلك شخص الى القاهرة حيث فرح بلقاء صديقه « شوينفورث » Schweinfurth الذى كان قد بلغها قبله بأسبوع . ولما كان يريد أن يسافر فى أقرب وقت ، كان عليه ان يقوم بأعمال كثيرة ليتمم معدات سفره وان يحصل قبل كل شىء على ترخيص من الحكومة المصرية .

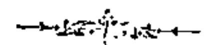
وحصل بواسطة قنصله العام وهو قنصل الروس المسيو « م. فون ليكس » M. Von Lex على اذن بمقابلة الخديو توفيق وكان وقتئذ قد تولى عرش الخديوية بعد والده اسماعيل فقابله فى ٢ نوفمبر ووعده الخديو فى غضون هذه المقابلة بأن ستصدر الأوامر اللازمة لحكومة السودان إلا أنه أوعز اليه بالتريث لآخر الشهر ريثما يكون غوردون قد وصل الى القاهرة . وكان غوردون

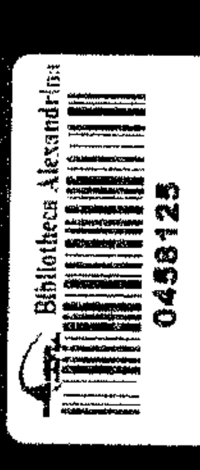
فى ذلك الوقت فى مأمورية ببلاد الاحباش . وبما ان هـــذا كان جـل مراد جونكر ايضا فقد قبل هذا الايعاز باغتباط إذ أنه كان يتمنى مقابلة هذا الموظف قبل أن يرحل .

ولم يأت مع ذلك هذا الانتظار بثمرة لأن النجاشى « يوحنـا » Johannès عاد فطلب ثانية غوردون باشا بعد ان وصل الى القلابات لتسوية بعض المسائل . ونظرا لهذه الظروف قابل جونكر الخـديو مرة أخــرى فى ٢٢ نوفمبر وعرفه رغبته فى السفر فوافق الخديو على ذلك .

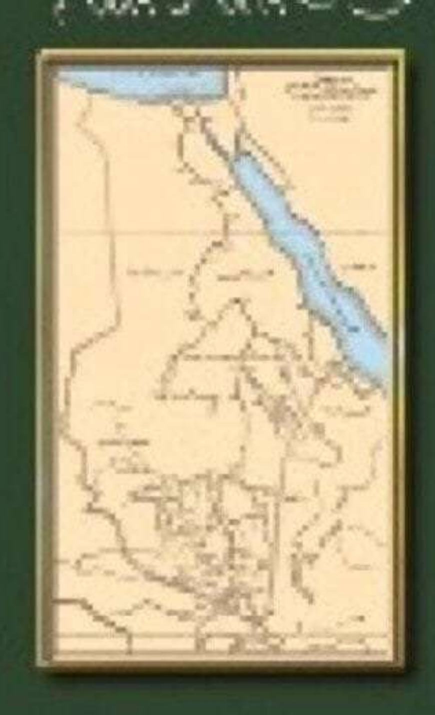
وبعد ان استوفى اجراآته مع الحكومة سافر الى السويس ومنها أبحر فى ٥ ديسمبر الى سواكن فدخلها فى ٨ منه . وشخص منها فى ١٤ من الشهر المذكور وبلغ بربر فى ٢٧ منه وأبحر من هذه فى اليوم التالى لقدومه اليهـا قاصدا الخرطوم فوصل اليها فى بداية العام الجديد .

وبقية هذه الرحلة مسطورة فى الملحق الأول للسنة القادمة .









الجزء الثاني

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م





تاريخ

مديرية خط الاستواء المصرية



• يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، حوالي ١٠٠٠ صفحة من القطع الكبير تحتوي على خرائط و صور فوتوغرافية و فهارس فنية ، وضعه مؤلفه عن مديرية خط الاستواء المصرية التي قال عنها :

" إنها بما تحتوي من منابع النيل ألزم لمصر من مدينة الإسكندرية ".

تلك المديرية التي فتحها الجنود المصريون و السودانيون في عهد الخديو إسماعيل طبقاً لرؤيته الاستراتيجية لأهميتها كضمان لمصدر مياه مصر – مياه النيل – من المنبع إلى المصب .

كان العصر عصر المد الاستعماري الغربي الذي بلغ أقصاه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، و كانت مصر النهضة متنبهة لهذا الخطر تحاول أن تهدم حواجز الصد أمامه و أن تعطل مسيرته بغية الحفاظ على أمنها القومي و مصالحها الحيوية . ورغم صعوبة المهمة كما يقول المؤلف : " لقد شقت مصر طريقها إليها بجنودها المصريين و السودانيين الأبطال ، ذوي القوة و البأس و الصبر ... حتى إذا فتحها الله عليهم و رسخت أقدامهم فيها ، و عملت أيديهم في تطهير ربوعها و تمدين أهلها ، أخرجتهم منها السياسة الماكرة و أبعدتهم عنها أبالستها ".

و في لفتة وحدوية يهدي المؤلف كتابه : " أهدي كتابي هذا إلى أبناء وادي النيل عامة ، و شباب مصر و السودان خاصة ، فهؤلاء الشباب الأبرار الأطهار هم معقد الأمل و مناط الرجاء ، و هم هم الجديرون منا حقاً بهذا الإهداء ".

و تتجلى أهمية هذا الكتاب الذي لم ينشر منذ ٨٥ عاماً إلى ما تتعرض له الدول النامية عامة و دول حوض النيل خاصة من مؤامرات غربية تهدف للوقيعة بينها بُغية استغلالها و الاستيلاء على خيراتها

• **المؤلف : العلامة المغفور له الأمير عمر طوسون (١٨٧٢ – ١٩٤٤)**

نجل الأمير محمد طوسون بن محمد سعيد باشا والي مصر ابن محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة ، ولد بالإسكندرية ، و كرس حياته للأعمال الخيرية و الاجتماعية ، و التأليف التاريخي و الجغرافي في القضايا المصرية و السودانية ، بالإضافة إلى نشاطه الاستكشافي الأثري و تبرعاته السخية و المعنوية للقضايا الوطنية ، كما كان له العديد من المواقف البطولية الوطنية و الأفريقية في مناهضة الاستعمار بشتى أشكاله .

بلغت مؤلفاته بالعربية و الفرنسية أكثر من ٥٠ مؤلفاً

أسس و رأس و شارك في العديد من الجمعيات الخيرية أشهرها : المواساة ، الشبان المسلمين ، الجمعية الخيرية القبطية ، النادي السوداني ، جمعية قراء الإسكندرية ، جمعية الإسعاف النوبية ، الجمعية الخيرية لطائفة الأرمن ، و غيرها .



من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

الجزء الثانى

تأليف

عمر طوسون

سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

سنة ١٨٨٠ م

من

حكمدارية أمين باشا

رحلته الى غرب المديرية وشرقها واستيلاؤه على بعض المحطات
التي كانت قد أخليت

ابتدأ عام ١٨٨٠ م والحكمدار أمين بك فى دوفيليه . وشب حريق فى كوخ اثناء ايقاد الزينة التى أقيمت احتفالا بيده هذا العام وأوشك أن يلتهم الاخضر واليابس ويحدث اضرارا جمة إلا أنه لحسن الحظ أطفىء فى الحال .

وقدم الى هذه المحطة من لادو بريد مصدره الخرطوم وورد به أمر من غوردون باشا بنقل هذا الحكمدار محافظا لمدينة سواكن . وكان سبب صدور هذا الأمر عدم ارتياح غوردون الى الحكمدار بسبب الخطة التى كان قد اختطها وهى امتناعه عن اخلاء المحطات الجنوبية حسب أوامر غوردون واصراره على معارضة تلك الاوامر باستمرار إذ كان يرى بصائب رأيه ان إخلاء تلك المحطات ليس فى مصلحة الحكمدارية التى فوض اليه الاشراف على حكومتها .

واستاء أمين بك من هذا الأمر استياء شديدا لأنه كان يجنح

كثيرا للاقامة فى مديرية خط الاستواء لما بذله من الجهـــود فى دراسة الاشياء وما قام به من الابحاث العلمية فى تلك المديرية ولكن سرعان ما تلا هـــذا الأمر خبر استقالة غوردون باشا من وظيفـة حكمدار عام السودان وتعيين محمد رءوف باشا محله ذلك القائد الذى كان قد رافق سير صمويل بيكر فى الحملة التى ضمت مديرية خط الاستواء الى حكومة مصر وتولى ادارة هذه المديرية قبل حكمدارية غوردون عليها .

وقد أثار تعيين رءوف باشا لحكمدارية عموم السودان مخاوف أمين بك وصار يترقب بين اللحظـة واللحظة استدعاءه غير أن مخاوفه لم تتحقق فقد ألغى رءوف باشا أمر غوردون وثبته فى الوظيفة الشاغل لها .

وكانت المواصلات مع الخرطـــوم سيئـة للغاية وبين كل بريد وما يليـه آجال واسعة وهـــذا ما أوجب تواتر الشكاوى من الحكمدار . وكانت المراسلات تصدر أولا الى شمبي بحـــرا بالمراكب فتقطع هـذه المسافة فى ثلاثة أيام ثم من هـذه تسافر برا فتصل الى « مشرع الرق » فى ستة أيام أو بالمراكب فتصل اليه فى ظـــرف عشرة أيام . وتسافر من مشرع الرق الى الخرطـــوم بطريق النيـــل اذا كانت المواصلات غير مقطـوعة وإلا فترسل عن طـــريق دارفـور وعنـدئذ تستدعى الحالة انقضاء شهور عدة قبل ان تصل .

وجـــاء فى خطاب مرسل من الحكمدار أمـــين بك الى الطبيب « شوينفـورث » Cheuinforth أنه كتب من عامين الى غوردون باشا وطلب منه أن يبعث له بعض بذور من مختلف انواع الحاصلات ليزرعها فى مديريته ويستغنى بمنتجاتها عما يطلبه من حاصلات البلاد الاخرى وكان

مع ذلك لم يصل اليه الى الآن جواب . وانه استورد بنّاً وأرزا من أوغندة فنجحت زراعة هذين الصنفين نجاحا تاما .

وسافر الحكمدار فى بحر العام للتفتيش في الناحية الغربية من المديرية غير انه ما كاد يصل الى مكرا كا بعد رحلة ثمانية ايام حتى استدعى للرجوع الى لادو لوصول باخرة من الخرطوم تحمل البريد فآب فى ٧ أيام .

وكان هذا البريد يحمل له اخبارا سارة زرعت فى نفسه آمالا كبارا بصدد مستقبل مديريته فقد بلغ له انه لم يعد تابعا لمديرية بحر الغزال بل صار مستقلا فى احكام مديريته وخول له فوق ذلك إقامة محطات أينما أراد .

وسافر من لادو لتفتيش القسم الشرقي من مديريته بعد ذلك فوصل الى مركزى « لاتوكا » Latouka و « شولى » Shouli لاستطلاع احوال ساكنيها واحتياجاتهم . وكان يريد ان يذهب الى ابعد من ذلك ولكن مشاغله الاخرى حالت دون ذلك .

وفى شهر نوفمبر عندما كان فى وادلاى وردت له دعوة ودية من رئيس من رؤساء قبائل النيام نيام يقال له السلطان « مبيو » Mbio يرجوه فيها القدوم ليشرفه بزيارته . وقد لبث هذا الرئيس ممتنعا وغير ممكن الوصول اليه منذ ١٨ عاما . ففرح الحكمدار بهذه الدعوة وقرر قبولها لا سيما ان هذا السلطان يملك قدرا كبيرا من العاج وكان جل امانى الحكمدار ان يرتبط معه بالصلات الودية والتجارية . وكانت

الدعـــوة المذكورة قد وردت اليـه بواسطة رجاله الذين كان قد سيرهم الى ناحيـــة من النواحى الغربيـة يقـال لها « لوجـو » Loggo ليقيموا فيها محطة جـــديدة . وشيد الحكمدار عدا هذه المحطة فى بحر هذه السنة محطتين أخريين فى قسم لاتوكا احداهما فى « برى » Berri والثانيـة فى « فاديبـك » Fadibek وهـــذه المحطـة الاخــيرة لهـا فـروع فى « أجارو » Agaru و « فاجـولى » Fajulli و « فاتانجــا » Fatanga وكل هـذه المحطات واقعة شرقى النيل .

ولم يقـــم بعمل ما فى محطة فاديبـك السابق ذكرها سوى ان احتلها احتـــلالا جديدا لأنه كان يوجد بها فى مدة غوردون حاميـة وكانت محطة زاهيـــة نضرة للغاية من جهـة الصحة والعمارية والموقع إذ أنها كانت فى بقعة ترتفع ٣٠٠٠ قدم عن مستوى سطح البحـــر . ودخلها من العاج يتجاوز النفقات التى تلزم لصيانة حاميتها . وعلى هـــذا كانت كل الاحـوال تغـــرى باحتلالها . ولكن لما أمر غوردون باخلاء المنطقة الجنوبية شمل الأمر هذه المحطـة أيضا . والتمس اجـوك Agok رئيس القسم من الحكمـدار ان يقيم فى قريتـه محطة ويعين فيها جنـــودا نظاميـة وقد قدم هو بنفسه ليقـــدم اليه هذا الطلب وأحضر معه على نفقته قدرا من العاج الى محطـة فاتيكو . وبادر الحكمدار فى الحال وأجاب هـذا الطلب الذى وقـع فى نفسه موقعا عظيما إذ انه كان متحققا ان هـذه المحطة ستكون من أبهج محطات المديرية وأعمرها لا سيا بعد سفر غوردون .

وسافر اليها هو نفسه من محطة لابوريه متخـــذا طريقا ذات تعاريج كثيرة وصاعدة بين أنحاء كثيرة النبات وافرته فاستقبله رئيسها اجوك الذى

كان قد ضرب بسهم فى المدنية من وجهتى الزى والاخلاق وكان يتكلم اللغـــة العربية بلهجة وكيفية لا بأس بها وكان ايضا يحسن استقبال ضيوفه ويقدم لزائريه القهـــوة . ويحيط بفاديك ضياع كثيرة يسكنها اناس من قبائل الشولى ولها سياجات من الخـــيزران حسنة الصنع وكذلك حقول ممتـدة على مدى البصر زرعها يسر الناظرين . وكل هـذا يعد دليلا محسوسا على اليسار ورخاء المعيشة فى هذه المنطقة .

ولما علم روشاما Rochama كبير رؤساء الشوليين جميعا بقدوم الحكمدار الى فاديك بعث بابنـــه ليلتمس منه الذهاب لزيارته معتذرا بحيلولة صحته وسنه دون الاتيان بنفسه . وكان الحكمدار يعرف شخص هـذا الرئيس من أمد بعيد فلبى الدعوة مسرورا وذهب اليه .

وعندما دنا من قرية « بيايو » Biayo مقر روشاما وقع نظره على اكواخ جديرة بريشة المصور أقيمت بأمر هـذا الرئيس الاكبر ليتخذها الحكمدار مدة اقامته سكنا له . وكان لا يقصد الاقامة فى هـذه البقعة بل كان ينوى ان يتابع السير فى نفس ذات اليوم ذلك الأمر الذى كدر روشاما الذى كان قد بلغ أرذل العمر كدرا ليس عليـه من مزيد فألح على الحكمـدار الحاحا شديدا بالبقاء عنده .

وبعد مناقشة طويلة أجاب طلبـه مراعاة لصداقته القديمة معه فسر روشاما سرورا كثيرا وأرسل اليه على سبيل الهدية عنزة وكمية من شرابهم المعروف بالمريسة فأهـدى اليه الحكمدار مقدارا من الخرز وبعض الحلى من النحاس وثوبا من النسيج .

فتحه بعض المحطات فى الجنوب وربطه المواصلات مع أوغندة

وبعد أن قضى الحكمدار ليلته فى الاكواخ التى أعدت له استأذن فى الغداة من روشاما وقفل راجعا الى فاتيكو وأقام بضعة أيام فى هذه الناحية ثم قرر السفر الى الجنوب لكى يفتح ثانية محطة فويرا وكانت قد أخليت مع المحطات الأخرى التى تركت بأمر غوردون باشا . وكان يرمى من وراء هذا الى ربط وصيانة المواصلات مع أوغندة وكان قد مضى زمن طويل جدا ولم يأته من هذا البلد أى خبر . وآخر الاخبار التى وردت اليه كان يحملها رسل من قبل متيسا ملك أوغندة وهى عبارة عن خطابات وبعض هدايا أرسلها اليه هذا الملك إلا أن هؤلاء الرسل لدى وصولهم الى محطة مرولى وجدوها خالية خاوية فسلموا الاشياء التى كانوا مكلفين بتوصيلها لاتباع ريونجا وقفلوا راجعين الى ملكهم . وهؤلاء أرسلوها الى الحكمدار .

وبعد أن وصل الى فويرا واستولى على محطتها أطراها قائلا انها واقعة فى بقعة حسنة على مرتفع يشرف على النيل ويحدق به كثير من القرى الكبيرة والغابات النضرة العامرة بالأشجار الكثيرة . وأرضها غاية فى الخصب تجود بمحاصلات وافرة لا سيما الذرة . والنهر يموج بكثرة ما فيه من الاسماك وعلى جوانبه يوجد كثير من مختلف الافاعى الضخمة الحجم كالأصلة والتنين قد يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين قدما كالتى قتلت فى هذه المحطة فى شهر سبتمبر من عام ١٨٧٤ م وقت مرور شاليه لونج بها . ويقتنص الأهالى هذه الافاعى ويأكلون لحومها ويتخذون من شحمها دواء لوجع المفاصل .

استقبال رؤساء النواحي له وعودته الى لادو

وقدم ريونجا رئيس ناحية فويرا ليزور الحكمدار وكان قد مر زمن طويل على الحكمدار لم يره فيه فوجد أنه لم يطرأ عليه تغيير . ثم قرر الذهاب الى « پنياتولى » Panyatoli لزيارة انفينا رئيس ناحية ماجونجو وكان لم يره من عام ١٨٧٧ م فقوبل فى كل الانحاء وهو سائر فى طريقه بالبشر والترحاب الى أن وصل الى قرية پنياتولى واستقبله فيها رجال انفينا مصطفين صفوفا ومرتدين كساوى التشريفة الكبرى وهم يطلقون الأعيرة النارية وتخفق على رؤوسهم الاعلام المصرية . واستقبله بعد ذلك انفينا ومشى به الى دار أعدت له مشيدة على طراز دور أوغندة . أما أعضاء حاشيته فنزلوا فى مساكن خارج داره . وأرسل اليه فى الحال على سبيل الهدية مقدارا من البطاطا والدجاج والبيض والموز والدقيق وستة أنياب من أنياب الفيلة وعنزة وقدم لرجاله بقرة وموزا . ولم يستطع الحكمدار أن يقدم له فى مقابل كل هذا سوى شيء من الخرز وحلى نحاسى واعتبر هذه هدية تافهة بجانب ما قدم اليه ولكن ما العمل وهذا كل ما كان يمتلكه .

وقد قوبل الحكمدار من الأهالى على اختلافهم مقابلة بلغت الغاية فى الترحاب والتودد وأقبل الكل يحيونه وهم مرتدون جلودا جديدة وأقيمت الزينات فى كل المساكن وعمت النظافة جميع ما حولها الأمر الذى ترك أثرا حسنا فى نفس الحكمدار وسره كثيرا . وعلاوة على ما ذكر فان انفينا كان الرئيس الوحيد من بين الزنوج الذى دخلت المدنية ربوعه وتوشجت فيها جذورها فكان يرتدى الملابس ويستعمل الصحاف والاطباق

والملاعق عند الأكل ويستعمل أيضا الاكواب عند الشرب . وإن هى إلا أن أفلت الشمس حتى شرعت الجموع تترنم وتصدح بالغناء وابتدأت المراقص واستمر الراقصون والراقصات فى الرقص حتى مطلع الفجر .

ولم يكد رؤساء النواحى المجاورة يعلمون بقدوم الحكمدار حتى أقبلوا من كل فج وتزاحم حمالوهم القادمون من كل صوب وحدب وهم يحملون الهدايا واشترك هذا الجمع الحاشد فى الحفلات التى أقيمت تكريما له .

وتقع قرية بنياتولى الآنفة الذكر فى منطقة عامرة بالغابات غير أن أشجار هذه الغابات كانت قد اقتلعت من حول القرية بقصد أن يستعاض عنها بمغروسات من أشجار التين والمزروعات الأخرى . وفى هذا الحين كانت العين لا تقع إلا على مزارع التبغ والموز . وكان فى حيز الامكان الحصول على محصول جيد من الدخان وأن تجنى منه أرباح طائلة . ولكن العناية بزرعه وتحضيره للاستهلاك كانت سيئة . وكان نوع الموز جيدا وهم يأكلونه نيا ومغلى فى الماء . أما السمسم فكان يزرع طول السنة ولم يكن ميعاد زراعة الذرة قد حل بعد . ومع أن الأهالى كانوا يستهلكون قدرا كبيرا من الموز فى تغذيتهم فان جل تعويلهم فى المؤونة كان على البطاطا ولذلك كانوا يزرعونها فى كل موضع وعلى مدى شهور السنة . وكان يوجد أيضا غير هذه الانواع المار ذكرها أصناف شتى من الخضر تكفى جميع حاجاتهم .

أما اللحوم فلم تكن كذلك . فان الرؤساء هم وحدهم الذين كانوا يأكلونها وما ذلك إلا لأن الماشية يندر وجودها والموجود منها لاتفى لحومه بحاجات الأهالى . وكان يوجد عدد وافر من الماعز والشاء وهذه الاخيرة ذات احجام كبيرة وأعجازها وافية إلا أن لحوم الماعز فى الغالب

كانت أنخر وأكثر دسامة من لحـــوم الضأن فى كل الناحيـــة . وأما الدجاج فيوجد منه عدد وافر إلا أن أحجامه صغيرة . وصيد الاسماك فى النهر منتشر انتشارا واسعا فى تلك الارجاء ، ويوجد منها القديد فى جميع الاكواخ تقريبا حتى على بعد بعض كيلومترات من النهر وهو فى الغالب من الاسماك الكبيرة الحجم .

وتوجد طرائد القنص هناك بكثرة عظيمة ولا يمكن مطاردتها واقتناصها فى القسم الاكبر من السنة بسبب ارتفـــاع الاعشاب ولكن عندما تجف وتحرق يصير فى حيز الاستطاعة مطاردتها واقتناصها . ويوجد من الافيال عدد وافر جدا .

وقد كان الحكمدار يود أن يطيل إقامته عند انفينا ويحضر فى هذه الناحية الاحتفال بعيد الأضحى إلا أن الطريق كانت طويلة وكان السير فيها الى فاتيكو عسيرا . هـذا ، وقد كان من المتعين عليه تفتيش الاكواخ المجاورة ليقيم فيها محطة صغيرة لحماية عبور النهر وعلى ذلك بادر وسافر قبل الموعد الذى كان يريد هـو وأنفينا أن يسافر فيه .

وبعد أن أتم الأعمال التى يجب عليه القيام بها عاد عن طريق فاتيكـو الى لادو قبيل آخر العام .

١ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثانى

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

قيامه من الخرطوم الى فاشودة

علم الطبيب جونكر عند وصوله الى الخرطوم فى ٤ يناير سنة ١٨٨٠ م أن المواصلات مقطوعة بينها وبين لادو منذ أكثر من سنة بسبب الحشائش المتراكمة فى مجرى النيل فى منطقة السدود . وقد اشتغلت فى إزالتها من عدة شهور حملة مؤلفة من جملة مراكب وبواخر وكثير من الرجال غير أنهم لم يصلوا الى نتيجة موجبة للارتياح . وكان من موجبات هذه الحالة أن يغير خطته التى كان قد اختطها فى بادىء الأمر وهذه الخطة كانت تقضى بذهابه الى بلد « ممبتّو » Mambettu عن طريق لادو ، لكى يجد رابطة بين هذا البلد وبين رحلاته السابقة فى مكراكا .

ولما كان يرى أن جميع هـــذه الظروف تستدعى امتداد زمن اقامته

(١) — راجع الجزء الثانى من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

فى الخرطوم استقر رأيه على أن يكترى دارا تعرف بدار « أبى الخمسماية » وهـذا الاسم كان رمزا الى ربها وهو أحـد المديرين القدماء . وكان يأمر بجلد كل من تثبت عليـه جريمته خمسمائة جلدة . واستقر به الرأى كذلك أن يسافر الى المنطقة التى كان يقصد الذهاب اليها عن طريق مديرية بحر الغزال وكانوا يترقبون بين يوم وآخر قدوم باخرة من هـذه المديرية التى كانت المواصلات معها لا تزال مستمرة .

وعلم فى غضون اقامته فى الخرطوم أن غوردون باشا رجع من رحلته فى بلاد الحبشة الى القاهرة عن طريق مصوع وأنه لن يعود الى الخرطوم بل سيعين فيها رءوف باشا بدلا منه .

وفى ١٨ ينـاير جاءه خبر سار ألا وهـو وصول الباخرة « الاسماعيلية » من مديرية بحـر الغزال تحمل من مديرها جيسى باشا أنباء طيبة وبها أيضا أخبار سارة من أمين بك . ومما زاده فرحا على فرح أن هذه الباخرة ستقلع على ما علم فى مدى خمسة عشر يوما .

وبادر جونكر الى تجهـيز لوازمه وبعث بجميع متاعه الى الباخـرة « الاسماعيلية » التى أبحرت فى ٣١ منه مع الباخرة « امبـابه » تجران عدة مراكب كانت قد أعدت لجلب كميات كبيرة من العاج الى الخرطوم ولتنقل اليها عددا كبيرا من النوبيين والعرب كان جيسى باشا قد أمر بنفيهم من مديرية بحر الغزال .

وبعـد الوقوف مرارا فى مختلف المحطات وابتغاء تموين البواخر بما يلزمها من الوقود وصل الجميع الى فاشودة فى ٩ فبراير وكان منسوب

مياه النهر لا يزال مرتفعا جدا بسبب الفيضان الذى بلغ فى تلك السنة ارتفاعا قل أن يوجد نظيره . وكانت تمر كميات كبيرة من الحشائش من امامهم يدفعها التيار . وهذه الحشائش منها ما انتزعه التيار فى منطقة السدود ومنها ما قلعته الحملة التى كانت تشتغل فى تلك المنطقة .

سفره من فاشودة الى « ممبتّو »

ودعت الحالة للوقوف فى فاشودة وقتا طويلا بسبب تخلف الباخرة امبابه فى الطريق إذ لم يكن فى قدرتها السير بالسرعة التى كانت تسير بها الباخرة زميلتها . وفى غضون هذه الاقامة وصلت الباخرة « بردين » قادمة من الجنوب حيث تشتغل الحملة المكلفة بفتح السدود لتنقل الآلات والادوات والمؤن اللازمة لتلك الحملة .

وفي ١٥ فبراير وصلت الباخرة امبابه والمراكب التى تجرها وفى الغد أبحرت البواخر الثلاث معا ووصلت الى مصب نهر السوباط فى ١٧ منه . وبعد سفر عدة ساعات من هذه الناحية أفضت الى محطة أنشأها حديثا الجنود الرافقون لحملة قطع السدود وكانت الباخرة « المنصورة » التى استخدمت لذلك ملقية مراسيها بجانب ضفة النهر .

وبعد الابحار من هذه المنطقة عانت المراكب كثيرا من المشقات فى الملاحة بسبب سد النهر بالحشائش المائية ، وفى نهاية الأمر وصلت الى مشرع الرق فى ٢٨ فبراير .

واضطر جونكر أن يطيل مدة اقامته أكثر مما كان يرغب لينتظر وصول جيسى باشا مدير مديرية بحر الغزال الذى تأخر قدومه بضعة

أيام وأحضر له بعد ذلك العـــدد اللازم من الحمالين وصار فى إمكانه أن يسافر فى ١٨ فبراير الى « چور غطاس » Jour Ghattas (١) ويدخلهـــا فى ٢٣ من الشهر المذكور . ووجـد جونكر فى هـذه الناحيـة صديقه قديما احمد الأطروش بك حاكم مكراكا سابقا الذى كان قد استقبله فيها حين رحلته السالفة فى هـــذا المركز . وكان الأطروش بك وقت هذه المقابلة الأخيرة موقوفا بسبب ذنب اقترفه وكان يشكو من ذات الرئة ومرضـــه هذا آخـذ فى التفاقم بسرعة فلم يجـد جونكر أية تعزية يقـدمها اليـه سوى بعض تسليات تخفف عنه لوعة المرض فى آخر أيامـــه وذلك نظير ما لقيه منه من كرم الضيافة والمودة فى المـــدة السالفة . وانتهز جونكر فرصة قـدوم جيسى باشا وتشفع عنـده ليسمح للأطروش بالسفر الى الخـرطـوم . وهـــذا أمر كان يتمنـاه المذكور من سويداء قلبـه غـير أنه لم يستطع لسوء الحظ ونكد الطالع أن يستفيد من هذه الشفاعة لأن منيته عاجلته فى چور غطاس قبل أن يتمكن من السفر .

وكانت الخطة التى اختطها جونكر بادىء ذى بدء ارتياد بلدة « ممبتّو » Mambettu وذلك بأن يذهب اليها عن طريق لادو غير أنه كان مضطرا لانسداد النهر فى منطقة السدود أن يقوم بدورة ويذهب الى ممبتّو عن طريق مشرع الرق وچور غطاس .

وأكثر الطرق أمنا وأسهلها مسلكا للذهـاب من هذه النقطة الى ممبتّو تمر بناحيـة « رومبيك » Rumbek وبوادى « رول » Vallée de Rôl إلا أنه

(١) — هى أحـدى نواحى مديرية بحر الغزال وقد نسبت الى غطاس الذى كان له بها مستودع للرقيق والعاج وريش النعام وهو أحد كبار تجار النخاسة المشهورين .

لما كان قد ارتاد قبلا هذه المنطقة لم يكن لديه ثمت ميل للمرور بها مرة أخرى لا سيما أنه كان يريد أن يزور بلد النيام نيام عند ذهابه الى ممبتّو . وهذه الخطة لها أيضا مزية وهى سهولة تنفيذها لأن الحرب وضعت أوزارها بين سليمان بن الزبير باشا والحكومة وخضوعه لها حتى انه بلغ من أمر ولائه لها أن سعى فى ربط العلاقات الودية بينها وبين بعض رؤساء بلد النيام نيام .

نعم قد يكون الطريق الأقصر والأكثر استقامة أن يتجه الى الجنوب مارا ببلاد « البنجوس » Bongos و « البلنداس » Bellandas غير ان جونكر آثر أن يرافق جيسى باشا الى « ديم سليمان » Dem Soliman عاصمة مديرية بحر الغزال ومن هناك يشخص الى ممبتّو مارا بناحية « ديم بكير » Dem Bakir ضاربا صفحا عما يلحقه من زيادة المشقة بسبب بعد هذا الطريق .

وفى ٥ أبريل سافرا من جور غطاس وبعد مسير اثنى عشر يوما أفضيا فى ١٧ منه الى « ديم سليمان » . وهناك أقام جونكر اسبوعا تحسنت صحته فى خلاله كثيرا وعاودا الرحيل فى ٢٣ من الشهر السابق ذكره .

وقد رافقه جيسى باشا بعض مسافات ثم ودعا بعضهما الوداع الأخير وذلك ان جيسى باشا أدركته منيته فمات فى السويس فى أول مايو سنة ١٨٨٢ م وكل منهما سلك سبيله .

وقطع جونكر المسافة الى ديم بكير فى ستة أيام فدخلها فى ٢٩ منه وزاره فيها رئيس بلد النيام نيام المسمى « ندوروما » Nodoruma وكان جونكر ينوى زيارة هذا الرئيس . وبمناسبة هذه الزيارة منحه جونكر

بعض الهـدايا وفى مقابل ذلك أكد له الرئيس بأنه سيلبى جميع رغباته ثم قفـل راجعا الى مسكنه .

وبعد أن مـكث جونكـر اسبوعـا فى « ديم بكير » Dem Bakir رحـــل عنها فى ٧ مايو ووصل فى الغد الى محطة الترجمان عبد الله افندى وهو أحد وكلاء ومفتشى المديرية وقضى فيهـــا الليل . وفى اليوم التالى وصل الى محطة ترجمان آخر يقال له عبد السيد . ويوجـد تحت رقابة هذا الترجمان النقط الواقعة فى نهـــاية المديرية الجنوبية على الطريق الموصـــلة الى أراضى « ندوروما » Nodoruma التى سبق ذهابه اليها بنفسه أكـثر من مرة ليتسلم بعض مقادير من العاج . وكان جونكـر قد قابل عبد السيد فى ديم بـكير ثم سافر منها عبد السيد قبل جونـكر ليعد المعدات اللازمة لاستقباله ويستحضر له الحمالين المطلوبين .

ولاحظ جونكـر عند وصـوله اليها أن عبد السيد لم يقم بعمل ما واحتج بأنه ما كان ينتظر قدومـه بهذه السرعة . ولما كان يبدو منه ما يدل على عـدم الاكتراث أو الاهتمام بقضاء الاشياء المطلوبة اضطر جونكـر أن يتوعـده بالشكوى الى الحكمدار وحصل فى نهاية الأمر على مبتغاه .

إنشاؤه محطة فى لاكريما ومقابلته مامبانجا بمبتو

وشرع جونكـر فى الرحيل فى ١٢ منه وبعد سفر بطىء أفضى الى محـل إقامة ندوورومـا قبيل آخر الشهر المذكور وهناك أقام محطة فى « لاكريما » Lakrema وظـل فى هـذه المحطـة الى آخر شهر أغسطس وسافـر منهـا بعـد ذلك فوصل فى ١٥ سبتمبر الى ممبتـو حيث يسكن « مامبانجا » Mambanga

وعانى فى بادىء الأمر بعض مشقات فى سبيل مقابلة مامبانجا غير أنه بعد عدة مفاوضات استطاع فى النهاية ان يحصل على المقابلة المبتغاة فى يوم ٢٠ سبتمبر أى غداة وصوله الى نهر « ولّيه » Rivière Wellé .

وكان مامبانجا قد أغلق طرق بلاده فى وجه البعثات التى كانت يرسلها العرب لغاية هذا الحين وكان مشهورا ببغضه وشنآنه للحكومة المصرية ولكن المقابلة تمت وجرت فيها الامور على ما يشتهى جونكر وحصل على ترخيص بدخوله فى بلد مامبانجا .

وعلى ذلك رجع جونكر الى معسكره وفى الغد أى ٢١ منه حل مضاربه وأتى فعسكر بجانب دار « مامبانجا » الذى أرسل اليه زادا وعامله معاملة الصديق لصديقه مدة إقامته فى ضيافته إلا أنه كان يوجس خيفة وترتعد فرائصه من السلطة المصرية التى وطدت أوتاد سلطانها قرب حده الشرقى .

وبعد أن لبث مقيما ستة أيام أرسل يطلب من مامبانجا حمالين ومؤونة حتى يتمكن من الرحيل ولكن هذا كان يعد وعودا لا تلبث أن تذروها الرياح ويقصد بذلك احباط سفره . ولم يرسل اليه مطلوباته ويسمح له بالسفر إلا بعد أن هدده جونكر وتوعده باشمار المحطات المصرية .

سفره الى محطة تنجازى

وفى ٩ اكتوبر شرع جونكر فى الرحيل وفى ١٤ منه أفضى الى محطة يديرها شخص يقال له على افندى ومحطته هذه واقعة فى أرض تابعة لمديرية بحر الغزال .

واتفق جونكر فى غضون مدة إقامته فى « چور غطاس » مع شخص يقال له مولى افندى — وهذا الشخص من أقارب يوسف بك الشلالى كان قد كلفه جيسى باشا بأن يقوم بجولة فى أنحاء المركز — على أن يقابله فى هذه المحطة ليقوما بهذه الجولة معا . ولكن مولى افندى أخل بوعده واضطر جونكر أن يسافر بدونه . وعدا ذلك فإن مولى افندى لم يحضر بالمرة لهذه المحطة لأن بلدة مميتو قد فصلت من مديرية بحر الغزال وألحقت بمديرية خط الاستواء تحت سيطرة أمين بك الذى لم يبعث إليها مرؤوسيه إلا بعد وقت . وعلى ذلك ظلت هذه البلدة بدون حكومة منظمة فى برهة الانتقال من سيطرة مديرية بحر الغزال الى مديرية خط الاستواء وعانى جونكر كل الصعوبات التى تلازم مثل هذا الانتقال .

وفى ١٧ اكتوبر شخص جونكر الى محطة « تنجازى » Tangasi الواقعة جنوب نهر ويّيه وهى أهم محطات بلد « النوبيين » Nubiens فدخلها فى اليوم التالى واستقبله فيها بالحفاوة المعتادة رئيسها وهو شخص يقال له محمد ولد عبده وأرسل اليه مؤونة من الذرة والطيور حتى الطماطم وكان النوبيون قد أدخلوا زراعة هذا الصنف الأخير فى هذه المنطقة فى العام الماضى .

وأتى محمد فى اليوم التالى وطلب من جونكر إبراز ما معه من المستندات فقدمها . ولما كانت ممهورة من سلطة بحر الغزال اعترض محمد قائلا إن هذه المستندات لا قيمة لها لضم هذا المركز الى مديرية خط الاستواء . وفى الحال أبرز جونكر الفرمان الذى يحمله من لدن حكومة القاهرة وبذلك قطعت جهيزة قول كل خطيب .

ويظهر أن موقف محمد المذكور نحو جونكر لم يكن متشربا روح المودة وكان جونكر يرى ان حركاته وعلاقاته مع الرؤساء الأهليين موضوعة تحت المراقبة وهذه الأمور لم تقع موقع الاستحسان فى نظره . وبعد أن أقام بضعة أيام أعلن رغبته فى الرحيل لأنه ما كان يقصد فى أول الأمر أن يطيل لبثه فى تنجازى . وعندما طلب أيضا حمالين حتم محمد أن يستولى على أجورهم مقدما على حين أن الأمر العالى الصادر من القاهرة يقضى عكس ذلك . وعلى أثر اطلاع محمد على ذلك الأمر انحل الاشكال .

رجوعه الى محطة لاكريما

وحصل السفر فى ٢٢ اكتوبر . ومر جونكر على المحطة التى يتولى إدارتها على افندى وهى المحطة التى زارها عند الذهاب وقابله فيها على افندى هذا مقابلة حسنة . وفى ٢٧ منه سافر جونكر بعد أن قدم له على افندى كل ما يلزمه واجتاز فى اليوم التالى تخوم بلدة ممبتّو وبلغ فى ٣ نوفمبر المحطة الجديدة التى أنشئت فى أرض « حكوه » Hokwa الواقعة تحت رئاسة شخص يقال له محمد خير وهو الذى لعب فيما بعد دورا هاما بوصف أنه أمير على بربر فى إبان الثورة المهدية .

ومسقط رأس محمد خير هذا كسلا . وهو لم يوجد فى بلاد العبيد إلا من زمن يسير . وقد ظهرت فيها مواهبه السامية فى الادارة وتفوقه فى الذكاء على مواطنيه فكانت المحطة مرتبة ترتيبا حسنا وتامة النظافة ومحاطة بحاجز مزدوج فى القسم الأول منه يقطن الجنود السودانيون وفى الثانى النوبيون .

وقدم محمد خير الى جونكر جميع حاجاته وألح عليه بالمكث عنده بعض أيام . وهذا جل ما كان جونكر يتمناه وذلك رغبة فى الاستفادة من الراحة أولا ، ولأن الناحية أعجبته من ناحية أخرى .

وأقام فى هذه المحطة لغاية ٧ نوفمبر . وفى هذا التاريخ شرع فى السير مع محمد خير بعض مسافة ثم قفل هذا راجعا . أما جونكر فانه أخذ يرتاد فى طريقه البلد الى أن وصل فى أول ديسمبر الى دار ندوروما الذى خرج لاستقباله فى الطريق وسر كثيرا لرؤيته .

وفى ٣ منه أى بعد غياب أربعة أشهر رجع ثانية الى المحطة التى كان قد أنشأها فى لاكريما فوجد جميع عمالها الذين كان قد تركهم فيها بخير وعافية وابتهج فؤاده عندما رأى بستانه حافلا بالأشجار الزاهية واستمر مقيما فى هذه المحطة الى آخر الشهر الذى كان آخر السنة أيضا .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول من السنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم الأول

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وصوله الى مصر وسفره الي مشرع الرق

ان زواية رحلة اليوزباشي « كازاتي » Casati في مديرية خط الاستواء لها أهمية كبرى في تاريخ هـــذه المديرية وهي تعد الثانية في الأهمية عند مقارنتها بالروايات الاخرى بعد رواية « فيتا حسان » Vita Hassan الصيدلي لأن ذلك اليوزباشي أقام بها مدة الثورات التي شبت فيها وانقطع في غضونها عن العالم المتمدين مع أمين باشا وعاد في آخر الأمر برفقته مع حملة استانلي .

وصل اليوزباشي كازاتي الى الديار المصرية في أوائل يناير عام ١٨٨٠ م وبلغ سواكن في ٢٣ من الشهر المذكور ورحل عنها ميمما بربر في ٢٩ منه فدخلها في ٧ فبراير ، ومن هـذه المدينـة أقلع على سفينة شراعية في ١٢ من هذا الشهر الأخير وبعد ابحار ١٤ يوما نزل في الخرطوم في ٢٦ منه . ووافق دخـوله في هذه المدينة رحيل غوردون باشا عنها وكان قد رجع من مأموريته في بلاد الحبش وسافر بعد أن قدم استقالته من وظيفة حكمدار السودان العام للخديو توفيق .



اليوزباشى كازاتى

وكان يقوم بأعباء هـذه الوظيفة موقتا « جيجلر باشا » Giegler Pacha وكيل الحكمدار الى أن يأتى رءوف باشا الحكمدار العام الجديد . وكتب كازاتى الى جيجلر فى غضون حكمداريته الوقتية يلتمس الترخيص له بالسفر الى الجنوب فوصل اليـه الرد برفض طلبه قطعيا لأن الأوامر التى أعطيت له لا تجيز له اعطاء رخص كهـذه فاضطر كازاتى ان ينتظر قدوم الحكمدار العام . وعند وصول هذا قدم له طلبا آخر وبعد قيام بعض صعوبات فى هـذا السبيل أعطيت له الرخصة المطلوبة .

وأقلع كازاتى من الخرطوم فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٠ م على مــتن الباخرة « الصافيــة » وبعـد أن مر بفاشودة ومحطـة السوباط بلغ مشرع الرق فى ٥ اغسطس وقضى باقى العام بالقيام بريادة فى مديرية بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨١ م

من

حكمدارية أمين باشا

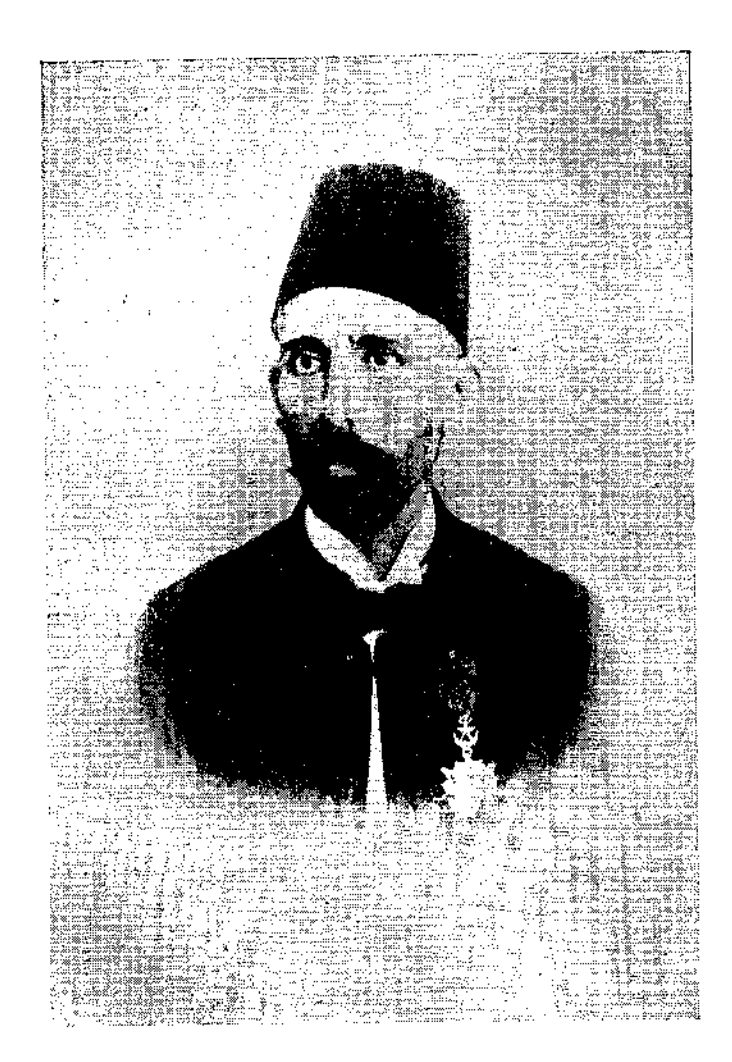
تعيين فيتا حسّان صيدليا لمديرية خط الاستواء

أشرقت شمس عام ١٨٨١ م وأمين بك مقيم فى لادو . وفى ١٤ يناير إبان وجوده فيها وصل اليها فيتا حسان الصيدلى المعين محل خليل افندى وسيم صيدلى الحكمدارية الذى كان قد تقرر رجوعه الى مصر .

وظل فيتا حسان مع أمين بك فى مديرية خط الاستواء عشر سنوات أعنى طول المدة التى قضاها منعزلا عن العالم المتمدين الى ان عاد مع حملة استانلى .

فكتب إذ ذاك سفرا سماه : « الحقيقة حول أمين باشا » وهذا السفر ما هو فى الحقيقة إلا تاريخ الحكمدارية فى كل هذه الحقبة ومنه استقينا أغلب الأنباء الآتية :

يمت فيتا حسان الى العنصر الاسرائيلى وقد ولد فى تونس فى ١٤ يناير عام ١٨٥٨ م أى فى نفس اليوم الذى وصل فيه الى لادو عام ١٨٨١ م . وكان والده قنصلا لدولة ايطاليا فى هذه المدينة فأرسله الى الاسكندرية ليتمم دراسته بها إلا أنه نظرا لفقر والديه اضطر لمغادرة المدرسة وهو فى الخامسة عشرة من سنه ابتغاء كسب قوته .



فيتـــا حسان

ووقع اختيـاره على مهنـة الصيدلة وتوصل الى دراستها لما تحـــلى به من الذكاء فى زمن قصير جـــدا حتى تسنى له وهو فى سن التاسعة عشرة أن يأخذ على عاتقـــه إدارة صيدلية لطبيب أرملة المرحـــوم عباس باشا الأول الخاص فى القاهـــرة . وتوصل بما له من الصلات أن يحصل على وظيفـة صيـــدلى فى العـريش بمصلحـة الصحـة ثم عينـه صيدليـــا فى السودان نيروتزوس بك Neroutzos Bey مدير الصحـة العموميـة بتـــاريخ ٢٥ مايو سنة ١٨٨٠ م.

وأقلع فيتا حسّان من السويس مزودا بخطاب من نظارة الداخليـــة الى رءوف باشا الذى كان فى ذلك الوقت حكمدارا عاما للسودان مستقلا ظهـــر الباخرة « الحـديدة » ووجهته سواكن ومن هـــذه شخص الى بربر فالخرطـــوم . ولدى بلوغه هـذه المدينـــة مثل بين يدى الطبيب زربوهـل Zerbuhl مـدير الاعمـــال الصحيـة فعـرض عليـه هـــذا ان يختـــار « كلـكل » Kolkol بمـديرية دارفـــور أو لادو بمديرية خط الاستواء وهمـا المحـــلان المطلوب لكل منهما صيـدلى . غير انه نصحـه ان يختار المحـــل الثانى فعمـل بنصيحته وأخـــذ يتـأهب للسفر ليشغل وظيفتـه .

ولداعى عدم وجـود بواخـــر جاهزة للابحار اضطر فيتـا حسّان أن ينتظر شهرين فى الخرطـــوم وبعد ذلك أقلـع على متن البـاخرة « امبابه » . وكانت تقطـــر ثلاث سفن وماعـونة بها نحـــو خمسمائة مسافر منهم ٢٠٠ من الخطرية و ٢٠٠ سجين وبها كذلك كـثير من البضائع والذخـيرة برسم الحكومـة فى لادو . واستغرقت الرحـــلة زمنا طـويلا لأن الحالة

استدعت إزالة الحواجز التي كونتها الحشائش في منطقة السدود . ولم يستطع فيتا حسّان بلوغ لادو إلا بعد سفر دام ٨١ يوما وكان دخوله فيها في ١٤ يناير سنة ١٨٨١ م مع أنه من المعتاد قطع هذه المرحلة في ظرف ١٥ الى ٢٠ يوما .

ولدى وصوله وضع نصب عينيه أولا المثول بين يدى رئيسه الجديد ووضع نفسه تحت تصرفه . وعلى هذا ولى وجهه شطر مقر المديرية ودخل القاعة الكبرى فوجد فيها اناسا كثيرين يتسامرون وهم جلوس على أريكة كبيرة . وما وقعت عينه على أمين بك حتى عرفه من الأوصاف التى قد سبق أن استقاها عنه وكان عن يمينه لبتون بك Lupton Bey وكيل الحكمدار وعن يساره نور بك محمد قائد الجنود وكان بصحبتهم كذلك قاضى المديرية الحاج عثمان وبعض الضباط .

وقدم فيتا حسّان أمر تعيينه صيدليا للحكمدارية الى أمين بك فقابله بالبشاشة والايناس ودعاه فوق ذلك لتناول الطعام معه لعدم وجود مطاعم فى الجهة . فشكره فيتا حسّان وانصرف قاصدا الذهاب الى زميله خليل افندى وسيم الذى سيحل محله فى الوظيفة . فقابله هذا بأدب وعرض عليه كوخا ملاصقا لسكنه ليحل فيه لغاية اليوم الذى رحل هو فيه .

وكانت لادو عاصمة مديرية خط الاستواء مشيدة على شاطىء النيل الأبيض الشرقى ومؤلفة من ٢٠٠ كوخ مستدير يقال للواحد منها « توكول Tokoul » مبنية من عيدان الخيزران ومغطاة بالقش

وقشور الاشجار وأرضيتها من الداخل مكونة من تراب وطين . وسكن الحكمدار ومستودعات الحكومة هى وحدها المتفرقة عن بعضها فهى إما منعزلة أو متجمعة تتكون من كوخين الى ثلاثين كوخا . وكل مجموعة من هذه الاكواخ يحيط بها سور ذو زوايا مستقيمة مشيد من ذات المواد السالف ذكرها . والشوارع التى تفصلها عن بعضها واسعة للغاية غير أنها عارية من الاشجار ولا يوجد بها حوانيت .

وتصلى الشمس قبيل الظهر بنيرانها المتقدة تلك الشوارع فتلظى بشدة حتى تخترق حرارة الرمال جلود الاحذية . ويتخيل المقيم بتلك النواحى لانعدام الحركة من هذه الشوارع أنها شوارع مدينة أخنى عليها الذى أخنى على لبد فاتت بموتهم . وقد يقع البصر فى بعض الأحيان على سودانى يمر منها مسرعا كالبرق فيحدث بمروره هذا تغييرا فى ذلك المنظر المضجر الثابت على حالة واحدة .

وفى اليوم التالى لوصول فيتا حسان قام ومعه زميله خليل افندي الى المستشفى لتسلم مركزه وليزور المرضى لأن الصيدلى كان عليه أيضا ان يقوم بأعباء الطبيب .

وبعد أن أقام ثمانية ايام فى لادو استصحبه الحكمدار أمين بك للقيام بجولة للتفتيش فى محطة بور وأقلعا على ظهر الباخرة « تلحوين » . وفى إبان الثلاثة الأيام التى قضياها فى هذه الناحية فحص فيتا حسان المرضى وعالجهم ووصف لهم الادوية التى تستلزمها حالاتهم بينما كان أمين بك يراجع دفاتر المخازن ويوزع الكساوى على الجند ويستقصى الحالة ويستفهم من

كل انسان عما اذا كان يوجد لديه ما يوجب الشكوى . وهكذا كان عليه أن يجلس لسماع الشكاوى والطلبات وفحصها والبت فيها بطريقة عادلة اذا تراءى له ما يوجب ذلك . وعرض الجند وحضهم على الوفاء والأمانة وطاعة الحكومة وشجع المستحقين وحث الآخرين على الاقتداء بهم . وعلى وجه العموم كان يبذل كل ما فى وسعه لاستتباب الأمن وعمل ما فيه راحة ومرضاة الجنود والأهالى .

وأقلع ثانية فى اليوم الثالث وسط اطلاق ثلاث طلقات مدفع اتباعا للعادة التى كان قد سنها غوردون وهى اطلاق ثلاث طلقات حين قدوم المديرين وعند سفرهم . ولدى صعوده الى الباخرة صاحت الجنود وهى مصطفة على الضفة وباسطة أسلحتها قائلة : « يحيا الخديو » .

اهتمام الحكمدار بتوسيع نطاق الزراعة

وبعد مرور أسبوعين من رجوعها الى لادو فوض الحكمدار أمين بك الى وكيله لبتون بك Lupton Bey أمر ادارة قسم لاتوكا بمعاونة ابراهيم افندى حمر . وكان لهذا القسم أهمية لا تشاركه فيها الاقسام الأخرى وما ذلك إلا بسبب كمية ونوع العاج الذى كان يورده وهذا ما يفسر الباعث على تعيين موظف له هذه الشخصية البارزة لادارته .

وشرع فيتا حسان يعمل فى وظيفته مع ان سلفه خليل افندى كان باقيا فى لادو ولم يسافر بعد الى مركزه الجديد .

وكان الحكمدار منهمكا انهماكا شديدا فى السعى ابتغاء توسيع وسائل المعيشة

فى مديريته وجنى أكبر محصول منهــا ليتسنى له على قدر الاستطاعة جعلها مستقلة من وجهــة الارزاق ووسائل العيش والاستغناء عن استجــلاب المواد اللازمـة لاستهلاك الموظفين والجنـد وعلى ذلك كانت المسائل الزراعية لها بحكم الطبع المنزلة الأولى فى مشاغله .

وكانت تحتوى البساتين التى كان قد أنشأها فى لادو و مكراكا والمحطات الاخرى على أشجار البرتقال و الليمون و الجوافـة و العنب . وتحتوى المزارع على شجيرات القطن .

وفى فـــبراير سطر مكتوبا الى الاستاذ شوينفـورث ليسدبه الشكر لامــــداده بجوالقين من تقاوى الأرز و الـــبن وأنواع أخــــرى مختلفة . وقد حمـــله على طلب الصنفين الأولـين ما عاينــــه فى أراضى أوغنــــدة و الاونيـورو إذ رآهمــــا هناك مزروعين فى مساحات واسعــــة ولاحظ ما يصادفانه من النجاح . ويخبره أيضا بأنه يوجـد لديه قصب السكر من نوع جيـــد وان تقاوى الذرة التى بعث له بهــــا الفريق استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى وهـو أمريكى الجنس أعطت محصـولا وافرا وعرفه كذلك أن تربية الخيول لا تصادف نجاحا ولكن الأباعر و الحمير التى استوردها فى العام السابق حالتها حسنة للغاية .

السفر من لادو الى لاتوكا وضم هذه المحطة وغيرها الى المديرية

وفى ١٤ أبريل سافر الحكمدار من لادو مستصحبا فيتــــا حسان ليقوما بجـولة للتفتيش فى اتجاه قسم لاتوكا القائم شرق النيل ولبثا فى هـذه الرحلة شهرين . وكان سير صموئيل بيـكر قد ضم هذا القسم الى مديرية خط الاستواء

ثم أخلاه ثم احتله غوردون باشا وبعد ذلك أمر باخلائه كما فصل مع باقى محطات الجنوب . وفى عام ١٨٨٠ م احتل الحكمدار أمين بك كل المحطات التى كانت قد أخليت وضم لاتوكا الى المديرية .

ومن لادو انتقل أولا الى غندوكورو التى كانت فى البدء قاعدة الحكمدارية ثم أخليت وانحطت منزلتها فصارت محطة صغيرة ليس بها إلا ١٢ جنديا . وفائدة الاحتفاظ بها وهى على تلك الحالة هى استخدامها سلما للمتاجرة مع قبائل البارين المجاورة ووسيلة لتسهيل زراعة الأراضى التى تكتنفها ولتكون مع احتلال لاتوكا قاعدة حربية للطريق الموصل الى هذه المحطة .

وأول مرحلة قطعها بعد غندوكورو كانت مرحلة « ليريا » Liria وهذه وان لم تكن احتلت إلا من منذ عام واحد إلا أن حالتها كانت تسمح باجتياز المسافة اليها بدون حرس ما .

وبنية سكان هذه المنطقة قوية للغاية مثل بنية جيرانهم البارين . وكذلك سمعتهم فى اللصوصية تضارع سمعة هؤلاء . ويزرع الذرة فيها فى مساحات واسعة وبالعكس زراعة الدخان إذ لا يوجد منها إلا مقادير صغيرة . ويلوح من حالته ان زرعه غير ناجح . أما طرائد الصيد فوافرة ويعود على القناصين منها فوائد كثيرة . ويوجد هنالك الفيلة والجاموس والزرافة وحمار الوحش والخنازير البرية وجموع كثيرة من الوعول وغيرها . وكان يوجد حول المحطة فقط ١٧ أخدودا معدة لاقتناص الصيد . وهذه الكثرة من الطرائد نعمة يتمتع بها الأهالى فى غذائهم إلا أنه من الغريب العجيب ان الحيوانات الأليفة مثل الثيران و الحمير و البغال لا تعيش

فى ذلك الاقليم .

ومن هناك انتقل الحكمدار الى قرية « الشيخ لاتوم » Latome الواقعة على مرتفع فى جوف سهل كثير المرتفعات والمنخفضات . ويبلغ الانسان ذلك المكان باجتياز سلسلة مرتفعات يكتنفها سياجات من الخيزران لا يستطيع الرصاص اختراقها لشدة كثافتها . ولقد قتل فى هذه المنطقة من بضع سنوات نحو عشرين من الدناقلة .

وقابل لاتوم الحكمدار عند مدخل قريته واقتاده الى مسكنه وقدم له شهدا وعاجا هدية فمنحه الحكمدار فى مقابل ذلك هدية أخرى . وكان هذا الشيخ مشهورا بالبخل الشديد غير ان الحكمدار رأى منه دواما كل مجاملة واكرام .

وأفضى به السير فى المرحلة التالية الى « ترانجول » Tarangole . وهذه كانت أهم محطة فى مركز لاتوكا وانشاؤها يرجع الى زمن بعيد والذين شيدوها هم الجنود الدناقلة التابعة لتجار الخرطوم واتخذوها قاعدة لتجارة العاج لأن طباع الأهالى الحربية حالت دون جعلها مركزا للمتاجرة فى الرقيق .

وكانت أراضى مركز لاتوكا جبلية غزيرة الانبات وبها غابات كثيفة تكثر فيها الحيوانات والطيور على سائر أنواعها كثرة لا مزيد عليها . ومناخها معتدل بل لطيف لدرجة كبرى إذ ان متوسط درجة الحرارة فيها يبلغ ٢٥ درجة سنتجراد . ويجرى فى جبالها ماء رائق فرات غزير . وغاباتها النضيرة ذات الاشجار الشامخة التى يتجاوز ارتفاع الواحدة منها

٥٠ مترا وتبسط ظلالهـــا الوارفة فوق عشب يشبه الفرش الخضراء . وجـو مناخها البديع وماؤها الغزير العذب ، كل هذا سير لاتوكا جنة لا تدع فى نفس من يطؤها ميلا للرحيل عنها .

ولما كان هـذا البـــلد جزيل الخيرات كثير الحاصلات كان يصعب ترضية سكانه بما يقنع به الزنوج الآخرون من الاطعمة . فهم لا يأكلون إلا الذرة والحبـــوب الأخرى والشهد واللبن ولحوم الحيوانات المذبوحة . وكانوا يقتنون أيضا قطعانا كبيرة من الماعز يسرحونهـــا ترعى فى الغابات حيث تنمو مقادير كبيرة من الزهـــور بين الاشجار الأمر الذى يصير لحومهـــا لذيذة الطعم . وقد قدم للحكمدار تيس فأكلت حاشيته من لحـــومه حتى امتلأت منها البطون وبقى بعد ذلك ٢٥ رطـلا من الدهن أذابها طاهيه .

وكان لسكان لاتوكا شهرة كبيرة فى الحروب مصحوبة بشىء من الشمم والترفع وكانوا يشتغلون بنوع أخص باقتناص الجاموس والافيال .

وانتقل الحكمدار وفيتا حسان من ترانجـول الى محطات المركز الاخرى وهى « واتاكو » Walaku و « فاراجوك » Faragok حيث لبثا يومين وفى هذه المحطة الأخيرة غادرهما لبتون بك مأمور المركز .

ومن ترانجـول ذهب أمـين بك الى مركز فاديبك وهى بلدة الشوليين . وأول محطة زارها محطة اجـــارو وهى المحطة الأولى وبينها وبين آخـر محطة من مركز لاتوكا مرحـــلة ثلاثة أيام والمسافة بينها وبين فاديبك تستغرق سفر يوم ونصف يوم وأربعـة أيام من فاجـولى . وفاديبك هـــذه واقعـة

فى سفح سلسلة جبال فى جوف سهل صغير كثير الخصب فيه المراعى النضرة للانعام والغنم .

وانطلق أمين بك بعد اجارو الى فاجولى وهى محطة قائمة فى قلب حوض وليس فى موقعها شيء يستوقف النظر وتنحصر أهميتها فى مبادلة المتاجر مع اهالى اللانجو المقيمين فى الجنوب والشرق . وأهم تجارتها ريش النعام ويأتى بعده فى الأهمية العاج .

وكانت المتاجرة فى الريش قد أدركها العفاء وتركت فى زوايا الضياع لغاية ذلك الحين مع أنه من المستطاع الحصول على كمية كبيرة من هذا الريش من هذه المنطقة لأنه يوجد بها النعام بكثرة وفيها منه أسراب هائلة العدد . وعلى ذلك اتخذ أمين بك العدة ورتب الترتيبات اللازمة المؤدية لحث الأهالى وتحريضهم على جمع الريش ونقله الى المحطة وانشاء حقول فى مختلف المحطات لتربية النعام .

وكان لا يوجد مجارى ماء فى فاجولى وكان الاهالى يغترفون ما يلزمهم من الماء من الآبار والصهاريج التى تتكون فيها مياه الامطار . وأكبر صهريج هو الواقع على بعد ميل جنوب المحطة وطوله ٨٠٠ متر وعمقه متران وكان ماؤه يكفى حاجات المحطة والقرى المجاورة طيلة أيام السنة .

وانتقل أمين بك من أجارو الى فاديبك واستراح فى هذه يوما واحدا واستبدل فيها بحماليه آخرين . ومن فاديبك سار موليا وجهه شطر قرية « عبو » Obbo وهى أبعد محطات مركز شولى شمالا .

وكان يوجد فى عبو رجل ينزل المطر يسمى « راتشى » Ratchi . وهذا الرجل قضى نحبه من زمن غير أن واحدا من أبنائه الذين كان يبلغ عددهم ١٢٠ نفسا حل محله فى وظيفته وأهالى عبو يكرمون الضيف ويرحبون بقدومه .

سفره الى محطة لابوريه وتفقده الأعمال بها

ومن عبو سافر الحكمدار صوب الغرب ميمما محطة لابوريه القائمة على النيل الأبيض . ومر فى طريقه بقرية أوجلى Ogilli التابعة لمركز « فانيكوارا » Fanyiquara . وفى أوجلى أبدل بحماليه آخرين أيضا لكى يستطيع ان يجتاز بأكثر سرعة حقول الحنطة التى فى طريقه . وعندما وصل الى قرية « دريتو » Dereto تسلل جميع الحمالين الواحد تلو الآخر ولم يتيسر له ان يستمر فى رحلته ويبلغ قرية « كيرو » Kero إلا بواسطة شيخ القرية الأولى المسمى « جوتا » Guta الذى أحضر له اناسا بدلا منهم . وكيرو السالفة الذكر واقعة على مسافة ثلاث ساعات من لابوريه وقائمة فوق تلاع ولهذا كان منسوبها مرتفعا كثيرا عن هذه القرية الاخيرة والطريق الموصلة بينهما منحدرة انحدارا شديدا لغاية ضفة النيل الشرقية حيث توجد محطة لابوريه التى دخلها الحكمدار فى السادس والعشرين من شهر مايو .

وتفقد كعادته المحطة والاشغال التى أنجزت فيها وفحص الطرق المتبعة فى سبيل حماية الأهالى وتحسين حالة معيشتهم . وأودع لحسابه فى مخازن الحكومة عشرة قناطير من العاج وخمسة أرطال من ريش النعام . وهذه المقادير هى التى أهداها اليه رؤساء قبائل الزنوج

أثناء جولته .

رجوع فيتا حسّان مع الحكمدار الى لادو وتوليه عمله

وسار الحكمدار من لابوريه متتبعا مجرى النيل وتفقد محطات موجى ، و كري ، و بيدن ، و الرجاف عند مروره بها ورجع الى لادو فى يونيه .

ووجد فيتا حسّان عندما دخل لادو ان سلفه خليل افندى سافر ليتسلم مركزه الجديد وترك له المنزل الذى كان يسكنه . ولما كان مشيدا بالطين وعيدان الخيزران اتجهت افكاره للحصول على شيء أحسن من هذا فصنع قوالب للطوب بطول ٣٥ وعرض ٢٠ سنتيمترا وفى مدة شهر أنجز ٤٠٠٠٠ طوبة بنى بها بيته الجديد وساعده فى ذلك صناع الحكومة إذ كان لها فى المديرية بناء ونجار وحداد ونقاش وسمكرى يتقاضون رواتب شهرية . وكان هؤلاء لا يعملون شيئا لحساب الأهالى . والموظف الذى يستخدمهم فى أمر من الأمور ينبغى عليه أن يقدر ما يساويه عملهم بواسطة رئيس الموظفين والمبلغ الذى يقدره يخصم من مرتب ذلك الموظف .

وعندما نفض يديه من تشييد سكنه وجه فكره للمرضى وأراد أن يستفيدوا هم الآخرون من تحسينات كهذه فأعاد بناء المستشفى والصيدلية من الطوب وأوجد فى الأول كل وسائل الراحة والصحة وأوجد فى الثانية دواليب زجاجية وضع فيها أحقاق وأوانى الأدوية بأكمل نظام وأتم ترتيب وأعد فيها كذلك معملا عمليا نظيفا .

وروى فيتا حسّان أنه لا يوجد أى مرض أو داء عضال فى لادو ولا فى محطات الحكمدارية الأخـرى . وانه فى ابان إقامته فى لادو لم يتقدم اليه للعلاج إلا شخص واحد مصاب بالحى الخبيثة وآخر بالتيفوس واثنان بالصفراء وبعض اناس مصابون بأمراض سرية . وكان الزنوج لا يعرفون هذا الداء قبل أن تدخل العناصر العربية ديارهم . وهؤلاء العرب هم الذين نقلوه الى بلادهم . وقلما تجد انسانا يشكو من ألم فى عينه فعيون وأسنان السودانيين ليس لها نظير فى كل بلاد العالم . والمرض الوحيد الذى خص به العنصر الزنجى هو داء دودة المدينة المسمى هناك بالفرانتيت Frantit . فهذا المرض لا يصاب به سوى الزنوج ولا يحدث منه وفاة .

تاريخ احتكار الحكومة للتجارة بهذه المديرية

أورد فيتا حسّان فى الفصل الثالث من كتابه بيانا هاما بصدد كيفية دفع رواتب الموظفين والمعاملات التجارية الجزئية التى صارت تحصل من وقت احتكار الحكومة للتجارة .

ويرجع تاريخ هذا الاحتكار الى عهد ضم اراضى المديرية اما الواضع له فغوردون باشا واستمر معمولا به من ذلك الوقت .

ولا توجد تجارة حقيقية بمعنى الكلمة فى لادو ولا فى محطات خط الاستواء الأخرى وبحر الغزال ابتداء من لادو . وكان يوجد فى لادو ثلاثة تجار وهم صبره وهو مصرى من اهالى الوجه القبلى ، و روفائيل وهو قبطى ، و ديمترى يونانى . وكلف غوردون فيما بعد اثنى عشر يونانيا بينهم هذا الأخير بحراسة المستر « پور » Power قنصل انكلترا

فى الخرطوم والذب عنه ومرافقته هو وأميرالآلاى « استوارت » Stewart ومسيو « هربن » Herbin قنصل فرنسا . وكان هـذا الجمع كله على ظهر الباخـرة « عباس » التى كان قد أرسلها غوردون الى الديار المصرية وشحطت بين أبى حمد ومروى حيث ذبحهم جميعا الدراويش .

وكان تجار لادو الثلاثة كلهم يمتلكون رأس مال يبلغ نحو ١٥٠٠ ريال . وهـذا المبلغ هو قيمة ما لديهم من السلع التى تنحصر فى بعض مقاطع من الأنسجة القطنية والدامور وبعض زجاجات من المشروبات الروحية وكمية زهيدة من المواد الغذائية .

وكانت المواد الهامة المعدة للتصدير هى وحدها المحتكرة وترسل الى الخرطـوم وهى العاج وريش النعام وجـلود الثيران . فالعاج بلا امتراء من ممتلكات الحكومة ويجب على الأهالى جميعهم بدون استثناء توريده لمستودعات الحكومة حالا عقب صيد الفيلة بدون مقابل . ولربما سأل سائل لماذا يتكلف الزنوج عناء اقتناصها ما داموا لا يستفيدون فائدة من وراء صيدها . والجواب على ذلك ان أولئك الزنوج يصيدونها ابتغاء الحصول على لحومها وشحومها اكثر مما يبغون الحصول على انيابها إذ أنهم يحصلون منها على مقادير وافرة من اللحوم والشحم للتغذية . وكانوا قبل احتكار العاج يبادلون عليه بالخرز أو بزجاجة من الخمر المغشوشة التى يجلبها التجار . هذا اذا لم يتخذ منها كثير من مشائخهم سياجات ينشئونها حول اكواخهم ويستثنى من ذلك سكان مملكتى الاونيورو والاوغندة إذ ان هؤلاء كان يوجد بينهم وبين الزنزباريين علائق تجارية .

وفرضت الحكومة فيما بعـد ذلك على الأهالى توريد العاج بصفة

جـــزية فاضطروا أن يقتنصوا الافيال ليوردوا انيابها سدادا لما هـــو مطلوب منهم لها .

وعـــاد الاحتكار على الاهالى بأضرار أقل كثيرا من التى وقعت على العرب لأن هؤلاء كانوا يجـــرون مغانم كثيرة من وراء بيعهم العاج فى الخرطوم .

وكان من المتعين أيضا تسليم ريش النعام فى مستودعات الحكومة فتدفع هذه نصف الثمن والجزء الباقى يحجز سدادا لضريبة الحكومة .

وهذه هى القاعدة المتخذة أساسا للدفع :ـــ

١٨ ريالا ثمن رطـل الريش الأبيض بضاعـة عالية ويقال لهـذا الصنف « العوام » .

١٢ ريالا ثمن رطل الريش الأسود بضاعة متوسطة ويقـال لهذا الصنف « الأسود » .

٣ ريالات ثمن رطل الريش الاشهب بضاعـة عادية ويقال لهـذا الصنف « ربدا » Rebeda .

وكانت هذه الأثمان لا تدفع نقـدا بل غلة . وكانت السلع تقـوم مقـام النقود المتـداولة فى مديرية خط الاستواء فيدفع منها رواتب الموظفـين والجنـد وكذلك الحال فى باقى المعاملة التجارية .

وكانت البواخر التى تبحـــر الى الخرطـوم تشحن بالعـاج وريش النعـام

والجلود وغير ذلك من الأشياء الصغيرة ولدى عودتها توسق بالمظلات و الاحذية و الطرابيش و المنسوجات القطنية الغليظة و الخرز و الصابون و السكر و البن و الشاى و المشروبات الروحية وسلع من المعدة للاستبدال من جميع الانواع .

ولم ير فيتا حسان طول المدة التي أقامها إلا شحنة واحدة من النقود تحتوى على ٥٢٠٠٠ ريال بعث بها رءوف باشا من الخرطوم ليدفع منها الماشات المتأخرة ومرتبات المستخدمين الملكيين والعسكريين لغاية آخر عام ١٨٧٩ م . وكون هذا المبلغ القيمة التى استعملت للمبادلة عينا فى جميع أنحاء المديرية زهاء عشر سنوات وكانت كل باخرة تأتى من الخرطوم تجلب سلعا بنحو ٣٠٠٠٠ ريال .

ولدى الوصول كان يضاف الى ثمن الشراء الذى كان مرتفعا فى الخرطوم رسوم قدرها ١٠ ٪ تقريبا علاوة على نفقات الشحن . وهذه النفقات كانت تحتسب بواقع ١٢٠٠ قرش يوميا عن ٩٠ يوما أى طيلة مدة الذهاب من الخرطوم والعودة اليها فيكون مجموع ذلك ١٠٨٠٠٠ من القروش . وعلى هذا يزيد ثمن السلع زهاء ٣٠ ٪ والموظف الذى يستولى على راتبه غلات أى من هذه السلع لا يصل الى يده إلا ثلثا استحقاقه .

والحاصلات التى كانت تجبى من الأهالى مثل الذرة والسمسم والفول والشهد والزيت والأشياء الأخرى كانت تعطى للموظفين بمقتضى قواعد معينة وتخصم من أجورهم . واثمانها الرسمية هى كالآتى :—

ص	
٢٨	ثمن اردب الذرة الأحمر .
٦٠	« « السمسم .
٣٠	« « الذرة الابيض .
٢٥	« « الفول .
١٫٥	« رطل الشهـــد .
١٫٢٥	« « الزيت .

وكان الموظف أو الضابط يحصل على ما يلزمه من المؤونة عندما تأتى باخرة أو يصير أداء جزء من الضريبة ويقدم لأمـــين المخزن سندا مبينا فيه ثمن السلع التى استولى عليها وهـــذا الثمن يخصم من مرتبه أو كرائه . ويرى على هـذا ان العملة النقدية ليس لها أية فائدة وأن انعدامها بالمرة لا يشعر به أحد .

الحاق ممبتو بمديرية خط الاستواء
وتسليم اليوزباشى حواش افندى إدارة مركزها

وكانت بلدة ممبتـو أو جرجورو ملحقـة بمديرية بحر الغزال لغاية يوليـه سنة ١٨٨١ م وانفصلت عنها من هـذا التاريخ مع مركز رول وألحقت بمديرية خط الاستواء لأنها أقل بعدا عنها من مديرية بحر الغزال .

وكان الرحالة جونكر فى هـذا الحـــين بتلك الأصقاع فاعتدى عليه الأهالى وأساءوا معاملته وسلبوا من متاعه أشياء كثيرة . وكانت حمـــلة قد أعدت لتسلم هـــذا البلد وصارت على وشك السفر فكتب الحكمدار أمـــين بك الى جونكر فى ١٢ أغسطس يعلمه بالأمر ويخبره أن يحيط

اليوزباشى حواش افندى منتصر الذى سيعهد اليـــه أمر قيادة هذه الحمـــلة وتسلم المركز المذكور ، بالأشياء التى تلزمـه . وأخبره فى الوقت ذاته أن وكيله لبتون بك عين حكمدارا لمديرية بحر الغزال بدلا من جيسى باشا الذى عزل من الخدمة وأدركته منيته فى السويس . وأخـــبره علاوة على ما ذكر أنه على وشك المجىء الى مكراكا ومن هذه يتوجه لتفقد مراكز أمادى ، و اجـــاك ، و رومبيك وغيرها من المراكز البحرية وأنه من المحتمل أن يذهب بعـــد شهرين للتفتيش على منطقة ممبتو ويتمتع فيهـــا بمشاهدته .

وبعد أن تسلم اليوزباشى حواش افندى منتصر قائد جنود مكراكا أمر تكليفه بادارة مركز ممبتو سافر على رأس ٥٠ جنديا لا غير لينضم الى حامية ذلك المركز المؤلفة من عساكر خطرية .

ووجد فى قرية « أنزيا » Anzia وهى آخر محطات مكراكا اليوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى مريضا . فاهتم بأمره طيلة يوم وسافر فى اليوم التالى الى « برنجى الصغير » وهى أول محطة من محطات مركز ممبتو . وعلم وقت وصوله اليها ان الأهالى أبادوا الحامية الخطرية التى فى هذا المركز المؤلفة من ٨٠ جنديا .

ولم يدع هذا النبأ اليأس يتطرق الى قلبه وكتب الى الحكمدار يقول : لقد قتلت حاميـــة ممبتـو وسأنطلق الى هنالك لأعاقب الزنوج على ما جنت أيديهم وأنتقم لسمعتك . فاذا سلمنى الله من هذه الواقعة وظللت على قيد الحياة احطتك علما بالنتيجة .

وانتقل حواش افندى منتصر الى قــرية « الطويل » وفيها قام بعملية مبادلة الدم مع شيخهـا . وبعد مضى ١٢ يومـا استطاع أن يجمع ٣٠٠ زنجى مسلحين ببنـادق بقيت فى حيازتهم من وقت أن كانت المتاجرة بالسلاح مباحة .

ومبادلة الدم بين شخصين هى عبـارة عن اتحاد بينهما يحتم عليهما أن يتعاونا فى حالتى الهجوم والدفاع . وهـذا الاتحاد المثبت بطابع من دمهما لا انفكاك له . وهذه هى طريقة مبادلة الدم عند رؤساء الزنوج :ـ

يحدث كل من المتبادلين الدم جرحـا بسيطا فى ذراع الآخـر أو فى جنبه بآلة حادة ويغمس فى دم زميله حبة ما ـ ومن المعتاد أن تكون هـذه الحبة من حب البن ـ ويبتلعها فـورا . وبانتهاء هـذه العملية يتم عقد مبـادلة الدم . ومتى انتهى توقيع العهـد بهـذه الصيغة لا يخشى أى الفريقين خيانة أو غدرا من الجانب الآخـر حتى ولو كانا قبل توقيـع العهد عدوين لدودين بل يطرحان الماضى فى زوايا النسيان ويلتزمان أن يشدا أزر بعضهما . ولم يحدث مطلقا فى السودان ان أحدا من الموقعين عهـد الدم نـكث عهده ويصح أن يحتذى الرجـال الذين يطلق عليهم كلمة متمدينين بمتوحشى افريقية فى المحافظة على العهود .

وسافـر حواش افندى منتصر موليا وجهـه شطر « بنجيدى » Bengedi الواقعة على نهر وليـه . وبعد أن علم شيخ هذه الناحية بمـا عقد عليه حواش افندى منتصر النيـة وقع معه معاهـدة الدم وسمـح أن يرافقه ١٨٠٠ رجـل من رجاله مزودين بالحراب . ودفعـه الى ذلك عـامل الطمع فى

الحصول على غنائم . وسافر حواش افندى منتصر مصحوبا بهذه الامدادات الى ممبتو .

وغادر بلد النيام نيام وولج فى ممبتو متخذا طريق بلدة « بمبا » Bamba التى يرأسها الشيخ أزنجا Asanga أخو الشيخ جمبارى Jambari .

تأديب اليوزباشى حواش افندى لمامبانجا وأتباعه

وقام حواش افندى منتصر فى بلدة بمبا بعدة مظاهرات بواسطة جنوده أطلق خلالها كثيرا من الطلقات النارية إرهابا للاهالى . وعقد معاهدة الدم مع أزنجا واصطحبه فى مسيره مع ١٥٠٠ رجل آخرين تابعين له ودخل حواش افندى منتصر فى أراضى « كوبى » Kobi التابعة لجمبارى أخى أزنجا على رأس ٣٦٥٠ رجلا . وكان جمبارى هذا أسيرا فى مديرية بحر الغزال فأتى ابنه جمعة لمقابلته وعقد معه معاهدة الدم وطلب منه أن يتوسط لدى الحكومة لاطلاق سراح أبيه .

وعلم حواش افندى منتصر عند ذاك أن الحامية قتلها مامبانجا فى تنجازى . ومامبانجا هذا هو رئيس ممبتو وأن القتل حصل بتحريض واغراء الرئيس الحاكم جنجارا Gangara . وأراضى مامبانجا واقعة خلف تنجازى . فزحف على هذه الناحية الأخيرة وقاتل جنجارا وأخذه أسيرا وأجرى تحقيقا بشأن إهلاك الحطرية وسار من أجل هذا الغرض فى طلب مامبانجا الذى كان نازلا عند تخوم بلدة « ابرامو » Abramo وهاجمه على غرة منه واضطره أن يرحل الى داخلية البلد . فاقتفى أثره حواش افندى منتصر وطارده مدة سبعة عشر يوما . ولما لم يستطع اللحاق به ألقى عصا

تسياره فى عاصمة مامبانجا القديمة على مسافة قريبة من قرية الشيخ مبورو Mboro وعقد مع هــــذا معاهدة مبادلة الدم وأقام فى تلك الربوع محطة حصينة وعين فيها خمسين رجلا . وأرسل بقيادة الضابط محمـــــد افندى عبده جنود الزنوج ليقيم محطات بمبتو ويحصنها . وتربص حواش افندى منتصر لمامبانجا وشددت عزيمته فى ذلك مخالفة مبادلة الدم التى عقدها مع مبورو . وعمل مامبانجا كل ما فى وسعه بل بذل ما هو فوق ذلك لإرهاب حواش افندى منتصر وحمله على الاقلاع عن مطاردته .

وقدم ذات يوم رسول وقدم الى حواش افندى منتصر الهـــــدايا حسب المعتاد وأراه أربع سلال مفعمة بالتبن المفتت وقال : « ان سيدى يخبرك ان لديه رجالا يضارع عــــددهم التبن الموضوع فى هذه السلال التى أمامك . وهو يؤثر أن يكون صديقك على أن يكون خصمك وينصحك مراعيا فى ذلك مصلحتك أن تكف عن مطاردته » .

وما أتم الرسول كلامه حتى أخـــــرج له حواش افندى منتصر من جيبه علبة صغيرة بها عيدان من الكبريت وبعد أن أعطاه هدايا لسيده مامبانجا قال : « حال وصولك لسيدك افعل مثل ما أنا قادم على عمـــــله تحت بصرك وجاوبه بالذى سأقوله لك » .

وقلب حواش افندى منتصر سلال التبن وأشعل ما كان فيها بعـــــود من الثقاب وقال له : « بعد ما تكون قد قمت بعمل ما أريتـــــك أمام سيدك قل له إنه وإن كانت جنودى ليست أكثر عددا من عيــــدان الكبريت التى فى هذه العلبة إلا أن واحـــــدا منهم يكفى للاشاة وإفناء جيشه مثلما اكتفى الحال بعود واحـــــد من هذه العيدان لتحويل هذا

التبن رمادا » .

وقد يكون فى هذا الزعم شيء من المغالاة ولكن يلزم ألا يفوتنا أن حواش افندى منتصر كان يواجه اناسا تمثل فيهم الجرأة فى القول والاقدام على العمل ما لا يمثله التروى والتبصر فى العواقب .

وبعد شهرين من ذلك عاد مامبانجا . وعلم حواش افندى منتصر وكان وقتها فى « مبورو » Mboro ، أن ذلك الرجل أرسل فى الطليعة جيوشه المساعدة . ولما كان لدى حواش افندى منتصر من الذخيرة ما يكفيه رتب عساكره وسط المحطة خلف حصن مؤلف من حاجز من الأعمدة الخشبية كان قد أعده من قبل احتياطا للطوارىء وأحاط ذلك من جميع الجهات بزنوج مبورو .

وكان مامبانجا فى أثناء هذه المدة قد جمع لفيف قبائل « الأبرامو » Abramos ولم يتخلف عنه من جموعهم إلا قبيلة مبورو وشرع فى الهجوم على المحطة . وكان ذلك قبيل الظهر . وأعطيت للزنوج الأوامر المشددة بأن لا يغادروا الحصن وأن يدعوا العدو يقترب متلاحم الصفوف . وهذا ما حصل فعلا . وعندئذ صوب عليهم حواش افندى منتصر نارا حامية متواصلة أخذت تحصد صفوفهم فكان يسقط عقب كل طلقة تصوب الى جموع الأعداء المحتشدة رجل بينما كانت عساكره مع حلفائهم متحصنين خلف المتاريس . وقبيل الساعة الثامنة مساء انسحب العدو بعد أن خسر ٣٦٠ رجلا ونزل على بعد بعض مسافة .

وأضرم حواش افندى منتصر فى أثناء الليل النار فى جانب من

اكواخ القرية وأخفى رجـــاله خلف الأشجار وأمر بعـدم إطلاق النـار على العـــدو إلا بعد أن يعطى هـو اشارة بطلقـة نـارية . وظنت رجـال مامبانجا أن هذه النار شبت بالقضاء والقـــدر فانقضوا صوب هـذه المنطقة المفعمة بالأخطار والأمـــل يساورهم بأنهم سيرجعون منهـــا محملين بالغنائم . ولدى وصولهم الى مسافـة مرمى البنـادق أعطى حواش افنـدى منتصر الاشارة وفى الحال أحيط بالأعـداء من كل صوب وناحية وهلك منهم عـدد كبير . وقد وجد بعد انفضاض المعركة زهاء ٤٠٠ قتيل فى ميدان الوغى .

وجمع مامبانجا رجاله وانسحب من الميـدان ممتلئا خوفا ورهبة فى اتجاه أرامـــو . والرؤساء الذين كانوا ملتفين به لغـــاية تلك الساعة انفضوا هم وتوابعهم من حـــوله وقدموا الواحـد تلو الآخـر الطاعة للحكومـة وعقدوا عهـــد الدم مع حواش افندى منتصر . وقد بلغه فى هـــذه الآونة أن الطبيب جونكر وقع أسيرا فى قبضـة يد الماديين فأرسل خلفه فى الحـال من يقص أثره وأوصله الى ممبتو .

الانعام على اليوزباشى حواش افندى منتصر

وكتب الطبيب جـونكر الى أمـــين بك كتابا لحمتـه وسداه الثنـاء المستطاب على حواش افندى منتصر لمـــا اتخذه من الاجراءات فى معاقبـة الرئيس جنجارا ولمـــا بذله فى سبيل استرداد متاعه . ومن العجب العجاب ان اليوزباشى كازاتى الذى كان حينـذاك فى ممبتـــو أيضا ورأى فيهـا الطبيب جونكر كتب خطـابا الى أمـــين بك فى نفس ذات الـبريد الذى أرسل معـه هذا الطبيب خطابه يتهم فيـــه حواش افندى منتصر بارتكـاب سلسلة من الخطايا وبأنه هـاجم جنجارا هجـــوما لا مـبرر له سوى إرادة

السلب والنهب .

وبعث أمين بك بالخطابين السابقي الذكر الى رءوف باشا حكمدار عموم السودان وهذا رفع حواش افندى منتصر الى رتبه صاغقول أغاسى معولا فى ذلك على ما أبداه الطبيب جونكر الذى كان قد طلب لحواش افندى منتصر مكافأة .

سفر الحكمدار مع فيتا حسان لتفقد الأحوال

وبعد أن أدمج أمين بك مركزى رول ، و ممبتو فى مديرية خط الاستواء عقد النية أن يتفقد أحوالها بنفسه لكى يتمكن من تنظيم إدارتها فاستصحب فيتا حسّان معه فى هذه الرحلة . وعلى ذلك انتهز هذا الفرصة لاستطلاع أحوال هذين المركزين ومركز مكراكا أيضا الذى هو أهم مناطق جميع المديرية وأكثرها ثراء وخصبا .

وفى ١٥ سبتمبر اتجهوا نحو الغرب ومعهم سكرتيره و رجال حاشيته الثلاثة و خدمه و ١٤ جنديا . وفى ظرف ١٥ يوما أفضوا الى زريبة « كانجو » Kango فى لادو فكانوا يسيرون طيلة النهار ويحطون رحالهم عند المساء فى أول قرية تصادفهم اذا وجدوا فيها حاجاتهم وكانت أهاليها تقابلهم بالترحاب . وكانت زريبة كانجو مأهولة بالدناقلة وقائدها رجل يقال له مولى افندى . وحال وصولهم الى هذه الزريبة تقدمت امرأة زنجية الى أمين بك وشكت له سوء معاملة ربها لها وهو شخص من أولئك الدناقلة . وكان أمين بك يعرف استبداد هؤلاء فلم يتردد لحظة فى تصديق صحة دعواها وحقيقة شكواها فسلمها

رخصة تحريرها من الرق وسمح لها بالعودة الى مسقط رأسها . وانتشر هذا الخبر فى البلد بسرعة البرق وفى الحال انكشف المخبأ وظهر عدد كبير من الرجال والنساء الواقعين فى الرق وحذوا حذو الزنجية السالف ذكرها وطلبوا مطالبها .

وجلس أمين بك يوما ليستمع شكاوى أولئك البائسين فحرر منهم زهاء أربعين نفسا ورجعوا الى أوطانهم .

وكان قد ألم من قبل بأحوال الدناقلة فكان اذا ذكرت سيرتهم لا يذكرهم بخير . وهؤلاء القوم يتمتعون بامتيازات تخول لهم ألا يدفعوا أية ضريبة للحكومة وكانوا يخلقون لها عناء ومشاغل أكثر مما يوجده الأهالى . وحدا هذا كله الحكمدار أمين بك الى أن يضع حدا لهذه الامتيازات وإبطال هذه الانعامات التى لا يستحقونها والتى لا يوجد لها أى مبرر . وعلى ذلك أصدر أمرا بدفع الضرائب أو النزوح عن الديار فاختاروا الرجوع الى الخرطوم . نعم إن الدناقلة لم تنشرح صدورهم لهذا الأمر إلا أن الزنوج بالعكس ارتاحوا له جد الارتياح .

وبعد أن أقام ثمانية أيام فى زريبة كانجو غادرها هو وفيتا حسان ويما « بوفى » Bufi وهى محطة من أعمال مركز رول ورئيسها شخص من الدناقلة يقال له عزب افندى .

وتفقد الحكمدار العام أمين بك إدارتها وفحص دفاترها وزار مخازنها واستعرض حاميتها ولم يفته شاردة ولا واردة من الاشياء التى تهم رئيسا من الرؤساء .

وانتقل الاثنان من بوفى الى أجاك فبلغاها فى ظرف ثلاثة أيام وذلك بعد أن ألقيا رحالهما للاستراحة فى بعض المحطات الصغيرة . وبلغ الحكمدار أمين بك قبل أن يصل الى القرية أن دناقلة هذه المحطة أصروا على قتله خلال عرضه لحاميتها انتقاما لرفاقهم الذين كانوا فى زريبة كنجو حتى لا يتعرضوا هم الآخرون لمثل ما وقع عليهم . ولم يثر هذا الخبر بلابل الحكمدار ودخل أجاك هادئا مطمئنا بدون أن يتخذ أقل حيطة . وهذه القرية هى أهم قرى مركز رول وكان قائدها وقتئذ رجلا من الجعليين يقال له ضيف الله ركاجا . وقد أعد له هذا بيتا نظيفا وقابله مقابلة حماسية . وفى اليوم التالى انطلق الحكمدار يتفقد ويفتش مثلما عمل فى المحطة السابقة وفى الوقت نفسه كان فيتا حسان يزور الجنود والمرضى . وعرض الحكمدار الجنود بدون أن يدع نفسه تخالجها عوامل الخوف والرهبة على أثر ابلاغه خبر المؤامرة التى عقدت لاغتياله . وفعلا ناقض قيام الجنود بالاستعراض بجد خبر المؤامرة المزعج الذى اتصل به . وقد أقام فى أجاك زهاء أسبوعين .

ولا بد لنا هنا من أن نخص بالذكر مجهودات المسيو ماركو جسبارى Marco Gaspari التاجر اليونانى واهتمامه بتوسيع وسائل الزراعة وانتشارها . فقد غرس جسبارى فى جزء من قطعة أرض تبلغ مساحتها نحو ٢٠ فدانا ويحيط بها سياج كثيف من التين الشوكى اشجارا من اشجار الفاكهة المختلفة الانواع وزرع فى جزء آخر منها خضرا والباقى منها خصه بزراعة الذرة والبطاطا والفول والسمسم والفول السودانى . ويوجد فى بستان الفاكهة غير التين الشوكى الكثير العدد الذى يكتنف المزرعة من كل جانب أشجار من أشجار الموز المختلف الأنواع والتين والبلح والخوخ

والرمان والليمون . وهذا مما يبرهن على أن الارض صالحة لكل انواع المزروعات والمغروسات وانه فى حيز الاستطاعة تسويد مغروسات أوربا على مناخها .

وزراعة الفول السودانى منتشرة فى اجاك انتشارها فى سائر انحاء بلاد الدنكاويين المقيمين فى مركز رول . وتبلغ مساحة كثير من الحقول المزروعة هذا النوع بعض كيلومترات وتمتد من قرية الى أخرى . وعندما اجتاز الحكمدار أمين بك تلك الحقول استدعى الأهالى واستعلم منهم عن سر عدم إقدامهم على استخراج الزيوت من هذا النبت . وحثهم كثيرا على عصره وأكد لهم بأنهم يحصلون منه على زيت يفوق الشيرج كثيرا دسامة و طعما . وفرض على كبير الناحية توريد مقدار من زيت الفول السودانى بصفة جزية وهكذا ألزم الأهالى أن ينكبوا على هذه الصناعة فجنوا منها فيما بعد أطيب الثمار وأجزل المنافع .

وبعد مسيرة يومين من مبارحة أجاك أفضوا الى روميك قاعدة مركز رول وكان معهودا بادارتها الى شخص من الخطرية يقال له ابراهيم غطاس . وأقاموا فى هذه الناحية مدة يومين تفقد الحكمدار فى خلالها الأحوال كالمعتاد بل بدقة تفوق الحد المعتاد فى رحلات تفتيشه الماضية . وأمر بنوع أخص بالاعتناء بدفاتر الحساب وإصلاحها ابتداء من تاريخ تعديل إدارة هذا المركز . وأعطى تعليمات صارمة تتعلق بادارته ونبه مشددا على كبير الناحية بأن يخاطب فى كل الاحوال حكومة لادو مباشرة .

العودة الى لادو عاصمة المديرية

وتلقى الحكمدار قبل مغادرته رومبيك خطابا من موسى بك شوقى (١) وكيل مديرية بحر الغزال يدعوه فيه للمجىء الى مديرته ليعينا بالاتفاق تخوم المديريتين . واجتاز أمين بك « خور التمساح » بعد أن مر بناحية « جوك مختار » Go'k Moukhtar وهى آخر محطة من محطات رول . وعلى بعد كيلومترين من عبور الخور المذكور قابل هو ومن معه موسى بك وكان قادما لمقابلتهم بالنيابة عن لبتون بك الذى كان قد توجه الى الخرطوم ليزور حكمدار السودان العام . وانتقل موسى بك وأمين بك معا الى « جوك حسن » حيث أقاما يومين وبعد أن عينا التخوم الفاصلة بين المديريتين قفلا راجعين .

وسلك الحكمدار أمين بك فى الاياب نفس الطريق التى سلكها فى الذهاب لغاية جوك مختار ومن هناك قرر السير فى طريق آخر ليمر بمحطات شتى ويستطلع أحوالها . فبدلا من أن يمروا برومبيك ولوا وجوههم شطر محطة « ليجى الصغيرة » Liggi الواقعة جنوب رومبيك . وأقاموا يومين فى ليجى ثم شخصوا منها الى « جوزا » Goza التابعة لمركز مكراكا . ومن جوزا اتجهوا الى « جندا » Ganda الواقعة ناحية الشرق . ولبث الحكمدار فيها ثمانية أيام لأنها وقعت من نفسه موقعا حسنا . وكانت هذه المحطة الصغيرة قائمة على مرتفع تصبو النفس كثيرا من أجله

(١) — أصله ضابط سوارى وأرسل الى السودان وتقلب فى عدة وظائف هناك ونال أخيرا رتبة الباشوية وكان فى الخرطوم مدة حصار المهديين لها وقتل عند سقوطها .

للاقامة فيها لاعتدال مناخها وطيب نباتهـــا وعذوبة ماء جدولهـــا وصفائه . ومن تلك المحطة انتقلوا الى « وانـــدى » فبلغوها فى ظرف خمسة أيام ونزلوا فيها فى اكواخ من اكواخ الزنوج . ورحلوا بعد ذلك الى « أمادى » Amadi وهى محطة تابعة للادو وأقاموا فيها يومين . وفى هـــذه المحطة ورد الى الحكمدار أمين بك خطاب من لبتون بك يخـــبره فيه بوصوله الى بحـــر الغزال وتعيين مركوبولو أخى مركوبولو بك سكرتير رءوف باشا وكيلا لمديرية خط الاستواء . وأطنب فى الثناء على هـــذا الوكيل . ومما قاله فى هذا الخطاب ان شخصا يقال له محمـــد احمد ادعى بأنه المهدى ونشر راية العصيان فى وجه الحكومة وان محمد احمد هذا يسكن جزيرة أبا من اعمال مركز « كوى » Kawa ولديه عدد كبير من الأتباع يأمرون بأمره .

وفى المساء قبـــل سفرهم من أمادى حدث خسوف جزئى للقمر وقبل دخـــول لادو بزمن يسير وردت له الانباء بوصول الباخرة « بردين » وعلى ظهرها مركوبولو وكيل المديرية الجـــديد . وقد أتى لمقابلة امين بك الذى كان قد قدم فى ١٩ ديسمبر . وعنـــد وصوله قدمت له الجنود التحية العسكرية المتادة .

وبعد أن استقر به المكان اطلع على المراسلات الواردة بالـــبريد فوجد بينها خطابا من رءوف باشا يدعوه فيه للحضور الى الخرطوم . هذا ، ولما كان الحكمدار امين بك ليس لديه شىء يحمـــله على الاسراع فى السفر ظل زهاء شهر فى لادو مشتغلا بتوزيع السلع التى وردت مـــع الباخـــرة « بردين » الى مختلف المراكز وتأدية الاعمـــال المعتادة فى

أنحاء المديرية .

وفى ٢٥ ديسمبر كتب امين بك رسالة الى الطبيب جونكر أحاطه فيها بوصوله الى لادو وبلغه ايضا الاخبار التى وردت له مع الباخرة « بردين » وأخبره ايضا بوصول وكيل المديرية الجديد وذكر ان هذا الوكيل غير متحل كلية بشيء من الأهلية والجدارة وانه لم ينل مركزه إلا بسبب منصب أخيه الذى كان فيما سلف أمينا لمخازن حملة سير صمويل بيكر . وطلب أيضا الحكمدار أمين بك من جونكر أن يتكرم بمراقبة بخيت بك بتراكى وقال انه غير مرتاح لأعمال هذا الرجل وأنه لم يبعث به الى ممبتو إلا لأنه لم يجد لديه شخصا أكثر منه كفاءة . وسأله عن ال ٤٠٠ رقيق الذين استولوا على أوراق عتقهم فى ممبتو وكانوا ضمن الزنوج الذين فى زريبة مولى افندى فى « كانجو Cango » هل رجعوا الى أوطانهم أم لا .

تقسيم الادارة والاراضى فى مديرية خط الاستواء

وذكر فيتا حسّان فى الفصل الخامس والسابع من كتابه الآنف الذكر التقسيم الادارى فى هذه المديرية وكذلك تقسيم أراضيها وترتيب قواتها العسكرية وسكانها وحالتها المالية . وهذه ترجمة ما قاله فى هذا الصدد :ـ

كانت مديرية خط الاستواء مقسمة فى عام ١٨٨١ م الى ١٠ مراكز أو إدارات وكل إدارة منها تحتوى على جملة محطات . وهذه الادارات كانت تسمى مديريات من عهد حكمدارية غوردون باشا وكانت

قاعدتها العمومية لادو . وكان الرئيس يلقب بمدير عموم خط الاستواء . وكان عدد المحطات يبلغ ١٧٠ محطة . وهذا عدا القرى التى ليست بها حامية والقبائل التابعة للمديريات وكذلك القبائل المفروض عليها جزية .

وهذه هى إداراتها العشر :—

بور وهى قائمة على ضفة النيل الأبيض الشرقية .

لادو ، و كري ، و دوفيليه وكلها قائمة على ضفة النيل الأبيض الغربية .

فويرا ، و لاتوكا ، و فاديبك وكلها قائمة فى شرق النيل الأبيض .

رول ، و مكراكا ، و ممبتو أو جرجورو وهى واقعة غرب النيل الأبيض .

ويقع الحد الشمالى للمديرية عند محطة السوباط المسماة بالتوفيقية من عهد حكم سير صمويل بيكر . ولم تنشأ هذه المحطة إلا ابتغاء توريد الاحطاب التى تلزم لوقود مراجل البواخر . وانفصلت هذه المحطة فيما بعد هى و محطة ناصر من مديرية خط الاستواء وألحقتا بمديرية فاشودة .

والمركز الأول [1] « بور » قاعدته فى القرية المسماة بهذا الاسم وموقعه شرق النيل الأبيض . وأرضه تحتوى على غابات فسيحة الأرجاء

(١) — ويعلم من هذا التقسيم ان المركز كان يسمى ادارة وان هذه المديرية كانت تسمى مديريات خط الاستواء .

مترامية الأطراف من خشب الابنوس وهى عامرة بسائر أنواع الحيوانات البرية . وهذا المركز ممتد كثيرا ويتصل بمركز لاتوكا غير ان سكانه قليلو العدد . وفيما عدا بور لا يوجد به أى محطة عسكرية أخرى . ويسمى سكانه « البوريين » Bòrs وهذا هو اسم نفس ذات البلد . إذ ان العادة المتبعة على وجه العموم فى السودان هى تسمية كل بلد باسم القبيلة التى تسكنه .

والبوريون هم فرع من الدنكاويين Dinks بخلاف جيرانهم التويتشيين Tuitchs وهم أصحاب بطش وبأس فى الحرب والمجالدة . ويشتغلون بحراثة الأرض للزراعة وعلى الأخص زراعة الذرة والسمسم والتبغ والقرع . ويميلون ميلا خاصا الى تربية المواشى لاسيما البقر ولهم قطعان كبيرة جمالها يلفت الانظار . أما عاداتهم واخلاقهم فهى مثل عادات الدنكاويين وأخلاقهم .

والمركز الثانى هو « لادو » وموقعه فى جنوب المركز الأول . و لادو هذه هى فى الوقت ذاته قاعدة الحكمدارية برمتها . وتتألف أرض هذا المركز بنوع أخص من سهل رملى قائم عليه جبلان أحدهما على مرحلة ٢٥ كيلومترا شمال غربى المدينة ويقطنه قبائل مستقلة . والثانى قرب محطة الرجاف ويقال له جبل الرجاف . وتبتدىء قرب محطة بيدن سلسلة جبال صغيرة تنتهى عند دوفيليه . وسكان هذا المركز هم من البارين ويتعاطون من الأعمال الزراعة وتربية الحيوانات على الأخص . وشأنهم فى ذلك شأن قبائل البور . وأنواع زرعهم هى الذرة الحمراء و السمسم و الفول و الفول السودانى ونوع من القرع يسمونه « اورچور » Urdjour . وعلاوة على

ما ذكر يقتنون قطعانا كثيرة من الضأن والثيران والماعز . ويقطن الباريون ضفتي النهر ابتداء من لادو لغاية محطة « خور ايو » Khor Ayu أي مدى ١٤٠ كيلومترا . والوان بشرتهم أقل سوادا من بشرة الدنكاويين . ومن عاداتهم اقتلاع الاربع الثنايا كالدنكاويين وأهالى مكراكا و مادى و شولى و ماجونجو و اللانجوس .

ورجال البارى العاديون لا يتزوجون إلا بامرأة واحدة أما كبراؤهم فيتزوجون بعدة نساء . وعندما ينوى احد منهم المبيت عند احداهن يغرس حربته امام بابها فتفهم المرأة وتستعد لمقابلة سيدها وربها . ويعقد عندهم الزواج بدون حضور موظف أو رجل من رجال الدين بل مثل جميع الزنوج بواسطة شبكة زواج وهذه الشبكة عبارة عن ماشية من مواشى الانعام عددها يزيد أو ينقص بحسب ثروة الاسرتين . وهذه الشبكة يقدمها الرجل لوالد الخطيبة . ويجب على هذا الاخير ان يرد هذه الشبكة الى صهره أو قيمتها اذا ماتت الزوجة بدون اولاد ولم يكن لديه ابنة أخرى يقدمها لصهره بدلا من المتوفاة . ولا تتألف شبكة المخطوبة من ماشية فحسب بل كثيرا ما تشتمل على بعض حراب وسهام حسب نص الشروط التي يكون قد اتفق عليها الطرفان . وتعتبر الذرية من البنات عند الباريين اعظم من البنين خلافا لعادة الشرقيين لأن البنت عند زواجها تجر لأهلها مغنما وعلى النقيض من ذلك الذكر فان أهله لا يرجون من ورائه شيئا .

ولا بد من ذكر ملح الطعام بين حاصلات مركز لادو فهو يوجد فى « أونجاتى » Unjati الواقعة قرب لادو . ولا يوجد فى سائر اراضى

خط الاستواء إلا ثلاث ملاحات هي : « أونجانى » وهى فى المديرية المصرية ، و « كيبيرو » Kibiro ، و « أوزونجورا » Usongora وهما فى بلاد الأونيورو .

ويستخرج من ملاحة أونجانى مقادير وافرة من الملح تفى بحاجات جميع سكان مديريتى بحر الغزال وخط الاستواء . ويستبدل الأهالى بسائر الحاصلات وجميع أنواع الماشية الملح وهو مصدر إيراد هام للحكومة .

ويوجد كذلك بكثرة فى محطات كري الشجر الذى يستخرج منه الشحم النباتى . وأهم محطات مركز لادو العسكرية هى : غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن .

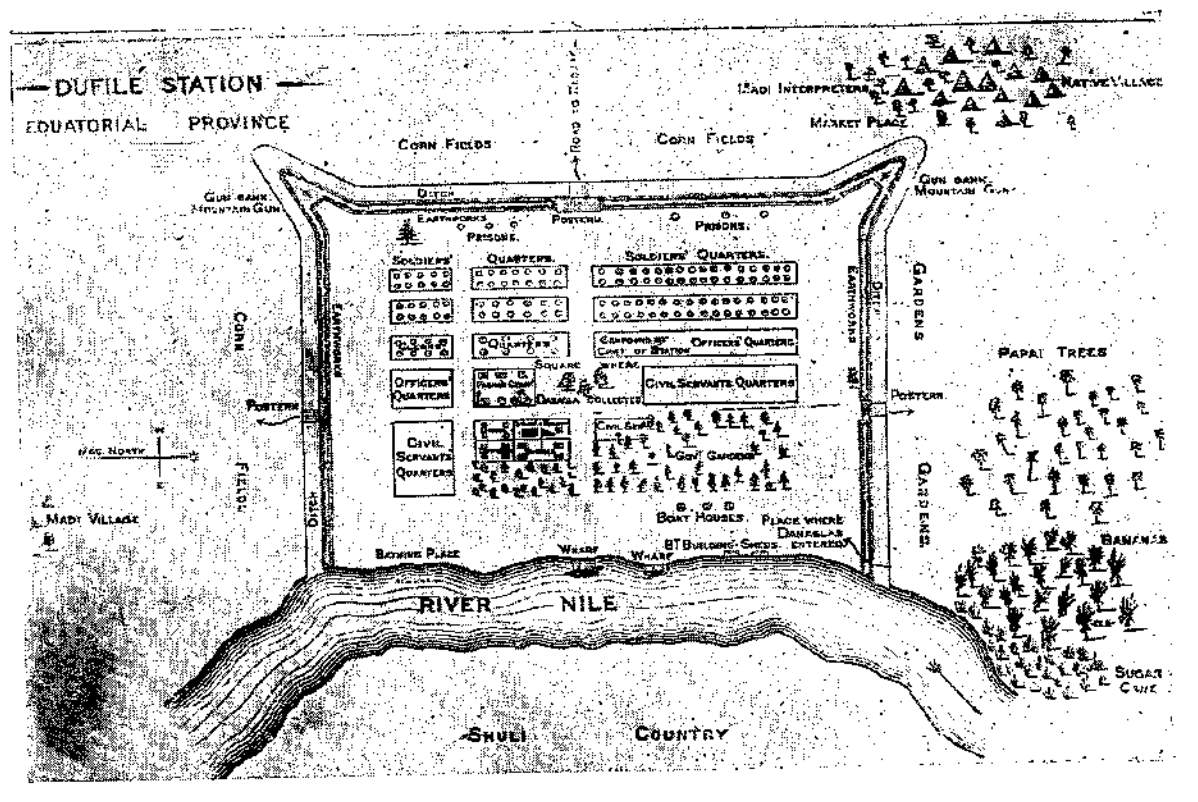
والمركز الثالث كرى وموقعه شرق النهر بين لادو و دوفيليه وهو عبارة عن سلسلة جبال متصلة تقريبا ببعضها ويقطنه البارون السود . ويعمل هؤلاء نفس الأعمال التى يشتغل بها سكان لادو . ولا بد أيضا من التنويه بذكر الزيت النباتى ثم الذرة والسمسم والفول بين مختلف حاصلات هذا المركز .

ويلحق بالمركز السالف الذكر ثلاث محطات عسكرية كبرى وهى : خور أيبو ، و لابوريه ، و موجى .

والمركز الرابع وهو دوفيليه واقع شرق النهر فى جنوب المركز السابق الذكر . وقرية دوفيليه التى بها قاعدة المركز هى أهم سائر محطات مديرية خط الاستواء بعد لادو وهى النقطة التى يبتدىء منها الابحار

لغاية بحـــيرة البرت نيانزا . وتيار شلالات فـــولا السريع يحول دون نزول المراكب أبعد من هذه النقطة ويوجد فى دوفيليه ترسانة للباخرتين النهريتين « الخـــديو » و « نيانزا » وهـــذه الترسانة معدة أيضا لتصليح الباقى من المراكب . وأراضى هـــذا المركز بنوع أخص جبلية ويتألف سكانه من الشوليين ومقـــرهم شرق النهر ومن المـــاديين والكوتويين والكوكويين ومقرهم فى الغـــرب . ويشتغلون على الأخص بزراعة الذرة والسمسم والتبغ . والماشية فى هـــذا البلد قليلة . وتضم أراضيه فى شرق النيل كل بلاد الماديين وقسما من أراضى الشوليين . وفى غرب النهر يقوم جبلا ميتو Mitü وكوكو Kuku .

وأولئك الأقوام الرحل وإن كانوا يختلفون اختـــلافا بينا فى الجنس واللغة فهم يتباينون تباينـــا قليلا فى الشكل . فصورة المادى تشبه صورة البارى إلا أنه أضخم منـــه جسما ولا يستعمل الحلاقة وهو أيضا مكسال ومتواكل . ومحصوله من الزراعة تافه قليل لا يكاد يفى بحاجته بل لا يمكنه من سداد الجزية المضروبة عليه للحكومة والماديون لا يميلون للحروب إلا قليـــلا . وهم فى ذلك على النقيض من جيرانهم المـــاتويين ذوى البسالة والاقـــدام ولا بد من ملاحظة بون شاسع بين هؤلاء ورجال الكوكو مـــع ان المسافة الفاصلة بين هـــاتين القبيلتين تكاد تنحصر فى بعض كيلومترات قليـــلة . فصورة الرجل الكوكو أحسن فى الظاهر من صورة الرجل الميتو وهى تذكر المرء الذى يقع بصره عليها بصورة الدنكاوى غير ان طباعه توافق طباع القبائل الاخرى وفى الحروب لا يمتاز عن هـــذه القبائل ويتفق الجميع فى الاخلاق والعادات . وكانت هذه الأقوام الرحل مياسير ولديهم من قطعان الأنعام الشيء الوافر الجزيل وذلك قبـــل



خريطة محطة دوفيليـــــه العسكرية

أن يظهر فى بلادهم التجـــار الذين قدمـوا اليهـــا قبل احتـلال المصريين للمديرية .

وكانت الثيران تعـد عندهم بالالوف فى أصغر قرية . وفى أول عهـــد الفتح كانت الجنود تعود من غزواتهـــا للقبائل المتمردة ومعها من الاسلاب ١٠٠٠٠ ثور تحصل عليها بلا عناء . إلا أنه من وقتما عملت فى تلك الأقصاع يد التاجر سلبا ونهبا متواصلا وقعت فى أنيـــاب الفقر والمتربة . ويمهـــر رجـال الطبقـة الفقيرة خطيباتهم بشيء من السمك اذا لم يكن لديهم ماشية ولا سلاح . وعندئذ يتعهد الخاطب بخـــدمة حميه ويشتغل فى صيد الأسماك زمنا ما لسداد ما عليه من المهر .

وتنحصر صناعة أهالى مركز دوفيليـه فى استخراج المعادن وتنقيتها ومع ذلك لم يصلوا الى درجة البـاريين أو سكان ممبتو فى المهـــارة . ولم تتعـد مصانعهم دور الطفـــولة . ويشتغل الصانـع تحت سقف تحمله أربع قـوائم . ويحمى الحديد فى نار وقودهـا الخشب وتظل هـــذه النار موقدة على الدوام ويخرجـونه منهـا بواسطة كماشات مصنوعـة من الخشب الأخضر ويطرقـونه بين أحجـار ضخمـة يستعمل واحـــد منهـا سندانا وآخر مطرقة . وصـــبر الزنجى وأناته حـلا محـــل نقص الآلات ومكناه من انجاز اشغـــال كان يقـدر استحـالة انجازهـــا بآلات بسيطة كهذه . وتوصـل السودانى الى اتقـان كثير من الادوات مثـــل السلاح ومواعـين الطبخ اتقـانا لا بأس به .

والمحطـات العسكرية الأكثر أهميـــة التابعـة لمركز دوفيليـه هى : فابـــو ، و فاتيكو ، و وادلاى . ويعمر هـذه المحطة الأخـيرة قوم يقال

لهم اللوريون .

والمركز الخامس فويرا وهو واقع شرق دوفيليه وأعلى منهـــا مسافة قليلة ويكون تخوم مديرية خط الاستواء الجنوبيـة . وفيما وراء هـــذه التخوم يوجد بلد الأونيورو وملكه كباريجا . وقاعدة هذا المركز فويرا . والمحطة الحربيـة الوحيدة الملحقة به هى فودا . وكان هذا المركز فى الزمن الذى سلف أكثر امتدادا نحـــو الجنوب وكان ملحقا به بصفة محطات عسكرية مرولى ، و مازندى ، و اوروندوجانى ، و ماجونجو ، و كيروتو ، و فاكوفيا ، و كيرو إلا أن هـذه المحطات صار اخلاؤها بأمر غوردون باشا ولم يعد احتلالها بعد ذلك مرة اخرى .

وأكثر أراضى فويرا جبلية ويعمرها قبائل الماجونجـو و الماميرا . أما مزروعاتها فهى التبغ بكميات وافرة والفـول والعـدس والذرة . وهـذا النوع الأخير هـو أهم الحاصلات للأراضى فى كل ناحيـة . وتقتنى هـــذه القبائل كثيرا من الثيران ويربون النحـل . وشرعوا فى زراعـة المـوز فى أراضى فويرا وهذا النوع لا يعد نعمـة جزيلة تعم الأهـالى فحسب بل فـائدته تعود أكثر على عابري السبيل .

والمركز السادس لاتـوكا . وهـذا المركز تفقد أمـين بك حـالته فى خلال هـذا العام . ويكفى هنـا القول إن لاتوكا بلا مراء جنة افريقية . وأراضيها أكثرهـا جبلية إلا أنه اينما ذهب الانسان لا تقع عينه فيهـا تقريبا إلا على ترب مجلل بالنبت الوافـر . وأهم المحطات العسكرية التابعة لهـذا المركز هى : أوكلو Okello ، و ترانجول ، و ابوريه Oburé ، و عبو .

والمركز السابع هو فاديـك وموقعه بين لاتوكا و فورا . وأراضى هـذا المركز جبلية ويسكنها قبيلة الشولى . وحاصـلاته هى تقريبا نفس حاصلات المراكز الاخرى . ويمتاز سكانه الشوليون بالجرأة والاقدام فى الحروب والقنص والمهـارة فى الزراعة . ويزرعون الأرض بعنـاية خاصة فتدر عليهم الخيرات الوافرة . وتعوض عليهم جـزاء مجهوداتهم ثمارا لا يتوصل الى جنى نظيرهـا أية أمـة اخرى . وقد يحصدون فى بعض المرات محصـولا كبيرا فـيزيد عن حاجاتهم ويفسد فى البيادر فيضطرون الى رميه . ولا يقتنى الشوليون كثيرا من الحيوانات الأليفة إذ انهم يمتارون باللحوم التى تسد حاجاتهم من قطعان الزرافى والجاموس البرى والغزلان والافيال والاوعال التى تعيش فى الغابات وذلك باقتناصها وتقديد لحومها وحفظها .

ولازم الشوليـون على الدوام الاخلاص للحكومة من وقـتما احتلت جنودها بلدهم وقلما كانت ترى نفسها فى حاجـة الى اخماد ثورة فيها . وهـذا على النقيض من جيرانهم اللانجويين الذين التزموا خطة العصيان ولم تتمكن الحكومة من اخضاعهم . وكانت تحمل عليهم من وقت الى آخر بجنودها بدون أن تجنى من وراء ذلك ثمرة اللهم إلا الاستيلاء على بعض الحمـير من مراعيها . وتنحصر انعام اللانجويين فى قطعان هائلة من هـذه الحمر ولون هذا الضرب من الحمير أشهب ويمتد على طول ظهورها خط اسود . وتحل عندهم محل البقر الذى يوشك أن يكون معدوما فى بلادهم . ويتخذ اللانجويون حاجاتهم من اللحوم والألبان من تلك الحمر . ومن غير المستطاع ركوب هذه الحيوانات وذلك لعدم تعويدها على هذا الأمر .

ولقد أمكن استعمال الحمر الصغيرة السن فقط من بين الحمر التى غنمتها الجنـــود فى غزواتها فأتت بخدمات جليـــلة بعد تدريبها . أما جميــــع المحاولات التى بذلت فى سبيل ركوب المتقدم منها فى السن فقد ذهبت هباء منثورا ولم تأت بفائدة ما . فلا المهاز ولا العصا استطاعا أن يجعلاهـــا تخطو خطوة حتى لكأنها كانت تفضل الموت وهى واقفة فى أماكنها على أن تتزحزح .

واللانجويون هم قوم يجنحون للحرب والكفاح الى أبعد حد . ورغما عن الغارات المتعددة التى قامت بهـــا جنود الحكومة لقصاصهم لم تتوصـل قط الى اعتقال واحـد من محاربيهم . ومع انه كان يوجـد فى صفوف جنود الحكومة زنوج من سائر القبائل فما كان يرى حتى ولا واحد من اللانجويين بين الجنود أو الأسرى .

ولا يلحق بمركز فاديبك هـذا من المحطات العسكرية إلا محطتان اثنتان هما « لابور » و « جالى » Galli .

والمركز الثامن وهـو رول يشتمل على الأراضى الواقعـــة غرب النيـل الأبيض لغاية مديرية بحـر الغزال . وهـــذا المركز أهم مركـز فى المـديرية وهـو حافـــل بعدد كبير جـــدا من السكان . أما العشائر الضاربة فى وديانه فهى قبائل الاجارية Les Agars ، و الجوكية Les Goks ، و الاتووتية Les Atwots ، و البيلوية Les Belus ، و النتوية Les Netus وكل هذه القبائل تابعة لقبيلة الدنكا أو جانجيه Jangés الكبيرة .

والسلالة الدنكاوية هـى أجمـــل سائر سلالات الزنوج ذاتا واشرفها حسبا . وتنقسم هذه القبيلة الى قسمين . الدنكة أو الجانجيـه وهؤلاء نازلون

فى شمال مديرية خط الاستواء وفى مديرية بحر الغزال . والدنكة السجيحة Sagiha ويسكنون مع النوير و الشلوك فى مديرية فاشودة .

والدنكة قوم أصحاب حرب وجلاد وهم نوابغ فى الصيد والقنص ولهم ولع بالأعمال الزراعية ومن مزروعاتهم الفول السودانى وأنواع منوعة من الذرة والفول . ويتأنق الدنكاويون فى ملبسهم وطعامهم وهم فى ذلك على نقيض جيرانهم . وأخص غذائهم اللبن والشهد والدقيق والذرة والفول والزيت المستخرج من الفول السودانى وقليلا ما يتناولون اللحوم . وتراعى النساء فى طهى الطعام النظافة والترتيب .

وذكر فيتا حسّان انه كان لا يخشى أن يقيم بمنزل رجل من رجال هذه القبيلة بل كان لا يهاب من أن يتناول الطعام مع أحدهم . وتتشح النساء المتزوجات بجلد مدبوغ من جلود الأغنام فيوارين به سوآتهن . أما قبل الزواج فتميش الفتاة عارية . واذا خانت زوجة بعلها فهذا يقتل الذى انتهك حرمته ويرد زوجه الى أهلها بدون أن يلحق بها أى أذى حتى ولو كانت شريكة الجانى فى الجريمة لأنه يعتبرها مخلوقا ضعيفا قد يستسلم أمام القوة أو يسقط أمام نزغات النفس وعلى ذلك يعدها أهلا للمعذرة .

وقد صيرت المزارع الشاسعة المتنوعة المحصول والقطعان الكثيرة التى لا عدد لها وحاصلات العاج الجسيمة مركز رول من مراكز خط الاستواء الكثيرة الاهمية . وأراضى هذا المركز هى عبارة عن سهل فسيح الارجاء تقطعه جداول عديدة ماؤها رائق سائغ الشراب . ويشتغل الأهالى بالزراعة وتربية الماشية واقتناص الفيلة .

ومحطات هذا المركز العسكرية المهمة هى : اجالك وهذه قاعدة المركز و شمبى ، و روميك ، و بـوفى Bufi ، و صيادين Sayadin ، و ليسى Lessi ، و أفارد Affard ، و الجوك مختار El Gök Moukhtar .

والمركز التاسع وهو مكراكا يشمل جميع البقعة الواقعة جنوب مركز رول لغاية ممبتو (جورجورو) . وهذا المركز كثير الجبال غزير الماء وافرها لدرجة خارقة للعادة . واسم الأهالى كاسم الناحية . وهم منقسمون الى قبائل صغيرة كثيرة العدد ولا يشبه رجال قبيلة منهم رجال القبيلة الاخرى . وتنحصر أعمال أهالى مكراكا تقريبا فى الزراعة ولا يميلون الى القنص إلا قليلا . أما الأنعام فليس لديهم منها إلا الشىء التافه . ويتغذون بأقل من القليل حتى أنهم ليقنعون بقبضة من الذرة . وهم قوم لطاف دمثو الاخلاق يجنحون الى الطاعة .

وذكر فيتا حسّان انه لم يطرق مسامعه طيلة المدة التى أقامها وهى عشر سنوات ان أهالى مكراكا كدروا مرة صفو الحكومة أو جروا عليها متاعب . والمكراكاويون يمتون فى الجنسية الى النيام نيام جيرانهم ، واجسامهم وطباعهم تعيد الى الذاكرة ذكرى هؤلاء . والمكراكاويون هم ايضا من آكلى لحوم البشر مثل النيام نيام إلا انهم يقلون عنهم فى ذلك درجة لتدخل الحكومة واستعمالها الشدة مع آكلى لحوم الانسان . وتلتزم النساء بحراسة اولادهن ورعايتهم بعين ساهرة عندما يسلم حمالو مكراكا حبوبا أو عاجا الى محطة من المحطات حتى انهن ليتركنهم رهن أكواخهن الى ان يسافر أولئك الحمالون . وكان يلاحظ اختفاء أولاد فى كل مرة يقدم فيها حمالو مكراكا رغما عن السهر الشديد على أولئك الاولاد

ولا تتمكن الحكومة من العثور على الجناة . وكان يعثر فى بعض الاوقات على فخذ أو ذراع فى جراب رجل من المكاركة . وكان كثيرا ما ترى عظام بشرية معروقة فى المحال التى كان ينزل فيها هؤلاء . ولما كانت الحكومة تجند منهم عسكرا كان اقبالهم على التغذية بلحوم البشر يقل بسبب وفرة اللحوم من جهة وصعوبة الحصول على اللحم البشرى فى محطة من محطات الحكومة من جهة أخرى . ورغما عن ان المكاركة هم من آكلى لحوم البشر يوجد فيهم الحياء أكثر من الزنوج الآخرين ولهذا يبذلون كل ما فى وسعهم للحصول على بعض أطمار يسترون بها عوراتهم . وعندما يأتون الى محطة من محطات الحكومة لدفع الجزية المضروبة عليهم يجملون قبلة انظارهم الحصول على شيء يمكنهم استبدال قطعة من النسيج به يوارون بها سوآتهم فى الحال . وهم لا يميلون لتكبد متاعب الاشغال ولا لأخطار القنص غير انهم مع ذلك لم يكونوا معدودين من سقط الجند . نعم ليس لهم ذلك النشاط الذى يمتاز به الزنوج الآخرون إلا انهم لم يكونوا أقل من هؤلاء حركة وهم يكلفون أنفسهم بأى عمل كان . ولهذه الأسباب كون أمين بك جنود الحكمدارية من المكراكاويين دون سواهم تقريبا .

وأهم محطات هذا المركز العسكرية هى : كابايندى وهذه عاصمة المركز ، و واندى ، و كودورما Kudurma ، و مدرفى Mdirfi ، و ريمو Rimo ، و مكراكا الصغيرة ، و جوزا Gosa ، و كاليكا Kalika ، و واتاكو Watako ، و كوروبيك Korobek ، و جاندا Ganda ، و أومبيمبا Ombimba ، و نوجوما Muguma ، و دانجو Dango ، و دانجو الكبير .

والمركز العاشر وهـو مبتو أو جورجورو واسع ممتـد الأطراف يتصل تقريبا ببلاد نهر الكونجو ولا يفصله عنها سوى لسان تسـاوه الغابات عرضه عشرون كيلومترا . وتمتلك الحكومة المصرية فوق ذلك جزءا من هذا اللسان ، وأخضع حـواش افندى منتصر أقزام أكا Akka لغاية مسيرة خمسة عشر يوما فى الغـابة . وهذا المركز هو الوحيد فى خط الاستواء الذى لم تطأه أقدام فيتا حسّان . أما ما رواه عنـه فاستقاه من صديقه ورفيقه حواش افندى منتصر الذى أقام فيه ثلاث سنوات متوليا رياسته واستفاد الطبيب جونكر من رياسة حواش افندى لهـذا المركز أكبر فائدة .

ويعمر هـذا المركز النيام نيام و المبتـو وهم من آكلى لحوم البشر . فالأولون ضاربون فى القسم الشمالى وفى جنوب مديرية بحـر الغزال . أما المبتو فيشغلون جميع جنوب المركز لغاية حـدود الغابة . وهذه هى الغابة الكبيرة التى سيجتاز أرضهـا استانلى عند توجهه لاخراج أمين باشا من المديرية كما سيمر ذكره فيما بعد . وتنقسم هاتان القبيلتان الى فصائل شتى كل طائفة منها تسمى باسم كبيرها . وأهم طعامهم الموز ولديهم منه غابات ويزرعون أيضا الذرة الصفراء والبيضاء غـير أنهم لا يزرعون منها إلا قليلا بحيث ان ما يحصلون عليه من محصولها يكاد لا يكفى إلا ما يلزم لصنع المريسة . وتستدعى زراعة الذرة البيضاء قليلا من العناية ومع هذا تأتى بمحصول يزيد عشر مرات على محصول الذرة الصفراء . ويرجع الفضل فى استيراد ذلك النوع الى البـلد الى نشاط حواش افندى منتصر المتواصل وتوقد ذكائه وأصالة رأيه وهـو الذى أدخل كذلك اليها زراعة أشجار

البرتقـــال والليمون ومختلف أنواع الخضر والتبغ الذى استحضر بذوره من القضارف من أعمال مديرية كسلا .

ونوع الثيران ليس له شبح فى هـــذا المركز وسكانه لا يعرفون له شكلا ويتخذون طعامهم من اللحوم مما يذبحونه من الضأن والماعز . ونوع هـذا الحيوان الأخير هو غـــير النوع الموجـود فى باقى أراضى خط الاستواء ويمتاز على الخصوص بطول شعره .

ومع ان الحيوانات نادرة الوجود فى هذا المركز فان الاهالى لا يمتنعون عن الاستمتاع باكل لحومها . ورغمـــا عن الصرامـة والشدة التى تستعملها الحكومة فان أولئك المخلوقات لا يقلعون عن أكل لحوم الانسان .

ولا يقتلـع اناس النيام نيـــام ومبتو ثناياهم مثلمـــا يفعل أغلب زنوج السودان بل يبقونها ويبردونها ويتركون لها رؤوسا مدببـة حاده . وهكذا يفعل أيضا بعض المكاركة .

وأهم محطات هـــذا المركـز العسكرية هى : تنجازى ، و كوبى و أونيبورون Uniboron ، و مبيريا Mperia ، و جـانجا Ganga ، و رينسى Rensi ، و مسوه Maswa .

القـــوات العسكرية

كان يوجد على رأس كل مركز من مراكز مـــديرية خط الاستواء رئيس ملكى أو عسكرى يلقب بأمور الادارة وله حامية يختلف عددهـــا باختلاف أهميتـه أو مقـدرة سكانه فى الحروب . وتتألف هـذه الحامية من ثلاثة عناصر وهى :ـــ

١ ـــ جنود نظامية من السودانيين .

٢ ـــ الخطرية (المتطوعون) .

٣ ـــ التراجمة وكان هؤلاء فى الأصل زنوجا يقومون بوظيفة الترجمـــة أو يتخذون وسطاء فيما بين الحكومة والاهالى وآل الأمر فيما بعد الى أن يؤلف منهم جنود منظمة .

وكان عدد القوات العسكرية فى المراكز عام ١٨٨١ م وتوزيعها كالآتى :

	جنود نظامية	خطرية	تراجمة
بـــور	١٢٠	٠٠٠	٤٠
لادو	٣٠٠	٠٠٠	٧٠
كري	٧٠	٠٠٠	١٠
دوفيليـه	١٧٠	٠٠٠	٣٠
	٦٦٠	٠٠٠	١٥٠

	جنود نظامية	خطرية	تراجمة
ماقبـــــله	٦٦٠	٠٠٠	١٥٠
فـــــورا	٦٠	٠٠٠	٢٠
لاتوكا	٠٠٠	٢٠٠	٢٠
فاديبك	٠٠٠	١٧٠	٤٠
مكراكا	٦٠	١٠٠	١٠٠
رول	١٣٠	٠٠٠	٤٠
بمبتـــــو	٨٠	٧٠	٣٠
	٩٩٠	٥٤٠	٤٠٠

وتجند العساكر النظامية من بين الأهالى ويتلقون دروسا فى النظام العسكرى وأصول الحرب وكسوتهم ومؤونتهم على نفقة الحكومة ويصرف لكل منهم غير ما ذكر ٢٠ قرشا شهريا .

أما الخطرية فهم من متطوعى العرب ويقال لهم أيضا الدناقلة لأن أغلبهم من رجال مديرية دنقلة . وهؤلاء مسلحون ببنادق بكبسول تصرف لهم من الحكومة ورواتبهم الشهرى ١٠٠ قرش غير أنهم لا يأخذون جراية ولا كسوة .

والتراجمة هم من متطوعى الزنوج . وسلاحهم كسلاح الخطرية ولا يصرف لهم من المؤونة إلا اللحم والذرة ويستولون كذلك على مرتب قدره ٢٠ قرشا شهريا . ويوكل الى هؤلاء على الأخص حراسة البريد والمواصلات بين مختلف المراكز والادارة العمومية فى لادو . وفى حالة

حدوث خطر تنضم جنود التراجمة الى العساكر النظامية فيمتازون بالبلاء الحسن والشجاعة العظيمة . ولما أغار الدراويش بعد بقيادة الأمير كرم الله دعت الحالة للانسحاب نحو الجنوب وتجمعت الجنود فى بعض المواقع وزيد عدد النظامية فبلغ ١٦٠٠ وقسم هذا العدد الى أورطتين .

وكانت هذه الجنود تكفى لحفظ النظام واستتباب الأمن بين سكان مديرية خط الاستواء الذين يقدر عددهم ب ١٥٠٠٠٠٠ نسمة — وكان من بين هؤلاء ٥٠٠٠٠٠ خاضعين لسيطرة الحكومة . وهذا أمر يمكن ادراكه بسهولة اذا علمنا ان الأهالى منقسمون الى عدد عديد من القبائل المختلفة الأجناس وان الحروب لا تنقطع بينها .

الأهـــــالي

بيان موجز باحصاء الزنوج الخاضعين لسلطة الحكومة وكل عشيرة وبلد فيه على حدة وذلك بوجه التقريب :—

العشائر	البلد	العدد
الدنكا أو الجانجيه	رول ، و بـور	١٠٠ ٠٠٠
المكـراكا	المكـراكا	٥٠ ٠٠٠
المبتـو	مبتـو	١٠٠ ٠٠٠
بـور	بـور	٢٠ ٠٠٠
بـارى	لادو ، و كري ، و مكراكا	١٠٠ ٠٠٠
مادى ، و شولى	دوفيليه ، و فاديك ، و فاتيكو	٤٠ ٠٠٠
ماجونجـو	فورا ، و وادلاى ، و فودا	٣٠ ٠٠٠
لـور	وادلاى	٤٠ ٠٠٠
اللاتـوكا	لاتـوكا	٢٠ ٠٠٠
		٥٠٠ ٠٠٠

الحـــالة المـــالية

أما حالة الحكمدارية المالية فكانت ميزانية المصروفات كالآتى :ـــ

راتب الحكمدار	٦٠٠	جنيه مصرى
« وكيل الحكمدار	٣٦٠	»
« قائد الجنود	٣٦٠	»
« القاضى	١٢٠	»
رواتب موظفين ملكيين	٤٣٠٠	»
« موظفى الأمور الصحية	٢٠٠	»
« الجنود	٥١٠٠	»
	١١٠٤٠	

وهـذه القيمة البالغة ١١٠٤٠ جنيها مصريا تنزل فى الواقع ونفس الأمر الى ٨٠٠٠ جنيه اذا أوضحنا كيفيـة احتسابها بل فى الاستطاعة اعتبار كل هـذه المصروفات صفرا إذ أن اللوازم الاكثر أهميـة وكذلك وسائل المعيشة كانت ملقاة على كاهل الحكمدارية بصفة جزية أى تؤخـذ مجانا وكأنها مبيعة من الحكومة للموظفين ورجال العسكرية . حتى لو قدرنا ان هذه الاحد عشر الف جنيه منصرفة حقا وصدقا فان الايرادات تغطيها وتزيد عنها زيادة كبيرة وأيضا لأنها كانت تأتى من كل جانب والفضل يرجـــع فى ذلك الى التنسيقات الجديدة التى أجراها الحكمدار أمين بك .

وميزانية ايرادات كل مركز من صنف العاج كانت كالآتى :ـ

اسماء المراكز	المقادير بالقنطار
بـــور	١٠٠
لادو	٦٠
كـــري	٢٠
دوفيليـــه	١٥٠
فـــورا	٢٠
لاتـــوكا	٢٠٠
فاديبـــك	٥٠
مكـــراكا	٥٠٠
رول	٢٠٠
ممبتـــو	٤٠٠
	١٧٠٠

وثمن ال ١٧٠٠ قنطـــار هذه بواقع ثمن القنطار الواحد ٣٠ جنيهـــا يبلغ ٥١٠٠٠ جنيه مصرى وبطرح مبلغ ١٠٠٠ جنيه منه وهو ثمن بضع هـدايا للزنوج يكون الصافى مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه مصرى .

ويجبى من مراكز بور ، و دوفيليـه ، و فـورا ، و لاتوكا ، و فاديبك بصفة جزية المبالغ الآتية على وجه التقريب :ـ

ثمن ٤٠٠ رطل من ريش النعام بواقع ثمن الرطل
الواحد ٢ ج. م ٨٠٠ جنيه مصرى

ما قبـــله	٨٠٠ جنيه مصرى	
ثمن ٥٠٠٠ جلد من جلود الثيران بواقع ثمن الجلد الواحد ٤ قروش	٢٠٠	»
الجمـــلة	١٠٠٠	

وهذه الأثمان حددتها حكومة لادو . وقد يجوز لدى بيع هذه السلع سواء أكان ذلك فى الخرطوم أم فى ديار مصر أن يحصل من يبعها على اثمان تزيد على هذه الاثمان .

ويمكن اضافة المطاط وزيت النخل الى حاصلات هـــذه المنطقة . ويرد هـــذان الصنفان من ممبتو . وعندما سافر أمين بك فى مايو سنة ١٨٨٢ م الى الخرطـــوم عرض عليه المستر ماركيت ٤ ج . م ثمنا للقنطار من المطاط و ٤ ½ ج. م ثمنا للقنطار من زيت النخل . وكان قصده من شرائها تصديرهما الى بلاد الانكليز لصناعة الصابون المعطر الجيد من الصنف الأخير . ولم يحصل من المطاط إلا على ٤٠٠ قنطار غير أنه كان فى حيز الاستطاعة الحصول على أزيد من ١٠٠٠ قنطار سنويا لو لم تكن التجارة قد اعتراها الكساد لانقطاع المراسلات مع الخرطوم بسبب الثورة المهدية .

وكانت الذرة قبل تعيين أمـــين بك حكمدارا عاما توردها لموظفى الحكمدارية حكومة الخرطوم فرفع هـــذا مقدار الجزية النوعية وعلى وجه أخص ما كان يورد من الذرة . وعلى ذلك لم تكن الحكمدارية فى غير حاجة الى الحصول على ما كان يرسل اليها منه من الخرطوم فحسب بل أصبح فى استطاعتها أن تصدر حبوبا اذا لم تكن تكاليف النقل باهظة

لدرجة قصوى .

ومما تقـــدم يتضح أن الحكمدارية كانت تحصل من باب الجزية علاوة على العاج وريش النعام على جزية نوعيـة من الفول والسمسم والشهد والزيت النباتى والفـــول السودانى والتبغ وبوجـــه أخص على قدر كبير من الذرة .

وهذا بيان موجز للحاصلات النوعية التى ترد لها من كل مركز :ـــ

المركـز	الحاصـــــــلات			
	ذرة	فول سودانى	سمسم	فول
	اردب	اردب	اردب	اردب
بور	١٢٠٠			٢٠٠
لادو	٣٥٠٠	١٠٠	١٥٠	١٠٠
كري	٥٠٠	٤٠٠	٣٠٠	٥٠٠
دوفيليه	٤٥٠٠		٣٠٠	٣٠٠
فورا	٤٠٠		٥٠	
لاتوكا	١٠٠			
فاديك	١٠٠٠		١٠٠	١٠٠
مكراكا	٧٠٠٠		٧٠٠	٣٠٠
رول	٤٠٠٠	٢٠٠	١٠٠	٢٠٠
ممبتـــو	٢٠٠			
الجملـــة	٢٢٤٠٠	٧٠٠	١٧٠٠	١٧٠٠

(تابع) الحاصلات النوعية

المركز	الحاصلات			
	شهد	زيت	زيت نباتى	تبغ
	رطل	رطل	رطل	قنطار
بور	٦٠٠	٦٠٠		
لادو	١٢٠٠	٦٠٠	١٢٠٠	
كري	٦٠٠	٩٠٠		
دوفيليه	١٨٠٠	٢٤٠٠	٦٠٠	٢٠
فورا				
لاتوكا				
فاديك	١٢٠٠	١٢٠٠	٦٠٠	
مكراكا	١٢٠٠	٢٤٠٠		
رول	١٨٠٠	١٨٠٠		
ممبتو			٢٤٠٠	
الجملة	٨٤٠٠	٩٩٠٠	٤٨٠٠	٢٠

وثمن هذه الحاصلات كالآتى :ـــ

الصنف	المقدار	السعر	جملة الثمن بالقروش
ذرة	٢٢٤٠٠ اردب	٣٠ قرش الاردب	٦٧٢٠٠٠
فول سودانى	٧٠٠ «	٣٠ «	٢١٠٠٠
سمسم	١٧٠٠ «	٦٠ «	١٠٢٠٠٠
فول	١٧٠٠ «	٢٥ «	٤٢٥٠٠
شهد	٨٤٠٠ رطل	١ ١/٢ قرش الرطل	١٢٦٠٠
زيت	٩٩٠٠ «	١ ١/٤ «	١٢٣٧٥
زيت نباتى	٤٨٠٠ «	١ ١/٤ «	٦٠٠٠
تبغ	٢٠ قنطارا	٣٢٥ قرش القنطار	٦٥٠٠
		الجملة	٨٧٤٩٧٥

وعلى هذا يكون اجمال ايرادات الحكمدارية كالآتى :ـــ

جنيه مصرى	
٥٠٠٠٠	عاج
٨٠٠	ريش النعام
٢٠٠	جلود ثيران
٨٧٥٠	حاصلات نوعية
٥٩٧٥٠	الجملة

وقد كان اجمال إيرادات ومصروفات الحكمدارية عام ١٨٨١ م كالآتى :ــ

جنيه مصرى	
٥٩٧٥٢	ايــــرادات
١١٠٤٠	مصــــروفات
٤٨٧١٢	صافى الدخل

وهـذه المبالغ خاصة بالزمن الذى كانت فيه الملاقى مع الخرطوم لم تزل منتظمـة . ولقد كان فى حيز الامكان مضاعفتها بدون مغالاة اذا كانت هذه الملاقات لم تنقطع وتمكن الحكمدار أمين بك من تحقيق مشروعه الذى يرمى الى امتداد أطراف مديريته .

ويستطيع المرء لدى فحصه هــذه الارقام أن يدرك بسهولة السر فى كيفية تمكن هـذه الحكمدارية من سد حاجاتهـا من نفس حاصلاتهـا زهــاء ست سنوات عند انقطاع المواصلات مع باقى العــالم . والارقام المذكورة آنفا تبين المقادير المفروضة على الاهــالى بصفـة جزية . وبهــذه المقادير وبما يتسلمه الموظفون من الحاصلات الزراعية فى مختلف المحطات تسد الحكمدارية حاجاتها على ما يرام . وعـلاوة على ما ذكر فانه لو فرض على الاهالى جزية تربو على التى فرضت عليهم لاستطاعوا أن يؤدوا أربعـة أمثالها بسهولة .

والمقادير التى سلف ذكرها هى التى كان رؤساء القبائل يوردونها جهارا الى ادارة المركز الذى هم تابعون له .

والارقام التى سبق تدوينها برهان ساطع على الرخاء والعمار الضارب اطنابه فى أرجاء مديرية خط الاستواء . ويستطيع المرء أن يذكر علاوة على ما سبق أنه لو كانت حكومة أمين بك قد وجدت الوقت الكافى لتنفيذ مشاريع الاصلاح والتحسين الخاص بانتشار الزراعة واحياء الصناعة لاستطاعت هذه الحكمدارية على كل حال تموين سكان يزيدون عن الموجودين بها ثلاث أو أربع مرات إن لم نقل انه قد يكون فى استطاعتها امداد أسواق اخرى بحاصلاتها . ويتكون نصف هذه المديرية المتسعة الأرجاء المترامية الأطراف الذى يبلغ مسطحه تقريبا مساحة القطر المصرى برمته . من أراض صالحة للزراعة والفلاحة بل يزرع فى جبال لاتوكا و بارى ذات الأراضى الصخرية أجود انواع الذرة والدخن .

وأينما سرت فى أرجاء هذه المديرية تجد الماء وعلاوة على روافد النيل الأبيض المتعددة يوجد عند الحفر تحت سطح الأرض فى بعض المواضع ماء عذب فرات رائق غزير على عمق مترين أو ثلاثة . وعلى هذا لا يستلزم الحال أكثر من إيجاد الأيدى العاملة والادارة الحكيمة لتعمير هذا البلد بالزراعة وتحويل أراضى خط الاستواء الى أراض غاية فى الخصب .

ومن الاجحاف والظلم عدم الاعتراف بالمجهودات التى بذلها أمين بك فى سبيل تحسين حالة حكمداريته فقد كان يجلب من سائر نواحى العالم انواعا منوعة من الفسائل والبذور ويحاول تعويد جملة أصناف من الخضر وأشجار الفاكهة على مناخ الاقليم فتكللت مساعيه بالنجاح . وأنفع وأفيد النباتات التى أدخل زراعتها القطن والأرز . ويرجع الفضل فى

نجاح زراعتها نجاحا باهــــرا الى ما بذله حواش افندى منتصر من عظيم المساعدة والهمــة التى لا تعرف الـــكلال أو الملال ، كما نجحت زراعــة الذرة والفضل فى نجاحها يعود على أمين بك . وقد أفاد القطن افادة عظيمة جـدا فيا بعد وذلك عندما استدعت الاحوال أن يزاول رجال الحكومة وجنودها هم أنفسهم صنع ملابسهم عقب انقطاع المواصلات مع الخرطوم .

ولم تنتشر زراعة الأرز بهـــذه الدرجة مـع ان زراعتها نجحت . وما ذلك إلا لأن هـــذه الزراعـة تستوجب اشغالا كثيرة بينما الحبوب الأخـــري كالذرة والدخن والفول والسمسم التى يمكن ان تقوم مقامـه كانت توجد بكثرة متناهية فتستدعى الحالة رميها تخلصا من تعفنها فى المخازن . ومع ان ضواحى شمبى و لادو التى تعمها الغدران والبقاع التى تغمرها المياه فى زمن الامطار هى من الاراضى الاكثر صلاحية لزراعة الارز مما عداها وكان فى الامكان جنى محصول جسيم منها إلا أنه كان يلزم للقيام بجميع هذه التحسينات والاصلاحات أوقات يسود فيها السكون واليسار . وهذه احوال كانت معدومة مع أشد الأسف فى سنة ١٨٨١ م فى ديار مصر والسودان فى آن واحد نظرا للانقلاب الذى احدثه بها العرابيون والمهديون وبسبب عسر الحالة المالية التى وقعت فيها مصر فى ذلك العصر .

وقد جاوب الجنرال استون باشا على آخر رسالة من أمين بك ان الخديو يقـدر مشروعاته حق قدرها غير ان الحوادث تضطره أن يؤجـل تنفيذها الى وقت أكثر ملاءمة وهذا الوقت لسوء الطالع لم يحن بعد ابدا .

١ — ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء [1]

القسم الثالث

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى محطة حواش افندى منتصر

غادر جونكر مدوروما Mdoruma فى أوائل شهر يناير سنة ١٨٨١ م وقضى النصف الأول من هذا العام فى القيام بريادات خارج حدود أراضى خط الاستواء . وعلم فى ٢٣ يوليو لدى اقترابه من بلدة ممبتو ان الحكومة المصرية أعلنت الحرب على رئيسها مامبانجا Mambanga وان ضابطا مصريا يقال له حواش افندى منتصر وهو قائد الحملة أسس هو وجنوده النظامية محطة لدى الرئيس ابرامو فى « مبورو » Mboro . وكانت الحرب الى هذا الوقت لم تضع أوزارها . وكان حواش افندى منتصر على بينة من رابطة الصداقة التى تجمع بين الطبيب جونكر ومامبانجا فأرسل رسولا الى الأول يرجوه القدوم لكى يستعمل نفوذه لدى الثانى لانهاء الحرب ووضع حد لها . وكان رسول حواش افندى منتصر ضابطا

(١) — راجع كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

يقال له نظيم افندى وكان رفقته ٤٠ جنديا نظاميا و ١٢ مترجما وجميعهم مسلحون .

وكان جونكر يريد أن يلبي طلب حواش افندى منتصر ويجيبه الى مرغوبه غير انه كان يوجد لديه بعض موانع تحول دون القيام بذلك فى الحال فأرسل اليه الرد يقول له فيه انه سوف يأتى لزيارته فى الأيام القادمة . وبلغ جونكر أيضا ان رائدا ايطاليا اسمه كازاتى قدم الى بلدة ممبتو . وبعد ذلك ببضعة أيام جاءه خطاب من هذا الرائد مؤرخ من « تنجازى Tangasi » أعرب له فيه عن رغبته فى أن يراه فى محطة حواش افندى منتصر وأخبره حامل هذه الرسالة علاوة على ما ذكر ان رحى الحرب ما زالت دائرة مع مامبانجا .

وفى ٢٨ اغسطس وجه الطبيب جونكر وجهه شطر محطة حواش افندى منتصر . وفى خلال سفره اتصل به خبر غارة قام بها مامبانجا على المحطة وارتد بخسائر فادحة . وربما كانت هذه الغارة هى التى أشار اليها فيتا حسان . واستحث هذا الخبر الطبيب على الأسراع فى السير غير أن تهاطل الامطار وشدتها منعته عن السير بالسرعة التى كان يريدها وفى نهاية الأمر وصل الى المحطة المذكورة فى ١٠ سبتمبر .

وتم استقبال جونكر بحفاوة كبرى وحيته الجنود مصطفة خارج المحطة وأطلقت عند قدومه المدافع وأدخل حال وصوله فى قاعة الاستقبال وقدمت له المرطبات . وشعر الطبيب بانشراح زائد من المقابلة التى قوبل بها ومن نظافة المحطة ونظامها وترنحت اعطافه سرورا لوجوده مرة أخرى بين عالم متمدين يتكلم معه بدون واسطة تراجمة .

الحوادث التى جرت فى أثناء غيبته

وقد حدثت حوادث ذات شأن خلال غيابه . وها هو ما اتصل به بصدد هذه الحوادث :ـــ

بعد أن بارح جونكر ناحية تنجازى هاجم رجال السلطة الذين كانوا مقيمين فى ممبتو مامبانجا وطردوه من زريبته وأقام بها المأموران عبد المين و عبد الله . وغرتهما لذة النصر فواصلا هجومهما مندفعين الى الامام فلاقاهما مامبانجا وأتباعه وذبحوهما كما ذبحوا معظم جنودهما واستولوا على ٤٠ بندقية . ومن نجا منهم احتمى فى الزريبة ورجع الى تنجازى تحت جنح ظلام الليل بقيادة نظيم افندى الذى كان قد ذهب لمقابلة جونكر عندما كان فى الريادة .

وهذا هو سر المسألة التى رواها فيتا حسان عن مذبحة الخطرية الذين كانوا معينين بصفة حامية فى بلدة ممبتو والذين أرسل اليهم أمين بك ـ وكانت هذه الناحية قد ألحقت بحكمداريته ـ حواش افندى منتصر ليقتص من الأهالى ويسترد منهم البنادق .

وقصة هذا القتال الذى لم يحضره جونكر بصفة شاهد عيان سبق ذكرها فلا حاجة لاعادتها بل نقف عند ذكر الحوادث التى حضرها ورآها بعينى رأسه والحوادث التى تدخل فيها بصفة واسطة .

توسطه للصلح بين مامبانجا وحواش افندى منتصر

ورأى جونكر عند قدومه الى المحطة أن الاصوب أن يتوسط بين الفريقين ابتغاء الوصول الى نشر راية السلام وعقد الصلح بينهما . وكان

مركزه بالطبع لما بينه وبين مامبانجا من الصداقة والولاء أحسن من مركز أي انسان آخر يؤدي هذه المهمة . وأحاط حواش افندي منتصر علما بما جال بخاطره فوافق عليه تمام الموافقة لاسيما أنه لم يبق لديه من الذخيرة التي أخذت في النفاد إلا ثلاثة آلاف ظرف من طراز رمنجتون .

وأرسل الطبيب ساعيا الى مامبانجا ليخبره بما اعتزمه ووقر في نفسه وليقول له انه اذا قبل أتى جونكر لمقابلته في منتصف الطريق ومعه خادم ومترجم لاغير . واتخذ جونكر هذا الاحتياط حتى لا يثير في نفس مامبانجا عوامل الخوف وليمحو من رأسه كل مظنة سوء .

ورجع الساعي في غد يوم سفره أي في ١٢ سبتمبر ومعه بعض رجال مامبانجا وقال ان هذا قبل الشروط . وأرجع جونكر هؤلاء الرجال وقال انه سيسافر في اليوم التالي وعين موضعا في منتصف الطريق ليتقابل فيه الفريقان .

وذهب جونكر الى ذلك الموضع وأتى اليه مامبانجا حسب الاتفاق إلا أن جونكر رأى هذا مكتئبا حزينا متخيلا أن شركا قد نصب تحت اقدامه . ولما كانت الشمس قد قاربت على الغروب وأخذ ضوء النهار يتقلص عرض عليه جونكر تمضية الليلة في الموضع الذي هما فيه فامتنع مامبانجا أولا ثم انتهى بالقبول وأخذ رجاله يشتغلون في اقامة الأكواخ التي استلزمت الظروف عملها .

وتحادث جونكر أثناء الليل معه طويلا وبين له الفوائد التي يجنيها من وراء تحالفه مع الحكومة . وبعد جدال استطال آل الامر الى قبول

مامبانجا ارجاع البنـــادق التى استولى عليها وزيارة المحطة . ومـــع ارتياب جونكر فى قيام مامبانجا بوفاء وعده عقد معه معاهدة تبادل الدم ليبث فى روعه روح الطمأنينة .

وعاد جونكر بعد ذلك الى المحطة ليحيط حواش افندى منتصر بنتيجة مأموريته . ثم انقلب راجعا الى مامبانجا ليحمله على نجاز وعده . فوجده على غير ماتركه فقد انقلبت افكاره بطنا لظهر وأخذت تساوره الشكوك من كل صوب وناحية وأبدى مخاوفه من وقوعه فى الهلاك . وأكد له جونكر أنه ليس هنالك شيء يستوجب هذا الارتياب وانه هـــو نفسه يكفل سلامته ولكن ذهبت كل محاولاته عبثا ولم تغن فتيلا واضطر أن يطرح كل أمـــل فى الوصول الى أى وفاق معه . وفى أثناء اقامة جونكر لدى مامبانجا قدم اليـــوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى ليزوره . وبعد أن لبثا اسبوعا وليـــا وجهيهما فى ٢٢ سبتمبر شطر محطة حواش افندى منتصر وذلك بعد أن نبأ مامبانجا بسوء مصيره والمصائب التى ستحل به فى القريب العاجل .

وقوبلا لدى وصولهما الى المحطة بأكبر مظاهر التجلة والتكريم ومزيد الارتياح إذ ان القـــوم كانوا يتوجسون خيفة على حياتهـــما بسبب طول غيابهما .

وسر جونكر سرورا لا مزيد عليـــه إذ وجد رسالة من الحكمدار أمـــين بك يخبره بها انه من المحتمل ان يزور نواحى ممبتـو التى ألحقت بحكمداريته . وأحاطه أيضا بوفاة جيسى باشا فى ثغر السويس وبمـــا حاق به بسبب ذلك من الأسى والأسف .

وقضى جونكر مع كازاتى فى المحطة المذكورة اسبوعا فى رغد من العيش .

إخفاقه فى عقد الصلح وتفاقم الحالة

وفى ٢٩ سبتمبر سافر كازاتى . وكان جونكر يريد أن يسافر هو كذلك غير أن الجنود استعطفوه وطلبوا منه البقاء لأنه لم يبق لديهم إلا شيء يسير من الذخيرة وكانوا يخافون ان تنقض عليهم الأهالى واستشفوا من خلال ذهاب جونكر وإيابه من و الى مامبانجا ان للأول بعض النفوذ على الثانى وان هذا الاخير لا يهاجم المحطة طالما يكون جونكر مقيما بها . وشكوا له أيضا من حواش افندى منتصر وقالوا ان المذكور وان كان جنديا محنكا وله المام تام بمسالك البلد إلا انه شديد صارم لايغتفر تواتر الزلل . وكان لهم شكاية أخرى موضوعها انهم يرغبون الرجوع الى مكراكا حيث وسائل المعيشة متوفرة وبذا يتخلصون مما يقاسونه فى محطته من عذاب الحرمان على تعدد ألوانه . فوبخهم جونكر توبيخا شديدا وقال لهم : إنكم لو كنتم جنود أمة أخرى لأعدم منكم واحد من كل عشرة وان أحسن ما يمكنكم عمله هو الصبر على الشدائد التى انتم فيها واحتمال ما تكابدونه من المشاق كما هو الواجب على كل جندى . وقرر جونكر تجاه هذه الظروف أن يظل بالمحطة وكتب الى الحكمدار أمين بك ليحيطه علما بالموقف .

وفى هذه الاثناء راجت اشاعة فى المحطة مصدرها تنجازى فحواها ان القائمقام بخيت بترا كى بك قادم فى الطريق من مكراكا ومعه جنود لمحاربة مامبانجا وحسم المشاكل معه حسما نهائيا .

وفى ٢٢ أكتوبر ورد خطاب من بخيت بك مثبت لتلك الاشاعة مذكور فيه انه قادم ومعه جيش عرمرم وبرفقته عبد الله أفندى أبو زيد مأمور ريو التابعة لمركز مكراكا . وفيه يطلب استحضار اكبر عدد يمكن الحصول عليه من المراكب ليعبر عليها نهير كبالى Kibbali . وما انتشر هذا الخبر فى المحطة حتى راجت اشاعة فحواها ان مامبانجا يتأهب للهرب .

وجال فى خاطر جونكر فى تلك الساعة الرهيبة التى فيها حياة مامبانجا معرضة لأشد الاخطار أن من واجباته ان يحاول لآخر مرة حمله على ان يسلك مسلك التعقل والتبصر فأرسل اليه بموافقة حواش افندى منتصر مندوبا يخبره بما يحيق به من الاخطار ويدعوه للمجيء الى المحطة ليسلم البنادق ويقول له ان جونكر كفيل بأن لا يصيبه شيء من الاذى ، وانه سيأتى لمقابلته فى منتصف الطريق اذا قبل هذه الشروط .

وفى اليوم التالى ٢٣ أكتوبر عاد المندوب يحمل جوابا سلبيا ويعتذر بالحكاية التى طالما رددها وهى مسألة الخوف على حياته . وهمس الرسول فى اذن جونكر بأن مامبانجا يريد الشر والعدوان ويقول ان فى حيازته عددا كبيرا من رجال الحرب والطعان ويمكنه أن يناصب الحكومة المداوة سنينا طويلة .

وأرسل جونكر يقول له آخر مرة انه بذل أقصى مجهوده لينجيه من هلاك محتم ونبأه بما سيحل به من البلايا والرزايا قائلا انه سيصبح بلا مأوى ولا وطن وانه سيطارد فى الغابات كما تطارد الظباء والأيائل وانه لن

يجد من يلومه على ما يجتاحه من البلايا والرزايا إلا نفسه .

وفى ٢٦ أكتوبر دوى صوت النقارية على مسافة بعيدة . وهذه لا تدق إلا إيذانا بالشروع فى الحـــرب ومباشرة القتال . ولما كان الصوت آتيا من صوب معسكر مامبانجا تصور الناس أن الهجوم على المحطة أضحى قريبا فضوعف الحرس واشتدت المراقبة طول الليل غير انه لم يحدث أى شىء ولم تكن هذه الاصوات إلا بقصد الارهاب .

ووقع عيد الاضحى فى أول نوفمبر فاحتفل به كل من بالمحطة احتفالا عظيما وفرح الناس بمقدمه فرحا كبيرا وتسربلوا بأفخر ملابسهم والذين استطاعوا الاحتفال به ذبح كل منهم خروفا أو عنزة كما هى العادة .

وارتقب الناس يوما بعد يوم قدوم بخيت بك وحملته بلا جدوى . وعلم فى نهاية الأمر انه ذهب اولا الى تنجازى .

ولم يكن حواش افندى منتصر راضيا عن قدوم بخيت بك وذلك لأن هذا تقضى عليه رفعة رتبته عن الأول بتسلم زمام قيادة المحطة وبهذه الكيفية تذهب أتعاب حواش افندى منتصر مع الرياح وتمسى نسيا منسيا . وحمل هذا السبب حواش افندى منتصر على مفاتحة مامبانجا وحاول الدخول معه فى مفاوضة ليقنعه بالجنـــوح للسلم ونبذ الحروب ولكن محاولته هـــذه لم تأت بفائدة ما واستمرأ كبير الزنوج مرعى عنـــاده وجعل اصابعه فى آذانه وأصر على عدم استماع أى كلام . وحاول كذلك بخيت بك من تنجازى أن يرده الى الصواب ويهديه الى الصراط المستقيم وذلك بأن رد اليـــه واحـــدا من ابنائه الذين كان اسرهم العرب فكان جوابه على ذلك

أن أرجع اليـه بعض البنادق ولم يزد على ذلك خطـوة الى الامـــام بل وقف عند هذا الحد . ونقل من جهـــة اخرى الى حواش افندى منتصر جواسيسه ان مامبانجا أرسل نساءه ومتاعه الى مسافات قصية ليكنّ فى مأمن من كل اعتداء وانه يتأهب للقتال .

الحمـــلة على مامبانجـــا

وفى نهـــاية الأمر وردت فى ١٥ نوفمبر أنباء الحملة وعلم منهـــا انها انقسمت فى تنجازى الى ثلاثة أقسام لتحاصر مامبانجا من ثلاثة طـــرق متباينة . القسم الأول بقيادة عبد الله أبو زيد أفندى وعليه أن يسلك الطريق الممتدة الى جهة اليمين . والقسم الثانى بقيادة الترجمان محبوب وعليه أن يسلك الطريق الممتدة شمالا . أما القسم الثالث وهو الأخير فيسير مباشرة الى مامبانجا بقيادة بخيت بك نفسه .

وبما ان مامبانجا كان على بينة من حركات وسكنات جيوش الحكومة التى كانت تنقلها اليه جواسيسه تعلق بأذيال الفـــرار وتخلص من حركة الاكتناف التى كانت على وشك أن تحدق به وذلك رغما من مسير فرق بخيت بك الثلاث السريع التى وصل رسلها الى المحطة فى ١٧ نوفمـــبر حاملين خبر احتلال أراضى مملكة مامبانجا وفرار هذا واستيلاء الجيوش على أكواخه وخبر آخر من بخيت بك انه ستنشأ هناك عما قريب محطة مستديمة ويـــترك بها حامية مؤلفة من ٦٠ جنديا وان مقتنيات كبير الزنوج صودرت وأنه خلع من عرشه ونصب بدلا منه رئيس آخـــر وبذلك تمت نبوة جونكر وصبت على رأس مامبانجـــا كل الملمات والكوارث التى كان تنبأ له بها .

وقبل أن يشرع بخيت بك فى مطاردة الهارب قدم بمفرده الى المحطة . وانشرح صدر جونكر وفرح فرحا لا مزيد عليه لرؤيته لانه من أعز أصدقائه الذين تعرف بهم فى رحلته السابقة وقطع معه مرارا المرحلة الواقعة بين لادو و مكراكا . وكان لدى كل منهما أشياء كثيرة عليه أن يبثها للآخر .

وكانت مقابلة الضابطين بخيت بك وحواش افندى تقل كثيرا فى الصفاء والمودة عن مقابلة جونكر وبخيت بك لأنه كان لدى هذا وحواش افندى ما يستوجب المؤاخذة ولذلك قامت بينهما مشاحنات تجحف بالأعمال التى هما قادمان على نجازها معا . وشاهد جونكر البعض من اجتماعاتهما إلا انه عمل على أن لا يحضر هذه الاجتماعات إلا نادرا ومع ذلك ذكر أن تصرفات بخيت بك كانت أقرب للصواب من أعمال زميله . ومن الاشياء التى وافق عليها موافقة تامة توبيخ بخيت بك للجنود توبيخا شديدا على سلوكهم الشائن وطلباتهم المنافية للمنطق .

وفى ٢١ نوفمبر وصلت جنود الحملة فتجمع مئات من الأهالى ليشاهدوا أولئك الجنود الجندة التى لم يروا لها من قبل مثيلا . وكان يمشى فى مقدمة الفرقة الجنود السودانيون النظاميون مسلحين بسلاح رمنجتون بقيادة ضباط من جنسهم . ثم حامية محطة ريمو التابعة لمكراكا المؤلفة من عسكر خطرية تحت إمرة عبد الله افندى أبى زيد مأمور هذه المحطة . وعبد الله افندى هذا هو أيضا من أصدقاء جونكر القدماء . ويأتى بعد هؤلاء المساعدون وهؤلاء من رجال القبائل الزنجية الخاضعة لسيطرة الحكومة ويعدون بالمئات ويسيرون بقيادة كبرائهم كل منهم على رأس قبيلته . وينبغى أن يضاف الى أولئك المساعدين عدد كبير من الحمالين الذين يستخدمون

فى نقل متاع كل هذه القوة المتنوعة الوحدات .

وتأثر الأهالى كثيرا من هذا المنظر الذى لم يسبق لهم قبل رؤية نظيره وقد أثر فيهم أكثر وأكثر منظر الكساوى الجديدة التى وردت من ديار مصر ولبستها العساكر النظامية .

ولم تف الأكواخ التى نصبت للجنود التى وصلت أخيرا بحاجاتها ودعت الحالة الى عمل أكواخ اخرى . وتناول جونكر من أمين بك خطابا يخبره فيه انه ما زال عاقدا النية على الحضور الى ممبتو بعد زمن قليل وبعث اليه صندوقا مملوءا بالاشياء المفيدة النافعة بصفة هدية . وأولم حواش افندى فى تلك الليلة وليمة حضرها جونكر والضباط والرؤوس الذين قدموا مع الجيش .

وعقد الضباط عدة جلسات لاختيار الخطة التى يسيرون عليها فى الحرب القادمة لأن فصل الامطار كان قد انتهى وأضحى المناخ صالحا للأعمال الحربية التى هم قادمون على مباشرتها فتقرر السفر مع ترك حامية فى المحطة مؤلفة من ٧٥ جنديا .

مسير الحملة لمقاتلة مامبانجا
وتقديم رؤساء النواحى الطاعة

وفى ٢٥ نوفمبر تحركت الحملة للمسير بقيادة القائمقام بخيت بك العليا والصاغ حواش افندى منتصر بصفة قائد ثان وكان الجيش مكونا من عدة آلاف وكان السير فى اول الامر شاقا مضنيا لاختلال النظام الذى ساد الصفوف بسبب كثرة العساكر غير النظاميين والحمالين المرافقين

لهم . ولكن كان كلما تقدم فى السير تعلم كل ما عليه من الواجبات وانتظمت الاحوال واستتب النظام .

وبعد أن قطع مرحلة يومين وردت الانباء على حين فجأة أن مامبانجا وأتباعه على مقربة من الحملة وان من اللازم الاسراع فى السير وعلى ذلك تقرر ان ينطلق فى الحال عبد الله افندى أبو زيد وبشير ومعها ١٦٠ جنديا وثلة من المساعدين فى سبيل البحث عن مامبانجا ويحاولا أخذه أسيرا . وظل جونكر فى المعسكر مع بخيت بك و حواش افندى وباقى الحملة والحمالين .

وفى خلال اقامتهم فى المعسكر قدم رؤساء القبائل الضاربة فى الجهات المجاورة ليقدموا الطاعة للحكومة وكانوا يحملون معهم جميع انواع المؤن ومن ضمنها الطيور الداجنة . وقدم بخيت بك لكل منهم قميصا أحمر من نسيج القطن وأوصاهم أن يذهبوا على مرءوسيهم أن يرجعوا الى ديارهم ويتفرغوا لأعمالهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة ويخلصوا للحكومة .

وفى مساء ٢٩ نوفمبر وردت رسالة من سكرتير الحملة منبئة أنها شتت شمل الأعداء واستولت على كثير من المغانم إلا أن رئيسهم مامبانجا تمكن من الفرار وان الحملة سترجع بعد قليل .

وفى ٤ ديسمبر عادت الحملة الى المعسكر . واتضح ان العدو بوغت بالهجوم مباغتة تامة إذ أن الجيش المساعد لما كان فى القدمة حسبه أتباع مامبانجا من غير المعادين لاسيما أن افراده من الاهالى مثلهم ولم يدركوا ان هذا الجيش الساعد يجد فى طلبهم إلا عندما وقع

نظرهم على العساكر النظامية وعندئذ حدث ذعر عـــام فى صفوفهم وأخـذ كل منهم يعمل فى سبيل نجاته وأخذ الجيش الساعـد يطاردهم زمنا الى أن تشتتوا وذهبوا شذر مـــذر . واستوى عبد الله افندى أبو زيـــد وبشير فى معسكرهم واستوليا على جميع موجوداته وهى زهاء المائة من نساء مامبانجا وولدان من أولاده وابنتـه وكثير من الاشياء التى تخصه هو نفسه وأسرا خلقا كثيرا . وقد أتى فى اليوم التالى عدد كبير من الأهالى وقدموا الطاعة .

وبما أن رجـــال قبيلة الابرامـو Les Abramos أتوا وقدموا الخضوع صار فى حيز الامـــكان القيام بتقدم آخر ولهـذا عقد حواش افندى النيـة على أن يحتـل بمعاونة جنود الحكومة جميـع أراضيهم بالتدريج ليضمها الى مصر . ويقول جونـكر إنه وافق على هذا الترتيب لأن من شأنه أن يلم شمل جميع قبائل الابرامو الصغيرة تحت إدارة حكومة واحدة .

احتلال حواش افندى أراضى الابرامو وضمها الى الحـكومة

وفى ٩ ديسمبر شرع حواش افندى فى السير وبرفقته جونكر وبشير . ومشى معهم فى الحملة بصفة مساعدين لها خلق كثير من قبائل الابرامو الضاربين فى المراكز التى أضحى احتلالها وشيكا والذين قدموا الطاعة . وكانوا يسيرون مع الاحتياط إذ أنه كان يوجـد أمامهم جمع كبير من رجال قبائل الابرامو الذين لم يقدموا بعد الطاعة وقيل انهم عقدوا الخناصر على الاغارة على الحملة غير أنه لدى الاقتراب منهم أخذوا يفرون .

وبلغت الحمـــلة فى ١١ منه الجهة المولية وجهها شطرهـــا . وهى الجهة

التى وقع الاختيار عليها لتدار منهـــا موقتا حركات مفاوضات الصلح . وروى جونكر أن جنود الحملة اقترفوا اعمالا من أعمال السلب والنهب ولكنه يقول علاوة على ما ذكر أن هذا العمل وان كان فى حد ذاته لا يدل عـــلى الجنوح للسلم إلا أنه كان عملا لازمـــا يستشعر الزنوج منـــه أنهم يواجهون قـوة دونها قواتهم فيخنعون وتلين قناتهم لقبـــول ما يفرض عليهم من النظام الذى كانت الحكومة تنوى ادخـــاله فى بلادهم . ومع هـــذا وفى حواش افندى حقه إذ قال انه أعطى أوامر فى نهاية الصرامة لرجاله بألا يمسوا الأهالى بسوء وألا يستعملوا معهم الشدة .

وعندما استقر بحواش افندى المكان بعث برسله الى رؤساء القبـــائل ليدعـــوهم للدخول فى طاعة الحكومة فأتى كثير من الذين كانوا لم يزالوا يناصبون الحكومة العداء وقدموا الطاعة وأحضروا معهم عاجـــا وما ذلك إلا لأنهم أدركوا ان ليس هنالك أية فائدة من وراء الاستمرار فى عداوة قوة تفوق قوتهم .

وفى بدء السنة عندما قام جونكر برحلته فى هذا القطر سرقت عدة أشياء من متاعه وهـذه الاشياء استرجعت فى ذلك الوقت بنفوذ حواش افندى وهمته ونال المجرمون عقابا جزاء ما كسبت أيديهم .

وفى هذه الآونة وردت الأوامر من بخيت بك بناء على ما تلقـــاه من أمين بك برجوع حواش افندى الى مركزه السابق بمكراكا . وهذا الأمر اعتبره جونكر خبرا مكدرا لأن العمل الذى بدىء به لم ينته بعد ولم يزل جزء من اراضى قبائل الابرامبو ناشرا الى ذلك الوقت راية العصيان .

وحضر فى غضون هذه المدة رؤوس آخرون ومعهم عاج وقدموا الطاعة . وعلى هذا تراجع حواش مسافة قليلة ووقف غير انه ورد له أمر ثان مع حرس مؤلف من ٣٠ جنديا فقوض مضاربه وسافر .

وقد غادر جونكر الحملة فى ذلك الوقت لارتياد أقطار أخرى .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم الثاني

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استمر كازاتى فى ريادته فى بحر الغزال طول القسم الاكبر من عام ١٨٨١ م ووصل الى محطة تنجازى فى ٣ أغسطس . وتنجازى هذه تابعة لمديرية خط الاستواء . وأقام كازاتى فى هذه المحطة مدة . وفى ١٨ سبتمبر وردت له رسالة من الطبيب جونكر يقول له فيها إنه وصل حديثا الى بلاد الابرامو وانه عقد العزم على الذهاب قريبا الى الرئيس مامبانجا الذى كان فى حرب مع الحكومة المصرية فسر سرورا عظيما لهذا النبأ وشحذ غرار العزم على السفر للقياه والتعرف به .

وسافر فى ٢٠ منه وبعد مرحلة يومين وصل الى مقر الرئيس السالف ذكره وهناك وجد جونكر وقضى معه ثلاثة ايام فى هناء وسرور ورغد من العيش ثم زايله وقصد ناحية بحر الغزال للقيام بريادة فيها وقفل راجعا الى تنجازى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

وقابل كازاتى فى خلال هذه الرحلة مامبانجا وكان قد غلب وخذله

اتباعه ولم يبق معه منهم إلا عدد يعد على الاصابع وكان آخـذا فى البحث عن مـكان يأويه . وكان أمين بك قد أرسل عليه حواش افندى منتصر فقاتله ونجح فى قتاله غير انه نظراً لمقاومة مامبانجا وتصلبه فى المقاومة وجـــد الأول نفسه فى مركز حرج امام الأخير فطير جونكر خبر هـذه الضائقة الى أمين بك فبعث فى الحـال بيخيت بك ومعه مدد ذو بال فقام هـذا بحركات سريعة وهجمات فتاكة شتت سريعا شمل عصابات مامبانجا وفاز بجميع أنواع الظفر فى حرب جرّت الخراب والدمار على رأس هذا الرئيس .

وبعد ان استراح كازاتى بضعة أيام سافر مرة اخـرى ليحضر حملة جديدة فى بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٢ م

من

حكمدارية أمين باشا

سفره الى الخرطوم لمقابلة رءوف باشا

قام أمين بك فى خلال الشهرين الأولين من سنة ١٨٨٢ م ببعض جولات قصيرة حول لادو للتفتيش . ثم شرع بعد ذلك فى القيام بتحضير معدات السفر الذى نوى ان ينهض به الى الخرطوم .

واستفهم من فيتا حسّان قبل رحلته عما اذا كان ينقص صيدليتــــه بعض العقاقير . فأجابه انه ينقصه من الادوات الضرورية الشىء الكثير . وبناء على ذلك نبه عليه بأن يرافقه فى رحلته الى الخرطوم ليتسلم من قاعدة الحكومة العقاقير التى تلزم ويتفرغ هو لمقابلة رءوف باشا .

وأقلعا قبيل أواخـــر شهر فبراير على ظهر الباخرة « بردين » ومعهما ٤٠٠ رجل من الدناقلة . وهــؤلاء هم الذين كان الحكمدار أمين بك قد نبه عليهم بمبـــارحة خط الاستواء اذا لم يخضعوا لدفع الضرائب أسوة بالأهالى . وكان وجهة أولئك الدناقلة أيضا الخرطوم . وكانت الباخرة تحمـــل علاوة على ما ذكر ٥٠٠ قنطار من العاج وعرجت فى طريقها على بور و شمبي لتمتار بالوقـــود . واضطرت للوقوف فى مركز « قاوا »

Kawa لأن الأمر كان قد صدر بعدم السماح لأية باخرة بالمرور بدون رخصة خصوصية وذلك بسبب وجود المهدى فى جزيرة « أبا » Abba . غير أنه رخص لها بالمرور لمغادرة المذكور للجزيرة وانسحابه هو واتباعه الى جبل قدير الواقع فى مديرية فاشودة .

واتصل بها وهما فى فاوا ان الحكومة استدعت رءوف باشا وعينت محله عبد القادر حلمى باشا وان الأول قد سافر فعلا ووصل الى بربر فبعث له الحكمدار أمين بك برسالة برقية يخبره بها أنه قدم لزيارته فى الخرطوم وأنه يأسف لسفره فجاوبه رءوف باشا برسالة برقية كذلك يقول فيها انه يسوءه هو أيضا عدم استطاعته مقابلته قبل سفره ويؤكد له ما تكنه جوانحه نحوه من عاطفة الصداقة .

ووصلت الباخرة الى الخرطوم فى ٧ مارس فاستقبله فى الموردة كبار الموظفين وأعيان المدينة ومن بينهم جيكلر باشا Giegler وكيل الحكمدار العام و بوساتى بك مدنى Bussati Madani السكرتير القديم لغوردون باشا وكان وقتئذ مديرا المالية و ماركوبولو بك Marcopolo سكرتير الحكمدار العام ثم قنصلا النمسا وايطاليا .

مقابلته لحاكم السودان العام الجديد

وكانت الخرطوم حينئذ قد بلغ فيها القلق والاضطراب أشدهما . وساد الكدر جميع النفوس من جراء ثورة المهدى التى كانت غير متوقعة ولا منتظرة وتواتر بصددها ورود اخبار غريبة فى بابها متضاربة ومتباينة فى مرماها ومغزاها . وكانت الحكومة تعد فى ذلك الحين معدات حملة يوسف

باشا الشلالى التى باءت بالخيبة والخسران .

وتلقى جيكلر باشا فى العشى مكتوبا من الحكمدار الجديد عبد القادر باشا ينبئه فيه بتعيينه مفتشا عاما للرقيق ويأمره فى الوقت نفسه بأن يستمر على القيام بشؤون مركزه بوصف أنه وكيل للحكمدارية الى ان يصل من يخلفه فى هذه الوظيفة .

ونزل الحكمدار أمين بك ثانى يوم قدومه فى دار جميلة أعدها له مكاتبه بطرس سركيس . واستغرقت مدة اقامته هو وفيتا حسان فى الخرطوم زهاء أربعة أشهر ترقبا فى الشهرين الأولين منها مجىء عبد القادر باشا وكان أمين بك قد طير له برقية يطلب فيها منه امداده بما يلزم من التعليمات فورد له الرد بأن ينتظر الى حين قدومه الى الخرطوم .

وتراكمت على الحكمدار العام الجديد عند قدومه الاشغال من كل صوب وحدب بسبب رفع المهدى راية العصيان واحتدام نار الثورة وبسبب تنظيم خطط الدفاع ايضا ونشأ من هذه المشاغل ان انقضى زمن قبل ان يتمكن من رؤية أمين بك .

وقابله هذا فى نهاية الأمر وفحص ميزانية دخل وخرج الحكمدارية وأنظمة قواتها الحربية وأشار على أمين بك ــ الامر الذى كان قد تم تنفيذه ــ ان يسرح جميع الخطرية الذين فى حكمداريته لعدم ثقته بهم ولانه يؤثر عليهم تنظيم هيئة نظامية من الجنود السودانية . وأمره كذلك بأن يبعث الى الخرطوم بالقائمقام نور بك محمد قائد جنود الحكمدارية وبخيت بك

بتراكى مأمور مركز مكراكا .

عـــودته الى حكمداريته

وقدمت فى اللحظة التى ازمع أمين بك الرحيـــل فيها من الخرطـوم باخـــرة تقـل ٣٥ ضابطـا مصريا من أولئـك الذين اشتركوا فى الثورة العرابيـــة وجىء بهم ليندمجوا فى جيـوش السودان فاستدعى عبد القادر باشا اليـه مرة اخرى أمـين بك وأراه الضبـاط وكانوا قد نزلوا توا من البـاخرة وقال له :

« تخـــير من بين هؤلاء الضباط اثنى عشر ضابطا وخـذهم فى الحـال الى حكمداريتك » . فأجاب أمين بك قائلا . « ياصاحب السعادة ان هـؤلاء الضباط جاءوا فى التو والساعة فدعهم اذن قليـلا يتعودون مناخ الاقليم قبل ان يطوح بهم فى جهة أبعد من هنا » .

فـــدجه عبد القادر باشا بعينيه ولاحت عليـــه أمارات التأثر وقال : « كفى كفى ياامين بك ان الساعة ليست ساعة ابداء الشعور فسافر وخـذ المدد الذى ذكرته معك » .

وعلى ذلك اضطر أولئك المنكوبون الذين كانوا قد نزلوا توا من البـاخـــرة هم واسرتهم وأنزلوا معهم متـاعهم ان يقلعـــوا فى الحـال الى جهات خط الاستواء .

وهؤلاء الضباط على حسب تعريف عبد الرحمن رحمى (١) افندى نجل البكباشى عثمان لطيف افندى وكيل مديرية خط الاستواء الذى كان مع مديرها أمين باشا وكان فى هـذه المديرية مع أولاده طول مدة العزلة وعاد الى مصر مع أمين باشا فى حملة استانلى هم كما يأتى :—

١ — عبد الوهاب طلعت افندى ملازم ثان — قتل فى واقعـة الرجاف بين الجيش المصرى والدراويش فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة صاغ .

٢ — سالم افندى خلاف — قتل فى واقعة الرجاف أيضا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة يوزباشى .

٣ — محمد افندى الفولى — قتل فى واقعة الرجاف أيضا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة يوزباشى .

٤ — عبد الواحد افندى مقلد « — ترك بسبب مرضـه فى الطريق بين مديرية خط الاستواء

(١) — بعد عودته الى مصر أدخله والده مدرسة الخرنفش وعند فتوح السودان فى سنة ١٨٩٨ م عين فى قلم المخابرات ثم نقل الى مصلحة البريد السودانى واحيل الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ وكان وقتئذ على قيد الحياة فى أم درمان . أما والده البكباشى عثمان لطيف افندى فتوفى الى رحمة الله فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠١ بجهة باب الوزير بالقاهرة .



البكباشى عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء

		وزنزبار بأمر أمـــين باشا لدى المبشرين الانكليز بجهة كيتيجا فى جنوب بحيرة فيكتوريا نيانزا عند المستر مكى وتوفى الى رحمة الله وهو برتبــة يوزباشى .
٥ ـ ابراهيم افندى حليم	ملازم ثان	ترك أيضا فى الطـــريق كسلفه بسبب مرضـــه بين مديرية خط الاستواء وزنزبار بأمر أمين باشا لدى المبشرين الانكليز . الخ . الخ .
٦ ـ احمد افندى سليمان	«	نقل الى الخرطـــوم قبل سقوطها سنة ١٨٨٥ م .
٧ ـ حسن افندى سليمان	«	نقل الى الخرطـــوم قبل سقوطها .
٨ ـ محمد افندى فوزى	«	نقل الى الخرطـــوم قبل سقوطها .
٩ ـ عبد المبين افندى شلمى	«	ترك مع باقى القـــوة فى مديرية خط الاستواء .

١٠ — علي افندي شمروخ	ملازم ثان	ترك مع باقي القوة في مديرية خط الاستواء .
١١ — مصطفى افندي العجمي	«	وصل الى مصر مع حملة استانلي وهو برتبة يوزباشي .
١٢ — محمود افندي العجيمي	«	قتل في واقعة ريلي بين الجيش المصري والدراويش وهو برتبة يوزباشي .

وأبحر أمين بك مع فيتا حسان في يونيه على متن الباخرة « الاسماعيلية » صوب حكمداريته . وقال ثانيهما في اثناء الطريق يخاطب الأول : « انك لتحسن صنعا اذا صرفت النظر عن ارسال نور بك وبخيت بك ذينك الضابطين العظيمين الوحيدين اللذين في حكمداريتك الى الخرطوم إذ ان وجود هذين الرجلين اللذين حنكتهما التجارب من الضروري ليبعث في نفوس الجنود المهابة ويحملهم على مراعاة النظام . فأجاب أمين بك قائلا . « اني أرى نفسي بالعكس حسن الحظ كثيرا إذ صار في استطاعتي أن أصرح لهما بالسفر فاخفف بذلك النفقات عن كاهل حكمداريتي » .

ويقول فيتا حسان انه رغما عما أبداه من الحجج والبراهين المؤيدة لصحة نظريته وهي وجوب الاحتفاظ بهذين الضابطين ظل الحكمدار أمين بك ثابتا في رأيه لا يتزحزح عنه قيد شعرة وذهبت براهين فيتا حسان وتحذيراته أدراج الرياح . وكان يبني حججه وبراهينه على احتمال حدوث غارات من جانب الدراويش ومسيس الحاجة لرجلين في مقدرة هذين

الضابطين وهـــذا الاحتمال الذى كان يدلى به فيتا حسان أضحى فيما بعد أمرا واقعا .

والتسرع الذى أبداه أمين بك فى إبعادهما ما هـــو إلا نتيجة أخلاقه وطباعه . ولما كان فيتا حسان قد درس أحواله وما ظهر منها وما بطن أدرك أنه لن يستطيع إقناعه إلا بشق النفس وأشد المتاعب .

وكان امين بك يخاف دائما أن يبقى خامل الذكر ويغير على سلطته غـــيرة ما عليها مزيد فلا يود أن يشاركه فيها انسان وكان شديد الريب فلا يسلم أحد من ريبه ولا يجنح لأن يرى تحت سيطرته إلا مرءوسين لا يؤبه لهم إلا قليلا واذا رفع أحـــدهم رأسه حتى لو كان ذلك خفية أضحى هـــذا موضع ريبته فلا يلبث أن يسعى فى إبعاده واذا تعـــذر عليه أمر التخلص منه خلق له وقتئذ المشاكل ودس له الدسائس ليوقعـــه مع الموظفين الآخـــرين حتى يهبط الى مستوى لا يخافه فيه أحد بعد .

ولدى وصولهم الى قاوا وجـــدوا على غير المعتاد استعراضا للقـــوات الحربية . وهذه القوات كانت الحامية التى أقامها هناك حكمدار السودان الجديد العام عبد القادر باشا حلمى . ولم يلبث وقوفهم فى هذه الناحية اكثر من الوقت اللازم لشحن الوقود .

واتصل بهم عندما أفضوا الى شمبي أنه فى فترة غيبتهم أغارت قبـــائل الآميروس Amirus بقيادة كبيرهم محمد على على حامية فاديبك فأبادوها على بكرة أبيها . وانه عندما ورد هذا النبأ لوكيل المديرية المسيو ماركوبولو

بعث بحملة مؤلفة من ٢٥٠٠ زنجى من زنوج مكراكا ومعهم ٢٠٠ جندى بقيادة بخيت بك ليقتص من المغيرين ويحتل ثانية فاديبك . وقيل علاوة على ما ذكر ان القبائل المعتدية انهزمت انهزاما تاما وان بخيت بك فى طريق الرجوع هو وحملته الظافرة الى لادو . وقد تأكدت لهم صحة هذه الأنباء عند وصولهم الى بور .

ووصلت الباخرة بهم الى لادو فى ٣١ يوليه . وكان ماركوبولو وقتئذ طريح الفراش بسبب المرض . وبخيت بك لم يرجع بعد . ومن اليوم التالى لوصولهم كانت ألسنة الشر قد شحذت وأخذت تنقل الى أمين بك أحاديث قيل انها صدرت من ماركوبولو خلال غياب الحكمدار . وفحوى هذه الأحاديث أن ماركوبولو يسعى بواسطة أخيه سكرتير حكمدار السودان العام ابتغاء نقل أمين بك وتعيينه هو مديرا لمديرية خط الاستواء وانه فى سبيل إدراك هذا المأرب قد أخذ يدرس اللغة العربية وتقدم فى دراستها تقدما لا بأس به . ومثل هذا القول جدير بأن يثير ريب أمين بك وظنونه وينتزع منه الثقة بوكيله وعلى هذا أسرع ورسم فى الحال خطة ونفذها بلا تردد . فأشار على ماركوبولو وقد كان كما سبق القول مريضا بأن يذهب الى الخرطوم لتغيير الهواء والاستشفاء . وان هو إلا أن قرر ماركوبولو الأخذ بهذا الرأى حتى أرسل الحكمدار أمين بك فى نفس الباخرة التى سافر على ظهرها مكتوبا للحكمدار العام يقول له فيه ان خط الاستواء غير موافق لصحة ماركوبولو وان الحكمدارية علاوة على ما ذكر فى غير حاجة الى وكيل مدير براتب قدره ٣٦٠ جنيها بل يكتفى الحال بأن يبعث اليه اليوزباشى عثمان افندى

لطيف وكيل مأمـور الخرطوم بماهية البالغة ٧٥٠ غرشا صاغا فيقوم بوظيفة وكيل مدير .

وأبحـر ماركوبولو ونور بك محمـد على ظهر الباخرة الاسماعيلية التى أقلت أمين بك عند قدومه هـو وفيتا حسّان وشحن بها ٦٠٠ قنطار من العاج و ١٢٠٠ جـلد من جلود الثيران و ٣٢ قنطار شحم من شحم البقر و ٤٠ قنطارا من الشهد . أما بخيت بك فلم يتمكن من السفر لأنه لم يكن قد رجع الى لادو الى ذلك الوقت .

قيامه بجولة تفتيش فى مكراكا

ووجـد أمين بك حال أوبته من الخرطوم ان لديه اعمالا مكدسة ومتراكمة بسبب طـول غيبته . وعندما قام بانجاز ما تجمع لديه منها وسافرت الباخرة قرر القيام بجـولة للتفتيش فى اتجاه مكراكا وكلف اسماعيل افندى خطاب أن ينوب عنه . وعين ابراهيم جورجورو رئيسا لمكراكا محل بخيت بك . وسافر فى ١٢ سبتمبر ومعه كعادته فيتا حسّان .

ووصلوا الى « جانـدا Ganda » بعد أن نزلوا وهم فى طريقهم فى عدة محطات عسكرية . وتناول أمين بك فى هـذه المحطة رسالة من لادو بها وشاية سخيفة . وكان بخيت بك بمجرد وصوله الى لادو قد أقـام اكواخا خارج هـذه المحطة لاسكان عدد عديد من الجنود الذين لم يجدوا لهم مأوى داخلهـا وقال انه أظهر عدم ارتياحه من جراء استدعائه الى الخرطوم . وبلغ هذان الامران مسامع أمـين بك بكيفية يؤخذ منها ان بخيت بك تمرد ورفع راية العصيان وبنى معسكره هو ورجاله فى لادو .

وفى غد ذلك اليوم أتى رسول من كابايندى بخطاب من سليم افندى خلاّف مأمور قسم مكراكا مذكور فيه ان بخيت بك وصل الى هذه الناحية ومعه جيش عرمرم من الزنوج وأنه عقد النية على القاء القبض على أمين بك وطرحه فى غيابة السجن هو وسكرتيره وابراهيم جورجورو فأمر أمين بك بدون أن يتريث الزمن اللازم للتأكد من صحة تلك الأنباء ابراهيم جورجورو رئيس مكراكا الجديد أن يسافر مع مائة خطرى ويقبض على بخيت بك سواء أكان حيا أم ميتا . فأراه فيتا حسان أنه ليس من اللياقة ولا من السياسة أن يقبض رجل خطرى غير متحل بأى لقب من الألقاب على رئيس محبوب محترم وأنه من اللازم التحقق من صحة أخبار تلك الثورة أو كذبها . فأجاب الحكمدار امين بك بخشونة قائلا : انى انا المدير وأنا على بينة مما أعمل ولا اسأل احدا مشورة . وكانت سذاجته والسرعة التى يصدق بها ما يتصل به من الاخبار هما عدوه اللدود بل هما أخش عيب يتصف به رئيس من الرؤساء وكانتا مبنيتين على اعتقاده أنه لا يمكن التشنيع أو الوشاية فى حق انسان برىء .

وكان عدوان الخطرية والدناقلة للجنود النظامية المؤلفة من الزنوج مستمرا لا ينقطع . وكان ابراهيم جورجورو دنقلاويا وبخيت بك زنجيا مسقط رأسه تاجالا Tagala وذا قريحة وقادة وشهامة فائقة . فحملت العداوة الجنسية ابراهيم جورجورو على أن يتلقى أمر الحكمدار فرحا مسرورا ويتحرك فى الحال لمباشرة تنفيذه . ولدى وصوله الى كابايندى دخل منزل بخيت بك شامخ الأنف وكان قد بلغ بخيت قبل ذلك أخبار الاجراآت التى اتخذت ضده . ومن الأمور المدهشة أن يرى الانسان الأخبار تنتشر بسرعة كبيرة هكذا فى تلك الاصقاع . هذا اذا كان غير عالم بأن

الزنوج يتناقلون كل ما يطرق أسماعهم من الأنباء أو تقع عليه أعينهم من الحوادث بدقة عظيمة حتى لو كانوا لا يفهمون شيئا مما سمعوا أو رأوا .

وتقدم بخيت بك أمام ابراهيم جورجورو بلطف وأدب وقال : من أتى بك هنا . أتنوى القبض عليّ حيا كنت أم ميتا تنفيذا لأمر المدير ؟ فأجاب ابراهيم جورجورو قائلا : نعم . فقال له بخيت بك : وما هو الموجب لمثل هذا العمل الصارم ، أهو الاشاعة التى اذاعها اناس بلهاء لا خلاق لهم ؟ واذا كنت أريد ان آتى بعمل كهذا فهل تظن أنك تخيفنى بالمائة الخطرى الذين معك ؟ ألا فاعلم أنى جندى من القدماء ملم بواجباتى وبما أنا مكلف به وانى أعلم ان الخديو نصب أمين بك رئيسا لى ومن واجباتى طاعته . فاذا كان فى خاطرى القيام بمثل هذه الثورة التى قد اتهمت بالشروع بها فهل كان فى غير استطاعتى أن ألقى القبض عليك فى طرفة عين أنت نفسك والمدير ومن معك من الخطرية واضع فى اعناقكم جميعا السلاسل والاغلال ؟

ثم اصطحب بخيت بك ابراهيم جورجورو الى خارج داره وقال له : ارجوك ان تجيل البصر فيما حولك لتستبين اذا كنت غير قادر على ان اسحقكم جميعا وألاشيكم من الوجود بهذا الجيش الطائع لى طاعة عمياء .

وعند ذاك امر بخيت بك بالنفخ فى البوق وإن هى إلا غمضة عين حتى كان يكتنفه من كل ناحية صف متراص من الزنوج تم سلاحهم على الاستعداد للقيام بأى عمل يؤمرون بعمله .

ثم واصل الحديث وقال : اذهب وطمئن أمين بك واذكر له اخلاصى

ونبئه بأنى ما أتيت الى ههنا حسب إرادته إلا لكى أقابل أسرتى فى لادو وانتظر قدوم الباخرة التى ستقلنى الى الخرطوم .

وعند وصول أمين بك ومن معه الى كابايندى فى طريق الرجوع كان بخيت بك قد سافر فى الواقع ونفس الأمر الى لادو هو وأسرته الأمر الذى أحزن زنوج مكراكا لشدة تعلقهم به وعظيم محبتهم له .

وسلم الحكمدار أمين بك بنفسه مقاليد الأعمال الى رئيس مكراكا الجديد ابراهيم جورجورو وأمر جميع المشايخ بطاعته . وجورجورو هذا كان فى مقدمة أولئك الذين ولوا خدمة الحكومة عرض اكتافهم من فجر نشوب الثورة المهدية واشترك مع الثائرين .

ودعت الحالة الحكمدار عند أوبته أن يقيم بعض أيام فى واندى ليعالج نظره وكان قد أصابه رمد بسيط . وبعد أسبوع من وصوله الى هذه الناحية قدم الصاغ حواش افندى منتصر رئيس مركز ممبتو ومعه ٥٠٠ حمل من العاج . وكان راجعا من حملته الأخيرة التى توجت بالنصر وهى الحملة التى قام بها فى ذلك المركز ضد الرئيس ازانجا Azangs . وكان فيتا حسان جالسا مع الحكمدار حينما ورد الخبر بغتة منبئا بقدومه . وبعد وصول هذا الخبر ببرهة دوى صوت الطبول والزمور دويا يصم الآذان وكان هذا الصوت صوت آلات رجال حواش افندى منتصر الموسيقية المتباينة العدد . فقال الحكمدار : عليك اللعنة ياحواش !! هذا صاغ يتظاهر بمظهر ملك ويأتى بموسيقى كهذه التى نسمع دويها . وما نطق بهذه الكلمات حتى دخل حواش افندى القاعة التى كانوا جالسين فيها . وكان حواش افندى هذا رجلا نحيف الجسم طويل النجاد قد ازداد وجهه اسمرارا .

اما ملامحه فتنم عن غلظة فى أخلاقه . وكان يرتدى ملابس السفر المعتاد لبسها فى السودان وهى جلباب احمر قصير من القطن يحيط به نطاق الجندية معلقا به سيف .

ووقف حواش افندى على قيد خطوتين من الحكمدار وحياه التحية العسكرية وأمسك أمين بلحيته كعادته وبعد برهة قصيرة قال . أقدمت ؟ فأجاب حواش افندى : نعم ياصاحب السعادة . فقال له الحكمدار : وما ذا اتيت به ؟ فأجاب حواش افندى : أتيت بعاج . فقال له : أكان هذا العاج فى مستودعات ممبتو أم غنمته أنت نفسك ؟ فأجاب : غنمته أنا نفسى وما ذلك إلا بواسطة شمول الحكومة إياى بحمايتها وببركة عناية سعادتكم . فقال : هل أتيت منه بالشىء الكثير ؟ فأجاب : لقد أحضرت معى ٥٠٠ حمل تقريبا وتبلغ زنة كل منها ٤٠ رطلا . فسأله : ومن أى نوع هو ، أمن النوع الأول الجيد أم من النوع الثانى ؟ فأجاب انه يحتوى على جميع الانواع . فقال له : لقد أحسنت . تفضل فاجلس واشرب قدحا من القهوة .

واستدعى الحكمدار خادما ليحضر القهوة وأخذ يسأل حواش افندى بينما كان هذا يتناولها عن حوادث ممبتو وعن الملاقات التى مع رؤساء الزنوج وعن خواص الحروب ومميزاتها التى شنها ونجح فيها ذلك النجاح الباهر . ولما اراد حواش افندى أن يستأذن بالانصراف قال له الحكمدار : اذهب فاخلع ثياب السفر واسترح ثم زر أصدقاءك .

ثم التفت الحكمدار الى فيتا حسان وهو يضحك وقال : هيا اذهب رفقة حواش افندى إذ ربما يكون قد أحضر لك شيئا من الهدايا

كزوج يفاء أو بعض شيء من الباتنجـــو [١] . فخرج فيتا حسان صحبة حواش افندى .

وهاك مايقوله الأول بصدد الثانى : ان حواش افندى وان كانت هيئته تنم عن الغلظة وسوء الخلق فهو حليم الطبع انيس المعشر طيب النفس ذو نجـدة ومروءة . وسأل هذا فيتا حسان السؤال التالى :

خبرنى بربك ماذا أصاب صاحبك المـدير ، ولماذا انفعل اذ رأى جنودى الزنوج يعزفون بعض انغام موسيقية ، وهل انا امرتهم ان يهيئوا لى احتفال من يدخل دخول الظافر ، ألهذا يدعونى لعينا ؟

فأجاب فيتـا حسان : وكيف كان ذلك ؟ !

فقـال حواش افندى : ألم اسمعه باذنى حـين دخولى . هيا بنـا اذن يأيهـا الطبيب . انى وان كنت قدمت اليك بطريقة استهتـار وسخرية فهذا لم يحل دون فرحى وابتهاجى بمعرفتك .

وسأل حـواش افندى فيتا حسان وهمـا سائران عن تاريخ وجـوده فى الحـكمدارية وعن أشياء اخرى .

وسأله كذلك فيتا حسان عن تاريخ حياته والمركز التابعة له ادارته وعن جونكر و كازاتى اللذين كانا فيما سلف فى مقـاطعته . وبعـد

(١) — الباتنجو مربى من موز يعطرونهـا بعيـدان نوع من النبات الطيب الرائحة . وهذه المربى تمكث سنة فأكثر بدون ان يتطرق اليها الفساد .

مرور نصف ساعة من الزمن كان الاثنان على غاية ما يرام من الود والصفاء . هـــذا وقد نظر حواش افنـدى الى هزؤ وسخرية أمين بك بين الجد فحيا فيتا حسان زوجى ببغاء من طيور ممبتو لونها رمادى يسر الناظرين ومنحه كذلك قدرا من الباتنجو وبعض مزاريق وأسهم وبعضا من الاسلحة المهمة .

ولما كان حواش افندى عالما بمواطن الضعف من نفس المدير العام أحضر له بعض الطيور والقردة والحيـوانات ذوات الأربع وأسلحة وتحفـــا عجيبة . وهذه هى الاشياء الوحيدة التى كان أمين بك يهوى جمعها باسم العلوم ولفائدتها وذلك لكى يرسلها فيما بعد الى متاحف أوربا .

ونزاهـة أمـــين بك ومبادئه القويـة الخاصة بالشرف كانت جـديرة بالاعجاب . وقليل من الموظفين حتى من أولئك الذين فى خدمـة حكومة السودان هم الذين يحـذون حـذوه وينسجون على منواله فى ذلك . فكان عندما يبعث له مأمـور من مأمـورى المراكز بهـدية من الهـــدايا يرى فى ذلك محظورا تأباه استقامته الخارقة للعادة فيأمر مأمـور المخازن بخطاب رسمـــى بقيد ذلك الشيء فى الدفـــاتر وبتقدير ما يساويه بالتدقيق ويحتسب ثمنه عليه . وكان يفعل هذا اجابة لداعى ضميره ونزاهته فلا يمكن أن يدخل شيء فى بيته قبل وفاء ثمنه .

وقبـل أن يبلغ حواش افندى وانـــدى ورد تقريران مذكور بهما أمور غير مستحسنة فقرر المدير نقل حواش افندى من ممبتـو وتعيينه قائدا فى لادو ابتغـاء تجنب وقوع مثل هـذه الوشايات التى قد يمكن أن تجر وراءها بسهولة حوادث كريهة .

وكان المدير يحب أن ينهج منهج المنتظمين فى السلك السياسى ويتتبع خطاهم باتخاذ طرقهم العوجاء رغمـــا عن أنه لو كان فى جماعتهم لاحتسب من أحطهم مرتبـــة . وكان يهوى أن يتصرف فى القضايا الهينة اللينة بطرق سرية وفى الخفاء . وهـــذا هو أكبر عيب فيه ومرجع هـذا العيب كثرة طيبته وشدة ضعفه . وكانت قواه تخونه دواما فلا يجـــرؤ أن يقول لأى انسان فى وجهـــه ما لا يحسن لدى هـــذا الانسان حتى لو كانت المصلحة العامة تستدعى ذلك حتما ولا بد أن هـذا النقل أزعج حواش افندى لأنه كان ذا شغف بمركزه فى ممبتو التى كانت أسرته تقيم فيها .

وتحاشى المدير أمـــين بك أن يبلغه بنفسه هـــذا القرار فكتب الى فرج افندى آجوك الذى كان قد قدم ليـدير أعمـــال ممبتو بعد حواش افندى مباشرة ـ بأن يحل موقتا محـــله . وكتب الى اسماعيـــل افندى خطّاب رئيس كتبة الحكمدارية بأن يسلم الى حواش افنـدى حـــال وصوله الى لادو قيادة هـذا المركز محل عبد الله افندى العبد الذى سينقل الى وظيفة معاون .

وكان حواش افندى قد غنم فى حروبه مع الأهالى قبل أن يسافر من ممبتو ١٣٥ بندقية . وكان ينبغى قيد هـذه الاسلحة فى الحال فى دفاتر الحكومة إلا أنه أغفل ذلك لحين سفره . ولكى يجعل هـذا الخطأ راجعا الى مصلحته اتخـذ وسيلة رديئة وذلك بأن أرسل كشفا أرخـه بتاريخ سابق لتاريخ كتابته . وبما أنه لم يحسن إلا قليلا تحرير هذا الكشف كشف أمين بك حيلته وقد كان من قبل متهيجا من هـذه المسألة فأخلى سبيله وأحل محله ضابطا يقال له عبد الوهاب افندى طلعت وهو من الضباط المرابيين الذين أعطاهم اياه

عبد القادر باشا .

وعند وصولهم الى لادو وجدوا بخيت بك . وكان قدم قبل ذلك بأيام وأقام فى الدار التى أعدها له اسماعيل افندى خطّاب ريثما تصل الباخرة التى ستقله الى الخرطوم . وكان بخيت بك قد سئمت نفسه من دسائس ودساسى الحكمدارية فأوصد بابه فى وجه كل زائر اللهم إلا اسماعيل افندى خطاب فقد ظل يزوره فى أى وقت شاء . وحال وصول أمين بك تولى بخيت بك وهو ملازم جانب الحشمة واللياقة كجندى قيادة الجيوش ليقدم للمدير العام التشريفات العسكرية وقابله باحترام كأنه لم يحدث حادث ما . غير أنه التمس منه ان يصدر أمرا بمنع الزيارة كلية عنه مع استثناء فيتا حسّان واسماعيل افندى خطاب من هذا المنع .

١ — ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء [1]

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى تنجازى

بعد أن بارح جونكر حواش افندى وجنوده فى أواخر السنة الماضية ذهب للزيادة لغاية أوائل فبراير من السنة الحالية ورجع بعد هذا التاريخ الى بلدة ممبتو .

ووصل فى ١٠ فبراير الى محطة صغيرة أنشئت للاستطلاع وبها من الحراس ٨ نوبيين و ٣٠ جنديا سودانيا فقوبل فيهما أحسن استقبال وزود بكل ما يحتاج اليه فى رحلته . وبعد أن مكث فيها يوما سافر الى تنجازى فدخلها فى ١٦ من الشهر المذكور .

وكان منظر محطة تنجازى قد تغير عن الحالة التى رآه عليها وقت زيارته الأخيرة لها لأن بخيت بك كان قد جدد بناءها . والنظام

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

الذى كان بها قد تحسن والاكواخ النظيفة التى فيها والتى وضعت تحت تصرف جونكر مباينة تماما للأماكن التى نزل بها فى رحلته السابقة .

وصارت محطة تنجازى هذه أهم محطة فى المركز واتخذت معسكرا لأغلب الجنود السودانيين النظاميين وفوض أمر قيادتهم لضابط يقال له فرج افندى وهو أيضا سودانى من جنسهم . أما باقى الجنود النظاميين فاتخذوا لهم محطتى كوبى و جانجو الشرقيتين للاقامة بها وليكونوا حاميتين فيها .

وكان بخيت بك قد رجع الى مكراكا وظل حواش افندى فى المركز خلافا للأوامر السابقة . ولكنه كان مقيما فى هذه الآونة فى محطة كوبى . وطرد أغلب النوبيين من الناحية من وقت انشاء المحطات الجديدة فى بلد الابرامو Les Abramos وغيره .

وقوبل جونكر مقابلة ودية للغاية وانشرح صدره لوجود اليوزباشى كازاتى فى تنجازى وعقد النية هو والمذكور على أن يقيا بهذه المحطة مدة .

ووجد فيها أيضا صندوقا مرسلا من المدير أمين بك وبه كمية من الجرائد وجملة أشياء كان محتاجا لها . وعلم فى الوقت ذاته ان أمينا بك سافر الى الخرطوم فأسف لذلك أسفا عظيما لأنه فى رحلاته الأخيرة كان قد ألم بما فى الاماكن التى اجتازها وكان يرى ان ابلاغ ما علمه قد يفيد بلا ريب أمينا بك إلا أنه كان يستصوب ابلاغه ذلك شفويا لصعوبة

إبلاغه إياه كتابة .

وتلقى أيضا مكاتيب من الخرطوم من جيجلر باشا وكيـــل حكمدار السودان وكذلك من لبتـون بك مدير بحر الغزال . وكانا قد علمـــا ان بعض متاع جونكر قد سرق فعرضا عليـــه أن يمداه بما يلزم من الخدم . وكان حواش افندى قد رد اليـــه ذلك المتاع فأضحت خـدمتها له غـــير لازمـة . واقتصر على أن يطلب من لبتون بك ان يتكرم ويبعث له بحـــمار فى « ديم سليمان » . وان زود رفاعى افندى مأمور مركز بحر الغزال الشرقى بالتعليمات اللازمـة ليسهل عليـه ما رتبـه فى الرياده التى أزمع على القيام بها فى تلك المنطقة .

سفره من تنجازى الى ريادة ثم عودته اليها

وأقام جونكر ثمانيـة أيام فى تنجـــازى قضاها فى هناء وسرور مع كازاتى وتبادلا مـع بعضهما مختلف خلاصات جـولاتهما . وسافر منها ثانيـــة فى ٢٥ فـــبراير ومر بقرب محطة لشيخ من معارفـه يقـال له « نيـانجـارا » Niangara قائمـة على مرتفع فلم يجد أحـــدا مشرفا على حراستهـا أو حراسة ما بداخلها وكان جميع الأهالى قد هجروها وذهبـوا للعمل فى المزارع . ويقول جونـكر ان ذلك دليل لا يرد على استتباب الأمن فى تلك الربوع .

وفى ٢٧ فـــبراير وصل الى حى شيخ يقـال له ماقاصا Makassa وهـو من معارفه القدماء . وهذا الرجـــل يجيد التكلم باللغة العربية لأنه كان قد قضى مـــدة طويلة فى خدمـة العرب فأكرم مثواه . وتابع رحلتـــه فى اليوم التالى ومر بشيخ آخـر يسمى جبـــارى Gambari وكان له به

معرفة سابقة فقراه . وكان منزل حواش افندى على مقربة من قرية هـذا الشيخ فبادر وأرسل إليه من قبله رسولا يبلغه خبر قدوم جونكر ويرجوه الحضور . وأسرع حواش افندى بالقدوم حالما علم ذلك وبعد أن لبث هو وجونكر بعض ساعات فى ضيافة جبارى سافر الجميع الى محطة كوبى محل اقامة حواش افندى وهى واقعة على بعد ٢٠ دقيقة .

وأقام جونكر فى كوبى لغاية ٣ مارس وتابع السفر فى التاريخ المذكور بعد أن أخذ كفايته من الحمالين . وكان حواش افندى قد سافر ايضا للقيام بجولة للتفتيش وكان الاثنان قد تواعدا على الملتقى فى محطة جانجو . وبلغ جونكر هذه الناحية فى ٨ منه ولما لم يجد بها حواش افندى استمر آخذا فى طريقه ميمما وجهه شطر الشيخ كودابو Kodabo الواقع منزله على مسافة ساعة واحدة من المحطة . أما حواش افندى فوصل فى اليوم التالى ليسوى بعض المسائل عند الشيخ البادى ذكره .

وبارح جونكر منزل كودابو فى ١١ مارس وبعد ان ارتاد بعض الاقاليم رجع الى محطة كوبى بعد ان غاب عنها ٢٠ يوما . وزايل هذه المحطة فى ٦ أبريل ليقوم بجولة واسعة النطاق بلغ خلالها الغابة الكبرى التى يقيم بها مشاهير الاقزام . ثم عاد ولم يدخل فى تنجازى إلا فى ١١ يوليه وذلك بعد غياب أربعة أشهر ونصف شهر جاب فى غضونها ٦٠٠ كيلومتر تقريبا .

وأقام فى تنجازى فى أكواخ حواش افندى وكان هذا عندئذ غائبا يتفقد أحوال مراكز الغرب وتنفس الصعداء إذ وجد فيها كازاتى الذى كان قد قفل راجعا من ريادته .

سفره الى ريادة أخرى والى مديرية بحر الغزال

وكان جونكر قد أصابه الاعياء والتعب من جراء هـــذه الريادة الطويلة وحــدث أيضا بجسمه جروح تستوجب العلاج فاضطر أن يطيل مدة اقامته فى تنجازى لغاية ٨ أغسطس . وفى نفس هـــذا التاريخ استأذن من كازاتى وتركه فى المحطـــة واتخذ سبيله ميمما شطر الشمال الغربى موليا ظهره لآخر مرة بلدة ممبتـو التى يصف جنس سكانها بأنه أعرق الاجناس بين سكان أواسط افريقية فى المدنية .

ويجتاز الطـريق الذى مر به جونكر مملكة مامبانجا القديمـــة لغاية محطة حواش افندى الأولى . وكبير هـذه المملكة حالا امبيتيما Mbittima الذى خلف مامبانجا . وفى اليوم التالى لسفره قابل حواش افندى وقد كان ذاهبا ليقمع ثورة شبت نيرانها فى بلاد الابرامو . وعلم جونـكر ان مامبانجا فتح باب الكلام طالبا معاونته لـكى يسترد مملكته القديمة .

ووصـل جونكر بعد أن فارق حواش افنـدى بستة ايام الى المحطـة الاولى من المحطات التابعة لهـذا الاخير ورأى الخطى الواسعة التى خطتها هـذه المحطة فى سبيل التقدم من بعد زيارته الاخيرة لها .

ورأى بها ذلك الشيخ الهرم مبـــورو ولم يزل هاشا باشا كعهده به فى المـــدة السابقة ولم يدعه إلا بعد ان عبر به نهر « وليّـــه » سليما طيبا فى ١٤ أغسطس .

وفى ٢٨ أغسطس بلغ جونكر محطة صغيرة أنشئت حديثا فى بلاد المادى

بها ١٥ جنـــديا سودانيا بقيادة رجـل يقال له سليم افندى . وأقام بهذه المحطة ثلاثة ايام وسافر منها فى اول سبتمبر ووصل عند شيخ يقال له يابانى فى ٧ منه . وفى هذه الجهـة تلقى خطابا من كازاتى ينبئه فيه بعودة أمين بك من الخرطـوم الى لادو واعتزامـه زيارة بلاد ممبتـو قريبا . وهـذه الزيارة لم تحدث فى الواقع ونفس الأمر إلا فى العام التالى . وأخبره كذلك ان حواش افندى عين نهائيا مديرا لمديرية ممبتو .

وفى ١١ سبتمبر من عام ١٨٨٢ م فارق جونكر « يابانى Yapati » وقام برياده فى مديرية بحر الغزال ولبث بها الى آخر هذا العام .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم الثالث

من أول يناير لغاية آخر ديسمبر

سافر كازاتي في أواخر ايام العام السالف من تنجازى ليقوم بزيادة أخرى في بحر الغزال . وبعد أن غاب ستة أشهر عاد ثانية الى تنجازى في ٢٨ يونيه سنة ١٨٨٢ م .

وفى خلال غيابه هذا استجدت حوادث أخرى .

فقد سافر امين بك الى الخرطوم في شهر مارس اجابة لدعوة رءوف باشا حكمدار السودان العام الجديد . وكان حواش افندى قد دخل في مفاوضة مع الرئيس جمبارى اثناء هذه الغيبة وفكر في أن يحاول بالتواطىء مع مامبانجا احتلال مملكة أزنجا وسولت لمامبانجا نفسه الاستيلاء على عرش مملكة أزنجا فوطىء بنعليه كل خلة حميدة وارتضى أن يذهب لقتال خاله وولى نعمته أزنجا .

وبعد أن تم هذا الترتيب في شهر أغسطس هاجم جيش المغيرين المؤلف من عرب وأتباع جمبارى مملكة أزنجا ولم يشترك في هذا

القتال الجيوش النظامية .

وفوجىء أزنجا بهـذه الغارة فلم يـر مناصا من التسليم والخضوع وعلى ذلك قرر حواش افندى خلعه عن عرش ملـكه وأحل محله مامبانجا .

ولما بلغ هذا الحادث أمـــين بك أمر باستدعاء حواش افندى واستدعـاء كاتبه عمر افندى عارف وألغى هذا القرار .

وفى نوفبر سنة ١٨٨٢ م اتخـــذ كازاتى سبيله فى السير من جديد قاصدا زيارة الاقطار التى لم يستطع ارتيادها فى رحـــلاته السالفة بسبب ممانعة أزنجا وقضى فيها بقية العام .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٣ م

من

حكمدارية أمين باشا

انقطاع المواصلات بسبب السدود

واجراء تغييرات بين الموظفين فى مختلف المحطات

يلوح أنه لم تحدث حوادث ذات بال فى الشهرين الأولين من هذا العام فى حكمدارية أمين بك ويظهر أنه كان مقيما فى خلالهما فى لادو .

وأول حادث هام حدث فى السنة المذكورة هو وصول الباخرة تلحوين فى ١٦ مارس من هذه السنة . ومن النادر جدا أن تصل باخرة من البواخر حتى انه متى قدمت واحدة منها ينشأ من قدومها حركة غير عادية فى لادو بسبب ما تجلبه من البضائع وتحمله من الأخبار .

وتتضح تلك الاهمية من البيان الآتى المدون به عدد البواخر التى قدمت فى ظرف ٥ سنوات [١] ابتداء من عام ١٨٧٨ لغاية عام ١٨٨٤ م :—

(١) — يتضح من هذا البيان ان عدد السنين سبع لا خمس وقد أسقط من العدد عام ٧٩ و ٨٤ اللذان لم يرد فيهما بواخر .

فى ٣ يونيه	سنة ١٨٧٨	وصلت الباخرة الصافية		
« ٣ ابريل	« ١٨٨٠	«	«	بردين
« ٥ اغسطس	« ١٨٨٠	«	«	بردين
« ١٤ يناير	« ١٨٨١	«	«	امبسابه
« ١٩ «	« ١٨٨١	«	«	بردين
« ٤ يوليه	« ١٨٨١	«	«	الصافية
« ١٨ ديسمبر	« ١٨٨١	«	«	بردين
« ١٣ يوليه	« ١٨٨٢	«	«	الاسماعيلية
« ١٦ مارس	« ١٨٨٣	«	«	تلحوين

والسبب فى قطع هذه المواصلات مددا طويلة السدود التى تقف حجر عثرة فى سبيل الملاحة الأمر الذى ينشأ منـــه وقوف حركة تقدم الحكمدارية وعماريتها .

وكانت الباخرة تلحوين تحمل على متنها عـــثمان افندى لطيف وكيـل المـــدير الجديد المعين محل ماركوبولو واحمد افندى رائف وهو من معاونى الحكمدارية . وهذه الباخرة هى خاتمة البواخر التى قدمت من الخرطوم .

وفى ١٤ أبريل رجعت تلحوين وعلى ظهـــرها بخيت بك بتراكى و اسماعيـــل افندى خطاب و ٥٠٠ قنطار من العاج . وفى هـذا الوقت قدم اليوزباشى كازاتى الى لادو . ورآه فيتا حسّان لأول مرة عند أمين بك وتعرف به . وباشر أمـين بك حينئذ القيـام بتغييرات جمة بين المستخدمين فى مختلف المحطات واستغنى الحـال عن مرجـان افنـدى الداناصورى قومندان محطة فورا سابقا . وكانت هـذه المحطة قد أخليت من الجنود . وعـين

ابراهيم افندى حلسيم الذى كان فيما سلف قومندان فاديك رئيسا لمحطة لابوريه وعين على افندى جبور رئيس هذه المحطة الاخيرة قومندانا لجنودها .

تمرد الدنكاويين وكبح جماحهم

وقامت بذهن مرجان على افندى قومندان مركز رول وأخذ اهالى بارى وكان فى بادىء الامر ترجمانا لا أكثر وعين مباشرة فى هذه الوظيفة ، فكرة مشئومة وهى الشروع فى القيام بغارة ضد بلدة طائعة دون أن يأخذ بذلك أمرا . وكانت النتيجة ان تألب عليه الدنكاويون برمتهم فانقلبت عليه الآية والتوى عليه الأمر وأبيد هو ورجاله على بكرة أبيهم . وأرسل عندئذ محمد افندى الصيّاد قومندان دوفيليه الى رول ومعه فصيلة من الجند مؤلفة من حامية المحطات التى أخليت .

وفي أوائل مايو سافر أمين بك من لادو لتفقد مركز ممبتو الذى ألحق بحكمداريته وكان لم يره الى هذا الحين ورافقه فى رحلته هذه كازاتى . وبما ان عثمان افندى لطيف وكيل الحكمدار الجديد كان قد قدم الى الحكمدارية من عهد قريب ، فقد قال امين بك لفيتا حسان انه آسف لعدم أخذه معه لأنه يؤثر ان يتركه مع وكيله ليساعده فى إنجاز الأعمال بفضل خبرته .

وبعد سفره بأيام قليلة ورد الى لادو نبأ تمرد الدنكاويين واندلاع لهيب الثورة فى رول مرة ثانية وابادة حامية محطة جوك مختار برمتها واهلاك قسم من حاميات محطتى رومبيك وأجاك والذين بقوا من حاميات هاتين

المحطتين الاخيرتين استطاعوا النجاة والانضمام تحت قيادة محمد افندى الصيّاد قومندان المركز .

وبلغت هذه الاخبار فى الوقت نفسه أمينا بك . وفى الوقت الذى بارحت فيه لادو حملة مؤلفة من ٩٤٠ جنديا مسلحين ببنادق رمنجتون ومدفعين جبليين بقيادة اليوزباشى سليمان افندى السودانى وهو ضابط باسل شجاع بقصد معاونة جنود رول ، كان أمين بك من جهة أخرى قد بعث ابراهيم افندى جورجورو قومندان مكراكا ومعه ٦٠٠ رجل بعضهم العساكر غير النظاميين والبعض الآخر من السودانيين .

وكانت جنود الحكمدارية فى هذا الحين مؤلفة من ٢٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٠ من العساكر النظامية و ٥٠٠ خطرى و ٥٠٠ من التراجمة . ومع ذلك لم تكن هذه هى القوات الوحيدة التى يمكن الحكمدارية أن تستند عليها بل عندما تشتبك فى قتال مع قبيلة أظهرت العصيان وأبدت روح التمرد تنضم رجال قبيلة اخرى برضاها واختيارها الى رجال الحكومة وتحارب فى صفوفها . ولأولئك الرجال فى ذلك فائدة مزدوجة وهى الدفاع عن نفس أراضى مملكتهم لأنه لو انهزمت جيوش الحكومة التى تحميهم بعالها من الحول والطول فالظافرون يغزون بلدهم . أما اذا انتصرت الحكومة بهمة الزنوج فهؤلاء يشنون الغارات على البلد المقهور ويرجعون منه بالغنائم وخصوصا الانعام التى هى أجل مطلب تصبو اليه نفوسهم .

وطلب أمين بك عدا الستمائة الذين أرسلهم لمحاربة الدنكاويين الذين نشروا راية العصيان الى لبتون بك مدير بحر الغزال فى الوقت نفسه

أن يبعث بنجدات الى ميدان القتال . ومما قاله له فى خطابه ان جنود بحر الغزال تستطيع ان تنتهز هذه الفرصة لتجلب لمديريتكم قطعان الماشية التى تنقصها كل النقصان .

وعلى ذلك أرسل لبتون بك ٤٠٠ خطرى بقيادة مختار افندى وهؤلاء انضموا الى جيوش أمين بك وبانضمام هذين الجيشين الى ما تبقى من حامية رول بلغ عدد الجميع ١٢٠٠ رجل منهم ٧٠٠ جندى من الجنود النظامية والخطرية و ٥٠٠ مساعد من الزنوج .

وسارت الحملة من أجاك حيث كان قد تم انضمام هذه القوات جميعها وانتهت باخضاع الدنكاويين التام بعد محاربة استمرت ثلاثة شهور واستولى الجيش على مبلغ كبير من الغنائم وأرسل مقدارا كبيرا منها الى بحر الغزال مع جنود لبتون بك وكان هذا قد أرسل ايضا الى امين بك ١٧٠٠٠ ظرف جبخانة .

واستمر امين بك فى سفره لتفقد الاحوال فى مركز ممبتو اتباعا للخطة التى كان اختطها ووصل الى ذلك المركز فى شهر يوليه . وفتش محطتى تنجازى و « بليما » Bellima وأمر باعدام الرئيس الزنجى الطائر الصيت مامبانجا . وبينما هو يتأهب لافتتاح طريق جديد من جانجو الى واندلاى Wandelai اذ جاءه نبأ قطع المواصلات مع محطة شمبى بفعل رجال الدنكا .

ولا يعلم بالتدقيق ماذا حل بحامية هذه المحطة ويروى بعضهم ان الدنكاويين دمروها تدميرا ولم يبقوا على أحد من رجالها . ويروى البعض الآخر

انه امكنها الاقلاع مع قائدها والتوجه الى الخرطوم طلبا للنجاة .

وتلقى أمين بك هذا الخبر وهو فى تنجازى فعجل بالاياب الى لادو تاركا وراءه اليوزباشى كازاتى . ودفعت الوقاحة رئيسا من الرؤساء الزنوج الى قطع الطريق بين ممبتو ومكراكا على السابلة ونهبهم وسبى من قدر عليه من النساء حتى بلغ من أمره ان قبض على ضابط وحجزه اسبوعين .

ولعدم استطاعة امين بك احتمال مثل هذه الحالة انذره وشدد عليه بالمثول أمامه فأبى . فوجه عليه قوة حاصرته فى قريته وألقت القبض عليه واخذته أسيرا وغنمت عشرين بندقية من البنادق التى كانت فى حوزته وعددها خمس وثلاثون أما هذا الرئيس فأرسل الى احدى المحطات الشرقية حيث أودع غيابة السجن .

ولدى وصول امين بك الى لادو وجد التذمر باديا على وجوه جنود المحطة من قائدهم عبد الوهاب افندى طلعت لشدته فأحل محله اليوزباشى على افندى سيد احمد وعين عبد الوهاب افندى معاونا اول للمديرية ثم أمر ابراهيم افندى جورجورو ان يبارح مركزه مع ثلة من جنوده ليفتح المواصلات مع شمبى لكى يتحقق مما حل بربوعها لأنه لم يرد الى ذلك الوقت ما يثبت أو ينفى خبر تدمير حاميتها . ولم تتخذ هذه التدبيرات مراعاة لشدة مسيس الحاجة الى تلك المحطة بل لمعاقبة الزنوج بنوع أخص حتى لا تظن البواخر القادمة من الخرطوم لدى رؤيتها مدمرة أن التمرد ضارب اطنابه فى ارجاء الحكمدارية .

وأصدر امين بك امرا الى عبد الوهاب افندى طلعت عندما كانت

حامية شمبي وحدها محاطة بالثوار وفرغت مؤونتها ، أن يمدها بالمؤونة من محطة بور .

ونظـــرا لعدم وجود باخرة أقلع عبد الوهاب افندى ومعه ١٢ جنديا على ظهر سفينتين لتتميم هـــذه المأمورية وتركها تنحدران مع التيار بدون أشرعة . ومع أنه من أمـــد مديد لم ترد أية باخرة ولا أى خبر من الأخبار ومع الجهل التام بالمسائل المحزنة التى كانت تقع فى أنحاء السودان كان لم يزل هناك أمل فى قدوم باخرة .

مكاتبات من امين بك يصف فيها حالة الحكمدارية بعد ثورة المهـــدى

وانتقل فيتا حسان الى الرجاف فى شهر سبتمبر ليتفقد جنـــود هذه المحطة . وبعد ان قفل أمين بك راجعا ودخل لادو تلقى قبيل منتصف الشهر المذكور مكتوبا من جونكر صادرا من ممبتو يطلب فيه امداده بالأخبار فرد عليه بتاريخ ٢٠ منه يقـــول انه كان سافر الى ممبتو ومنها أعلم الاهالى طـــرا أن طريق لادو مفتوحة أمام كل من كان له شكاية ، وأن مامبانجا قضى نحبه ـــ والحقيقة ان امين بك أمر بقتله فقتل وسيرى القارىء فى رحلة جونكر ان هذا يلومه على فعلته هـذه ـــ وان فى انقضاء اجله خلاصا من مشاكله لأن فى وجوده تهديدا مستمرا للبلد ، وان مامبانجا أقسم فى الواقع ونفس الأمر ان يقتله هو و جونكر و كازاتى . وقال علاوة على ذلك انه لم يأته من زمن بعيد أخبار من الخرطوم وانه يخشى ان تكون الحوادث انتقلت من سىء الى أسوأ .

وبما ان السفر من طريق بحر الغزال قد يكون خطرا وجه امين بك الى جونكر النصح بأن يحضر رأسا الى لادو ومن هذه يمكنه الرجوع بسهولة الى أوربا عن طريق أوغندة . وقد شكره جونكر على نصيحته هذه وقال انه سيعمل بها .

وفى ١٩ أكتوبر كتب امين بك الى الطبيب شوينفورث Scheinifurth رسالة ينبئه فيها بعودته الى لادو التى وجدها مغمورة بماء النيل الذى ارتفع عن مستوى فيضان سنة ١٨٧٨ م الخارق للعادة . ويقول ان جنوده لم تزل للآن ضاربة فى بلد الدنكاويين . أما هذا البلد ففى وداعة وهدوء ومثله بقية انحاء الحكمدارية والكل يسير تدريجا فى سبيل التقدم والرقى وانه يأمل أن يرى إيراداته تربو على زهاء ١٢٠٠٠ جنيه مصرى على مصروفاته فى هذا العام .

وفى ٢٩ نوفبر كتب امين بك مرة أخرى الى الطبيب شوينفورث يخبره أن الأحوال سائرة سيرا رديئا فى بحر الغزال حيث قسم المديرية الشمالى برمته قد نشبت فيه مخالب الثورة وانبث فى أرجائه روح التمرد . وان لبتون بك فقد فى الحرب التى أدار رحاها على الثوار العدد الأكبر من زهرة جنوده الذين لم يكن عددهم من قبل وافرا وفرة كبيرة . وأن الدناقلة ينشطون للاتصال بالمهديين فى كردفان . وان الرقيق يباع بالأثمان الآتية وهى : الصبى الواحد يباع بـ ٣ دست ظروف جبخانة و الخمس البنات يبعن ببندقية واحدة من طراز رمنجتون .

تقـــرير بموارد مديرية خط الاستواء

وكتب أمين بك فى هـــذا العام مذكرة عن موارد حكمداريته وهذه نسخة منها :

« لقـــد تحقق أن أهم موارد ميزانيـة السودان هو العـاج . وأن الذى يرد منه من المنطقة الجافة والجبلية الواقعـــة شرقى النيـل هو أصلب أنواعه ولذلك هـــو أغلاه ثمنا وأكثره طلبا . وفى عهد غوردون تقررت ملكية الحكومة لهـذا الصنف بجملته مع ان تجارته ظلت حـــرة فى بلدى أوغنـــدة و الاونيورو وغيرهما . ولهذا السبب بات وجود أى مشروع خاص يرمى الى استغلال هـــذه المادة مستحيلا . وبما أن هواة العاج من العرب والأوربيين لم يتعودوا الى الآن المجىء بأنفسهم ليمتاروا منه حاجاتهم من مصادره فقد انحصر انتاج السودان فيما يورده الاهالى من قناصى الفيلة ولذا نما وكثر هـذا الحيوان فى جميع أنحاء مديرية خط الاستواء بالذات بحيث اضحى فى كثير من الاماكن كارثة حقيقية . أما فى قسم بحر الغزال الشمالى فقليل الوجود .

« والسبب فى استمرار وفـــرة المعروض من العاج للتجارة يرجع الى أن البلاد الممتدة لشطر الجنوب والغرب بعد الحـدود المصرية بمسافة كـبيرة ضرب عليها جزية توردها من هذا الصنف ومع هـذا فقد لوحظ وجود نقص محسوس فى كميته منذ بضع سنوات .

« وتورد مديرية خط الاستواء سنويا زهاء ١٢٠٠ قنطار من العـــاج يبلغ ثمنها ٣٠٠٠٠ فرنك . ومن الصعب تحديد الكمية التى توردها مديرية

بحر الغــــزال وما ذلك إلا لأن العاج الذى يصدر الآن الى الخرطوم لا يحتوى على الانتاج الحقيقى فحسب بل يشمل المقادير المتكدسة منه من زمن مديد وهو العاج الذى كان أصحاب الزرائب قد جمعوه فى الزمن السابق مثل الزبير باشا و على عمورى وغيرهما .

« ومع ذلك فقـــد يعرض المرء نفسه لخطر الوقوع فى الخطأ لو قصد الحكم على قــوة انتاج البلد مرتكنا على محصول العاج دون سواه . أما مصروفات الادارة فباهظــة وستزداد مــع توالى اتساع الأراضى . وطريقة الاحتكار الضارة التى يئن تحت أثقالهـا حوض البحر الأبيض بأكمله هى عقبة كأداء فى طريق الاستعمار وبالتالى في سبيل زيادة الايرادات من وراء الضرائب على التجارة أو الزراعة . وسيأتى بلا ريب يوم قريب لا يقوم فيه العاج بالمصروفات التى ستكون هى الأخرى قد اخذت دورها فى الازدياد .

« ويتكون من اسنان فرس البحر و الكركدن مادة لا تقدر لها قيمة كبيرة إلا أنه سيأتى يوم غـير بعيد تزداد فيه ثمنها وفى استطاعة مديرية خط الاستواء أن تورد من تلك المـادة مقادير كبيرة إذا وجد لها مشتر .

« واذا كان النعام يندر وجوده غرب بحـر الجبل لوجود الغابات ويوجد شرقه بأسراب عديدة ابتداء من لاتوكا فقد لا يراه الانسان يتناسل بكثرة أكبر من التى يراه بهـا فى رمال سهول لانجو . ويبادل أهالى هذه المنطقة الأقوام الرحل الضاربين بجوارهم ريشه بحديد . وكثيرا ما يرى الانسان فى القرى الكبيرة البعيدة الواقعة فى الجنوب الشرقى زرائب

للنعام يسرح فيها صباحا ليرعى ثم يرجع فى المشى مع الحمير والثيران .

« ولا يقل ريش نعام تلك المنطقة عن أحسن ريش للنعام فى كردفان بهاء وجمالا وقد يصبح اتخاذه مصدرا لتجارة واسعة النطاق . وفى عام ١٨٨١ م أى منذ عامين جربت تربيته فى المحطات غير ان هذه التربية لم تأت بثمرة عظيمة الى الآن ويمكن أن يعزى السبب فى ذلك الى صغر سن أفراخه الذى يحول دون استعمالها للتناسل وهذه التجارب تستوجب على كل حال لفت النظر لأن ثمن صغار النعام زهيد للغاية وتربيتها تدرك بسهولة كبرى بحيث أن استغلال مشروع من هذا النوع لا يستلزم رؤوس أموال طائلة ومن جهة أخرى يأتى بفوائد مرضية .

« ولا حاجة للكلام بصدد تشجيع تربية النحل فى المناطق المأهولة بالزنوج لأن النحل يتربى هناك وحده بدون أية عناية . فالأهالى يكتفون بتعليق سلال فى الأشجار وهذه السلال إما أن تكون مجدولة كما يفعل الدنكاويون و المكراكاويون أو مصنوعة من قشور الأشجار كما يفعل سكان الجنوب . ومن المعتاد تعليق سلة واحدة فى كل شجرة وقد يعلقون مع ذلك فى بعض الأحايين عدة سلال . والمهم أن تكون السلال متفرقة عن بعضها فلا توضع الواحدة منها بجانب الأخرى . ويطيب النحل نفسا بالمأوى الذى عرض عليه ويأخذ على عاتقه تأدية وظيفته . وحالما تمتلئ سلة يطرد منها النحل باطلاق الدخان عليه ثم يجنى الشهد وتختلف أنواع هذا الشهد باختلاف النواحى التى يصدر منها واختلاف طرق تحضيره . فشهد دنكا ومكراكا قاتم اللون حتى يكاد يكون اسود والسبب فى ذلك انه يصفى بواسطة النار . وأجوده ما تصدره البلاد الجبلية فهذا يكون

طيب الرائحة كثيرا ورائقا كالماء .

« أما الشمع فلا يستعمل فى شيء وكل ما فى الأمر انهم يتخذون منه مشاعل وهذا فى القليل النادر . ولم تقع عينى على واحد من الأهالى يأكل منه بل كل ما هنالك انه يلقى فى الارض بعد استخراج الشهد منه . وقد استودعت فى ظروف كثيرة بالمخازن اكداس منه فتلفت واستحال نقلها وصيرتها الديدان غير صالحة لأى شيء ولو كان مسموحا للتجار شراء الشمع لكانت الحكومة هى أول من انتفع من هذا الشراء .

« وقد تكفى جلود الثيران التى ينحرها الجيش وحده لتغذية سوق الخرطوم . وبضم جلود ما يستهلكه الاهالى من هذا الحيوان لها وكذلك جلود الضأن والمعز التى لا يستفاد منها شيء ، يتكون من مجموع ذلك كمية هائلة . على أن تكاليف النقل قد تزيد فى ثمن الجلود الأصلى زيادة محسوسة غير انى أرى انه فى حيز الاستطاعة التخلص من جزء منها وذلك بدبغ الجلود فى أماكن تصديرها . وقلما توجد بلاد تضارع افريقية الوسطى فى غناها بمواد الدباغة . ولا شك أنه لو عملت تجارب لعادت من ورائها ارباح طائلة . وتستعمل أكثر الجلود فى الوقت الحاضر لحزم البضائع بحجة ان هذا الصنف لا يجد تصريفا فى الخرطوم .

« ولا شيء أسهل من الحصول على جلود الجاموس والأوعال والزراف وحيث انه لا يوجد لها طالب بتاتا فتستعمل فى نفس البلد لعمل الاحذية والقرب وغيرها وكذلك الحال فى جلود الكركدن إذ تستعمل لصنع السيور والسياط « الكرابيج » .

« أما القراء فلا يخطر على بال انسان هنا أنه من المستطاع جنى أية فائدة منها . وبصرف النظر عن الكلام بصدد الحيوانات المفترسة الكبيرة كالاسد والنمر والسباع الاخرى فانه يوجد فى سائر المنطقة كيات لاعداد لها من الحيوانات الاقل من الأولى حجما مثل النمس والسنور وغيرهما من الحيوانات ذات الجلود الثمينة . ولا بد أن اذكر بنوع أخص ضربا من كلاب الماء يسمى لوتر Loutre وهو كثير الوجود فى جميع مجارى المياه الكبيرة وجلده ينافس فى النعومة والجمال جلد أحسن نوع من هذه الكلاب يسمى كاستر Castor . ولا يمكن غض النظر عن الكلام عن بعض أنواع القردة مثل كولوبوس كويريزا Le Colobus Quereza والأوعال المختلفة المبرقشة مثل تراجيلافوس اسكربتوس Le Tragelaphus Scriptus و السيلافوس بوباليس L'Alcelaphus Bubalis و الزرافة و حمار الوحش وليكاون بيكتوس Le Lycaon Pictus وكل هذه الجلود قد يبيعها الأهالى بثمن بخس ويوردون منها كيات لا عداد لها وأضف الى ما ذكر الخراف والمعز ذوات الشعر المستطيل التى ترد من نواحى امسوجا Msoga وبلاد االوريين وهى تشبه معيز أنقرة .

« وقد تستطيع قطعان الثيران الهائلة التى ترعى فى المناطق الجنوبية أن تغذى اسواقا واسعة للحيوانات المعدة للذبح اذا كانت الأهالى لا يبدون اشمئزازا ظاهرا من بيع دوابهم . أما حالة مديرية بحر الغزال فقد يعد فيه المالك لبقرة واحدة من أسعد السعداء . والماعز والضأن فى ذلك المركز قليل الانتاج . وقد أضحت الغارات منذ أربع سنوات مستحيلة الوقوع فى خط الاستواء بالذات . ولقد يجنى المرء بلا جدال فوائد جمة من

وراء تربية المواشى فى أرجائه اذا أحسن تربيتها .

« ومما يستحق الذكر الحمار والجمل . ويوجد هذان النوعان فى الشرق والجنوب الشرقى . وفى حيازة كل قرية من قرى عموم قسم اللانجو Lango الواسع الارجاء والممتد من عكارا Accara الى طوركانى Tourcani قطعان كثيرة من الحمر لا ينتفع أربابها منها بغير لبن إناثها . ولم يخطر ببال انسان من سكان هذا القسم المفتحة سبله فى وجوهنا أن يستفيد من هذه الحمير بعمل ما . وحمير لادو متوسطة القدود وأرجلها بيضاء وبأكتافها شيات سوداء . وقد صار اختبارها فأسفرت التجربة عن صلابة عودها صلابة لا بأس بها وصبرها على المشاق متى كان هنالك اعتناء بها . ولقد بوشرت تربيتها فى مديرية خط الاستواء ابتغاء تصديرها الى بحر الغزال حيث تباع بأثمان بخسة .

« ويؤدى الجمل نفس عمل الحمير فى شمال هذه المنطقة عند أهالى الجالا Galla الغربيين . وليس من النادر ان تقع العين هناك على قطعان يحتوى القطيع منها على ٥٠٠ الى ٦٠٠ رأس من الجمال . والعبرة عند أولئك الأقوام بالالبان لا بنفس الحيوان . نعم ان الاراضى الرملية المترامية الاطراف ذات الاشجار الضئيلة والآبار المالحة الواقعة فى ذلك الفيح صالحة صلاحا تاما لمعيشة الجمال إلا أن القليل النادر فقط من العدد الذى أحضرته منها الى الرجاف ظل محتفظا بخواصه .

« ولقد حاولت من زمن بعيد أن أدلل على المنافع التى ينتظر أن تجنى من وراء تعويد الجاموس الأليف مناخ البلد إلا أنى لم اتوصل الى الآن لأن اظفر بواحدة منه مع أن شوارع الخرطوم لا تخلو من وجوده .

ويوجد لدينا كل ما يلزم لفلاحه ونموه تحت سماء إقليمنا من حـــر وماء وطين ومراع أعشابها مرة المـــذاق . ومن جهة أخرى فان هذا الحيوان المسخر لا تتطلب تربيته إلا الشيء التافه جدا ولا يستطيع المرء ان يتصور وجود حيوان مسخر للخدمة أوفى منه بحاجة اناس ران على طبيعتهم الكسل وتأصل فى نفوسهم كالأمة السودانية . وعلاوة على ذلك لو وجـــد الجاموس لكان للاهالى من ألبانه غذاء فاخر .

« ان تجارة الحيوانات البرية الحيـــة قد انتشرت بسرعة على سواحل افريقية بواسطة سهولة النقل ومع هـــذا لا يخطر على بال بشر أن لدينا هنا من الحيوانات ثروة لا يستهان بهـــا . وما علينا إلا أن ننظم الملاحة لغاية الخرطوم وهنالك لا تلبث الأسواق الخاصة بالحيوانات أن تجد من حيواناتنا الأهلية أنواعا عديدة مختلفة . وطلبات هذه الأسواق وحدها كافية لأن تبث فى هذه التجارة الخصوصية الروح والحركة .

« ومن الحبوب التى تزرع هنـــا بكميات كبيرة الذرة والطلابون والدخن والسمسم . ومن الصعب تحـــديد مقادير حاصلات هذه الأصناف فى مديرية خط الاستواء بالارقـــام حتى بوجـــه التقريب . غير انه لو أطلـــق الانسان لنفسه عنان التفكير فى أمر هـــذه الحبوب التى هى أساس التغذية فى منطقة تمتد لغاية الدرجة الثانيـــة من خطوط العرض الشمالية بل وكثيرا جدا ما تقوم بجميع التغذية ورأى المقادير الكبيرة التى تؤخذ منها لعمل المريسة وهى الجمة الأهلية وعاين الأضرار الجمة التى تحدثها عشرات الالوف من العصافير والطيور والقطعان التى لا عداد لها ، لاقتنع بجسامتها .

« ومن رأيي ان تصديرها قد يعود بفوائد وإن كانت الأثمان التي تباع بها بخسة . ومن الممكن على كل حال استعمال الحبوب للتقطير في كل وقت وزمن . ولا بد من التصريح بأن الأهالي تلتهم مع تمام الارتياح كميات الكحول الهائلة التي ترسلها مصر سنويا باسم عرقي ومشروبات روحية وغير ذلك .

« ولماذا لا تقطر الحبوب في محال مصادرها بالذات ؟

« ان بعض التجارب التي أقدمنا عليها لم تأت إلا بحصول درجته منحطة كثيرا . ومما لا ريب فيه اننا يمكننا الوصول الى انتاج أحسن إذا أحسنا وسائل التقطير . وتجود الذرة التي يستخرج منها الكحول الفاخر تحت سمائنا جودة عجيبة وتزداد المساحات التي تزرع فيها مع توالي السنين . ويزرع علاوة على هذا الحب أنواع منوعة من الفاكهة والنباتات التي بجذورها غدد كالبطاطس .

« ولقد تيسر للسير صمويل بيكر استخراج الكحول من البطاطا ويتعاطى الزنزباريون المقيمون في أوغندة بكثرة نوع العرقي المصنوع من الموز . وكل أنواع هذه المشروبات لها طعم يوافق أذواقهم وحدهم وهو في الحقيقة طعم غير مقبول ويمكن أن يعزى ذلك الى عدم اتقان الطرق التي تستعمل في تقطيره .

« وظلت تجربة زراعة الحنطة للآن غير مجدية . أما الأرز فقد أتى على خلاف ذلك بحصول عوض على مزارعيه أتعابهم تعويضا كبيرا . وفي عام ١٨٧٨ م تلقيت من أحد العرب في أوغندة رسالة صغيرة من الأرز

فاستعملتها فى الزراعة للتجربة فأتت بنوع لا بأس به إلا ان حبته صغيرة ولونه ضارب للحمرة . وجربت بعد ذلك بذرة وردت من ديار مصر والأرز الذى نحصده اليوم لا يقل عن الارز الذى يزرع فى الوجه البحرى فى شيء . وتنحصر بالطبع الزراعة فى حقول المحطات لأن الشعوب السوداء لا تصبو أنفسهم الى شيء من ذلك مطلقا . وترتضى هذه الأمم التى لم تزل على الفطرة الأولية بما كان عليه آباؤها وينبغى على الولد أن يقتنع بالحالة التى وجد عليها أجداده . واذا كان من النادر أن يرى الانسان زنجيا يربى عصفورا أو حيوانا من الحيوانات ذات الضرع فمن الاندر أن يراه مشتغلا بزراعة الأشجار أو الحدائق .

« وفى مقدمة المواد الدسمة التى تستخرج من النبات الشيرج لكثرة ما يستخرج منه ومع ذلك يضيع منه تماما الثلث لفساد الطريقة المتبعة فى استخراجه وينتفع به انتفاعا كبيرا وهو جديد ومتى أزمن ينعقد ويكتسب طعما خاصا يذكر متعاطيه بطعم الفاكهة .

« ويأتى بعده زيت الفول السودانى وهو أفضل كثيرا من الأول رائق اللون صافى المادة ويبقى زمنا طويلا حافظا جدته بدون أن يتطرق اليه الفساد وليس له رائحة أصلا وهو أحسن الزيوت المعدة للطعام . وتنتشر زراعة الفول السودانى انتشارا كبيرا فى سهول بلاد الدنكا الرملية الفيحاء بالاخص . ويكثر أيضا من زرعه أهالى بلاد السنده Le Sandeh و ممبتو وتمتد زراعته بالتدريج فى شرق دوفيليه حيث الارض تصلح لنموه صلاحا كبيرا . وبما ان استخراج هذا الزيت يلاقى صعوبة أكثر مما يلاقيه استخراج زيت السمسم فقد أتى محصوله بكميات أقل كثيرا مما ينبغى ان

يكون بالقياس الى وفـرة مادة الزيت التى فى الفـول السودانى .
وأذكر بصدد الفول السودانى أمرا فيه شيء كثير من الغرابة . ذلك ان هذا النوع وان كان بوجه عـام مطلوبا ومستعملا حتى ان الحيوانات نفسها تنبش عليـه وتستخرجه من بطن الأرض لتستلذ بمأكله إلا انه مشهور فى بعض النواحى بأنه ضار بالصحة ولذا لا يعتبرونه من المـواد الصالحة للتغذية .

« ويستخرج من النبات المعـروف باسم « ايبتيس سيبسيجيرا » Hyptis Spicigera زيت لا بأس به ولذلك يزرع فى كثير من الجهات وهكذا الشأن فى نوع من القرع صغير يقال له أمبريكه Ombreké يزرع فى مكراكا ويستخرج من بذوره زيت طيب للأكل .

« ولا ينبغى أن يفوتنا ذكر الشجر المسمى « الايس جينينسيس » Elais Guiheansis . وزراعة هذا الشجر عامة فى الجنوب الغربى من أراضى خط الاستواء . وثمره يستخرج منه زيت غزير . ويظهر انه يوجد شمـالا على مسافة أبعد فى المناطق الغربية . وعثر لبتون بك على كميات كبيرة منه عند الدرجة السادسة والدقيقة ٤٢ من خطوط العرض الشمالى والدرجة ٢٥ والدقيقة ٢٠ من خطوط الطـول الشرقى من جرينوتش . وقد يمكن الاستفادة من زراعة « الالايس » وهأنذا فى انتظار البذور الموعود بها بفارغ الصبر .

« وجميع هذه النباتات يستخرج منها زيوت سائلة . وهناك شجرتان تأتيان بدهن متجمد عندما تكون حالة الجو معتدلة وهما : ستيروسبيرمـوم Le Steroespermum و باسيا باركى Le Bassi Parkü . ولا ينتفع الزنوج

أنفسهم بدهن الشجرة الاولى إلا فى التدليك وذلك بسبب رائحته . أما ثمـــر الباسيا الذى هـــو أشبه الأشياء بأبى فروة فيصنع منه دهن مليح للأكل وان كان مذاقه يشم منه رائحة الدخان . وزراعته منتشرة لهذا السبب لدرجة هائـــلة وقد رأيت من هذه الشجرة غابات مترامية الأطراف فى الجنوب الغربى .

« والعينة التى بعثت بها الى الخرطوم لتجربتها فى صنع الصابون نجحت نجاحا مبينا ولذلك طلب منها مقادير كبيرة . وبما أن كميات الصابون التى تستهلك فى السودان ترد جميعهـــا من ديار مصر فأرى ان نشر صناعته هنا يأتى بفائدة . ونظرا لعدم العثور للآن على مورد للصودا فى السودان فمن اللازم استيراد هـــذه المادة من مصر غـــير ان ثمن هذا الصنف زهيـــد لدرجة ان دفعه للخارج لا يكون مانعا ذا أهميـــة فى سبيل هذه الصناعة .

« وفى الامكان جمع مقادير من الصمغ العربى من غابات شجر اللبخ غير أنه يلزمنى بمناسبة ذكر هذا النوع من المحصول أن أجمل فى المقدمة الكلام على المطاط وما ذلك إلا لأن النباتات التى ينتج منها وهى الكاربودينوس دولسيـــس Le Carpodinos Dulcis و الكاربودينوس أسيـــدوس Le Carpodinos Acidus منتشرة فى جميع الانحـــاء جنوب الدرجة الثامنة من العرض الشمالى وبالاخص بجوار مجارى المياه حيث تكسو احراش بأسرها التلاع . وقرر تجار الخرطوم الذين أرسلت اليهم عينات أنها من النوع الجيد وذلك رغما عما بها من العيب لاحتوائها على جانب من المـــاء . وهذا أمر يسهل علاجه لأن ذلك العيب ناشىء من استعمال المـــاء الساخن ابتغاء سرعة

تجمد المادة ولا تتطلب المسألة شيئا أكثر من الالتجاء الى طريقة صنع أحسن من الأولى ويقبل الزنوج على جمعــه مع الارتياح عندما يوعدون بأجرة ضئيلة . وكثرة أشجار هذه المادة كثرة هائلة كفيلة بجنى محصول جيد مدى سنين عديدة . ولا بد أن تمس الحاجـــة بعد قليل الى تجديد الزراعة اذا امتدت تجارته وراجت . والمنطقة التي تورد المطاط فى الوقت الحاضر بكثرة مبتو على ان الصنف الذى يرد منها أوطى من الذى يأتى من مناطق الدنكا الجافة إذ ان هذا يكون تام النقاوة وليست له رائحة .

« ويوجد غير ذلك أنواع كثيرة من المواد اللزجة ـ البعض منهـــا عطرى الرائحـة ـ وللاستفادة منها ننتظر تحليلها تحليلا كيميائيا لتعيين استعمالها وقيمتها .

« ويكثر وجود التمرهندى وغلته جيدة وشحمه أقل حموضة من تمرهندى دارفور ومن ثم كان طعمه مقبولا أكثر منه . وقصب السكر يكثر وجوده جهة الجنوب فى بلاد أوغندة ويزرع فى سائر المحطات ويجـــود فى جميع الاماكن التى يجـــد فيها ريا كافيا . ويوجد القطن فى جهات متعددة بأشكال خاصة ففى بلاد البارين مثلا يزرعون نوعا يقال له جوسيبيوم Gossypium وهذا تبقى بذرته خضراء عند النضج ويثمر قطنا فتلته طويلة ناعمة كالحرير . وبفضل بعض الدناقلة الذين صنعوا أنوالا يتعيش فى الوقت الحاضر عدد كبير من الناس من نسج الدامور وهو نوع من الانسجة القطنية ملائم لمناخ اقليم السودان .

« ومما يستحق الذكر بطريقة أخص تبغ الاونيورو و لاتوكا . ومحصوله يرتبط طبعا باستهلاكه غير انه لا شىء أسهل من توسعة زراعته وانتشارهـــا

لدرجة عظيمة .

« ويوجد البن بمقادير وافرة فى أوغندة حيث لا يخطر بفكر انسان تصديره . وينبغى تجربة زراعته فى مراكزنا الجبلية . وزراعة جوز الطيب عامة فى ناحية الجنوب وبالاخص فى ممبتو . وقد يعثر عالم نباتى بسهولة على كثير من النباتات الاخرى لها قيمة تجارية . وهكذا يكون لدينا مجموعة كاملة من مواد النسيج ومجموعة من مواد التلوين وغير ذلك من مختلف المجاميع . فأمامنا ميدان رحب فسيح مفتح الابواب للتجارة والصناعة وبالاخص فى الجنوب ومن المرغوب فيه مراعاة لمصلحة نفس البلد الاستفادة من مختلف الخيرات التي أودعها الله فيه بوفرة عظيمة .

« وأينما ذهب المرء يجد الكثير من الحديد الجيد . ومتى ذاب وسوته يد الصانع فى البلد نفسه انقلب أداة نافعة فيكثر طالبها خصوصا فى الشمال والغرب حيث أسنة الحراب والسهام الرديئة الصنع تقوم مقام الدراهم ويستعان بها مع الثيران فى مشترى النساء .

« ويقيم أمهر الحدادين فى ديار ممبتو ومكراكا والبعض منهم نال فى هذه الصناعة شهرة فائقة .

« ولا أعلم بوجود معادن اخرى لغاية الوقت الحاضر إلا ان هذا لا يفيد انه لا يوجد غير هذا المعدن . وأظن ان مديرية خط الاستواء تحمل فى بطنها من أنواع المعادن كنوزا خافية عن ابصار جميع العالم » . اه

١ — ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

كان جونكر كما ذكرنا فى الملحق الأول للسنة الماضية قد شخص الى مديرية بحر الغزال ليقوم بريادات فى بعض أقسامها وأقام بها لغاية شهر نوفمبر من العام الحالى . وبما انه قضى كل هذه المدة بعيدا عن مديرية خط الاستواء وهذا التاريخ خاص بحوادث هذه المديرية الاخيرة فقط فقد ضربنا صفحا عن ذكر ما وقع فى هذه الفترة .

وكان يبلغ جونكر وهو يؤدى رياداته تقدم ثورة المهدى المقلقة الرهيبة . ولما رأى ان المسألة قد دخلت فى دور جدى وأمست مديرية بحر الغزال برمتها تتأجج فيها نيران الثورة جمع رأيه على أن ينقلب راجعا الى مديرية خط الاستواء حيث كانت الحالة اكثر سكونا وهدوءا وكانت الأميال أكثر جنوحا لفكرة بقاء سلطة الحكومة ثابتة للسبب الآتى وهو ان قوات الحكومة التى فى بحر الغزال كانت أغلبيتها العظمى مؤلفة من الدناقلة

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى أفريقية » للطبيب جونكر .

والعرب وهؤلاء هم من نفس جنس الثوار المهديين ولذلك اشتركوا مع العصاة من وقت ما بزغ فجر الثورة وبدا روح التمرد . بينما قوة خط الاستواء كانت برمتها تقريبـــا مؤلفة من الجنود السودانيـة النظامية وهـؤلاء لا يشعرون بعاطفة ميـــل للعصاة فحسب بل يشنئونهم لانه قد بلغهم ان المهديين عندما يأخذونهم أسارى يبيعون فى أغلب الأحوال نساءهم وأولادهم بصفـة أرقاء . ولهذا رأينا هـذه الجنود ذاتها بعد سفر امين باشا برفقة استانلى يأنفون الانضمام الى المهديين وينسحبون الى قرب بحـــيرة البرت نيانزا . وهناك ظلوا مقيمـين الى ان أتى اليوزباشى لوجارد Lugard وجندهم فى خدمـة الشركة الانكليزية الشرقية الافريقية British East African Company . وهـذا هو السبب فى ان مديرية خط الاستواء ظلت محافظة على سلطة الحكومة من بين سائر مديريات السودان الى النهاية وقاومت ثورة المهديين .

وفى ١٢ نوفمبر أخـذ جونكر فى السير وفى أثناء الطريق تلقى الاخبار الآتية عن الحوادث التى وقعت فى بلدة ممبتو فى ايام غيبته وهى :ــ

عنـدما انهـزم مامبانجا وطـــرد من بلدته اتخذ له مثـوى ببلد رئيس آخـــر يقـال له أزنجـا . ومن هـذه البلدة دخـل فى مفـاوضة سرية مع حـــواش افندى بقصد تحريض هذا على أزنجا ليحل هو محله . ولما كان حواش افندى يريد ان يتخلص من جميع الرؤساء الذين كانوا يضايقـونه اتفق مع مامبانجا وحمـــل على أزنجا وحليفيه جبارى و نيانجارا فأسرهم وبعثهم الى تنجازى ونصب مامبـانجا فى مركزهم . وحالما بلغت أنباء هذه الحوادث مسامع امين بك استدعى حـواش افندى ووظف عوضا عنه البكباشى ريحـان افندى ، وهو ضابط سودانى لبث مـدة طويلة مأمـورا فى مكرا كا ، وأرجع

فى الوقت ذاته أزنجا الى محله .

وكان امين بك قد رجع فى ١٤ يوليـــه سنة ١٨٨٢ م من الخرطوم الى لادو بعد غياب أربعة أشهر . وفى ٦ مايو سنة ١٨٨٣ كتب الى جونكر بانه أرجع أزنجا الذى انتزعه حواش افندى من مركزه حسبما سولت له نفسه لا لداع آخـــر وانه استدعى مامبانجا للحضور بطرفه فى لادو وانه ينوى ارساله الى الخرطوم . وانه عين ابراهيم افندى جورجورو مأمورا فى مكرا كا . وان بخيت بك أرسل الى الخرطوم مع آخر باخرة .

ويقـــول جونكر هنا انه دهش لما علم ان امين بك عين ابراهيم افندى جورجورو فى ذلك المركز الهام لأن ابراهيم افندى هذا لم يكن إلا رجـــلا نوبيا منافقا يلعب لأمين بك وللمهديين على السواء . ولما أغار هـــؤلاء فيما بعد على مديرية خط الاستواء كان هو أول من انخرط فى صفوفهم وانضم الى جموعهم . هـــذا فضلا عن ان تعيينه بعث استياء فى نفوس الضباط .

وفى ٣ يوليه تلقى جونكر خطابا من امين بك صادرا من تنجازى حيث كان هـــذا الاخير قد انتقل يقول فيه ان مامبانجا قدم لزيارته وانه منحه شيئا من الهدايا ورجع الى اهله مسرورا . اما جبارى فيرى انه من المتآمرين على الحكومة وان دوره سوف يأتى .

وفى ٢٠ سبتمبر كتب له امين بك من لادو يقول انه لم يستطع لسوء الحظ ان يعامل اهالى ممبتو معاملة شفقة ورحمة وانه يظن ان جونكر علم بموت مامبانجا الذى كان يعتبره مصدر خطر على جميع الناحية وانه قد يحتمل أن

يأتى دور جبارى أيضا .

وعلم جونكر فيما بعد ان مامبانجا قتل فى الواقع ونفس الأمر بناء على أمر أمين بك فأسف لذلك أسفا شديدا لأنه كان يؤكد دواما لرؤساء الزنوج ان من صفات المدير العام الشفقة والرحمة . أما الآن فقد حل فى قلبه الندم وأخذت تساوره الظنون بأن أولئك الرؤساء ربما اتهموه بأنه عمل على خداعهم . وعزا جونكر كل هذه الامور الى تأثير ابراهيم افندى جورجورو المشئوم على أمين بك .

وفى ١٥ ديسمبر تناول وهو سائر فى الطريق حزمة كبيرة بها جرائد ومراسلات أتت الى لادو مع الباخرة الاسماعيلية فسر لذلك سروراً عظيما .

ولم يصل جونكر الى حدود مديرية خط الاستواء إلا فى آخر السنة .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو

انقضت أوائل عام ١٨٨٣ م في الريادة . وفي ٢٠ مارس عاد كازاتي الى واندي واستقبله فيها المأمور ابراهيم افندي جورجورو وأبلغ خبر قدومه الى أمين بك . وبعد عدة أيام ورد من أمين بك كتاب الى كازاتي ينبئه فيه بوصول الباخرة تلحوين من الخرطوم ويدعوه للقدوم الى لادو . وفي الحال قام وولى وجهه شطرها فدخلها في آخر الشهر .

وكانت الاخبار التي حملتها الباخرة غير سارة فهي جميعها تتعلق بالحوادث التي وقعت عام ١٨٨٢ م من ثورة عرابي فضرب مدينة الاسكندرية الى واقعة التل الكبير وما وليها مضافا الى جميع ذلك المسائل الجارية في السودان في الوقت الحاضر بسبب الثورة المهدية . وكل هذه الاحوال لا تدعو بطبيعة الحال الى جلب الطمأنينة الى النفوس ولا تدعو الى التفاؤل بحسن المستقبل .

سفره مع المدير العام الى نهير دونجو
وإقامة محطتين هناك

وفى ١٤ أبريل فى الساعة العاشرة صباحا رفع العلم فى لادو إيذانا بسفر الباخرة الى الخرطوم وسافرت بالفعل .

وفى ٢ مايو غادر كازاتى لادو وكان معه هذه المرة أمين بك . وكانت وجهة الاخير ممبتو . واتخذا سبيلهما فى هذه الرحلة عن طريق واندى و مديرفى Mdirfi لبلوغ تانديا Tandia حيث ترك المدير العام حامية مؤلفة من العساكر غير النظامية . وذهب فيما بعد الى نهير دونجو Doungou وهناك أقام على ضفافه محطتين وأطلق على إحداهما اسم مـوندو Moundou وعلى الثانية دوندو Doundou .

وافترقا فى هذه المحطة الأخيرة فذهب أمين بك الى تنجازى حيث عاقب الرئيسين مامبانجا و باجوينديه Baguindè بالاعدام . وأخذ يستعد لارتياد ناحية أخرى فى اتجاه وادلاى وعندئذ علم بقيام ثورة بين زنوج رول فاضطر أن ينقلب راجعا الى لادو عاصمة مديريته . أما كازاتى فذهب هو الآخر وقضى بقية عام ١٨٨٣ م فى الارتياد .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨٤ م

من

حكمدارية أمين باشا

اتحاده توريتي رول و اللاتوبين

كان أمين بك قد دعا الطبيب جونكر فى آخر عام ١٨٨٣ م للحضور الى لادو فأجاب الدعوة فرحا مسرورا . ولما علم أنه قادم فى الطريق كتب له خطابا بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٨٤ يعرب له فيه عما سيناله من الغبطة والابتهاج برؤيته ويخبره بأنه كتب الى سائر رؤساء المحطات ليمده رئيس كل محطة يمر منها بجميع لوازمه وأنه كتب كذلك الى سالم افندى بأن يقدم له بغلته عندما يصل الى واندى ليقطع على ظهرها المسافة إلى محطة لادو .

وفى ٢١ يناير وصل جونكر الى هذه المحطة . وذهب أمين بك لمقابلته فى « اونجاتى » Unjati الواقعة على مرحلة ساعتين منها وبمعيته فيتا حسان واحمد افندى محمود وسكرتيره وستة من الجنود . وبعد تقديم التحية المتادة دخل الجميع الى لادو حيث أقام جونكر بصفة نزيل المدير العام .

وعندما استقر بهم المقام فيها طلب أمين بك من جونكر ان

لا يقابل حواش افندى لأنه كان متأثرا منه . غير أن جونكر كانت راسخة بفكره الخدمات الجلى التى أداها له حواش افندى فى ممبتو ولذا لم يشارك أمينا بك فى رأيه هذا بل بذل جهده فى الدفاع عن حواش افندى بهمة لا تعرف الكلال وانتهى الأمر بأن رده أمين بك الى وظيفته .

وفى أبريل سافر فيتا حسان من لادو الى المحطات الجنوبية ليتفقد احوال المرضى . ومر بمحطة الرجاف ، و بيدن ، و كرى ، و موجى ، و خور أجو Khôr Aju ، و لابوريه ، و دوفيليه ، و وادلاى وقضى شهرا تقريبا فى هذه الرحلة . وعندما وصل الى دوفيليه وهو فى طريق الرجوع الى لادو وجد حواش افندى وكان قد رجع الى وظيفته فى مدة غيبته وأخذ فى اخلاء المحطات التابعة لمركزى فاديبك و فويرا . وهذان المركزان كانا بعيدين كثيرا عن قاعدة المديرية ولم يكن بهما سوى حاميات ضعيفة .

ولما كانت الحالة قد تفاقمت فى السودان رؤى أن من اللازم جمع شتيت الجنود المبثرة فى المراكز البعيدة عن قاعدة المديرية حتى يمكن تدارك ما قد يمكن أن تلده الأيام من الحوادث .

وما كادت الثورة التى شبت نيرانها فى رول تنطفىء ويتقرر امداد شبي حتى قامت ثورة قبيلة اللاتويين Metus فى مركز دوفيليه . وخوفا من اضعاف قوات المديرية وتشتيتها وقبل أن تمتد الثورة ويتصل لهيبها بمكراكا استدعى أمين بك من الشمال حملة ابراهيم افندى جورجورو وأمره أن يبعث بخمسين رجلا لنجدة دوفيليه . وكانت هذه المحطة محصنة

تحصينا قويا ولذا أخمدت الثورة قبل أن يندلع لهيبها وتنتشر وألقى القبض على وادتيرا Wad Tira شيخ الماكويين وأرسل الى لادو .

قيام الثورات فى كثير من الجهات والعمل على إخمادها

ولدى إياب فيتا حسان الى لادو وجد الحالة تفاقمت تفاقما مدهشا . ولما كانت المواصلات مع الخرطوم قد انقطعت منذ أكثر من سنة والأخبار التى وردت مع آخر باخرة وصلت كانت سيئة جدا ابتدأ القنوط واليأس يدب فى نفوس الجنود وأخذ هؤلاء يتذمرون . وكان أمين بك فى أثناء ذلك يشدد عزائمهم ويهدىء روعهم . ومما زاد الحالة سوءا على سوء تمرد مادى فاتيكو و فالورو وقيامهم لمحاربة محطة فاتيكو وهذا بصرف النظر عن شمبى و بور اللتين لم يرد منها خبر ما الى ذلك الوقت .

وبينما كانت الجنود مشتغلة باخماد هذه الثورات إذ ورد لأمين بك قبيل منتصف شهر مايو نبأ من لبتون بك فحواه ان المهديين وعددهم زهاء ٣٠٠٠٠ رجل بقيادة « نور عنقره » وصلوا الى مسافة بعض مراحل من محل اقامته وانه يرى ان الموقف أضحى دقيقا للغاية . وقال علاوة على ما ذكر ان لديه نحو ١٢٠٠ رجل مسلحين بأسلحة رمنجتون وما يكفيه من المؤونة و ٤٠٠٠ اردب من الذرة . وان المحطة محصنة تحصينا شديدا وان الجنود أقسموا أن يقاتلوا الى أن تلفظ آخر نسمة . ومن ضمن ما قاله أيضا انه يضع نفسه تحت تصرف أمين بك إذا كلفه بأمر من الامور . وبين فى خاتمة خطابه عنوان أسرته فى لندرة وطلب منه أن يكتب لها بالعنوان المذكور اذا حانت منيته وخر صريعا .

وما كان أحـــد من الذين فى لادو يشارك لبتون بك فى غـروره هـذا . وفى الواقع كانت الجنود الذين يعتمد عليهم مؤلفين من الخطرية فقط أى من عرب يشتركون هم والمهديون فى الجنس والدين شيمتهم نكث العهود وديدنهم الخيانة والنهب . وكان لا يخامر أحـــدا الشك فى أنه متى لاح لأعينهم شبح وكلاء المهدى ذهبوا وانضموا اليهم . وكان أمـــين بك قد أدرك من زمن بعيد المكاره والمضار التى قد يمكن أن تلم به من وراء الاحتفاظ بالخطرية . وليس ذلك حذرا من قيام الثورة المهدية التى ما كان يترقب انسان حدوثها بل بسبب سوء اخلاقهم واعـوجاج سلوكهم الأمر الذى ما جنت منه الحكومـة سوى انصراف قـــلوب السودانيين عنهـــا وبغضهم لها .

وشرع أولئك الخطرية فى الواقـــع فى نهب الزنوج فى كل ناحيـة مما أبعد قلوب هؤلاء عن الحكومة التى كانت مصلحتها تقتضى جذب مودتهم وتوطيد دعائم صداقتهم . ولقد سعى أمين بك ابتغاء الوصول الى هـذا الغرض بابعادهم من مديريته وارسالهم بالتدريج الى الخرطوم والاستعاضـة عنهم بعساكر نظامية سودانية . وقد كان يوجد فى كل مركز حامية من هؤلاء العساكر أصلهم من منطقة اخرى غير المنطقة المعينين بها . والغرض من ذلك هو أنه اذا ثار أهالى مركز من المراكز يصير فى حيز الامكان كبح جماحهم واخماد انفاس تمردهم بدون خوف من أن يتآخوا مع الثائرين وينضموا الى صفوفهم .

وكان أمين بك قد أوصى لبتـون بك العمل بهذه الطريقة فذهبت توصيته هباء غير أن الايام وياللحسرة ما لبثت حتى أيدت امينا فى رأيه .

ولم يكن فى استطاعته رغم مخاوفه مما تخبئه الايام للبتون بك فى ثناياها ان يمده بمدد ما . فقد كانت قوات مديرية خط الاستواء قليلة العدد للغاية ومبعثرة فى مساحة من الارض متسعة اتساعا كبيرا . وفوق ذلك فانه كان عليه ان يترقب لمديريته حظا لا يقل سوءا عن حظ مديرية بحر الغزال نفسها إذ أنه كان فى استطاعة اجلاف المهديين أن يغيروا عليه فى كل ساعة ولحظة . وهذا ما حدث بالفعل . والحاصل انه ما كان ينبغى لانسان ان يتجاهل امارات تمرد قبيلة البارى الضخمة بقيادة كبيرها اللورون .

وانقضت على امين بك اخبار تمرد هــــذه القبيلة انقضاض الصاعقة لاسيا ان مجموع قوات مديريته لا يقدر ان يتغلب عليها اذا قاتلها فى العراء بعيــــدا عن الحصون وذلك لجسامتها وكثرة عدد رجالها . وكان امين بك كذلك منشغل البال بسبب نشر اهالى بور راية العصيان وابادة حامية هــــذه المحطة وثورة زنوج فاتيكو و فالورو و ماجونجو أى سكان الجنوب التى كانت نيرانها ما زالت تتأجج . جرى كل ذلك قبيل وقوع حوادث بلغت من الجسامة مبلغا ما عليه مزيد . وجسامتها هذه تستلزم جميع قوات المديرية وقوات حكامها المادية والعقلية .

وقبلما تزداد المبـــــلة طينا قرر أمين بك ان يقوم بهجوم ابتغاء ملافاة اقــــرب الاخطار التى يرتقب حدوثها واخماد ثورة البارين وهى فى المهد قبل ان تشتعل نارها ويمتـــــد أوارها فاستدعى اليوزباشى على افندى سيد احمـــــد قائد لادو وأمره بالقبض على رئيسهم اللورون واعدامه . وكان بالطبع لا بد من التكتم الشديد فى تنفيذ هــذا الامر الذى يتعلق كيان المديرية بنجاحه . ولكيلا يتسرب أى خـــــبر الى البارين فيجدون عندئذ

الوقت الكافى لتلافى الضربة لم يستصحب على افندى سيد احمد سوى ١٢٠ جنديا وضابطين وهما ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا وكان قد قدم حديثا وضيا افندى محمد وكيل قومندان لادو . ورجاء عدم لفت الانظار أبلغ الضباط والعساكر أن الغرض من رحلتهم هذه هو القيام بغارة فى البلد الواقع فيما وراء اراضى البارين . وصدر أمر فى نفس هذا الوقت الى عبد الواحد افندى مقلد وكيل قومندان الرجاف بالذهاب الى غندوكورو ومعه ٨٠ جنديا ليكون تحت قيادة على افندى سيد احمد الذى نيط به أمر هذه الحملة .

ووصلت الجنود التى سافرت من لادو و الرجاف الى غندوكورو ليلا فى وقت واحد وساعة واحدة . واستدعى القائد فى الحال وبدون تضييع لحظة اللورون للحضور بقصد الشروع بغارة فى الجبال فأبى . ولعل ذلك كان من باب الاحتراس بسبب سوء الظن . وعلى ذلك ما اشرقت شمس اليوم التالى إلا ومقر اللورون قد أحيط بالجنود ووقع هو فى قبضتهم . ولما رأى انه بوغت بهذه الكيفية امتثل ولم يبد أية مقاومة ومد عنقه بشجاعة قائلا : « لقد وقعت فى قبضتكم وهذا حسن . وفى استطاعتكم اعدامى لأنى عشت الزمن الكافى ونلت شرفا كثيرا يبث اليأس فى قلب بيكركم العظيم ـ يريد بيكر باشا ـ الذى عجز عجزا تاما على أن يتغلب على » .

وأعدم اللورون فى قلب المحطة وجمعت كل أمواله ووجد من ضمن مقتنياته خمس وعشرون بندقية فصودرت كما صودرت قطعانه التى يبلغ عددها تسعمائة رأس من الثيران .

واقتيد « لادو » ولد اللوورون الى أمين بك . وكان ذلك فى نفس اليوم الذى وصلت فيه رسالة المهدى المشهورة وبث خبر وصولها الرعب فى سائر أنحاء المديرية . وأراد أمين بك أن يخمد أنفاس العصيان بقتل هذا الرئيس ولكنه كان يرغب فى الوقت ذاته السعى للاحتفاظ فى هذا الوقت العصيب الذى تهب فيه الزعازع من كل صوب وناحية بمودة الزنوج وصداقتهم الثمينة . وعلى هذا هدأ روع ولد اللورون وقال له : « انى ليحزننى ما وقع من التعسف والظلم غير انه كان من المحال الابقاء على أبيك وتركه حيا إذ انه كان من الجائز أن يجر بتمرده أذى وبلايا على ذويه وعلى نفس الحكومة التى ما كانت تتأخر بلا ريب فى توقيع العقوبات على الثائرين وان اعدام اللورون كان لا مفر منه ولا محيص عنه . والمصلحة العامة كانت تستوجب هذا الاعدام » . وأقر أمين بك ابن اللورون محل أبيه ورد له كل أمواله ولم يصادر منها سوى السلاح وزهاء مائة من المواشى .

وفى نفس هذا الوقت كان حواش افندى قائد دوفيليه قد سافر وهزم ثوار الجنوب هزيمة تامة فى غضون أيام قلائل . والثوار سالفو الذكر هم ثوار ماجونجو و فاتيكو و مادى فلورو . وأسر حواش افندى « بالولا » Balula الكسيح الشهير وهو أخو الرئيس فاتيكو وأحضره الى دوفيليه وكلفه بان يشتغل والاغلال فى جيده فى تصليح الأسلحة التالفة . وكان « بالولا » هذا يسمى أيضا « ابوفرا » وكان ذا شهرة فى صنع الأسلحة . وهو صانع أسلحة كباريجا ملك الأونيورو . و لنبوغه احتفظ به حواش افندى فى دوفيليه وانتفع بمعارفه . وعندما انتهى من ترميم جميع أسلحة المحطة الممكن تصليحها طلب حواش افندى من أمين بك

أن يبعث اليـه بالأسلحة التي حالتهـا تستلزم تصليحا . واجـرى تصليحها كلها .

وكانت الاخبار فى هذه الفترة ترد بتواتر منبئة بذبح حاميـة بور . فلقد حدث ان أوشك زاد الحاميـة أن ينفد وأبى زنوج الناحيـة أن يمدوها بمطلوبها فاضطر قائد المحطة عبد الله افندى نمير أن يقوم بغارة . غير انه لدى ايابه أحاط به البوريون وذبحوه هـو ورجاله ذبح الشياه ولم يبقوا منهم على واحد وكانوا يصيحون فى أثناء القتال قائلين : « فى سبيل الله » . ومن المدهش أن يرى الانسان كم انتشر صياح الحرب هـذا الذى هو صياح المهديين عند الأهالى حتى ان الوثنيين المتوحشين النازلين فى أقاصى الجهات الأكثر تطرفا اتخذوه وهم يجهلون معناه . هـذا وقد عجب الناس لسماعهم وقت الثورة التى حدثت قبل ذلك فى الجنوب نفس هـذا الصياح من أفواه الزنوج . ولعل هـذا يرجع الى مقدرتهم المعلومة فى التقليد والسرعة التى تنتشر بها الاخبار فى بلادهم .

ومن وقت ما ورد خطاب لبتون بك السالف الذكر لم يصل أى نبـأ من بحر الغزال . أما أمين بك فكان غارقا فى الأعمال الخاصة بمديريته . ولأجل تحويل أنظار الجمهور عما آلت اليه الأحـوال وعما تتمخض عنه أحداث الدهر من الحوادث الجسام ، وربما أيضـا لتسيير الامـور وفقا لحركة الثـورة الدينية التى كانت تمـزق فى تلك الآونة أحشاء السودان ، نقول انه من أجل ذلك كله قد بنى أمين بك مسجدا فى قلب فناء ثكنة لادو . وقد يجوز أن يكون بناء هذا المسجد كان يقصد منه شيئا آخر وهو تهدئة خواطر طغام المهديين فى حالة قيامهم بهجوم .

وقال فيتا حسان ان كفاية أمين بك وحكمته فيما يتخذه من الاحتياطات لما عسى أن تلده الايام من الحوادث حتى ولو كانت تلك الحوادث من أبعد الاشياء حصولا وأقلها أهمية قد تبرر مثل هذا الافتراض . ومما يدعو الى التمسك بهذا الافتراض ان امين باك بعد بناء المسجد وقبل مجيء المهديين أخرج من مكتبته نسخة فاخرة من القرآن كانت باقية من ارسالية كتب كان غوردون باشا قد أرسلها الى متيسا ملك أوغندة ووضعها على مكتبه فى محل ظاهر بجانب اسفاره التى كان يلازمها ملازمة ظله له .

ويقول فيتا حسان أيضا ان أمين بك ماكان ينتظر مطلقا أن تباغته الحوادث وتقع على غرة منه بل كان يبذل جهده ليستبقها . ولانقطاع اخبار الخرطوم جملة كافية الامر المثير للاشجان والموجب لاضطراب البال ، ولما رآه من خلال حجب المستقبل من وجوب تعويل مديريته على نفسها والاعتماد على قوتها دون غيرها ، نظم دفاعه وسعى فى جذب قلوب الجنود اليه وكسب مودتهم وذلك بتخفيف وطأة النظام عندما يرى ان هذا التخفيف لا يتعارض مع مصلحة الجنود الحيوية . وعندما تستدعى الحالة قمع بعض رؤساء الأهالى بشدة عندئذ يتحالف معهم واذا رأى أنه من واجبه أن يظهر لهم بمظهر الصرامة ليرهبهم يعاملهم بلطف واحسان ليكفل لنفسه اخلاصهم .

وقد أمر أمين بك كذلك من باب الاحتياط للمستقبل بزراعة القطن بقصد ايجاد مادة للنسيج . وقد كان من قبل اصدر خمس أو ست مرات أوامر بهذا الصدد غير أن قواد المحطات طرحوها ظهريا . واشتمل هذه المرة

شغلا جديا بهذه المسألة وسعى فيهـــا سعيا متواصلا خاصا إذ أنه كان يستطيع أن يدعم أوامره بقطع المواصلات مع الخرطـوم وبالاحتياج فى مستقبل الأيام لصنع الملابس للجند .

وفى ١٥ مايو شب حريق فى حى الجنـــد فضاعف فى هلع الناس ودمر ٢٠٠ كوخ قبل التمكن من إطفائه .

ورود أخبار سيئة

وفى نهاية الأمر وصل فى ٢٧ مايو من رول خطرى حاملا خبرا رهيبا ألا وهو خبر استيلاء المهديين على مديرية بحر الغزال وثلاثة خطابات من الأمير كرم الله قائد المهدى واحدا منها باسم أمين بك بصفته المدير العام والثانى باسم عثمان افندى لطيف وكيل المدير والثالث للطبيب جونكر . ويطلب بالخطابين الأولين تسليم المديرية وحضور المدير ووكيله ومثولهما بين يديه . أما الخطاب الثالث فيطلب فيه من جونكر القدوم لأخذ متاعه الذى تركه فى بحر الغزال .

ووقتما وردت أخبار السوء هذه لم تكن الحملة التى أرسلت لتأديب الباريين السالف ذكرها رجعت بعد وكان النظام مختلا معتلا بسبب تمرد الزنوج وعلى ذلك زادت أخبار الشؤم الأحوال اضطرابا .

وكان فيتا حسان فى مكتب الحكومة عندما دخل محمود افندى صبرى رئيس الكتبة يحمل الخطابات الثلاثة فى غلافات كبيرة معنونة باسم الأمير محمد أمين و عثمان شريف و الطبيب جونكر . ولفت شكل وعناوين هذه الخطابات نظر فيتا حسان فلقب « أمير » الذى أضيف الى اسم أمين بك

بدلا من كلمة مدير واسم عثمان شريف عوضا عن عثمان لطيف جعلاه يستشعر بمصادر هذه الخطابات ، ولم يكن من شأن انقباض نفس محمود افندى صبرى والتكتم البادى على محياه إلا أن يوطد مخاوفه .

كتاب من المهدى الى المدير أمين بك

وبينما كان محمود افندى صبرى فى حضرة أمين بك ظل فيتا حسان يترقب الأخبار وهمه فى ازدياد . وفى نهاية الأمر عاد محمود افندى شاحب الوجه وقال لعثمان أرباب السكرتير الثانى ان المدير رغب مقابلته . وذهب عثمان ورجع بعد بضع دقائق وعلى شفتيه ابتسامة شيطانية الأمر الذى لا يبشر بطالع حسن إذ من المعلوم ان المهدى هو عم المذكور. ودعا عثمان فيتا حسان لمقابلة أمين بك ولدى دخول فيتا عنده رأى وجهه باهت اللون . فقدم أمين بك له الكتاب وقال : انظر الكتاب الذى جاءنى ! ! فتناوله فيتا حسان بيده فوجده مسطرا على ورقة من الاوراق الرسمية وصفحة منه عليها الكتابة مذيلة بختم : « محمد احمد » . أما منطوق هذا الكتاب فكان بوجه التقريب هكذا :—

« من محمد احمد رسول الله المهدى الى الأمير محمد أمين أمير خط الاستواء . إنى مرسل اليك الأمير كرم الله القائم مقامى فسلمه مديريتك وأت عندى فى البقعة الطاهرة لأضمك الى جماعتى . فاذا أطعتنى كفلت حياتك وتحاشيت إهراق الدماء على غير طائل . أما اذا عصيت فعليك تقع جريمة ضياع رجالك وضياعك أنت نفسك . وما حصل لغيرك فيه عبرة لك وموعظة للتروى والتبصر فى عملك . ولقد رأيت ان جميع المديريات حتى أقواها مثل كوردفان و سنار سقطت فى يدى . وأنت تعلم من غير

شك كيف كانت عاقبة راشد بك ويوسف باشا الشلالى وهيكس باشا . وهذا لا بد أن يقنعك أنه بفضل معونة الله العلى لا يقدر أحد أن يقاوم الأنصار . وأنت ليس لديك القوة الكافية لتستطيع مصادمة جيشى » .

وكان هذا الكتاب محلى بعدة آيات مقتبسة من القرآن . وكان معه كتابان آخران احدهما من الأمير كرم الله الى أمين بك يخبره فيه بفتح مديرية بحر الغزال ويعدد قوات المهدى ويقول إنها زهاء ٣٦٠٠٠ مقاتل بقيادة نور عنقره . والثانى من لبتون بك باللغة العربية ينصح فيه أمينا بك بالتسليم لأن المهديين كما يقول قوم لا يقهرون .

وذكر لبتون بك أن المهديين سلكوا مسلكا محمودا عند فتح المديرية ـ وهذا شيء بعيد عن الحقيقة ـ وأن الأمير كرم الله أحسن مقابلته وقال أيضا علاوة على ما ذكر انه يأمل أن يراه فى أقرب وقت فى البلد المقدس أى أم درمان . وأمضاه باللغة العربية هكذا : « الأمير عبد الله ولبتون سابقا » . ولاحظ أمين بك ايضا تحت التوقيع سطرين بالانكليزية يقول فيهما : « اعمل ما تراه صالحا » .

وأراد لبتون بك بلا ريب أن يفهم أمينا بك أن لا يقف عند حد ما جاء بخطابه الذى لم يكتبه إلا تحت الضغط بل يتصرف بحسب ما يوحى به عقله .

عقد مجلس للنظر فيما تستوجبه الحال

واتفق أمين بك وفيتا حسان أن لا يستدعى إلا كبار الموظفين فى المديرية لأن أمينا بك يرغب أن يبقى الخبر مكتوما زمنا

طويلا على قدر الاستطاعة تفاديا مما عساه أن يحدث من الذعر واختلال النظام . وبعد ان اجتمع كبار الموظفين أمر الحاجب أن لا يدع أحدا بعد ذلك يدخل .

وتألف المجلس عـــدا أمين بك ، و الطبيب جونكر ، و فيتا حسان من الاشخاص الآتية أسماؤهم وهم : ضياء افندى احمد قائد لادو ، و ضياء افندى طندا مأمور سلخانة لادو ، و عوض افندى عبد الله مأمور المخازن ، و عثمان افندى أرباب سكرتير المديرية الثانى ، و الحاج محمد عثمان معلم المدرسة ، و الحاج الشيخ عثمان حميـــد قاضى المديرية ، و باسيلى افندى بقطر رئيس قـــلم المستخدمين ، و ميخائيل افندى سعد رئيس كتبة المديرية ، و اسماعيل افندى خليفه رئيس الحسابات ، و أحمـــد افندى رائف معاون المديرية الأول ، و موسى افندى قندا ضابط سودانى ، و محمود افندى العجيمى وكيل قومندان لادو .

وشرع أمين بك يتكلم فقال : « لقد ورد لى هذا الكتاب من المهدى حديثا . ولهذا جمعتكم فى الحال لأتلوه عليكم وآخذ رأيكم » .

وأخذ يتلو الكتاب بصوت جهورى إلا انه ما لبث ان وقف عن القراءة ، وما ذلك إلا لأن صوته خـــانه وفاضت عيناه بالدموع ، فناول الكتاب الى عثمان افندى ارباب وهذا تلاه بأكمله . وأعقب ذلك سكوت طويل . واخيرا قطع امـــين بك هذا السكوت بوضع هذا السؤال لجميع الحاضرين :

ما قولكم ؟

فأجابوا بصوت واحد : « نحن خاضعون لأوامركم فلكم أنتم الأمر » .

وعندئذ نهض الطبيب جونكر وقال : « اذا كان امين بك هو الحاكم عليكم فأنتم أيضا مع ذلك موظفو الخديو ولكم الحق بأن تعربوا عن رأيكم . واذا كان امين بك يريد ان يبت فى الأمر من تلقاء نفسه فما كان هنالك حاجة لاستدعائكم » .

وأدار أمين بك وقتئذ وجهه شطر كل واحد منهم ليحصل منه على جواب . فجاوب محمود افندى العجيمى ، وقد سئل عن القوات الحاضرة المعدة للقتال ، بأن هذه القوات ضعيفة للغاية فلا رجاء معها فى ابداء أية مقاومة امام جموع المهديين .

وسئل عوض افندى عبد الله عن المؤونة والذخيرة فيما لو حوصر الجيش فقال ان الذخيرة لا تكفى واقعة واحدة والمؤونة تكاد لا تكفى مدة اربعة عشر يوما (١) .

(١) — إن كلام هذين الرجلين فى غير محله وهو يعرب عن الجبن ويناقض ما قاله بعد الصاغان حواش افندى منتصر ومرجان افندى الدناصورى حيث عارضا أمينا باشا فى تسليم المديرية وقالا إن فيها الذخيرة الكافية ويمكن تجنيد ثلاثة آلاف جندى . ويؤيد صدق قولها الحوادث التى حصلت فيها بعد إذ ظل جنود المديرية بعد سقوط قرية أمادى Amadi يقاومون الزنوج ويقاتلون الدراويش الى سنة ١٨٨٩ م عندما توجه أمين باشا مع استانلى الى زنجبار وبقوا محافظين على كيانهم فى شاطىء بحيرة البرت نيانزا الى سنة ١٨٩٠ م عندما جاءهم الكابتن لوجارد وجندهم بأسلحتهم وذخيرتهم للخدمة فى الشركة البريطانية لشرق افريقية ظاهرا ولسياسة الاستعمار البريطانية فى الحقيقة واحتل بهم وبذخيرتهم الأراضى المصرية وانتزعها من ممتلكات مصر . فهذا كله يدل على أن الذخيرة فى هذه المديرية كانت كثيرة متوافرة وأنه من الميسور تجنيد الجنود اللازمين .

وصرح الحاج الشيخ عثمان حميد القاضى بأن التسليم أولى من سفك الدماء بغير جدوى فان قوات المهديين عديدة الى حد ان جيوش المديرية لا تستطيع مقاومتها .

ووافق عثمان افندى أرباب على ايضاحات من تقدموا وأشار بالتسليم .

ووافقت الأكثرية على هذا الاقتراح .

ولما طلب من فيتا حسان ابداء رأيه أجاب بأنه وهو طبيب لا يستطيع ان يعرب عن رأيه فى مسألة خارجة عن اختصاصه .

ودعا الطبيب جونكر لتلاوة كتابه عثمان افندى ارباب وهو الكتاب الذى بعث له به الأمير كرم الله وحاول فيه أن يجذبه اليه ليتسلم السبعة والأربعين صندوقا المحتوية على مجاميعه والتى فى مشرع الرق بمديرية بحر الغزال . وأكد له فى هذا الكتاب أيضا أنه لا يصاب بمكروه وأنه يوصله بأمان وسلام الى الخرطوم .

وانكب جونكر على الضحك بعد تلاوة الخطاب وأشار باصبعه صوب الجنوب وقال ان طريقه من هنالك .

وصرح أمين بك بأنه مستعد لأن يتوجه الى الأمير كرم الله ابتغاء اجتناب إراقة الدماء وطلب معرفة من يريد ان يرافقه فسكت الجميع . ولما وجه لكل منهم السؤال على انفراد أبى الكل السفر اللهم إلا ثلاثة اشخاص وهم القاضى الحاج عثمان حميد ومعلم المدرسة الحاج محمد عثمان و عثمان افندى ارباب . وعند ذاك التفت امين بك الى فيتا حسان وسأله عما اذا كان يريد

مصاحبته فرد عليه بالايجاب .

وقال له امين بك ردا على قبوله بالايطالية : « غير انه لا بد لك ان تعرف ان هذه الرحلة ليست كأمورياتنا السابقة » .

فأجابه فيتا قائلا . « اعرف ذلك . ولقد رضيت ان اشاركك فيما قدر لك وعليك » .

وقرر امين بك السفر يوم الاثنين القادم وصرف المجتمعين . وكان بتقريره الاذعان والخضوع الى الأمير كرم الله لا يبغى إلا ايجاد وسيلة وقتية للنجاة مع انه كان يتردد بفكره بلا ريب مشروع لم يختمر بعد تماما . ذلك هو ان يسلك طريق أوغندة . فقد نبتت هذه الفكرة فى رأسه تدريجا ولما اكتملت وأخذت شكلها النهائى صرح بعد عقد هذا المجلس بزمن يسير امام فيتا حسان وعوض افندى عبد الله و محمود افندى العجيمى بالكلمات المشهورة التى نقلها عنه عوض افندى وأساء تأويلها الكل ولا سيما الجنود فنشأ عن ذلك كثير من الضرر والأذى بسبب ما تواتر من الاشاعات التى لحمتها وسداها البلاهة وسوء القصد .

وهذا نص تلك الكلمات بالحرف :—

« ان فى استطاعتى بعون الله وحوله ان احافظ عليكم وأسير بكم عن طريق اوغندة . وآخذ على عاتقى ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتمونى الطاعة . وفى قدرتى ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق اونيورو و اوغندة . اما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من ارضه . والخديو ليس فى حاجة الى بعض جنود سودانية

والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلادهم . لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعتمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين » .

ونقل عوض افندى فى نفس هذا المساء هذه الكلمات فتلقفتها الآذان وتداولتها الألسنة بالمغالاة والتحريف بطريقة لم تألفها الأسماع . فقالوا وأكدوا القول بأن المدير صرح أنه يرغب بيع جميع العساكر لكباريجا ليحصل على الترخيص بالمرور من أرضه .

والواقع أن أمين بك لم يفه بكلمات كهذه بل لم يخطر بباله مثل هذه النية . ويقول فيتا حسان ان اهتمام أمين بك بالجنود وحسن التفاته اليهم ينقض مثل هذه الفكرة من اساسها . غير انه وياللأسف قد صادفت هذه الكلمات التى حرفت عن مواضعها آذانا مصغية لا سيما بين كثير من الجنود .

وفى كل مرة يراد فيها القيام بحركة نحو الجنوب تتمرد العساكر ويتعذر تسييرها الى الأمام خوفا من الغدر والخيانة . ولقد كان هؤلاء يفزعون من السير صوب الجنوب ولا ينقلون فى اتجاهه خطوة إلا وهم حذرون أشد الحذر ولا يدفعهم ان يولوا وجوههم شطره إلا الجوع . وهذا موقف يسترعى النظر لأنه يزيح الستار ويبين السبب فى ثورة الجنود التى حدثت فيما بعد .

وفى اليوم التالى لعقد الاجتماع ذهب فيتا حسان وقابل أمينا بك وأفهمه أنه يخطىء لو سافر مع الوفد المقتضى ذهابه الى الأمير كرم الله وأن

الأفضل والأصوب أن يبقى فى لادو لأن سفره يكون مقدمة لانتشار الفوضى وانقضاض صرح النظام من أساسه وقيام المشاحنات والمنافسات فى كل صوب وناحية وظهور ذوى المطامع وتنصيب أنفسهم أسيادا . ومن هنا تتولد العداوة والبغضاء وتسفك الدماء ويستمر ذلك الى ان يبيد الناس بعضهم بعضا .

فاستصوب امين بك رأى فيتا حسان وقال له ان هذا هو رأيه ايضا وانه لم يسلك هذا المسلك إلا اكتسابا للوقت وليقف على رأى كبار الموظفين .

ووصل على افندى سيد احمد من غندوكورو فى خلال هذه الاثناء وقدم لأمين بك رأس اللورون فعينه امين بك رئيسا لقلم سكرتارية المديرية وكتب الى عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وكان فى رول يعلمه بأنه سيذهب الى الأمير كرم الله ويأمره بالرجوع الى محل وظيفته . ولم يكن لهذه التدابير غاية سوى أن يغرس فى أفكار الناس انه حقيقة راغب فى الذهاب الى الأمير كرم الله .

وفى ٢٨ مايو علم من خطاب وارد من حواش افندى ان زنوج دوفيليه نشروا مرة اخرى راية العصيان وطلب المومى اليه بخطابه المذكور ارسال امداد على وجه السرعة .

وكان أمين بك لم يزل متأثرا بجواب الأمير كرم الله ومراعاة لعدم استقرار مجرى الحوادث فى المستقبل على وتيرة واحدة رأى أن الوقت غير مناسب لتجريد لادو من العساكر التى بها ورفض طلب حواش افندى

وكتب اليه ما يأتى :—

« إنى لا أستطيع أن أبعث لكم بامــــداد لعدم وجـــود جنود احتياطيــة تحت يدى . وان لديكم الجنـــود الكافية . وانكم عـــلاوة على ما ذكر قد قمتم فى أصعب الظروف وأحرج المواقف بأعباء ما كلفتم به خير قيام . فيجب ان تدافعوا بنفس القوات التى تحت أمركم . ويدعونى الأمل الى الاعتقاد بأنكم فى هـــذه المرة أيضا تستطيعون بما جبلتم عليه من علو الهمة وحسن التدبير أن تتغلبوا على جميـــع ما يصادفكم من المصاعب . وإنى فوق ذلك قد كتبت الى حامية لاتوكا باخلاء منطقتها والذهاب لمعاونتكم والأخذ بناصركم . فيلزم أن تقاومـــوا الى أن تصل اليكم الحامية المذكورة ولا بد أن تتغلبوا بما تسديه لكم من المساعدة على أولئك الزنوج » .

نبذ موظفى لادو احترام المدير

وحـــدث فى نفس ذلك اليوم حـــادث زاد أفكار أمـــين بك اضطرابا وبلبـــلة والموقف حرجا وشدة . ذلك أنه رغما عن الاحتياطات التى اتخذت قد أذيع فى لادو خـــبر كتاب الأمير كرم الله فى نفس عشية يوم وروده .

وفى اليـوم التالى شرع موظفـــو لادو وأغلبهم من المنفيين لسبب ما وليسوا بطبيعة الحال من الطبقة الراقيـــة لا من جهـــة الطباع ولا من جهـة الأخـــلاق ، يطوحون وراء ظهورهم بالاحـــترام المفروض عليهم لأمين بك .

فقد أرسلت محطة أمادى كمية من الزيت الى محطة لادو .
وبما ان بعض الموظفين طلب منها مقادير وافرة وأصر على الحصول على المقادير التى طلبها بين لهم أمين المخازن استحالة إجابة طلباتهم فاستعملوا معه الوقاحة وفحش القول وعلى ذلك رفع شكواه الى أمين بك . فانتقل هو نفسه الى المخازن رجاء ان يؤثر عليهم بوجوده ويراقب توزيع الزيت .
وطلب رجب افندى محمد كاتب الحسابات لنفسه وحده ٤٠ رطلا من الزيت على حين ان جميع الكمية المخزونة لا تجاوز ٣٠٠ رطل . ولما أعلمه بذلك المدير جاوبه بوقاحة الجواب الآتى :

« لقد مضى وانقضى زمانك ، وأتى زمان الأمير كرم الله ، وليس لك أن تعطى أوامر هنا بعد اليوم !! » .

ولما كان أمين بك لا يريد ان يتفاقم الخطر الذى يهدده من الخارج باحداث ثورة بين الموظفين لا سيما أنهم كانوا فى ذلك الوقت موقنين بسقوط حكومة السودان ويرون أنفسهم مطلقى الارادة لا رقابة عليهم فقد كظم غيظه وأمر باعطاء ذلك الافندى الكمية التى طلبها بدون ان ينبس ببنت شفة .

وأخذ فيتا حسان يسائل نفسه عما اذا كان يوجد مسوغ يبرر الحكمة التى لجأ اليها أمين بك فى مثل هذه الحالة وعما اذا لم يكن الأفضل رفض مثل هذا الطلب بتاتا ليكون هذا الرفض درسا زاجرا وعبرة للآخرين .

ويرى فيتا حسان وقد أصاب محجة الصواب ان تصرف أمين بك هذا

لم يكن فى هذه الحالة إلا نوعا من الضعف كما هو شأنه فى احوال كثيرة غيرها مماثلة لها . ويقول المذكور ان كل مرة استعمل فيها أمين بك السماح والحلم عوضا عن العقاب والقصاص بينما كانت الحالة تستوجب الصرامة والشدة لم يجن من ذلك غير ازدياد جرأة مرؤوسيه ووقاحتهم . ولم يجد ضعفه تجاه رجب افندى محمد سوى التمادى فى الغطرسة وعدم الانقياد وكان سببا فى كل الحوادث المدلهمة التى نزلت فى ساحة البلاد .

وعندئذ تهاطلت الطلبات من جميع الاصناف والانواع على مخزن المديرية واخذ امين بك فى ارفاقها جميعها بأذونات الصرف حتى بدون ان يراجعها لانشغاله فى مسائل اخرى من جهة وخوفا من ان يشحذ لسانا آخر عليه من جهة ثانية .

وأدرك فيتا حسان من أول وهلة ان هذا الاغضاء ستكون عاقبته بلا جدال حدوث مجاعة وقرر وضع حد باحدى الوسائل لنهب المخازن وعلى ذلك توجه الى القاضى وافهمه ان المديرية خضعت للمهدى وان كل ما فى المخازن امسى ملكا لبيت المال وان من واجباته بصفته اكبر مرجع دينى ان يراقب كل ما يصرف من الآن الى ان يصل وكيل المهدى وهو الأمير كرم الله . لأنه اذا استمرت الحالة جارية على هذا المنوال لا تلبث إلا ان نرى فى المخازن شيئا لا يذكر . ولا يجد المهديون عند مجيئهم قطميرا فيعزون اليك هذا التبذير والاسراف . والمهم هو صدور أمر كتابى فى الحال الى المدير بعدم صرف أى شىء من المخازن بدون أمرك .

وكان القاضى يخشى رغما عن تحمسه للحكومة التى ستتمخض عنها الأيام أن يمس احساس أمين بك بالقيام بعمل ما أشار به فيتا حسان غير ان هذا طمأنه وقال له انه يتكفل فوق ذلك بان يسوى المسألة وان كل ما عليه كتابة الأمر وتوصيله الى أمين بك .

وذهب فيتا حسان الى أمين بك ليحيطه علما بما اتخذه من التدبير وليرجوه القبول مراعاة للمصلحة العامة . وبعد برهات قدم القاضى وسلم الأمر للمدير وهذا استدعى عثمان ارباب وكلفه تبليغه لجميع الموظفين واخبارهم انه يجب عليهم من الآن فصاعدا تقديم طلبات الصرف من المخازن الى القاضى . ولما انصرف هذا الأخير أفهم أمين بك فيتا حسان أن هذه المسألة لم تنل استحسانا فأجابه فيتا حسان ان ذلك من مصلحة الجميع وبغير هذا العمل لا يكون سوى القحط والمجاعة .

عقد اجتماع للنظر فى سفر
المدير العام للأمير كرم الله واصدار قرار

بينما كان فيتا حسان عند أمين بك قبيل أول يونيه اذا بالقاضى دخل عليهما ونصح المدير بالعدول عن الذهاب الى الأمير كرم الله لأن سفره يلقى المديرية فى احضان الحيرة والفوضى وعرض ان يسافر هو عوضا عنه على ان يبقى أمين بك ويستمر فى تصريف الأعمال . وهذا أمر كان لا يمكن الا ان يسر له أمين بك . فعقد اجتماعا جديدا طرحت فيه هذه المسألة فصودق عليها كما صودق على القرار الآتى :

أولا — بقاء الحالة على ما هى عليه فى المديرية الى ان ترسل بواخر ومراكب للسفر عليها الى الخرطوم .

ثانيا — اعفاء المديرية من كل غارة .

ثالثا — عدم السماح باستعمال أى شطط قبل الجنود السودانية .

تتابع الحوادث وتأليف وفد لمقابلة الأمير كرم الله

وشب فى لادو حريق فى اليوم التالى ٢ يونيه قبيل الساعة ٨ صباحا تدفعه ريح شديدة من الشمال وأخذ يهدد جميع انحاء المحطة واستحال القيام بمساعدات ودعت الحالة الى الاكتفاء بهدم بعض الاكواخ لتهدئة سير النيران وذهب تقريبا نصف لادو كما ذهبت جميع الحواجز الخشبية والاكواخ المكونة من القش طعمة للنار التى لم تخمد انفاسها الا قبيل منتصف النهار .

وتوالت ضربات يد القضاء بسرعة مدهشة .

فبينما كان الدخان لم يزل يتصاعد من اكواخ لادو إذا بخطاب أتى من سليمان افندى عبد الرحيم ضابط حامية مكراكا منبئا ان ابراهيم افندى جورجورو رئيس هذا المركز ترك محله وسار الى بحر الغزال هو وجميع من معه من الخطرية الذين يكونون القسم الأكبر من الحامية وأخذوا ما كان معهم من الأسلحة والذخيرة لينضموا الى الأمير كرم الله . وكاتب المركز ابراهيم افندى ترباس وهو الخطرى الوحيد الذى ظل محله جلد ٥٠٠ جلدة وترك فى موضعه بظن انه ميت .

وطلب سليمان افندى بالجـــاح ارسال امـداد لانه لم يبـق لديه إلا زهاء ١٢ جنديا سودانيا . وبالطبع يخشى عـودة الخطرية أو قيام أهالى المركز لان هؤلاء لا يقيمون على الولاء إلا مع وجود حامية قوية .

وانتهز القاضى الذى كان حاضرا هناك وقت مجىء الخبر هذه الفرصة ليحث أمين بك مرة أخرى على البقاء لأن المديرية كما قـــال مشرفة على أوقات تزداد شدة مع توالى الأيام وتستدعى حتما وجود المدير .

وتقرر مرة أخرى تأييـدا لما سبق تقريره فى الاجتماع الأخير ان يبقى أمـين بك ويسافر القاضى عوضا عنـــه بصفة رئيس للوفـد ويكون فى معيته عثمان ارباب ، و ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا سابقا ، و محمـــد بابا ، و محمد افندى عثمان الكاتب ، و موسى افندى قندا ليبلغوا الأمـير كرم الله خبر خضوع المديرية .

وما كان أحد يدرى غير أمين بك وفيتا حسان ان الخضوع لم يكن إلا ظاهريا وان الغرض والقصد من إرسال هذا الوفد هـــو فقط إيقاف تقدم الدراويش ابتغاء ايجـــاد الوقت الكافى لاتخاذ قرار نهائى وجمع قوات المديرية المبعثرة .

وفى ٤ يونيـه ورد خـبر مـكدر آخر ذلك ان دنـكاوبى رول تمردوا مرة اخرى وان مأمور القسم محمد افندى الصياد يطلب امدادا .

وكان امين بك قد قرر اخـلاء المراكز البعيدة لكى يجمع كافـة قـوة المديرية المسلحة فى بعض نقط الا انه كان لا يود القيـــام بتنفيذ مشروعه هـذا قبل سفر الوفـد حتى لا ينكشف الغطاء عن خططه . وعلى هذا أهمل

الرد على خطاب محمد افندى الصياد الى ان سافر القاضى ورفاقه .

وسافر الوفد فى ٧ يونيه وسافر معه من لادو ١٢ جنديا بقيادة الضابط موسى افندى قنــدا . وأخذ معه كميــة من الأشياء التى بالمخزن وصندوقا به ١٠٥ دست مظاريف رمنجتون وهذا الصندوق حتم أخذه عثمان ارباب . وأعطى أمين بك القاضى ٥٠ ريالا من ماله هدية واعطى عثمان ارباب مثلها .

وفى اليوم التالى رحل أيضا جونكر الى دوفيليه ومعه ٦٠ حمالا ليحاول بلوغ زنزبار وسلمه أمين بك خطابا برسم حواش افندى أوصاه فيه بأن يضع نفسه تحت كامل تصرفه فى رحلته .

إعادة النظر فى الحالة وتقرير خطط المقاومة

والآن وقد شعر أمــين بك بشىء من الطمأنينة ورأى نفسه مطلق اليدين بعد سفر هذا الوفد أخذ يواصل العمل ليلا ونهارا فى سبيل جمع شتات الجيوش وتنظيم معدات الدفاع .

واستدعى الصاغــين حواش افندى ومرجان افندى الدناصورى وتباحث معهما بصدد القرار اللازم اتخــاذه . وكان هذان الضابطان لا يريان بتاتا الخضوع والتسليم وصرحا ان بالمديرية الزاد والذخــيرة والمدافع والأسلحة بالمقادير الكافية وانه فى حيز الامكان وضع ٣٠٠٠ جندى على قدم الاستعداد وانه بهذه القوة يكون فى الاستطاعة مقاومة المغيرين .

وتقــرر ترك تقسيم المديريه مراكز وتأليف حكمداريتين واحدة

فى الشمال والاخرى فى الجنوب وحشد العساكر فيهما . وأشار حواش افندى على أمين بك بتعيين مرجان افندى حكمدارا فى الجنوب وجعل قاعدة حكمداريته فى دوفيليه وأن يرسله هو فى الشمال ويجعل قاعدة حكمداريته أمادى . فقلب أمين بك الوضع وعين حواش افندى فى الجنوب ومرجان افندى فى الشمال . وتقرر علاوة على ما ذكر أن تظل حامية مكراكا فى موضعها مع قائدها فرج افندى يوسف للدفاع عن هذا المركز وصدرت أوامر لريحان افندى ابراهيم قائد ممبتو وعثمان افندى لطيف وكيل المدير المقيم فى رول بأن يخليا هاتين النقطتين وتتوجه حامية ممبتو الى مكراكا وحامية رول الى أمادى .

ولم تكن القوة المسلحة التى فى مكراكا شيئا مذكورا بعد هرب الخطرية غير أنه كان من المهم جدا الدفاع عن هذا المركز الذى منه ترد معظم كميات الحبوب . وكانت كذلك تقوية حامية أمادى بضم جنود رول اليها من الامور التى لا تقل فى الاهمية عن الدفاع عن مكراكا لان أمادى هى النقطة الاولى الواقعة فى مقدمة المديرية وفيها يتصادم الجيش مع جيش العدو عند قدومه من بحر الغزال . فكان من الضرورى احتلال حصونها بجيوش كافية حتى يمكن صد تقدم المهديين .

ولدى ارسال أمر اخلاء ممبتو بعث أمين بك بكتاب الى اليوزباشى كازاتى يحيطه فيه علما بالسبب الذى من أجله رأى من الضرورى اخلاء المركز وقال له انه يحسن لو قدم عنده فى لادو . غير انه رغما عن هذا الاخطار أصر على البقاء فى المركز ولم يبارحه الى لادو الا بعد ذلك بزمن .

وفى خلال هذا الوقت ظهر فى لادو جنديان سودانيان وهما الأطروش

وأخوه . وكانا عاربى الجسم كلية . وهذان الجنديان هما من الجنود التابعة لحامية بحر الغزال . وقد تمكنا من الهرب وقت أن سلم لبتون بك ومعها كساويهما الرسمية . والى القارىء الكيفية التى مرت بها الحوادث حسبما روياً :—

حالما ذاع خبر اقتراب الأمير كرم الله كان الخطرية قد قرروا قبل ذلك بزمن رغماً عن جميع توكيداتهم أن يظلوا مخلصين للبتون بك والايمان التى أقسموها بان يقاتلوا فى صفوفه الى أن لا يبقى منهم أحد ، أن ينضموا الى رجال المهدى . ولما أنذر المهديون لبتون بك بالتسليم رتب جيوشه وهيأها للقتال وأمر بالشروع فى اطلاق النار فلم يتحرك خطرى واحد عن مكانه وصرحوا متفقين بان لا يصوبوا أسلحتهم نحو اخوانهم . ودنا مصرى من رجال المدفعية من مدفعه غير انه قبل ان يتمكن من اطلاقه أطار خطرى رأسه بحسامه . وعندئذ فتح الخطرية أبواب الحصن وفى لحظة استولى عليه الدراويش ولم تخش زوج لبتون بك وقد تولاها الغضب من جراء سفالة ودناءة الخطرية ان توجه اليهم الفاظاً بالغة فى الشدة على ما بدا منهم من الخيانة والغدر .

وأحرق الأمير كرم الله جميع دفاتر وأوراق الحكومة ونهب المخازن وبعث بلبتون بك ومستخدميه مخفورين الى أم درمان وجرد العدد اليسير من الجنود السودانية الذى كان ضمن الجيش المصرى من أسلحته ومن ثيابه ووضع فيهم الاغلال وباعهم أرقاء هم ونساءهم وأولادهم .

وهذه الحكاية لاسيما القسم الأخير منها قد وردت فى الوقت اللازم فهيجت بلابل جنود المديرية وأثارت عزة نفوسهم وحملتهم على الانضواء الى

جانب القرار القاضى بالدفاع الى آخر نسمة من الحياة . ووطدت غيرة الجنود وحميتهم ثقة أمين بك بهم .

تمرد الزنوج على أثر اتساع نطاق الثورة المهدية

وقد وصل فى الوقت نفسه مع الخمسين القطعة الدامور « نسيج من القطن » التى أرسلها لبتون بك قبل الانقلاب الذى حدث وتأخر وصولها بسبب الثورة التى قامت فى رول ، خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت يؤيد الأخبار السيئة التى وردت عن محطتى جهة الشمال وهما شمبى و بور .

ولم يعزب بعد عن البال ان عبد الوهاب افندى طلعت قد سافر من أجل إيصال زاد من بور الى شمبى . وقد جاء فى خطابه البادى ذكره انه حال وصوله الى بور كان معظم الحامية غائبا فى غزوة . ومع ذلك وسق الأشياء اللازمة فى مراكب وانحدر هو مع مجرى الماء صوب شمبى غير أنه عندما بلغ المحطة وجدها قفرا ليس فيها أحد وقد هدمت من أساسها وانقلبت رأسا على عقب ولم يجد من يخبره عما فعل الله بالحامية .

وبعد أن قاسى كثيرا من المشاق وكابد شتى الأخطار مدة ٢٤ يوما اضطر فى خلالها أن يسحب المراكب وصل الى بور فوجد ان معظم حاميتها المؤلفة من ٩٢ رجلا وقائدها عبد الله افندى نمير قد أبادهم العبيد ابادة تامة حال قيامهم بالغزو ولم يبق بالمحطة سوى ٣٠ جنديا . وعلى ذلك ظل عبد الوهاب افندى طلعت فى بور يرتقب مرور باخرة صاعدة مع النيل لتجر مراكبه . وبينما هو فى الانتظار اذا بالزنوج قد ثاروا وحاصروا المحطة .

وجاء أيضا فى الخطاب المذكور أن المحطة الآن محاصرة حصارا يفوق

كثيرا حصارها من قبل وان مجموع الجنود الذين تحت يده لا نزيد عن ٤٢ جنديا ٣٠ منهم وجدهم هناك و ١٢ كانوا بمعيته . وان الخروج من الحصار أمر مستحيل وعلاوة على ذلك فانهم يقاسون مضض الحرمان من كل شيء . ويشعلون قش الاكواخ المسماة « توكول » Tokuls القائمة فى قلب الحصن للحصول على نار . وقال فى ختام خطابه : البدار البدار بارسال نجدة ! !

وكان لا بد من ارسال قوة كبيرة من العساكر الى بور لأن ارسال قوة صغيرة يعد من باب المجازفات والتعرض لأعظم الأخطار . ولما كان أمين بك لا يمكنه أن يستغنى عن عدد كبير من العساكر استدعى فى ٢٦ يوليه كبيرا من كبار الزنوج يقال له « بافـــو » وأعطاه ثلاث أبقار وكلفه بتوصيل خطاب وكمية من الزاد الى بور وأوصى عبد الوهـــاب افندى طلعت بالثبـــات فى مركزه الى ان يستطيع حشد بعض من العساكر وارسالها اليه وأمره باخلاء بور اذا امكنه ذلك والانسحاب الى لادو .

ومن ذلك يعلم ان راية العصيان كانت قد نشرت وكان كل يـــوم تشرق شمسه يأتى بخبر تمرد جديد . فالماديون فى لاوريه بقيادة كبيرهم « ماتو الصغير » أبدوا روح العصيان وعتوا غير أن ثورتهم أخمـــدت فى الحال ولم تمتد وتشمل جميع الماديين . وهـذا من حسن الطالع ولطف البارى إذ لولا ذلك لضاع كل أمل ولم يبق أى رجاء . وتمرد الشوليين بدوفيليه قضى عليه فى الوقت نفسه قضاء مبرما .

وكان أمـين بك قد قرر مع حشد الجنود نقل قاعدة المديرية الى الجنوب وان يجرى ذلك ببطء حتى لا تكون المسألة أشبه شيء بالتقهقر . وأبدى سببا

معقولا لعمل هــــذه التدابير وهو استحالة ايجاد ما يلزم من المؤونة فى لادو لعدد كبير من الناس بعد اخلاء رول واختلال النظام فى مكرا كا وضياع شمبي و بور . وهـــذا على نقيض الحالة فى دوفيليه اذ ان هـــذه بلدة مخصبة ومحصولها يفى بحاجـــات اضعاف المستخدمين والعساكر كما اتضح ذلك فيما بعد .

وأمر أمين بك بنقل المكاتب الى دوفيليه وأن يسافر فى كل يوم اثنان أو ثلاثة من الموظفين ومعهم اسرتهم . وألغيت كذلك محطة فاتيكو وانتقلت حاميتها الى دوفيليه .

ولم يكن المهديون قد قدموا بعد ومع ذلك فقد نشر بعض اناس فى نفس المديرية راية العداوة . وهذا ما حدث :

قـــدم ذات يوم من أمادى ساع مستعجل للغاية ليبلغ ان قانصا من قانصى الفيلة ومن أجرئهم يقال له على كركوتلى جمع بعض الدناقلة عندما وصل نبأ وصول الأمير كرم الله ومضى معهم الى المهديين . ولما مروا بمحطة صيادين الصغيرة قتلوا سبعة جنود من حاميتهـــا الصغيرة المؤلفة من ١٩ جنديا كما اجهزوا على ضابطهم عبد الله افندى غرباوى . أما الباقون فقد استطاعوا أن يهربوا فى الغابة . فأمر أمين بك فى الحال رجب افندى من بوفى أن ينتقل بغاية السرعة الى هناك لامدادهم .

وكان لدى حكمدارية خط الاستواء قناصون أشبه بعلى كركوتلى مرتب لهم ماهية شهرية قدرها ٢٥٠ قرشا وكان يصرف لهم ثمن ما يوردونه من العاج للقنطار الواحد ٥٠٠ قرش شهـــريا . ويوردون عادة من قنطار

الى عشرة قناطير فى الشهر ولا يخصم من حسابهم إلا ثمن ما تسلموه من الذخيرة وهو الثمن الملزمون بدفعه .

استطراد فى كيفية صيد الفيلة

وكان هناك طريقتان لاقتناص الفيلة وهما البندقية أو الحفر المسقوفة . والعرب يقتنصون الأفيـال على وجه العموم ببنادق ذات عيار كبير يسمونها « شوشخانة الفيل » . وهى سلاح ضخم عياره ٥ سنتيمترات يحشى زهاء ١٢ رصاصة حجم الواحدة منها ١٢ ملليمترا و ٦٠ جرام بارود . ولا بد من جرأة كبيرة لصيد الفيل بسلاح كهذا . ومع ذلك كان عدد قناصى الفيلة من العرب فى كوردفان و بحر الغزال و دارفور كبيرا . وهـذا يدل بلا جدال على بأس وقـوة قلب عرب السودان . والمتبع بحكم العادة هـو ان يربط الصيادون ذوو الحذر السلاح فى شجرة ويترقبوا مرور فيل فى اتجاه مرمى السلاح . أما القناصون الشجعان الأبطال فيكتفون بوضع عضادة على صدورهم وعليها يسندون السلاح ويطلقونه فلا تستطيع الصدمة ان تزحزحهم عن مكانهم الى الوراء قيد أنملة .

وقناصو الزنوج يصيدون الفيل بثلاث طرق مختلفة . فالدنكاويون واللاتوكيون يفوقون العرب فى الجسارة ويمكن القول انهم يصارعون الفيل جسما لجسم . فالقناص يبحث عن الفيـل ثم يتعقبه على بعد بضعة أمتار منه ويقذفه بحربة بقدر ما يستطيع من قوة . ولا تكفى هذه الضربة الأولى بوجه عام للاجهاز عليه فينقلب فى اتجاه الصياد وهـذا يتنحى عن طريقه سريعا بقفزة ويرميه بحربة أو اثنتين أو ثلاث الى ان يخر صريعا .

و أكاوو Akkas ممبتــو الذين لهم مهارة خاصــة فى استعمال الاقواس يرمــون ذلك الحيوان فى مبــدأ الأمر بسهمين فى عينيــه وعنــدما ينقلب أعمى يندس منهم نحــو الاثنى عشر رجلا تحت بطنــه وأجسامهم مدلوكة ببول الفيلة وروثها حتى لا يشعر الفيل بهم عندما يدنون منه ويأخذون فى فتحها بضربها بمزاريقهم القصيرة ضربات متواليــة ثم ينسحبون فى الوقت اللازم حتى لا يسحقهم الحيوان بجسمه الضخم عند وقوعه .

وعندما يقتل الأكاويون فيلا تنصب القبيــلة كلها مضاربها بجانب الفريسة شهرا أو شهرين الى ان تلتهم جميع لحمهــا وشحمها ثم تعود الى سيرتها الأولى فى التنقل والرحيــل من ناحيــة الى اخــرى الى ان تعــثر على فريسة اخرى .

ويحفــر مكراكاويو ممبتــو فى الأرض حفــرة كبيرة عميقــة ويغطونها بطبقة كثيفة من فروع الأشجار والحشائش ويضعون فوق ذلك طبقة رقيقة من التراب . وعندما يضع الحيوان قوائمه عليها وهو آمن مطمئن يهوى فى جوفها فيندق جسمه لثقله .

ويستعمــل زنوج آخرون لاسيا الشوليــون لصيد جميــع الحيوانــات البرية وليس الفيل وحــده ، نحا فيه شيء من التفنن . ذلك أن يختــاروا شجرة لها فرع صلب ممتــد امتدادا أفقيا فــوق الطريق وينصبون على هذا الفرع حبلا متينا ويعلقون بأحــد طرفيه حجرا ثقيلا ومزراقا جسيما بصفحتيه أسنان حادة مثل التى فى السهام ذات الــكلابات . وهــذه الآلة تعلق فى الفضاء بواسطة الحبل . وفى الطرف الثانى يثبتون قطعــة خشب تدفن فى الأرض دفنا بسيطا حتى تعادل الحجر والمزراق فقط . وعنــدما تصطدم قــائمــة الفيل بالخشبة

تقفز من الأرض فتقع الحربة بفعل ضغط الحجر رأسيا فى جسمه .

وفى ١٢ يونيه ورد لأمين بك خطاب من ابراهيم افندى جورجورو بمكراكا يقول فيه انه أرسل بلتله الى أمادى وانه متوجه الى هذه المحطة لزيارته وذلك لظنه ان أمينا بك سيسافر مع الوفد كما تقرر ذلك فى بادى الأمر . غير ان هذا السفر صار المعدول عنه فيما بعد وعلى هذا كان سيلاقى القاضى عوضا عن المدير .

وتلقى كذلك أمين بك خطابا من كاتب مكراكا يقول فيه انه بعد سفر ابراهيم افندى جمع خليل افندى مرعى وهو ضابط مصرى ضباط الصفوف وقال لهم ان كل واحد يمكنه ان يأخذ ما شاء من المؤونة ويذهب الى حيث يريد لأن الحكومة أمست لا وجود لها . فزاد الفزع والجزع فى النفوس على أثر ذلك لاسيما أن عددا من الدناقلة ذهب لينضوى الى الأمير كرم الله . وعندما بلغ أمينا بك هذا الخبر أرسل فى الحال ضابطا وعشرة عساكر للقبض على هذا الضابط وارجاع الناس الى جادة الصواب .

وفى ١٥ يونيه تناول أمين بك ثلاثة مكاتيب من بلال افندى بمكراكا يذكر فيها ان ابراهيم افندى جورجورو بعث ببعض الرجال ممن له بهم ثقة الى كابايندى ليحضروا ٢٠٠ زنجى من قبيلة البومبيه Bombés مسلحين ويسبوا على قدر ما يستطيعون من النساء والاولاد . ولما تمت هذه العملية حسبما يشتهى ويريد استولى على جميع المؤن والذخائر والسلاح الذى كان فى مخازن واندى وذلك بعد ان دمر كابايندى . واتجه عقب ذلك هو وعصابته شطر مكراكا الصغيرة بعد أن أغرق المركبين اللذين كانا فى نهير جاى Jei حتى يمسى تعقبه أمرا مستحيلا .

وقد سبا الشيخ كابايندى فى مكراكا الصغيرة خدام منزل احمد افندى الافغانى ودمر وأحرق دار مصطفى افندى درويش مأمور المحطة وألبسه القيود والأغلال واقتاده معه . وبعد أن ارتكب كل هذه الجرائم والآثام يمم فى نهاية الأمر شطر بحر الغزال وبمعيته الضابط المصرى خليل افندى مرعى .

وبعث أمين بك بلا توان ضابطا و ٦٠ جنديا لتقوية حامية مكراكا ليوطدوا النظام فيها ثانية . وعجل كذلك مرة أخرى بارسال رسول الى ريحان افندى ابراهيم قائد مركز ممبتو يحمل أمرا باخلاء هذا المركز فى الحال والانسحاب الى مكراكا . وأمر أيضا بحفر خندق عميق حول لادو وبناء حصن ثان للمدافع فى زاوية القلمة .

ولما اشتدت الأحوال فى محطة أجاك تركها عثمان افندى لطيف وانسحب الى أمادى ليرجع منها الى لادو .

وفى ٢٠ يونيه ورد الى أمين بك رسالة من عثمان ارباب ذكر فيها ان دنقلاويا قص عليه ان لبتون بك ظل فى وظيفته وان الأمير كرم الله سينطلق صوب مديرية خط الاستواء فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه .

وفى ٢٢ منه وصل عثمان افندى لطيف الى لادو قادما من أمادى حيث اجتمع بالقاضى وأعضاء الوفد الآخرين وقال ان ابراهيم افندى جورجورو لم يأت الى أمادى وانه من الجائز ان يكون قد ذهب مباشرة الى بحر الغزال .

وفى ٢٤ منه وردت الانباء من مأمور المحطة فى روميك عن طريق أجاك

ان بعض الدناقلة كانوا قد مروا بمحال الزنوج ليمتاروا لوازمهم فأحاط هؤلاء بهم وقاتلوهم وأهلكوا منهم ٣٠ نفسا . ويقال ان الباقى منهم رجع . أما العساكر فلم يقتل أحد منهم لأن هؤلاء لم يبارحوا المحطة . وأمر أمين بك فى التو والساعة باخلاء رومبيك كلية لأنها لم تعد صالحة لشىء بعد سقوط مديرية بحر الغزال وحشد جميع الجنود والموظفين الملكيين فى أجاك حيث الأمن متوافر .

وفى ٢٦ يونيه وصل الى واندى رجل من الدناقلة الذين كانوا قد سافروا بمعية ابراهيم افندى جورجورو مفضلا الرجوع الى المكان الذى كان به وذكر أن معظم الحالين والأسارى هربوا وان ابراهيم افندى كان على حسب قوله فى كودورما هو والضابط المصرى خليل افندى مرعى وبعض الجنود والمصريون الذين كانوا منفيين فى مكراكا وبعض الدناقلة . والأخبار الواردة من واندى تؤيد كذلك رجوع كثيرين من الدناقلة والزنوج .

وفى ١٠ يوليه وردت أنباء الى لادو مفادها أن الشيخ الطيب رجع الى مسقط رأسه مكراكا بعد أن أقام سنتين فى الخرطوم وقابل ابراهيم افندى جورجورو فى كودورما . ولما عاين سلوكه وعلم بما صدر منه من الأعمال أمر شيخ الناحية أى فقيه مكراكا وكان قد انضم الى ابراهيم افندى بأن يلقى القبض عليه وان يطلق سراح مصطفى افندى درويش وكل من يلوذ به ويرجع جميع الدناقلة والمستخدمين الى وظائفهم . وتم ذلك فعلا غير ان ابراهيم افندى تعلق بأذيال الفرار تحت جنح ظلام الليلة التالية لليوم الذى قبض عليه فيه هو وأربعة من الجنود وبعض الدناقلة .

وظل مع ذلك أغلب الذين أطلق سراحهم من هؤلاء الأخيرين فى

كودورما ورجع منهم سبعة فقط الى أمادى وقالوا انهم أكرهوا على ترك محالهم فجردوا من أسلحتهم وأعيدوا الى المحطات التى كانوا بها من قبل وقبض على خليل افندى مرعى الضابط المصرى وأرجع .

وورد من مأمور محطة موندو Mundu انه لم يبق لديه سوى عشرة رجال وهرب الباقون وان طريق ممبتو ما زالت مفتوحة للسابلة وانه من المحقق أن مصطفى افندى درويش استطاع النجاة وان مخازن واندى لم تنهب وان النظام استتب ثانية فى مكراكا .

وفى ١٣ يوليه قدم الى لادو عسكرى من أجاك وذكر ان القاضى وباقى الوفد كانوا عند سفره لا يزالون بالمحطة وانهم لا يمكنهم الذهاب الى بحر الغزال لأن الزنوج سدوا الطريق . والظاهر أيضا ان الدناقلة الثلاثين الذين هلكوا وهم فى طلب المؤونة حسب رواية مأمور محطة روميبك لم تعاجلهم المنية بالكيفية التى ذكرها بل عند ذهابهم الى الأمير كرم الله .

وفى ١٦ يوليه قدم فجأة الى لادو بعد انتظار أخبار أجاك زمنا طويلا كاتب هذه المحطة ومعه ضابط صف واحد وأربعة جنود يحمل رسالة موقعا عليها من بعض الضباط وضباط الصف وهذا منطوقها :

« نظرا لسوء ادارة محمد افندى الصياد حدث أن هاجم الدناقلة العساكر فى أجاك . وعبثوا للآن خمس مرات باعراض النساء والعساكر . وسلم الضابط المذكور الى هؤلاء الدناقلة بعض النساء بدون بحث ولا رقابة . وان بعض الجنود لجأ الى الهرب بسبب سوء المعاملة بهذه

الكيفية الى مواضع لا نعلمها والبعض الآخر يستعد للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم . وان سلوك هذا الضابط المنافى للصواب والعقل حمل الناس على السرقة والنهب وان جميع العساكر فى أشد حالات الهيجان ونخشى ان يتعلقوا بأذيال الهرب ويأتوا اليكم شاكين مما حصل . والظاهر ان سائر الدناقلة أمسوا متعاهدين . وجميع أسلحة رمنجتون المرسلة من لادو برسم محطتى شمبي و بور المستجدتين تقاسمها توابع ضيف الله . والدناقلة الذين قدموا مزودون ببعض سلاح رمنجتون ولديهم الذخيرة الكافية . ولذلك نجنح للاعتقاد بأنهم لن يتأخروا عن أن يحذوا حذو اخوانهم فى السلب لاتحاد الكل فى الاميال . ومع ذلك فنحن مستعدون لمكافحتهم اذا لم يكفوا عن الاجحاف والاستبداد مع العساكر أو اذا لم ترسلوا لنا مددا » .

تحريرا فى ٢ يوليه سنة ١٨٨٤ .

الامضاآت

سليمان . خير . حسن

* * *

وبما انه كان قد تقرر سفر مرجان افندى الدناصورى فى ٢١ يوليه ليتسلم قيادة أمادى كلفه أمين بك بأن ينتقل عقب ذلك الى أجاك ويضع حدا للفوضى ويوطد النظام .

وطلب ضابط صف مسقط رأسه بومبيه من أمين بك اجازة غياب فأذن له بها مع الارتياح لاسيا انه كان فى خدمة أمين بك بصفة مراسلة منذ عامين . فعوضا عن أن يشتغل ضابط الصف هذا بمصالحه

الخاصة حشد زهاء عشرين رجلا من التراجمة وقــتل بمعاونتهم سبعة من الدناقلة . وأمر أمين بك حفظا للنظام بمحاكمته فى مكراكا وتقديمه الى مجلس عسكرى .

وفى ١٨ أغسطس ورد بريد أمادى و أجـــاك . وارسل مرجان افندى ضابطا و ضابط صف و ٣٢ جنـــديا لقتال القناص على كركوتلى الذى ما زال للآن معتقلا الجنود الذين أسرهم فى محطة صيادين عوضا عن أن يعمل بالضبط والدقة بأمر أمين بك القاضى بانتداب الرئيس تكفارا Takfara ورجاله لهذا الغرض . ولدى مرور الضابط المذكور ومن معه أمام زريبة يحتلهـــا فريق من الدناقلة المتمردين واقعة على الطريق الموصل من أمادى الى مكراكا ، قابلهم هؤلاء بطلقات البنادق فرد الجنود المهاجـــين واستولوا على خمس بنادق منها واحدة رمنجتون وقتلوا ١٥ رجلا وأرسلوا السلاح فى الحال الى أمادى واحتلوا عند ذاك الزريبة . وفى اليوم التالى لما تكامل عدد الدناقلة أدخل الضابط ضابط الصف ومعظم العساكر فى الزريبة وسار هو وخمسة رجال فى اتجاه العدو فقتل من هؤلاء الرجال أربعة وجرح الخامس واضطر الضابط أن يتقهقر غير انه وجد ضابط الصف والجنود قد لاذو بالفرار فالتزم هو كذلك أن يهرب . وعلى هذا يكون اجمال الخسائر ٥ بنادق من طراز رمنجتون و ١٠٠ ربطة مظاريف . وهـــذه كارثة وخيمة يترتب عليها شموخ الدناقلة ورفع رءوسهم .

وكان مرجان افندى قد انتقل الى أجاك بعد أن مر بأمادى . وأمر أمين بك بارسال امداد الى هذه المحطة الأخيرة . وشاع وذاع ان ابراهيم افندى جورجورو ومن معه قتلهم الزنوج . وأن كافة الدناقلة الذين فى أجاك

قد جردوا من أسلحتهم .

وجاء فى بريد مكراكا الذى وصل فى نفس ذات اليوم ان مصطفى افندى درويش مستعد للرجوع إلا ان الدناقلة لا يدعونه يسافر . وجاء فيه ما يؤيد خبر هجوم الزنوج على ابراهيم افندى ومن معه وقتلهم جميعا وذلك عند مسيرهم بقرب دوجورو Doguru وانه لا يعلم أين مقر الأمير كرم الله وان الاحوال فى مكراكا سارة قارة .

وفى ٢٠ أغسطس ورد خطاب الى أمين بك من مرجان افندى فى أمادى مع كتب أخرى أحدها من عثمان ارباب صادر من محطة صيادين فى ٨ أغسطس يقول فيه : « لقد عدت من بحر الغزال ومعى للمدير كتب سارة يفيض من خلال سطورها عبارات الوقار والاحترام . أرسل من يجىء بى . أنا مستعجل » .

فبادر مرجان افندى وأرسل فى الحال رجالا وكان لا بد أن يكون عثمان ارباب قد وصل الى أمادى من مدة لأن خطاب مرجان افندى مؤرخ فى ١٠ أغسطس .

وكتب أمين بك الى مرجان افندى أن يرسل عاجلا عثمان ارباب وان يحتفظ عنده بجميع من أتى من بحر الغزال .

وقدم فى ٢٣ منه من غندوكورو جندى وأخبر أن ضابطى صف و ١٠ جنود وصلوا من بور وقال إن جميع الأمور سائرة هناك على ما يرام ، وان الضابط عبد الوهاب افندى ومن معه من الرجال الذين كانوا قد أرسلوا لامداد شمبى باقون فى بور هم والمركب الكبير

والذخيرة ، وأن الرجال الاثنى عشر سيصلون غدا الى لادو حاملين البريد . وكان قد مضى ستة عشر شهرا ولم ترد أخبار من بور . وكل المجهودات التى بذلت لارسال بريد اليها عن طريق بوفى ذهبت هباء وكان الخوف على السفينة بالغا أشده . وكان يخشى أن تكون قد ضاعت هى ومن كان فى شمبى .

وفى ٢٤ أغسطس وصلت جنود بور وأيدوا الأخبار التى وردت بالأمس . وكانوا قد قدموا منها عن طريق غندوكورو ولازموا فى مسيرهم ضفة النيل الشرقية وقطعوا المسافة فى ستة أيام وقابلهم الزنوج فى كل مكان مقابلة حسنة . ويرجع الفضل فى ذلك الى الوسائل التى اتخذها الرئيس « بافو » Beffo من بالينيان . وبافوا هذا هو ذلك الرجل الذى أعطاه أمين بك ثلاث بقرات وفوض اليه حمل خطاب الى بور واحضار رد منها . وقص الجنود أيضا أن عبد الوهاب افندى الذى أرسل لامداد شمبى قد وصل اليها غير انه وجد هذه المحطة قد أمست أثرا بعد عين فارتد على عقبيه الى بور ووصل اليها بعد سفر دام ٢٨ يوما ذاق فى خلالها الجوع وقاسى أنواع الشدائد وعاكسته الرياح . هذا فضلا عما كابده من صد هجمات العبيد . أما الزنوج الذين كانوا مقيمين حول بور فهؤلاء قد حل بهم من العقاب ما فيه مزدجر وهم الآن ملازمون جانب الهدوء والسكينة والنظام مستتب فى المحطة .

وفى ٢٧ منه كتب مرجان افندى يقول ان الدناقلة فى أجاك قد جردوا فعلا من السلاح وسجن البعض منهم . وان سليمان افندى عبد الرحيم سافر الى روميك فى ١١ من هذا الشهر ومعه ١٨٠ جنديا ليجرد الدناقلة المقيمين بها من السلاح ويسترجع الجنود . وان جموعا

من الدناقلة المقيمين بلا ريب فى مكرا كما يحتشدون فى محطة صيادين Sayadin .

وفى ٢٨ أغسطس ورد خطاب آخر من أمادى مذكور فيه ان غلاما من هذه المحطة وصل الى بوفى Bufi وروى أن عثمان أرباب وأعضاء الوفد الآخرين ما زالوا فى محطة صيادين وان موسى افندى قندا والعشرة الجنود الذين بمعيته جردوا من السلاح وبلا ريب زجوا فى السجن . ولحين سفر الخطاب لم يرد أى خبر من أجاك ولم يصل عثمان ارباب الى أمادى حيث أرسل أمين بك مرة اخرى ٥٠ جنديا معهم ذخيرة .

وفى ٣٠ منه وردت الأنباء من أمادى ان الجنود الذين أرسلوا الى رومبيك أرجعوا الى أجاك السفن والمدفعين والذخيرة والزاد والمؤونة بتمامها فى ١٧ منه بدون ان ينقص منها شىء ولم يفقد سوى رجل واحد . وقد كان سفر أولئك الجنود من أجاك فى ١١ من هذا الشهر وسلوكهم فى هذه الرحلة يستوجب الثناء .

أما قومندان هذه التصيلة فلا يدرى أحد ما الذى شرع فى عمله هو والدناقلة ولم يذكر بالخطاب الوارد من أمادى شىء عن هذا الضابط . والاحوال فى نفس هذه الناحية هادئة .

وأمر أمين بك باخلاء أجاك فى الحال وحشد من بها من الجند فى أمادى .

وفى ١٤ سبتمبر وردت الأخبار من أمادى ان جميع الدناقلة جردوا من السلاح فى مختلف المحطات واعتبروا أسارى لانهم لو تركوا مطلقى السراح

لكان ذلك بمثابة نجـــدة ذات قيمة قد قدمت للعدو . وكذلك تركهم فى أمادى أمر لا تحمد منبته ولذلك ارسل منهم مرجان افندى زهاء العشرين الى لادو لارسالهم من هناك الى دوفيليه وألحقهم بآخرين فى خلال هذا الشهر .

وفى ٣٠ اكتوبر ورد الى لادو خطاب من أمادى مؤرخ فى ٢٦ منه . ومما جاء فيه انه لا يعلم شىء من أمر حركات الأمير كرم الله . وجاء فيه أيضا ان أهالى محطة صيادين يتأهبون بقيادة القناص على كركوتلى للهجوم على أمادى . والروح المعنوية فى العساكر على ما يرام . أما جنود بوفى فلم يصلوا لغاية هذه الساعة .

وفى ١٠ منه ورد من أمادى بريد هام وورد من بين مشتملاته رسالتان مستعجلتان صادرتان من الأمير كرم الله الى امين بك لا يتعدى مضمونهما مضمون الرسائل السابقة . غير انه ذكر برسالتيه الأخيرتين خبرا هاما وهو خبر عقد نيته الآن على المجىء الى لادو . وأذيع فى الوقت ذاته نبأ فحواه ان ١٦٠٠ رجل من المهديين وصلوا الى ماجونجو وقصدهم الهجوم على امادى . وما لبثت اخبار مكراكا ان أيدت هذا النبأ .

وفى ١٥ نوفمبر أتى الى لادو خبر بان المهديين تقدموا صوب أمادى واحتلوا قرية الرئيس تكفارا الواقعة ارضه على ضفة نهر جاى الغربية بينما محطة أمادى قائمة على ضفته الشرقية . والرئيس تكفارا هذا كان قد بقى على ولائه للحكومة وساعد مساعدة كبرى هو ورجاله بتوريد الحبوب وغيرها من المحاصيل الى محطة أمادى .

وصول المهديين ومقاومة الجنود المصرية لهم

وفى ١٧ نوفمبر وصلت أول تجريدة من المهديين بمرأى من أمادى وهى أقصى محطة فى الشمال الغربى لمديرية خط الاستواء فى وقتها . ووقف الدراويش وكانوا قد وصلوا ليلا على ضفة النهر تجاه المحطة . وصاحوا فى الصباح وهم على الضفة الأخرى من النهر على ثلة من الجنود المصريين كانت قد خرجت لاستكشاف العدو قائلين انهم يحملون كتبا من الأمير كرم الله وانها تختص بتسليم المديرية حسب جوابات الأمير أمين بك . وطلبوا عبور السفينة التى كانت راسية بالضفة القائمة عليها المحطة الى الضفة المقابلة لها فاجاب الجنود بانهم سيبلغون الأمر الى قائدهم ويأتونهم بالجواب .

وفى خلال هذه المناقشة ذاع وانتشر بسرعة فى أمادى خبر وصول الدراويش فاحتشد على شاطىء النهير بالتدريج جمع من العساكر للتفرج . ولما رأى الدراويش أن عدد العساكر آخذ دواما فى الازدياد وان الحذر باد على وجوههم غرسوا حربة فى الارض وعلقوا فيها كتب الأمير وانسحبوا الى حيث معسكرهم الرئيسى .

وأرسل الصاغ مرجان افندى الدناصورى قائد المحطة فى الحال سفينة صغيرة الى الشاطىء الثانى لتأتى بهذه الكتب . ولدى تلاوتها لم يوجد فيها شىء غير ما سبق وصرح به الدراويش . وأمر مرجان افندى بتصويب النار على الدراويش إذا عادوا ليطلبوا الاجابة . وتنفيذا لهذا الأمر احتجبت الجنود خلف الأشجار التى على الشاطىء وأعطيت تعليمات مقتضاها انه عندما يطلق مدفع من الحصن يكون اطلاقه اشارة بالبدء فى ضرب النار .

وظهرت الدراويش فى اليوم الثانى وتقدر قوتهم بزهاء ٢٥٠ رجلا . وقوبلوا لدى اقترابهم بنيران حامية فانسحبوا . وأتوا مرة اخرى فى اليوم الثانى محتجبين وراء الاشجار واشتبكوا هم والجنود فى حرب تبادلوا فيها الرصاص دامت ثمانية أيام . ولاحظ اليوزباشى خير الله افندى حميد فى اليوم الثامن ان الدراويش يقطعون الأشجار ليقيموا لهم زريبة تقيهم نيران الجنود فطلب عندئذ من مرجان افندى ٣٠٠ رجل ليخرج ليلا ويفاجئهم فى حجب الظلام . وبين وقد أصاب فى بيانه محجة الصواب أنه لو ترك لهم الوقت لعمل الزريبة لتعذر عند ذاك اقتلاعهم منها .

ولقد كان فى امكان خير الله افندى فعلا التخلص بسهولة من الدراويش بالعدد الذى طلبه من الرجال لأن أمادى كان بها حامية مؤلفة من ٧٠٠ جندى ومدفعان من مدافع الحصون و ٤ مدافع ميدان . وعلى ذلك لم يكن هنالك أى خطر من القيام بكبسة ما دام يبقى فى المحطة ٤٠٠ جندى .

ويقول فيتا حسان ان مرجان أفندى لم تكن من شيمته الشهامة فطرح ذلك الطلب ظهريا وقال انه لن يحاول الخروج الا بعد وصول الامداد من مكراكا . وبنى الدراويش فى هذا الوقت زريبتهم وهم آمنون مطمئنون وأخذوا يطلقون مقذوفاتهم من خلف الجذوع التى اتخذوا منها وقاية لهم على المحطة فترد عليهم الجنود مع اسراف مريع فى الذخيرة .

وفى ٢ ديسمبر حدثت معركة شديدة دامت من الصباح الى منتصف النهار واضطر المهديون فى نهاية الأمر أن ينسحبوا . وبلغت خسارة الحامية ١٢ قتيلا بين ضباط وجنود و ١٨ جريحا . وأغلب جروح هؤلاء

الاخيرين ناشئة عن صدمات مزاريق زنوج « اجهر » Agahrs الذين استعان بهم الدراويش .

وفى ٢٠ ديسمبر قدم فيتا حسان الى أمادى بنـــاء على أمر شفوى من أمـــين بك لزيارة الجرحى واستقاء الأخبار عن الأحـــوال فى المحطة . والظاهر انه رأى ان الأمور فيها مختلة والنظام مختلا . وبعد مجيئه بزمن قليل أجهز على ٢٣ خطريا واسرائهم بمجرد اتهامهم بالمـــؤامرة مع المهديين وحدث ذلك بدون مرافعة ولا مدافعة . والغرض الوحيـــد حسب رأى فيتا حسان من اعدامهم هو الحصول على أموالهم لا غـــير . وكان قد استطاع من أول أيام وصوله ادراك الخطر المحدق بمحطة تدار قيادتها على ذلك المنهج فبعث فى منتصف الليـل برسول الى أمـين بك قائلا ان الذخيرة قد حدث فيها إسراف زائد .

وفى ٢٣ منه سلمت امرأة عجوز ، وظيفتها إيصـــال الرسائل الى فريقى المتحاربين ، فيتا حسان ملفـــا صغيرا مختوما بالشمع به اربعة كتب معنونة باسمه .

الـكتاب الأول من المهدى محمـد احمد يتمنى فيه الخير له لخضوعه وامتثاله ويكلفه تبليغ سلامه للأمير محمد امين ويرجو الاثنين الشخوص الى أم درمان فى أقرب ما يمكنهما لأنه يعتقد فى اخلاصهما فى الخضوع .

والثانى من الأمير كرم الله وفيه نفس التمنيات السابقة والنصح باعتناق الديانة الاسلامية . ويقول فيه ايضا انه ارسل جبتين إحداهما برسم الأمـــير محمد امـين والأخرى برسمه . وهما هدية من قبـــل المهدى وانه يجب عليهما

قبل ان يلبساهما ان يتوضئا ويصليا حتى تحل فيهما بركة المهدى . ويوصيه كذلك ألا يوصل جبة أمين بك سوى ضابط أو يوصلها هو نفسه كيلا تدنس أيدى الجنود الشيء الذى باركه المهدى .

والثالث من حسن افندى عجيب الذى فوض اليه المهدى تسلم مديرية خط الاستواء ، يشتكى فيه من تصلب الجنود وعنادهم فى الرغبة فى القتال بينما الأمير محمد أمين وكل الرؤساء يكنون للمهدية أحسن المقاصد وأطيب النيات . ويقول ان الروابط الودية والصلات الأخوية التى بين فيتا حسان وعثمان ارباب ابن عم المهدى عطفت عليه قلب هذا الأخير واستجلبت نحوه رضاه ويطلب منه فى نهاية الأمر المجيء الى معسكره فيحل فيه آمنا مطمئنا طليقا يتنقل حيث شاء ويذهب أينما يريد .

والرابع من عثمان ارباب يعرب له فيه عما يكنه قلبه من أنواع الحب والمودة وجميل العواطف ويطلب منه إرسال مقدار من المظاريف وورق الجوابات ليستعملها فى مكاتباته .

وكان المهديون يعتقدون لغاية ذلك التاريخ ان أمينا بك ومن معه مستعدون للتسليم بل راغبون فيه وان الصعوبة قائمة من جهة العساكر وحدهم وان هؤلاء هم الذين يمانعونهم فى التسليم .

ويقول فيتا حسان انه فى خلال المدة التى أقامها فى محطة أمادى اى من ٢٠ ديسمبر الى ٧ ينساير من سنة ١٨٨٥ م حضر واقعتين بين الدراويش والجنود فكانتا على ما يظهر عبارة عن مناوشات لا فائدة منها ولا يرجى منها شيء معين . وبينما كان الدراويش يقتصدون فى الذخيرة ويقتصرون

على إرسال بعض طلقات متقطعة حتى لا يتركوا للحامية وقتا للراحة كانت الجنود تبعث بطلقات كثيرة بناء على أمر قائدهم مرجان افندى .

نعم إن العساكر كانت تقوم ببعض الهجوم ولكن كان يحدث ذلك بغير خطة معينة ولا نظام بل بدون غاية معلومة . ولقد نجحت مرة الجنود فى مفاجأة الدراويش فى زريبتهم فتعلقوا بأذيال الفرار مشتتين بغير نظام . غير انه عوضا عن انتهاز فرصة الذعر والرعب الذى ران على قلوبهم وإشعال النيران فى زريبتهم اكتفت الجنود بأن يستولوا منها على بعض الأشياء وبرتدوا الى المحطة . وهذا الخطأ تقع مسئوليته على الضباط وحدهم دون سواهم .

واقتربت ذات يوم ثلة من الجنود ومعها مدفع الى مسافة ٥٠ مترا من معسكر العدو فخرج منه زهاء ثلاثين درويشا فانسحب الجند وتركوا مدفعهم غير ان بخيت افندى برغوت وهو الضابط الوحيد الذى كان ملما بواجباته قابلهم وعلم منهم ترك المدفع فرجع ومعه خمسة من الجنود لاسترجاعه فوجدوه محل ما تركوه . وفى اللحظة التى شرع الجند فيها يجرون المدفع أصيب بخيت افندى برصاصة كسرت ذراعه فوضعها خلف ظهره بدون ان ينبس ببنت شفة حتى لا يزعج الجنود إذ ربما عند ذلك يتركون المدفع ويلوذون بالفرار . وأدار برغوت افندى حركة نقل المدفع الى أمادى بهدوء وسكون حتى كأنه لم يحدث أى أمر ولم يلاحظ ان ذراع هذا الضابط الباسل قد كسرت إلا لدى وصوله الى المحطة . فلو تولى قيادة المحطة ضابط له هذه الغيرة وهذا الحماس لما وقعت أمادى فى يد العدو حتى لو كانت قوته أشد مما هى عليه .

إن مقاومة أو سقوط أمادى لهـا أهمية كبرى بالنسبة لمديرية خط الاستواء لأن سقوطها يفتح الطريق الى لادو وهـذا بصرف النظر عن ضياع ١٠٠٠ رجل منها بينهم ٥٠٠ جندى نظامى . وقد أصبح الخطر على الأبواب . ويقول فيتا حسان انه عندما لاحظ سلوك مرجان افندى المنافى للصواب انقبض صدره حزنا واستولى عليه اليأس إذ أنه كان يعتقد أن أمادى لا يمكنها أن تقاوم بعد ذلك زمنا طويلا .

ويحكى فيتا حسان أنه كان يوجد تاجر يونانى يسمى ماركو جسبارى . وهـذا التاجر ترك محطة أجاك عندما صار إخلاء رول وحضر الى محطة أمادى مع الجنود . وكان يحمل البندقية فى يده ويتمنطق بجعبة المظارف . وقد علق بها وعاءين فى أحدهما لبن وفى الآخر سمن ويدور دواما فى الحصون مشجعا العساكر ويطلق بندقيته عند الحاجة ويوزع اللبن على المجروحين فى الثكنات ويضع السمن على جراحهم .

وفى مساء ذات يوم كان فيتا حسان مع مرجان افندى فاعترض أولهما على الثانى وكان قد سبق أن اعترض عليه مرارا لتبذيره وإسرافه فى الذخيرة وضرورة إقدامه على القيام بهجوم عنيف لحسم النزاع عن آخره وبدون تطويل مع العدو لاسيما ان هذا العدو يصل إليه يوميا أمداد بينما الحامية آخذة فى التناقص وميرتها آخذة فى النفاد . وكان فيتا حسان يستعمل فى الكلام بعض الشدة للمخاوف التى كانت تساوره بشأن الخطر المحدق بالمحطة لأنه خرج عن وعيه عندما رأى حصنا له هذه الأهمية عرضة للبوار والدمار لا لشيء سوى جرجرة قومندانه . وعلى ذلك أمر

مرجان افندى فيتا حسان بالرحيل فى الحـــــال من أمادى عوضا عن أن يعى نصيحته ويعمل بها وقال ان ليس لأحد آخر غيره ان يتـكلم فى مسألة القيـادة وعلى الفور بحث له عن حمالين . وكيلا نزيد الموقف سوءا على سوء بارح فيتـا حسان أمادى فى منتصف الليل وسافر الى لادو .

---

١ — ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو وزيارته لكبار موظفى المديرية

فى ٢ يناير من هـذا العام أفضى جونكر الى المحطة الصغيرة القائمة على حدود مديرية خط الاستواء . ورحل عنها فى اليوم التالى وأسرع الخطى فوصل الى المحطة العمومية الجديدة التى أنشئت فى أرض الرئيس كودورما Kudurma لتشرف على المراكز الغربية وفيها ألقى عصا التسيار للراحة بضعة أيام .

وكانت هذه المحطة واقعة على سفح تل فى وسط مزارع غناء وبها عدد وافر من المساكن وكثير من الأنعام . وكان ناظرها وهو ضابط يقال له مصطفى افندى درويش متغيبا عنها فى ذلك الوقت فى محطة واندى . وكان ابراهيم افندى محمد جورجورو مدير مركز مكراكا لم يرجع من الحملة التى سيرت لمعاقبة الأجاريين Agars الثائرين واعادة بناء

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى أفريقية » للطبيب جونكر .

زريبة رومبيك .

ولم يجد جونكر أية مكاتبة من أمين بك فكتب له خطابا وطلب رده فى واندى وعلم أيضا انه لم يصل الى لادو بواخر قط . ورحل عن هذه المحطة .

وفى ٩ يناير بلغ كابايندى فوجد حالتها تغيرت تغيرا كبيرا عما كانت عليــــه وقت زيارته الأخيرة لها . وشخص منها الى واندى مارا بمكرا كا الصغيرة . ولدى وصوله الى هـــذه المحطة الأخيرة عرف زريبة احمـــد افندى الافغانى وبستانه الجميل إلا أنه ويالِلأسف كان صاحبها قد أدركته الوفاة فى العام الغابر وبقى بعده آثار أعماله وأحضر له ملاحظ البستان سلة طافحة بأنواع الخضر والأثمار .

وفى ١٢ يناير دخل جونكر فى واندى وقابله فيهــــا الضابط المصرى سليم افنــدى الرئيس بنفس الحفاوة التى قوبل بهـــا فى المحطات الأخرى . وهنا قدم رئيس المحطة العمومية مصطفى افندى درويش لمقابلته وتبليغه أن أمينا بك كلف عشرة جنود بحراسة الطريق التى سيمر منهـــا . وتلقى جونكر وهو فى واندى ردا من أمين بك على الرسالة التى كان بعث له بها وهو فى أرض كودورما وعرفه بأنه عقد النية على السفر الى لادو .

ورأى جونكر حدوث تغيير فى مركز مكراكا منذ رحلته الأخيرة مع انه مر مسرعا بأراضى هـذا المركز . ورأى ان الجنود العرب الذين كان يتألف منهم مجموع الحاميـة استبدل بهم عساكر نظاميـة تتولى شئونهم ادارة عسكرية غـــير أنه لسوء الحظ كان كل ذلك تحت رقـــابة وسيطرة ابراهيم افندى جورجورو النـــوبى وان كثيرا من الضباط الذين

كانوا يسيطرون عليه أمسوا الآن تحت إمرته .

هذه هى الحالة المحزنة التى وجد عليها جونكر هذه الجهات .

وفى ١٨ يناير يمم شطر واندى فى قافلة يحافظ عليها عدة جنود وتراجمة ومرت بالمحطة المتوسطة الصغيرة التى كانت قد أقيمت فى بلدة نيامبارا وقبل أن يصل الى لادو وجد فى البلدة المذكورة رسالة من أمين بك يرحب فيها بقدومه ويبلغه انه أعد له منزلا .

وفى ٢١ منه وهو التاريخ الذى يبلغ فيه لادو استيقظ الطبيب مبكرا وأخذت القافلة فى المسير وعندما اقتربت من المحطة بعث برسول ليبلغ أمينا بك خبر قدومها وأطلقت طلقات إعلانا بوصولها . وبعد ذلك شوهد فى الحال بعض أشخاص ممتطين بغالا ومعهم ستة من الجنود متشحين بكساو بيضاء وقادمين نحوهم . وكان هذا الجمع مكونا من أمين بك وسكرتيره احمد افندى محمود وصيدلى المديرية فيتا حسان . وبعد تبادل التسليمات الكثيرة والأشواق الوفيرة انطلق الكل سائرين على الأقدام الى ان بلغوا المحطة .

ولدى دخولهم الى لادو ـ وكان مركزها فى الموقع الذى كانت فيه ولم يتغير غير ان معالمها كانت قد تغيرت وأضحى ينكرها من رآها سابقا للتحسينات التى أدخلت عليها ـ استصحبه أمين بك أولا الى ديوان المديرية حيث قدم بعض معارفه من الموظفين القدماء للسلام عليه ثم ذهب معه الى ديوانه الخاص فتخيله جونكر سراية من السرايات الحقيقية بالقياس لما كان يقع عليه بصره من المنازل فى الازمان الأخيرة . وكان هذا

الدوان قائما على النيل فى وسط جنـــة ويشتمل على غرف فيحاء وهــــذه الغرف وان كانت مفروشة بأثاث على الطراز الذى كان يستعمله أمم عصور الفطرة إلا انه كان يفى بكل ما يتطلبه الانسان من وسائل الراحة فى قطر كهذا .

ودعا أمين بك جونكر أن ينزل فى ضيافته إلى أن تصل الباخـــرة المرتقب قدومها فلبى دعوته هذه منشرحا مسرورا . وانقضى شهر ينــاير براحة وهدوء . وبما انه كان قد مر زمن طويل ولم يتقابلا وكان لدى كليهما أشياء كثيرة يبثها للآخر فقد مر الشهر المذكور بسرعة البرق . ولما كان من المحقق تقريبا قدوم احدى البواخر وكان انتهى من رحلته وزع كل متاعه الذى كان فى الامكان الاستغناء عنه على أمين بك والموظفين الآخرين المقيمين فى لادو . ولكن حدث بعد ما لم يكن فى الحسبان إذ لم تأت الباخرة التى كان مرتقبا وصولها وكان لم يزل أمامه رحلة طويلة لبلوغ أوطانه .

وقد ذهب جونكر لزيارة كبار موظفى المديرية وهم : فيتا حسان الصيدلى ، و احمد افندى محمود رئيس السكرتارية ، و عوض افندى أمين المخازن ، و حواش افندى وغـــيرهم . وكان الأخـــير قد أخـــلى سبيله من الخدمة ويحاول الرجوع اليهـــا . وتردد مرارا على جونكر غير انه كان قد فرض على نفسه ان لا يتدخل قط فى مثل هذه الأمـــور ولذلك لم يستطع الافندى المذكور ان يجنى أية ثمرة من وراء تردده عليه ومع ذلك لم تغمض لجونكر عين عن ان يفكر فى أمر ضباط اتصفوا بالحميـــة والشجاعة مثل بخيت بك بتراكى و نور بك محمد اللذين كانا قد توليا قيادة

جنود المديرية ثم أرسلا الى الخرطوم . وان يفكر كذلك فى أمـــــر ضابط آخر أقيل من الخدمة وذهب الى دوفيليه واتخذ له فيها مقرا وهـو الضابط مرجان افندى الدناصورى . أولئك الضباط الذين كان يتحتم وجـودهم فى أوقات الشدائد المزمع ان تتمخض عنها الليالى .

وتقدمت لادو تقدما محسوسا جـدا فى السنوات الست التى غابها جونكر بعيدا عنها ففتحت فيهـــا شوارع متقاطعـة على شكل زوايا قائمـة وأقيمت فى المربعات التى نشأت عن هـذا التقاطع منازل للموظفـين مشيدة بالطوب الاحمر . وبنيت مكاتب الادارة والمحكمة الشرعية وأماكن الضباط وغيرها على طول النهر بالوصف السابق ذكره . وكل ذلك بمباشرة عثمان افندى لطيف وكيل المديرية .

وكان النهر فى لادو طاغيا على الضفة يجرف منها زهاء العشرين مترا وذلك فى بحر المدة التى غابها جونكر بعيدا عنها واضطر أمـين بك أن يتقهقر بسور منزله الذى كان قائما على النهر . أما الموضع الذى كان واقعا عليه دوان ومستودعات غوردون باشا فصار فى مجرى النهر .

وأهم متعة للنظر فى لادو البستان الذى أنشأه أمـين بك فى جنوب المحطة وغرست به سائر أنواع الخضر والفاكهة . وكانت أثماره تباع للموظفين بأثمان محددة . ويوجد فى المحطات الاخرى بساتين مثله ويعلم من هذا ان البساتين كانت ينبوعا يدر فوائد للحكومة .

وكانت الصيدلية القائمة بقرب منزل أمين بك مرتبة ترتيبا حسنا والادوية موضوعة فيها بنظام على رفوف فى خزائن . ويوجد فى القاعة مائدة مستطيلة

تقسمها قسمين وعليها الميزان والهاون وجميع ادوات الصيدلية . ويوجد خلفها بعض الأكواخ لاقامة المرضى وكل هذا مما يشرف الصيدلى فيتا حسان ويعلى قدره .

وكان يرتقب بفارغ الصبر الباخرة المزمع قدومها . ففى الأيام الأولى لم يعيروا الأمر كبير أهمية غير انه مع توالى الأيام وكرورها أخذت الافكار تتجه الى ان الأحوال فى الخرطوم صارت أكثر خطورة وأشد مما كانوا يتصورون .

وكان قبطان الباخرة الاسماعيلية التى سافرت من مشرع الرق الى الخرطوم فى ١١ ديسمبر أخبر ان باخرة اخرى كانت قد صدرت لها الأوامر بالسفر بعده من هذه المدينة الأخيرة الى لادو وها هو شهر فبراير قد أشرف على النهاية ولم يلح شىء فى الافق فأخذ الناس يتراشقون بالظنون غير انه لم يخطر ببال كائن أن يفترض أردأ الفروض واسوأها بل كان الأمل يحدوهم الى الاعتقاد بان منشأ هذا التأخير الحشائش النابتة فى منطقة السدود .

سقوط شمبى فى أيدى الزنوج والعمل على استرجاعها

وكان يلوح أن مديرية خط الاستواء غير مهددة بخطر عاجل بل كانت الظواهر تدل على ان الأمور فيها سائرة فى مجرى حسن . فالجنود قد عاقبوا الأجاريين الذين استولوا على محطة رومبيك ودمروها تدميرا عقابا زاجرا . وها هو ابراهيم افندى محمد على وشك أن يقيمها ثانيا بعد أن وطد أركان السلم فى منطقتها إلا أن تمرد الأجاريين أفسد أحوال جيرانهم الذين

يكتفون محطة شمبي وأضحت المواصلات بين هذه المحطة و لادو مهددة وأرسل أمين بك من هذه المحطة الأخيرة مركبا تقل ١٢ جنديا بقيادة الضابط المصرى عبد الوهاب افندى طلعت ليحضر له قمحا من محطة بور . وفى ٢٩ مارس بعد سفر المركب وقبل أن تبلغ المكان الذى يممته وردت الأخبار منبئة بسقوط شمبي فى أيدى الزنوج وقتل الحامية وتخريب المحطة .

وانحصرت الآن المخاوف على المركب وركابه فقط لأنه أضحى فى غير حيز الاستطاعة نجاتهم إلا بمعجزة إذ أنه حتى لو فرض انهم استطاعوا ان يشعروا فى الوقت اللازم بسقوط المحطة فى أيدى الثوار وأمكنهم الابتعاد عنها فلا يكون فى امكانهم عندئذ رجوع المسافة الفاصلة بينهم وبين لادو بالوسائل التى لديهم فى ذلك الفصل من السنة وهو فصل الرياح المضادة لاسيما ان تيار الماء يجرى عكسهم .

وساد قلق وكدر شديد على الباخرة المنتظر قدومها من الخرطوم لأنه اذا لم يتنبه قبطانها سلفا لسقوط شمبي فقد يجوز أن تقع الباخرة فى أيدى الزنوج حتى فى حالة ما اذا تمكنت من الافلات منهم كان يخشى أن تقفل راجعة الى الخرطوم ظانة أنه بسقوط شمبي سقطت بور و لادو أيضا . وعلى ذلك كان من المحتم استرجاع شمبي مهما كان الحال ومهما بلغت نفقات استرجاعها .

وكان ابراهيم افندى محمد خاليا من الأعمال فى ذلك الوقت بعد انتصاراته على الأجاريين وعلى استعداد للقيام بما يؤمر به فصدرت له الأوامر بالمسير على شمبي ومعه امداد . وأرسلت كذلك امداد الى محطة بوفى وهى أقرب محطة

من شمبي إذ انه كان يلوح انها فى حالة خطر .

وصدرت الأوامر من باب الاحتياط وتلافيا لما عسى أن يحدث من الامور ، باخلاء المحطات البعيدة وحشد جيوشها فى المحطات الرئيسية . أما محطة بور فانه وان كان لم يرد عنها خبر منذ شهر أبريل المنصرم أى بعد مرور آخر باخرة عليها فكان لا يستشعر بأى خوف بصددها اذ أنه كان يوجد لديها كثير من الميرة وبها ٢٠٠ من الجند .

وكان أمين بك فى هم من جراء مسألة تزويد لادو والعدد الكبير النازل بها من الموظفين والعساكر بالميرة فبعث بسكرتيره احمد افندى محمود الى محطتى دوفيليه و وادلاى الجنوبيتين ليستعجل وصول الحبوب الى المحطة .

ظهور السبب فى عدم وصول بواخر الى لادو

وفى ١٦ مارس كان ميعاد مرور عام على سفر آخر باخرة أقلعت من لادو فكان كل انسان يجد فى نفسه قلقا وغما ويتساءل عما عساه أن يكون حدث فى جهة الشمال خصوصا مع ما كانوا يعلمونه من أمر الثورة المهدية .

ووردت أخبار من مكراكا منبئة بحدوث تمرد موضعى فى محطة ريمو وقمعت ثورة المتمردين باعدام الرئيس جاندا مصدر هذا الشر . ويقول ابراهيم افندى محمد أيضا انه غنم عدة مئات من الابقار وانه على وشك السير على شمبي بقصد استرجاعها .

وفى نهـــاية الأمـر وردت فى ٢٦ مارس رسالة من لبتـــون بك مدير بحر الغزال أزاحت الستار عما كان قد تم فى الجهات الشمالية وأزال كل لبس وريبة .

وجاء فى هـذه الرسالة المعنونة الى أمـين بك ان الدنـكاويين أضرموا ثورة فى القسم الشمالى من مديريته فأخمـدها وأطفأ نيرانها وأخلد الثائرون الى الطاعـة . وانه عـــلم من خطاب مرسل من شخص كان من ضمن مستخدمى مديريته فى السابق الى شخص آخر مقيم عنده ان جيش الجنرال هكس باشا هزم وأبيد عن آخره وان هكس باشا نفسه وعلاء الدين باشا وكثيرا غيرهما قتلوا . وان مديرية دارفـــور سلمت للدراويش وان سلاطين باشا وقع أسيرا واعتنق الديانة الاسلامية وسمى عبد القادر وان المهـدى يزحف على الخرطوم .

وهكذا تجلى الموقف وعلم السبب فى عـدم وصول الباخرة وأخـــذ جونكر يتساءل عما اذا كانت الخرطـوم نفسها لم تسقط اذ انه كان من رأيه ان مصر وحدهـــا لا تستطيع اخمـــاد لهيب الثـورة . وبما انه كان يستشف من خـــلال الحوادث ان اقامته ستطول فى لادو رأى انه ليس من الكياسة والذوق أن يستمر فى ضيافة أمين بك اكثر مما مضى فطلب من هذا منزلا منعزلا فأجيب الى طلبه . وقد وعى أمين بك فى سره هذه الأخبار المشئومة وقتاما ولم يذعها لأحد من الجمهور .

وأرجع فى هذا التاريخ حواش افندى الى الخدمة وعين مديرا للمراكز الجنوبية واتخـــذت دوفيليـه عاصمة لهـذه المراكز . وصدرت له الأوامر باخـلاء المحطات التابعة لمركزى فاديك و فوىرا فى الشرق وحشد من بهـــما

من الجنود فى محطات الجنوب كما حصل تماما فى المحطات التابعة لمركز لاتوكا وقت سقوط شمبي . ولم يبق بعد ذلك فى قسم المديرية الشرقى غير محطة فاتيكو . وقد احتفظ بها لانها واقعة فى منطقة خصبة فيها كثير من الحب لتمير بالزاد المحطات الاخرى .

وورد فى خلال هذه المده اخبار سيئة عن شمبي . وبينما كانوا يخالون فى لادو ان ابراهيم افندى انجز مأموريته وانه جدد بناء المحطة إذا بكتاب جاء منه فى ٧ أبريل يقول فيه انه من المستحيل السير الى شمبي نظرا للنجدات التى ارسلها الى المحطات الاخرى اللهم إلا إذا أتاه مدد مؤلف من ٦٠٠ جندى . وكان من رابع المستحيلات اجابة هذا الطلب فى الوقت الحاضر للحالة الراهنة فتأجل استرجاع هذه المحطة الى وقت آخر إلا ان الايام تمخضت عن حوادث زادت الاحوال تعقيدا وارتباكا وجعلت هذا الاسترجاع بعيد المنال .

وفى ٢ أبريل قدم الى لادو ابراهيم افندى محمد و عبد الله افندى أبو زيد من مديرفى ، وضيف الله من أجاك التابعة لمركز رول بعد ان اداروا رحى الحرب على الاجاريين . وروى ابراهيم افندى ان دماء كثيرة أريقت فى هذه الحرب وانه شنق عدة رجال من رؤوس الثوار وارتأى فيما يختص بشمبي ان لا فائدة من تجديد إقامة محطتها الآن لأن الثوار يعودون لهدمها مرة اخرى . وهؤلاء الثلاثة أقاموا فى لادو الى آخر أبريل ثم عاد بعد ذلك كل منهم الى مركز عمله .

وفى أوائل مايو عاد فيتا حسان من رحلته فى الجنوب وفى ١٣ منه تسلم جونكر المنزل الذى أعده له أمين بك . ولدى تجهيز هذا المنزل

لاحظ جونكر وقد استولى عليه الدهش ان الآلات التى كانت تستعمل فى ذلك هى نفس الآلات التى كان قد استحضرهــا سير صمويل بيكر والتى بغيرها ما كان فى الاستطاعة القيام بهــذا العمل الضرورى إلا بعناء وتعب .

وقبيل أواسط شهر مايو علم أمين بك ان اللورون وهو رئيس من رؤساء البارين ذو قوة وبطش يهىء المعدات للقيام بهجوم على لادو . فكلف على افندى سيد احمد قومندان الرجاف بالتخلص منه والاستراحة من شره . وبعد أيام أشيع كذبا انه قضى نحبه وصار فى عداد الغابرين وان ابنه حل محله فى مركزه .

وفى ٢٣ مايو وردت خطابات من لبتون بك مفادهــا انه أغير على مديريته وان جيوش المهدى صارت على قيد ست ساعات من المديرية وانه قرر أن يقاتل الى النهاية ويطلب منه أن يبلغ أسرته الوداع الأخــير فيما لو عاجلته المنية .

وقد أطارت هذه الاخبار لب أمين بك . وكانت الأخبار التى وردت فى الدفعة الأولى من لبتون بك عن هزيمة هكس باشا قد كتمت وظلت خافية على الجمهور غير انهــا مع ذلك تسربت وعلمها الناس لأن ابراهيم افندى كان قد قصها على البعض من الأهالى عند حضوره . وأرسل أمين بك فى طلب ابراهيم افندى هــذا فى الحال لأن مديريته بها عدد كبير من الدناقلة الذين هم أهالى بلده وعاش بينهم سنين طويلة . وكان يأمل أن يستطيع منعهم من الانضمام الى المهديين بمساعدته . وبما أن كثيرا من الدناقلة تابعون لابراهيم افندى المذكور وهو موضع ثقة أمين بك فقد أراد أن

يفاوضه شفويا .

وصدرت الأوامر الى جنود محطات لاتوكا التى كان تقرر ارسالها الى محطة أمادى ـ وكانت قد قدمت ـ بالبقاء فى الرجاف موقتا .

ورود خطابين من الامير كرم الله ولبتون بك
وعقد اجتماع للنظر فى تسليم المديرية

وفى ٢٧ مايو دعا أمين بك جونكر للحضور الى الديوان مبكرا فذهب اليه فى الحال ونفسه تحدثه بانه لا بد أن يكون قد ورد خبر مشئوم فوجده جالسا فى مكتبه وأمامه مكتوبان احدهما من الامير كرم الله قائد القوات المهدية الذى استولى على مديرية بحر الغزال يطلب فيه باسم المهدى تسليم المديرية والثانى من لبتون بك يخبره فيه باستيلاء جيش المهديين على مديريته وكان مع هذين الخطابين ايضا منشور من المهدى يدعو فيه سكان المديرية الى الطاعة .

ولم تكن شخصية الأمير كرم الله مجهولة فى مديرية خط الاستواء . فقد كان دنقلاويا وأقام مدة فى شمبى . وكان يقصد بدعوته امينا بك والأهالى للخلود الى الطاعة قدومهم فى الحال الى بحر الغزال وإلا فهو يباذئهم بالعدوان واشعال نيران الحرب .

وبعد هذا الذى جرى وحدث كان لا فائدة من الاستمرار على تكتم الحالة أكثر مما مضى لأن المنشور بلا ريب كان قد وزع فى المديرية وعلم بمجرى الحوادث الخاص والعام .

فاستدعى امين بك عقد جمعية من كبار رجال المديرية تتألف من : ضباط الحامية الثلاثة الكبار ، والقاضى ، ومعلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية ، و فيتا حسان ، و عوض افندى ، و احمد افندى رائف وبعض موظفين آخرين .

وبعد تلاوة الخطابين والمناقشة تقرر ما يأتى :—

« حيث ان جيش هكس باشا عجز عن هزيمة القوات المهدية وان لبتون بك سلم مديرية بحر الغزال وانه من المستحيل حشد جنود المديرية بالسرعة اللازمة لمقاومة العدو مقاومة جدية فقد تقرر باجماع الآراء التسليم تفاديا من اراقة الدماء بدون جدوى » .

وصرح أمين بك بعد وضع هذا القرار انه مستعد للسفر الى بحر الغزال وطلب أن يعرف من يقبل من الحاضرين مرافقته فى هذه الرحلة فتقدم عدد كبير جدا وطلبوا السفر ولعل قبولهم هذا كان من باب الملاطفة أو التغالى فى التحمس . ودعت الحالة لاصطفاء البعض منهم فوقع الاختيار على القاضى ، و معلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية وهو من أسرة لها منزلة كبيرة فى دنقلة ، و موسى مأمور لاتوكا سابقا ، و احمد بابا الكاتب . أما جونكر فصرح بانه يحتفظ باعلان ما يستقر عليه رأيه بخصوص السفر أو عدمه الى ما بعد . إلا انه فى الواقع ونفس الأمر كان قد عقد النية على عدم السفر لأنه كان يعرف جيدا بأنه متى وصل الى الأمير كرم الله يدعوه الى اعتناق الديانة الاسلامية ويبعث به ليقضى باقى حياته عند المهدى .

وكان يرى من جهة القرار الذي اتخذ انه قرار صائب وأن لا مناص من العمل بما جاء به وانه ليس هناك وسيلة أخرى نظرا لبعثرة القوات في انحاء المديرية ولعدم كفايتها لصد هجمات جيوش المهديين ومقاومتهم مقاومة جدية ينتظر من ورائها نجاح أو فلاح . غير انه لم يكن من رأيه وجوب سفر أمين بك مع الوفد إذ أن في استطاعته أن يعتذر بأنه بقى ليحافظ على المديرية باسم المهدى وكان يكتفي بكتابة جواب يقدم فيه واجب الطاعة وبذلك يكتسب الوقت ويبرهن على انه خضع للأوامر . أما سفره فليس وراءه غير بث روح الفوضى في المديرية .

تقرير خطة الانسحاب الى الجنوب

وأرسل امين بك بلا توان الأوامر الى ريحان افندى ابراهيم مأمور مركز ممبتو بالانسحاب مع جنوده الى مكراكا وبعث في الوقت عينه أوامر بسحب جنود المحطات الواقعة جنوب محطتى مديرفى و ريمو . وكتب جونكر ايضا الى كازاتى في ممبتو حيث كان مقيما ان يرجع الى لادو بغاية السرعة .

وفي ٢٨ مايو أى غداة اليوم التالى للاجتماع الذى عقده أمين بك قدم فيتا حسان و عثمان ارباب و عوض افندى وقابلوا جونكر وطلبوا منه عدم مبارحة لادو لأنهم كانوا يرون من خلال الحوادث ان النظام سيختل كثيرا بعد سفر امين بك فهدأ روعهم بأنه سيبذل ما في وسعه في منع سفر المدير العام .

وانقضى يوم ٢٩ مايو بسلام ولم يحدث أى حادث . وأخذت أنفاس الهيجان

الذى ساد بادىء ذى بدء وأخـــذوا ينظرون الى الموقف بعين التعقل والفطنة واقتنع أمــين بك بأن ينبذ السفر الى بحر الغـــزال ظهريا ويكتفى بارسال الوفد .

وبما أنه عدا ذلك كانت الخواطر تهدأ مع توالى مرور الأيام وتنجلى أمام أعين الناس الحالة التى هم عليها فقد انكشف لبصرهم ما يمكن أن يبطنه الغد . فـــلو فرض أن المهديين استقر بهم الرأى على أن يهاجموا المديرية ففى غير امكانهم القيام بذلك الهجوم إلا بعـــد عدة شهور . وفوق هـــذا فان حالة مديرية بحر الغزال لا يمكن موازنتها بمديرية خط الاستواء .

فقد كان لا يوجد تحت سيطرة لبتون بك سوى بضع مئات من الجنود النظامية . أما رجاله الآخرون فمن العرب الذين أظهروا الخيانة امام العدو واضطروه بعملهم هذا الى التسليم بينما يوجد لدى أمين بك ٢٠٠٠ مقاتل من الجنود السودانيين النظاميين مسلحين بسلاح رمنجتون يقودهم ضباط قضوا زمنا فى الخدمة وخبروها ويمكن التعويل عليهم . وعدا هذا فان العداوة المستحكمة بين الجنسين خير كفيل لعدم وقوع خيانة .

وتباحث أمين بك وجونكر معا بصدد الموقف وعن أقـــوم خطة يجب اتباعها فاستقر رأيهما من غـــير تردد على انه من غير المستطاع السير نحو الشمال للارتياب الذى هم فيه بشأن الحوادث الواقعة فى الاتجـــاه المذكور . أما فيما يختص بخطة الانسحاب عن طريق زنزبار فهـــذه الخطة تنفيذها غير ممكن عمليا لكثرة عدد النساء والاولاد الذين تستلزم الحالة نقلهم .

وأخيرا تبين لهما أن الحل الوحيد الممكن عمله هو الانسحاب نحـــو محطات الجنوب مع ترك حاميـــة صغيرة فقط فى لادو بصفة طليعة . وهـذه الخطة الأخـــيرة لم تنفذ برمتهـــا إذ أنه لم يرسل الى دوفيليه إلا الكتبة ودفاتر الحكومة .

وكان جونكر ينوى السفر الى الجنوب إلا أنه رأى ان ينتظر من أجل تنفيذ هـذه النية سفر الوفد برياسة القاضى ومع ذلك فقد أخـذ يتأهب لهـذه الرحلة وأعطاه أمـين بك حمارا و ٣٠٠ ريال لأن النقود التى كانت فى حوزته لم يبق منها سوى ٧٥ ريالا .

وكان يرتقب قـدوم ابراهـيم افندى محمـــد بين يوم وآخر غير انه لم يأت وفى نهاية الأمر ورد خطاب منه يقول فيه انه لا يستطيع الحضـــور حالا لأنه ينتظر قدوم ناس من بحـر الغزال . وربما كان هذا بدء الشروع فى الخيانة .

وأخيرا فى ٣ يونيه سافر الوفد ورافقه أغلب أهـــالى لادو حتى خـارج باب المحطة الكبير . وفرغ جونكر من اعداد معدات السفر وبينما هـو يتـأهب للمسير فى ٥ منه اذا بجنـدى من جنود مراسلة لبتـون بك قد قدم وقص أن هذا سرحه قـائلا له أن انج بنفسك وانه رأى المهـديين يحرقون دفاتر الحكومة وانهم باعـوا علنا أهـالى الجنود وانه على ذلك تعلق بذيل الفرار هو وآخرون من رفاقه .

ولقد عاد ما قصه هذا الجندى بفائدة جلى إذ جعل العساكر تلازم جانب الطاعة وبث فى نفوسهم تأثيرا عميقا لا يمحوه كرور الايام .

وفى ٦ منه تقابل جونكر مع أمين بك عدة مرات وسلمه خطابات بقصد تصديرها إذا قدمت باخرة أثناء غيابه . وقد نظما قانونا للمخابرات السرية بينهما فى حالة حدوث أشياء هامة .

وفى ٧ يونيه استأذن جونكر من أمين بك وفارقه والأسى ملء جوانحه لما قدمه له من المعروف وحسن المعاملة . وكان يشعر بكثير من الغم أيضا لأنه سيسافر بدون معداته التى كان قد وزعها ولانه كذلك فقد جميع مجموعاته التى كان قد جمعها فى غضون رياداته الأخيرة تلك المجموعات التى تركت فى بحر الغزال .

وكان كل قصده الوصول الى ساحل زنزبار عن طريق أونيورو و أوغندة وكان يقدر سلفا امكان التشبث بضيافته زمنا طويلا عند ملكى هذين البلدين الأخيرين وهما كباريجا و امتيسا . اللذين لم يبلغه الى ذلك الوقت خبر وفاتها .

وكان من بواعث اشجانه أيضا ان التجارة التى كانت نشطت وازدهرت فى السنين الخوالى بين أونيورو و أوغندة ومحطات مديرية خط الاستواء الجنوبية قد انقطعت منذ زمن وأدركها العفاء .

وكان لم يصل الى أمين بك فى الواقع ونفس الأمر أخبار من أوغندة من وقت ما رجع منها الدكتور فلكن عام ١٨٧٩ م ويجهل جهلا تاما ما كانت عليه المحطات التى أقامها أولئك المبشرون أهى لا تزال باقية أم أصبحت أثرا بعد عين . ومما زاد فى طول المسافة التى يتعين عليه ان يجوبها بين هذين البلدين والبلد الخاضع لسيطرة الحكومة اخلاء محطات مديرية خط

الاستواء الجنوبية .

سفر جونكر الى الرجاف

وكان الطريق وقت سفره من لادو التى كان يظن انه لن يراها بعد ممتدا على شاطىء النهر والأمن فيه موطد الأركان لأن المحطات التى كانت قائمة على طوله كان رابط فيها جنود نظامية سودانية بقيادة ضباط من جنسهم أو مصريين وكان جميع الدناقلة موزعين بين مكراكا و ممبتو و رول .

وكان جونكر يسافر برا على ظهر حمار وقابل اثناء مسيره ثلة من الجند عائدة من لاتوكا وكان كثير منهم مصابا بالمرض المسمى « فرانتيت » Frantit وكان ٢٥ منهم محمولين على نقالات . وهذا المرض كان محصورا فى مركز من مراكز هذه المديرية فيه يشرب السكان ماء راكدا واغلب المرضى قادمون من هذه المحطة بينما كان سكان المحطات الأخرى سالمين من هذا المرض .

ومر حيال غندوكورو القائمة على الضفة الأخرى وكانت بها حامية صغيرة وكانت هذه المحطة فى سالف الأيام عاصمة مديرية خط الاستواء . وقضى ليلته الأولى فى قرية من قرى الباريين ووصل ثانى يوم سفره الى محطة الرجاف ونزل بها فى ديوان أمين بك فوجدها تموج بالجنود العائدين من المحطات التى أخليت . وقد قضى يوما فى الرجاف واشتبك فى الحديث مع العساكر الرابطين بها فتأكد من هذه المحادثة أن الجنود سيظلون موالين للحكومة لأنهم يشنئون العرب ويبغضونهم من أعماق قلوبهم ويرون

انه لا ينتظر من وراء هؤلاء خير .

ومن ضمن المبالغات التى سمع بهـا جونكر القول ان جيشا من المهـديين مؤلف من ٢٧٠٠٠ مقاتل على وشك المسير الى مـديرية خط الاستواء وأخذ يجول فى فكره أن البلد لا يستطيع قط أن يتحمل جيشا عرمرما كهذا .

سفره الى لابوريه

وفى ٩ يونيه بارح جونكر الرجاف وأفضى فى عشية هذا اليوم الى بيدن بعد أن قطع معظم المسافة مشيا على الأقدام . وهـذه المحطة واقعة فى جزيرة يوصل اليها بواسطة طوف « معدية » يسير بواسطة حبل من الصلب . وقضى الليل فى اكواخ غاية فى النظافة . وتوجد فى كل محطة اكواخ كهذه خاصة بأمين بك وقدمت اليه لوازمه جميعها .

وأقلع جونكر فى اليوم التالى مبكرا على ظهر مركب يجرها الرجال من الضفة باللبان « الحبل » وكان تقدمها فى السير بطيئا لشدة جريان الماء وسيرها فى اتجاه مضاد للتيار فدعت الحالة الى المبيت فى الطريق ومقاساة الصعاب بسبب الامطار ولم يصل الى كرى أى المحطة التالية إلا فى الغد . وكان قائد المحطة ضابطا مصريا يقال له فولا افندى . وقد قابل جونكر وذهب به الى ديوان أمين بك وهو قائم وسط مزرعة من شجيرات الموز وفيه نزل . وقد تناول صاحب المركب الذى أقله من بيدن الى كرى أربعة ريالات أجرا .

وبلغ جونكر ان احمد افندى محمود سكرتير أمين بك الذى كان قد

أرسل الى محطات الجنوب من عدة شهور ليستعجل ارسال الحبوب أصبح على وشك المجيء من موجى فقرر انتظاره . وفعلا وصل هـذا فى غد اليوم التالى الموافق ١٢ يونيه وسمع قصص الحوادث التى وقعت فى مدة غيابه بلهف وشغف عظيم . وبما انه كان عائدا بمقادير كبيرة من المؤن فقد أعطى مقدارا منها الى جونكر وتناولا الغداء معا . وفى الغد عاود احمد افندى المسير موليا وجهه شطر لادو وسافر جونكر فى اتجاه محطة موجى برا فدخلها فى اليوم نفسه مساء ونزل كالعادة فى أكواخ أمين بك القائمة فى أعلى مجرى النهر ولنفاسة هـذا الموضع عزم على الأقامة فيه يوما .

وفى ١٥ يونيه سافر فى اتجاه لابوريه وبلغها فى اليوم عينه ونزل فى اكواخ لم تصل درجتها فى النظافة المنزلة المطلوبة وما ذلك إلا لعدم وجود أكواخ برسم أمين بك فقضى ليلة كريهة . وبما انه كان يتحتم عليه أن يقضى الليلة القادمة فى خور أيو الواقع على مسافة ساعتين فقط من لابوريه فلم يشرع فى المسير إلا عندما انتصف النهار وأرسل يطلب من حواش افندى فى دوفيليه حمارا قويا للركوب .

ومحطة خور أيو Khour Ayou قائمة فى الموضع الذى يصب فيه النهر المسمى بهذا الاسم ماءه فى النيل . ويوجد فى هذا المكان معدية لعبور النيل . وأنشئت هـذه المحطة للمحافظة على المعدية ولتقصير المسافة بين لابوريه و دوفيليه لأن هـذه المسافة لا يمكن قطعها فى يوم واحد . ويوجد فى هذه المحطة مسكن لأمين بك نزل فيه جونكر . وانتدب شخصا ليكترى له حمارا فعثر على حمار واكتراه بريالين ودفعهما وقيل له بعد ذلك ان صاحب

الحمار متغيب وزوجه تأبى تسليم الحمار . ولم يستطع السفر فى اليوم التالى لأن ثلاثين شخصا من حماليه تعلقوا بأذيال الفرار ليلا وما أمكن ارجاعهم إلا فى المساء .

وفى ١٨ يونيه رحل جونكر مبكرا لأن المسافة التى يتعين عليه قطعها الى ان يصل الى دوفيليه طويلة . والحمار الذى كان قد أحضره معه من لادو مشى فى ذلك اليوم بخطوات سريعة إذ أنه كان قد استراح فى اليوم السابق . ويمتد الطريق ومجرى النيل مسافة ساعتين ثم ينعرج الى داخلية البلاد ليتحاشى التلال الممتدة لغاية النهر الذى لا يعود المسافر أن يراه إلا لدى بلوغه دوفيليه . وكان وصوله الى هذه المحطة فى الساعة الثالثة مساء . وقد قابل فى منتصف الطريق بغلة مرسلة له من قبل حواش افندى فركبها فى المسافة الباقية من الطريق .

وقدم حواش افندى والضابط المصرى ابراهيم افندى حليم والضابط السودانى مرجان افندى الداناصورى لمقابلة جونكر وليسلموا عليه . وذهب به حواش افندى الى داره وفيها نزل . ووجهت اليه أسئلة كثيرة عن جميع ما كان قد حدث فأخبرهم بما وصلت اليه الأحوال وأراد هو أيضا أن يعرف مجرى الحوادث فى جهات الجنوب فوعده مرجان افندى الذى كان قد أعيد الى الخدمة وأزمع أن يسافر فى اليوم التالى الى وادلاى على متن الباخرة « الخديو » ، أن يواصله بأخبارها .

واستقر بجونكر الرأى على أن يطيل مدة اقامته فى دوفيليه فأخذ الاستعدادات اللازمة لذلك . وكان فى السكن الذى نزل به وسائل الراحة . وبعد بضعة أيام انتقل حواش افندى الى داره الجديدة . وبقى جونكر وحده

فى الدار القديمة الأمر الذى سره لأن دوفيليه أخذت تموج بالسكان بسبب استمرار قدوم الكتبة والمستخدمين المنقولين من لادو .

وفى ٢٤ يونيه رؤى هلال شهر الصوم فأطلقت المدافع ايذانا بحلوله . وكان جونكر ينتظر كل يوم بفارغ الصبر ورود أخبار من امين بك لأن سفره كان يتعلق بما قد يمكن ان ينبئه به ولسوء الحظ لم يأت من قبله خبر جديد . وجميع ما كتبه له مصدره اشاعات أذيعت لا أكثر . واستدعى امين بك حواش افندى الى لادو لكى يحضر اجتماعا تقرر عقده فيها للمداولة فاعتذر عن الحضور لكثرة ما عنده من الأعمال .

وبعد سفر مرجان افندى الدناصورى وردت أوامر من لادو تقضى بذهابه الى محطة امادى ومعه عدد من جنود المحطات التى أخليت وتسلم قيادتها واعدادها للدفاع فساد على الفور من وادلاى التى لم يكن قد بارحها بعد وسافر فى اتجاه الجنوب وعلى هذا لم يستطع ان يأتى جونكر بخبر من الاخبار من هذه الاصقاع .

وسافر مرجان افندى مع حواش افندى فى ٥ يوليه الى لادو .

ووقع أغلب خدام جونكر فى مخالب المرض فى غضون اقامته فى دوفيليه ولم يستطع ان يهىء له شيئا للطهى والتزم ان يقبل ضيافة الضابط المصرى مصطفى افندى وصار هذا يرسل اليه اكلتين فى اليوم وكان جونكر يبعث اليه فى كل مرة يذبح فيها خروفا مقدارا منه وكان يبعث منه كذلك للاشخاص الذين يرسلون اليه طيورا ومن بين هؤلاء كاتب قبطى يقال له باسيلى افندى .

ووافق آخر يوم فى شهر رمضان ٢٤ يوليه وأعقبه عيد الفطر فذهب جونكر الى اصدقائه وزارهم واضطر ان يوزع على سبيل الهدية ما قيمته ٢٥ ريالا للخدم ولصغار المستخدمين وصغار المحطة .

عدول جونكر عن السفر الى الجنوب

وفى آخر شهر يوليه آب حواش افندى من لادو الى دوفيليه وأخبر ان مرجان افندى عين قومندانا فى محطة أمادى وان حاميات بوفى و أجاك و روميك أرسلت الى هذه المحطة حتى أنه لو حدث قتال تكون محطة أمادى المذكورة بمثابة حصن أمامى للادو . وعين فرج افندى يوسف الذى كان قائداً فى تنجـازى قومندانا فى مكراكا بدلا من سليم افندى الذى استدعى بسبب بعض تهم وجهت اليه ونقل الى دوفيليه وأرسل فيما بعد هو وسليمان افندى الى المحطة الجديدة التى أقيمت فى أبى نخرة Abou Nakhra على الضفة اليمنى بين دوفيليه و وادلاى .

وظل حواش افندى قائدا للمحطات الجنوبية لغاية لابوريه وتولى ابراهيم افندى حليم قيادة لابوريه و موجى و كري وكان متغيبا فى مأمورية بناء محطة أبى نخرة .

ولم يشأ جونكر أن يتوغل فى السفر جنوبا أبعد من دوفيليه لأن الآمال كانت لم تزل تساوره بقدوم باخرة يوما من الخرطوم وعندئذ يكون بعيدا كثيرا ولا يكون متوافرا لديه الوقت الكافى للرجوع وركوب تلك الباخرة إذ كان من رأيه ان المدنية لا تترك مطلقـا المسيحية تعبث فى اكناف السودان . وبناء على ذلك رجع قبيل أواخر شهر أغسطس عن

رأيه الأول القاضي بذهابه نحو الجنوب الذى لم يصل اليه من أخباره شيء وظن انه يكون من المستحسن والأفضل الاقتراب من الجهة الشمالية . وعدا ذلك فان أمينا بك أرسل اليه دعوة بالحضور الى لادو إلا أنه قرر أن لا يذهب لغاية هذه المحطة بل الى كرى فقط وراقب منها مجرى الحوادث .

وفى ٣٠ أغسطس سافر حواش افندى و سليمان افندى الى وادلاى ليتوجها منها الى محطة أبى نخرة الجديدة لافتتاحها . واتفق جونكر من جهته مع مصطفى افندى الضابط المصرى الذى كان مقيما فى دوفيليه ونقل الى محطة خور أيو على أن يسافرا معا الى هذه المحطة . إلا أنه بعد أن انتظره مدة لينجز ما لديه من الأعمال رأى ان المسألة ستطول فسافر بمفرده فى ٤ سبتمبر من دوفيليه .

وبعد أن قضى جونكر ليلة فى خور أيو وصل إلى لابوريه وقضى فيها يوما ثم سافر الى موجى وأقام فيها كذلك يوما وسافر منهـا الى كرى ولدى وصوله نزل فى دار أمين بك وكتب إليه بوصوله . وكان فولا افندى الذى كان قائدا لهذه المحطة وقت سفره فى الذهاب قد نقل الى أمادى تحت رياسة مرجان افندى وعين محله احمد افندى الاسيوطى [1] وهو ضابط سودانى من رجال عهد سير صمويل بيكر . وقد بذل ذلك الضابط كل ما فى وسعه فى سبيل راحة جونكر مدة اقامته .

---

(١) — هو مثل مرجان افندي الدناصوري من ابناء السودان وقد توطن بمديرية أسيوط فنسب اليها وجند مع من جندوا من ابناء القطر المصرى للسفر فى الاورطة المصرية فى حرب المكسيك ثم عاد منها ولحق بالخدمة فى السودان .

عودة جونكر الى لادو

وفى ١٤ سبتمبر لحق ابراهيم افندى حليم بجونكر فى كري . وقرر جونكر الذهاب الى لادو طوعا لارادة أمين بك الذى كان يلح فى ذلك .

وفى ١٥ منه اتخذ سبيله فى اليم على متن سفينة المحطة التى وضعها أمين بك تحت تصرفه . وكان بمعيته ابراهيم افندى ووجهته بيدن . وقدم له احمد افندى قبل أن يسافر سلتين كبيرتين على سبيل الهدية مملوءتين فولا سودانيا . ويزرع هذا النوع بكثرة فى جهات كري .

ولم يجد جونكر فى بيدن قائد المحطة وكان قد ذهب لجمع العلف من الضواحى . وبعد ان قضى الليل بلغ فى ١٦ سبتمبر الرجاف وفيها وجد على افندى سيد احمد وهو من اقدم ضباط المديرية وحائز لثقة أمين بك التامة . ونقله هذا عند بدء الاضطراب قائدا للحرس فى لادو . واستعيض عنه فى الرجاف بضابط مصرى آخر من أمادى يقال له عبد الله افندى وعين بدل هذا فولة افندى من كري .

وصوله الى لادو والحوادث التى وقعت فى غيبته

وفى ١٧ سبتمبر شخص الجميع الى لادو ولدى مرور جونكر بغندوكورو وقف ليزور هذا الموضع التاريخى الذى اتخذته الحكومة بادىء الأمر قاعدة لها ومنه دوخ سير صمويل بيكر كل الاراضى الواقعة جنوب ممتلكات مصر وأخضعها . وبعد الغداء استمروا فى طريقهم غير انهم لم يصلوا الى لادو

الا وقت العصر بسبب هبوب الرياح من جهة الشمال بشدة . وكان امين بك وبعض الاصدقاء فى انتظار جونكر فى الموردة وبعد تبادل عبارات التحية والتسليم أخذه وأسكنه فى منزل عثمان ارباب الذى كان خاليا لداعى سفر صاحبه مع الوفد .

وبما ان خدم جونكر ما كانوا قد وصلوا بعد فقد نزل هو ضيفا على أمين بك مؤقتا . وأول محادثات دارت بينه وبين أمين بك كان موضوعها بالطبع الحوادث التى وقعت فى خلال غيبته . وهذا ما علمه :

أرسل الأمير كرم الله الى جميع موظفى المديرية كتبا كالتى بعث بها الى أمين بك : أى الى عثمان افندى لطيف فى رومبيك ، و ضيف الله فى أجاك ، و ابراهيم افندى فى مكراكا . وكتب هذا الأخير الى امين بك يخبره انه ارسل الى أمادى البغلة التى طلب منه إرسالها ليركبها فى سفره الى بحر الغزال وأنه سيقابله فى محطة أمادى المذكورة . وبناء على ذلك جمع ضابط مصرى يقال له خليل افندى مرعى مرءوسيه فى مكراكا وقال لهم : « لكل واحد منكم أن يذهب حيث شاء إذ ان الحكومة اندثرت وزالت » . وعندما سمع امين بك هذا النبأ انتدب فى الحال ضابطا و ١٠ من الجنود للقبض على ذلك الضابط .

وورد بعد ذلك بزمن يسير تقرير من بلال افندى بكابايندى يقول فيه ان ابراهيم افندى جورجورو أرسل ٢٠٠ رجل من الاهالى ليجمعوا النساء والاولاد وأخذهم وأخذ معهم الأسلحة والذخيرة التى فى مستودعات واندى وخرب كابايندى تخريبا تاما تقريبا ووضع الأغلال فى عنق مصطفى افندى درويش واقتاده معه وسافر مع خليل افندى مرعى وحازبيه الى بحر

الغزال . وهكذا تمت نبوة جونكر عن هذا الرجل .

وكتب عثمان ارباب من امادى وهذا هو سكرتير أمين بك الذى سافر مع الوفد يقول ان الأمير كرم الله سيبارح بحر الغزال ميمما لادو فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه . وكتب كذلك ضيف الله يقول ان مع الأمير كرم الله فى بحر الغزال ٧٠٠٠ مقاتل .

وورد نبأ من محطة رومبيك أن العرب فيها تركوا المحطة عندما سمعوا أن مديرية بحر الغزال سقطت لينضموا الى الأمير كرم الله وان الزنوج ذبحوهم فى اثناء الطريق وبذلك أضحت رومبيك واقعة فى الخطر فأمر امين بك باخلائها وتوجيه حاميتها الى أجاك . وكلف امين بك قائد هذه المحطة الأخيرة سليمان افندى بهذه المأمورية فذهب الى رومبيك على رأس ١٨٠ جنديا وجرد العرب الذين كانوا قد تخلفوا فيها من الأسلحة وأرجع الجنود ومدفعين والذخيرة وبعض المؤونة الى اجاك فى ١٧ أغسطس . وأخليت كذلك محطتا اجاك و بوفى بعد هذا التاريخ بزمن يسير وانضمت حاميتها الى حامية امادى لتقويتها .

وجاهر العرب فى مركز رول من أول الأمر بالعدوان والكراهة للحكومة . وجرد صياد من صيادى الافيال يقال له على كركوتلى العساكر المرابطين فى محطة صيادين الصغيرة من أسلحتهم وذخيرتهم وأخذهم أسارى . ولما نقل مرجان افندى من دوفيليه الى أمادى أرسلت إليه الأوامر بأن يبعث تكفارا رئيس الزنوج المقيم على مقربة من المحطة والذى ما فتىء مواليا للحكومة لمعاقبة على كركوتلى .

أما عن الوفد فقد علم جونكر انه قام نزاع بين أعضائه وان البعض منهم رجع الى محطة صيادين . وكان هذا الخبر صحيحا لأن أمينا بك قد وصل اليه فى ٢٠ أغسطس من مرجان افندى خطاب أرسله اليه عثمان ارباب من المحطة المذكورة يقول له فيه أنه قدم من بحر الغزال حاملا مراسلات برسم أمين بك حاوية أخبارا سارة ويطلب ارسال رجال لاحضاره لأنه مستعجل . وأرسل اليه مرجان افندى الرجال فى الحال . ومع انه قد قضى الوقت الكافى لقدومه فهو لم يحضر للآن وما فتىء أمين بك ينتظره فى لادو الى تلك الساعة . وفوق ذلك فانه هو وجميع أعضاء الوفد الآخرين الذين سافروا لم يعودوا بعد مطلقا وظلوا مع الثائرين .

ووردت فى نهاية الأمر أخبار طيبة من محطة بور بعد أن ظلت أخبارها منقطعة ستة عشر شهرا وتبين من هذه الأخبار ان الضابط عبد الوهاب افندى طلعت والاثنى عشر جنديا الذين كانوا معه نجوا جميعا وان الزنوج قاموا بهجمة فصدت وان الحالة مرضية .

ولم يبق من المحطات الواقعة على ضفة النيل الشرقية إلا محطتى بور و غندوكورو ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتى :

لم يهاجم مهديو بحر الغزال مديرية خط الاستواء وعلى هذا يجوز أن يكون عدد رجالهم الذى قدم من كردفان غير كبير أو أن الناس الذين قدموا منها توطنوا مديرية بحر الغزال . ويظهر ان قوة العدو التى يعتمد عليها فى هذه المديرية تنحصر بالأخص فى العرب الذين كانوا مقيمين فيها من قبل واحتل هؤلاء بالاتفاق مع من قدم محطات خط

الاستواء الغربية وشحذوا غرار العـــزم على القيام بهجوم على محطة أمادى . ووقع فى أيدى الثائرين عـلاوة على أجاك التى كانت قد أخليت ، المحطات الصغيرة الواقعة جنوب غرب رول عا فيها « صيادين » . وكانت محطتا كاليكا و لوجـو Kalika & Loggo قد أخليتا كذلك . أما ممبتـــو فكانت لم تزل محتلة ومثلها محطات مكراكا الواقعة شرقا . ونقلت حاميـة بوفى وانضمت الى حامية أمادى لتقويتها وأحيطت هذه بسياج من الخنادق وصارت الحصن لحدود المديرية والنقطة الحصينة الأمامية للادو .

هذه هى الحوادث التى حدثت فى أثناء غيبة جونكر والحالة التى كانت عليها المديرية يوم ١٧ سبتمبر أى تاريخ رجوعه الى لادو .

جمع الحاميات فى أمادى وتحسن الحالة

وفى ٢٦ سبتمبر وصل خـــدم جونكر الذين كانوا قد تخلفوا عنه ورتبوا منزله . وكان يصل اليه كما كان ذلك جاريا فى المدة السابقة راتب من اللحم والخضر من الحديقة واردب ذرة من مستودعات الحكومة .

وفى ٢٨ منه دعى جونكر لتناول الغداء فى منزل فيتا حسان هو و احمـد افندى محمـود و ابراهيم افندى حليم . وكانت دار فيتا حسان ممتازة أكثر من غيرها من الدور فى لادو لأنه كان قد استحضر أشياء حين رحلته الأخيرة الى الخرطوم . فقد كان يوجـد عنده البن والسكر وهما من الأشياء التى كانت لا توجد عند غيره ولا عند أمين بك . وكان هـذا يستعمل مثل الآخرين الـكركدب وهـو حبوب شجيرة يجمرها الزنوج ويعملون منها منقوعا يشربونه عوضا عن القهوة .

ووافق أول اكتوبر أول أيام عيد النحر فعمل أمين بك فى بكرة النهار حفلة استقبال فى ديوان المديرية حضرها جميع الموظفين الملكيين و العسكريين فجلس كبارهم مع المدير العام وقدمت لهم المرطبات بحضوره . وأما الآخرون فانسحبوا بعد أن سلموا عليه الى ديوان مجاور لاقوا فيه الحفاوة والاكرام .

وحضر جونكر بالطبع هذا الاحتفال وجلس بجانب أمين بك .

وبعد العيد عقد زواج ابراهيم افندى حليم على كريمة على افندى سيد احمد وفرض لها مهر قدره ١٥٠ ريالا وأقيم لذلك حفلة كالمعتاد رغما عن أوقات الشدة التى كان يصطلى الناس بنارها .

وفى ٩ اكتوبر سافر على افندى سيد احمد و ابراهيم افندى حليم و فيتا حسان من لادو فذهب الأول الى الرجاف ليتمم عملا كان قد شرع فيه ، والثانى الى مركز عمله وهو مأمورية محطات لابوريه و موجى و كري ، والثالث ليعود مرضى المحطات الجنوبية وبالاخص دوفيليه حيث كان المستخدمون فى انتظاره .

وحفر فى مدة غياب جونكر عن لادو خندق حول المحطة والتراب الذى خرج من الحفر عمل منه متراس نصب عليه مدفعان أحدهما فى الزاوية البحرية الغربية والثانى فى الزاوية الجنوبية الغربية . وقد باشر هذا العمل الضابط المصرى محمود افندى العجيمى وأحسن اتمامه . وهذا الضابط اشترك فى حرب الترك مع الروس سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ م .

وفى ١٠ منه ورد بريد من مرجان افندى وبه عدة كتب من بينها كتابان من الأمير كرم الله لأمين بك منطوقهما كمنطوق كتبه السابقة إلا

أنه زاد على ذلك ان قال ان قدومه الى لادو فى القريب العاجل من الأمور التى لا بد منها والمسألة الاساسية فى الحالة الراهنة هى مسألة الدفاع عن أمادى وكان قد أقيم حول هذه خندق كالذى عمل حول لادو ووصل اليها حاميات المحطات التى أخليت والتى وصلت اليها الأوامر بالذهاب اليها . وأرسل أمين بك بعض أوامر الى مكراكا واستدعى فيتا حسان و على افندى سيد احمد .

وفى ٣٠ اكتوبر حاول أمين بك ارسال خطاب الى بور وبعد ٢٠ يوما من هذا التاريخ ارتد له خطابه لان الطريق كان يحاصره الزنوج الثائرون . وفى اليوم ذاته أبلغ أمين بك جونكر ورود خطاب من مرجان افندى صادر عن أمادى يقول فيه انه أرسل الى محطة صيادين بعض الثقات بقصد الحصول على أخبار وان هؤلاء رجعوا وأخبروا بأنهم لم يتسن لهم الحصول على أخبار عن الأمير كرم الله ولا عن رجاله غير أنهم سمعوا من ناحية أخرى ان الرجال الذين كانوا بصيادين يستعدون للهجوم قريبا على أمادى بقيادة على كركوتلى والشيخ حسن واد الطيب . ويقول مرجان افندى علاوة على ما ذكر ان حامية أجاك بمدافعها وذخيرتها ومتاعها وصلت سليمة معافاة أما حامية بوفى فلم تزل الى الآن فى الطريق . ويقول كذلك ان الحامية على أحسن استعداد وان الوفد الذى كان قد سافر من لادو باق بأكمله مع الثوار . وهذه الأخبار سارة لاسيما الخاص منها بحامية أجاك التى كان يسود بصددها القلق والجزع .

وهكذا انتهى شهر اكتوبر وكانت الحالة قد تحسنت تحسنا بينا لجمع الحاميات التى كانت مشتتة وحشدها جميعها فى أمادى . وكان أهم الأمور

الآن محاولة استكشاف قوة العدو . أما العرب فجاهروا بالثورة بعد خيانة ابراهيم افندى جورجورو وما قام به على كركوتلى فى محطة صيادين Sayadin .

وفى ٨ نوفمبر ورد تقرير من أمادى مذكور فيه ان قوات قادمة من بحر الغزال أمست على وشك أن تهاجمها هى و مكراكا بقيادة عبد الله و على كركوتلى و طاهر . وانه أذيع ان عددا من جنود حامية شمبى لاذ بالفرار على سفينتين بقصد الانحدار مع النيل والوصول الى فاشودة وان إحدى هاتين السفينتين وقعت فى أيدى الزنوج لخطموها .

وفى ١٤ منه قدم رجال من ناحية الجنوب يحملون رسائل من أنفينا يقول فيها إنه بعد اخلاء محطة فويرا بادأه جاراه الشرقى والجنوبى بالعدوان ، وهذان الجاران هما كاميزوا Kamisoa بن ريونجا الذى عقد محالفة الدم مع سير صمويل بيكر ، و كباريجا ملك أونيورو . ويطلب أنفينا من أمين بك اعادة احتلال المحطة المذكورة لحمايته هو وأراضيه من أعدائه .

وكانت الاحوال الحاضرة لا تسمح باجابة هذا الطلب فكتب له أمين بك انه عندما تتحسن الحالة وتأتى الباخرة من الخرطوم يصير احتلال المحطة ثانية . وانتهز جونكر هذه الفرصة ليرسل خطابات الى المبشرين الذين كان يحتمل وجودهم فى أوغندة . وأوصى أمين بك حاملى الرسائل أن يطلبوا من أنفينا موالاته بارسال المكاتيب .

وفى ١٣ منه كان قد ورد خطاب من مرجان افندى يذكر فيه ان العرب يقتربون واستولوا على قرية تكفارا المجاورة لأمادى . وجاء بعد ثلاثة

أيام خطاب من عبد الله يقول فيه لأمين بك انه عين على رأس القوة التى ستستولى بأمر الأمير كرم الله على المديرية والخطاب محرر بخط كاتب من لادو وكان قد سافر مع الوفد وصار الآن فى خدمة عبد الله .

وفى ١٧ نوفمبر ورد خطاب من مرجان افندى جاء فيه أن الثائرين هاجموا المحطة وصدوا بعد ان تحملوا بعض الخسائر . وتكررت هذه الهجمات فى الايام التالية فكانت النتيجة كالمرة الأولى . وجاء فيه ايضا خبر وصول حامية بوفى . وقد بعث مرجان افندى فى الوقت نفسه الانذار الذى أرسله اليه الأمير كرم الله بتسليم المحطة .

ولدى انسحاب حاميتى أجاك و بوفى الى أمادى أخذتا عدة مئات من الاسرى وأحضرتاهم الى هذه المحطة . ولما كان يصعب كثيرا على الحامية فى الحالة التى هى عليها أمام العدو الاحتفاظ بهؤلاء الأسرى فقد اقتيدوا على دفعات الى خارج المحطة وأعدموا وذلك بسبب العداوة المتأصلة فى النفوس بين العرب والزنوج . وجىء بقسم من هؤلاء الى لادو واستخدموا فى مختلف الأعمال وفى أعناقهم الاغلال ثم أرسلوا الى دوفيليه غير أنه لم يصل واحد منهم اليها بل كان حظهم كحظ رفاقهم وقتلوا فى الطريق تقتيلا . وكان يوجد بين هؤلاء الآخيرين ضيف الله مأمور اجاك سابقا وقد بيعت بعد ذلك الاشياء التى كان يمتلكها فى لادو بالمزاد العلنى .

وقبيل آخر شهر نوفمبر أغار الثائرون على أمادى فصدوا حسب ما جاء فى تقرير مرجان افندى غير ان الحامية خرجت لمهاجمة العدو فردت هى الأخرى بخسائر فادحة . وكان من جملة خسائرها ٣ ضباط

قتلوا من بينهم فـــولة افندى الذى كان قائدا فى كري و ٣٠ جريحا . والسبب فى هـذه الخسارة الجسيمة هو انه عندما ارتدت الجنود بسرعة صارت الضباط فى المؤخرة فتعرضت أكثر لنيران العدو .

وقد أرسل أمين بك نجـــدات الى أمادى بقدر ما استطاع وأمر زنوج بومبيه ومكراكا ان يسافروا الى المحطة بصفـة مساعدين غير أنهم لم ينصاعوا لهذا الأمر لأن الحالة كانت قد تغيرت والضباط القـدماء مثل بخيت بك و احمـد بك الأطروش وغيرهما من أولئك الذين يعرفون كيف يسوسون هذه القبائل ذهبوا من المديرية وخلف من بعدهم خلف ليس فى مقدرتهم ولا درايتهم حسب رأى جونكر .

وبعد ذلك الخـــروج غير الموفق التزم مرجان افنـدى جانب الدفاع وهـــذا ما مكن العـدو من اقامة المتاريس أمام المحطة وعلى ذلك أمسى من المتعسر زحزحتهم عنها وبدأ من بالمحطة يشعر بألم الجـــوع . وكان السعاة الذين يأتون بالأخبار يقـولون ان شبان الضباط والجنـــود يرغبون فى القتـال لأن العـدو لم يكمل بعـد عدده وان مرجان افندى يصر على الاستمرار فى خطة الدفاع .

ويؤخـــذ من منطوق خطابات كازاتى الذى كان مقيما فى مكراكا ان ادارة هذه الناحية سيئة جدا والضابط فرج افندى يوسف لا يشتغل فى واندى على ما يظهـــر بشىء آخر غير السكر ولم يكن تحت يد امين بك فى ذلك الوقت أى ضابط من كبار الضبـاط يرسله ليحل محـله لان ريحان افندى الذى كان فى الزمن السابق مأمـورا لهـا والذى كان يجب ان يرجع اليهـــا لم يعد للآن من ممبتو مع رجـــاله . غير انه

لما كان عام ١٨٨٤ م على وشك الانتهاء انتدب امين بك احمد افندى محمود للقيام بعمل تفتيش فى مستودعات المحطات الكبيرة والذهاب الى واندى وأوصاه ان يتحقق من مجرى الامور فى مكرا كا .

وانتدب من جهة اخرى فيتا حسان للذهاب الى امادى ليعود المرضى والجرحى ويفتش المستودعات ويحاول فى الوقت نفسه استكشاف قوات العدو . وانتدب كذلك على افندى سيد احمد لتفتيش مستودعات محطة الرجاف .

وورد فى مساء يوم من أيام أواخر ديسمبر على حين بغتة خبر بان مركبا كبيرا وصل الى موضع يبعد بضع ساعات عن لادو . وكان هذا المركب هو مركب عبد الوهاب افندى الذى أرسل من عدة شهور ومعه حبوب برسم محطة شمي ووردت الأخبار من محطة بور بالتجائه الى الهرب ونجاته بمعجزة . وكتب الآن يطلب زادا له ولرجاله الذين أنهكهم الجوع وأضناهم التعب وصار فى غير استطاعتهم أن يجروا مركبهم وأخبر أيضا ان نصف حامية بور قتلهم الزنوج وبقى النصف الآخر مسجونا فى المحطة لا يقدر على المقاومة زمنا طويلا بدون زاد . فأرسل أمين بك فى التو والساعة مركبا محملا بالميرة يركبه العدد الكافى من البارين لجر المركبين . وهاك ما قصه عبد الوهاب افندى عند وصوله الى لادو :

خرج قائد محطة بور مع نصف رجاله للقيام بغارة على مسافة بضعة أيام من المحطة فقتل هو وسائر من كان معه ووقعت بنادقهم وذخيرتهم فى قبضة الزنوج ولم يبق بعد إلا خمسون رجلا محصورين فى المحطة وليس لديهم من الزاد إلا القليل . وقال عبد الوهاب افندى انه من المحتم اسعاف بور بالزاد

بلا توان إذ أنه فى الاستطاعة انقاذ الباقى من حاميتها . وقال انه قطع المسافة بين بور و لادو فى ٢٠ يوما .

أما شمبى فقال انه وجد محطتها أثرا بعد عين فانقلب راجعا الى بور وقطع المسافة بينهما فى ٢٠ يوما بعد أن ذاق الأمرين لأن المركب كان كبيرا وليس له شراع فدعت الحالة الى سحبه باللبان عكس جريان الماء فى انحاء سكانها معادون للحكومة وعاد بعسكره بدون أن ينقص منهم أحد اللهم إلا شخصا واحدا قتله الزنوج لأن الحالة اضطرته كذلك أن يقاتل .

ومما لا نزاع فيه انه هو ورجاله بشجاعتهم وجلدهم وصبرهم على الشدائد أدوا أعمالا تستحق الاعجاب وتستوجب الثناء . وهكذا انقضى العام .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للعام القادم .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى واندى

قضى كازاتى القسم الأول من هذا العام فى الزيادة . وفى ٢٨ مايو جاءه كتاب من أمين بك يستحثه فيه بالحاح على أن ينسحب فى اتجاه الشرق لأن حوادث ذات شأن عظيم وقعت فى مديرية بحر الغزال . وكان قد ورد اليه فى ١٢ أبريل خطاب من لبتون بك مدير هذه المديرية يخبره فيه ان جيش المهديين مرابط على مسافة ٦ ساعات من ديم سليمان الذى فيه محل اقامته ، وانه أتاه اثنان من الدراويش يدعوانه للتسليم الى الشيخ كرم الله مندوب المهدى . وان أمينا بك تلقى عدا ذلك خطابا من الأمير كرم الله يخبره فيه بما صادفه المهدى من النجاح والفلاح فى أرجاء السودان وينصحه بتسليم مديرية خط الاستواء لهذا النبى المنصور . ويحيطه كذلك علما بالاجتماع الذى عقده الضباط والموظفون فى لادو وقرروا فيه تقديم الطاعة ووجوب سفر أمين بك يوم الاثنين القادم الموافق ٣١ مايو عام ١٨٨٤ م مع وفد الى الأمير كرم الله ليقدم له الاقرار بالطاعة وتألف

هـذا الوفد عـدا المدير العام من فيتا حسان ، و القاضى ، و معلم المدرسة ، و الملازم موسى افندى ، و عضوين من الادارة وهما عثمان أرباب و احمد بابا .

وكان كتاب أمين بك مصحوبا بكتاب آخر من جونكر الى اليوزباشى كازاتى يخبره فيه بما عقد عليه النية من أمر السفر فى اتجاه الجنوب ويحثه على أن يحذو حذوه .

كل هذا قد علمه كازاتى بغتة وعلى غـير انتظار بتاتا فدهش بادىء ذى بدء وبعد أن سبر الأمور بمسبار التعقل استقر به الرأى على السفر الى مكراكا والعدول عن كل ما كان قد قرره من المشروعات .

وفى ٢٠ يوليـه انطلق فى السير وكان السفر محفـوفا بأنواع التعب والنصب واشتم الزنوج رائحة الأخطار التى كانت تهدد كيانهم فكانوا يخافون أن تصيبهم الويلات والمكاره التى تلازم عـادة الغارات وتـلوح عليهم سيماء الغضب . واضطـر كازاتى فى سيره أن يتجنب النـواحى المأهـولة بالسكان والسكك المطروقة وأن لا يسير إلا ليـلا وأن يسلك الدروب الصعبة الكثيرة التعاريج . وانجلى الدناقلة عن الأراضى التى كان بها محطات للحكومة ورحلوا الى الجهات الشمالية . أما عبيدهم فهاموا على وجوههم فى الفيافى والقفار حاملين أسلحتهم بأيديهم وأخـذوا يبثون الرعب والذعر فى أفئدة النـاس في كل صوب وناحية .

وفى ٢٩ أغسطس وصل كازاتى الى وانـدى وفيها علم ان أمينا بك لم يزل للآن فى لادو . وأتت مكاتيب من روميك منبئة بحدوث حوادث تتصدع لهول فظائعها القلوب وتنفطر لها الأكباد . ذلك ان المهديين بعد

أن احتلوا المديرية أحرقوا المستندات الرسمية ونهبوا المستودعات وباعوا الأسلحة وجردوا منها الجنود وباعوهم هم ونساءهم وأولادهم . ولذلك بادرت حكومة لادو بالعدول عن تنفيذ قرار ٢٧ مايو وقررت ارسال وفد الى الأمير كرم الله ليقدم الطاعة بشرط حضور بواخر من الخرطوم لنقل الجنود والموظفين . وسافر هذا الوفد المؤلف من القاضى و معلم المدرسة و ضابط و موظفين من لادو فى ٣ يوليه .

موقف الحكومة ورأى كازاتى فيه

يقول كازاتى ان الحكومة فى بلاد زنوج خط الاستواء كانت واقعة بين شقى الرحى فلا تدرى أى هذين الجنسين تفضل : العرب أم الحزب العسكرى .

وكان يوجد بين هذين الفريقين مضادة منشؤها تباين الأجناس وتزيد مساوىء النخاسين نارها اضطراما بلا انقطاع . إلا ان هذه المساوىء كانت تقمع على قدر الاستطاعة .

وكان يتولد من هذا التصادم بحكم الطبيعة غيظ كامن فى الصدور يدوى صداه كالرعد بين آونة وأخرى فيلحق بأعمال الحكومة ضررا بليغا .

وقد اتخذ أمين بك طرقا كانت على وجه العموم عادلة . ذلك أنه محا تفوق العرب البين فى مراكز رول و رومبيك و أجاك و أمادى وترك للحزب العسكرى السودانى أملا فى الترقى إلى المنزلة السامية فى إدارة البلد . ولكن هذا الأمل توارى وحل محله الخيبة عندما منح المدير ابراهيم افندى محمد جورجورو فى مكرا كا ثقته التامة والسلطة المطلقة .

نعم انه مما لا مراء فيه ان ادارته أتت بالخيرات وعادت بالفلاح على الأحوال المالية غير ان القرح الأدبى اتسع من ناحية أخرى اتساعا مدهشا بسبب استمرار النخاسين فى مباشرة أعمالهم . وكان القائمقام بخيت بك من جهة أخرى محبوبا من الأهالى لارتباطهم واياه برابطة الجنسية ومن الجنود لتقديرهم جدارته وأهليته إلا انه كان مهضوم الجانب مهيض الجناح منحط المنزلة بالقياس الى ابراهيم جورجورو ذلك النخاس الذى كان قد اشتهر أمره . فلم يشأ أن يغمض عينيه على الاهانة التى لحقته فاستعد للمقاومة فكانت العاقبة انخذاله وهزيمته وارساله الى الخرطوم وفوز الجنس العربى .

وعلى ذلك حط على مديرية خط الاستواء عدا الخطر الخارجى خطر من الداخل صير الحالة فى منتهى الشدة والحرج . ولن هو إلا أن علم ابراهيم افندى جورجورو بالقرار المشئوم الذى وضع فى لادو فى أوقات ضاع فيها الرشد وساد الذعر حتى هزته النعرة الدينية فأعمل فى مستودعات الحكومة نهبا وسلب جميع ما فى مكراكا و كابايندى وخطف عددا جسيما من نساء وأولاد الأهالى وذهب للانضمام الى الثوار . وهكذا قابل ابراهيم افندى جورجورو احسان أمين بك بالشر والعدوان وضرب بعمله هذا لجميع نخاسى المديرية الذين كان لديهم أسلحة أسوأ مثل يقتدون به فأصبحت مباءة لأشنع الفظائع .

وكان الأمير كرم الله يبعث بكتب الى الموظفين يحضهم فيها على شق عصا الطاعة ونشر لواء العصيان ولا يتورع عن أن يذكر لهم أن السودان قد ضاع والخرطوم قد أمست محاصرة وصارت على أهبة التسليم .

وعلى ذلك كانت أفكار الجنود والأهالى متهيجة للغاية والعقول متهيئة لأفظع الفواجع الدموية التى سيضحى السودان عما قريب مسرحا لها . وأفلتت من لسان أمين بك فى الاجتماع الذى عقد فى لادو يوم ٢٧ مايو كلمة كان يقصد بها تدعيم سيطرته والاحتفاظ بكرامته وهذه الكلمة لم تذهب نسيا منسيا بل كانت سببا فى جميع الاضطرابات التى وقعت فيما بعد وفى إباء الجنود وتخاوفهم من الانسحاب صوب الجنوب بعد ذلك . وهذه هى الكلمة التى زل بها لسانه : « ليس أمام البيض ما يخافونه وأنا لهم بذلك كفيل . أما الجنود السود فهؤلاء سأعطيهم الى صديقى الفاضل كباريجا ملك اونيورو ليسمح لنا بالمرور من بلده » .

لم يفت المصريين إدراك الغرض من هذه الكلمات التى لم يذهب صداها أدراج الرياح ومع هذا لم يظهر السودانيون شيئا من التأثر الذى شعروا به فى داخلهم إلا أن ذلك لم يمنع السهم من اصابة المرمى فكانت الريب تتسرب الى نفوس أولئك وتدب الوساوس فى أفكارهم . وسنراهم عند سنوح أول فرصة يجنحون لعصيان رؤسائهم وينتهى بهم الحال الى التمرد والعتو إذ ان هؤلاء لم يكونوا أرقاء يمكن نبذهم هكذا نبذ النواة بدون بحث ولا جدال بل كانوا جنودا . ولما لم يكن سبيل للخلاص إلا بواسطة السلاح قبضوا على أزمة البلد بأيديهم واستغلوا الحالة وأساءوا التصرف .

إخلاء محطات الشمال والشرق وتحصين أمادى و لادو

وكانت محطات الشمال قد أخليت وهى روميبك و أجاك و بوفى . وأخليت كذلك محطات مبتو والشرق . وفى الوقت نفسه حصنت أمادى

و لادو وأرسل الى الأولى ١٥٠٠ بندقية ووزعت ١٥٠٠ بندقية أخرى بين مختلف المحطات التى فى مكراكا والتى على النيل .

وطبعت صحيفة يوم ١٨ أغسطس بحروف من الدم إذ قتل فيه الدناقلة بقيادة رجل يقال له على كركوتلى وهو من قناصى الافيال القدماء ٤ من الجنود . وكان قد انضم الى هذا الرجل عدد آخر من الثوار . وبعد ذلك دارت رحى الحرب مرات فى مدد مختلفة . وبلغت احدى هذه الحروب درجة كبرى وتلك هى التى وقعت أمام حصون أمادى فى ٨ ديسمبر وتمكنت فيها الحامية من الانقضاض على معسكر المحاصرين وتدمير جانب منه وتدخل الأهالى مع ذلك بالسلاح واضطروا الحامية أن تنسحب .

وكان مما لا نزاع فيه ان الأعمال الحربية وحدها لا تفى بالمرام وان هذه الأعمال عما قليل سيصيبها الشلل بسبب اتساع الثورة وتفاقمها وتكون النتيجة وقوع أمادي فى العاجل بين يدى الأمير كرم الله .

ورأى كازاتى ان واجبه يدعوه فى مثل هذه الحالة ان يضع نفسه تحت تصرف الحكومة فكتب الى امين بك ينصحه باخلاء أمادى وأن يحصن كابايندى و واندى و مدريفى فى مكراكا و ممبارا غرب لادو لتصير لادو محمية بخط من الحصون الأمامية . ولزيادة إقناعه بضرورة اتخاذ هذه الخطط بين له ان أمادى فقدت كل أهميتها الحربية لأن المهديين امتلكوا جميع مرتفعات تكفارا الواقعة على ضفة نهير يى Yëi اليسرى وهذا النهير يقل ماؤه ويمسى مخاضة فى الفصل القادم ويتعذر عند ذلك امداد أمادى . فلم يقبل أمين بك هذه الخطة .

وانتهى عام ١٨٨٤ م بخبر مشئوم وهو أن حاميــة بور المؤلفة من يوزباشى و ملازم أول و ١٠٥ من الجنـود قتلها الزنوج وعدا ذلك وضـع هؤلاء أيديهم على ١٠ صناديق ذخيرة و ٥٠ بندقية من طراز رمنجتون .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨٥ م

من

حكمدارية أمين باشا

في مستهل هذا العام أرسل أمين بك مع أحد الضباط و عثمان افندى وكيل المديرية ٤٠ اردبا من الحبوب وزهاء ٤٠ جنديا على ظهر مركبين الى بور امدادا لمن بقى فيها على قيد الحياة . وقد زود أمين بك هذا الضابط بتعليمات مقتضاها انه اذا لم يستطع الوصول الى هناك يترك الامتعة الخاصة ويشق له طريقا فى البر فى اتجاه غندوكورو .

الحكم على جسبارى بالاعدام ونجاته باعجوبة

وبارح فيتا حسان أمادى فى أواخر العام الماضى كما سبق القول . وصادف بالقرب من كوم الشاويش Kom El-Shawish رسولا من قبل أمين بك قادما ليستحثه على الاسراع على قدر الامكان فى العودة الى لادو .

واستعلم فيتا حسان من الرسول عما استجد من الأخبار وعن الباعث فى استدعائه على جناح السرعة فأخبره هذا انه ورد خطاب لأمين بك من ضباط أمادى وفيه يتهمون ماركو جسبارى وشخصين آخرين بالتواطؤ مع العدو فقال فيتا حسان انه لمن التورط فى السخافة والانغماس فى البلاهة التصديق بان جسبارى Gasbari المسيحى يتحيز للمهديين .

وكان أمين بك نظرا لوقوع البلد فى حالة حرب اتخذ من وقت ما حدثت خيانة ابراهيم افندى جورجورو بتركه مركزه وانضمامه الى العدو القرار الصارم الصائب تلافيا لما قد عسى أن يحدث من الأمور المماثلة وذلك باحالة كل شخص تحوم حوله مظنة أو شبهة بانه اقترف خيانة أو تواطأ مع العدو الى مجلس عسكرى مستعجل . وبما ان هذا القرار اتخذ للمصلحة العامة فقد أمر أمين بك بناء على التقرير الذى ورد له من مرجان افندى ذلك التقرير الذى ما كان فى استطاعته أن يشك فى صحة ما جاء به باعدام جسبارى ورفيقيه رميا بالرصاص وأرسل عدا ذلك خمسة صناديق من المهمات الحربية الى أمادى اجابة لرغبة مرجان افندى .

وأخذ فيتا حسان الكتاب والحكم الصادر باعدام الثلاثة الأبرياء حسب قوله وحفظه معه ومنح الرسول ريالا وقال له : خذ الكتب الأخرى والمهمات الحربية . وحذره من أن ينبس ببنت شفة بشأن الكتاب الذى حجزه وحكم اعدام الثلاثة وأنذره بالاعدام شنقا اذا فتح فاه بخصوص ذلك . ولما كان لفيتا حسان تقريبا نفس المهابة التى لأمين بك كتم الرسول أمر الحكم لدى وصوله الى أمادى ولم يتحدث عنه بشىء مطلقا وعلى ذلك نجا الثلاثة من مخالب الموت .

وبما ان امين بك كان قد طلب من فيتا حسان القدوم الى لادو فى اقرب وقت فقد قطع المسافة التى كان يلزم لقطعها ثلاثة أيام فى يوم واحد .

وكتب مرجان افندى الدناصورى الى امين بك يقول له ان الأمير كرم الله ومعه ١٢٠٠ من الدراويش يحيطون بأمادى ويلحف فى

طلب مهمات حـــــربية ومؤن وامداد فأرسل إليه فى بداية شهر يناير ثلة مؤلفة من ١٦٥ جنـــديا و ٨٠٠ من الأهالى مسلحين بالحراب وبعد ذلك بقليل ورد له نبأ أن سكرتيره قديما عثمان افندى ارباب قدم ومعه ٤٠٠ رجل وقاذفة لهب « صاروخ » امدادا للثائرين .

وكتب عثمان هذا و عبد الله وشخص ثالث يقال له حسن عجيب خطابا الى امين بك يقولون له فيـــه انهم مرسلون من قبل الأمير كرم الله ليأتوا بهم جميعا اليـــه إذ لا فائدة مطلقا من المقاومة لأن اهالى السودان قاطبة لغاية سوا كن انضموا الى المهدى وانه ورد لهم كتاب من الأمير كرم الله مذكور فيه استيلاء المهدى على الخرطـــوم ودخوله فى هذه المدينة .

وما كاد فيتا حسان يصل الى لادو حتى طلب منه امين بك ان يصف له الحالة فى أمادى لأنه اذا كانت فى خطر تكون لادو كذلك فى حـــالة الخطر وهى حالة موجبـــة لتثبيط الهمم وبث الذعر والهلع فى القلوب . فأجابه فيتا حسان بأن أمادى بها حامية مؤلفة من ١٠٠٠ جندى وانها فى الحالة الراهنة بعيدة عن الخطر . وبهـــا من السلاح والمهمات الحربية ٧٢٠ بندقية من طراز رمنجتون و ٤٠٠ بندقيـة من ذات الكبسول و ٤ مدافع عيـــار ١٢ سنتيمترا منها اثنان غير صالحين للعمل وآلتان تقـــذف اللهب و ٣٧٠٫٠٠٠ حشوة للأسلحة ذات الكبسول و ١٧٫٠٠٠ خرطوش لأسلحة رمنجتون و ٣٠٫٠٠٠ من الكبسول و ٣٦٠ حشوة للمدافع و ١١٠ من القنابل الصغيرة و ١٩٠ قذيفة يدوية و ٨٠ صاروخا ناريا أى لديها الوسائل الكافية لمحاربة جيش هذا اذا كانت تلك المهمات فى حوزة جنود مدربة و ضباط من أصحاب

الكفايات وزاد على ذلك ان قال له انه اذا لم يبادر الى استبدال قومندان أمادى بآخر تبدد الذخيرة باطلاقها فى الهواء كما هو الحاصل من منذ شهر . أما المواد الغذائية فهذه جار توريدها من الأهالى على ما يرام إلا أنها لسوء الحظ يذهب معظمها هدرا فى عمل المريسة للضباط . أما أمادى فهى فى الحالة الراهنة فى أمان واطمئنان غير انه غير مرتاح من جهة مستقبلها .

وخاض بعد ذلك فيتا حسان فى الكلام عن جسبارى وتحدث بشجاعته وبما أتاه من جليل الأعمال فتغير لون وجه أمين بك عند سماع أقواله وسأله عما اذا كان لم يحدث تواطؤ بينه وبين العدو فأفهمه فيتا حسان ان تهمة كهذه لا يقبلها عقل عاقل وانها تعد من قبيل السخافات نظرا لجنسيته وديانته ثم قال له علاوة على ما ذكر ان الذى حاك لحمة وسدى هذه الوشاية لا يقصد منها سوى أمر واحد وهو اخفاء الثروة المظنون وجودها فى حوزته كما حدث فيما سبق مع آخرين . وعندئذ أحاط أمين بك فيتا حسان بالحكم الذى صدر ضد جسبارى وتصديقه عليه ذلك الأمر الذى كان يعلمه من قبل وأبدى شديد الندم على ما أسلف من التسرع قائلا لقد سبق السيف العذل ولم يعد لدينا وقت لرد ما نزل به القضاء . فهدأ روعه فيتا حسان وأبلغه الشيء الذى عمله وأرجع اليه أمر التنفيذ الذى أصدره . فكاد يجن أمين بك طربا وأجزل الشكر لفيتا حسان والثناء عليه جزاء ما فعل .

رجوع جونكر الى لادو وهدوء الحال فيها

ورجع الدكتور جونكر الى لادو مطمئن الخاطر هادىء البال اعتمادا على الخبر المكذوب الذى ذاع بوفاة كرم الله وانحلال جيشه وذلك فى خلال غيابه . وزاره أمين بك وأكد له ان الخطر لم يكن جسيما كما تصوره بعضهم وان الحامية ما زالت ثابتة . وأن عبد الوهاب افندى طلعت الذى كان قد أرسل الى بور رجع منها مع ستة من الجنود بعد أن نجح فى خدع المحاصرين وطلب ارسال امداد .

وظلت الأحوال هادئة تماما وقتا ما فى لادو . وقد قرر أمين بك عزل مرجان افندى وارسال سليمان افندى سودان محله وهذا الضابط من ذوى الكفايات إلا أنه لما كان أمين بك يخشى عدم تنفيذ أمره لأن روح التمرد كان قد أخذ يدب فى النفوس كتب الى مرجان افندى لا ليخبره بأمر اقالته بل ليدعوه الى القدوم الى لادو ليتداول معه خلال غياب كبار الضباط الآخرين بشأن خطة الدفاع الواجب اتخاذها بصدد بور المحاصرة . فأهمل مرجان افندى تنفيذ هذا الأمر وكتب عريضة يطلب فيها إبقاءه فى مركزه وجعل الضباط و الصف ضباط يوقعون عليها .

وكان أمين بك قد حث مرارا وتكرارا اليوزباشى كازاتى على الاتيان الى لادو ولكنه لم يلب هذا الطلب . وفى نهاية الأمر أجاب طلبه وقدم من واندى وبلغ لادو فى ٢٣ يناير . ومكث جونكر وقد كان وقتها مقيما فى هذه الناحية معه ثلاثة أيام ثم رحل عنها فى ٢٦ يناير قاصدا مصر

عن طريق أوغندة و زنزبار يحمل مكاتيب لحكومة القاهرة .

ذهاب فيتا حسان بمأمورية الى دوفيليه وعودته منها

ولم يكد فيتا حسان يبل من مرض خناق شديد أصابه حتى أمره أمين بك بالذهاب الى دوفيليه ليستخبر عن القوات التى يمكن تجنيدها منها ويحضر الى لادو امدادا وذخيرة . وكان ذلك فى نفس الوقت الذى سافر فيه عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتوصيل مؤونة الى أمادى والوقت الذى سافر فيه احمد افندى محمود الى هذه المحطة الأخيرة . وهذه هى المأمورية التى خان فيها عهد أمين بك مراعاة لصديقه مرجان افندى حسبما ذكر سابقاً .

واستغرق فيتا حسان يومين فى قطع الطريق لغاية خور ابى قره الواقع بين بيدن و كري لسقوط أمطار بلت الطريق وصيرته غير صالح للسير .

وفى هذه الاثناء انتشرت اشاعة فى لادو ليس لها نصيب من الصحة فحواها ان عثمان أرباب أضحى ذراع الأمير كرم الله اليمنى وانه زاحف ووجهته هذه المحطة ومعه ١٦٠٠ مقاتل .

وأبلغ أمين بك هذا الخبر فيتا حسان فى خور ابى قره ودعاه للعودة وأن يحضر من الرجاف على افندى سيد احمد وحوالى ٣٠ جملا . وكلفه فوق ذلك ان يبلغ حواش افندى فى دوفيليه هذا النبأ ويحثه كثيرا على زيادة السهر واليقظة .

وكان البلاغ بلهجـة تجمل فيتا حسان يظن ان الدراويش أحاطوا بلادو وقضى الأمر . وبالنظر الى انه لم يكن والحالة هـذه من حسن الفطن الذهـاب برا أقلع هو و على افندى سيد احمـد على سفينة وتركوا الجمال فى بيدن . ولم يتصل بهم فى أثناء الطريق أى خـبر قل أو جـل ورأوا جميع الأمور سارة قارة كالعادة وكذلك رأوا السكينة فى لادو ضاربة أطنابها والهدوء شاملا كامـلا وليس هنالك أى اشارة تدل على ان العدو صار على أبواب المحطة اللهم إلا هلع الأهـالى الصادر عن غـير سبب معقول واختفاءهم جميعا وراء جدر مساكنهم ونشاط الجنـد الذين كانوا يقومون بحفر خندق حول الميدان .

وأكـد أمـين بك لفيتا حسان الخبر الذى نقـله اليه كتابة معربا عن أسفه لتركه الجمال إذ كان فى استطاعتها تأدية خدم جليـلة فى حالة حصول حصار .

وتوجه فيتا حسان الى الثكنة ليستعلم عن مصدر هـذه الأخبار لأنه كان يرجح انها بعيـدة عن الصحة ويعتقد انه يستحيل على المهديين تهـديد لادو بينما تكون أمـادى ومـكراكا مستمرتين على الثبات أمامهم وتقطع عليهـم الأولى طريق الغرب والثانية طريق الشمال . وقد اتضح له عندئذ ان زنجيا صغيرا يصعب فهم كلامه كان السبب فى كل هـذا الانزعاج وان أمينا بك قد لعب به مرءوسوه فى هـذه المرة وجسموا له الخطر . وانقضت أربعة أيام بعـد ذلك ولم يطـرأ ما يؤيد هذه الاراجيف .

وفى ٣٠ ينـاير عادت الى لادو السفينتان اللتان كانتا أرسلتا الى بور برفقة عثمان افندى لطيف وورد معهما خبر وهـو أن جميع من بالمحطة

فى صحة جيدة ولم ينقص منهم سوى أربعة جنود خرجوا بعيدا عنها فكان نصيبهم القتل . وكان عثمان افندى قد اقترح أن يعرض على الأهالى السفر برا الى لادو وضرب صفحا عن ذكر السفن . وعندما عرض عليه فى نهاية الأمر أن يكون على رأس الفرقة أبى واعتذر بواسطة رجال المحطة ورجاله بأن السفن لا تسع الجمع كله وان الطريق غير صالح للسير . وقال ان الأصوب الانتظار الى أن تصل الحبوب ويأتى مدد مؤلف من ٣٠٠ جندى . وأقلع عثمان افندى بعد ذلك على السفن تاركا ٢٠ من جنوده لتقوية الحامية وقدم الى لادو بدون أن يحضر معه أرامل وأيتام الجنود الذين قضوا نحبهم وذلك بعد أن بدد فى الطريق ١٨ دستة من الخرطوش فى صيد الجاموس .

ولقد يدرك المرء السبب فى توقف الناس عن مبارحة بور عندما يتبين ان مسكن جمه افندى قائد المحطة وهو رجل بلغ من العمر ٧٩ عاما يحتوى على ٣٢ نسمة من بينهم ست محظيات ، ومسكن الكاتب يحتوى على ٢٨ ، و الجاويش ١٢ ، و الأونباشى ١٦ ، وهلم جرا . فاذا بارح هؤلاء الموظفون بور يضطرون الى ترك ثلاثة أرباع هؤلاء الأرقاء وهذا هو الأمر الذى دعا أولئك السادات الى الامساك عن السفر والبقاء حيث هم .

وأبلغ أمين بك عثمان افندى عندما آب الى لادو الحوادث التى وقعت أخيرا وطلب منه ابداء رأيه فرد عليه بوقاحة قائلا ان المسئولية فى هذه الحوادث تقع عليه هو نفسه ويجب عليه ملافاتها .

وكان أمين بك هو وسواه ضحية لهذه الحوادث المشئومة التى لم يك هو قط مسئولا عنها . فكان إذن لا بد لاتهام عثمان افندى لرئيسه من معنى

آخر وسبب ذلك الاتهام عزله من وظيفته . ولم يلغ أمر العزل هـذا إلا قبيل وصول استانلى بأيام قليلة .

وبعد ذلك بأيام قلائل شخص فيتا حسان الى دوفيليه ليتمم لدى البكباشى حواش افندى المأمورية التى كان قد عهد اليه القيام بها عندما استدعى للرجوع عاجلا الى لادو .

ما عمله حواش افندى فى دوفيليه احتياطا للطوارىء

ولم يكن فى دوفيليه جنود ولا ذخيرة كافية ليرسل منها مقدار الى لادو فضلا عن ان دوفيليه هى المعقل الأخير الذى لا بد للجميع من الالتجاء اليه مهما كان مآل ذلك . وحرمانها من القوة الضئيلة التى بها يعد من الخطل وعدم أصالة الرأى وربما جر فيما بعد الى أسوأ العواقب . وفوق ذلك فان الـ ٥٠ جنديا الذين يمكن على أكبر تقدير ارسالهم من دوفيليه وكذلك بعض صناديق الذخيرة لا ينتظر منهم ولا منها فائدة تذكر بجانب الحوادث الجارية فى أمادى حيث يوجد ١٠٠٠ جندى وكمية كبيرة احتياطية من الذخيرة .

وعلى ذلك كتب فيتا حسان الى أمين بك ان حواش افندى لا يستطيع أن يرسل جنودا ولا مهمات وبعث له فى الوقت نفسه ٢٠٠ اردب من الذرة ميرة للادو .

ومن باب الاحتياط أفعم حواش افندى مستودعات دوفيليه بالحبوب والمؤونة ، والرواتب بالانعام . وهو احتياط مبنى على الفطنة وبعد النظر . وأنشأ كذلك زراعات واسعة للاقطان وألزم الأهالى والجنود بزراعة هـذا

النوع . وبواسطة هذا التدبير تمكن فعلا من جمع الجنية الأولى وأخذ الجنود في غزل القطن تحت مباشرة رجل دنقلاوى من فاديبك وتعلموا نسج ضرب من النسيج اسمه « الدامور » . ونشر حواش افندى فيما بعد زراعة القطن ونسيج الدامور كثيرا لدرجة ان كافة سكان المديرية من ملكيين وعسكريين أمكنهم أن يكتسوا منه .

محاصرة المهديين لأمادى والحرب حولها

وبعد طول الانتظار ورد مكتوب من أمادى فى ٤ فبراير مذكور فيه أن عبد الله عبد الصمد وهو أحد رؤوس جيش المهديين أصيب بقنبلة من مدفع فكسرت ساقه وأهلكت حصانه ، وان كثيرين من الدراويش وقعوا صرعى فى حومة الوغى وكثيرين أيضا لاذوا بأذيال الفرار . وأيد احمد افندى محمود الذى كان قد أرسل من لادو لجرد المستودعات هذا الخبر . وقال الترجمانان اللذان أتيا بالرسالة ان ابراهيم ادريس من أهالى بحر الغزال و رجب افندى صالح وقعا قتيلين . أما على كركوتلى فقر مع عدد كبير من الرجال وان الغارات ليلا انقطعت ويلازم الأعداء فى النهار زريبتهم فلا يخرج منها أحد . وروت فتاة من الهاربين ان الدراويش يشتغلون فى جمع الحبوب استمدادا للرحيل . وقال أيضا التراجمة ان الاذكار التى كان يقيمها المهديون ليلا ويصل دويها الى المحطة انقضت انقضاضا تاما من زمن يسير وانقطعت كذلك المحجبات الليلية .

وكان من رأى أمين بك انه من المحتمل أن يكون على كركوتلى و عثمان ارباب قد ذهبا الى جهة بحر الغزال ابتغاء الحصول منها على امداد . وعلى كل حال لم يصل الى تلك الساعة الألفان من الرجال الذين قيل ان العدو

فى انتظار قدومهم .

وفى ٨ فبراير أتت رسالة من أمادى جاء فيها انه حدث هجوم عسام على زريبة الدراويش قام به قسم من الحامية بقيادة سليمان افندى سودان . وفى أثناء اشتعال نار الحرب التى استمرت من الصبح الى الساعة ٢ مساء وقعت قنبلة يدوية على زريبة العدو فأحدثت فيها حريقا هائلا دمرها تدميرا وصيرها أثرا بعد عين وانفجرت الذخيرة وقتلت عددا كبيرا من الثوار . أما الحامية فلم يصبها أى أذى وخسائر العدو كانت جسيمة وقد أخذ سليمان افندى سودان يتأهب لمطاردة فلول الثائرين .

وفى ١٥ فبراير ورد الى لادو بريد من أمادى به بلاغ من احمد افندى محمود يقول فيه ان المهديين ما زالوا الى الآن يقاومون رغما عن تدمير زريبتهم وانفجار الجزء الأكبر من ذخيرتهم وعما لحقهم من الخسارة وفرار كثير من صفوفهم . وان فى عزم سليمان افندى القيام بهجوم آخر عام وحسم هذه المسألة حسما نهائيا إن أمكن وذلك بعد رجوعه من تجريدة صغيرة سيرها للحصول على حبوب .

وكتب المذكور ان مرجان افندى أظهر عدم مقدرة على القيام بأى عمل اللهم إلا افعام جيوبه ولم يبق على شىء حتى على تركات ضباطه الذين أدركتهم المنية فى ساحة القتال .

وكتب مرجان افندى الى امين بك خطابا فيه الشىء الكثير من عبارات الاحتشام . أما أمين بك فقرر ان يتركه موقتا فى مركزه اجتنابا للفضائح وان ينظر فى أمره فيما بعد .

وقال احمد افندى ايضا انه علم من الهاربين ان عبد الله عبد الصمد وأخاه محمود قد جرحا جروحا بليغة فى واقعة ٢ فبراير وتوفيا على أثرها .

وفى اليوم التالى لورود هذه الأخبار شخص امين بك الى ناحية تبعد عن لادو شمالا بضع ساعات ليعاقب بعض المتمردين الذين أهدروا دم ثلاثة جنود كانوا حاملين بريد بور . وكان قد عقد النية على ان يرسل الى هذه المحطة سفينتين مع ستين خطريا قبيل آخر الشهر .

وفى ٢١ فبراير ورد لأمين بك خطاب من مرجان افندى وبداخله ست رسائل منها نسختان من نداء وجه المهدى الى اهالى مديريتى بحر الغزال وخط الاستواء يصرح فيه بمهمته ويحتم عليهم الانضواء تحت لواء الأمير كرم الله . وخطابان من هذا الأخير الى مرجان افندى يقول فيهما انه قد حضر بنفسه الآن الى امادى ويلح عليه فى طلب الخضوع ويقول ان لديه ما ينيف على الفى مقاتل وفيهم كثيرون من رءوس الدناقلة من كردفان . هذا بصرف النظر عن الضباط القدماء والجند و الكتبة . ويقول كذلك انه من العبث ضياع الوقت فى الخطابات وان الخضوع أمر لازب لازم . وخطاب من عثمان ارباب الى مرجان افندى لا يختلف فى نصه عن خطابى الأمير كرم الله . ثم خطاب بتوقيع عثمان بدوى كاتب لبتون بك قديما ، وبرنجى زبير ، ورؤساء دناقلة آخرين من كوردوفان غير معروفين من أمين بك ، وجمع كبير من ضباط الصف وضابط يقال له على بشارة يلحون فيه على مرجان افندى بالتسليم .

وكتب مرجان افندى الى أمين بك يطلب ١٠٠ جندى ليعاونوه فى

الانسحاب الى لادو ويوصيه بنوع خاص بارسال حبوب . ويقول انه أرسل احمد افندى محمود ليبسط له الحالة .

وأرسل الافندى المذكور من زريبة على توتو الى أمين بك خطابا مؤرخا فى ١٨ فبراير فحواه انه سائر فى الطريق ووجهته لادو وانه سيبسط له الأحوال شفويا وانه علم ان المهديين الذين قدموا من بحر الغزال قليل عديدهم إلا أن معهم زمرا من الزنوج مسلحين بالاقواس والنبال ومعهم أيضا مدفعا بذخائره .

وطلب أمين بك فى الحال جنودا من مكراكا و لابوريه وساورته الآمال أن يجد سبيلا لارسال الجنود المائة المطلوبة .

وفى ٢٢ فبراير وصل احمد افندى محمود الى لادو وروى أن القادمين من بحر الغزال لا يجاوز عددهم الثلثمائة منهم ٥٠ فقط من العرب والباقون من الزنوج وانه يقال ان عثمان بدوى سكرتير لبتون بك بين هؤلاء القادمين . أما المدفع فهو عبارة عن قاذفة لهب « صاروخ » لا أقل ولا أكثر وان واقعة ٢ فبراير خسر فيها الدراويش ٣٠٠ نفس من بينهم عبد الله وأخوه وأنه يظن ان الأمير كرم الله لاذ بالفرار وان على كركوتلى انضم الى من قدموا حديثا . ويعتقد احمد افندى انه اذا وصل الى مرجان افندى بعض الامداد لاسيما المؤونة فانه يكون عندئذ فى استطاعته تماما اتمام هذه المسألة على الوجه المرضى .

وفى الحال أرسل أمين بك عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتنظيم عملية التموين . وسافر فرج افندى الى أمادى بالجند والتراجمة .

وفى ٢٧ فبراير ورد خطابا من أمادى منبئا باحاطة المهديين بها من جميع الجهات وبقطع الماء عنها . وفيه ان الجنود حفروا آبارا فى داخلها وأخذوا يستقون منها الماء ويطلب مرجان افندى زادا وذخيرة .

وفى ٤ مارس ورد الى أمين بك خطاب من قومندان المحطة فى زريبة على توتو الواقعة على مرحلة ١٠ ساعات من أمادى من ناحية لادو . وجاء فى هذا الخطاب انه منذ ٢٣ فبراير لم يصل اليه أى خبر من مرجان افندى وانه لم يتمكن من ارسال حبوب لأن المحاصرين أقاموا على مسافة ساعة من أمادى نقطة للمراقبة ولمنع المرور والقاء القبض على أى انسان حتى التراجمة . وانه كتب الى مكراكا يطلب ارسال نجدات .

وورد فى ٧ مارس من نفس الضابط السالف ذكره كتاب آخر مؤرخ فى ٣ منه جاء فيه ان ترجمانا قدم من أمادى وبلغه شفويا عن لسان مرجان افندى ان النظام مستتب بها وانه لا يطلب إلا زادا . وان المهديين انتهزوا فرصة نزول مطر هطال وقاموا بهجوم إلا انهم دحروا تاركين ٨ من القتلى فى ميدان الحرب غير من قتل من التراجمة ، وقتل كذلك جندى بحر الغزال الموكول اليه استعمال قاذفة اللهب . وبعد ذلك أخذت المدافع وقاذفة اللهب الى ضفة النهير الغربية . وتتألف كل نقطة من نقط النطاق المضروب حول أمادى من خمسة أنفار مسلحين بالبنادق ومن ١٠ زنوج من الأهالى الواحد منهم على مقربة من الآخر .

وورد لأمين بك فى نفس هذا الوقت خبر من فرج افندى انه وصل فى رجوعه من مكراكا الى مسافة قريبة من زريبة على توتو ومعه ٧١ جنديا وترجمان مسلحون بالبنادق و ٥٠ زنجيا من أهالى بومبيه وكذلك

٥٥٠ حملا من الحبوب . وانه أخبر بذلك مرجان افندى ومنتظر أوامره . والثيران التى أرسلت من لادو وصلت أيضا بدون أن يصادفها عائق .

وفى بكور ٩ مارس كانت جنود الامداد المتجمعة من لادو و كري قد سافرت من المحطة الأولى . وكان ابراهيم افندى قد أرسل ضابطا و ٤٠ جنديا وجمع أمين بك من لادو و الرجاف ضابطا و ٨٠ جنديا وزودوا بألف ربطة من مظاريف رمنجتون (١٠٠٠٠ طلقة) ، و قنابل و صوفان و أسهم نارية وغيرها . وعلى هـذا بقى مع امين بك فى لادو خمسون جنديا فقط واكثرهم من المرضى فكان هو يتناوب الحراسة ليلا مع اليوزباشيين على افندى سيد احمد و محمود افندى العجيمى .

وفى ١٠ مارس تلقى امين بك خطابا من فرج افندى صادرا من زريبة على توتو يؤيد فيه خبر الهجوم الاخير على امادى ويطلب سرعة إرسال الامداد لأنه يود تقوية النقطة الصغيرة والانضمام الى مرجان افندى . وجاء ايضا فى هـذا الخطاب أن اثنين من الدناقلة الذين تعلقوا بأذيال الفرار من أمادى أخذا يحرضان الثوار على الهجوم بقولهما ان الجنود يموتون جوعا . وأنه فى اثناء الهجوم الذى حدث فى وقت كان المطر فيه نازلا نجاجا وقعت ٢٥ قنبلة و ٤ أسهم نارية على المحطة إلا أنها لم تحدث أى ضرر .

وفى ١١ مارس تناول امين بك خطابا من فرج افندى بمحطة كومى Komi مذكورا فيه ان اقارب بعض الجنود قدموا اليه من أمادى وأخبروه ان الناس فيها يأكلون جلود الثيران بسبب المجاعة وأنه أى فرج افندى سافر فى الحال مع ٨٠ جنديا وأحرق فى طريقه نقط خط المهديين حتى

وصل الى مسافة تبعد عن أمادى نصف ساعة وعندئذ أتاه ضابط صف وترجمان ومعهما أمر من مرجان افندى يقول فيه : « أولى لك ان تنسحب اذا لم يكن لديك القوة الكافية لأن العدو كثير العدد » .

وبالفعل انسحب وينتظر الآن الامداد . ولم يفهم امين بك لماذا لم يحاول مرجان افندى القيام بخروج للانضمام الى فرج افندى والاتيان بالحبوب .

وفى ١٥ مارس ورد خبر لأمين بك ان ريحان افندى ابراهيم سافر من ممبتو وهو سائر فى الطريق وبذلك تزداد القوة التى لدى امين بك ٢٠٠ جندى . وورد من دوفيليه الى لادو ضابط و ٥٠ جنديا وبعض الزاد . ومن المنتظر ان يتبع ذلك ورود ٢٠٠ بقرة .

وفى ١٦ مارس أرسل أمين بك الى أمادى ضابطا و ٥٠ جنديا وبذلك بلغ عدد الجنود التى أرسلها الى هذه المحطة ٢٣٥ جنديا . وقد انقضى زهاء عشرين يوما ولم يصل اليه منها خبر من طريق مباشر .

وأخذت أخبار أمادى تزداد سوءا يوما بعد يوم . وبعد فترة طويلة أتت الاخبار فى ٢٢ منه ان المهديين قووا صفوفهم تقوية كبرى وان الأمير كرم الله نفسه وصل مع القسم الأكبر من جيوشه وطوق المحطة وشرع فى احكام الحصار وان مرجان افندى يطلب المعونة والزاد وقد تولاه اليأس والقنوط . وأرسلت اليه من مكراكا نجدة من ٥٠٠ جندى . وكثير من أحمال الذرة إلا أنه لدى وصول قائد النجدة الى كوم شاويش

الواقع على مسافة ست ساعات من أمـــادى علم ان العـدو محاصر الحصن ورأى ان من الحماقة محـــاولة اقتحام الخطوط . ورغما عن ذلك قد حاول مرارا شقها إلا أنه فشل ولم يفد فتيـلا ما أتته جنوده من ضروب البسالة حيث لم تعاضدهـا جنود الحاميـة بالخروج وعلى ذلك انسحب الى كوم شاويش وظل يرتقب الطوارىء وما تلده الأيام .

وفى غضون هـذه المدة أخذت المجاعـة تشتد فى أمادى وبعـد زمن يسير شرع المدافعون يأكلون الجلود بعد إنضاجها على النار ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل أخذوا يأكلون جلود أحذيتهم .

وجمع أمـين بك بمشقة عظيمة ٤٠٠ جندى ليحاول بهم انقـــاذ أمادى . واستدعى حواش افندى ليعهـــد اليه بالقيادة ولكنه عندما وصل الى لادو كانت الأخبار الواردة عنهـــا داعية لليأس وموجبة للقنوط حتى ان أمينا بك اعتقد ان كل معونة تبـــذل فى سبيل انقاذها مقضى عليهـــا بالفشل فأرجـع حواش افندى الى دوفيليه لكى يضاعف نشاطـه ومجهوداته فى سبيل انقاذ مركزه .

وفى ١٩ مارس وردت الأخبـــار لأمين بك من فـرج افندى بوصول جميع الجنود وسفره مع ٢١٠ من الجنود لكى يحاول انقاذ أمادى غير انه فى ٢٣ من الشهر المذكور أتى منـه خطاب من كـومى ذكر فيـه انه ذهب الى أمادى وهاجم الزرائب التى اقامها المهديون على الطريق غـير ان شدة مقاومة هـؤلاء اضطرته أن يرجع القهقرى وبلغت خسارته ١١ قتيلا من ضمنهم الضابط ضياء افندى من لادو و ١٦ جريحـــا من ضمنهم فرج افندى نفسه إذ أصابه فى فخـذه عيـار نارى . أما الزرائب التى ذهبت طعمة للنيران فثلاث ورغمـــا

عن ذلك ظل المهديون قابضين على ناصية الحـــالة فى الميدان . وقال حامل الرسالة عـلاوة على ما ذكر ان جنود حاميـة أمادى خرجت فى ذلك الوقت ولكنها لم تستطع أن تنضم الى جنـود فرج افندى لأن هـذا أسرع كثيرا فى الانسحاب .

محاولة الجنود الخروج من أمادى بعد احداق المهديين بها

وفى ٢٥ مارس تسلم أمين بك خطابا من فرج افندى بمحطة كوبى ذكـر فيه ان سبعة من الجنود فروا من أمادى مدفوعـين بعامل الجـوع وانضموا اليه . وان هذه المحطة محـاصرة حصارا شديدا وان الجرحى أرسلوا الى مكراكا وان ضباط الفرقة الثلاثة عزموا على القيام بغارة اخرى .

وفى ٢٧ منه جاء خطاب من عبد الله افندى بمحطة على توتو مذكور فيه ان الهجمة الجـــديدة فشلت أيضا وان فرج افندى سافر بجنـــوده الى مـكراكا بدون أن يرتقب ما تأتى به حوادث الأيام . وأن عبد الله افندى والضـابطين الآخرين على وشك ان يلموا شمث العسا كر الذين تشتتوا ليعودوا هم الآخرون الى مكراكا . هذا ولم يذكر شيئا بصدد أمادى .

وفى ٢٨ منه رجع الى لادو جندى كان قد أرسل منها ومعه مكتوب الى فـــرج افندى . والسبب فى رجوعه انه قابل فى قرية على توتو القـانص على كركوتلى ورجاله فجردوه من اسلحته واخذوا منه البريد وهمـوا بقتـله غير انهم فى نهاية الامر تركوه يسافر . وقال ذلك الجندى ان عسا كر أمادى شقوا لهم طريقا بين خطوط الأعداء .

وفى ٢٩ منـه قدم الى لادو ثلاثة عساكر من حاميـة أمـادى ورووا

ان الجنـــود طلبوا من ضباطهم مرارا وتكرارا ان يحاولوا القيام بخـــروج وان يشقوا لهم طريقا بين خطوط العدو ولكن هؤلاء كانوا يترددون دواما فى اجابة هـــذا الطلب . وحل اليأس فى نهاية الأمر فى نفوس الجنـــود فتركوا الحصن بغير ارادة كبار ضباطهم واخترقوا لهم طريقا فى وسط المهديين وذلك بقيادة ستة من الضباط البواسل وألحقوا بالعدو خسائر فادحة . واغلب هؤلاء ولوا وجوههم شطر مكراكا . واخذ الجنود معهم الذخيرة إلا انهم تركوا المدافع وحشوها .

وفى ٣٠ مارس شعر امين بك بارتياح إذ علم ان ثلاثة ضباط و ٢٦٠ جنـــديا من حامية أمادى وصلوا بغاية من الصحة والسلامة الى واندى من اعمال مكراكا ، وان الجنـــود التى استدعيت من مميتو منذ ثلاثة أشهر قد وصلت اليها ايضا بعد ان قدم قومندانها اعذارا تافهة ليس لها آخر عن تأخره .

ورجـــع فيتا حسان الى لادو بعد ان تمم مأموريته فى دوفيليه . وبينما كان سائرا فى الطريق بين خـــور أيو ولابوريه تلقى خطابا من أمين بك يخـــبره فيه بسقوط أمادى ويذكر ان الذين امكنهم النجاة ٢٠٠ جنـــدى لا غير ولوا وجـوههم شطر مكراكا . وان مرجان افندي واغلب ضبـــاطه قتلوا . أما الباقى من الحامية فلاذ بالغابات ولا يعلم شيء من امره .

واتضح بعـــد ذلك ببضعة ايام ان كل ما كان يصلح للأكل فى أمادى سواء أكان جلودا مطبوخـة أم جلود أحذية أم قشا أم غير ذلك التهمـه الناس ولذلك تقـرر القيام بخروج واخـتراق خطوط العدو ولسوء الحظ

ونكد الطالع اختلف الضباط فى الرأى وما استطاعوا أن يجدوا وسيلة للاتفاق . وهذا كان السبب فى ضياعهم . فعوضا عن أن يكوّنوا مربعا من كافة من كان حاملا سلاحا وعددهم يربو على الألف ، ويضعوا فى قلبه النساء والاولاد ثم يشقوا لهم طريقا بين المحاصرين ، أراد بعضهم الخروج والآخرون أرادوا البقاء فتولتهم الحيرة وما توفقوا الى أى أمر يقرونه . ولما رأى الجند ان الضباط منقسمون فى الرأى قرروا هم وحدهم الخروج فانقض عليهم المهديون وقتلوا منهم خلقا كثيرا . أما سليمان افندى سودان وهو الضابط الوحيد القدير بين ضباط أمادى فاستولى عليه الغضب من جراء هذا التردد وهذه الحيرة والانقسام فى ساعة الخطر وأقدم هو والثلثمائة جندى الذين تحت إمرته على القيام بهجوم عنيف وتوفق الى اقتحام حصار العدو وحمله خسائر باهظة .

إحراق المهديين أمادى وانسحابهم الى مديرية بحر الغزال

واستمر سليمان افندى سودان منسحبا الى ان بلغ ريمو من أعمال مركز مكراكا وفيها انضم الى جنود ممبتو التى يقودها ريحان افندى . أما المهديون فتركوا قسما من جنودهم أمام أمادى بقيادة الأمير كرم الله والقسم الآخر شرع فى مطاردة سليمان افندى ولحق به فى ريمو وعندئذ انقضت جنود ريحان افندى و جنود سليمان افندى مجتمعة على المهديين وعلى رأسهم ضباطهم مستيئسين . وكان اليوم ممطرا عبوسا توالت فيه زمجرة الرعد وأومض البرق بلا انقطاع فأغشى لمعانه على أبصار المقاتلين . وكانت الوثبة الأولى مفزعة رهيبة سقط فيها عدد كبير من المهديين فى حومة الوغى وتخيلوا ان أمامهم جيشا عرمرما فلاذوا بأذيال الفرار

وتشتتوا فى الغابات . وتتبعهم الجنود مستبسلين فأبادوا تقريبـــا جمهم وشتتوا شملهـم ولم يرجع الى الأمـــير كرم الله فى أمادى إلا بعض من الجنـــود المدربين . ولخوف هذا من قيام جنود الحكومة بهجوم أحرق أمادى بأسرها وألقى بالمدافـع فى النهـــير وانسحب هو ومن بقى من جيشه الى مـديرية بحر الغزال . وهـكذا أنقذت واقعة ريمـو Rimo مـديرية خط الاستواء زمنا من أيدى المهديين الذين ظهروا فيما بعد فى الرجاف ودوفيليه .

وصول من نجا من جنود ريمو و أمادى الى مكراكا

وفى ٣١ مارس ورد لأمـــين بك رسالة من مكراكا جاء فيها خبر وصول فـــرج افندى وجنوده وكذلك الضباط الثلاثة وهم عبد الله افندى و مرجان افـندى و على افـندى ومعهـم ٢١٣ جنـديا ومهمات حربيـة ووصول سليمان افندى ومعه الجنود الذين نجوا من أمادى .

وفى أول أبريل جاء الى لادو خـــبر يسر القلب وهو خـــبر وصول كمية كبيرة من المهمات الحربية الى مكراكا بالسلامة . وهـــذه الكمية كانت معـدة لمحطة أمادى . وكان يساور أمـــينا بك بصددها الخوف والقلق .

إنذار الأمير كرم الله أمين بك بالتسليم ورده عليه

وفى ٣ منه تلقى أمـــين بك خطابا من الأمير كرم الله و عثمان ارباب يقصون له فيـه ما وقع من الحوادث ويقولون له ان مرجـان افندى لم يذعن ويسلم بعد أن أنذر خمس مرات . وانهم اضطـــروا أن يضربوا حـــوله حصارا وأن العساكر تخلصت فى نهاية الأمر ومن بقى حيا لاذ

بمكرا كا . وان المدافع والذخيرة وقعت فى أيديهم ، وان مرجان افندى الدناصورى و رهيب افندى على وهو من الضباط البواسل قتلا فى الطريق وجىء برأسيهما الى أمادى . وأنه يوجد فى هذه المحطة من اللاجئين زهاء ٢٠٠ نفس بينهم ضباط وجنود . وفى ختام الخطاب إيعاز الى أمين بك بأن يسلم هو و وكيله و فيتا حسان و احمد افندى محمود و الضباط الى الأمير كرم الله فى ظرف عشرة أيام والا فهو يسير الى لادو وعندئذ يكون عليه تبعة ما يحدث .

وروى حاملا هذه الرسالة وهما زنجيان ان كرم الله بارح امادى . وجاوبه امين بك ردا على خطابه انه يجب عليه اولا رد الناس الذين سافروا من لادو حتى يهدئ روع من حوله .

وورد خطاب من مكرا كا جاء فيه انه ما زال يأتى يوميا من امادى ضباط وجنود الى واندى وانه من غير الممكن معرفة عدد من بقى حيا بالضبط .

من المسئول عن ضياع أمادى

وجاء فى خطاب آخر من سليمان افندى ان مسئولية تسليم الحصن تقع على شبان الضباط الذين أغروا الجنود بالسفر . اما عن نفسه فيقول انه آخر من سافر وذلك عندما دخل العدو نهائيا المحطة . ويعزو حامل الرسالة وهو جاويش من محطة كومى الخطأ الى المرحوم مرجان افندى و سليمان افندى اللذين امرا مرارا وتكرارا الجنود بتسليم اسلحتهم وهؤلاء أبوا الامتثال .

قرار المجلس الحربى الانسحاب الى الشرق
ومعارضة حواش افندى وغيره لهـــذا القرار

وكان امين بك قد أخبر فيتا حسان فى كتابه السالف الذكر الذى أرسله اليه مكتوبا باللغــة العربية ان مجلسا حربيا مؤلفا من الموظفين الملكيين وكبار الضباط انعقد فى لادو وقرر الانسحاب لناحيــة الشرق وذلك بعد تحطيم الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » واتلاف ما بالمستودعات من الأغذية . وكان من ضمن ما دون فى آخـــر هذا الخطاب أمر لفيتا حسان بأن يتفق مع حواش افندى بشأن تنفيذ هذا القرار . هذا وفى خطاب آخر سرى مكتوب بالايطالية نصح امين بك لفيتا حسان ان لا يضغط على حواش افندى فى تنفيذ هذه التدبيرات اذا أبى العمل بها .

وفى الحـــال عاد فيتا حسان وبلغ خور أيو فى نفس المساء وحصل من هـــذه الناحية بشق الانفس على ترجمانين ليرافقاه الى دوفيليه لأن حالة الجـــو كانت غاية فى الرداءة وما كان فى الاستطاعة المجازفة بالمسير بدون دليـــل . وكان المطر ينزل ثجاجا بدون انقطاع والليل أرخى سدوله والطـــريق غير مأمونة . وبعـــد ان قطع مسافة منه اختفى الترجمانان والتزم فيتا حسان ان يستمر فى السير مع خادمه وحـــلاق الحكومة كحرس له . ولحسن حظه اضطر تهاطل المطر ورداءة الجو الزنوج ان يستكنوا فى اكواخهم فوصل هو ومن معه الى دوفيليه بدون ان يلحقهم أذى اللهم إلا نفوذ المطر الى اجسامهم .

وسلم فيتا حسان الى حـــواش افندى الأمر الخاص به وهو فى

مفـــــزى ومبنى خطابه فقرأه بترو وصاح وهو فى حالة تهيج : « إن تحطيم البـــــواخر والسفن ، وإبادة المستودعات بما فيها من كميات الذرة البالغة ٣٠٠٠ أردب ، وترك الحقـــــول الخصبة بمزروعاتها ، وتأليف قافلة من ١٠٠٠٠ نسمة ثلثاها نساء واولاد ، وزجهم فى بلاد مجهولة ليتركوا على قارعة الطريق طعمة للحيوانات المفترسة ، كل ذلك من المستحيلات بل هو جنون صرف وانني اعارض فى ذلك بكل ما أوتيت من قوة » .

ونبه فيتا حسان الى أن هذا أمر رئيسهم ومن الواجب إطاعته وأن من المعلوم أن أمينا بك لا يجهـــــل نتيجة ما يعمل وان ليس من شأن مرءوسيه انتقاد اوامره . غير انه لما كان أمين بك قد قال فى الخطاب السرى لفيتا حسان إنه لا ينبغى الضغط على حـــــواش افندى استنتج فيتا حسان من ذلك انه ربما كان امين بك لا يريد هـــــو نفسه ان تنفذ أوامره . فلهـــــذا السبب امتنع ان يبدى أى تشدد مع حواش افندى كما كان يتشدد حتما اذا لم يصل اليـــــه الخطاب الثانى وينجح فى تشدده .

وكان الجميع فى دوفيليه من موظفين وضباط متحدين على معارضة قرار المجلس الحربى فى لادو . وأبلغ فيتا حسان فى نفس ذات اليوم أمينا بك أمر هذه المعارضة الاجماعية .

ومشروع الانسحاب نحـــــو الشرق هـــــذا تقدم به كازاتى الذى كان قد وصل الى لادو من أمد يسير . والدليل على ذلك هـــــو ان أمينا بك لم ينبس عنه من قبـــــل ببنت شفة البتة إذ لم يكن واضعا نصب عينيه سوى طريق الجنـــــوب . وبما ان الخطر كان يزداد

يوما بعـــد يوم حتى أمست المديرية مهددة قرر امين بك الانسحاب امام المهـــديين وعند ذاك ألف كازاتى فى الاتجاه صوب الشرق . ولمـــا كان امين بك يريـــد من صميم قلبـــه ان يرفع عن عاتقه بعض المسئولية فى هـــذه الظروف الحرجة عرض هذه الخطة على كبار ضباطه وهـــؤلاء وافقـوا عليها فى الحال . ووقتئذ ارسل امين بك الى فيتا حسان وحـواش افندى الامر السالف ذكره لأنه كان يرى ان من المخاطرة السير بجمع غفـــير من الناس وسط وديان واراض مجهولة . وكان لم يزل باقيا على رأيه الأول وهـــو الانسحاب عن طريق أوغندة غير انه كان لم يزل قائما دواما امامه مسألة إباء الجنـــود السير شطر الجنوب فلا تترك له سبيلا لتنفيـــذ إرادته . على أنه كان من السهل مع استعمال قليل من الحـــزم تبديد مخاوفهم وحملهم على الطاعة وذلك بالعثور على من عـــزا الى امين بك ازماعه بيع الجنـــد لكباريجا ، ومعاقبته عقابا صارما .

نتائج واقعة ريمو وانسحاب الجنود الى لادو

وفى ١٥ أبريل قدم بريد من ريحان افندى فى ريمـــو . ومن اخباره ان الواقعة التى حصلت فى هـــذه الناحية قتل فيها كثير من المهديين وانه استولى على علم وصندوقين من الذخـــيرة . أما خسارة الحاميـــة فخمسة قتـــلى من بينهم ضابط صف واحد ، وثمانية جرحى منهم ٥ من الجنـــود و ٣ من الضباط . ومن بين هؤلاء الأخيرين اليوزباشى فرج افندي يوسف وهـــو مصاب بجرح بليغ . ومن أخباره أيضا أنه يريد الآن الانسحاب الى الرجاف .

وقال الجاويش الذى أتى بالبريد ان مدد لادو المؤلف من ٥٠ جنديا وصل الى بيدن وانه لاستعجال ريحان افندى فى كتابة الخطاب لم يلتفت لأهمية الاسلحة والذخيرة التى أخذت غنيمة . وانه كان فى ريمو كثير من الجنود وان بعض الخطرية ظلوا مخلصين وقاتلوا قتال الابطال . وقد حدث الجاويش المذكور عن بسالة الجنود .

وفى ١٧ أبريل وصل على افندى الى الرجاف قادما من ريمو ومعه ٥٧ جنديا . وفى الوقت نفسه ورد خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت من مكراكا وكان هذا الخطاب قد تأخر وصوله . وقد جاء فيه انه بادر بالسفر وبهذه الكيفية بلغ ريمو فى ٦ من هذا الشهر ومعه المقدمة والمرضى ، وأن بلال افندى من كابايندى و فرج افندى الجوك من ممبتو قد انضما اليه .

وفى ١٨ أبريل جاء الى امين بك مكتوب من ريحان افندى يذكر فيه انه يأمل ان يصل الى بيدن فى ١٤ من هذا الشهر وأن فرج افندى يوسف الذى كان قد جرح فى واقعة ريمو مات متأثرا بجراحه وان العساكر تامة العدد .

وفى ١٩ أبريل وردت الأخبار من ريحان افندى ومن عبد الوهاب افندى طلعت انهما وصلا مع جنودهما الى بيدن وسافرا منها فى الحال الى لادو .

وفى ٢١ منه جاء خطاب من ريحان افندى يقول فيه انه وصل هو و ٥٥٤ جنديا الى الرجاف ومن بين هؤلاء المرضى و الجرحى وهم

جميعا الجنود الذين أمكنهم النجاة . وان العمل جار بهمة فى سبيل نقل الأسر والامتعة الى غندوكورو .

وفى ٢٣ أبريل وصل الى لادو ريحان افندى و سليمان افندى وضباط آخرون ومعهم ١٣٠ جنديا لتقوية حامية هذه المحطة .

عقد اجتماع للنظر فى الحالة واصدار قرار

وفى ٢٤ منه استدعى امين بك جميع الضباط ليتداولوا فى الاحتياطات التى يلزم اتخاذها تلافيا للمجاعة ولمقاومة الخطر الذى يهدد المديرية . وبعد ان بين الغرض من هذا الاجتماع انسحب وفوض رياسة المجلس الى البكباشى ريحان افندى حتى يكون للضباط الحرية التامة فى وضع قرارهم . أما كازاتى فحضر ايضا هذا الاجتماع . وهذه صورة ما قرره المجلس بعد المداولة :

« حيث ان محصولات الحبوب فى لادو و الرجاف و بيدن الخ . . . غير كافية لتموين الأهالى بعد اخذ حاجتنا منها . وانه سيمر وقت قبل حصاد المحصول الجديد ، وان تجهيز الطلبات يستهلك المؤونة القليلة الباقية فى حوزتنا ويدعنا تحت رحمة الزنوج . وحيث انه من المستحيلات الحصول على حبوب بأية وسيلة اخرى ، فقد تقرر نقل النساء والاولاد والامتعة فى الحال الى الجنوب والاحتفاظ بالمحطات مؤقتا وذلك بواسطة احتلال عسكرى فقط والانسحاب منها عند الضرورة وحشد كل قواتنا فى الجنوب . وان خط الانسحاب سيكون شطر الجنوب لأن طريق الشمال بعد بور غير مطروق واخبار الخرطوم مقطوعة وغير معلوم ان

كانت سقطت يقينا فى يد العدو أم لا . أما فى الجنوب فدوفيليه و وادلاى صالحتان لجعلهما محطتين اساسيتين وبهما الشىء الكثير من الحبوب وضواحيهما خصبة ومنهما الامل الأخير للاتصال بمصر عن طريق زنزبار واذا وقعنا فى اسوأ الاحوال فنلجأ عندئذ الى كباريجا أو الى ابن متيسا » .

وبناء على هذا القرار أصدر امين بك فى الحال الاوامر اللازمة وقرر نقل قاعدة المديرية الى وادلاى حيث تكون الحكومة فى مأمن ويمكنها منها الاتصال بسهولة مع الاونيورو وأوغندة .

وهذا المشروع فى الحقيقة كان احسن المشاريع غير ان حامية لادو رفضت اخلاء المحطة وذلك إما من باب العناد أو خوفا من المسير فى اتجاه الجنوب مع أن أمينا بك حاول أن يضطرهم الى إخلائها بواسطة تسفير ونقل المستخدمين الملكيين . وأخيرا وعدت الجنود بتسفير أسرهم الى وادلاى وان يبقوا هم فى لادو ليمنعوا المهديين عن التقدم اذا حاولوا المسير الى الامام . والتمسوا من أمين بك أن يرسل اليهم فقط الزاد بانتظام .

ولم ينقد أمين بك فى هذه المسألة لأحد إلا لما أوحت به بصيرته وفى الواقع لو كان العدو قدم لحصار لادو لكانت العاقبة بلا ريب تكرار نفس ما حدث لحامية أمادى أى المجاعة والتخاذل وتكون الخاتمة مجزرة عامة . نعم كان أمين بك قد ألف أورطة بقيادة ريحان افندى الذى ترقى الى رتبة بكباشى مكونة من ثمانية بلوكات كل بلوك فيه

١٠٣ من الجنود فيكون المجموع ٨٢٤ جنديا . وكانت ثلاثة بلوكات منهـــا مرابطة فى لادو والباقى فى غندوكورو و الرجـــاف و كري و بيدن . ولكن مع هذه القوات الضعيفة لا يكون فى استطاعة لادو أن تحتمل حصارا طويلا . ثم ان تجريد هذه المحطات لتقوية لادو معنـــاه تعريض تلك المحطات لخطر كبير من جانب قبائل الزنوج . وخطة أمين بك القاضية بنقل قاعدة الحكومة الى الجنوب كانت الوحيـــدة التى فى تنفيذها بعض الأمل بالنجاة .

وفى ٢٥ أبريل شخص أمـــين بك الى غندوكورو مع موظفيه وأسرته ليراقب مسألة النقل صوب الجنوب . وقد كان فى الامكان أن يلاحظ فى غضون ذلك بوادر العصيان إلا أن هـــذه العلامات لم تبد علانية ما دام أمين بك فى لادو .

وودع أمـــين بك على ظهر السفينة الشراعية التى كانت مقلة له شطر الجنوب بشيء قليـل من الاحترام والتشريفات العسكرية إلا أنه ما كادت السفينة تمخر به عباب اليم حتى أخـذ جنـــدى من الجنود السودانية يسخر قائلا : « تعلق مديرنا بأذيال الفـرار » . وتردد صوت هـذه السخرية فى لادو ولاكتها الألسن وشاعت فى سائر انحاء شمال المديرية .

وقد علم أمين بك ذلك وهو فى غندوكورو واتصل به كذلك خبر فحواه ان ضباط لادو بعد رحيله قرروا الانسحاب نحـــو الشمال بدلا من الجنوب فأرسل اليهم فى الحال مندوبا ومعه مذكرة الى القائد يأمره فيهـــا بمنع كل محاولة من هذا النوع . فأتاه رد اجماعى على هذه المذكرة موقـــع عليه من جميع الضباط يؤكدون له فيه تأكيدا كليا شدة اخلاصهم ويرجونه

أن يذهب هو نفسه الى الجنوب فى أول فرصـــة بطريقة يأمن معها سرعة ارسال الحبوب الى بيدن و الرجاف و لادو حيث المؤن نقصت نقصا كبيرا .

فوقع كل ذلك فى نفس أمين بك موقعا دعاه الى الارتياب فيهم وعدم التعويل عليهم عند الحاجة . هذا عدا أن الحوادث الماضية قد أقامت الدليل على ذلك ومع كل فكان الأصوب أن يرجع الى لادو ليفند بوجوده فيها اشاعة الهروب السخيفة التى اذاعوها عنه .

واقام امين بك مع ذلك زهاء خمسة عشر يوما فى غندوكورو حيث يندر ايضا وجود الحبوب . وبعد ان اعطى اوامر صريحة بصدد وجوب حسن معاملة قبائل البارين حتى لا يدعوا لهم سبيلا للثورة ، واوامر اخرى بارسال الجنود بقدر ما يستطاع الى بور بقصد سحب الجنود التى فيها . هذا اذا كان لم يزل هنالك الوقت الكافى . لذلك انتقل امين بك الى الرجاف وكان قد اتصل به ان جنود هذه المحطة ينوون اخذه اسيرا فاسرع على قدر الاستطاعة فى الذهاب اليها ليرى اذا كان فى استطاعة أحد ان يتجاسر حقيقة على وضع يده عليه ولكنه قوبل فيها بالحفاوة العسكرية حسب المعتاد وحسن سلوك جميع الحامية من ضباط وجنود لا يمكن ان يدع سبيلا للارتياب فى نية أحد منهم .

وانتقل امين بك من غندوكورو الى بيدن ولحق به فى الطريق اونباشى كان المهديون قد قبضوا عليه ولكنه استطاع الافلات منهم وقص عليه انه لحق بهؤلاء فى امادى و ريمو خسائر فادحة وان ذخيرتهم أوشكت أن تنتهى . وأنهم يواصلون ليلهم بنهارهم فى جمع الرقيق وارساله الى بحر

الغزال وان الأمير كرم الله أصدر أمرا من « كارى » Kamari باعداد كل شيء والتأهب للسير نحو هذه المديرية حيث ينتظر قدومه عما قليل . وان عددا من الناس كان قد قدم من مديرية بحر الغزال ولكنه رجع اليها وان الستة والعشرين جنديا الذين أخذوا أسارى كانوا مصفدين بالاغلال ومجبرين أن يخدموا كحمالين . وقص أيضا انه عندما سمع ذلك قرر هو وثلاثة من رفاقه الالياذ بالفرار غير انه يجهل مصير رفاقه لأنه تركهم ليجتاز النهر سابحا بالقرب من أمادى وان الأسارى تركوا بين مخالب الجوع يكابدون أشد آلامه . وأن الدناقلة احتفلت بسقوط الخرطوم وذلك باطلاق ٢٥ مدفعا .

انتقال أمين بك من بيدن الى موجى وارساله مؤونة الى لادو

وبعد ذلك ببضعة أيام قدم رفاق الاونباشى الثلاثة وأيدوا ما قصه ويلوح ان أمينا بك مر بمحطة كري ولم يقف بها وقد انتقل من بيدن الى موجى وأقام فى هذه مدة غير قصيرة وحالفه التوفيق إذ تمكن من أن يرسل الى لادو كمية كبيرة من الحبوب ومن الفول السودانى لتستخرج منه الزيوت . وفى غضون هذه المدة قدم من أمادى الى لادو اناس آخرون من الفارين وأجمع الكل على القول ان الدناقلة يستعدون بسرعة للتوجه الى بحر الغزال ويستنتج من ذلك ان مؤونتهم استهلك منها المقدار الأكبر وانهم لا يرغبون أن يفاجئهم فصل الأمطار فيتعرضوا لخطر قطع الطريق عليهم وهم فى أرض ضربت فيها المجاعة أطنابها . وقد يحتمل أيضا انهم كانوا مهتمين بالرجوع الى الخرطوم ويجوز من جهة أخرى أن يكون المهدى قد أصيب بهزيمة فأخذ فى لم شعث شمل رجاله وحشدهم فى

موضع من المواضع . وعلى كل حال فمن الصعب معرفة السر فى تصرف المهديين بهذه الكيفية .

الدسائس التى كانت تحاك لعرقلة أعمال امين بك

وورد لأمين بك فى موجى خطاب من اليوزباشى سليم افندى مطر من دوفيليه جاء فيه ان حواش افندى يأبى هو ورجاله أن يسلك طريق الشرق ولكنه هو يأخذ على عهدته مع الارتياح هذه المأمورية اذا أمرته الحكومة بذلك وانه يتعهد أن يقوم بها خير قيام وانه يرى ان هذه الخطة هى الخطة المثلى وانه من رأى جميع الموظفين الانسحاب نحو الشرق .

وكان أمين بك يبغض كل فكرة ترمى الى الانسحاب صوب الشرق وكان من جهة اخرى قد وافق على قرار المجلس الحربى الذى انعقد فى دوفيليه واتفقت فيه آراء جميع الضباط اتفاقا نهائيا على رفض الانسحاب لجهة الشرق وكان من جملتهم سليم افندى مطر والموظفون أى نفس هؤلاء الذين أصبحوا الآن يرغبون فيما رفضوا قبوله من بضعة أيام .

وأسخط هذا الموقف الغامض الذى يحجب وراءه دسيسة جديدة أمينا بك وأغضبه . وكان قد رأى وعاين سابقا من الأورطة الأولى ما فيه الكفاية . ولما كان لا يود أن يعاضد سليما افندى مطر فى موقفه المفعم بالعداء لرئيسه أرسل الى حواش افندى خطابه وزوده بتوقيع حكم عليه بحجزه عن الخروج من الحجرة مدة سبعة أيام وحبس جميع الموظفين الذين اشتركوا معه فى هذه المؤامرة وعزل رئيسهم ميخائيل افندى سعد .

وكان أمين بك يعرف معرفة تامة ـ وقد قامت الادلة على ظنه هــذا فيما بعد وأيدته ـ ان سليما أفندى مطر وهــو ضابط زنجى وأمى لا يعرف القراءة والكتابة أعجز من أن يدبر بنفسه دسيسة وان الذى حاكها هم الموظفون الملكيون فى دوفيليه إذ أن هؤلاء برهنوا فيما سلف على انهم من أصحاب الكفايات فى مثل هذه التدابير .

وقد لاح على سليم افندى فى أول الأمر أنه يجنــح للتمرد وعــدم تنفيذ الحكم الصادر عليه إلا أنه لمــا أرسل له حواش افندى نسخة من قرار الايقاف أذعن وانقلب فى وداعة الحمل . والسر فى هــذا الانقلاب المدهش فى الموقف هو تبليغه الأمر كتابة .

ويقول فيتا حسان ان الزنجى لا تؤثر فيه أصعب الكلمات وأشدهــا وان الذى يؤثر فيه ما كان مسطورا . فالأمر الذى يعطى شفويا يترك فى زوايا النسيان أما الأمر الذى يكون أسود على أبيض فهذا ينفذ بكل عناية ودقة . ويظهر ان الورقة هى « عفريت » الجــزء الأكبر فى نظر الجنود السودانية .

وسافر أمين بك من موجى الى لابوريه ومن هــذه أرسل كمية كبيرة من الحبوب الى لادو . وبلغه وهــو فى لابوريه أن المهديين انسحبوا نهائيــا بدون ان يصله تفصيلات هذا الانسحاب . وعندما كان فى هذه المحطة أذيعت إشاعة بأن أمينا بك يريد أن يجعل فيها قاعــدة المديرية وأنه أعــد هناك دارا له غير انه بعد ذلك بأربعة أيام انتقــل الى محطة خــور أيو ومنها استدعى البكباشى حواش افندى ليتداول معــه فى تأليف الأورطة الثانية إلا ان هــذا الضابط لم يحضر ولم يكتب ليعتذر عن تخلفه

عن الحضور .

وهنا يتساءل المرء عن السبب فى عدم احترام أوامر الرئيس .

وللجواب على ذلك نقول ان السبب بلا مراء هو دسائس الملكيين وسوء نيتهم إذ أن هؤلاء كثيرا ما كانوا سببا فى حدوث ارتباكات وقيام عراقيل أمام أمين بك . ولا عجب فهؤلاء الاشخاص ينتقون من بين صفوف أردأ الموظفين الذين أساءوا السلوك فى الخرطوم فصدرت الأوامر بنفيهم الى خط الاستواء ليكفروا عما اقترفوه من الذنوب . وكان ايضا الضباط غير السودانيين ما عدا القليل منهم محكوما عليهم من مجالس عسكرية وأتوا ليقضوا مدة العقوبة المحكوم عليهم بها فى السودان . وما كانت تنقطع قط دسائس الزنوج وغيرهم وكانت النتيجة رفض الأورطة الاولى اطاعة المدير بالمسير فى اتجاه الجنوب .

وكان امتناع حواش افندى عن تلبية طلب أمين بك ناشئا عن دسيسة دسها كذلك الموظف الملكى احمد افندى رائف ذلك بأن قال له ان فى ثنايا استدعائه الى خور أبو شركا نصب لوقوعه فيه .

الترتيبات الجديدة

ولما كرر أمين بك استدعاءه لحواش افندى مرارا لم يستطع هذا الاستمرار على الامتناع عن الذهاب اليه خوفا من أن ينسب اليه التمرد . وعندما مثل أمامه قابله بالأنس والبشاشة حتى عرف انه لم يقع فى مخالب الخدع . وبعد أن لامه أمين بك بطريقة أبوية لتخلفه طويلا عن الحضور رقاه الى رتبة البكباشى نظرا للخدمات العظيمة التى

أداها للمديرية وليستوى هـو ورفيقه ريحان افندى قومندان الأورطة الأولى فى المرتبـة . ثم أخذ يشتغل معه فى ترتيب المستخدمين الملكيين وضباط الأورطـة الثانية التى كان سيؤخذ منها حاميات المحطـات الجنوبية .

وعملت الترتيبات العسكرية فى المديرية بالكيفية الآتية :—

أورطتان كل واحدة منها مؤلفة من ٨ بلوكات فى كل بلوك ١٠٣ بين ضباط و ضباط صف و جنـود فيكون مجموع الأورطة الواحدة بما فى ذلك القـائد ٨٢٥ ويكون مجمـوع الاورطتين ١٦٥٠ مابين ضباط و ضباط صف و جنـود . وتم توزيع هاتين الاورطتـين بهذه الكيفية وهى :—

توزيع الأورطة الأولى بقيادة البكباشى ريحان افندى ابراهيم

أركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الأول والثانى فى لادو .
والبلوك الثالث فى غندوكورو .
والبلوك الرابع والخامس فى الرجاف .
والبلوك السادس فى بيدن .
والبلوك السابع والثامن فى كري .

وهذه اسماء ضبـاط الاورطة الاولى كما وردت فى بيان أرسله الينا عبد الرحمن افندى رجمى نجل المرحوم البكباشى عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء فى عهد حكمدارية امين باشا :—

عدد		
١	اليوزباشي	حامـد افندى محمد
١	»	سليم » مطر
١	»	ابراهيم افندى آدم
١	»	سالم » خلاف
١	»	محمد » الصياد
١	»	عبد الواحد » مقلد
١	»	سعيد » عبد السيد
١	»	فرج » يوسف
١	الملازم الأول	فرج » الجوك
١	»	جادين » احمد
١	»	على » جابو
١	»	عبد المبين » شلبى
١	»	بخيت » برغوت
١	»	سليمان » السودانى
١	»	حسن » الجوهرى
١	»	مصطفى » احمد
١	»	بخيت » المصرى
١	»	بخيت » كاسا
١	»	حسن » بريه
١	»	فرج » دنكاوى
٢٠		



البكباشي حواش افندي منتصر

توزيع الاورطة الثانية بقيادة البكباشى حواش افندى منتصر

اركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الاول والثانى فى دوفيليه .
البلوك الثالث فى لابوريه .
البلوك الرابع فى موجى .
البلوك الخامس فى فاديك .
البلوك السادس فى فاتيكو .
البلوك السابع فى وادلاى .

وهـــذه أسماء ضباط الاورطة الثانية كما وردت فى بيان عبد الرحمن افندى المذكور :—

عدد		
١	اليوزباشى	عبد الوهاب افندى طلعت
١	«	مصطفى « العجمى
١	«	محمود « العجيمى
١	«	احمد « الاسيوطى
١	«	خير « مرتنيك(امريكانى)
١	«	كودى « احمد
١	«	فضل المولى « الامين
١	«	احمد « على
١	الملازم الاول	عبد الله « محمد
٩	نقل بعده	

عدد				
٩	ما قبله			
١	الملازم الاول	عبد الله افندى		منزل
١	»	عبد الله	»	العبد
١	»	سرور	»	على
١	»	بخيت	»	محمود
١	»	فرج	»	الزهيرى
١	»	فرج	»	زغلول
١	الملازم الثانى	محمد	»	موسى
١	»	حسين	»	محمد
١	»	سليمان	»	عبد الرحيم
١	»	خالد	»	احمد
١	»	اسماعيل	»	حسين
١	»	محمد	»	عثمان المصرى
٢١				

* * *

وفيما عدا تنقلات الجنود التى تستلزمها ضرورات الاعمال أو اخلاء بعض المحطات واحتلال غيرها استمر هذا الترتيب بهذا الوضع لغاية نهاية الادارة المصرية .

فكان على ذلك البكباشى ريحان افندى يتولى القيادة من لادو

الى كري ، و البكباشي حواش افندى فى قسم المديرية الجنوبي ابتداء من كري . وقد شمروا عن ساعد الجد وواصلوا ليلهم بنهارهم فى اصلاح الأسلحة وترتيبها فكانت نتيجة ذلك صلاحية بندقيتين أو ثلاث للاستعمال من كل عشر بنادق كانت غير صالحة للاستعمال . وبهذه الكيفية صار فى حيز الامكان ايجاد بنادق يبلغ مجموعها ٢٥٠٠ بندقية . ولهذه المناسبة أصدر امين بك عدة أوامر بترقيات حملها حواش افندى معه وهو مسافر .

وكان قبل ذلك بزمن يسير قد فصل احمد افندى محمود المأموز الملكى وعبد الوهاب افندى طلمت الأمور العسكرى جزاء ما عزياه الى امين بك من الاقوال المفتراة . ولوساطة فيتا حسان عفا عنهما امين بك حسب عادته المألوفة غير أنهما فى نفس ذات اليوم الذى عفا فيه عنهما عادا الى القدح فيه بقولهما انه ليس بأهل للحكم . وهذا ما جعل فيتا حسان يتميز من الغيظ وهمّ بأن يطلب من امين بك ان يوقع عليهما أقصى عقوبة غير انه ما لبث أن عدل عن فكرته هذه وأخذ هو نفسه يستعطف أمينا بك قائلا : ينبغى ان يعفو الانسان عن الزلات .

نقل قاعدة المديرية الى وادلاى

وقال امين بك لفيتا حسان ، وذلك قبل رجوع حواش افندى الى دوفيليه ، إنه يريد الانتقال صوب الجنوب ليقيم قاعدة حكومته فى وادلاى ، وانه يود أن لا يذهب الى هناك إلا بدافع من الاورطة الثانية . ولعل ذلك كان لخوفه من ان انتقاله الثانى هذا يحمل الاورطة المذكورة على الاعتقاد فى صحة اشاعة هروبه . وقد يجوز أيضا ان يكون ذلك صادرا

من طريق غريزته التى كانت دواما تحمله على اتخاذ طرق ملتوية معوجة ليتوصل الى حل المسائل البالغة منتهى البساطة .

وكان فيتا حسان يعتقد جواز الأمرين . غير أن أمينا بك قدم الى حواش افندى سببا لا يمت بصلة ما لغرض من هذين الغرضين وأقنعه بأن يطلب منه انتقاله الى وادلاى لأسباب طبيعية يبررها العقل . وهى ان المواصلات بين خور أيو و دوفيليه غير ممكنة إلا برا ، وبالتالى يصعب قطعها على الجنود وعلى الأهالى الذين يستخدمون كحمالين بينما يمكن قطع المسافة بين دوفيليه و وادلاى بانتظام فى سائر ايام السنة بواسطة الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » .

وكان فيتا حسان حاضرا مع المدير فى نفس البرهة التى عرض فيها طلب حواش افندى على أمين بك الذى تناوله فى الحال وتصفحه بسرعة البرق وأقره .

انشغال المدير بشحن الغلال الى الشمال
وتطبيب مرضى أمادى وجرحاها

وشخص حواش افندى الى محل وظيفته فى دوفيليه ولبث امين بك فى خور أيو يشرف على شحن الغلال الى الشمال وعلى تطبيب مرضى وجرحى امادى . أما اليوزباشى كازاتى الذى كان لم يزل مقيما فى لادو فقدم وقابل امينا بك فى خور أيو وأبلغه انه علم ان ترجمانا من الباريين أتى الى لادو وأخبر أن المهديين أخذوه معهم من مكراكا وان هؤلاء دمروا هذه المحطة تدميرا تاما بعد ان أخلوها .

وقـــــرر امين بك السفر الى دوفيليه بعد ان أرسل الى لادو زهاء ٤٠٠ اردب من الحبوب وكان ذلك عقب أن ورد له إخطار رسمى من البكباشى قائد الاورطة الثانية فى دوفيليه فحواه عدم استطاعته ارسال حبوب الى خور أيو بعد ان كلف بتموين لادو بالحبوب .

أما اليوزباشى كازاتى فقد رحل قبله الى وادلاى .

سفر المدير الى دوفيليه وخطر الطريق الموصل اليها

وكان امين بك قد قرر السفر من خـــور أيو الى دوفيليه فى ٢٣ يونيه وأعد كل أدوات السفر غير أن الحمـــالين لم يأتوا الى الساعة التى توارت فيها الشمس بالحجاب . فدعت الضرورة أمينا بك أن يؤجـــل سفره الى الغـــد لأن الطريق كانت غير مأمونة ويستطيع ان يهاجمه فيها عدد قليل من الأهالى بسهولة . وكان هؤلاء فى الواقع ونفس الأمر منـــذ ثورة الماتويين Metus التى قمعها حواش افندى قبـــل ذلك بستة أشهر قد صيروا الطريق مخـــوفة إذ أقامـــوا فيها المكامن على مقربة من خـــور الطين Khor El Tin فى منتصف الطريق بـــين خور أيو و دوفيليه ليهاجموا منها عابرى السبيل الذين لا يكون لديهم الحرس الكافى .

ولما كان احمـــد افندى محمود السالف الذكر ليس فى امكانه الانتظـــار سفّر والدته وشقيقته مع أربعة من الخدم وأربعة من الحمالين فجـــرت عليه هذه المجازفة أعظم المصائب وأكبر الويلات إذ هاجم هذه القافلة الصغيرة منسر من الزنوج فى خور الطين فأبادها ولم ينج منها

سوى خادم واحد تمكن من الوصول الى دوفيليه بخشى عندئذ حواش افندى من الاغارة على قافلة امين بك فأرسل ليلا أربعين جنديا ليحافظوا عليه لغاية دوفيليه . ودخل امين بك هذه المحطة فى ٢٤ يونيه .

وأقام أمين بك نحو عشرة أيام فى دوفيليه ومنها استمر فى تصدير الحبوب فى اتجاه الشمال . وتلقى فى اثناء اقامته فى هذه المحطة خطابا من ريحان افندى فى لادو فحواه أنه قام بغارة خلف جبل لادو فى اتجاه فادجيلو Fadjelu فنجحت وغنم ذرة ودخنا بمقادير كافية لتموين الجند زمنا .

مبارحة المدير لدوفيليه
وتكليفه حواش افندى القضاء على دسائس الموظفين

وعند مبارحته دوفيليه وجه الى حواش افندى فى مواجهة الجند والموظفين مجتمعين فى المرسى الكلمات الآتية .

« لقد حاق بى من الهم والاذى ما فيه الكفاية . وليس لى متسع من الوقت لاشتغل اكثر مما مضى بدسائس وسخافات الموظفين . فأنا افوض لك الأمر فى كبح جماحهم وعدم خروجهم عن حد الواجب . واترك لك مطلق الحرية وأؤيد سلفا ما تتخذه من التدابير » .

وسافر امين بك من دوفيليه فى ٤ يوليه ودخل وادلاى فى ١٠ منه واقام بها عامين تقريبا فى هدوء نسبى لغاية قدوم استانلى أول مرة ووقوع الحوادث التى قلبت المديرية رأسا على عقب .

ووجـد امـين بك فى وادلاى زريبـة كبيرة بها ممـدات الراحـة كانت قد اعدت له من قبل فنزل بها وقدم اليـه فيها رئيس هـذه النـاحية وكان من عاداته ان لا يأتى قط الى المحطة ووعده بان يرسل إليه رجالا وتراجمة .

واول عمـل اقدم عليـه امـين بك فى وادلاى عزل احمـد افنـدى محمود إذ ان شخصيته أمست لا تطـاق بسبب رداءة سلوكه وشدة وقاحته .

ورأى امين بك انه قد أزيح عن عاتقه الاهـتمام بمشاكل المهديين وتمرد الاورطـة الأولى ودسائس الموظفـين زمنـا ما فأخـذ يشتغل بتحسين حالة المـديرية بنشر الزراعـة وأرسل كذلك رسله سرا الى كباريجا ملك الاونيورو ليجس نبضـه عن مقاصـده نحو المديرية وعن اجتيازه بلده إذا طرأ ما يدعو الى ذلك .

الغرض من محاولة أمين بك ايجاد مخرج له فى أونيورو

وقد كان امـين بك من جهـة اخـرى ينوى مد حدود مديرته الى ما وراء بحـيرة البرت نيانزا حتى اذا جدد المهديون غاراتهم تكون البحـيرة فاصلة بينهم وبينه . ولم يكن قصد امين بك من تلمس مخرج له فى أرض الاونيـورو الرغبة فى ترك المديرية ومبارحتها ، بل كان غرضه الوحيـد من ذلك ايجاد طريق للانسحاب مفتوحـة ليسلكها عند الحاجة إذ أنه كان مغرما بمديرية خط الاستواء ويرى نفسه سعيـدا بوجـوده فيهـا وبدلا من ان يتركها كان يأمـل ان يوسعها ويقويها

ويجعلها مقرا سعيدا . غير ان انقسام الجنود السيء العاقبة وخيانة المستخدمين وعويلهم كل ذلك كان يجعل تنفيذ هذه الخطة من الامور الصعبة بل المستحيلة .

ولقد أطارت بادىء الامر غارة المهديين غير المتوقعة لب امين بك إلا أنه حتى فى هذه الآونة العصيبة لم ييأس من النجاة . والدليل على ذلك كلامه الذى فاه به عشية اليوم السابق لوصول الأمير كرم الله وتناقلته الألسن وحرفته تحريفا مشئوما وهو :—

« ان فى استطاعتى بعون الله وحوله أن أحافظ عليكم وأسير بكم عن طريق أوغندة . وآخذ على عاتقى ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتمونى الطاعة . وفى قدرتى ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق أونيورو و أوغندة . أما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من أرضه . والخديو ليس فى حاجة الى بعض جنود سودانية والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلدهم .

لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعتمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين » .

وفى غضون حصار أمادى لم يعد امين بك يفكر فى انسحاب قد يمكن ان تكون عاقبته القضاء المبرم عليه وعلى سائر من معه لأن نقل عدة آلاف من الاشخاص بينهم بوجه خاص النساء والاطفال فى جوف غابات افريقية أمر غاية فى الصعوبة ان لم يكن مستحيلا كما جرب ذلك بضعة

الاشخاص الذين امكنهم بلوغ ساحل البحر مع استانلى .

وكان امين بك على بينة من هـــذه الصعاب التى كانت الباعث الوحيد فى تردده كلما دعت الحالة الى سفر أو انسحاب . وكان من ناحية اخـــرى اغلب اناس مديرية خط الاستواء سواء أكانوا جنودا أم أسرا لهم من الزنوج وهم يرتاحون لوجودهم فى تلك الاصقاع ولا يميلون إلا قليلا لترك مسقط رؤوسهم ليذهبوا الى مصر بعد ان يقاسوا فى الطريق من المشاق والصعاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

والموظفون المصريون الذين يرغبـــون فى الرجوع الى بلدهم كانوا اقلية لا تذكر وكان السفر معهم وحدهم فى رحلة كهذه أمرا محفوفا بالأخطـــار . وعدا ذلك فان أمينا بك شغوف بخط الاستواء وفى نيته الاقامة فيــــه . فلقد كان مجذوبا اليه بهوائه العليل ، وسكانه الهادئين هدوءا نسبيا ، وعيشته الرخية . ولو أراد حقا اخلاء المديرية لما استطاع ذلك إلا بعد موافقة الجنود . واذا وافق هؤلاء فليس هنالك شيء أسهل من الرحيل مع ال ١٦٥٠ جنـــديا المسلحين سلاحا تاما والمزودين بالمؤونة التى فى حوزتهم . اما مملكتا أوغندة والاونيورو فهاتان لا يمكن ان يخطر ببالهما الوقوف فى طريق جيش عرمرم كهذا لتعترضاه .

ولم يكن أمين بك يفكر إلا قليلا فى انسحاب كهذا بعد القيام به تقـــريبا من الاشياء المستحيلة بل كان بالعكس يرغب فى اخلاء المنطقة الشمالية ونقـــل المديرية الى القسم الجنوبى ليخضع الاهالى النازلين بين بحـــيرتى البرت نيانزا و تنجانيقا . ونقل قاعدة الحكومة الى وادلاى هى أول خطـــوة خطاها فى سبيل تنفيذ هذه الخطة . وتهيئة المديرية على هذه

الصورة يصير لها بحيرة البرت نيانزا بمثابة حصن يقيها هجوم المهديين على انه لا يظن ان هؤلاء يقومون بأى هجوم بعيدا هكذا عن قاعدتهم .

غير ان تنفيذ هذا المشروع يتوقف على عدم تمنع الجنود وخصوصا الاورطة الاولى عن تقديم المساعدة . وكان امين بك ينتظر ان يتكفل الزمن بتذليل الأمور فكان الزمن وحده كفيلا بان ينتزع من قلب الجنود ما زرعته يد أولئك الطغام السيئى المقاصد من الأفكار الخبيثة ويرجع اليه الثقة والطمأنينة .

وكان أمين بك يرتقب من حوادث الأيام أن يطرأ من جانب المهديين هجوم على لادو يضطر الجنود الى إخلاء جهة الشمال والانسحاب صوب الجنوب . وفى انتظار حدوث ذلك كان أمين بك يشتغل فى سبيل اكتساب ثقة الأورطة الأولى وازالة الصعوبات التى كانت قائمة أمام امتداد المديرية لشطر الجنوب وذلك بمحاولة عقد صلات مع الرؤساء والامراء المستقلين .

وفى ٢٥ يوليه جاء مع بريد لادو خبر مشئوم مؤداه ان جنود بور اتخذوا سبيلهم مولين وجوههم شطر غندوكورو حسب الأوامر التى كان أصدرها اليهم أمين بك فى يناير وذلك عندما انتقل اليها عثمان افندى لطيف وكيل المديرية فوجموا أثناء الطريق ولم ينج من مجموعهم البالغ ٥٤ نفسا سوى ١٣ نسمة وان هذا العدد وصل الى لادو . وعد أمين بك ريحان افندى مسئولا عن هذه الكارثة لأنه رغما عن الأوامر المتعددة التى بعث بها اليه لم يرسل جنودا عندما كان

لم يزل لديه الوقت الكافى وبعد فوات الوقت أرسل ٢٠٠ جندى بقيادة فضل الله افندى .

وفى ١٦ أغسطس وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وورد بها بريد لادو ومن ضمنه بلاغ من عوض افندى فحواه ان ترجمانا من الفارين من « جور غطاس » روى ان الأمير كرم الله كان آخر من بارح مكراكا وانه أحرق وهو سائر فى طريقه جميع ما صادفه من النقط العسكرية واقتاد معه كل من كان بها .

وفى أوائل سبتمبر بلغت أمينا بك أخبار من مكراكا أتى بها اناس كان قد أمر بارسالهم من الرجاف . وخلاصة هذه الأخبار ان المحطات جميعها سليمة غير انها خاوية خالية وان بعض الرؤساء اقتادهم المهديون معهم الى بحر الغزال وان هؤلاء لم يتركوا منهم أحدا لا فى مكراكا ولا فى أمادى .

وفد كباريجا ملك أونيورو الى امين بك

وفى ٢٠ سبتمبر جاء وفد الى وادلاى من قبل كباريجا ملك أونيورو مؤلف من ثلاثة مندوبين ليزور أمينا بك ردا على زيارة الرسل الذين كان قد بعث بهم اليه . وكان الوفد المذكور يحمل معه هدايا من منسوجات ودخان وبن . ومن مهمته أيضا أن يؤكد لأمين بك أميال الملك الحبية واستعداده لأن يحضر الى أونيورو الطبيب جونكر الذى كان محجوزا لدى أنقينا . وأقام الوفد أياما عومل فيها أحسن معاملة وقدم له أمين بك فى نهاية الأمر جملة هدايا ذات قيمة برسم الملك

وكلفه بأن يعرب له عن تشكراته لاظهار استعداده لاحضار جونكر من عند أنفينا ويؤكد له صداقته .

ووزع أمين بك المنسوجات المرسلة من طرف كباريجا على ضباط الأورطتين . فاتخذت خيانة المستخدمين من هذه المسألة وسيلة لبث دسائس جديدة فزعم أحدهم وهو شخص يقال له باسيلى افندى بقطر كاتب الأورطة الأولى فى لادو ان هذه المنسوجات لم تأت من عند كباريجا بل هى آتية من قبل أمين بك و فيتا حسان . أما القول بأنها هدايا مرسلة من الملك المذكور فهذا ادعاء القصد منه حمل الجنود على المسير صوب الجنوب حيث يسلمون الى كباريجا ثمنا لمرور امين بك ، بل حدث ما هو أدهى وأنكى إذ تطرفوا وشطوا فى الادعاء فقالوا ان النسيج مسموم وأرسله أمين بك بقصد اهلاك ضباط الأورطة الأولى ومواراتهم عن الأعين . واحتفظ بكباشى الأورطة المذكورة ريحان افندى بهذا النسيج ولم يشأ أن يستعمله قط وأرسل واحدا من ضباطه وهو اليوزباشى على افندى سيد احمد الى أمين بك ليستعلم عن حوادث وادلاى ويفيده بالنتيجة .

تدمير الزنوج محطة بور وارسال حملة لتأديبهم

وان هو إلا أن سافر الوفد المرسل من كباريجا حتى قدمت باخرة من دوفيليه تحمل أخبار الخراب والدمار . ذلك ان محطة بور قد دمرها الزنوج فى آخر الأمر وان هذا التدمير حدث تماما فى اللحظة التى كانت فيها حاميتها على أهبة الذهاب الى لادو . ويظهر انه على الرغم من الأوامر الصريحة الصادرة من أمين بك لم يخطر ببال البكباشى قومندان لادو

أن يرسل جنديا واحـــدا الى بور ولكن عندما نزل القضاء ووقعت الواقعة بادر بارسال ٢٠٠ جنـــدى بدون أن يكون من وراء ارسالهم أمل ما وبدون أن يحسب ان هذا العدد غير كاف .

ووصلت هذه الحمـــلة الى بور بدون أن تصاب بضرر وغنمت بعض المؤن غير انها بدلا من أن تقنع بهذه الغنيمة وتعود توجهت شطر الشمال ولربما كان ذلك حسب أوامر البكباشي الآنف الذكر . ولدى وصولها الى بحر الزراف أحيطت بجموع كبيرة من الزنوج وأبيدت تقريبا .

وتمكن الى الآن ٤٣ جنديا فقط من المائتى الجندى المذكورين من الرجوع وكانت نتيجة هذه الكارثة ان ثار البارون الذين ارتاحوا لوهن الحكومة وضعفها .

إيفاد امين بك فيتا حسان الى أتفينا
لاسترجاع الدكتور جونكر

وحاول أمين بك الاستفادة مما أبداه كباريجا من الاستعداد لاسترجاع الدكتور جونكر من لدى أنفينا حيث مر عليه ثمانية أشهر وهـــو عنـــده بدون أن يستطيع أن يقوم بحركة أو أن يرسل خطابا أو يصل إليه شيء من ذلك ، فعهـــد أمين بك الى الضابط سليمان افنـــدى عبد الرحيم القيام بهـــذه المهمة فاستصحب هذا بعض الجنـــد وشخص الى فودا Foda عاصمة ماجونجـــو ومحل وجود جونكر ، غير ان ما أبداه الأهالى من المداوة اضطره الى الرجوع من « خـــور جالوبا » Khor Galuba الواقع في منتصف الطريق . ورأى عندئذ أمين بك أن

يكلف ضابط مراسلته عبد الوهاب افندى طلعت ومندوبه الأول احمد افندى رائف بهذه المهمة لكنهما أبيا القيام بها .

وقد طلب أمين بك من فيتا حسان أن يأخذ هو هذا الأمر على عاتقه فلبي الطلب وقام على متن الباخرة « نيانزا » فى ١٠ أكتوبر . ولكون غاطس هذه الباخرة كبيرا ولا يمكنها الوصول الى « تور » Tor اضطر فيتا حسان أن ينزل منها فى « فاكانجو » Fakango وسار فى طريقه هو و الجاويش عبد الجبار و جندى ظانا أنه ليس من أصالة الرأى استصحاب عدد كبير من الجند لأن ذلك لا يكون من ورائه غير لفت الانظار وزيادة الاحتراس بينما أن اثنين أو ثلاثة أشخاص يستطيمون السير بدون أن يراهم انسان .

وبلغ فيتا حسان فى ظرف أربعة أيام فودا عاصمة ماجونجو وفيها قابله الرئيس أنفينا ، وكان قد بلغه خبر قدومه ، عند باب داره بشاشة وايناس أدهشاه . وكان الرئيس يرتدى ملابس غريبة وطربوشا وحذاء حتى أن من رآه يخاله موظفا مصريا وهو لا يلبس هذه الكسوة إلا فى الاحتفالات الرسمية كاستقبال رسول من طرف الحكومة المصرية . ويتكلم أنفينا اللغة العربية باتقان بكيفية مكنت فيتا حسان من محادثته بدون احتياج الى ترجمان .

وقد أحضر أنفينا الى ضيفه قهوة وهذا أمر يقوم به عادة رؤساء الزنوج الآخرون .

ولا يمتاز رجال الماجونجو الذين يسكنون هذا القسم عن الأقوام الرحل

الآخرين الذين سبق وصفهم إلا بنظافتهم وكثرة استعمالهم الملابس . وأكثر ما يشتغلون به الفلاحة وقليل منهم يشتغل باقتناص الفيلة . وأهم أغذيتهم الموز ويحصلون عليه من مزارع لهم واسعة من هذا النوع . ولهم عادة تعد من أعجب العادات ذلك ان بنات ملك هذا البلد يمكن تماما بلا حياء أن لا يتزوجن . وهن مع ذلك غير ملزمات أن يبقين أبكارا لأن كل رجل يعجبهن يجب عليه أن يظل طوع ارادتهن غير انهن متى قضين منه وطرهن أمرن باعدامه حتى لا يستطيع الافتخار بما نال منهن من تنعم . ولا ينجو من الاعدام إلا من ساعده الحظ وانغرست محبته فى قلوبهن فهذا عندئذ يرفع الى مرتبة « ماتونجولى » أى وزير . وعدا ذلك فان الرئيس له وحده امتياز التزوج من اخته .

وكانت « فودا » التى يقيم فيها أنفينا نقطة مصرية فى السابق تابعة لمركز فوبرا وأخليت فقط عند هجوم المهديين . ويشق هذه القرية نهير ويوجد على الضفة المقابلة مسكن الطبيب جونكر . وهناك على هذه الضفة أمر أنفينا ببناء مسكن فيتا حسان ولا يفصله عن المسكن الأول غير حديقة صغيرة . ورافق أنفينا فيتا حسان لغاية حافة النهر وأمر بانزال متاعه فى مركب ولم يبق فى هذا البر سوى بغلته .

وأحضر أنفينا خلال عبور الأمتعة مقعدين جلس هو و فيتا حسان عليهما متفيئين ظلال شجرة من أشجار التمر هندى وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث . فسأل أنفينا فيتا حسان عن الداعى الى سحب الجنود من بلده قائلا ان وجودهم يحميه من غارات كباريجا الذى يخافه ويخشاه كثيرا . ورجاه أن يطلب من أمين بك باسمه رجوع الحامية وانه يتعهد أن يقوم بلوازمها .

وأردف أنفينا أنه كان دائما أبدا مخلصا للحكومة وانه ليس من العدالة فى شيء تركه هكذا تحت رحمة كباريجا وأنه سيأتى بلا ريب يوم يدمر فيه ذلك الملك بلده .

فهدأ فيتا حسان روع أنفينا وطمأنه من ناحية مقاصد كباريجا ووعده بأن يكلم أمينا بك فى هذا الموضوع . ثم سلم عليه وعبر وحده النهير فوجد جونكر فى انتظاره ولدى مقابلتهما صافح كل منهما الآخر معبرا عما يكنه له من الشوق وبعد ذلك وليا وجههما شطر منزل الطبيب .

وظل الطبيب جونكر فى هذا المكان ثمانية أشهر لم يستطع فى خلالها أن يرسل جوابا واحدا الى ساحل زنزبار . أما أوغندة فكانت فى حرب مع ماجونجو ولم يكن فى استطاعة انسان أن يجتاز أرض ملك أوغندة المدعو موانجا Mwanga وهو ابن متيسا الذى توفى وقد تولى عرش أوغندة بعد وفاة والده . ولقد جرب جونكر كل الوسائل للخلاص من هذا الأسر فلم تنجح منها وسيلة وكان يقضى أوقاته فى فلاحة بستانه ومتابعة دروسه .

ارسال حامية من الجنود المصرية الى عاصمة ماجونجو

وبر فيتا حسان بوعده لأنفينا وكتب الى أمين بك ليرسل ثلة من الجنود الى فودا . ويقول فيتا ان الأيام التى قضاها فى هذه القرية هى أطيب الأيام التى قضاها من حياته فى السودان . وكان أنفينا يقدم لهما بانتظام الذرة واللحم وفى كل مرة يطلب منهما الالحاح على أمين بك بارسال حامية مصرية .

وفى نهـــاية الأمر أتى الى فـــودا فى أوائل ديسمبر ضابطان وهما سعيد افندى عبد السيد و بخيت افندى ومعهما ١٥ جنـــديا . وهـذا العـــدد الأخير من الجنود مكلف بالاقامـة فى القرية السالفة الذكر بصفة حاميـــة .

وفى ١١ ديسمبر بعـد أن ودع فيتا حسان و جونكر أنفينا انطلقا فى السير مـع الضـابطـين موليـن وجوههم شطر فكواج Fakwadj الواقعـة على بعد ١٥ دقيقة من بحيرة الـــبرت نيانزا فبلغوها بعد سفر أربعـــة أيام ونزلوا فى دار رئيس القـــرية منتظرين حضـور الباخرة « الخديو » وقـد وصلت فى اليوم التالى الموافق ١٦ ديسمبر وعلى ظهرها أمين بك . وعاد الجميع معا الى وادلاى .

ويقص لنا فيتا حسان قصة فى تدوينهـــا هنا شيء من الفائدة والفكاهة ، قال :

« مما يلفت الانظار ان أسماء القرى الكبرى الواقعة فى المنطقة التى بين النيل الأبيض ونيل فكتوريا ابتـــداء من دوفيليه لغاية بحيرة البرت نيانزا حيث توجد مساقط مورشيزون ، تبتدىء تقريبا جميعها بحرف « ف » وذلك مثل :

« فاديبك . فورا . فاتيكو . فالورو . فابو . فادوللى . فارابوجـو . فاتانجا . فارادجوك . فارشيلا . فاتاجورا . الخ . . .

« وهـذه المماثلة فى بدء هـــذه القرى بحرف الفاء لم تأت عفـــوا فلقـــد حفظ الأهالى سيرة عجيبـة بصدد هـــذه المسألة تلقاها الخلف عن

السلف . ذلك انه فى زمن بعيد جدا ظهر فى تلك المنطقة شيخ من شيوخ العرب ومن أولياء الله الصالحين . ولم يكن معه من الأتباع سوى رجل واحد من المؤمنين وكان كل ما لديه من السلاح فرع أخضر يستعمله كمنسأة يتوكأ عليها . ورأى الأهالى فى ظهور هذا الرجل الأبيض الذى لم يسبق لهم أن رأوا مثله آية من الآيات ومعجزة من المعجزات . ولم يلبث أن صار موضع اعزاز الأهالى واحترامهم بحسن سلوكه وطيبته وصلاحه . وكان ذلك الشيخ يعرف كيف يتوصل الى إفهام الأهالى ما يريد افهامهم إياه وكيف يطفىء جذوة حدتهم عند المخاصمات وكيف يصالحهم . فقدر له الناس صلاحه حق قدره الى أن علا صيته وشاع وذاع وملأ الاصقاع وصارت كلماته لها منزلة الوحى المنزل .

« وكان الشيخ فرج ، وهذا هو اسمه ، ينبىء الأهالى بأنه سيأتى يوم يظهر فى هذه البلاد اناس بيض نظيره ويوصيهم بمقابلتهم كاخوان لا كأعداء (وربما كان يلوح الى المصريين) . ولكيلا تمسى تعليماته نسيا منسيا كان يضيف على اسم النواحى التى يمر بها أول حرف من حروف اسمه وهو الفاء . وقال للناس ان أسماء هذه النواحى يجب ان تذكركم على الدوام بالشيخ فرج وتعليماته حتى لا تكونوا سببا فى حدوث أذى يلحق باخوانكم البيض عندما يأتون .

« فاذا سألت من أين أتى هذا الشيخ ومن هو والى أين ذهب فلا تجد مجيبا . وان الذين بلغوا من الكبر عتيا هم وحدهم دون سواهم الذين ادعوا ذكر ولى مر ببلدهم مرور الطيف ولكنهم لا يعطونك من أوصافه شيئا غير أمره الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر » .

حوادث المديرية اثناء غيبة فيتا حسان

أما الحوادث التى وقعت فى المديرية خـــلال غياب فيتا حسان عن وادلاى فها هى :ـــ

فى ١٤ اكتوبر وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى على حين فجأة قادمة من دوفيليه وذلك فى الساعة التاسعة والنصف مساء وجاء معهـــا الخبر الآتى وهو :

انتقل ريحان افندى الى غندوكورو فى ٢ أكتوبر ليتفقد فيهـــا أشغال الدفاع الجارية بهـــا . وفى ٤ منه ورد له خطاب من اليوزباشى محمود افندى العجيمى أخـــبره فيه انه عند بزوغ الشمس نبهه رئيس تراجمة البارين الى ما يأتى :

ان رئيسى البارين المقيمين بجوار المحطة وهما وادمارى Wad Mari و وادبانجا Wad Ianga أخذا أبقار الحكومة ليلا ونشرا هما وأتباعهما راية العصيان . وبعد ذلك بساعتين هاجم جمع غفير من الزنوج محطة لادو فصوبت عليهم ثلاث طلقات من أفواه البنادق فولوا الأدبار غير ان لادو محصورة وجميع المواصلات مع الرجاف مقطوعة .

وقدم تراجمة البارين مبكرين وطلبوا ذخيرة فصرف لكل منهم ربطة بها عشرة مظاريف وذهبوا ليحضروا الى المحطة عشائرهم ومتاعهم غـــير انه لم يرجع منهم سوى أربعة رجـــال بسلاحهم وبعض رجـــال آخرين بدون سلاح .

وأخبر ترجمان ظل مخلصا للحكومة ان الذين قامـــوا بالهجوم على لادو و غندوكورو هم عشائر الشير Shirs ، و الدنكا Dinkas ، و النيامبارا Niambaras ، و الأليأب Elliabs ، الذين انضموا الى الباريـين . ويقول ريحان افنـدى علاوة على ذلك ان الرئيس بافو Befo كان روح العصابة وان هـذا الرئيس من البالنيان Belinien . فأرسل أمين بك فى الحـال ضباطا مزودين بالتعليمات اللازمة وأرسل معهم المؤونة الكافية برسم لادو و الرجاف وهى عبـارة عن ١٥٠٠ اردب تقريبا إذ أن الباريـين أرسلوا أولا الحبـوب الى الحكومة وبعد ذلك ثاروا .

وفى ١٨ أكتوبر قدم اناس من قبل كباريجا بقيـادة أمسيجى Msigi ترجمان أمين بك سابقا وكانت مأموريته هذا تنحصر فى أن يتأكد اذا كان رئيس الأتراك (أى المصريين) هـو نفس صديق كباريجا قديمـا أى أمين بك وانه اذا وجده هـو بعينه يضع نفسه فى خدمته . أما اذا ظهر له عكس ذلك ينقلب راجعـا لأن كباريجا لا يريد أن يكون له صلة ما بالحكومة .

وقص أمسيجى على أمين بك ان موانجـا ملك أوغندة الجديد أعـدم سائر كبار الرجال الذين كانوا فى بلاط أبيـه ولم يستبق منهم إلا صديقه الوزير الأول . وان أربعة من الأجانب نزلوا فى أوغنـدة وان العلائق بينها وبين الأونيورو متوترة ولكن السلع ما زالت تغدو وتروح بدون أدنى عائق حتى ان العرب يصدرون ويستوردون البضائع والمراسلات من غير ارهاق ولا اعنات .

وهمس أمسيجى فى أذن أمين بك ببعض تعليمات سرية فحواها ان كباريجا يعرض عليه أولا ان ينتقل هو ورجاله إليه وذلك عند مسيس الحاجة أو ان يقدم له الوسيلة بان يجتاز بلده متجها نحو الجنوب . وكان يعلم امين بك ان فى هذا الأمر سرا غامضا وان وراء الأكمة ما وراءها .

ومن حوادث المديرية أيضا ان اليوزباشى على افندى سيد احمد الذى أرسله ريحان افندى الى وادلاى ليتصيد الأخبار كما ذكرنا قبلا ، سافر منها راجعا فى ١٤ أكتوبر وبلغ الرجاف فى ٢٤ منه ووجد الطريق مسدودة من اسبوعين بين لادو و الرجاف و غندوكورو فطلب ١٠٠ جندى وذخيرة . واختفى تراجمة الرجاف كافة وأخذوا معهم اسلحتهم وظل الرئيس لاكى Laki وحده على عهده مع الحكومة والله يعلم الى متى يظل محافظا على هذا العهد .

وفى ١٤ اكتوبر كتب ريحان افندى ان البارين جددوا غاراتهم وانه لو تراءى ان لادو فى غير استطاعتها الثبات تتراجع حاميتها الى الرجاف . وان الطريق في جنوب هذه الناحية خالية للرائح والغادى لغاية هذا اليوم .

وفى أول نوفمبر أرجع امين بك رسل كباريجا على متن باخرة الى محطة كيبيرو Kibiro الواقعة على بحيرة البرت نيانزا بعد ان زودهم بالهدايا والخطابات واصبح الآن كل شيء معلقا بحسن ارادة كباريجا ولكنه اذا رفض وآل ذلك الى الفشل يقول امين بك انه يبقى لديه وسيلة ارسال ١٥٠ جنديا الى أوغندة عن طريق مرولى حتى لو دعت الحالة

الى استعمال القوة .

وفى ١٧ نوفمبر وصلت الباخرة « الخديو » فى البكور الى وادلاى آتية من دوفيليه وبها خطابات من على افندى سيد احمد فى الرجاف علم منها ان الرئيس لا كى انضم الى الثائرين ، وعلى هـذا أمسى بلد الباريين برمته متمردا حاملا راية العصيان ، وان لادو ما زالت محصورة وان جمعا غفيرا من السود الباريين و الدنكا هاجم الرجاف فصد بعد ان منى بخسارة قدرت بـ ٥٠٠ قتيل وكثير من الجرحى ، وان الزنوج قاموا بهجوم آخر فصدوا ايضا بخسائر فادحة وان الرجاف محصنة تحصينا منيعا وممونة تموينا حسنا وعلى ذلك تعد كل هـذه الغارات تافهة ولا يؤبه لها . وأرسل امين بك نجدات وكرر أوامره بصدد انسحاب الحامية .

وكان أمين بك قد أرسل ثلة من الجنود كما ذكرنا قبلا لينشىء محطة فى فودا لدى انفينا وأرسل معها حمالين ليعودوا بجونكر و فيتا حسان . وكان الأول قد فشل فى مأموريته وهى فتح باب المفاوضات مع زنزبار عن طريق أونيورو و أوغندة ثم علم فى ١١ ديسمبر بوصولهم الى فاجانجو Fagango الواقعة على شاطىء بحيرة البرت نيانزا فأقلع فى الحال على ظهر الباخرة « الخديو » للاتيان بهم ورجع هو وهم الى وادلاى .

وفى ١٥ ديسمبر قدمت الباخرة « نيانزا » الى وادلاى آتية من دوفيليه ومن اخبارها ان جنود الرجاف قاموا بغارة كللت بالنجاح وغنموا فيها من الباريين كثيرا من الانعام .

وفى ٢٣ منه قدم الى وادلاى جماعة كباريجا الذين كان أنيط بهم

مرافقة الطبيب جونكر الى أونيـــورو . وكانوا يحملون خطابا من ملكهم الى أمين بك يقول فيه ان سبب تأخير أولئك الجماعة هو عدم وجود سلع لدى العرب على ان أمينا بك علم انه لم يرخص لتجار زنزبار بالذهاب الى وادلاى .

وقرر جونكر السفر فى الحال الى أونيورو وان يحاول الذهاب منها الى أوغندة ومنها الى زنزبار . وعين أمين بك فيتا حسان وكيلا للحكومة لدى كباريجا وأصدر له أمرا بالسفر مع جونكر .

وكان جونكر محتاجا الى شيء من النقود ليدفع أجر خادمة حبشية وهى أرملة ضابط خطرى . وكانت هـذه الخادمة فى بادىء الأمر فى خدمة ماركوبولو . هـذا عدا احتياجه الى شراء ما قد يطرأ عليه من اللوازم خلال السفر . ولما فاتح فيتا حسان بما هو فيه من الحيرة أشار عليـــه بأن يخاطب فى ذلك حواش افندى لأنه سخى وكريم فلا يبخل بشىء ثم انه الوحيد فى المديرية الذى يملك نصابا كبيرا من النقود .

وكان حواش افندى يملك عـــددا كبيرا من الرقيق يستخدمه فى كل أنواع الاعمال مثـل زراعة البصل والقطن وصناعة الدامور والاحذية وكانت قطعانه العديدة تستطيع ان تفى بالشطر الأكبر من حاجات المديرية بل تأتى له بقدر طائل من الايرادات .

وكان حواش افندى من جهـــة اخرى ليس بالرجـــل الشحيح ولا من أولئك الذين تأبى نفوسهم اسداء المعـــروف ولا يمكنه أن يرفض شيئا يطلبه صديق له لاسيما إذا كانت المسألة مسألة دراهم والطالب

جونكر الذى تربطـــه وإياه رابطة صداقة متينة وله فى نفسه منزلة سامية . فوضع حواش افندى بسرور مبلغ سبعمائة ريال تحت أمر الطبيب جونكر وتعهد هذا ان يدفعه لاسرته عندما يصل الى القاهرة .

واتفق جونكر و فيتا حسان على ان يقيما وليمة وداع لأمين بك و كازاتى ولـكبار الضباط والموظفين فى وادلاى . فأكلوا هنيئا فرحـين إذ كان يخامرهم الأمل بأن يفتحوا طريق الاتصال بالعالم المتمدين .

١ — ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

تموين محطة بور وارسال حملة لانقاذها

قرر أمين بك فى مستهل هذا العام إرسال حبوب الى بور لتموينها واستدعى على افندى سيد احمد من الرجاف سريعا ليختار الضباط والعساكر اللازم اشتراكهم فى الحملة التى عزم على إرسالها الى بور لانقاذ من بقى بها على قيد الحياة فشحن بمركبين ٤٠ اردبا من الحبوب وأنزل بهما ٤٠ جنديا بقيادة ضابط معه عثمان افندى لطيف مأمور المديرية . وتقضى الأوامر الصادرة اليهما انه اذا رؤى ان حامية هذه المحطة فى غير استطاعتها أن تثبت زيادة عما مضى يجب عليها عندئذ اخلاؤها والرجوع الى غندوكورو برا . أما الامتعة والمرضى فينقلون بالمركبين . وبعد أن تزودت الحملة بهذه التعليمات اتخذت طريقها فى اليم .

وكانت الأخبار قد انقطعت عن أمادى مدة . وكانت حاميتها فى ذلك

---

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى أفريقية » للطبيب جونكر .

الوقت مؤلفة من ٥٠٠ جندى مسلحين ببنادق رمنجتون . أما قوة العدو فكانت غير معلومة إلا أنه يؤخذ من الاشاعات الذائعة أنها مؤلفة من رجال عبد الله و على كركوتلى وبمدهم العرب الذين فى الناحية وهذا كل ما لديهم .

إنذار عثمان أرباب أمينا بك بأخذ أمادى

وبعد الانتظار وصلت مكاتبات من أمادى فى أوائل شهر ينـاير . ووردت ايضا خطابات من عثمان ارباب بمعسكر الشوار يقول فيها انه عاد من بحر الغزال ومعه ٤٠٠ مقاتل ويصرح فى عبارات سداها ولحمتها التعصب بأنه صار من كبار انصار المهدى ويبدى دهشته من انه حين رجوعه وجد اخوانا يقتتلون ويصرح فيما يتعلق بشخصه بأن مقاصده سليمة وينذر أمينا بك بعد ذلك بأنه اذا لم يأت اليه فى ظرف عشرة أيام لوضع حد لسفك الدماء فانه يستولى على أمادى برجاله .

ومما قاله انه ما كان ينتظر ان يلاقى الحرب ولذلك لم يحضر الا ٤٠٠ رجل غير انه عند الحاجة يرسل بلا توان ٢٠٠٠ مقاتل من جور غطاس .

وورد كذلك عدة رسائل من الثائرين لموظفى المديرية يحرضونهم فيها على الانضمام الى المهدى ورسالة من الأمير كرم الله يقول فيها ان المهدى نازل امام الخرطوم .

رد أمين بك على عثمان أرباب

وعلى أثر ورود هذه الأخبار بعث امين بك برسل ليستدعوا على افندى السيد احمد من الرجاف و احمد افندى محمود من مكراكا .

وهذه اجابة امين بك لعثمان أرباب :—

« ان الذين أضرموا نيران العداوة هم العرب أنفسهم وان الموقف تغير تغييرا كبيرا بهرب ابراهيم افندى جورجورو وفرار العرب . وانه هو — أى أمين بك — لا يمكنه أن يبارح المديرية وانه ينذر عثمان ارباب بصفته مرءوسا له بأن يحضر للمثول بين يديه فى لادو » .

موقف المديرية واستعدادها للطوارىء

أما الموقف فى المديرية فى ذلك الوقت فكان كالآتى :

أخلى قسم كبير من المديرية وحشدت الحاميات التى كانت مرابطة به فى المحطات المهمة لأن هذه الحاميات لم يكن فى استطاعتها وهى على ما كانت عليه من التشتت أن تثبت فى اماكنها فى الظروف الحاضرة . وريحان افندى الذى كان يرتقب يوميا مجيئه من ممبتو ليذهب ويتولى القيادة فى مكراكا لم يحضر بعد . أما المائة الجندى النظامى الذين سيحضرهم معه فسيرسلون الى أمادى . واذا رؤى انه فى غير حيز الاستطاعة ابقاء قاعة المديرية فى لادو عندئذ يكون من الأفضل اخلاء هذه المحطة فى أقرب وقت ممكن من الملكيين ، وان لا يترك فيها إلا حامية عسكرية كما تراءى ذلك فى العام الماضى .

والظاهر ان هذا الرأى الأخـــير أقرب الى الصواب لأنه لو حصل انسحاب من أمادى يعقبه فى الحال قحط فى الحبوب فى لادو . وهـذه المادة نقص الوارد منها الى لادو نقصانا بينا منذ ظهر العدو أمام محطة أمادى . أما عن مقـــدار الحبوب الذى يمكن استيراده من مكراكا فهذا لا ينبغى التعويل عليه لو سقطت أمادى . وكان من الضرورى التراجع الى المحطات الجنوبيـــة لأنه لم يكن فى حيز الامكان اخلاء محطات دوفيليه و وادلاى و فاتيكو لوجودها فى قلب بلد غنى بحاصلاته من الحبوب لاسيما المحطة الأولى إذ أن بها الترسانة النيلية والباخرتين « الخديو » و « نيانزا » اللتين هما روح المديرية ولا يمكن ان يحدث مثل هذا الاخلاء إلا عند الضرورة القصوى . أما لو حدث شىء كهذا من باب الاتفاق عندئذ يجب الرجوع الى احتلال محطات الجنوب التى تركت ونقل قاعدة المديرية الى ماجونجو (١) حتى يكون فى الاستطاعة الاتيان إليها بالباخرتين المذكورتين . وهذا وان كان يستلزم كثيرا من المشاق فى نقل الأهالى من مدنيين وعسكريين لكثرة عددهم لكن فيه من جهة اخرى امتياز وجودهم فى بلد مصاف للحكومة لأن أنفينا طلب من أمين بك احتـــلال بلده وكرر هذا الطلب . وعدا ذلك فانه من المحتمل بل فوق المحتمل ان المهديين لا يتتبعونهم لغاية هـذه النواحى القصية . تلك هى آراء أمـــين بك يشاركه فيها أيضا جونكر مشاركة تامـــة .

ونقل رسل انفينا الذين كانوا قد قدموا للمرة الثانية ان الخطابات التى سلمت اليهم ما أمكن ارسالها الى متيسا و المبشرين المقيمين عنـــده وذلك

(١) — عند مصب النيل فى بحيرة البرت نيانزا .

بسبب عدوان كاميزوا Kamiswa وان هذه الخطابات ما زالت عند رئيسهم انفينا .

وقدوم رسل انفينا هذا بعث فى نفس جونكر فكرة سفره صوب الجنوب هذه الفكرة التى كانت خامرته قبلا ولذا استبقى هؤلاء الرسل فى لادو بغية السفر معهم .

وشرع أمين بك فى تنفيذ مشروعه فأرسل الى لاوريه و دوفيليه عدة شحنات من الأمتعة . وبعد بضعة أيام جاء على افندى سيد احمد الى لادو وأتى توا على اثره فيتا حسان من أمادى . ولم يأت هذا الأخير بأخبار كثيرة لم تكن معلومة من قبل . وأبلغ عن كثير من الخرق فى الأعمال وسوء التصرف الذى شاهده وكان هذا سببا فى ارسال خطاب تعنيف الى مرجان افندى وتغيير كتبته .

وروى فيتا حسان انه وان كانت حامية أمادى مؤلفة من ٥٠٠ جندى فلم يكن أمامها سوى ٣٠٠ من الثوار وان جميع التقارير التى أرسلت قد بالغ فيها عمدا الكاتب عثمان افندى .

وجمع أمين بك كبار الموظفين وأحاطهم بخطته وترك لهم الخيار فى ارسال أمتعتهم فى الحال أو تأجيل ذلك إلا انه صرح لهم بأنه قد يحتمل ان يتمكن فيما بعد ان يجد لهم حمالين . أما جونكر فحزم متاعه وأرسل بعضه وانتظر مجيء كازاتى و احمد افندى محمود من مكراكا المرتقب وصولهما يوما بعد يوم لكى يستقى منهما الأخبار .

وفى ٢٠ يناير وصل كلاهما ومعه توابع كثير عديدهم . وأيد احمد افندى محمود أقوال كازاتى بأن الحالة فى مكراكا ليست مرضية إلا قليلا وأنه لغاية سفر جونكر لم يكن ريحان افندى قد بارح ممبتو ولم يكن قد جمع السلاح من العرب النازلين فى المحطات النائية ، وان هؤلاء لا ينوون تسليمها لأنهم يجنحون للثورة وانه من المحتمل ان يغيروا على المحطة قريبا .

أما فيما يتعلق بأمادى فان مرجان افندى لا ينفك يطلب لها ذخيرة على انه يوجد فى المستودعات حسبما هو مسطور فى الدفاتر ١٠٠٫٠٠٠ مظروف وانه لم يقع حول المحطة وقائع هامة . والظاهر ان مرجان افندى لم يكن أهلا للمهمة التى ألقيت على عاتقه رغما عن كونه اشترك فى حرب المكسيك . وفوق ذلك فانه يصرف همه فى تعاطى المسكرات ولكونه أميا يجهل القراءة والكتابة كان الكتبة لا ينفكون عن أن يلعبوا به . ونظرا لهذه الحالة قدم احمد افندى محمود نفسه للذهاب الى أمادى مع انه لم يسترح من وعثاء السفر فى مكراكا لكى يأتى بمعلومات صحيحة لأمين بك عن الحالة السائدة فى تلك المحطة ، وسافر فعلا .

سفر جونكر الى لانوريه

ظل جونكر بعد ذلك عدة أيام مع كازاتى ثم سافر من لادو فى ٢٦ يناير . وكل من كان عليه أن يبقى بها سار معه الى ما بعد الباب الكبير . وبعد ان صافح الجميع ـ وقد صافح أغلبهم مصافحة الوداع الأخير ـ امتطى حماره ولحق بحماليه .

وتسلم جونكر اشياء كثيرة منها ١٥ حملا من امين بك و ١٠ من علي افندي سيد احمد ، وهذه الأشياء يجب توصيلها الى لاوريه . وتسلم كذلك كمية من الرسائل برسم تصديرها ان امكن الى زنزبار ومنها الى القاهرة . وسلمه امين بك ايضا تقاريره لترسل الى الوزارة في القاهرة وخطابات برسم المبشرين في أوغندة وبرسم شوينفورث Schweinfurth في ديار مصر .

وأخذ جونكر من الرجاف حملين من الملح لأن هذه المادة مطلوبة كثيرا في البلاد الجنوبية . وفي هذه المرة قطع المسافة بين بيدن و كري برا لأن السفينة التي سافر عليها في المرة الأخيرة قد غرقت ومع انها انتشلت كان لا يرجى منها نفع في ذلك الوقت .

وكان جونكر قد عقد النية على أن يقيم يوما في كري عند احمد افندي الاسيوطي الذي أكرم مثواه عند زيارته له في رحلته الأخيرة . وبما ان احمد افندي المذكور كان قد انتقل الى محطة موجي فقد استمر جونكر آخذا في السير وعندما وصل الى هذه المحطة علم ان ابراهيم افندي حليم قد استدعاه في لاوريه لأن هذا كان قد صحت عزيمته على القيام بغارة . وبعد أن قضى في هذه المحطة الليل انطلق في سبيله .وعندما بلغ لاوريه استقبله هذا الضابط وأنزله في ديوانه .

سفر جونكر الى دوفيليه

أقام جونكر في لاوريه يوما وأحاط الضابطين بما حدث في لادو كما أبلغهم الأخبار التي جاءت اليها . وتسلم ابراهيم افندي حليم الاحمال

التى أرسلها أمين بك و على افندى سيد احمد الى جونكر . وبما ان حواش افندى كان قد اصدر الى ابراهيم افندى حليم أمرا بأن يحضر مع جونكر الى دوفيليه فقد سافرا معا ووصلا أولا الى خور ابو وقضيا فيها الليل فى ضيافة قائد المحطة مصطفى افندى .

وفى ٣ فبراير سافرا من خور أبو وبلغا دوفيليه . وكان حواش افندى وقتئذ غائبا فى وادلاى ولعدم وجود باخرة اضطر جونكر أن يقيم فيها لغاية ٩ فبراير .

وكثرت عليه خلال اقامته طلبات الموظفين الذين يريدون مرافقته بصفة كتبة لأن أمينا بك كان قد سمح له بقصد تسهيل مأموريته أن يأخذ معه الموظف الذى يريده . وكان فيتا حسان مستعدا لمرافقته ثم قدم عبد الوهاب افندى لهذه الخدمة وفى نهاية الأمر استقر الرأى على انه اذا جرت الأمور فى مجرى غير حسن يسافر معه حواش افندى الى زنزبار وبعدها الى القاهرة .

وطلب أيضا احمد افندى رائف استخدامه بصفة مندوب فوق العادة لأنه كان يخشى كثيرا أن يقع فى مخالب الثائرين ولكن جونكر رفض طلبه لشدة خوفه وجزعه . وتظلم الكاتبان القبطيان باسيلى افندى و توما افندى له من سوء معاملة حواش افندى لهما وطلبا السفر معه مصحوبين بزوجتيهما القبطيتين فقبل جونكر ذلك فى بادىء الأمر ولكنه عدل واستقر به الرأى أخيرا على ان لا يأخذ معه احدا .

ووصلت فى نهاية الأمر الباخرة « نيانزا » من وادلاى بدون أن

يكون فيها حواش افندى وعلى ذلك رجع ابراهيم افندى حلم الى لابوريه وأراد جونكر أن يعجل بالسفر ولكنه استحال عليه أن يسافر قبل ٩ فبراير . وكانت الباخرة مقلة عددا كبيرا من الركاب وليس بها غرف للمسافرين إلا أنه عندما وضع قدمه على ظهرها تخيل له انه وضعها فى أرض المدنية . وتسلم من دوفيليه كثيرا من الخطابات برسم القاهرة والخرطوم وهذا ما زاد فى حجم طرد البريد الموكول اليه توصيله زيادة كبرى .

سفر جونكر الى وادلاى

استمر السفر فى أول يوم الى ساعة متأخرة لأن قاع النهر كان مأمونا ومعلوما تماما . ووقفت بهم الباخرة جملة مرار لأخذ الوقود الذى أحضره الأهالى الخاضعون للحكومة . وكانت محطة أبى نخرة القائمة على الضفة الغربية فى نصف الطريق بين دوفيليه و وادلاى والتى بنيت فى العام الماضى قد أخليت وتركت .

وفى اليوم الثانى وصلت الباخرة الى وادلاى بعد الزوال . وكان حواش افندى هناك وكان قد أرسل ١٧٥ جنديا ليقوموا بغارة فى أرض الماديين ابتغاء الحصول على مغانم من الأنعام . وهذا العدد يؤلف أكبر قسم من الحامية .

وكانت وادلاى قائمة على هضبة فى الضفة الغربية مشرفة على بلد اللور الواقع فى الجنوب على امتداد النهر .

وكانت المحطة مكتنفة بالمتاريس وقلاع من الأتربة مثل دوفيليه .

وتمت هـذه الأعمال فى الشهر الأخـــير . وكان الزنوج فى النواحى المجاورة يعرفون حق المعرفة انه من سنين مضت لم ترد أية باخـــرة من الخرطوم وكانوا يشاهدون المحطات تترك الواحـدة تلو الاخرى ولا يخـــلو الأمر من ان هـذا يدع أثرا سيئا فى نفس الأهـــالى من جهـة الحكومة أو يستنتجون منه ان يومها مالت شمسه الى المغيب وعلى ذلك يرفضون الدخول فى خدمتها بل يثورون فى بعض الأحوال .

سفر جونـكر الى كاميزوا لتسهيل طرق المواصلات مع أوغندة

وكان من الواجب على جونـكر أن ينتظر الى حين رجوع الجنود الذين كانوا قد ذهبـوا لشن الغـارة إلا أنه مرت الأيام تـترى ولم يحضروا بل أذيع انهم ذهبوا بعيدا عما كان مقررا فى الخطة التى رسموهـــا أولا . وعلى ذلك أدرك حواش افندى ان جونكر لا يستطيع الانتظـــار أكثر مما مضى وقرر تسفيره بالباخرة « الخـــديو » إلى نقطة يقـال لهـا « خط الطور » ومنها يسلك برا الى أن يصل الى محـــل اقامة أنفينا وان يؤلف حرسه من بضعة جنود وتراجمـة ويأخذ معه حمالـين من « اللوريـين » . وركب قسم من أعضاء هذه الحملة فى البـاخـرة والقسم الآخـر فى مركب حديدى قطرته الباخـــرة . وكان لهـــذا المركب أهميـة خاصة لأنه احـد المركبين اللذين طاف عليهما جيسى حـول شواطىء بحيرة البرت نيـانزا لأول مرة .

ورفعت الباخـرة « الخـــديو » مراسيها فى ٢١ فـبراير وكانت أكبر من الباخرة « نيانزا » وبهـا معدات للراحـة أكثر منها أيضا وكان بهـا غرفة صغيرة أقام بها جونكر . وكان منسوب ماء النهر قد هبط هبوطـا

كبيرا وبعد أن سارت الباخرة زمنا أمسى غور الماء قريبا جدا وتعذر متابعة السير وعلى ذلك قرر الربان الرجوع الى وادلاى ولكن جونكر أمر بوقفهـا على مسافة بضع ساعات من المحطة ونزل الى البر بقصد متابعة السفر .

وفى ٢٢ فبراير انطلق فى السير مخترقا أرض الشولى ووصل فى ٢٧ منه الى النيل قرب محطة فودا التى كانت قد أخليت . وكان أتفينا ينتظره فيها هو وعدد من الرؤساء . وكانت سلطة أتفينا قد تضاءلت وضعفت ضعفا بينـا بعد سفر العساكر لأن هؤلاء كانوا يحمونه من عنت كباريجا وكاميزوا واستبدادهما .

ودعاه خوفه من بطش هذين الجارين الى أن يرحل ويقيم فى جزيرة صخرية فى وسط النهر وابتعد عنه كثير من رعاياه وتركوه والباقى نزح الى الجزيرة وأقام معه فيها .

وفى ٢٧ فبراير عبر جونكر النيل ونزل فى محطة الحكومة القديمة وكانت الأكواخ قد احترقت إلا أن اثنين منها بقيا فى حالة حسنة فاتخذهما سكنا له .

وكانت مهمة جونكر الرئيسية تنحصر فى أن يعمل على مرور المراسلات التى معه الى أوغندة وتسهيل المواصلات معها وأن يتصل بكاميزوا بن ريونجا من أجل هذه الغاية . وكانت الخطابات التى أرسلت من لادو قبل ذلك بزمن ما زالت عند أتفينا ولم يقبل أحد أن يتكفل بنجاز هذه المهمة . وعلى هذا كتب جونكر الى كاميزوا خطابات يقول له فيها انه يريد الحضور عنده لزيارته ويطلب منه

المونة لتسهيل سفره .

وفى ١٢ مارس أرجع جونكر الجنود الذين رافقوه فى رحلته من وادلاى وحملهم رسائل برسم أمين بك ولم يحجز إلا ترجمانين و ضابط صف يقال له عبد الرجال وقد عزم على ارجاعهم فيما بعد .

وفى ١٥ منه ورد رد كاميزوا بالسماح لجونكر بالحضور عنده إلا أنه يحظر على أتباعه أن يدخلوا أرض أنفينا . وعلى هذا قرر الانطلاق اليه وان كان لم يرتح لهذه الاجابة إلا قليلا .

وفى ٢٥ منه أرجع جونكر الترجمانين الباقيين عنده الى وادلاى واحتفظ بضابط الصف الذى كان قد اعتزم على ان يدعه فى المحطة مع متاعه عندما يسافر لزيارة كاميزوا وأرسل مع هذين الترجمانين خطابات لأمين بك وتبغا لفيتا حسان .

وفى ٢٧ مارس سافر ووصل الى حيث يقيم كاميزوا ولم يعترضه شىء فى طريقه ونزل فى كوخ كان قد أعد له . وقابل جونكر كاميزوا مرارا وعلم منه ان متيسا ملك أوغندة قد قضى نحبه وخلفه على العرش ولده « موانجا » وانه يوجد لدى هذا ثلاثة من البيض .

وحصل جونكر على وعد من كاميزوا بأن يتكفل بتوصيل المراسلات الى هؤلاء البيض وأن يرسل إليه الرد الذى يأتيه منهم عند وروده فى الحال .

وفى ٢ أبريل استأذن جونكر من كاميزوا وبلغ المحطة فى اليوم التالى وبادر

لدى وصوله باحاطة أمين بك علما بما عمله .

وقبيل منتصف شهر أبريل ورد إليه خطاب من وادلاى وطـــرد به ليمون إلا أنه لم يصل اليه شيء من أمين بك . ومما جاء فى هذا الخطاب انه ورد لحواش افنـدى وهـو فى لابوريه أمر بأن يرجـــع الى دوفيليه ويؤلف بها على قـدم الاستعداد نجـــدة من ٢٥٠ جنديا ويسافر معهـــا الى أمادى .

سقوط أمادى وما جرى من الحوادث أثناء سفر جونكر

وفى ١٩ منـه وردت من أمين بك أخبـــار طويلة ومزعجة ذلك ان ما كان يخشاه الناس طرا قد وقع فعـــلا فأمادى سقطت وأمست فى قبضة الثائرين وان بعضا من الجنود شق له طريقا بين صفوف الأعـــداء وهو يقاتل وتعلق بأذيال الفرار . وهاك ما حدث منذ أن سافر جونـكر من لادو فى شهر يناير من هذا العام (١٨٨٥ م) :

بعـد أن عاد عبـد الوهـاب افندى من بور يحمـل أخبـــار الخسائر التى لحقت هـذه المحطة أرسل عثمان افندى لطيف ومعـه مركبان مشحونان بالحبـوب وبعض الجنود لنجدتها . ورجع هـؤلاء فى آخر يناير وقـالوا ان الحاميـة استقر رأيها على أن تقاوم الى أن تأتيها امـــداد لترجعها الى غندوكورو وعـلى ذلك اجتمع سائر العساكر غير النظاميين الذين فى المديرية تحت اشراف واد الملك الذى ذاع صيتـه من عهد سير صمويل بيكر وسافروا لاسترجاعها .

أما الأخبار الاخرى فكانت مسطورة فى عدة مكاتيب نذكر كل واحد

منها بتاريخه وما حواه من الأنباء فيما يأتى :

فى ٢ فبراير كتب أمين بك ان سليمان افندى قام بغارة مع قسم من الحامية على زريبة الثائرين أمام أمادى ولدى اشتداد وطيس القتال سقطت قنبلة فى زريبة العدو فأحدثت بها حريقا وانفجر ما فيها من الذخائر فقتل عدد كبير من الأعداء وجرح عبد الله ومات بعد ذلك متأثرا بجراحه .

وفى ٢١ منه كتب أمين بك انه ورد له خطابات من مرجان افندى وضمنها نداء من المهدى كالنداء السابق ونداء آخر منه له يدعوه فيه الى الانضمام الى الأمير كرم الله . ورسالة من هذا الأخير يقول فيها لمرجان افندى انه قادم بنفسه الى أمادى ويطلب منه أن يسلم عاجلا . ويقول علاوة على ما ذكر انه استحضر معه ٢٠٠٠ مقاتل وانه من الواجب على مرجان افندى أن يخضع فى الحال بدون مخابرة أمين بك فى هذا الشأن .

وكتب عثمان ارباب الذى كان بصحبة الأمير كرم الله رسالة الى مرجان افندى أيضا بمبنى ومغزى الرسالة السابقة وجاءته رسالة اخرى من عثمان بدوى الذى كان سكرتير لبتون بك . وطلب مرجان افندى قبل كل شىء حبوبا و ١٠٠ جندى ليستطيع الانسحاب الى لادو .

وقال أمين بك انه أرسل عبد الوهاب افندى الى مكراكا ليرسل الحبوب وعين فرج افندى لمرافقة الجنود الى أمادى وان جميع الضباط الذين

فى هذه المحطة مؤيدون لخطة الانسحاب فى اتجاه الجنوب .

وفى ٢٧ فبراير كتب أمين بك ان الأمير كرم الله حاصر محطة أمادى من جهاتها الأربع وقطع عنها الماء وان الجنود حفروا بئرا فى داخل المحطة . وفى خلال ذلك كان فرج افندى قد سافر من مكراكا ومعه ٧٠ جنديا و ٥٠ قنبلة و ٥٥٠ حملا من الحبوب وبلغ الى مسافة ١٠ ساعات من أمادى من جهة لادو غير انه لم يتمكن من الانضمام الى مرجان افندى . وأرسلت فى الحال من لادو قوة مشكلة من ١٢٠ جنديا و الف حزمة مظاريف رمنجتون وقنبيلات وعدد من قاذفات اللهب لانجاد فرقة فرج افندى لأن الموقف فى أمادى أمسى ميئوسا منه واضطرت الحامية الى أكل جلود الأبقار ليطفئوا حرارة الجوع . وكان ريحان افندى قد وصل الى مكراكا قادما من ممبتو ومعه جنوده . وسافر أيضا من دوفيليه ضابط ومعه ٥٠ جنديا و ٥٠ بقرة لامداد فرج افندى . وكان حواش افندى قد وصل الى لادو قادما من دوفيليه ليلحق بالجيوش التى سافرت لأمداد أمادى ولكنه رجع الى دوفيليه على أثر الاضطرابات التى أذيع انها حدثت فى هذه المحطة الأخيرة .

وفى ١٩ مارس كتب أمين بك ان فرج افندى أخبره ان سائر الفرق انضمت الى بعضها وانه هو على وشك السير على رأس ٢١٠ من الجنود لمعاونة أمادى .

وفى ٢٣ منه ورد الى أمين بك خطاب من فرج افندى انه سار نحو أمادى وهاجم متاريس الثائرين ولكنه لم يستطع أن يتخطاها رغما عن استيلائه على ثلاث زرائب وانه اضطر أن يقاتل منسحبا وانه خسر

١١ قتيلا من بينهم ضابط من لادو يقال له ضياء افندى و ١٦ جريحا من بينهم فرج افندى إذ أصيب فى فخذه . وقال الرجل الذى أتى بهذا الخطاب علاوة على ما ذكر ان حامية أمادى خرجت لتنضم الى الفرقة المساعدة فلم تتمكن بسبب انسحاب فرج افندى بسرعة .

وفى ٢٧ مارس ورد خطاب من عبد الله افندى فحواه انه بذل مجهودا آخر بقصد نجدة أمادى وان هذه المحاولة فشلت كالمحاولة الأولى وان فرج افندى رجع الى مكراكا وان عبد الله افندى شرع بمعاونة ضابطين آخرين فى جمع العساكر والرجوع الى مكراكا .

وفى ٢٩ منه وصل الى لادو ثلاثة جنود من أمادى وقالوا ان العساكر الذين كانوا يموتون جوعا طلبوا بلجاجة مرارا من رؤسائهم لاسيما من مرجان افندى القيام بخروج فلم يلب أحد لهم طلبا وانهم فى نهاية الأمر تركوا المحطة بقيادة ضابط وشقوا لهم طريقا فى صفوف الأعداء ثم ولوا وجوههم شطر مكراكا . وانهم تركوا وراءهم فى أمادى ضابطين سودانيين و ١٥ جنديا جميعهم مرضى وانهم أخذوا معهم أسلحتهم وذخيرتهم وتركوا المدافع بقنابلها .

وفى ٣١ مارس ورد بريد الى لادو من مكراكا جاء فيه ان فرج افندى وجنوده قد وصلوا وكذلك عبد الله افندى والضابطان اللذان كانا معه وهما مرجان افندى و على افندى ومعهم ٢١٣ جنديا وذخيرتهم . وقدم أيضا من أمادى سليمان افندى و ٢٣ جنديا . أما مرجان افندى الدناصورى فقتل وقت الخروج وفصل رأسه وأرسل الى معسكر الثائرين ووصل ريحان افندى الى كابايندى وعينه أمين بك

قائدا لمكراكا .

وفى أول أبريل كتب أمين بك انه صرف النظر عن الانسحاب صوب الجنوب إذ أنه أذيع فى لادو ان النية عقدت على اقتياد الجنود فى ذلك الاتجاه وبيعها لملوك الزنوج هناك والتعلق بأذيال الفرار فيما بعد . ويعزون هذه النية الى أمين بك و جونكر و فيتا حسان . وان أمينا بك عقد اجتماعا تقرر فيه استدعاء جونكر وأخذ رأيه . وتقرر كذلك اخلاء فاتيكو ، و وادلاى ، و لابوريه ، و موجى والاحتشاد فى لادو ، و بور ، و مكراكا ، و غندوكورو ، و الرجاف ، و يبدن ، و كري ونبذت ظهريا مسألة طريق الجنوب مع انها كانت قد نالت الاستحسان فى بادىء الأمر .

وفى ١١ منه كتب أمين بك انه تلقى رسائل من الأمير كرم الله و عثمان أرباب من أمادى فذكر الأول ما وقع فى هذه المحطة وان مرجان افندى أبى أن يسلمها مع انه انذر خمس مرات ، ويستحث أمينا بك على الاتيان عنده هو و فيتا حسان و احمد افندى محمود والضباط مؤكدا له بأنه لا يمسه أدنى أذى أما إذا أبى فانه يأتى الى لادو فى عشرة أيام والمسئولية تقع على رأسه . وخطاب عثمان أرباب فى مبنى ومغزى الخطاب السابق .

والخطاب الثالث مرسل من العساكر الذين أخذوا أسارى من أمادى وهؤلاء يلقون كل الخطأ على عاتق الضباط ويقولون انهم اضطروا الى أكل أحذيتهم ويستعجلون أمينا بك فى التسليم . ويقول أمين بك ان سليمان افندى وهو من الضباط الذين نجوا من أمادى يوجه كل

اللـــوم فى سقوط المحطة الى الضباط الشبان الذين حرضوا العساكر على العصيان وإنه هو نفسه كان آخر من هاجـــر من المحطة . وقال أمين بك علاوة على ذلك إن حواش افندى لم يقبل أن يترك فاتيكو ولا أن ينضم اليهم ويستعجله بالانتقـــال الى الجنوب . ويقول أمين بك ان تلبية طلبه أمر مستحيل نظرا لمسلك جنوده ولأن الضباط قدموا له التماسا يعربون فيه عن رغبتهم جميعا فى ابقاء لادو وانهم يأخذون على عاتقهم أمر تحصينها الى أن يصير فى حيز الامكان ايجاد طريق .

وفى ٢٥ أبريل كتب أمين بك يقـــول انه بعد أن زايلت الجنود أمادى احتشدت فى وانـدى وتتبعها المهديون وأرسلوا اليها انـذارا يدعونها فيـه الى التسليم فلم تعبأ بانذارهم واستمرت فى الانسحاب فوصلت المقـــدمة بقيادة عبد الوهاب افندى الى ريمـــو فى جنوب وانـــدى فى ٦ أبريل ومعهـــا الجرحى والمرضى وانضمت اليهـــا المؤخـرة بقيادة ريحان افندى فى اليوم التـــالى . ووجـدت الجنود فى ريمـو الذخـيرة والنقود التى كان يلـزم ارجاعهـــا الى لادو وتوقف رجوعهـــا لعـدم وجـود حمالـــين . وكان بهـذه المحطة بلال افندى من كابايـنـــدى و فرج افندى الجـوك من مبتو .

وهاجم المهديون الذين كانوا يقتفون أثر الجنـــود المذكورة محطة ريمـو فصدتهم هذه بقيادة ريحان افنـدى وحملتهم خسائر فادحـــة وقتلت منهم خلقا كثيرا واستولت على عـدد كبير من الأسلحة وكمية جسيمة من الذخائر وعلى علم واحد . وقد تعلق المهديون بأذيال الفرار وتتبعتهم الجنود مسافة عدة ساعات وقد أصيب فرج افندى يوسف بجروح بليغة ومات بعـــد أيام

متأثرا بها . وانسحبت الجنـــود عقب هذا النصر الى محطة بيدن الواقعة على النيل منقسمة الى جملة فرق . وبلغ عدد الجنود الذين وصلوا الى هذه المحطة ٥٥٤ جنديا بما فى ذلك الجرحى .

وفى ٢٣ أبريل وصل الى لادو الجنـــود الذين كانوا قد أعدوا لتقوية حامية هـــذه المحطة وعددهم ١٢٣ جنديا ومعهم ريحان افندى وسليمان افندى وضباط آخرون كان قد استدعاهم امين بك ابتغاء فحص الموقف ووضع قرار بالخطة الواجب اتباعها .

وتلقى امين بك كذلك من الأمير كرم الله خطابا يخبره فيه بسقوط الخرطوم . ووردت اخبار سارة من بور ذلك ان المركب التى كانت قد أرسلت اليها فى ١٥ مارس عادت تحمل خبرا مؤداه ان الزنوج هاجموا المحطة فصدتهم الحامية وحملتهم خسائر فادحة .

وفى اليـــوم التالى لوصول ريحان افندى أى يوم ٢٤ أبريل انعقد مجلس برياسة هـــذا الضابط مؤلف من كازاتى و احمد افندى محمود و عوض افندى ومن ٦ من الضباط المصريين و ٦ من السودانيين . اما امين بك فامتنع عن الحضور . وقد وافق الجميع ما عدا الثلاثة الأولين على الانسحاب فى اتجاه الجنوب والاحتشاد فى دوفيليه ، و وادلاى ، الخ . . . وقال امين بك علاوة على ما ذكر انه على وشك الشخوص الى غندوكورو ليعد المعدات اللازمة للانسحاب .

ولم ينفذ مع ذلك هـــذا القرار ولم تنسحب الجنود من لادو لأن المهديين الذين كان يظن انهم سيتابعون التقـــدم بعد انتصارهم ويغيرون

على هـــذه المحطة انسحبوا بغتة لأسباب غـــير معلومة وارتـــدوا الى بحر الغزال .

وأحيط جونكر علما بالقرار الأول الخاص بالانسحاب نحـــو الجنوب وكتب له أمين بك انه أمر حـــواش افنـدى أن يرسل له حرسا ليأتوا به ثانية . وبما أن ذلك كان مناقضا لرأى جونكر رد عليه هـــذا بأنه رفض العودة ويطلب منـه أن لا يشغل نفسه به لأنه يريد أن ينتظر الرد على الرسائل التى بعث بها الى أوغندة ولهذا فرح فرحا جزيلا عندما علم بتغيير هذا القرار .

وفى ٢٦ مايو كتب أمين بك من موجى انه بلغ هذه الناحية وهـــو آخذ فى طريقه نحـــو محطات الجنوب وانه شرع ان يرسل اليه الكاتب سليمان افندى وبعض التراجمة ويرجـــوه الحضور لمقابلته عنـــدما يصل الى وادلاى .

وبعد انسحاب المهديين عملت الترتيبات اللازمة وذلك بالكيفية الآتية :

أن يبقى ٣ بلوكات فى لادو بقيادة ريحان افنـدى و بلوكان فى بيدن و بلوك ونصف بلوك فى كري وبلوكان فى لابوريه .

وكان على كركوتلى يتولى القيادة فى أمادى وعندما وصلت اليه الأخبار بسقوط الخرطوم أمر باطلاق ٢٥ مدفعا .

وكان الأمير كرم الله قد أقام حاميات فى جميع محطات مكراكا ثم رجع الى أمادى . وكان أكبر قسم من المهديين قد سافر الى بحر الغزال

والقسم الباقى يتأهب لاقتفاء أثره . وما كان يدرى أحد الباعث لهذا الرحيل الذى أتى فجأة فأنقذ المديرية حقا من شر غاراتهم .

وفى ١٠ يونيه كتب أمين بك من خور ايو انه هو و حواش افندى حشدا جميع قوات المديرية وألفا منها أورطتين فى كل أورطة ٨ بلوكات وفى كل بلوك ١٠٣ من الضباط والجنود . وعين لقيادة الأورطة الأولى البكباشى ريحان افندى وصار توزيع قواتها بين المحطات من لادو الى كري بما فيها هذه المحطة الأخيرة . اما الاورطة الثانية فعين لها حواش افندى وشرعت تحتل سائر المحطات القائمة جنوب كري . وشرع فى تصليح البنادق وبإتمام ذلك يكون لدى الجنود ٢٥٠٠ بندقية صالحة للاستعمال .

وفى ١٠ يوليه وصل امين بك إلى وادلاى وأسس فيها قاعدة المديرية وكتب بذلك الى جونكر ولكن هذا كان قد دخل فى مكاتبات مع كباريجا ويرغب ان يبقى بعد ذلك مدة يحاول فيها الحصول على ترخيص له بالمرور أو بمرور خطاباته التى يريد ارسالها الى المبشرين الذين كان قد سمع انهم فى أوغندة .

وفى ٢٥ يوليه كتب امين بك من وادلاى ان حامية بور أخلت هذه المحطة ولدى انسحابها نحو غندوكورو أغار عليها الزنوج فلم ينج من جنودها البالغ عددهم ٥٤ جنديا إلا ١٣ جنديا لا غير . وان المسئولية فى هذه الكارثة تقع على ريحان افندى لاهماله ارسال فرقة فى الوقت اللازم لملاقاة هؤلاء الزنوج رغما عن الأوامر المتكررة التى كانت صدرت له من أمين بك مع

أنه أرسل الآن ٢٠٠ جندى بقيادة فضل الله افندى .

وفى ١٦ أكتوبر كتب أمين بك من وادلاى ان الأهالى الباريين جميعهم شقوا عصا الطاعة وأضرموا نيران الثورة وانقضوا على لادو خلال غيبة ريحان افندى فى غندوكورو فصوب عليهم اليوزباشى محمود افندى العجيمى نيران المدافع واضطرهم الى الانسحاب ومع ذلك بقيت لادو محصورة ومنعزلة عن الرجاف إلا أنه يوجد فى مستودعاتها ١٥٠٠ اردب من الحبوب إذ أن الزنوج وردوا الحبوب قبلا ثم تمردوا . وان على افندى سيد احمد فى الرجاف يطلب ذخيرة و ١٠٠ جندى بصفة نجدة وان تراجمة هذه المحطة فروا جميعهم ومعهم أسلحتهم وانه لو أمست المقاومة فى لادو غير ممكنة عندئذ يصير إخلاؤها وحشد الجنود فى الرجاف .

وفى ٢١ نوفمبر كتب أمين بك من وادلاى ان الباريين بعد الغارة الأخيرة التى قاموا بها على لادو شنوا غارة اخرى على الرجاف وكان عدد المغيرين فى هذه المرة ٥٠٠٠ زنجى ولكنهم صدوا وبلغت خسارتهم ٣٠٠ من القتلى وكثير من الجرحى وأخمدت أنفاس الثورة تماما وضربت على الباريين غرامة فادحة ووردوها .

وانتظر جونكر لغاية أكتوبر بلا جدوى وبدون ان يفوز باشارة يستدل منها على امكان نيله مبتغاه وكان ينتظر كذلك بفارغ الصبر الرجال الذين كان امين بك قد وعده بارسالهم اليه . وبينما هو على هذه الحالة إذ أتاه خبر فى ١٧ أكتوبر ان فيتا حسان وصل الى ضفة النهر الأخرى فهرع جونكر لعبوره ورجع الى مسكنه بضيفه فرحا مسرورا برفيق متمدين يستطيع ان يطارحه اطايب الحديث .

وبعد ان أقاما معا لغاية آخر شهر نوفمبر وبعد ان يئسا من الحصول على افادة من كباريجا مع طول الانتظار استقر رأى جونكر على الرجوع الى وادلاى وعلى هذا رحل هو و فيتا حسان فبلغا النهر فى ٩ ديسمبر وأتى أمين بك على ظهر باخرة فى ١١ منه لاستقبالهما وكانا قد أبلغاه خبر قدومهما ورجعوا معا الى وادلاى وفيها وجدوا كازاتى .

وفى ١٣ ديسمبر أى بعد وصولهم بيومين الى وادلاى جاء اليها حواش افندى من دوفيليه ليقابل امينا بك ورجع منها فى ١٧ منه مع جونكر الذى اقترض منه مبلغ ٧٠٠ ريال لمصروفات سفره على شرط ان يدفعها لأسرة حواش افندى فى مصر عند وصوله اليها . وبعد ان قبض هذه القيمة اشترى بعض المتاع وعاد الى وادلاى فى ٢١ منه فدخلها فى اليوم التالى وفيها علم بوصول وفد من قبل كباريجا وبالقرار الذى أصدره امين بك بأن يرسل معه فيتا حسان الذى سيكون بصفة وكيل رسمى للحكومة لدى هذا الملك .

عودة جونكر الى بلده

وانتهى جونكر من اعداد معدات السفر وكانت آخر ليلة من عام ١٨٨٥م هى ايضا آخر ليلة من ايام اقامته فى وادلاى . وجمعت الكل فى تلك الليلة حفلة باهرة . وفى الغد بعد ان ودع الحاضرين الذين لن يراهم بعد أجمل الوداع ركب هو و فيتا حسان متن الباخرة « الخديو » فأقلعت بهما وأخذت تشق عباب الماء ووجهتها بحيرة البرت نيانزا .

وفى ٤ يناير من عام ١٨٨٦ م بلغا كيبيرو القائمة على الهضبة الشرقية للبحيرة

وهناك نزلا وقفلت الباخرة راجعة الى وادلاى . أما هما فاتخذا سبيلهما برا وسافرا معا إلى أونيورو وبعد ان أقاما شهرا تقريبا فى هذا البلد افترقا من بعضهما فسافر جونكر الى أوغندة ورجع فيتا حسان الى كيبيرو .

وأقام جونكر مدة فى أوغندة وشخص منها الى زنزبار فدخلها فى اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ م وأقلع من هذه المدينة فى ٢١ منه ووصل الى عدن فى ٣ يناير سنة ١٨٨٧ م ووصل الى السويس فى ٩ منه ومن هذه انتقل الى القاهرة حيث أقام لغاية شهر مارس لكى يقابل استانلى الذى سيتولى قيادة الحملة المزمع ارسالها على ما يقال لاغاثة امين بك مع أنها فى الحقيقة كانت مرسلة لاقتلاعه من مديريته واخفاء آخر أثر من آثار مصر الرسمية وذلك لفتح الطريق لغيرها ممن يرنون بعين الطمع الى تلك الاصقاع من زمن بعيد وهم أولئك الذين انتهزوا هذه الفرصة مسرورين كل السرور ليشبعوا بطونهم ويشفوا امراض مطامعهم بالحاق الضرر بمصر .

وبعد ذلك بارح جونكر بلاد مصر وولى وجهه شطر بلده بعد ان غاب عنه ثمان سنوات .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استيلاء المهديين على أمادى

لم يكن طالع عام ١٨٨٥ م أحسن حالا من العام الذى سبقه إذ كانت أخبار الخرطوم قد انقطعت ولم يعد بعد إلا قليل من الأمل فى الحصول على معونة .

والوفد الذى أرسل الى الأمير كرم الله انضم الى العدو . وكتب عثمان ارباب وهو من أعضاء الوفد فى ٦ يناير انه جاء أمام أمادى ومعه ٤٠٠ جندى وانه فى انتظار ورود امداد وانه يقدم النصح بالخضوع ويتكفل باقتياد الجنود والموظفين الى ديم سليمان لتقديمهم للأمير كرم الله . وحدثت ثلاث وقائع فى أمادى ولم يأت منها فائدة تذكر رغما عما تحمله الجنود من الخسائر . هذا عدا ان اختلاف الرؤساء وتمرد جنود الحامية جعل نجاح الهجومات التى تخرج وتقوم بها أمرا مشكوكا فيه وجنود ممبتو لم تمتثل الى الآن للأمر وتتراجع الى مكراكا .

وأذعن كازاتي أخيرا لرغبة أمين بك وجونكر وطلباتهما المتكررة وبارح واندى في ٢٠ يناير ميمما لادو فدخلها بعد رحلة خمسة ايام ولم ير أي تحسين في الحالة وكانت ترسل امدادات الى امادى .

وفي ٢٦ يناير سافر جونكر الى الجنوب ابتغاء الحصول على اخبار عن طريق أونيورو و أوغندة .

وفي ٢٢ فبراير رجع رجل كان امين بك قد أرسله الى امادى لاستكشاف الاحوال فيها . وقدم هذا تقريرا عباراته معقدة ومتضاربة . ومما جاء فيه ان الأمير كرم الله قدم الى ساحة الحرب على رأس عدد كبير من الدناقلة ورغما عن جميع ذلك ختم تقريره بانه يرى ان المقاومة ممكنة . وبناء على ذلك أرسل أمين بك امدادات جديدة ومؤونة . ويعتبر كازاتي ان هذا التصرف ضرب من العمى يعجز العقل عن ادراك كنهه . ويقول انهم وان كانوا يمدون الحامية ويزودونها بالمؤن إلاّ أن المحاصرين من جهة اخرى ما كانوا قاعدين مكتوفي الأيدى وعما قليل تنقطع المواصلات مع الحصن . وبعد أن لبثت الأخبار مقطوعة مدة أتى في ٢٩ مارس ثلاثة من جنود حامية أمادى يحملون خبرا مشئوما ألا وهو خبر اخلاء محطة أمادى . ذلك ان الجوع لما نهش احشاء الجنود خرجوا خروج اليائس ومعهم أسلحتهم وشقوا لهم طريقا بين صفوف المحاصرين في اتجاه مكراكا وذلك رغم ممانعة ضباطهم وجروا معهم هؤلاء على غير ارادتهم وصير الهديون بطبيعة الحال هذا الخروج مجزرة يشيب لهولها الولدان واختلط فيها الحابل بالنابل والرجال بالنساء والاولاد . هكذا كانت آخرة أمادى وهكذا ضاع فيها عدد عظيم من قوات المديرية الحربية .

انذار الأمير كرم الله أمينا بك بالسير الى لادو
وتقرير إخلائها والانسحاب الى الجنوب

وفى ٣ أبريل على اثر كارثة أمادى التى اعتبرها المهديون الحد الفاصل والطور الأخير من أطوار هذه الحرب كتب الأمير كرم الله الى أمين بك خطابا يخبره فيه بما ناله من الفوز وبوفاة القائد مرجان افندى الدناصورى . وزاد على ذلك ان قال انه اذا لم يحضر أمامه فى ظرف عشرة أيام يسير الى لادو . فاجتمع الضباط والمستخدمون بهيئة مجلس وقرروا باجماع الآراء رغبة منهم فى مرضاة أمين بك ، اخلاء لادو والانسحاب صوب الجنوب . وعلى هذا جاوب أمين بك الأمير كرم الله بمكتوب جاء من ضمن ما سطره فيه ان الجنود مانعة له من الذهاب عنده كما كان يريد .

وكان أمين بك فى أشد حالة من التهيج وقد يستطيع المرء أن يدرك ذلك بسهولة عندما يفكر فى المسئولية الملقاة على عاتقه . فعندما تناقش هو وكازاتى فى الموقف عرض عليه هذا حشد الجنود على الضفة الشرقية فى غندوكورو ثم الانسحاب الى بور فالى اتجاه شمالى شرقى شطر السوباط . فأظهر أمين بك انه مقتنع بهذا الرأى ولكنه كان يرى استشارة مرؤوسيه وفعلا استدعاهم من أجل ذلك فى اليوم التالى .

وانعقدت الجلسة بكرة ذلك اليوم وبعد أن عرض عليهم كازاتى خطته صودق عليها باجماع الآراء وبناء على ذلك صدرت الأوامر . إلا أن هذه الأوامر أمست بعد قليل من الزمن حبرا على ورق لأن

قائــــد دوفيليه وضباطها وموظفيها لم يقبلوا العمل بهـذه الخطة لأنها حسب رأيهم تجر خسائر فادحة على الماليـة المصرية بتدمير الباخرتين . أما أمـين بك فكان لا يشاطر كازاتى رأيه ووجـد الفرصة سانحة بوجود سبب يرتـكز عليه فى اهمال تلك الخطة .

محاولة الأمير كرم الله اخضاع مكراكا
وانهزامه فى ريمـــو

وفى خلال ذلك كانت جنود ممبتو قد وصلت الى مكراكا وانضمت الى الجنـود التى نجت من واقعـة أمادى وبهذا تجمع فيهـا ٦٠٠ من الضباط والجنود .

وأراد الأمـير كرم الله اخضاع مكراكا قبـل أن يزحف على لادو وشجعه على اقدامه هـذا انتصاره فانقض فى أوائل أبريل من عـام ١٨٨٥ م فى ريمو على الجنود السالف ذكرهم وقد كانوا عندئذ يستعدون للتراجع الى لادو . وبعد أن دارت رحى حـرب طاحنـة أظهر فيها الفريقان المتقاتلان منتهى الصرامة والشدة انهزم المهديون انهزاما تاما وولوا الادبار صوب أمادى تاركين عددا كبيرا من رجالهم فى حومة الوغى .

دعوة الأمير كرم الله موظفى المديرية الى الخضوع والطاعة
وعقـــد اجتماع للنظر فى الحالة

وأخذت كتب الأمـير كرم الله تترى الى المستخدمين والضبـــاط يدعـوهم فيهـــا الى الخضوع والطـاعة . واعلن أمـين بك أنه قادم اليـه بنفسه عوضا عن أن يرسل اليـه وفدا مؤملا أن لا يكون قد قصر فـيما

تقتضيه اللياقة . ووردت فى نهاية الأمر رسالة من الأمير كرم الله ومعها صورة مكاتبة من نفس المهـــدى مؤرخة من الخرطوم فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ م معلنة الاستيلاء على هـــذه المدينة وقتل غوردون باشا واعدام كافة اعدائه . وقد ختم المهدى مكتوبه متمنيا ان يكون الأمير كرم الله قد استطاع هو الآخر ان يكلل اعماله بالنجاح . ويستطيع المرء ان يدرك بسهولة ما يحدثه خبر كهذا من الشغب والاضطراب فى لادو .

وصار توزيع الجنود التى كتب لها الظفر بالاعداء فى ريمو على المحطات الواقعة على النيل وتركت مكرا كا للأعداء وأصبح يخشى الآن ان يخطر ببال الأمير كرم الله ، وقد أغراه انتصار المهدى الذى امتلك الخرطوم فصار التحكم فى شئون السودان ، ان يهم بالقيام بضربة قاضية .

ودعيت جمعية عمومية للانعقاد فى ٢٤ أبريل وكان انعقادها على أثر الانفعال الأليم الذى أحدثه هذا الخبر الأخير المحزن وقررت الانسحاب فى اتجاه الجنوب . ودعى كازاتى الى هذا الاجتماع ولكنه انسحب إذ رأى ان الأصوات لا تعطى عن اخلاص وصفاء نية بل كانت تعطى محاباة للمدير ابتغاء كسب رضاه .

انسحاب أمين بك الى الجنوب وتقرير عدم اخلاء لادو

وبارح أمين بك فى بكرة اليوم التالى الموافق ٢٥ منـــه لادو . ولم يحضر لتوديعه عند الاقـــلاع من المرسى غير كازاتى و ريحان افندى قائد المحطة . ورأى كازاتى ان فى هـذا التخلى من جميع مرؤوسيه معنى واضحا وانه نذير طالع مشئوم .

وقد كان لريحان افندى ابن أخ يقال له عبد الله ولقب بـ « نيامبارا » وكان نيامبارا هذا قائدا لمحطة مديرفى الى أن شبت الثورة وامتدت حتى اتصل لهيبها بمديرية خط الاستواء . وقد عرف كيف يجمع حوله ٧٠ من الدناقلة ويقوم هو وهم بخدم جلى . ولم يتورع الحزب العسكرى عن أن ينتهز كل فرصة تسنح له لالصاق التهم بهذا الرجل ورجاله ابتغاء الحاقهم بصفوف المشبوهين مع انهم اظهروا اخلاصا لا يمكن لكائن أن يمارى فيه .

وعندما وضع على بساط البحث مسألة اخلاء لادو وارجاع قاعدة المديرية مؤقتا فى غندوكورو تكفل عبد الله بتموين مستودعات هذه المحطة الأخيرة وفعلا أحضر ٧٠٠ حمل من الحبوب وتركها فى الرجاف مع مرؤوسيه السبعين المدججين بالسلاح قبل أن يرجع الى لادو . وبينما أمين بك يكيل له المدح والثناء ويرفع درجته ويزيد مرتبه كان قومندان الرجاف يحاول تجريد رجاله من الأسلحة والقبض عليهم لكن هؤلاء قاوموه وانسحبوا الى الجبال المجاورة . ولما لم يجد عبد الله رجاله عند رجوعه الى الرجاف تحرى عنهم فعلم بما تم فذهب ليلا وانضم اليهم ومنذ ذلك التاريخ لم يرو عنه أحد خبرا .

ويعزو ريحان افندى كل الجور والمظالم التى حاقت بقريبه الى الرغبة فى الانتقام لثأر قديم يرجع الى ما كان يظهره عبد الله من الميل الى القائمقام بخيت بك عندما حصل شقاق بين هذا و أمين بك . وكان ريحان افندى لا يحاول أن يكتم غضبه فلقد كان رجلا متقدما فى السن من صفاته الصلاح النادر والصلابة مع الرحمة وقد كانت الجنود تحترمه

كثيرا وتحبه حبا جما .

وما غابت سفينة أمين بك عن الانظار حتى شاع وذاع وملأ الاسماع ان أمينا بك فر هاربا .

واجتمع مجلس غداة يوم سفره وقرر عدم وجود ضرورة لاخلاء لادو وتكليف أمين بك بتموين هذه المحطة . وفى خلال ذلك شرع فى الحال بالقيام باعداد وسائل الدفاع .

انسحاب المهديين من مكراكا و أمادى

بادر كازاتى بالكتابة الى أمين بك يخبره بما حدث ويرجوه أن لا يبتعد أكثر من غندوكورو اذا كان يريد أن يتجنب الانشقاق الذى بات حصوله قاب قوسين ولكن أمينا بك لم يعر هذا الكلام أذنا مصغية واستمر آخذا فى طريقه الى الجنوب جاعلا له مستقبلا مجردا من السطوة والاحترام مملوءا كدرا غير ان العناية الالهية أظلت بوارف رحمتها المديرية أيضا هذه المرة فنزح الأمير كرم الله عن مكراكا و أمادى فجأة لأمر لا يعلمه إلا علام الغيوب وانسحبت قواته الى مديرية بحر الغزال .

موالاة امين بك الانسحاب الى الجنوب وتوطنه خور أيو

وما زال أمين بك يتابع السير منسحبا نحو محطات الجنوب ذلك الانسحاب الذى نعته الرأى العام بالفرار . فهاج الضباط وأرادوا حجزه فى الرجاف لكنه تشبث برأيه ومع ذلك وعد بالاقامة فى لابوريه بل أصدر أمرا باقامة المبانى اللازمة فى هذه الناحية الأخيرة على ضفة

النيل اليمنى . وسكن روع الأهالى فى بيدن ، و كري ، و موجى ، و لابوريه بشأن المستقبل . ولما لم يستطع ان يسترجع ثقتهم به ذهب وأقام فى خور أيو . ومن هذه الناحية أمر بتصدير الحبوب الى الأورطة المحتلة لادو وملحقاتها مؤملا بذلك تهدئة الخواطر والتمكن من سحب الحاميات الضاربة شمالا فيما يستقبل من الزمان . ولقد ارتكب أيضا أمين بك خرقا آخر فى الرأى ذلك بأن منح زيادات فى رواتب جنود الأورطة الثانية .

ارسال امين بك فرقة لاستطلاع أخبار حامية بور وابادة الدنكاوية لها

وكان امين بك قد وطد العزم وعقد النية على ان يذهب الى مناطق البحيرات ومع ذلك بعث بحملة بقصد التأكد من الخبر الذى كان قد أذيع عن قتل حامية بور ثم يواصل السير بعد ذلك صوب فاشودة لاستطلاع اخبار الثورة . وألفت فرقة لهذا الغرض من ١٨٠ جنديا ومشت فى طريقها الى ان بلغت بحر الزراف . وهناك دبت عقارب الخلاف بين صفوفهم ففريق كان يرى اتمام المأمورية وفريق يرى عكس ذلك . وأخيرا استقر الرأى على النكوص على اعقابهم وبعد مسير ثمانية ايام وقعت الفرقة فى كمين نصبه الدنكاوية وأبيدت تقريبا . وأتى بهذا الخبر المحزن الجنود القلائل الذين نجوا منها .

سفر كازاتى الى موجى ومنها الى لابوريه و دوفيليه

لما كان كازاتى لا يميل البتة الى التدخل فى اشغال المديرية حيث

كان يرى والأسى ملء جوانحه المسائل الشائكة والاعمال المعقدة تتراكم فقد نزح عن لادو فى ٩ مايو من سنة ١٨٨٥ م ووصل الى موجى فى ٢٣ منه وعاش بها فى مسكنه وحيدا فريدا .

وكان كازاتى يعتقد اعتقادا راسخا أنه ليس هناك سلامة ترجى من وراء الذهاب الى الجنوب . ويرى ان نتيجة التجارب الاخيرة ليست مرضية إلا اقل من القليل فكتب الى امين بك يخبره انه نوى مبارحة المديرية موليا وجهه شطر الشمال الشرقى فى اتجاه فادازى Fadasi فرد عليه المدير بأنه لا يتسنى له ان يسمح باجابة طلبه نظرا للمسئولية الكبرى التى تقع على كاهله إذا حدث له حادث . فكتب له كازاتى جوابا أخلاه فيه من كل مسئولية غير أن أمينا بك ظل ثابتا على رأيه رافضا السماح له بما طلب وكتب اليه يستقدمه لزيارته فى لابوريه . فامتثل كازاتى وسافر الى هذه المحطة الاخيرة وقابل فيها امينا بك . وعندما تناقشا معا فى الموقف عرض عليه كازاتى نقل قاعدة المديرية موقتا الى كري ريثما تتمكن جنود لادو و الرجاف و بيدن من التراجع صوب الجنوب . فقبل امين بك ان يعمل بهذا الرأى وبعد ذلك ببضع ساعات عدل عنه الى نقيضه وسافر الى دوفيليه ولحقه فيها كازاتى فى ٢٣ يونيه من سنة ١٨٨٥ م .

وكانت دوفيليه عندئذ تموج بالجنود والأهالى فالأولون كانوا نازلين بها بسبب ما نالته محطتها من الاهمية بغتة والآخرون كانوا قدقدموا اليها ليستبدلوا بمحصولاتهم خرزا ونحاسا .

واستقر الرأى بأمين بك على ان ينتقل الى وادلاى غير انه أبعد احمد

افندى محمود سكرتيره و عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وعهد بادارة قلم الحسابات الى البكباشى حواش افندى .

سفر كازاتى الى وادلاى

وصلت الباخرة « الخديو » فى مساء ٢٦ يونيه من سنة ١٨٨٥ م من وادلاى وعلى ظهرها قائد هـــذه المحطة . وقتل فى الطريق رجل وهو يحاول تخليص الرفاس من الأعشاب المشتبكة به لأن الرفاس تحرك قبل ان ينتهى الرجل من عمله .

وزايل كازاتى فى ٢٨ منه دوفيليه قاصدا وادلاى ولحقه فيها أمين بك فى ١٠ يوليه . وابتدأت الأشغال فى المحطة واتسعت المحطة لدرجة نستطيع معها أن تقوم بما يطلب منها من الأعمال وأحيطت بخندق .

وكلمة « وادلاى » التى وضعت علما على المحطة هى اسم لرجـــل طويل القامة ضخم الجثة لدرجة صار معها شنيع الخلقة غير قادر على الحركة ولذا يعيش متنعما فى أحضان عدد كبير من النساء ويكره الحروب ويرغب فى الحيـــاة الهادئة هدوءا شاملا .

واللـــور رعايا وادلاى هم والشولى النازلون فى ضفة البحيرة الغربية من عنصر واحد إلا أن الأولين لا يشتركون مع الآخرين فى ميولهم الحربية بل بالعكس يجنحون للسلم ويميلون للسكينة وهم عـــلاوة على ذلك من خيرة المزارعين ولهم باع طويل فى تربية الماشية . وعادت الثقة والطمأنينة الى نفـــوس اللور وأخذوا يميرون المحطة وكفل لهم وجود المدير بينهم وقوف الجنود عند حدهم

إغارة البارين على لادو وانتصار حاميتها عليهم

وفى أكتوبر ورد خبر اغارة قبائل البارين هم وحلفائهم الدنكاويين على لادو و غندوكورو و الرجاف .

وقد حدا سوء استعمال السلطة المعطاة للقواد التى تخولهم مطلق التصرف فى الأمور من جهة وموقف الحكومة الحرج من جهة اخرى الى تحزب الرؤساء بقصد محاولة ضربها ضربة قاضية .

وأرسلت الامداد والذخيرة على وجه السرعة واستمرت المعركة حامية الوطيس يذكى نارها الحقد والضغينة .

وفى لادو انقضت جموع المغيرين الساحقة على الخنادق وازدروا بالموت الزؤام وأذكت حميتهم اصوات الابواق والطبول . وكدسوا حزما من العشب والحطب لسهولة المرور الى داخل الحصن . وبينما كانت تشتد حميا وثوبهم لدرجة خيل معها ان النصر امسى ولا ريب حليفهم إذا برصاصة أصابت جبين كبير سحرتهم وألقته بأسفل المتراس . وكان هذا أول من وصل الى القمة . وشل صياحه المزعج الوثوب ووقفه وقفا تاما وأحال الخوف الذى حاق بهم رعبا لا مبرر له وبذا نجت لادو ووضعت الحرب أوزارها على ان البارين وحدهم دفعوا نفقات هذه المعامع ذلك ان الدنكاويين وقد شق عليهم موت كبير سحرتهم نهبوا البلد وسلبوا كل ما صادفهم فى طريقهم من الماشية عند رجوعهم .

اما الحامية ، وقد سكرت بخمرة النصر ، فخالت أنها لا تغلب بعد ذلك

وعوضا عن ان تتراجع الى كري و موجى و لابوريه عقدت النية على اعادة احتلال مكرا كا بنيـة الحصول على الحبـوب اللازمة للمحطات القائمة على النهر وباشرت تنظيم المديرية من جديد بالـكيفية التى سولها لها شيطانها من غير ان تتنازل وتستشير المدير .

عودة المواصلات بين أونيورو
وطلب كباريجا تعيين وكيل لديه من قبل الحـكومة

وأتى رسل قبيل آخر اكتوبر يحملون مكاتيب من طرف العرب المقيمـين فى بلاد اونيـورو وقد آبوا حاملـين الرد فى أول نوفمـــبر وبذا انفتـح باب المواصلات .

ووردت فى ٢٣ ديسمبر رسائل اخـرى من قبـل كباريجـا ملك اونيـورو يخبر فيها امينـا بك انه يرغب فى ان يرى لديه وكيلا من قبل الحكومة وانه يأذن بنقل المراسلات الى أوغندة عن طريق بلده وانه يجود بهذه المنحة لأجل صديقه الدكتور امـين ذلك الصديق القـديم الذى مازال له عنده منزلة احـترام عظيمة وصداقة ولـكى يرضى امين بك الملك كلف جونكر و فيتـا حسان بهـذه المهمة .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٦ م

من

حكمدارية أمين باشا

تعيين فيتا حسان نائبا عن الحكومة فى أونيورو

فى أول يناير من هذا العام رافق امين بك و كازاتى الى المرسى الدكتور جونكر وفيتا حسان . وكان ينتظر هذين فيها لتوديعهما كبار موظفى المحطة من ملكيين وعسكريين . وبعد ان ودعهما الجميع صعدا الى ظهر الباخرة « الخديو » التى لم تلبث إلا قليلا حتى أطلقت صفارتها ايذانا بالسفر . واقتلعت المراسى وتحركت الآلات وأخذت الباخرة تبتعد والمودعون يلوحون بمناديلهم البيضاء الى ان توارت عن الأبصار .

ولم يكن فى عزم الطبيب جونكر ان يقيم ردحا طويلا فى اونيورو بل كان عاقدا النية على ان يعاود المسير شطر الساحل عند سنوح اول فرصة . اما فيتا حسان فحاله كانت كما يأتى :ـ

« لقد كان معينا نائبا عن الحكومة المصرية لدى كباريجا ملك اونيـــورو . وكان لديه أمر بالسفر الى تلك الديار والاقامة فيها والسهر على حفظ العـــلائق الودية والسياسية بين البلدين وان يرافق الدكتور جونكر الى اونيورو ويساعده على اجتياز اوغنـــدة حتى يتمكن من الذهاب الى زنزبار عنـــد سنوح أول فرصة . وان يقوم بعمل اللازم لدى

الملك ليهيء طـــرقا فى مملكته ينسحب منها موظفو المديرية المصريون عند الحاجـة وان يباشر مشترى المنسوجات والاشياء الاخـــرى التى تلزم لمستخدمى المديرية ويبادل عليها بالعاج الذى يرسل اليـه من وادلاى . ويجب عليه كذلك ان يجتهد باقواله واعماله حتى يحصل على ثقة الملك وصداقته ويحافظ عليهما حتى ينال منه اجزل ما يمكن من الفوائد خلال قيامه بالمهمة التى عهـد اليه اتمامها » .

سفر فيتا حسان مع جونـكر الى أونيورو

سافر فيتـا حسانـ ووجهتـه الاونيـورو مزودا بهـذه التعليمات ومصحوبا بالطبيب جونكـر و جنـــديين و مندوبى كباريجا الخمسة وأخـذ معـه ٣٠ نابا من انياب الفيـــلة هدية من امين بك الى كباريجا وكبار موظفى اونيورو . وبعـــد مسير ست ساعات وصلت الباخـــرة « الخديو » الى مصب بحـــيرة البرت نيانزا وكان من المحتم ان تقف عنـــده لتستوفى ما يلزمها من الوقود وتقضى ساعات الليل . وسافرا فى اليوم التالى وبلغا كيبيرو القائمة على شاطىء البحيرة بعد الظهر . وعرض عليهما كاجارو Kagaro رئيس الناحية الضيافة الى ان يتمكنا من جمع ما يلزمهما من الحمالين وبعث لهما بخروف ومقدار من الملح .

وكان كاجارو معينا من قبل كباريجا مأمورا لانتاج الملح وبسبب هذه المادة التى تأتى بدخل كبير صار لـكيبيرو أهمية كبرى .

وأقاما فى كيبيرو يومين جمع فى خـــلالهما الرئيس ٣٢٠ حمالا لنقـل المتاع والعـــاج . وليس فى جسامـة هـذا العـــدد ما يوجب الاستغـراب

متى علم ان الزنوج لا يودون حمل الاشياء الثقيلة . فاقصى ما يحمله الواحد منهم يتراوح بين ٢٠ و ٢٥ كيلو جراما . وهذه المسألة جعلت السياحة فى افريقية امرا صعبا .

وفى اليوم الثالث انطلقا فى السير وبعد سفر ثلاثة ايام دخلا امبارا Mpara محل اقامة الملك ووجدا على بعد ربع ساعة من الناحية خمسة اكواخ جديدة أعدت لاقامتها بأمر كباريجا فنزلا فيها نزول صاحب الدار فى داره . وامبارا هذه كرسى مملكة اونيورو . وقدم فى المساء ماتونجولى ، أى وزير ، لزيارتهما وليتمنى لهما نيابة عن الملك قدوما سعيدا . واستفهم عما اذا كانت كل الأمور قد جرت فى مجراها الحسن فى غضون سفرهما ، وعما اذا كانا قد قوبلا من رعايا الملك مقابلة طيبة . واحضر لهما علاوة على ما ذكر من قبله زادا مشتملا على ثور و مريسة و دقيق ذرة و تبغ و بن و بطاطة و فول احمر و موز و حطب وكل هذا بمقادير وافرة . وكان الملك يوصيهما ايضا ان يأخذا الراحة التامة ليستريحا من وعثاء السفر فكلفا الماتونجولى ردا على ذلك ان يبلغ الملك تشكراتهما القلبية .

وأتى فى اليوم التالى ماتونجولى آخر وحياهما باسم الملك واحضر لهما مقدارا من المارِيسة وخمسة عشر عذق موز على ان المؤونة التى قدمت لهما بالأمس كانت لم تزل على حالتها تقريبا غير انه من عادة السودانيين ان لا يظهروا امام ضيوفهم وايديهم خاوية وذلك من باب اللياقة والمجاملة .

ولم يبارح فيتا حسان و جونكر سكنهما فى الثلاثة الايام الأول

لانشغالهما بترتيب واعداد متاعهما وتأثيث منزلهما . وكان القائم باذهانهما ان الملك سيستدعيهما بين آونة وأخرى ولكن سكوته عن هذا الاستدعاء فى هذه المدة بث فى نفوسهما بعض الدهش .

وزارا فى اليوم الرابع المدينة بموجب الأذن الذى كان أعطى لهما بزيارتها . ولم تكن هذه سوى قرية بسيطة مثل باقى قرى الزنوج لكنها كبيرة ومأهولة كثيرا بالسكان وهى تتألف من اكداس من الاكواخ المصنوعة من الخيزران والقش موضوعة على الارض بلا نظام ولا ترتيب . واتخذا الترجمان الذى عين لخدمتهما عند قدومهما مرشدا لهما أثناء هذه الزيارة .

ولم يبلغهما الملك خبر استمداده لاستقبالهما إلا فى اليوم السابع . وكان فى الامكان حصول هذا الاستقبال فى اليوم الاول إلا ان الملك الذى كان من شيمه المكر والخداع فضلا عن الجهل رأى ان يموه عليهما بتكليفهما الانتظار . فدعاهما ماتونجولى يقال له « كاتاجروا » Katagrua كان قبلا وزيرا لكمرازى والد كباريجا وكلفهما بان يرتديا احسن ملابسهما حتى يكونا فى حالة تليق بمقابلة صاحب التاج إذ أنه لشدة كبريائه يجنح للتأثير على رعاياه بأبهة ملابسهما وفخامتها ويستطيع ان يفتخر بان لديه ضيوفا بلغوا هذا الشأو من علو المنزلة .

مقابلتهما لكباريجا ملك أونيورو

حضر قبيل ظهر ذلك اليوم الماتونجولى امسيجى Msigi ليقدم فيتا حسان و جونكر للملك . وقابلا على بعد خمس دقائق من محل اقامتهما ثلة صغيرة

من الجنـد وعند رؤيتها لهما اصطفت على جانبي الطـريق ثم بعـد ذلك بقليـل قابلتهما ثلة اخرى وأدت لهما التعظيم بتقديم الأسلحة عند مرورهما وفى اثناء ذلك كان ينفخ فى الابواق وتدق الطبول وهذه كل آلات العزف التى يمتلكونها .

ويسمى هـؤلاء الجنـود « البانا سورا » Banassuras ويتألف منهم جيش منظم مجموعه ١٥٠٠ نسمة يرتدى الملابس الحسنة ويحمـــل بنادق بشطف أو سريعة الطلقات .

ونظم هـــذه الهيئة عساكر من جنود الحكومة المصرية يبلغ عددهم زهاء الثلاثين كانوا قد فروا من محطتى كيزوجا Kisoga و كيروتو اللتين كان قد أنشأهما غوردون باشا فى بلد اونيـورو وذلك فى خلال حصول مجاعة . وعنـــد هروبهم أخذوا معهم اسلحتهم وآلاتهم الموسيقية ولم يحتفظ الباناسورا بشيء من تلك الآلات الاتهم إلا بالأبواق والطبـول وذلك لسهولة استعمالها . ولا يصرف للباناسورا راتب ولا جـــراية ويتعين عليهم ان يعيشوا من الطلبـــات التى يأذن لهم بها الملك والتى تممـــل ليتخذوها مبررا لنهب الأهالى نهبا منظما . وبما ان الملك وحده هو المتولى اقامة العـدل واصدار الاحكام بدون بحث ولا مناقشة والباناسورا هم المتـــولون تنفيـذ تلك الاحكام استباح هؤلاء اتخـــاذ اسمه ذريعة لسوء استعمال السلطـــة فى احـــوال كثيرة وعزوا ذلك اليه تعسفا وظلما . ولقد ابعد قلوب الأهالى عن هؤلاء الجنـود وأحنقها عليهم وعلى سيدهم « أى الملك » ما يرتكبونه من السلب والنهب لدرجـــة صار معها وجود هـــؤلاء السلابين النهابين ضروريا لأمن الملك الذى أصبح لايهابه شعبه إلا خـــوفا من هـؤلاء الطغام المرتدين لباس الجندية .

ويتألف قصر الملك من سور كبير داخله مجموعة من الاكواخ تسكنها نساؤه الكثيرات العدد وخدمه . وأقيم حيال هذا السور كوخ على شكل دائرة له مدخلان وبه حاجز يقسمه قسمين . ويتألف هذا الحاجز من سدول مختلفة الانواع من سجاد و منسوجات حريرية وقطنية مزركشة بالذهب والفضة وغير مزركشة ملتئمة ببعضها فيتألف من مجموع هذه الألوان الزاهية النضرة منظر يأخذ بالألباب . ويجلس الملك كباريجا فى الوسط خلف القسم الذى مدخله فى الامام على مقعد كبير مكسو من نوع كساء الحاجز . ووراء هذا يقف ثمانية من الغلمان اعمارهم تتراوح بين اثنتى عشرة وست عشرة سنة . يحملون قرابينات وينشستر Winchester ويرفعون من وقت الى آخر طرف الستار للقيام بمستلزمات الحراسة أو ربما كانوا مدفوعين فى ذلك بغريزة حب الاستطلاع ويلقون بنظرة فى الكوخ الملكى . وهؤلاء يكونون الحرس الملكى الذى كان يتغير كل نصف يوم . وكان كبار اعيان الأنيورو يجلسون صفا على الارض على يمين كباريجا ويساره وكانت الارض مفروشة باوراق البردى نزى السجاد . ويحيط بالكوخ فى الخارج على بعد أربعة أمتار منه ثلة من الجند واقفة على شكل دائرة .

ورافق جونكر و فيتا حسان اتباعا لأوامر الملك الجنديان اللذان قدما معهما وكانا يحملان مقعديهما . ولم يتحرك الملك عند دخولهما وعند وصولهما الى مسافة وجيزة من الملك حياه فيتا حسان باللغة العربية قائلا : « السلام عليكم يأيها السلطان » اما جونكر فرفع قبعته . ووضع الجنديان مقعديهما على يمين الملك فجلسا عليهما بين الوزراء « الماتونجوليين » .

وكان الملك يلبس سروالا و سترة « استامبولينا » وطربوشا ولم يكن على جسمه قيص ولا فى قدميه حذاء . وبعد ان جلسا التفت الملك الى جونكر وكان يعرفه تمام المعرفة لانه كان قد طلب ارساله وسأله بلهجة تنم عن الكبرياء والعظمة عن الغرض من سياحته مع ان موظفى أمين بك عرفوه من زمن سابق السبب .

وترجم هذه الأسئلة الترجمان أمسيجى وهـو ذلك الذى كان ترجمانا لأمين بك فى رحـلاته السابقة الى بلد أونيورو فى مدة غوردون باشا . وأجابه جونكر بأنه قدم ليجتاز أوغندة حيث يريد أن يجتمع باخوانه البيض المبشرين اذا كان ذلك فى حيز الامكان .

أما فيتا حسان فقال ان لديه خطابات من أمين بك يرغب فى ارسالها الى رؤسائه فى القاهرة بواسطة الملك عن طريق أوغندة و زنزبار . وما أتم كلامه حتى صاح ماتونجولى قائلا : « واذا لم يشأ الملك ارسال هذه الخطابات ؟ » . فأجاب فيتا حسان : « ان الملك هو صاحب الشأن وله وحده أن يأمر بأن ترسل أو لا ترسل وانه لا يطلب ذلك من باب الالزام بل يطلب بالنيابة عن أمين بك أن يفعل ذلك منة منه وكرما . وعلاوة على ما ذكر فانه لا يطلب من الملك ارسال هذا البريد بدون أن يجنى من وراء ذلك فائدة بل مقابل هدايا تقدم اليه . وانه اذا أراد سلاحا أو ذخيرة حتى اذا شاء مدفعا فهو يقدم له كل ذلك عربون صداقة رئيسه للملك » .

ولم يتكلم فيتا حسان بهذه الكيفية إلا عملا بوصايا أمين بك وطبقا لارادته لأنه قد رسم له أن يعمل دواما بما تقتضيه سلامة الذوق . ورأى

فيتا حسان من رضا الملك ما دله على انه قد أصاب منه عرقا حساسا . فأجاب كباريجا انه يعتبر أمينا بك كأخ له وانه سيعمل كل ما يرضيه . وبعد أن وجه جملة أسئلة غريبة فى بابها لم يتمالكا عند سماعها من الضحك إلا بشق الأنفس فض الجلسة بقوله : « ان أكواخكما الحالية لم تكن إلا وقتية وذلك ريثما تستريحان من وعثاء السفر وفى استطاعتكما أن تختارا المكان الذى يوافقكما فأقيم لكما فيه مسكنا فى الحال » . وعلى هذا استأذنا جلالته ورجعا الى محل اقامتهما يصحبهما ماتونجولى .

ووقع اختيارهما على ربوة صغيرة تشرف على كل نواحى المدينة . وكانت أرضها مزروعة بطاطة فأمر الماتونجولى باقتلاعها فورا . وفى الغد سلما رسم المسكن الى العمال وكان هؤلاء كثيرى العدد فأنجزوه فى عشرين يوما .

وفى خلال هذه المدة استدعاهما الملك ثلاث مرات وكان فى كل مرة يرتدى ملبسا يختلف عن ملبسه فى المرة التى سبقتها . وكان دواما يهتم اهتماما خاصا بحالتهما الصحية ويستعلم منهما عن لوازمهما وعما اذا كانت المؤونة التى تقدم لهما تكفى حاجاتهما .

ولم تستدع الجنود وتقام الاحتفالات التى سبق ذكرها إلا لدى المقابلة الأولى . وطلب الملك عند الزيارة الثانية أن يرى الخطابات التى يرغبان ارسالها الى مبشرى أوغندة . وكان أحدها مرسلا من أمين بك والثانى من جونكر وكلاهما برسم الأب ماكاى Mackay فتناولهما كباريجا وقال : « سيصل اليكما الرد فى مدة تسعة عشر يوما » . وبر الملك فى الواقع بوعده

وفى اليوم التاسع عشر وصلت اليها اجابة ماكاى ومعها خطاب باللغة الفرنسية مرسل من نوبار باشا الى أمين بك . وهذا الخطاب ظل لدى هذا المبشر زمنا طويلا بدون أن يتمكن من توصيله للمرسل اليه .

وبادر فيتا حسان بارسال خطابى نوبار باشا وماكاى الى أمين بك .

وما وضعا أقدامهما فى مسكنهما الجديد حتى تلقيا بطريقة سرية رسالتين إحداهما باللغة العربية والاخرى بالفرنسية من شخص يقال له محمد برى تاجر من أهالى طرابلس .

ورأى فيتا حسان فى مساء يوم عند افول الشمس رجلا زنزباريا يقال له حموده قادما ودخل عليهما مع ترجمانهما ليقدم لهما تحيات شيخ الزنزباريين فى أونيورو . وتمكن حموده هذا من أن يلقى تحت المائدة خطابين بدون أن يلحظ ذلك أحد وما كاد يخرج مع الترجمان حتى تناولهما فيتا حسان ودهش عندما رأى ان بهما توقيع محمد برى .

وكان المكتوب الفرنسى برسم جونكر والعربى لفيتا حسان . ويقول محمد برى فى كتابه الثانى ان موطنه طرابلس وانه مقيم بين الزنزباريين بصفة تاجر وانه يكون سعيدا اذا تمكن من مقابلته وان الوسيلة لذلك هو أن يحصل فيتا حسان على اذن من الملك بالسماح له بزيارة حى الزنزباريين وان فى امكانه معرفته بسهولة بقامته الطويلة النحيفة وأوصاه أن لا يكلمه إلا بالفرنسية أو التركية اذا قابله وكان معه أحد .

ويقول فى كتاب جونكر ان أحد الألمانيين المدعو الدكتور

فيشر Dr. Fisher جاء الى أفريقية للبحث عنه وان الحكومة المصرية كتبت بصدد ذلك بعض الخطابات لمديرية خط الاستواء . ولم يذكر محل وجود هذه الخطابات ولكنه أظهر انه يريد أن يذكر ذلك شفويا عند أول فرصة .

ولقد كان من الفطنة واصالة الرأى أن يتصرف محمد برى هـــذا التصرف المستتر وأن يخشى انكشاف علاقته بفيتا حسان و جونكر لأن الملك كان بفطرته شديـــد الغضب . ويستوي فى ذلك هـــو وجاره موانجا . وقد كان من طبع هذا الملك أن يراقب مراقبة مدهشة كل من يدخل بلده ويبحث عن الوسائل التى تعرقل اتصال الواحـــد بالآخر من الأجانب . فلم يكن ليعفيهما من أشد المراقبة وأدقها مع انهما أتيا بناء على طلبه وبصفة مرسلين من قبـــل أمين بك الذى كان يدعوه بصديقه وأخيه الأبيض .

وما كان الجنديان اللذان وضعا تحت تصرفهما مكلفين بخدمتهما فحسب بل كانا فى الوقت نفسه مراقبين بل سجانين لهما .

وكان الملك لا يمنع عنهما أى شىء تتطلع اليه أنفسهما إلا أنه كان يعرف الطريقة التى بها يبعدهما عن الأجانب الآخرين . وكان لا يقول لهما شيئا مطلقا غـــير ان ترجمانه ما كان يكتم عنهما نصائحه الغاليـــة وكان فيتا حسان و جونكر يقـــدران تلك النصائح حق قدرهـــا وذلك باعتبارها كأوامر صادرة من ذات الملك . ولقد كابد أمـــين بك نفس هذه الريب والشكوك عند أسفاره فى أونيورو و أوغندة فى عهد غوردون باشا ففى البلد الأول لم يستطع أن يتصل بنور بك محمـــد وفى أوغندة لم يتمكن من الاتصال بميسون بك مع ان كليهما كان من موظفى الحكومة

المصرية كما أن أمين بك كان أيضا من موظفى نفس هذه الحكومة . فهؤلاء الامراء الكثيرو الشكوك والظنون كانت لهم طريقة واحدة غاية فى البساطة . ذلك انهم حالما يعلمون بقرب قدوم أجنبي يصرفون من كان لديهم من الأجانب الآخرين فى اتجاه آخر .

وكانت المصلحة وحب الوقوف على الحقيقة يدفعان فيتا حسان و جونكر لمقابلة محمد برى فى أقرب وقت فطلبا من كباريجا أن يرخص لهما بزيارة حى الزنزباريين فلم يأذن لهما بذلك الا بعد يومين .

وذهبا الى الحى المذكور وحالا عرف فيتا حسان محمد برى بأوصافه التى ذكرها وخاطبه بالفرنسية وكان هذا الأخير يتكلمها بسهولة إذ أنه كان موظفا بالشركة البلجيكية الافريقية وساح فى أغلب نواحى القارة الأوربية .

وبعد أن سلما عليه قص عليهما ثورة عرابى واحتلال الانكليز لديار مصر بسبب هذه الثورة واخلاء الحكومة المصرية السودان وسقوط الخرطوم وقتل غوردون . وكان لديه معلومات صحيحة فيما يختص بأحوالهما وأكد لهما أنه يوجد لدى المبشر ما كاى مراسلات برسمهما من نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء . وعرض برى عليهما وساطته فى توصيل ما لديهما من المكاتبات وفى انجاز كل أمر يريدانه . وعند مبارحتهما له أوصاهما أن يأخذا الحذر من بابادونجو رئيس وزراء الملك ومن رجل يقال له عبد الرحمن وهو شخص زنزبارى له نفوذ كبير عند كباريجا ودعاهما لتناول الطعام عند رفيقه الشيخ مسعودى ووعدهما بأن

يستأذن من الملك فى أن يتناول عندهما الطعام مرة .

وكان الزنزباريون شبه محتكرين لتجارة أفريقية الوسطى فكانوا يوردون أنواعا منوعة من السلع ويستبدلون العاج بها . وعلاوة على هذا النوع المباح تصديره كانوا يتجرون فى الرقيق وما يحصلون عليه من داخل القارة يبيعونه فى الساحل . ولو لم يكن التجار عرضة لأذى الملوك لكان فى استطاعتهم الحصول على ارباح طائلة . وكان أولئك عندما يضمون مكاسبهم فى مكان مأمون يرجعون الى الساحل . وهذا ما كان يعمله أغلب تجار الخرطوم الذين يسافرون الى النواحى الواقعة الى الجنوب مخاطرين بأرواحهم ابتغاء كسب الدراهم التى ينفقونها فيما بعد فى هذه المدينة .

وكان العربى عند سفره من الخرطوم أو زنزبار يردد لسانه هذه العبارة « الذهب الأحمر أو الموت الأحمر » .

وكتب فيتا حسان فى الحال بعد أن ترك محمد برى الى أمين بك تقريرا مفصلا بما دار بينهما من الحديث وأضاف اليه جونكر بعض كلمات ذيلها باسمه ووضع مع التقرير صورة الخطاب الذى تلقاه من المبشر ماكاى بالاذن له من موانجا Mwanga ملك أوغندة بدخول مملكته وبعدم التمكن من الحصول منه على ترخيص كهذا لموظفى أمين بك .

وكان فيتا حسان لم يقدم الى كباريجا لغاية ذلك الوقت إلا هدايا صغيرة واحتفظ بالعاج لحين سنوح فرصة اكثر مناسبة فانتهز فرصة قيامه باحضار البريد لهما من أوغندة وقدمه له دلالة على رضا الحكومة .

ففي اليـــــوم التـالى لوصول البريد قـدم فيتـا حسان ٢٠ نابا من انيـاب الفيـــــلة الى الملك وواحدا لبـابادونجو Babedongo ، وواحدا لعبد الرحمن الزنباري ، وواحدا للوزير كاتاجروا ، وواحدا للترجمان اسيجى ، وواحدا لقائد الشرطة « باناسورا » ، وثلاثة الى بعض الضباط واحتفظ بثلاثة لما يطرأ في مستقبل الأيام .

وكان العـاج ضالة الزنباريين المنشودة وكان احـدى الوسائل الهـامة في المبـادلة في بلاد الاونيـورو التي يندر فيهـا وجـود هــــذا النوع لأن الفيلة لا توجد إلا شمـال بحيرة البرت نيـانزا . وكان الزنباريون يشترون الفرازيلا من العاج من الأونيورو بـ ٤٥٠٠ سيمبي Simbis والفرازيلا Frâsila عبارة عن ٢٠ نابا . و ٢٥٠ سيمبي تساوى ريالا مجيديا . وقيمة هذا الريال سبعة عشر قرشا ونصف قرش وعلى هــــذا يكون ثمن الفرازيلا ١٨ ريالا أو ٣١٥ قرشا . ويبيعـونه في السـاحـل بثمن يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ريال أي من ١٤٠٠ الى ١٧٥٠ قرشا . إذ انهم كانوا يتكبدون نفقـات كثيرة للوصول الى الساحل .

ويتخـذون في الاونيـورو « السيمبي » أساسا للمعامــــلة في الصفقـات التجـارية وهــــذه العمـلة ادخلهـــا الزنباريون في هـــذا البلد . وله قيمة ثـابتــــة لا تتغــــير . وكانت التجـارة رائجـة في الاونيورو بفضــــل ما كان يبـــديه الزنبـاريون من الهمـة والنشاط في الاسفـار ذهـــابا وايابا بـين السـاحل وأواسط افريقيـــة بلا انقطـاع . وكان ايضـــا في الاونيـورو تنتظم الدقة المعـاملات التجـارية لأن ثمن كل سلعة كان محـددا بمعرفة الملك فلا يتغير ولا يتبدل مطلقـا وكان لديه معـــلومات صحيحة عن

كل ما يحدث فى ارض مملكته .

وروى فيتا حسان انه ابتاع ذات يوم دجاجـــة ودفع ثمنا لها ٣٠ سيمبى مـــع ان ثمنها المحـدد كان ٢٥ فقط وبعـد ذلك بقليـل أتاه ترجمان الملك وأعطاه الفـــرق وقال له ان التاجر الذى عامله باجحاف سيوقع عليه الملك عقابا وأوصاه بان لا يدفع شيئا يزيد عن الثمن المحدد مراعاة لمصلحته واجتنابا لحدوث اضطراب فى السوق .

واليك اثمان بعض الحاجات المهمة :—

أمة سواء ا كانت عذراء أم امرأة من ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ سيمبى « ٣٦٠ الى ٤٥٠ قرشا » . صبى رقيـق من ٨٠٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ سيمبى « من ٢٤٠ الى ٣٠٠ قرش » . بقـرة حلوب من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ سيمبى « من ١٢٠ الى ١٥٠ قرشا » . عجل ذكر من ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ سيمبى « من ٣٧ الى ٤٥ قرشا » . خروف من ٣٠٠ الى ٤٠٠ سيمبى « من ٩ الى ١٢ قرشا » الخ .

ويجب على كل تاجر يقـــدم الى الاونيورو ان يقـدم بادىء بدء بعض السلع للملك فيختـار منها ما يعجبه بدون مقـابل وكان يدفـع أوقاتا سنا مقـابل ما يأخذه غير ان هذا يتعلق بمشيئة الملك على ان القـاعدة هى ان يترك للملك ما يستحسنه من غير عوض .

وربما كانت الاونيـــورو أغنى البـلاد فى نوع البقـــر فقطمان الملك وحدها تعد بمئات الألوف . والسبب فى هـــذه الكثرة التى لا يتصورها العقـــل يرجع الى تحريم ذبح الأبقار تحريما باتا اللهم إلا اذا ظهـر عقمها ظهـور الشمس فى رابعة النهار وحتى عنـدئذ لابد من الاستئـذان من الملك .

أما اذا شذ أحـــــدهم عن هـذا القانون فتصادر أملاكه وتبـــاع أسرته فى سوق الرقيق .

وكان الوزراء « المالونجوليون » المكلفون بحراسة القطعان ملزمـــين بعرضها أمام الملك من وقت لآخر حتى يمكنه الوقوف على حالتها لأن هذه القطعان ثروته الوحيدة فهو يفوض أمر رعيها لرعاياه ويسمح لهم بأخذ ألبانها . أما الماشية فتظل ملكا له .

نشوب الحرب بين أوغندة و أونيورو
واحتلال فيتـــا حسان جزيرة تونجورو

وفى ٢٥ فبراير أتى من وادلاى رجـــال فيتا حسان . وكان أمين بك يحسب ان مدة اقامته فى أونيورو ستطول ولم يكن قد طـــرأ على فكر فيتا حسان نفسه ان الحرب بين أوغنـدة و أونيـورو قد صارت قاب قـوسين أو أدنى وانه سيرى نفسه قريبـــا مضطـرا أن ينسحب . ومع أن الفريقين كانا يتأهبان للحرب ويعدان عدتها كان كباريجـــا قد أمر بملازمـــة الصمت وأن لا يبـــوح أى انسان بشىء ما ولم يأذن لرجال فيتـا حسان بالقـدوم إلا عنـدما تيقن أن العاصفـة قد مرت وهدأ الجـــو .

وأرسل أمين بك ٥٠ نابا من أنياب الفيـــلة الى فيتـا حسان وأرسل اليه أيضا خطـابا يأمره فيـــه بأن يسلمهـا الى جونكر بالايصـال اللازم إذ ربما دعته الحـالة لأن يستعملها للمبادلة اثناء الطريق . ولم يشأ جونكر أن يقبل منها شيئا وقال انه متى بلغ أوغنـدة يسهل عليه كل أمر بواسطة المبشر

ماكاى Makay .

وفى ٢ مارس سافر جونكر الى أوغندة وكان قد أخذ اجازة دخوله فيها وكان يرافقه فى رحلته هذه ٣٠٠ حمال أرسلها اليه الملك والجندى سرور . وكان هذا مكلفا بحمل ثلاثة خطابات من أمين بك الى سمو الخديو .

وحاول جونكر أن يقنع فيتا حسان بأن يرحل معه وأجل سفره لحين أن يأتى إذن له من أمين بك بذلك فأبى فيتا حسان لأنه كان يرى ان واجبه يحتم عليه البقاء بجانب رئيسه . وقد أشار عليه حتى نفس كباريجا بالسفر قائلا له ان الأجمل به أن يرجع الى بلد البيض لا أن يستمر مقيما فى بلد الزنوج السود .

وفى ٧ مارس وقت الظهر حضر الترجمان « واندو » بغتة الى محل اقامة فيتا حسان ومعه ٣٢ حمالا وأبلغه أمر الملك وهو يقضى برحيله عاجلا لأن الواجاند Wagandas « وهؤلاء هم سكان أوغندة » على بعد نصف ساعة من المدينة ويلزمه أن يحمل معه من المتاع ما يقدر على حمله وما يبقى يرسل اليه فيما بعد .

وكانت الحالة فى الحقيقة حرجة ولما كان فيتا حسان يعرف طريقة الحرب فى هذا البلد أدرك ان وقته أمسى ثمينا ولا ينبغى أن يضيع لحظة منه . وكان أول شىء يعمله الأهالى عندما يهاجمون هو حرق مساكنهم ثم ينسحبون . وما ادار عرض اكتافه للمدينة حتى أخذ اللهب يشتعل فى جميع نواحيها وكان كلما تلفت بين آونة واخرى رأى ذلك المنظر

الهائل الشنيع . وناهيك بمدينة كبيرة مكونة من القش تتلظى كأنها بحر زاخر بالنيران .

ولما كان لا مفر له من الابتعاد عن ميدان القتال بقدر ما يستطيع من السرعة سار هزيعا من الليل وحط رحاله بالقرب من قرية . ورأى وقت السحر ان حماليه تركوه وان القرية أصبحت خالية خاوية وما ذلك إلا لأن الهلع كان قد استولى على أهلها فهاموا على وجوههم هاربين ومعهم أمتعتهم وظل فيتا حسان على ذلك الحال وبقى معه جندياه وترجمانه ونفر قليل من شرطة أونيورو « الباناسورا » . وأوعز الترجمان الى فيتا حسان بالانتظار لأن الأهالى أعلنوا بمرورهم وسيرجعون لمساعدتهم . وفعلا قبيل الظهر أتى خمسة رجال فعهد اليهم بزوجته السيدة وابنه موسى وترك متاعه فى القرية . وكان من مصلحة فيتا حسان أن يبلغ كيبيرو فى أقرب وقت لأن أمينا بك عندما اتصلت به أخبار الحرب أعطى أمرا للباخرة « الخديو » بأن تنتظره ثمانية أيام أمام هذه الناحية . وبما أن نصف هذه المدة كان قد انقضى اسرع الخطى ووصل بعد يومين الى كيبيرو فوجد فيها الباخرة . وشاهد مع الدهشة والارتياح ان المتاع الذى كان تركه فى الطريق قد وصل أيضا .

وفى ١٣ مارس زايل فيتا حسان كيبيرو وبينما هو فى طريقه رأى على ضفة بحيرة البرت نيانزا الشمالية جزيرة يفصلها عن الشاطىء ممر ضيق وهيئتها تدل على انها حديثة التكوين . وبما أنها واقعة قرب مخرج النيل وحاكمة على مدخل البحيرة بدا لفيتا حسان انها نقطة حربية خطيرة جدا لاسيما ان أمينا بك كان شارعا فى توسيع مديريته من جهة الجنوب . ونزل

بها فلم يجد فيها سوى صياد واحد يسكن كوخا حقيرا وعلم منه ان الجزيرة تسمى تونجورو Tonguru وهى تابعة للرئيس سونجا Songa من رعايا كباريجا . وأقام فيتا حسان فى الجزيرة هو و الجاويش عبد الرجال الذى معه و الجندى عبد الجبار و شرطى كباريجا « البانا سورا » . وأرجع الباخرة الى أمين بك مزودة بخبر احتلال الجزيرة وطلب منه أن يمده بالتعليمات اللازمة قائلا له انه اذا كان موافقا على ما عمله يرسل اليه ثلة من الجند لتقيم فيها بصفة حامية والا فليرسل اليه تعليمات بما يراه .

تحصين فيتا حسان جزيرة تونجورو وسفره الى وادلاى

وبعد انتظار ١١ يوما وصلت الباخرة نيانزا وعلى ظهرها تجريدة من ١٠ جنود و ١٠ تراجمة بقيادة الملازم الأول محمد مسعود افندى ومعهم صندوقان من الذخيرة ومؤونة شهر . وكان بالباخرة أيضا الرد من أمين بك بالموافقة على احتلال الجزيرة ووضع الباخرة تحت تصرف فيتا حسان حتى يذهب الى كيبيرو ويتسقط أخبار الحرب . وبمقتضى هذا الأمر سافر فيتا حسان اليها ثلاث مرات . ففى الدفعتين الأوليين وجدها خالية خاوية كما كان تركها لكنه فى الدفعة الثالثة وجدها مأهولة كما كانت قبل الحرب وعلم ان الواجندا « أى سكان أوغندة » بعد أن غزوا أونيورو انسحبوا غانمين ١٢٠٠٠ رأس من الأنعام وعددا من الرقيق إلا أنه فى وقت انسحابهم انقض عليهم كباريجا وقتل قائدهم وحملهم خسائر فادحة وأبدى فى ذلك من البسالة وعلو الهمة ما دعا رعاياه ان يلقبوه « انشوا » Tshua أى الأسد .

وأبلغ فيتا حسان أمينا بك هذه الأخبار طالبا امداده بالأوامر وكان فى

أثناه ذلك مستمرا على اقامة المبانى والتحصينات فى الجزيرة . وبعد ثمانية أيام أتاه أمر منه بالقدوم الى وادلاى .

وقبل أن يبارح الجزيرة أحضر له الترجمان أمسيجى مكتوبا من جونكر صادرا من حدود أوغندة يقول فيه انه مر عليه ٣٠ يوما وهو مقيم هناك بدون أن يحصل على اذن من موانجا بالترخيص له بدخول مملكته . وانه لو لم يسعفه كباريجا الذى يقر له بالشكر لهلك جوعا .

وكان أيضا لدى أمسيجى خطاب بالعربية من كباريجا برسم أمين بك يحيطه فيه علما بما ناله من النصر الباهر مع ان عاقبة الحرب ما كانت مرضية ويطلب منه عدا ذلك ارسال ذخيرة لاسيما رصاصا . وكان لدى أمسيجى أمر بأن يزور فى وادلاى الثلاثة الشبان « الوانيورو » Wanyoros الذين أرسلهم اليها فيتا حسان بناء على طلب كباريجا لكى يتعلموا اللغة العربية قراءة وكتابة .

وسلم فيتا حسان قيادة النقطة الى الضابط محمد مسعود افندى بعد أن أعطاه الارشادات اللازمة ثم سافر الى وادلاى ووصل اليها فى الخمسة عشر يوما الأخيرة من شهر أبريل . وقابله أمين بك بالبشاشة والبشر وقدم له تهانيه مع الشكر على ما بذله من النشاط فى مأموريته لدى كباريجا وعلى ما أبداه من اصالة الرأى باحتلال جزيرة « تونجورو » Tonguru ورأى ان هذه الفكرة تبشر بطالع سعيد لأنه بذلك كسب مركزا بين وادلاى وكييرو يمكن الحصول منه على استيراد الاحطاب للبواخر والعلم سريعا بما تصادفه هذه من العوارض وهى فى البحيرة

ومن جهة اخرى فان امتلاك مركز فى قلب مملكة كباريجا له أهمية كبرى من وجهة الفنون الحربية إذ أن احتلال هذا المركز يجعل فى قبضة الحكومة منع الأونيورو عن النزوع الى الشر والمبادأة بالعدوان .

وأبدى أمين بك ان من اغراضه توجيه فيتا حسان الى أوغندة وارسال موظف آخر الى أونيورو حتى يتيسر سرعة ارسال جميع مستخدمى المديرية المصريين بالتدريج نحو الساحل . أما الزنوج الذين ليس لديهم قط ميل للذهاب الى مصر فيمكن تركهم فى خط الاستواء مسقط رؤوسهم . وأمر فيتا حسان بالتوجه لمقابلة سكرتيره راغب افندى وأن يكتب بالاتفاق معه كشفا بكل ما يمكن ان يحتاج اليه فى رحلته الى أوغندة وان يرجع الى جزيرة تونجورو لينتظر فيها الحصول على اذن الدخول فى البلد المذكور .

وذهب فيتا حسان عند راغب افندى حسب أمر امين بك وحرر معه كشفا بالاشياء التى تلزم لسفره . وبما ان الصنف المتوافر كثيرا بالمخازن هو العاج فقد أخذ منه ١٥٠ قطعة وهذه فى استطاعته ان يحولها الى انواع منوعة من البضائع فى اوغندة كما هو الحال فى اونيورو وأقلع ثانية ميمما جزيرة تونجورو ليرتقب فيها ورود الاذن بالذهاب الى اوغندة .

الحوادث التي وقعت في المديرية أثناء غياب فيتا حسان عنها

أما الحوادث التي وقعت في المديرية وقت غياب فيتا حسان فما هي :

وردت الأخبار لأمـــين بك في وادلاى في شهر يناير منبئة بأن جموعا هائلة من الزنوج محتشدة خلف جبل لادو بقصد الهجوم على محطتى لادو و الرجاف .

وفي ١٤ فبراير أحضر رجال من قبل كباريجا خطابات لأمـــين بك من فيتا حسان و جونكر شرحا له فيها ما وقع لهما من الحوادث لغاية الوقت الذى قابلهما فيه حمودة الزنبارى الذى أحضر لهما خطابين من محمد برى وذلك قبل ان يريا هذا الأخير .

وفي ١٨ منه أرسل اليهما امـــين بك ردا على بخطاباتهما كما بعث لهما بجاويش مع رجال كباريجا ليحضر له ما عسى ان يكون جلبه لهما برى من الأخبار . وكتب ايضا كتابا وديا لكباريجا يرجوه فيه أن لا يحجز الجاويش وكذلك كتب مكتوبا خاصا الى جونكر فى البريد عينه يقول فيه ان الباخرة التي أقلعت برسل كباريجا و الجاويش ستظل خمسة ايام ابتغاء ركوبه . هذا فيما اذا أراد القدوم .

وفي ٢٦ منه رجع الجاويش يحمل بريدا ضخما من ضمنه مكتوب من نوبار باشا هذا نصه :

القاهرة فى ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ (٢٧ مايو ١٨٨٥ م) .

الى امين باشا قائد جنود خط الاستواء فى غندوكورو .

ان حركة الثورة التى شبت فى السودان اضطرت حكومة صاحب السمو الى اخلاء تلك الأراضى . وبناء على ذلك لا نستطيع ان نبعث لكم بأى امداد . ومن جهة اخرى نحن لا نعرف بالتدقيق موقفكم انتم والجنود الآن . بل وليست متوافرة لدينا الوسائل لامدادكم بما يلزم من الارشادات بصدد الخطة الواجب اتباعها . وعلاوة على هذا وذاك اذا طلبنا منكم ارسال تقرير مفصل عن الموقف لنبنى عليه ما نزودكم به من التعليمات فان ذلك يستغرق زمنا طويلا وقد يكون ضياع هذا الوقت فى غير مصلحتكم .

والغرض من هذا الجواب الذى سوف يصل اليكم عن طريق زنزبار بواسطة السير جون كيرك قنصل بريطانيا فى هذا البلد الأخير هو منحكم الحرية التامة فى العمل . فاذا رأيتم ان الأضمن لكم ولجنودكم الانسحاب والرجوع الى مصر فالسير جون كيرك وسلطان زنزبار يكتبان لمختلفى رؤساء قبائل الزنوج الضاربين فى الطريق ويبذلان ما فى وسعهما لكى يسهلا لكم الانسحاب .

ومرخص لكم الحصول على ما يلزمكم من العملة وذلك بواسطة سحب سفاتج على السير جون كيرك . واكرر لكم القول وأعيده بأن لكم مطلق التصرف بما يناسب مصلحتكم ومصلحة الجنود . هذا وفى وسعنا أن نفيدكم ان الطريق الوحيد الممكن عبوره فيما اذا لو أردتم مبارحة

غندوكورو هى طريق زنزبار . ورجاؤنا هو انه عندما تستقرون على رأى أن تشعرونا فى الحال بما تقررونه .

وسيكتب لكم ايضا السير جون كيرك ليحيطكم بالوسائل التى سيحاول اتخاذها ليسهل لكم الانسحاب عن طريق زنزبار ؟

رئيس مجلس النظار

« نوبار »

* * *

ولم يرق فى عين أمين باشا هذا الخطاب الذى لم يرد فيه حتى كلمة واحدة تشف عن الاعتراف له بالجميل عن خدمة الثلاث السنوات التى قضاها فى العزلة يكافح المهديين و الزنوج ويقاسى ألم الجوع ويعيش معيشة الزهاد بل ليس فيه كلمة تشجيع تبث فى روعه الجرأة والاقدام فى مستقبل الأيام للقيام بالمهمة الكبرى التى أمامه ألا وهى مهمة ارجاع جنوده . إلا أنه قال فى نفسه انه قد اعتاد أن يعامل بمثل هذه المعاملة لأنه من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٠ م أى مدة الاثنين والعشرين شهرا التى ظل النيل فيها مسدودا وظلت مديريته فى عزلة برهن ان فى استطاعته ان يجعل المديرية تعتمد فى احتياجاتها على نفسها دون التجاء الى الخرطوم ولم تقدر الحكومة عمله هذا حق قدره .

ومع ذلك قال أيضا ان الناس فى مصر بل فى غيرها لا يقدرون المتاعب والمصائب التى يصطدم بها غيرهم ويتصورون الذهاب الى زنزبار تصورهم نزهة

يقومون بها فى حى شبرا .

وكان من الواضح الجلى انه لا يمكنه الاعتماد على أحد من ضباطه إذ أن الأغلبية فيهم لا تميل قط الى الهجرة من البلد لعدة أسباب منها ان لكل واحد منهم اسرة وخدما يتكون منهما حاشية كثيرة العدد وكل واحد منهم يمتلك قطيعا من الماعز والابقار . وكان يعرف الجميع ان الطريق ممتد كثيرا وان فى سلوكه تعبا ونصبا وان أيام جوع ترتقبهم فى ذلك الطريق .

أما الجنود فمعظمهم من أهالى البلد ولم يروا بأعينهم قط ديار مصر فكانوا يؤثرون بالطبع البقاء فى بلدهم ليعيشوا فيه . وأما الضباط أو الجنود الزنوج الذين قدموا أصلا من مصر أو من مكان آخر فقد تعودوا مناخ البلد وألفوه فى السنين الطويلة التى قضوها فى خط الاستواء لدرجة ان صاروا يعزونه معزة مسقط رؤوسهم .

وكان أمين باشا قد لفت مرارا فيما سلف من الأيام نظر حكومة الخرطوم الى هذا المحذور وبين لهـا ضرورة تغيير الضباط و الجنود ولو باستبدال عدد منهم كل عامين لكيلا تعترض حركات الجنود عوائق وعراقيل عديدة عند قيامهم بعمل من الأعمال الحربية ولكنها أعارت طلباته اذنا صماء ولم تجبه بكلمة . وكان امين باشا قد كتب الى نوبار باشا من مدة انه سيبذل ما فى وسعه ولكنه لم يتوسع ويخض فى هذه المسألة بالتفصيل خوفا من ان تفتح خطاباته فى اونيورو أو اوغندة أو غيرهما .

وفى ٥ مارس طلب أمين باشا من جونكر أن يتكرم بتعجيل سفره

الى أوغنـدة ويتفق مع ملكها موانجا على أن يسمح لرجـــاله بالمرور عندما يصلون الى حـــدود بلده فلقد كان بلغـه ان المهديـين فى « أجاك » وصار فى غير حيز الاستطاعة الانتظار . فان كان موانجـــا يجنح لأن يتقبلهم قبـولا حسنا يكن ذلك منـه منة وكرما وإلا فهـــو يبحث عن طريق آخر . ومن جهة ثانية فانه لم يعد من المحتمـــل الحصول على عاج من لادو لأنه لما كان رجالها يصعب عليهم تصـــديق ورود أمر من نوبار باشا أمسى أمر قدومهـم بعيد الاحـــتمال وان أحسن خدمة يمكنه أن يقدمها لهم هـو أن يعطف الملك عليهم حتى يمكنه أن يرسل إليهم رجالا . وانه اذا كان كباريجا قد هاجر عاصمة مملكته على أثر الحرب فانه يعتمد على الرحيل اليها والاقامة فيها ويتربص مجيء رجال موانجا .

وفى ٥ أبريل أعرب أمين باشا عن رأيه فى الحـــرب بين أونيـورو و أوغندة فقال انها اتخذت دورا اكثر اهمية مما كان يظن وان كباريجا خير جونكر بين أمرين إما الانسحاب معه أو السفر الى أوغنـــدة فاختار هذا الأمر الأخير وسافر فى ٢ مارس الى هـذا البلد ومن رأى امين باشا انه يكون الآن قد وصل الى روباجا عاصمة اوغندة .

أما وكيله فيتا حسان فقد علم انه انسحب الى البحـــيرة ولبث ينتظر انسحاب الواجنـدا « سكان اوغنـدة » لينضم الى كباريجا وعلى ذلك أرسل اليه باخرة لتوصله الى كيبيرو . وكان امين باشا يود من صميم قلبه ان يحـــل بالواجندا كارثة تكون فيها عبرة وموعظة لهـــم حتى يخفضوا جناحهم لانه كان يبـــدو ان موانجا ركب هـواه واستوى فى ذلك هـــو و والده متيسا .

أما الحـــالة لدى امين باشا فكانت مبهمة غامضة والأغلبية من رجاله غير ميالين للسفر وكان يرتقب قبيل منتصف الشهر وصـــول جواب حاسم من لادو . وكان يقول انه لو تيسر سفر المصريين فقط يتخذ العدة للبقاء فى خط الاستواء .

وفى ٢٠ أبريل وصلت الباخرة من الجهـــات الشمالية وورد معها اخبار غير سارة . ولم يرد اى خـــبر من الضباط الذين أرسلهم امـــين باشا الى لادو تستفاد منه الحالة التى عليهـــا الآراء فى هـذه الناحية غـــير انه ورد خطاب خاص من احد الموظفين المصريين ومن ضمن ما جـــاء به انه حدث هياج شديد على أثر اذاعة اشاعة فحـــواها ان عدة ضباط أخذوا طريقهم الى وادلاى لسرعة ترحيل الجنـــود صوب الجنوب وذلك لأن هؤلاء كانوا اتفقوا ان لا يسافروا فى هـــذا الاتجاه لأنهم يعتبرون ان الطريق الموصلة الى حكومتهم لا تتجه نحو الجنوب بل عن طريق لادو و الخرطوم وانهم يؤثرون الذهاب الى محـــال اقامتهم على الرحيـــل الى الجنوب .

وقدم رجال من قبل كباريجا وقالوا ان الهزيمة حلت بالواجندا فانسحبوا وان كباريجا يشتكى من الشكوى من الزنزباريين المقيمين بأوغندة لأنهم أتوا مع الواجندا ونهبوا بلده .

تعيين كازاتى وكيلا عن الحكومة فى أونيورو بدلا من فيتا حسان

وقرر أمين باشا ارسال كازاتى الى كباريجا بصفة وكيل بعد زمن

قريب . أما السبب فى تغيير اشخاص الوكلاء فيرجع الى أن فيتا حسان عند سفره من عاصمة أونيورو خرق المتبع ودخل دار الملك عنوة فنشأ عن ذلك حدوث مشهد مكروه . فاشتكى كباريجا لأمين باشا وقص عليه الحادث وصرح له بأنه لن يقبل بعد فيتا حسان بحال من الأحوال بصفة وكيل وطلب منه أن يبعث بوكيل آخر . ولهذا السبب وقع اختيار أمين باشا على كازاتى وكانت أخبار جونكر قد انقطعت عن أمين باشا ويجوز أن تكون الحرب هى السبب فى ذلك . على انه كان يأمل أن يصل اليه بعد زمن قريب رسل من قبل كباريجا يحملون له أخبارا عنه .

وكان مرض الجدرى قد انتشر فى وادلاى منذ ثلاثة أشهر ومع ان وطأته لم تكن فتاكة إلا ان الذين كانوا يصابون به كثيرون .

وكان يوجد فى فاتيكو فى بلوك من الأورطة الثانية التى كانت مرابطة فيها ٦٢ من الخطرية الدناقلة وهؤلاء لا يمكن أن يتفقوا هم والعساكر السودانيون . وقد أضرم أولئك الدناقلة نار فتنة فرأى أمين باشا أن الفرصة سانحة لأن يفصل ذينك الجنسين الواحد عن الآخر بأن يرسل الخطرية الى جزيرة تونجورو .

وبعد وصول فيتا حسان الى الجزيرة بوقت قليل قدم اليها ابراهيم افندى غطاس ومعه ٤٢ خطريا و ١١ ترجمانا ومعهم خطاب من أمين باشا يأمر فيه فيتا حسان بارجاع العشرة الجنود النظاميين السودانيين وضابطهم الذين لديه ويؤلف الحامية من التراجمة العشرة الذين بها من قبل ومن الأحد عشر الذين قدموا حديثا والاثنين والاربعين خطريا بحيث يكون المجموع ٦٣ . أما

العشرون خطريا الباقون فكانوا صناعا بين نجار وخياط وصانع أحذية وحائك وغير ذلك ولذا حجزهم حواش افندى فى دوفيليه .

سفر كازاتى لتسلم منصبه فى أونيورو

وفى ١٦ مايو سافر كازاتى من وادلاى ليشغل مركزه وهو وكيل الحكومة المصرية فى أونيورو عند كباريجا ليسهل مرور البريد الذى سيرسل عن طريق أوغندة و زنزبار أو البريد الذى يأتى عن طريقهما لأن الحرب بين أونيورو و أوغندة كانت قد وضعت أوزارها .

وعلم فيتا حسان ان كازاتى سافر رأسا الى كبيبرو بدون أن يأتى ليزوره فاستقبح هذا الأمر ظنا منه انه يقصد الرجوع الى أوربا متخذا الطريق الذى سلكه جونكر مثلما أشار عليه أمين باشا مرارا غير أنه تلقى خطابا علم منه الحقيقة وانحسم بذلك الاشكال .

نفى بعض موظفى لادو الى تونجورو وما نجم عن ذلك

ونفى أمين باشا الى جزيرة تونجورو موظفين اشتهرا بالعربدة والطيش من وادلاى وهما عبد الوهاب افندى طلعت و احمد افندى رائف . ولاحظ فيتا حسان عند رجوعه الى الجزيرة ان الاول التزم شيئا من الرزانة أما الثانى فلم يراع جانب الهدوء والسكينة إذ كانت الافكار تساوره بأن أمينا باشا ما أتى به الى هناك إلا لاعدامه وحدث بينه وبين فيتا حسان عدة اشكالات لا تسر فأخذ هذا يهدئ روعه ويطمئنه ويفهمه خطأه وشططه فى أفكاره . وبعد ان اقتنع شرع يدس الدسائس ويبذر بذور الفتن لدرجة ان فيتا حسان التمس من أمين باشا أن يخلصه

من هذين الرجلين فأجابه هـذا بالتزام جانب الصبر . ولم يمض بعـــد ذلك إلا أيام حتى كلفـه بالذهاب الى فاتيكو وعمل تفتيش فيهـــا على الجنـود . وما أن وصل اليهـــا حتى أتاه مكاتبة من أمين باشا بان جنـــودا قدموا من تونجـورو الى وادلاى ليشوا شكواهم من جـور عبد الوهاب افنـدى طلعت وتعسفه . وكان هذا قد أحـله فيتا حسان محله مـــدة غيابه إذ أنه لم يكن ليجد أمامـه من يفضله عليـه . وقفل فيتا حسان راجعا فى الحال الى تونجورو فوجد ان الحامية اشتبكت مع الاهالى فى المخاصمات وان الزاد فرغ من الجزيرة .

ويؤخـــذ من تقرير ابراهيم افندى غطاس قائد الخطرية ان عدد الأهالى الذين شرعوا فى الهجـوم على النقطـة يقدر بعـدة الوف وعلى ذلك اتصل فيتا حسان برؤساء الناحية وسوى الخلاف وهدأ الاحوال ولم تكن قد بلغت من الخطر المقدار الذى غالوا كثيرا فى تقديره .

تفقد امين باشا نقطة تونجـــورو
واشاعة تمرد الاورطة الأولى

وقدم امين باشا بعـــد ذلك بايام ليتفقد النقطة فاعجب بها اعجابا لا مزيد عليـــه وفى غضون اليـومين اللذين اقامهما حضر اليه الرئيس سونجا Songa ودارت بينهما محادثة واتحفـــه امين باشا بشىء من الهـدايا . وبعـد هـذا انتقـــل امين باشا الى كيبيرو على ظهر الباخرة « الخـديو » حيث أخـذ يرتقب على غير جـدوى ورود أخبار من كباريجا و كازاتى لغـاية ٨ يونيـه . وفى اثناء اقامتـه فى كيبيرو توفى على افندى ربان البـاخرة على أثر مرض طالة مدته . واقلع أمين باشا من هذه الناحية فى ٩ منه وعند إيابه

أخذ معه فيتا حسان الى وادلاى .

وفى خلال هذه المدة أذيعت اشاعات متضاربة كل التضارب عن الأورطة الأولى . فزعموا انها تمردت وان تمردها بلغ أشده وان المديرية بقضها وقضيضها صارت من جراء ذلك فى خطر ولفت أمين باشا فيتا حسان الى ضرورة الوقوف على حقيقة الأحوال فقدم هذا نفسه للذهاب اليها شخصيا ليتأكد صحة ما أذيع من الاشاعات . وبينما هو آخذ فى التأهب للسفر إذ وردت على حين فجأة الأخبار بوفاة البكباشى ريحان افندى ابراهيم قومندان الأورطة المذكورة فى ١٤ مايو بعد مرض مدته قصيرة وان اليوزباشى على افندى سيد احمد تسلم موقتا قيادة الأورطة . وبما ان سفر فيتا حسان أضحى لا فائدة منه فى الحالة الراهنة فقد رجع الى تونجورو .

ووصل الى أمين باشا فى نفس هذا البريد ، أى الذى حمل خبر وفاة ريحان افندى ابراهيم ، الرد على اقتراحه بحشد الجيوش فى خط دوفيليه و وادلاى تمهيدا للرجوع بالتدريج الى مصر . وهذا الرد موقع عليه من جميع ضباط الأورطة الأولى ويحتوى كما كان ذلك منتظرا جوابا سلبيا . فهو يؤكد رغبتهم التامة فى الخضوع لأمر الحكومة غير انهم يذكرون انه لما كانت أغلبية الجنود من أهالى مديرية خط الاستواء فهم يتعلقون بأذيال الهرب اذا أمروا بالمسير صوب الجنوب عوضا عن الشمال وعلى ذلك فانه يخشى أن ينقض البارون على الجنود المنسحبة وفوق هذا وذاك قد بدأ فصل الأمطار . وفى الختام يطلبون من أمين باشا ان يكتب الى القاهرة لترسل الحكومة بأية وسيلة من الوسائل

فرقة من الجند بصفة امداد ويطلبون كذلك ذخيرة وحبوبا لأن مستودعاتهم أضحت خالية خاوية .

وقال أمين باشا ان كل شرح وتفسير لهذا القرار الأحمق لا فائدة منه . وكان يتعذر عليه أن ينقل من دوفيليه من الحبوب ما يكفى ٧٠٠ رجل عدا النساء والأولاد لمدة سنة لاسيما أن البارين لم يزرعوا شيئا . غير انه كان يعتبر كل ذلك من باب التحايل . وكان يعلم حق العلم ان حزبا تألف فى لادو من مصريين و سودانيين وقرر الذهاب الى الخرطوم مهما كلفه ذلك ومهما كانت العاقبة وسواء عنده أكانت مدينة الخرطوم فى قبضة المهديين أم الحكومة . وكان هذا المشروع قد نضج ولم يبق إلا تنفيذه وعندما ورد أمر نوبار باشا استعيض عنه بالقيام بحملة الى مكراكا لاقامة محطات فيها .

وفى ١٧ يونيه وصلت الباخرة « نيانزا » الى دوفيليه وعلى ظهرها بريد لادو . ولدى الاطلاع على كشف موجودات تركة ريحان افندى وجد به ٢١ بندقيـة من بينها ست من نوع رمنجتون على ان الأمر الصادر للمذكور من أمين باشا يقضى بان جميع البنادق المشخنة التى من هذا النوع تعتبر قطعا ملكا للحكومة وتسلم فى المستودعات لتوزع على الجنود . وردا على هذا الأمر أكد المرحوم ريحان افندى رسميا أنه لا يوجد عند أحد سلاح من هذا النـوع . أما عدد أسرته وحاشيته فتبلغ ٩٥ نسمة وكان أمين باشا يتساءل كيف يستطيع « أى أمين باشا » اطعام كل هذا العدد ، ولم يكن ريحان افندى وحده واقعا فى هذه الحالة بل جميع الموظفين و الضباط الآخرين ، وكيف يرغبون والحالة هذه فى ترك هذا البلد والرجوع

الى ديار مصر .

وورد لأمين باشا أيضا فى خطاب خاص ان فرقة مؤلفة من ٢٥٠ جنديا بقيادة ٣ يوزباشية احدهم مصرى والاثنان الآخران سودانيان سافرت من بيدن الى مكراكا بدون أن تطلب منه إذنا بذلك وبدون ان تبلغه حتى خبر سفرها وكان الغرض من ذلك القيام بانشاء محطات . هذا اذا لازم الزنوج جانب السكينة وبعد اتمام ذلك يلحق بهم رفاقهم الذين بقوا على شاطىء النهر . أما اذا رأوا من الزنوج مقاومة فيغزونهم ويرجعون بما غنموه من الحبوب الى لادو . ويدل هذا العمل على ان النظام آخذ فى التلاشى فى المديرية وأن التفكك يدب فى ادارتها . ويعزو أمين باشا هذه الأحوال الى دسائس احمد افندى محمود و عوض افندى ويقول انهما يحضان على التمرد والعصيان . وقد يجوز أن يكون أمين باشا على حق فيما قاله غير ان السبب الرئيسى فى بث الفوضى فى ادارته لا بد من عزوه الى ضعفه وتجرده من الشجاعة واشتغاله بالعلوم أكثر من اشتغاله بادارة مديريته مما دعاه الى ترك حبل الأمور على غاربها .

وفى ٢٧ يونيه وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وعليها بريد لادو . وورد فى هذا بلاغ هو ان الفرقة التى أرسلت الى مكراكا لم يكن لها مقصد آخر سوى القيام بغزوة فى قرية الشيخ كومبو Kombo للحصول على حبوب .

وكان أمين باشا قد أمر باستحضار ثلاثة ضباط من لادو الى وادلاى ليريهم رأى العين الصورة الأصلية للأوامر التى وردت من مصر

وقصده من ذلك ارجاعهم الى الصواب اذا كان ذلك فى حيز الامكان . فكان جوابه ان الضباط المطلوبين غائبون مع انه علم علم اليقين ان احدهم فى لادو والآخر فى الرجاف .

وتلقى أمين باشا عدا ذلك خطابين أحدهما من على افندى سيد احمد والثانى من عوض افندى . واعتذر الأول وكان لم يكتب اليه من مدة أربعة أشهر بالحجر الذى كان مضروبا عليه فى زمن ريحان افندى ويقول ان الذى يراه هو ان الضباط غير مكترثين بشىء ولا مستعدين للانطلاق صوب الجنوب وانه اذا حتم أمين باشا ذلك ينتقض النظام ويختفى كلية فى أقل من لمح البصر . وبناء عليه يكون من الصواب امدادهم بالزاد والذخيرة حتى يهيء لهم الطريق لطاعته . واستخلص أمين باشا من هذه القصة ان على افندى أضاع كل ما له من نفوذ وأمسى لعبة فى يد ضباطه . وعلى هذا ينبغى اعتبار كل شيء يتعلق بالنظام خارجا عن الموضوع .

أما جواب عوض افندى فكان أكثر صراحة وايضاحا . ولقد كان هذا الرجل من أول الأمر من أكبر محركى الفتن والعاملين ضد الانسحاب صوب الجنوب . وقال الأفندى المذكور فى خطابه الى أمين باشا انه وقتما استدعى ريحان افندى الضباط ليتداول معهم فى مسألة الذهاب فى اتجاه بحيرة البرت نبأنا عزا الى أمين باشا نهارا جهارا أمام المجتمعين ترك الجنود يقتتلون مع المهديين والسفر الى وادلاى وانه قصر بالاتفاق مع الباريين خلال الحرب فى تموين الجنود بما فيه الكفاية وذلك فى الوقت الذى يحصر فيه كل التفاته الى الأورطة الثانية ويوجه اليها كل

ما أوتى من خير لأن قائدها مصرى هو حواش افندى . ثم طفق ينصح أمينا باشا بالقدوم الى لادو وان يعامل الناس بالعدل والانصاف وأن يرسل زادا وذخيرة وان يبذل بالاختصار جهده فى اطعام الجنود لأنه بدون ذلك يجوز أن يأتى يوم يأخذون فيه أسلحتهم ويذهبون الى حال سبيلهم تاركين ضباطهم والموظفين فى قبضة الزنوج .

ثم أردف عوض افندى الى كلامه السابق ان الكل فى لادو يعلمون من مصدر وثيق انه فى خلال تمرد الباريين صعدت ثلاث بواخر النيل لغاية شمبى تحمل لهم امدادا . غير أنها لما علمت فى هذه الناحية أن بور و لادو و المحطات الأخرى دمرها الزنوج قفلت راجعة الى الخرطوم وأن جميع الضباط من لادو الى فاتيكو من جهة اخرى اتفقوا من زمن بعيد على السفر الى الخرطوم وانه لا ينبغى لأمين باشا بناء على ذلك أن يعتمد على الأورطة الثانية ولا على قدوم الضباط الثلاثة الذين كان قد أرسل فى طلبهم إذ أن هؤلاء لن يأتوا .

وقد أثبت أمين باشا ان اتهامهم اياه بتركهم والذهاب فى اتجاه الجنوب ما هو إلا زور وبهتان لأنه لم يأت ذلك إلا بناء على طلبهم وان لديه مستندا بذلك مكتوبا وموقعا عليه من جميع الضباط وان هذا المستند تحت يده . أما مسألة البواخر الثلاث فهى دليل قاطع على انحطاط طبقة الناس الذين يشتغل معهم .

وفى ٢ يوليه تلقى أمين باشا بواسطة كباريجا و كازاتى بريد أوغندة

وبه خطابات من جونكر و ماكاى تتضمن نبأ سفر الأول الى الساحل بعد زمن قريب . وردا على ذلك كتب أمين باشا الى جونكر عن ارتياحه لهذا الخبر وقال له انه طرح من باله موقتا فكرة الانسحاب لجهة الجنوب حتى لا يعرض رجاله للتعب والخطر بدون جدوى . وانه سيحاول على قدر الامكان اخلاء المحطات الشمالية وحشد الجنود فى دوفيليه و فاتيكو و فاديك و وادلاى وغيرها وانه سيبلغ ذلك للحكومة فى القاهرة وانه يرجو جونكر عندما يصل الى الديار المصرية ان يطلب من أولى الحل والعقد نيابة عنه ارسال نداء مكتوب باللغة العربية موقعا عليه من الخديو اذا كان ذلك فى حيز الامكان للعسكريين والملكيين فى المديرية بأن يتبعوه ويطيعوا أوامره كما كان الحال فيما مضى . وينبغى ان يكون هذا النداء به بعض كلمات مشجعة للجنود وان يطلب ايضا باسمه التصديق على الترقيات التى منحها .

ارسال فيتا حسان الى لادو
لتلاوة خطاب نوبار باشا على الأورطة الأولى

وفى ٩ يوليه تناول فيتا حسان خطابا فى تونجورو من امين باشا يأمره فيه أن يركب الباخرة « الخديو » عند ايابه من كبيرو ويأتى الى وادلاى . وصدع فيتا حسان بالامر وأحضر معه رئيسا من رؤساء الزنوج يقال له كيسا Kissa لكى يقدمه الى امين باشا لأن هذا الرئيس يطلب ان تحتل حامية مصرية قريته .

وعندما وصل فيتا حسان الى وادلاى أحاطه امين باشا علما بأنه عين اليوزباشى احمد افندى محمد محل المرحوم ريحان افندى ليكون قائدا

للأورطة الأولى وانه لهذا السبب رقاه الى رتبة بكباشى وانه رغب أن رافقه فيتا حسان الى لادو لكى يقلده وظيفته الجديدة وليتلو على الأخص أمام الأورطة الأولى مكتوب نوبار باشا الأخير الذى وصل بواسطة « ماكاى » و كازاتى . وهذا الكتاب المسطور بالعربية جاء مصدقا لما سبق من القرارات ومانحا أمينا باشا حق التصرف المطلق ويشير عليه بالانسحاب هو وكل من كان بمعيته عن طريق زنزبار لأنها الطريق الوحيد الممكن عبوره . ولم يخف عنه أمين باشا انه لم يجد شخصا يستطيع أن يعهد اليه بهذه المأمورية غيره .

وقبل فيتا حسان هذه المأمورية وسافر مع البكباشى الجديد . وقوبلا عند وصولهما الى كري وهى أول نقطة من نقط الأورطة الأولى بغاية الحفاوة والاعزاز وتأدية التشريفات العسكرية فدهش فيتا حسان كل الدهشة بعد كل الذى ذاع وشاع عن هذه الأورطة وقدمت لهما السفن ليسافرا عليها مباشرة الى لادو وبدون أن يقفا اكثر من بضع ساعات فى نقطتي الرجاف و بيدن . وأبدت الحاميات فى هاتين النقطتين ما أبدته كري من الدقة فى النظام .

وفى وقت وصولهما الى لادو جمع قومندان هذه النقطة فى الحال رجال الحامية وقدمهم لرئيسهم الجديد احمد افندى محمد . وفى اليوم التالى تلا فيتا حسان أمام الجنود أمر نوبار باشا الذى يشير بالانسحاب عن طريق زنزبار فصرح الجميع من ضباط وجنود انهم موافقون ومستعدون للسير صوب الجنوب . وقدم له عندئذ بعض الضباط باسم رفاقهم التصريح الآتى :—

« نحن نعلم اننا معدودون فى صف المتمردين ، وهذا خطأ . لأننـــا كما ترون أنتم أنفسكم ندين لمديرنا بالاحـــترام والطاعة غير انه يبدو لنا انه هجـرنا ونسينا بينما هـو يوجه التفاته للأورطة الثانية . فمن البرهة التى تركنا فيها لينتقل الى وادلاى لم تقع أعيننا عليـه قط . ولماذا . ألسنا جنوده أو لم يعد بعد هو مديرنا وولى الأمر فينا . وما الذى رآه منا حتى استطاع أن رمينا بالتمرد . نحن مستعدون للسفر الى الجنـــوب على شرط أن يرافقنا فى سفرنا اخواننا الذين فى مكراكا إذ أننا لا يمكننا أن نتركهم » .

وفى اللحظة التى أرادوا أن يتخـذوا فيهـا سبيلهم الى الرجـــاف أراد على افندى سيد احمـد مرافقتهم لكن الجنود منعـوه عن ذلك لظنهم انهم يريدون أخـذ رئيسهم منهم وتركهم كالغـــنم بلا راع . وبدأت المسألة بعد ذلك بشكل يختلف اختلافا كبيرا . نعم ان الجنـود ما كانت تتحدث جهارا بالقيـــام بثـورة إلا ان الحـذر وسوء الظن كان قد تغلغل فى اعمـــاق نفوسهـم وأمسى من المتعـذر اجتثاثه . واذا لم يكن هنـاك شىء يخشى حدوثه منهم فانه يتعذر التعويل عليهم لأنه لا ينتظر منهم اطاعة أى أمر خوفا من الغدر والخيانة .

وانتقل فيتا حسان الى الرجاف ليقف على حالة أفكار الحامية وتلا للجنود مكتوب نوبار باشا وسألهم عما اذا كانوا يريدون الذهاب الى الجنوب . وبما أن الضباط والجنود السودانيين لا يعرفون القراءة فقد استشاروا ضابطا وكاتبا مصريين . وبدا من كليهما محاولة تشكيك الحامية فى صحة المكتوب فاعتقدت هـذه ان فى الأمر سرا وهذا المـكتوب ما هـو الا حيلة يراد بها جرهـا الى الجنوب وربما كان الغرض بيعها لـكبارنجا بصفة رقيق .

وقال يوما دساس لفيتا حسان ان الجنود ينوون حجزه فى الرجاف . ولما عرض هـذا القول على الضباط أجابوا .

« لماذا نبغى حجزك . أيقينا تصدقون اننا متمردون عصاة . ربما كانت هذه المخاوف هى المانعة لأمين باشا من المجيء الينا ووجوده بيننا . أدعه للقدوم الى هنا وأكد له انه سيقابل بالتجلة والاحترام التام . نحن نرغب السفر الى الجنوب حسب مشيئته بدون ابداء أية مقاومة أو معارضة ولم يكن هنالك من حاجة لتبليغ أمر من الحكومة كهذا لأن رأينا هو ان حكومتنا فى وادلاى . أما حكومة القاهرة فهذه لم نرها ولم نلقن معرفتها لخديوينا وأبونا هو أمين باشا فهو الذى جعل منا جنودا وأعطانا رتبا وهو وحده الذى نعرفه . ويكدرنا أمران . الأول اتهامنا بالتمرد والعصيان ولا أدل على هذه التهمة من الجواب الذى يهدد بالاعدام رميا بالرصاص جميع العصاة . والثانى شدة وقساوة حواش افندى الذى يخافه ويخشاه حتى اخوانه البيض . فيجب على امين باشا ان يقيل حواش افندى من وظيفته وان يعدنا بان لا نصاب بمكروه . واذا كان امين باشا يبقى على حواش افندى لاهتمامه باحتياجاته واحتياجات جميع المستخدمين فنحن مستعدون ان نتعهد بان نأخذ هذا العبء على كاهلنا . نحن نريد ان نطرح سيوفنا جانبا ونحمل الفاس والمعول لنشتغل بالفلاحة بحيث ان أمينا باشا يستطيع أن يعيش ناعم البال سعيدا بصفته ولى أمرنا .

وأشار فيتا حسان على أمين باشا بنقل حواش افندى لأنه سواء أكان ذلك بحق أم بغير حق فانه غرس الرعب فى قلوب عساكر الأورطة الأولى .

وان يكون هذا النقل مؤقتا وذلك ابتغاء مرضاة الجنود ورجوعهم الى الطاعة وعلى كل حال ففي قدرته ارجاعه فيما بعد الى مركزه . ولكن مع الأسف لم يشأ أمين باشا أن يعمل بهذه المشورة .

وسافر فيتا حسان صوب الجنوب بعد أن أقام ستة أسابيع بين أولئك الجنود . والخلاصة انه عندما يستمع المرء أقوال عساكر الأورطة الأولى يحكم بجنوحهم للطاعة التامة وولائهم لأمين باشا ولكن عندما يدور الحديث عن السفر نحو الجنوب تيقظ فيهم فى الحال عوامل الحذر وسوء الظن ويحاولون اخفاء تمنعهم وراء الف حجة وحجة .

ويعتقد فيتا حسان انه كان فى اليد تبديد تحرزهم وسوء ظنهم بازالة أحد الشبحين اللذين يزعجانهم ليرجعوا لتأدية واجباتهم .

وكتب الى كازاتى أن يبحث من ناحيته عن وسيلة يقنع بها أمينا باشا بضرورة ابعاد حواش افندى . وكان كازاتى على رأى فيتا حسان تماما فكتب هذا الى أمين باشا بهذا المعنى ولكن نداءه ذهب صرخة فى واد ولم يعره أمين باشا أذنا مصغية .

وقد وفق فيتا حسان الى ابعاد الموظفين المصريين عن الأورطة الأولى وكان هؤلاء يزيدون فى الاخلال بالأمن بواسطة الدس وبذر بذور الفتن وبخبثهم غير ان أمينا باشا عوضا عن ان يحاكمهم ويوقع عليهم عقوبات رقاهم الى مناصب أسمى من المناصب التى كانوا فيها .

وبعد أن أقام فيتا يومين فى وادلاى سافر الى جزيرة تونجورو

حيث وصل اليه من كازاتى بلاغ نشر فى الجرائد فحواه ان الحكومة الألمانية أرسلت الطبيب لانز Lanz للبحث عن أمين باشا ولكنه لم يوفق الى العثور عليه . وانه يقال ان حملة انجاد اخرى ألفت فى بلاد الانكليز برياسة استانلى . وعلاوة على ما ذكر فان الطبيب بيتر Peter المرسل أيضا من الحكومة الألمانية مقيم الآن فى أفريقية ووجهة سيره مديرية خط الاستواء .

وما اتصل هذا النبأ بأمين باشا حتى أمر باعادة احتلال فاديبك الواقعة شمال شرق أونيورو والتى كانت أخليت قبلا وذلك لاستقاء خبر وصول الحملتين بأقرب ما يمكن من الزمن . وعهد الى الصاغ ابراهيم افندى حليم استنشاق أخبارهما .

وفى فترة غياب فيتا حسان عن تونجورو حصل الرئيس كيسا من « مسوه » Mswa على جنود لحماية أرض مملكته . وهذا الرئيس هو الذى كان فيتا حسان قد قدمه الى أمين باشا قبل سفره الى مأمورية لادو . ولدى اياب فيتا حسان من هذه الناحية فصل أمين باشا كل أراضى مركز مهاجى Mahagi مع نقطتى تونجورو و مسوه عن قسم المديرية الجنوبى وألف منها مركزا قائما بذاته وفوض الى فيتا حسان القيام بادارته . وكان قد احتل « مسوه » ٤٢ خطريا وعند وصول فيتا حسان أرسل هؤلاء الى تونجورو ابتغاء زيادة تقوية هذه النقطة وبعث بثلة مؤلفة من ٤٢ جنديا نظاميا بصفة حامية فى مسوه وعهد بقيادة هذه الحامية الى اليوزباشى شكرى افندى .

واحتج كباريجا بواسطة كازاتى على احتلال هاتين النقطتين الواقعتين فى مملكته إلا ان هذا الاحتجاج لم يجاوز حد الكلام وظل حبرا على ورق .

وعلم أمين باشا بوصول محمد برى الى كيبيرو وذلك عندما أراد أن يباشر القيام بسياحة فى البحيرة . وكان أمين باشا يرغب فى هـذه الزيادة من زمن مديد . فانتقل الى هذه الجهـة وبعد أن أقام بها ثمانية أيام انقلب راجعا الى وادلاى ومعه فيتا حسان و برى .

١ — ملحق سنة ١٨٨٦ م

رحلة اليوزباشى كازاتى في مديرية خط الاستواء

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وفى ٢ يناير سافر جونكر و فيتا حسان ميممين بلد الأونيورو للاقامة فيه . وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى سبيل الاقتراب من بلاد المدنية إذ أنهم بذلك يستطيعون الاتصال بالبعثات الانكليزية التى فى أوغندة . ولسوء الحظ ذهبت هذه الآمال مع الرياح ولم يجنيا منها سوى خيبة جديدة تضاف الى ما سبقها . وفى ٢٧ فبراير تلقى أمين باشا خطابا من نوبار باشا رئيس مجلس النظار يدعوه فيه الى إخلاء مديرية خط الاستواء والرجوع الى الديار المصرية عن طريق زنزبار ويصرح فيه بأن الحكومة تخلت نهائيا عن ممتلكاتها فى السودان ابتداء من آخر مايو سنة ١٨٨٥ م . وأطلعهم المستر ماكاى المبشر وكيل البعثة الانكليزية فى أوغندة من جهة أخرى على سلسلة من المكاتبات فيها نعى غوردون باشا وكافة الحوادث الخطيرة التى وقعت فى العالم دون أن تصل اليهم أخبارها .

وهذا البريد ورد لهم بواسطة محمد برى وهو رجل طرابلسى قام

بخـــــدمات جليلة للشركة الدولية الأفريقية وأحضر لهم مكاتبات اخرى من السير جون كيرك قنصل انجلترا فى زنزبار أرشدهم فيها عن طرق ووسائل العودة .

أما أمين باشا فالحكومة المصرية فوضت اليه تفويضا تاما أن يتصرف حسبما يراه ويستحسنه .

ومع ذلك فهـــــذا الباب الذى انفتـح أمامهم ما كان منظورا أن يبقى مفتوحا هكذا زمنا طويلا إذ أن الحرب دارت رحاها بين أونيورو و أوغندة والطريق الذى فتح أمامهم لم يلبث أن أوصد ثانية .

وسافر جونكر موليا وجهه شطر أوغندة وفى غضون ذلك كان فيتا حسان قد نزل فى صفة بحيرة البرت نيانزا الشرقية ومنهـــا ذهب الى وادلاى .

ولما كان أمين باشا يميل كثيرا الى تجـديد العلائق مع كباريجا كلف كازاتى أن يذهب ليخطب وده . وكان أمـين باشا يأمـــل أن يجنى من وراء هذا الود فوائد جمــــة . وتطوع كازاتى وقبل القيـــام بهذه المهمة التى ليس فيها شيء تشتهيه النفس أو يشرح الصـــدر . وفى ٢٠ مايو ولى وادلاى ظهره راكبا الباخرة « الخديو » التى أقلعت به الى كيبيرو القائمـة على صفـة بحيرة البرت نيانزا الشرقية .

وقبيـل آخر مايو بلغ كازاتى عاصمة أونيورو . وفى ٢ يونيه سنة ١٨٨٦ م سمح له كباريجا بالمقابلة . وكان الملك يبدى نحـــوه فى هـذه المقابلة شيئا كثيرا من العطف فانتهز كازاتى هـذه الفرصة وعرض عليــه الغرض من

زيارته وقـــدم له طلبات أمين باشا وهى تنحصر فى حرية مبادلة المراسلات وحرية مرور البضائع الواردة عن طريق أوغندة و زنزبار و الموظفـين و الجنـــود العائدين الى الديار المصرية ثم انتـــداب وكيل له ليقيم فى وادلاى . وكانت الكراهة التى تولدت فى قلب سكان أونيورو من جهة مصر من يوم أن برز لهم سير صمويل بيكر شاهرا السلاح قد بث فى روع الملك الريبة والحـــذر . وعبثا حاول كاتاجورا ذلك الوزير الذى قد بلغ من الكبر عتيا أن يبين للملك أميال المـدير السلمية وبالعكس كان الحزب العسكرى الذى كان يقوده رجل زنزبارى يقال له عبد الرحمن يهتاج ويدس الدسائس السافلة سرا ضد الحكومة .

وقبل الملك فى نهاية الأمر أن يسمح بمبادلة المراسلات ولكنه كان يحجز الخطابات الواردة من أوغندة وقبل أيضا مرور الجنـــود بشرط أن يكون ذلك فى فـــترات متباينة وعلى دفعـــات متعددة وفى كل دفعة عدد معين .

وبسط يده بالوعود فـــيما يختص بصديقه الطبيب كما كان يسمى أمين باشا غير ان كازاتى كانت تساوره الريب من جهة صداقة كباريجا هذه . وقد عقـد صلات خفيـة مع تجار زنزبار الذين فى أونيورو وبواسطة هـــؤلاء أمكنه مراسلة المبشرين الانكليز فى أوغنـــدة . ولم يمض الا وقت قصير حتى وقف على مجرى الأمور . فلقد كان كباريجا أصـــدر أوامره بحجـز محمـد برى الطرابلسى فى الحـــدود وكان عائدا بمنسوجات واقترح « أى كباريجا » على موانجا ملك أوغندة الذى جلس على عرش هذه المملكة بعد أبيه أن يشترك معه فى القبض على فصائل الجنود التى تسير منفردة فى جوف

مملكتيها وتجريدها من الأسلحة .

واستقر الرأى بكازاتى على أن يذهب لمقابلة كباريجا ويبلغه أنه على بينة من مجرى الأحوال فلا تخفى عنه منها خافية .

وفى ١٠ أكتوبر تقابل بالفعل معــــه وبعد محادثة طويلة ذكر له فيها بعض الحقائق المرة حصل منه على توكيد بأن محمد برى سينال ترخيصا بالقدوم ثم الذهاب الى كيبيرو القائمة على الشاطىء الأيسر لبحيرة البرت نيانزا حيث أمين باشا فى انتظاره .

وفى ١٢ منه ذهب محمــــد برى بالفعل الى كيبيرو وسلم أمينا باشا المنسوجات و السلع التى كان منتظرا اتيانه بها . وقد أحدث قدومه بهذه البضائع أحسن تأثير فى نفوس أهالى وادلاى لأن الجنود الزنوج رأوهـــا بأعينهم ولمسوها بأيديهم . وكيف تبقى الريب بعد ذلك كامنة فى صدور الجنود من جهة سهر الحكومة عليهم وها هى تمدهم ليس بجواب فحسب بل برجل يحمل أحمالا ثقيلة تحتوى على أنواع منوعة من السلع وبما أنه قدم عن طريق أوغندة و أونيورو فهذا دليل ساطع على أن الطريق مفتوح . وعدا ذلك فان جنديا يقال له سرور كان سافر مع جونكر قد عاد أيضا مع برى .

وقد أحدثت كل هذه الأحوال أحسن أثر فى نفوس الجنـــود وفعلت فيهم أعين وأنفس تأثير لردهم الى الطاعـــة التى كانوا طرحوها ظهـــريا من زمن .

وكتب أمين باشا الى الملك خطاب شكر وكتب كذلك الى وزرائه

والى عبد الرحمن وهذا الأخير كان على حسب رأى كازاتى من ألد أعدائه وان لا فائدة منه ولا عائدة .

وفى ٢٤ نوفمبر مات الوزير كاتاجورا موتة فجائية . ويقال انه مات مسموما . وكان كاتاجورا صديقا حميا للحكومة ولذلك جاءت وفاته ضربة أليمة فوق رأس قضيتها .

وفى ٥ ديسمبر سافر محمد برى الى أوغندة ثانية ومعه أحمال ثقيلة من العاج بقصد المبادلة عليها بأقمشة أما أولئك الذين ودعهم حين سفره فهؤلاء دبت فى قلوبهم الشجاعة وتفتحت أمامهم الآمال .

وكانت الأحوال فى خلال ذلك تستفحل وتزداد سوءا على سوء فى أونيورو . فالملك والاهالى رأوا انهم أخطئوا عندما قام بظنهم ان فى استطاعتهم ان ينالوا مبتغاهم من جار يحسبونه ثقيلا مرهقا . والعاج وكذلك الأسلحة التى تتوق اليها نفوسهم ويشتهونها كان دون الحصول عليها خرط القتاد بالنسبة لما عاينوه من المقاومة .

ومنع كباريجا بيع اى شىء للحكومة أو ربط علائق مع كازاتى ونفى الى الحدود رجلا يقال له أبو بكر كان ينقل الطرود الى الحكومة . واستحضر الى قاعدة المملكة رئيسين وأمر باعدامهما جزاء توريدهما زادا لامين باشا . وحرك الملك سرا عوامل الثورة بين قبائل الشولى و اللور وعقد النية على ان يهاجم وادلاى اذا انتشرت الثورة وامتد لهيبها .

وفى خلال قيام كباريجا بهذه الأعمال التى كان قد أبلغهـــا كازاتى الى أمين باشا اجترأ هـــذا الملك ودعا المدير لزيارة أونيورو وأكد محض صداقته ومودته غير أن أمينا باشا أذعن لنصائح كازاتى ولم يباشر القيام بهـذه الزيارة ولم يتحرك لها لأنه كان من مصلحة الجميع أن لا يبارح البلد .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الاول للعام القادم .

فهـرس

صـــور الـكتـــاب

فهـرس

موضـــوعات الجـــزء الثانى

استدراك

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقامو	وأقاموا
٥٦و٥٧	٢و١٧	خور أيبو	خور أبو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
٥	٨	أبو زيد	أبى زيد
٨٩	١٧	وخبر	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكى	المستر ماكاى
١٠٥	٦	وينير	وينار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	على افندى جبور	على افندى جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	الفضة	الضفة

استدراك

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقامو	وأقاموا
٥٦و٥٧	٢و١٧	خور أبيو	خور أبو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
»	٨	أبو زيد	أبى زيد
٨٩	١٧	وخبر	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكى	المستر ماكاى
١٠٥	٦	وبنير	وبغار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	على افندى جبور	على افندى جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	القضة	الضفة

فهرس

صور الكتاب

فهرس

موضوعات الجزء الأول

استدراك

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٩	١٩	أمانتهم على	أمانتهم وحرصهم على
١٨ (الصورة)	١	بين فروسكو وأبى حمد	بين كروسكو وأبى حمد
٤٠	١٣	٢٩ يونيو	٢٩ مايو
٧٢	١	Kabb - Miro	Kabba - Miro
٧٨	١٤	كباريحا	كباريجا
٧٨ (الصورة)	٢	٨ يونيه سنة ١٨٧١	٨ يونيه سنة ١٨٧٢
٩٤	٦	رؤسائها	رؤسائهم
١٥٨	١	عبد الرحمن النوراوى	عبد الرحمن الفوراوى
١٨٨	١٢	أعباء	إعياء
٢٠٠	١٢	دوفيلية	دوفيليه
٢١٤	٨	عند	عن
٢٣١	١٤	« أرجو »	« وارجو »
٢٨٥ (هامش)		والآن أورونندوجانى	والآن انتيى
٣٥١	١٤	الملحق الأول	الملحق الثانى
٣٦٠	٢١	وعند (فى بعض النسخ)	وعندما
٣٦٨	١٧	أكثر امتداد	أكثر امتدادا
٣٨٥	١	ضعف عزيمته	





الجزء الثالث

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م



مكتبة الآداب



تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية

• يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، حوالي ١٠٠٠ صفحة من القطع الكبير تحتوي على خرائط و صور فوتوغرافية و فهارس فنية، وضعه مؤلفه عن مديرية خط الاستواء المصرية التي قال عنها:
" إنها بما تحوي من منابع النيل ألزم لمصر من مدينة الإسكندرية ".

تلك المديرية التي فتحها الجنود المصريون و السودانيون في عهد الخديو إسماعيل طبقاً لرؤية الاستراتيجية لأهميتها كضمان لمصادر مياه مصر – مياه النيل – من المنبع إلى المصب.

كان العصر عصر المد الاستعماري الغربي الذي بلغ أقصاه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، و كانت مصر النهضة منتبهة لهذا الخطر تحاول أن تهدم حواجز الصد أمامه و أن تعطل مسيرته بغية الحفاظ على أمنها القومي و مصالحها الحيوية. ورغم صعوبة المهمة كما يقول المؤلف: " لقد شقت مصر طريقها إليها بجنودها المصريين و السودانيين الأبطال، ذوي القوة و البأس و الصبر... حتى إذا فتحها الله عليهم و رسخت أقدامهم فيها، و عملت أيديهم في تطهير ربوعها و تمدين أهلها، أخرجتهم منها السياسة الماكرة و أبعدتهم عنها أباليسها ".

و في لفتة وحدوية يهدي المؤلف كتابه: " أهدي كتابي هذا إلى أبناء وادي النيل عامة، و شباب مصر و السودان خاصة، فهؤلاء الشباب الأبرار الأطهار هم معقد الأمل و مناط الرجاء، و هم هم المجدودون حقاً بهذا الإهداء ".

و تتجلى أهمية هذا الكتاب الذي لم ينشر منذ ٨٠ عاماً إلى ما تتعرض له الدول النامية عامة و دول حوض النيل خاصة من مؤامرات غربية تهدف للوقيعة بينها بُغية استغلالها و الاستيلاء على خيراتها.

• المؤلف: العلامة المغفور له الأمير عمر طوسون (١٨٧٢ – ١٩٤٤)

نجل الأمير محمد طوسون بن محمد سعيد باشا والي مصر ابن محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة، ولد بالإسكندرية، و كرس حياته للأعمال الخيرية و الاجتماعية و التأليف التاريخي و الجغرافي في القضايا المصرية و السودانية، بالإضافة إلى نشاطه الاستكشافي الأثري و تبرعاته السخية و المعنوية للقضايا الوطنية، كما كان له العديد من المواقف البطولية الوطنية و الأفريقية في مناهضة الاستعمار بشتى أشكاله.

بلغت مؤلفاته بالعربية و الفرنسية أكثر من ٤٠ مؤلفاً.

أسس و رأس و شارك في العديد من الجمعيات الخيرية أشهرها: المواساة، الشبان المسلمين، الجمعية الخيرية القبطية، النادي السوداني، جمعية فقراء الإسكندرية، جمعية الإسعاف الدولية، الجمعية الخيرية لطائفة الأرمن، و غيرها.

تاريخ
مديرية خط الاستواء المصرية

من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

والحوادث التى وقعت فيها من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٩ م

بعد مغادرة أمين باشا لها

ثم كلمة عن ضياع السودان

الجزء الثالث

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

مطبعة العدل بشارع كنيسة الأمريكان [illegible] بالاسكندرية

تاريخ
مديرية خط الاستواء المصرية

من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

والحوادث التي وقعت فيها من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٩ م

بعد مغـــادرة أمين باشا لهـــا

ثم كلمـــة عن ضياع السودان

الجزء الثالث

للأمير

عمر طوسون

سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

مطبعة العدل بشارع كنيسة الأمريكان بمحطة بالإسكندرية

سنة ١٨٨٧ م

من

حكمدارية أمين باشا

هياج الشوليين ومهاجمتهم أنفينا

فى شهر يناير من هذا العام أحدثت قبائل الشولى كثيرا من الهرج والمرج حول فاتيكو وهاجموا أنفينا باغراء كباريجا وتحريضه على ما يرجح وقتلوا ابنه واستولوا على ١٥ بندقية وخطر ببالهم بعد ذلك أن يطردوا عساكر الحكومة . وقد هاجمت تلك القبائل ضواحى فاتيكو ولكنها صدت غير أن السكينة لم ترجع الى نصابها وظل الأمن مزعزعا . وكان يوجد منها عدد كبير محتشدا فى « التور » El Tôr قرب وادلاى فهاجمته فصيلة من الجند مؤلفة من ٨٠ جنديا بقيادة اليوزباشى كودى احمد افندى قومندان وادلاى يرافقه أمين باشا ومزقته فى أقرب وقت كل ممزق وبذا رجع الأمن الى نصابه فى منطقة وادلاى .

أما فى لادو فكان يتوقع حدوث ما هو أدهى وأمر إذ أن الموظفين المصريين كانوا توصلوا الى اقناع الجنود ان الامداد لا يمكن أن تأتى اليهم إلا من ناحية الشمال وعدا ذلك فان على افندى سيد احمد كان قد أرسل تحت مسئوليته وبدون أن يستأذن من أمين باشا فصيلة من الجند الى مكراكا لتبحث عن حبوب . وكان قد مر عليها ستة أشهر

وهى فى تلك الناحيـة من غير أن يرد منهـــا جبوب وكانت تلمس شتى المعاذير وأوهاها لتسويف رجوعها . وكانت لادو خاليـة من المـيرة وكان فى غير استطاعة الرجاف أن تمـدها بشىء منها وكان من المحتمل كثيرا أن يأتى يوم يكون فيه الرحيل الى مكراكا أمرا ميسورا .

وكان أمين باشا قد بلغه من المبشر « ماكاى » ان الطبيب فيشر Fisher نفض يديه من رحلته ابتداء من يوليـه سنة ١٨٨٦ م وقفل راجعا الى اوربا عن طريق زنزبار . ونقل كازاتى أنه سمع ان شخصا أوربيا وصل الى كاميزينجا Kamisinga وقال ان كباريجا أيد هـذه الاشاعـة . وكان أمين باشا غـير مطمئن البال على كازاتى إذ أنه كان يؤخذ من مكاتباته الواردة أخيرا أنه على خـــلاف مع كباريجا وان الباعث لهذا الخـلاف هـو صراحته مع الملك التى كان ينبغى أن تقابل منه باكرام واخلاص لا بالمكر والروغان . وكان أمين باشا يخشى أن يأتى يوم يزداد فيه الخلاف شدة وكان ماكاى قد نصحه بأن يفاوض هـــو شخصيا الملك لحل مختلف المسائل المعلقـة بينهما . وكان أمين باشا نوى أن ينتقل الى أونيـورو فى شهر فـــبراير ويقضى فيها زهاء ١٥ يوما إذا سمحت له اشغاله بذلك لينجز ما لديه من الأعمال .

وأمر أمين باشا بفحص الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » وترميمهما وكان قد مر عليهما أمـد طويل بدون فحص ولا ترميم وأمر كذلك ببناء ثلاثة صنادل لتأدية ما يلزم من الخدم .

وفى ٢٠ فـــبراير ورد الى وادلاى بريـد لادو عن طريق دوفيليـه . وجـــاء فيه من حامد افندى ان الذين فى لادو يرغبون مبارحـــة المحطة

ويطلبون رسميا أن يأذن لهم أمين باشا بتوزيع الجنود بين الرجاف وكري . وكان حسبما ورد فى تقرير من مكرا كا لم تزل بعض الدناقلة فى ممبتو بقيادة شخص يقال له صالح حكيم .

شبوب النار فى دوفيليه و وادلاى و لادو و موجى

وكتب حواش افندى من دوفيليه ان النار شبت فى موضعين منها فدمر الحريق مساكن ٤٠ الى ٥٠ شخصا من أتباعه وطلب من أمين باشا اقالته من منصبه واستدعاءه عنده إذ صار فى غير استطاعته أن يستمر فى مركزه على الرغم من ارادة الناس وموقفهم منه وعلى ذلك يؤثر أن يوجد معه .

وفى ٢٣ فبراير وضع بعض الزنوج النار فى الكلأ خارج محطة وادلاى فاندلع لهيبها وامتد الى المحطة وان هو إلا ساعة زمانية حتى تلاشت وأبيدت ولم يبق منها إلا نحو ١٥ كوخا . وبعد جهد جهيد أمكن انقاذ الأسلحة والذخيرة وما بقى بعد ذلك من عاج وزاد ومقتنيات خصوصية راح طعاما للنيران كما راح روحان من النفوس البشرية .

واستغاث أمين باشا برؤساء الزنوج الذين بالناحية فلبوا نداءه بكيفية توجب الثناء والشكر ومع السرعة المتناهية والانشراح . وانقسم القوم إلى فرق بقيادة أمين باشا وضباطه وطفقوا يشتغلون من الصباح الى المساء وبهذه الطريقة وطد أمين باشا الأمل أن يعيد بناء المحطة فى ظرف شهرين . ولقد أمكن لحسن الحظ انقاذ ما يكاد يكفى اطعام الموجودين بوادلاى .

وكتب الى كازاتى أن يطلب من كباريجا ٣٠٠ ثوب من المنسوجات ليوزعها على الجنود .

وأرسل فيتا حسان على ظهر الباخرة « الخديو » الى دوفيليه ليحضر منها ما تدعو اليه الحاجة . وأعدت الباخرة « نيانزا » لتكون بمثابة مخزن للبارود ووقفت فى وسط النهر مثبتة بمراسيها الى أن تم البناء الجديد .

وفى ٢٧ فبراير عادت الباخرة « الخديو » تحمل خبر احتراق محطتى لادو و موجى وذهاب الأولى برمتها طعمة للنيران وكذلك الثانية التى أنقذ منها فقط مخزن البارود . وانتقل المقيمون بلادو الى الرجاف مع أسرهم وأخلوا الأولى اخلاء تاما .

أما الزيارة التى كان أمين باشا قد قرر القيام بها فى أونيورو فقد رأى نفسه مضطرا الى تأجيلها للأسباب الآتية وهى :—

لقد كان كباريجا يتميز من الغيظ لأن أمينا باشا لم يمده جنودا فى الحرب التى دارت رحاها أخيرا بينه وبين أوغندة لغرض خفية قبائل الشولى على احداث مشاغبات واضطراب حول محطة ماهاجى Mahagi بقصد الانتقام .

وكان أمين باشا على وشك أن يكتب الى ماكاى أن يبذل ما فى استطاعته لدى موانجا ليمنع مرور البارود من بلده الى أونيورو وأن يحث الواجندا على طلب أكبر ما يمكن من كميات العاج من كباريجا فيضطر هذا الى أن يلتجىء الى أمين باشا للحصول على هذه المادة

وذلك ابتغاء الانتقام ومقابلة الشر بالشر .

وفى أول أبريل اتصل بأمين باشا خبر فحواه ان أهالى لادو تم توزيعهم بين محطتى الرجاف و مكراكا . أما المحطات الأخرى فكانت غاية فى النظام وأخذت محطتا « مهاجى » و « مسوه » الجديدتان الواقعتان على البحيرة فى التقدم والعمران وكان أمين باشا يقول انه سيشرع عما قريب فى اخلاء محطة فاتيكو ونقل حاميتها الى فاديبك .

وفى ٤ منه بارحت الباخرة « الخديو » وادلاى حاملة البريد الى الرجاف و دوفيليه ولتحضر حواش افندى من هذه المحطة الأخيرة . وأرسل معها أمين باشا مكتوبا الى حامد افندى ليأمر اليوزباشى على افندى جابور بأن يحصل من مكراكا على الحبوب اللازمة لتموين الأورطة الأولى ويأذن له بالعودة اليها هو ورجاله وألا يعطيه بأى حال من الأحوال جنودا آخرين علاوة على الذين معه لأن هذا الوقت ليس وقت انشاء محطات جديدة .

وصول بريد أوغندة الى لادو
مع رسل وهدايا من كباريجا

وفى ٩ أبريل وصل الى وادلاى الضابط عبد الرجال افندى وهو ذلك الضابط الذى كان مع كازاتى لدى كباريجا ، يحمل بريد كازاتى و أوغندة وكان يصحبه ماتونجولى وشخصان آخران من قبل كباريجا يحملان توبين من النسيج هدية الى أمين باشا وقد أكدا له أن صداقة ملكهما لا تزعزعها كرور الأيام . وقالا بالنيابة عنه ان منزل كازاتى

لم يحط بالحراس إلا ابتغاء ابعاد الساسين عنه والحيلولة دون ازعاجهم لخاطره وانه لا يخشى عليه أن يصاب بأى مكروه . وطلب كباريجا من أمين باشا أن يسمح لرسله بزيارة الاربعة الغلمان الذين كان قد أرسلهم لتلقى الدروس فى مدرسة وادلاى .

وكلف أمين باشا رسل كباريجا أن يبلغوا مولاهم شكره على هداياه ويقولوا له انه اذا أراد استمرار العلائق الحسنة بينه وبين الحكومة المصرية فعليه أن يدع كازاتى مطلقا فى حركاته وسكناته ومشترياته وأن يكف كذلك عن اثارة الزنوج ضد هذه الحكومة . ثم أعطاهم بعض الهدايا وأذن لهم بالسفر .

وفى ١٠ أبريل وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وعلى متنها حواش افندى و ٣٠ جنديا و قاذفة اللهب « الصاروخ » وبعض المؤونة .

وعرض أمين باشا هؤلاء بحضور رسل كباريجا مع شىء من المباهاة والزهو لكى يؤثر عليهم ويريهم أن موارد المديرية ما زالت فياضة ولم يؤثر عليها حادث الحريق وهو على يقين من انهم سينقلون الأمر الى كباريجا مبالغين فيه حسب عادتهم .

وفى ١٨ أبريل سافرت الباخرة « الخديو » من وادلاى ووجهتها تونجورو و كيبيرو وعلى ظهرها بريد برسم كازاتى . وكان من بين ركابها فيتا حسان الذى كان فى وادلاى من أواخر العام الماضى وذهب الآن لتسلم مركزه . وكان بها ايضا رسل كباريجا وضابط

صف سودانى يقـــال له عبد الله المصرى وكان هذا يحمل بريد كازاتى .
وكانت التعليمات التى أعطيت للباخـــرة تقضى عليها أن تقف فى الجزيرة
أولا ثم تذهب بعـــد ذلك الى كيبيرو وتنزل المسافرين الى أونيـورو .
ثم تبقى فى كيبيرو منتظرة البريد الذى يرد من كازاتى وترجع بعـــد
تسلمه الى وادلاى . وأوصى أمين باشا أن تظل الباخرة راسية بعيدة عن البر
ونبه على الجند بشدة اليقظة والانتباه فى الحراسة .

محاولة الوانيورو الاغارة على والادى واغراقهم فى النهر

وفى ٢٣ أبريل رجعت الباخرة « نيـــانزا » وعليها حواش افندى الى
دوفيليه واتصل بأمين باشا ان تجريدة من الوانيورو [1] تسير فى اتجـــاه
الشمال فبعث بتعليمات الى محطة فاتيكو حتى تكون على حذر وتراقب
الأحوال بيقظة والتفات وتقاوم محاولة كل تقدم نحـــو ذلك الاتجاه .
وهذا الخبر ينطبق على ما أبداه كازاتى بتقريره حيث قال ان ماتونجوليا ومعه
جيش مسلح أرسله كباريجا فى اتجاه الشمال .

وفى ٢٧ منه بلغ أمينـــا باشا ان بعض رؤساء الوانيورو اقترحوا
شن غارة على وادلاى فعارض هـــذا الفريق فريق آخـــر قائلا ان
هذا عمل فيه كثير من الأخطار وأوعـــز بالمسير على تونجورو أو مهاجى .
وفى الحـــال نبه أمين باشا فيتا حسان الى ذلك حتى لا يؤخـــذ على غرة .
واعتبر هـــذه فرصة لمرور رجال كباريجا فى النهـــر واغراق مراكبهم
وابادتهم فيه .

---

(١) — الوانيورو هم رجال الأونيورو وهم والشوليون تحت حكم كباريجا .

وفى ٢٨ أبريل سافرت من وادلاى فصيلة مؤلفة من ٧٠ جنديا و ٣ ضباط بقيادة كودى احمد افندى للاقتصاص من الزنوج فقابلت هؤلاء على مرحلة ٤ ساعات من المحطة فهزمتهم وشتت شملهم . وورد أيضا خبر من محطة فاتيكو بأن جنود هذه المحطة هزمت فريقا من رجال الأونيورو وردته على أعقابه .

وفى ٣ مايو تلقى أمين باشا بريدا من فيتا حسان وكان قد رجع من كبيرو الى تونجورو . وورد له مع هذا البريد خطاب من كازاتى تعرض فيه للكلام عن الاشاعة الذائعة بصدد حملة استانلى . وحجز فيتا حسان الباخرة « الخديو » الى أن وصلت اجابة أمين باشا الذى بعث كودى احمد افندى على متن الباخرة « نيانزا » مزودا بأمر يقضى بأخذ الباخرتين واغراق جميع مراكب الشوليين . وحضر كودى افندى الى الجزيرة وأخذ فيتا حسان والباخرة « الخديو » وأغرق كافة المراكب السابق ذكرها ثم قفل راجعا الى وادلاى . وأحدثت هذه العملية الجريئة أثرا محمودا للغاية إذ أنها ألقت الرعب فى قلوب الشوليين فلم يعودوا يتحركون بعد .

توتر العلائق بين كباريجا و كازاتى
وورود القمح الى وادلاى

وبلغ أمينا باشا ان العلائق بين كازاتى و كباريجا أمست متوترة فكتب الى كازاتى أن يلازم جانب اليقظة وأن يذهب الى أوغندة أو يرجع الى وادلاى اذا رأى ان حياته مهددة بالخطر وأمر فيتا حسان أن يذهب فى الباخرة الى كبيرو وينتظر اجابة كازاتى .

وفى١٣ مايو حضر الى وادلاى على ظهر الباخرة « نيانزا » اليوزباشى فضل المولى افندى الأمين و اليوزباشى سليمان افندى سودان . وكان الأول قادما من دوفيليه والثانى من الرجاف . وورد فى نفس هذه الباخرة ١٣ جوالقا من القمح الابيض « الغلة البيضاء » مرسلة من حامد افندى بناء على طلب امين باشا ليستعملها فى الزراعة . ومن اخبار الرجاف ان على افندى جابور قدم من مكراكا ثم قفل راجعا اليها بدون ان يأخذ جنديا واحدا اتباعا لأمر امين باشا . وأنه تعهد ان يرسل من مكراكا الحبوب التى تلزم الجند وان كية من العاج آتية فى طريقها الى وادلاى .

وفى ٢٠ منه قدم الى وادلاى من دوفيليه ٣٠ ترجمانا من الباريين لارسالهم الى مهاجى وأمر امين باشا بجمع ٦٠ ترجمانا آخرين وقد علم ان الواجندا اخذوا يزحفون مرة ثانية على الاونيورو وان كباريجا ارسل كافة امتعته الى كيبيرو واتخذ له ملجأ فى مرولى .

وفى ٢٧ يونيه تلقى امين باشا خطابا من كازاتى يشكو فيه ما يعانيه من العنت والارهاق ويقول ان جملة مكاتبات لم تصل اليه . وأيد خبر تقدم الواجندا ويذكر خبر قدوم محمد برى وسفره الى كيبيرو يحمل متاعا برسم الحكومة . وانه ربما أرسل هو نفسه امتعته الى هذه المحطة الأخيرة .

وأخذت العلاقات بين كباريجا و كازاتى تزداد توترا . وقام الشجار بين شهامة جندى واستبداد ملك زنجى . فكان كازاتى لا يعرف أن يروغ عند قيام المصاعب بل يريد اقتحامها كجندى . ولسوء الحظ

كان كازاتى فى مركز يحسن ان يستعمل فيه شيئا من الكياسة السياسية بدلا من الصراحة .

وكانت كل كلمة تصدر من كازاتى تمس كبرياء كباريجا وعجبه بذاته وتزيد الطين بلة . ثم انه ما عرف فوق ذلك كيف يراعى اميال كباريجا ويغض الطرف عن نزقه ولا كيف يذعن لبعض الأوامر المضحكة . فمثلا عندما يريد كازاتى ان يقابل تاجرا زنزباريا لا يرى حاجة لأن يطلب قبلا اذنا بذلك من الملك ولا يرى ان من واجبه مثلا ان لا يجيب طلب هذا بمبارحة البلد فى الحال خلال الحرب التى دارت رحاها مع الاوغندة فى المرة الثانية . ولقد كان كازاتى غير مخطىء فى عدم اجابة هذا الطلب لأنه كان يترقب ورود بريد هام من مصر انبأه عنه ماكاى ولكن هذا سبب لا يأبه له الملك ولا زنوجه ولا له اية قيمة فى نظرهم .

وهنالك أمر آخر زاد فى حذر الأهالى عموما من ناحيته وكان السبب فى نفيه من أونيورو الا وهو أن الواجندا أتلفوا فى خلال الحرب الثانية كافة مساكن بلاد الأونيورو التى وجدوها فى طريقهم ولكنهم أبقوا على مسكن كازاتى دون سواه فدعا ذلك الملك بل سكان الأونيورو قاطبة أن يعتقدا أن هنالك اتفاقا سريا بين كازاتى وأعدائهم . ولولا نفوذ الحكومة المصرية الذى كان لم يزل ساريا سليما لوقع كازاتى فى مخالب الخطر ولولا الخوف من هذا النفوذ لما استطاع أن يجول سليما معافى بين سكان أونيورو الذين كانوا يرنون اليه بعين العداوة ويعتبرونه كعدو خطير .

وفى ٢ يوليه أبحر أمين باشا من وادلاى على متن الباخرة « الخديو » بقصد القيام برحلة فى بحيرة البرت نيانزا و كيبيرو . وفى نفس هذا التاريخ حدث عطب فى مرجل الباخرة استدعى وقوفها وارسال مركب الى وادلاى لاستحضار المهندسين لاصلاح هذا التلف .

وبعد اتمام هذا العمل تابعت الباخرة مسيرها بعد ظهر اليوم التالى . وقضت ساعات الليل واقفة ثم اتخذت طريقها ووصلت عند جزيرة تونجورو الساعة ٤ مساء وفيها زارهم فيتا حسان وقد كان مقيما بها .

وفى ٥ يوليه زار الرئيس سونجا أمينا باشا . وهذا الرئيس هو الوحيد الذى بقى حيا من الرؤساء الذين ذهبوا عند كباريجا . وقدم سونجا شكره لأمين باشا وقص عليه كيف كان ينقض عليه كباريجا اذا لم يهاجمه الواجندا . ويؤخذ من أقوال سونجا ان كباريجا أدركته الهزيمة والتجأ الى مرولى وان كافة أتباعه ولوه عرض أكتافهم وأعرضوا عنه وان سكان كيبيرو نبذوه نبذ النواة وانه لم يبق فى هذه القرية أحد ألهم إلا كازاتى و برى .

وفى ٦ منه اتخذ أمين باشا سبيله فى اليم ومعه فيتا حسان قاصدا كيبيرو فدخلها فى اليوم عينه بعد الظهر فلم يجد فيها إلا قليلا من الرجال وليس بها واحدة من النساء . وكان برى على الشاطىء ومعه نائب كباريجا فأتيا الى ظهر الباخرة . وقد أحضر الأول من السلع فى هذه الدفعة كمية تزيد عما أحضره فى المرة السابقة . ومن بين هذه السلع ١٤٠٠٠ الف عود من الكبريت طلب من أمين باشا أن يخفيها الى أن يسافر على الأقل . وكان يرافق محمد برى فى كل

مرة ماتونجسولى لديه تعليمات بمراقبته مراقبة شديدة . ومما زاد فى حذر كباريجا الغريزى زيادة كبرى كثرة ذهاب محمد برى من مديرية خط الاستواء و أوغندة وإيابه إليها والهدايا المتواصلة التى كانت تبعث من أمين باشا الى موانجا ومن هذا الى الأول إذ كان يرى ان فى هذه الهدايا اتفاقية ضده . وفوق ذلك فان محمد برى لم يطلع كباريجا على ما أحضره من الكبريت وهذا العمل وحده جلب عليه غضب الملك لأنه مع جميع الاحتياطات التى اتخذت اطلع الماتونجولى على الكبريت وبلغ الأمر الى مولاه فكان ذلك فيما بعد سببا فى هلاك محمد برى المسكين .

ونزل أمين باشا الى البر وأقام فى مسكن كاجارو رئيس كيبيرو وكان هذا قد لاذ بالجبال خوفا من الواجندا . وسلم أمين باشا أتباع كباريجا الذين كانوا معه الى وكيله وأوصاه ألا يدعهم يسافرون بغير إذن منه .

وقال برى لأمين باشا انه فقد من متاعه أربعة طرود يحتوى اثنان منها على منسوجات وواحد على بن والآخر على بارود وانه لم يصل من أمتعة كازاتى إلا سبعة صناديق ومن عاج الحكومة إلا بعض القطع .

وقد أقام أمين باشا زهاء اثنى عشر يوما فى كيبيرو زار فى خلالها ملاحاتها الشهيرة . ولاحظ ان الأهالى يظهرون ليلا ويختفون نهارا خوفا من أن يكون « أى أمين باشا » محالفا للواجندا . ورأى أمين باشا البعض من هؤلاء فوق التلال المجاورة فحاول أن يحادثهم ويحثهم على الرجوع ولكنهم أبوا أن يأتوا مع انه كان وحيدا وليس لديه أسلحة وقالوا ان الباخرة كانت تأتى عادة وحدها أما الآن فوراءها

مركبان تجرهما .

وبعد مناقشة طالت امتثلوا فى نهاية الأمر وأتوا ليبادلوه بعض المتاجر بالزاد بعد أن تشاوروا هم ومواطنوهم .

وفى ١٨ يوليه اتخذ سبيله فى البحيرة غير انه بعد ابحاره بقليل رأى ان ماء البحيرة هائج فانقلب على عقبه راجعا الى كيبيرو فبلغها عند الظهر . وفى هذه المرة لم يتحرك الأهالى من قريتهم بل ظلوا بها إلا انه لم يأته أحد منهم .

وأرسل أمين باشا الى كاجارو ضابطا وأربعة جنود للاستعلام عما اذا كان قد ورد برسمه بريد ولاستدعائه للحضور اذا لم يكن ورد شىء أو يرسل أحدا من طرفه يكون فى استطاعته مرافقة أتباعه الذين سيبعث معهم مكاتيبه الى كازاتى . وبعد برهة رجع الضابط وقال ان كاجارو يرفض القدوم وكذلك يأبى أن يرسل أحدا ويقول ان على أمين باشا أن يرسل خطاباته وهو يتكفل بتصديرها الى كازاتى مع أحد من أتباعه .

وبعث أمين باشا بمراسلاته الى كاجارو وبعد مرور ربع ساعة رأى رسل هذا يتسلقون المرتفعات ويتوارون خلفها فسر وارتاح لذلك وأخذ يمعن فى النظر فى مسافة الطريق فاستقر رأيه على ان هؤلاء لا بد أن يصلوا عند كازاتى فى صباح الغد ويقفلوا راجعين بعد الظهر ويكونوا عنده فى صباح اليوم التالى للغد .

وأرسل أمين باشا مرة أخرى الى كاجارو يدعوه الى الحضور بنفسه

أو يبعث بوكيله لأنه يريد مكالمته . وبعد فترة قصيرة بدا شخص الوكيل وهو نفس الشخص الذى قابله عند قدومه وقدم التحيات بالنيابة عن كاجارو وقال ان هذا سيأتى فى الغد . وقص عليه ان ريحان ترجمان كباريجا كان قد حضر الى كيبيرو ليعرب للأهالى عن عدم رضا هذا عنهم لتعلقهم بأذيال الفرار حين قدومه ولينذرهم بالاقلاع عن اتيان مثل هذا العمل فى المستقبل .

وقال لأمين باشا ان أهل القرية يميلون لمعاملته ومعاملة أتباعه فى المسائل التجارية كما كان الحال فى الأيام السالفة ويودون أيضا اعتبار هؤلاء اصدقاء لهم غير انهم فزعوا وقتما رأوا الباخرة تقطر مركبين .

وقال امين باشا انه لا يستطيع ان يؤاخذ هذا الوكيل لانه رجل لا سيطرة ولا نفوذ له لاسيما ان رئيسه كان قد تعلق بأذيال الفرار . واختتم وكيل الرئيس حديثه بأن طلب من امين باشا عنقريبا لنفسه وطربوشا لكاجارو وكان هذا قد وصلت اليه بقرة تركها له امين باشا قبل سفره فى نظير اجرة الأيام التى أقامها فى منزله . وقال ان امتعة كازاتى موجودة برمتها هنا وان هذا قد أرسل اليه خمسة جواليق من الحبوب لا أكثر . ثم قال عند انصرافه انه سيرسل بعد الظهر اناسا الى السوق . ولم يصدق امين باشا مسألة الرسول الذى بعث به كباريجا لأهالى كيبيرو وعدها حكاية مختلقة أوجدتها مخيلة كاجارو وانها لم تكن سوى مناورة القصد منها تمهيد الطريق لزيارته .

وبعد الظهر نزل أتباع أمين باشا الى البر حسب الاتفاق ومعهم جلود من جلود البقر للمبادلة بها أشياء اخرى . وكان هذا النوع من الجلود مطلوبا كثيرا فى هذه الناحية واجتمع خلق كثير من الوانيورو وعاينوا الجلود وقدروا أثمانها . وبينما هم كذلك إذ حضر رجال من طرف كاجارو الى السوق وافهموا المشترين أنه من غير اللائق اجراء البيع والشراء من غير أن يأذن بذلك كاجارو وهذا بحكم الطبيعة يعتبر أمرا . فانفض البيع والشراء وقيل لاتباع امين باشا ان كاجارو لا يأذن باقامة السوق قبل اليوم التالى . وبمثل هذه المناورات السخيفة كان يحاول رؤساء الاونيورو والاوغندة ان يكتسبوا نفوذا امام الاجانب وامام نفس اتباعهم . ومن الجائز ايضا ان كاجارو لا يريد ان يأذن بتبادل المعاملة قبل ان يرى أمينا باشا او ان يكون لديه باعث خفى آخر .

وفى يوم ١٩ يوليه أتى كاجارو فى الساعة التاسعة صباحا الى السوق منتظرا على ما يظهر ان يتسابق اتباع أمين باشا فى الذهاب اليها ولكن الباشا رأى ان الفرصة سانحة ليلعب هو الآخر دوره فمنع رجاله من الذهاب الى السوق وبعد برهات رأى كاجارو ان هذه الحالة مملة فبعث ببعض اناس يستدعونهم للحضور وعندئذ سمح لهم امين باشا بالذهاب وما مرت بعض لحظات حتى عمرت السوق . وكان كاجارو يجبى بالطبع ضريبة مئوية على الصفقات التى تقع .

اهتمام امين باشا ببقاء طريق أوغندة مفتوحة

وفى ٢٠ يوليه رجع عند الظهر اتباع كاجارو الذين كانوا قد ذهبوا بالبريد الى كازاتى وكان كازاتى قد كتب الى امين باشا وارسل

له أمسيجى من قبل كباريجا . وقص أمسيجى على امين باشا ان الملك انسحب حقيقة الى مرولى وان اتباعه يموتون من الجوع وانه لا يوجد لديه ذخيرة . وأن كباريجا لم يزوده بتعليمات قاطعة وهو لم يرسله إلا ليعرف مقصد امين باشا فعاد وأملى عليه الشروط التى املاها على رسل الملك فى وادلاى وتشدد فى موضوع اقتراب الجند وقال انه يريد بقاء طريق أوغندة مفتوحا مهما كلفه الأمر حتى لو ادى ذلك الى استعمال القوة . فاجابه أمسيجى انه قد كان دواما فى صفه ومحازبا له إلا ان الرؤساء الآخرين يعملون على النقيض إذ ان هؤلاء يلعبون بعقل كباريجا وبذا يذهب كلامه ادراج الرياح . فقال له امين باشا ان الاصوب ما دام الامر كذلك ان يرسل مولاه واحدا من كبار اتباعه ليستطيع ان يتفق معه فوعد أمسيجى بتبليغ هذا الطلب الى الملك وانصرف .

واعطى امين باشا الجاويش الذى كان قد قدم من قبل كازاتى خطابا وخمسة رؤوس من الماعز وقدرين من السمن وكيس خرز لاستعماله فى المبادلة وأمر برفع مراسى الباخرة وادارة مقدمها شطر جزيرة تونجورو فوصل اليها فى الساعة العاشرة مساء ورافقت رحلته هذه العواصف والامواج وسافر من هذه الجزيرة فى اليوم التالى صباحا ووصل الى وادلاى فى ٢٤ يوليه .

ترامى الأخبار السيئة عن سلوك الأورطة الأولى

وفى اثناء غيابه قدمت الباخرة « نيانزا » من دوفيليه تحمل بريد هذه المحطة وبريد الرجاف والضابطين سليم افندى و بخيت افندى من ضباط هذه المحطة الأخيرة . ومن اخبار هذا البريد ان الضباط

يجنحون للعصيان وغير مبالين بالبكباشى ولا بأمين باشا . اما سلوك الجنـــد فحسن . وقدم من دوفيليه ٦٠ جنديا ولم ترد اخبار عن فاتيكو .

ووافق ١٩ سبتمبر أول يوم من سنة ١٣٠٥ هجرية فذبح امين باشا ماشية وفرق لحومها واستقبل رؤساء القبائل المجاورة .

وفى ٢٠ سبتمبر ورد بريد دوفيليه وبه خطاب من البكباشى حامد افندى قائد الاورطة الاولى يقول فيه انه وصل الى هذه الناحية أى دوفيليه وينتظر قدوم الباخرة ليذهب الى وادلاى .

وكان أمين باشا يأمل ان يستطيع سليم افندى مطر وقد أصبح الآن مطلق اليدين أن يكبح جماح متمردى الرجاف وردهم الى الصراط السوى .

وفى ٢٢ منه أبحرت الباخرة « نيانزا » من وادلاى ووجهتها دوفيليه وعلى ظهرها حواش افندى وبعد ذلك بساعة أقلعت الباخرة « الخـــديو » قاصدة بحيرة البرت نيانزا فكيبيرو وعليها فيتا حسان و محمد برى وكانت تحمل أيضا بريد كازاتى وذخيرة ومؤونة له .

زيارة امين باشا محطات وجنـــود الاورطة الاولى
ليعرف حقيقة الحـــال

وفى أكتوبر زار أمين باشا فيتا حسان فى تونجورو لدى جولة قام بها فى البحيرة واخذه معه الى « مسوه » وهنا وصل اليه خطاب موقعا عليه من ضباط الأورطة الأولى يلتمسون فيه منه أن يزورهم ويبثون نفس الشكوى التى عرضوها على فيتا حسان عند الزيارة التى كان زارهـــا لهم وهى :

انه ليس من العـــدل ان الحكومة لا تهتم إلا بالأورطـة الثانية متجاهلة بتاتا وجـود الأورطة الأولى التي لا تستحق كل هـذا التغاضي . وان مصاعب شتى قامت بينهم لا تستطيع تذليلهـا سوى حكمة أمـين باشا . وظفر فيتا حسان باقناع أمين باشا بالقيام بهذه الرحلة حتى يمكن استمالة أولئك الضبـاط الذين لم يكونوا في الواقـع ونفس الأمر بالمتمردين ولا بالسيئي القصد لدرجة يصح معـها وصفهم بهاتـين الصفتين كما كان مظنونا .

تمرد حاميـــة الرجاف

وعندما رجـع أمـين باشا الى وادلاى كتب في ٣١ أكتوبر الى قـواد محطات لابوريه و موجى و كري الثلاثة يسألهم عما اذا كانوا محازبـين لحامية الرجاف أو ما زالوا مخلصين له . وفي ٢٦ نوفمبر ورد اليه الرد من هؤلاء بواسطة حامد افندى الذى كان في دوفيليه .

ويقول رد لابوريه انه يستطيع أن يعتمد على كافة أفراد الجيش من ضباط وجنود وانه لا يخامر أحدا فـكرة الاشتراك مع ضباط وجنود الرجـاف وان مراد الكل أن يظلوا مخلصين لحكومتهم .

وجـــاء في رد موجى انه عنـدما سئل الضباط والجنـود عمـــلا بأمر أمين باشا عما اذا كانوا ينضمون الى ضباط الرجـاف وجنودها أو الى الحـكومة وأشير الى الترخيـص الذى يمنحه لأولئـــك الذين يرغبـون الذهـاب الى مكراكا بالانتقـال اليها صاح الكل بنفس واحـد انهم مقيمون على عهـد ولائهم للحكومة وأنـكروا وجود أى صلة بينهم وبين الثائرين . وأذيعت أيضا

اشاعة مقتضاها ان ضابطا من ضباط الرجاف قبض عليه رفاقه وألقوه فى غيابة السجن .

وجاء فى اجابة كري انه قدم اليها ٩٠٠ حمال من مكراكا ومعهم أمتعة الضباط والجنود وان هؤلاء و نساءهم و أولادهم فى انتظار غيرهم من الحمالين ليسافروا . ويقال ان رفاق اليوزباشى احمد افندى على وضعوا فى عنقه الاغلال وأبقوه سجينا يومين ثم اطلقوا سراحه . وان كثيرا من الجنود يودون المثول بين يدى أمين باشا وما منعهم عن ذلك إلا رغبتهم فى عدم تركهم لنسائهم و أولادهم وهم يلتمسون منه أن يعجل زيارته لناحيتهم .

وكان يقول أمين باشا انه لسوء الحظ لم يذكر قائد هذه المحطة الأخيرة شيئا عن نياته ولا عن الحالة فى بيدن ومع ذلك فهو يعتقد ان فى استطاعته الاعتماد عليه وعلى جنوده . أما من جهة حامية بيدن فكان يظن ان لا مناص من انضمامها الى حامية الرجاف وانه لا بد أن يعلم انها قد سافرت عند وصوله الى دوفيليه .

وفى ٣ ديسمبر وصل أمين باشا الى دوفيليه وعرض حاميتها وألقى عليها خطابا فرد عليه الضباط والجنود معبرين عما تكنه قلوبهم من الاخلاص والاستعداد للتضحية وبذل النفيس . وتفقد بعد الظهر أحوال المحطة والبساتين واستقبل كثيرا من الجنود الذين كانوا أتوا من الرجاف لزيارته بعد أن تركوا اسرهم فى هذه الناحية .

وبما انه تم اعداد الحمالين فقد تقرر الرحيل فى اليوم التالى لأن الطريق

الى المحطات الواقعة فى الشمال لا مناص من قطعها برا إذ لا تستطيع البواخر اجتياز شلالات فولا التى فى شمال دوفيليه . وهذه هى الرحلة التى قام بها أمين باشا تلبية للدعوة التى كان وجهها اليه ضباط الأورطة الأولى والتمسوا فيها زيارته لهم .

وفى ٥ ديسمبر انطلق أمين باشا فى السير وبمعيته البكباشى حامد افندى قائد الأورطة الأولى الذى كان فى انتظاره فى دوفيليه هو وأتباعه فتكون من ذلك قافلة مجموعها زهاء مائة رجل بما فى ذلك الحمالون . وكان فيتا حسان رجع فى العشية الى وادلاى على الباخرة « الخديو » نظرا لمرضه .

واجتازوا قبيل الساعة العاشرة الأشجار التى يقال لها أشجار الباشا نسبة الى غوردون باشا لأنه كان يجلس تحتها وبلغوا بعد الظهر خور أيو وفيها استقبلتهم الحامية استقبالا عسكريا شائقا بقيادة الملازم الأول خميس افندى . ووجد أمين باشا مسكنه فى حالة جيدة ونظيفا وذبح عجلا للحمالين .

وفى ٦ ديسمبر بارح أمين باشا خور أيو فى الساعة السادسة صباحا وقطع الطريق مشيا على الأقدام وكانت حالتها جيدة . وبما انه لم يسلكها من زمن بعيد فقد أعادت الى ذاكرته ذكريات أشخاص كان طرقها معهم فى الزمن السابق مثل غوردون باشا و جيسى وغيرهم وصاروا الآن فى عداد الغابرين .

وقبيل الساعة ٨½ أفضوا الى محطة لابوريه فاستقبل فيها

أمين باشا بالحفاوة العسكرية المتادة وكذلك استقبله جمهور كبير من الزنوج .

ووجد أمين باشا نية القوم حسنة فى هذه المحطة وفى محطة خور أيو وارتجى أن تستمر الحال على هذا المنوال .

وجاء من الرجاف بحار يقال له طه وروى أن الضباط والاحوال هناك ليست على ما يرام على ان أمينا باشا فضل أن يرى الأشياء أولا بعينى رأسه قبل أن يبت بأمر من الأمور .

وأقام أمين باشا يومين فى لابوريه ونظم عرضا للجند وخطب فيهم ناصحا وتأكد من مسلك الضباط والعساكر ان كلامه لقى منهم آذانا مصغية وقلوبا واعية . وأظهر الجنود بالأخص الانشراح والارتياح وتحقق أمين باشا انه عند تقدمه للشمال لا يترك وراء ظهره سوى أصدقاء .

وأصدر أيضا أمرا لرئيس تراجمة البارىين بأن يجند من هؤلاء عددا برسم وادلاى ومحطات بحيرة البرت نيانزا . وتفقد البساتين واحضرت له هدية من البطيخ الفاخر الذى لم ير له مثيلا من أزمان مديدة .

وفى ٨ ديسمبر وصل الى موجى فى الساعة ٦ صباحا . وكان قد حدث بالطريق تحسين عظيم عما كان عليه فى الزمن الماضى . وكانت الحقول فى كل جهة منه أى يمينا ويسارا محروثة ومزروعة وبها كثير من الأكواخ وصارت الأهالى على ما يظهر أقل جبنا هنا منهم فى ناحية اخرى . وكان دخوله فى موجى قبيل الظهر وقوبل فيها بالاحتفال العسكرى المعتاد

واطلقت المدافع للتحية .

وقضى أمين باشا ليلته فى موجى وسافر منها فى الغد الموافق ٩ ديسمبر فى الساعة ٥ صباحا وبلغ كري فى الساعة ٩ صباحا . وكري هذه هى أول محطة تحتلها الأورطة الأولى . وكانت أكواخ المحطة عتيقة وضيقة ووسائل الراحة فيها قليلة .

عصيان قائد مكراكا

وفى ١٠ ديسمبر عند الساعة ٣½ صباحا أيقظ البكباشى حامد افندى واليوزباشى بخيت افندى قائد كري وسكرتيره أمينا باشا من نومه وطلبوا منه أن يرتدى ملابسه بسرعة ويسافر فى التو والساعة الى موجى لأن ثلاثتهم علموا ان اليوزباشى على افندى جابور قائد مكراكا وصل الى مسافة قريبة من كري ومعه بلوكان من الجند وزنوج من مكراكا بحيث يبلغ مجموع من معه زهاء الألف رجل وقصده القاء القبض عليه وأخذه الى غندوكورو . وحاول أمين باشا أن يهدئ روعهم ويطمئنهم فلم يجده ذلك نفعا وأمسك حامد افندى بيده وطلب منه أن يسافر بلا ابطاء ووعده أن يحضر لمقابلته فى نفس مساء اليوم ذاته . وعلى هذا اضطر أمين باشا أن يبارح كرى فى الحال وكانت الساعة ٦ صباحا ليصل بعد ثلاث ساعات الى موجى حيث كانت توجد ثلة من جنود الأورطة الثانية .

وأخبر أمين باشا عند وصوله الى موجى محطتى لابوريه و دوفيليه عن حالة الموقف وأصدر الأوامر اللازمة للذود عن المحطة الأولى . وصفت

جنود المحطة وسئلوا عما اذا كانوا يريدون الذهاب الى مكراكا فأجابوا سلبا . وانقضى اليوم وهم يتسقطون الأخبار . وقدم ليلا غلام كان يرافق ثائرى الرجاف وقال ان سليم افندى مطر مسجون فى داره . وانه لدى وصول أولئك الثائرين أمام محطة بيدن أنذروا قائدها اليوزباشى بلال افندى بالانضمام اليهم غير ان هذا كان قد قطع حبل الطوف « المعدية » ورفض بتاتا مباشرة أية مفاوضة معهم . وعلى ذلك استمروا فى سيرهم صوب كري وهناك طلبوا من الحامية الانضمام اليهم عند ايابهم الى مكراكا فأبت فهددوا قائد المحطة اليوزباشى بخيت افندى بالسجن .

ولما وصل على افندى جابور الى كري ولم يجد بها أمينا باشا حجز جميع متاعه الذى كان اضطر بسبب تعجيل سفره أن يتركه . وظل أمين باشا ثمانية أيام فى موجى أرسل اليه على افندى جابور فى خلالها أمتعته وقد خجل من فعلته وكتب له انه لم يقم بذهنه أن يقبض عليه وانه ما أتى الى كري إلا ليؤدى له التشريفات العسكرية .

وصول أمين باشا الى لابوريه
وتحسن الحالة فى وادلاى و دوفيليه

وفى ١٩ ديسمبر بارح أمين باشا موجى مبكرا . وسلك من بالمحطة سلوكا حميدا للغاية ووعدوا أن يولوا وجوههم شطره اذا اشتد عليهم الحال وضاقوا ذرعا .

ووصل الى لابوريه عند الظهر ووجد فيها خطابا من فيتا حسان وكان هذا مشغول البال عليه لا يدرى ما تخبئه له الأيام .

واستقر بأمين باشا الرأى على أن يقيم يومين فى لابوريه لأنه كان قد أمر سليم افندى مطر و رجب افندى بالمجيء من الرجاف ليراهما . وكان سليم افندى قد أتى الى موجي ومنهـا جاء الى لابوريه فى ٢٠ ديسمبر بعد الظهر وروى انه عومل معاملة السجين ثم أخلى سبيله وانه ترك الثائرين فى كري . وان دسيسة القاء القبض على أمين باشا وايداعه سجينا فى غندوكورو كان سرها مفضوحا فى الرجاف . وقال أيضا ان كثيرا من الجند كانوا يريدون القدوم وان رجب افندى ربما وصل الى كري فى ١٩ منه .

وفى ٢١ ديسمبر ورد الى أمين باشا من خـور ابو بريد وادلاى و دوفيليه وجـاء به ان الأمور جارية فى مجـرى حسن فى هاتين المحطتين . وورد فى بريد المحطة الأخيرة ان الزنوج كانوا كامنين للتراجمة الذين كانوا يحملون البريد يرتقبون مرورهم للايقاع بهم فاضطروا الى استعمال أسلحتهم ليشقوا لهم طريقا . وفى ١٨ منه كان هـؤلاء الزنوج يتطلعون الى الاغارة على نفس المحطة إلا أنهم عدلوا عن ذلك .

فرار أحد جنود الأورطة الاولى
وسفر المدير الى دوفيليه

وجاء الى خور أبو جندى من جنود البلوك الرابع التابع للأورطة الأولى الذى يقوده اليوزباشي مرجان افندى بخيت ومعه بندقيته من طراز رمنجتون وذخيرته .

وكان هذا الجندى تابعا للبلوك النـازل فى كري بقيادة على افندى جابور وانسل من رفاقه بين الرجاف و بيدن وروى ان كثيرا من الجنود

يبتغون المجيء الى أمين باشا ولكن المراقبة عليهم شديدة وهو يظن ان آخرين سيقتفون أثره الى ههنا .

وكان أمين باشا قد عقد النية على السفر يوم ٢٢ ديسمبر من خور أيو ولكنه أجل سفره للغد نظرا لعدم مجيء رجب افندى وهـــذا جاء فى الساعة الرابعة بعد الظهر .

وفى ٢٣ منـه اتخذ أمين باشا سبيله الى دوفيليـه فدخلها قبيل الظهر وقوبل بالتشريفات الواجبة لمن هم فى مرتبته . ووصلت الباخرة « الخديو » فى المساء من وادلاى تحمل أخبارا سارة غير انه لم يرد معها مكاتبات من كازاتى . وظل أمين باشا مقيما فى دوفيليه الى آخر العام .

١ — ملحق سنة ١٨٨٧ م

رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم الثامن

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

عرض كباريجا الصلح على ملك أوغندة

ان الثورة التى كان كباريجا قد حاك خيوطها وشب أوارها بين الشوليين حدثت فى يناير سنة ١٨٨٧ م كما ذكرنا فى آخر الملحق الأول لعام ١٨٨٦ م . وبناء على اشارة صدرت منه هب هؤلاء وأغاروا على محطتى فاديبك و فاتيكو غير ان الجند كانت على يقظة فصدوا وكبدوا خسائر فادحة فكان ذلك جزاء غدرهم وخيانتهم وقتل كبير رؤسائهم الذى كان ساعد الثورة اليمنى وروحها .

وبما ان نار الحرب لم تزل مشتعلة بين الأونيورو و الأوغندة فقد استعلم كباريجا من كازاتى عما اذا كان أمين باشا لا يريد أن يساعده على أعدائه فأجابه كازاتى ان المدير لا يسمح بجندى واحد ولا مظروف ذخيرة واحد لقتال أوغندة . فأقلق هذا الجواب خاطر الملك لأنه كان يتهم محمد برى الطرابلسى بأنه أخذ على عهدته عقد محالفة بين الحكومة المصرية

و موانجا ملك أوغندة . وعلى ذلك بادر بارسال رسل الى هذا الأخير ليعرضوا عليه الصلح .

وفى صباح يوم ٨ فبراير وجدت دجاجة مذبوحة فى قاعة القصر الكبرى وهذا أمر يتطير القوم منه ويتشاءمون واتهم العرب بارتكاب هذه الفعلة وبأنهم متواطئون مع الحكومة المصرية فى ارتكاب هذا الاثم ونشأ عن ذلك ابعاد ثلاثة منهم عن المملكة .

نقل عاصمته الى مويمبا

وفى ٦ مارس استقر رأى كباريجا على اخلاء عاصمته وقبل أن يرحل منها ضحى بيده بغلام فى الثانية عشرة من عمره داخل قصره وبعجل أبيض خارجه ثم اتجه شطر الجنوب وحط رحاله فى مويمبا Mouimba وهنالك غرس حربته دلالة على انه ينبغى تشييد محل اقامة الملك الجديد فى هذا الموضع . أما العاصمة القديمة فأضرمت فيها النيران وأمست فى طرفة عين اطلالا من الرماد .

وقد كان كباريجا مغرما بقوة الأسلحة النارية التى شاهدها فى أيدى جنود سير صموئيل بيكر و غوردون باشا . وبما انه كان معترفا بتفوق هؤلاء الجنود تفوقا لا يجارى فيه مجار فقد كان واقفا كل ارادته على مشترى بنادق وذخيرة . وكان يخال نفسه عندما يرى بضع مئات من البنادق تضىء حوله انه أقدر ملك على وجه الأرض وتجول فى رأسه فكرة فتوحات بعيدة المنال ويكثر من الغزو ويتحدى الأوغندة ويتحكم بارادته فى قبائل أقطار البحيرات .

وكان كباريجا بفطرته شديد الارتياب ومن دأبه اساءة الظن ولذلك عزل كازاتى وشدد فى عزلته على قدر ما استطاع . وفى ٦ مارس رأى كازاتى نفسه منفردا مع حاشيته والرجلين المكلفين على حسب زعم كباريجا بخدمته ولم يكونا فى الحقيقة مكلفين إلا بمراقبته مراقبة شديدة لأن هذا الملك كان يتأهب للغارة على ممتلكات الحكومة المصرية . وكان كازاتى من ناحية اخرى غير مكتوف اليدين بل بمساعدة عربى من عرب عمان يقال له احمد عوض قضت عليه متاجره بالاقامة فى أونيورو مساعدة رجل مستبسل باذل لنفسه توصل الى الحصول على سعاة أخذوا على عاتقهم حمل مكاتباته الى ماكاى وكيل المبشرين الانكليز والاياب بالاجابات عليها وذلك فى مقابل أجر معين .

حملة كباريجا لفتح أراضى ضفة النيل اليمنى

وفى ٧ أبريل ذهبت الحملة التى كانت أعدت لفتح الأرض الواقعة على ضفة النيل اليمنى والخاضعة لحكم الرئيس أنفينا . وكان السبب فى اعداد هذه الحملة صلات هذا الرئيس الودية بالمدير . واخطر كازاتى أمينا باشا بالمسألة وهذا اتخذ الاستعدادات اللازمة فى الحال وعقد محالفة مع الرؤساء المقيمين على ضفاف النيل على اختلافهم وهؤلاء حشدوا جموعا كبيرة من المقاتلين فى النقطة التى يتحتم على الغزاة اجتيازها وألقت الباخرتان أيضا مراسيهما بعد مصب النيل فى بحيرة البرت نيانزا بقليل .

وفى أول ينساير استدعى كباريجا كازاتى وبعد أن تركه ينتظر طويلا سمح له بالمثول أمامه . وكان الأول عابس الوجه وأرجله تهتز تحته من

الغضب وعنف كازاتى تعنيفا مرا واتهمه بالتآمر عليه والاتفاق مع المدير ليجلب الخراب له ولمملكته .

أما ما علمه كازاتى فهو أن الباخرتين قد بدتا فى عرض النيل فى وقت كان يستبعد أن يراهما فيه الوانيورو الذين كانوا قد شرعوا فى اجتياز النهر فلم يجد هؤلاء أمامهم سوى الوقت اللازم ليقاتلوا وهم مندحرون وكافة مراكبهم أسرت أو حاق بها التلف والدمار وأهلكت جنود الحكومة البعض منهم .

أما التعنيف الذى وجهه كباريجا الى كازاتى فقد أجابه عليه بان ما حدث كان بسبب خطئه حين أراد الاستيلاء على ما للغير واتهمه بحجز المراسلات التى ترد اليه فأنكر صدور ذلك منه وتعهد بأن يتحرى عن هذا الأمر من الوزير وعلى ذلك انقضت المحادثة .

عودة الواجاندا الى محاربة الوانيورو وانتصارهم ثم انهزامهم

ورأى موانجا ملك أوغندة ان الهدايا التى بعث بها كباريجا على سبيل الترضية ليست كافية فدارت رحى الحرب مرة اخرى وانقض الواجندا على أرض الوانيورو . وأمر كباريجا كازاتى بأن يرجع الى الممتلكات المصرية فلم يلب بالطبع هذا الأمر وبعث للملك بهدية وبندقية من طراز وينشستر Winchester ومعها ١٠٠ مظروف وتمنى له فى الختام النصر التام .

واستدعى الملك فى الغد كازاتى وشكره على هديته وأذن له بالاقامة فى مملكته اينما شاء وحيثما أراد . واعطاه ساعيا ليوصل مكاتباته الى وادلاى وأذن لمحمد برى بالانتقال الى كيبيرو ومعه بضائعه .

وفى ٢٢ يونيه ذاعت الأخبار بأن الواجندا فازوا على الوانيورو فى المعارك ولهذا السبب هاجر الملك من عاصمته لكن كازاتى ظل مقيما بها يخفق على داره العلم المصرى .

وفى ٣ يوليه دخل جيش الواجندا فى العاصمة . وأرسل واكيبى Wakibi قائده وفدا الى كازاتى ليهدى اليه تحياته ويعرض عليه استعداده لتوصيله الى أوغنده فأبى بالطبع ولكنه دخل مع رجال الوفد فى محادثة بخصوص ابرام محالفة واحتلال كيبيرو هذا إذا ظل النصر حليفهم للنهاية . وفى ٥ يوليه انقض الوانيورو على الواجندا فى كيبيرو وازاحوهم عنها فأخذ هؤلاء طريقهم مولين وجوههم شطر بلدهم لا يلوون على شىء . وفى ١٩ منه لم يبق أحد منهم فى الأونيورو .

تدخل أمين باشا فى هذا النزاع

وفى ٧ يوليه رسا أمين باشا فى كيبيرو وهو ذاهب الى « مسوه » الواقعة على ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربية فكان ذلك كافيا لأن يبث الذعر والرعب فى سائر أرجاء الأونيورو لأن الوانيورو كانوا قلقين لوجود جنود أمين باشا خلفهم إذ كانوا يخافون أن ينقض عليهم من الخلف بينما تكون الواجندا أمامهم لأن هزيمتهم فى شهر مايو كانت لم تزل عالقة بأذهانهم .

وانسحب كباريجا الى مرولى بعد أن استعد للانقضاض على الواجندا لأنه كان يرى ان البلد قد ازدحم بالجنود السودانية وأرسل الى كازاتى من محل اقامته الجديد بمرولى رسولا ليقول له انه مستعد لابرام

المحالفــــة التي اقترحها المدير . فأملى كازاتي على رسوله شروطه النهائية وتنحصر في محالفــــة الدم أو السماح باحتــــلال كيبيرو . وعــــلى ذلك اجتمع أعيان المملكة والرؤساء العسكريون بهيئة مجلس استشارى وطلبوا من الملك نفى كازاتي وقطع كل علاقة بمـــــدير خط الاستواء فرفض كباريجا الموافقة على هـــــذا الطلب وعرض محالفة الدم مع ابنــــه فرفض كازاتي ذلك .

قيام كباريجا بحملة أخرى
ومحاولة توثيق العلائق مع الحكومة المصرية

وبعد أن تخلص كباريجا من شر الواجنـدا قرر مباشرة القيام بحملة جديدة ليحتل البقعة التي كان يصبو اليها وحرم منها بفعل أمـين باشا . وفي هـذه الدفعة نجح وظفر بمرغوبه . إذ في سبتمبر سنة ١٨٨٧ م فاجـأ قائده خصومه وأعلن سلطة ملكه على جميع ضفة النيل اليسرى .

وقد بدل كباريجا وزيره الاول وأبلغ الوزير الجديد كازاتي ان الملك قرر توثيق عروة الصداقة بينه وبين الحكومة المصرية وانه وصلت اليه الأوامر بأن يتمشى وفق هذا القرار فكتب كازاتي الى أمـين باشا يحيطه علما بذلك وطلب منه أن يمـــــده بما يلزم من التعليمات ويرسل اليه هدايا ليقدمها لرجال البلاط ولكن المدير صمم على عقد محالفة الدم قبل كل أمر .

وازداد موقف كازاتي حرجا عن ذى قبل بسبب قدوم محمـــــد برى في الأيام الأول من شهر نوفمبر من وادلاى حيث كان يقيم ابتـداء من شهر يوليـه . إذ دخـــــل في بلد الأونيـــــورو بدون رخصة ليذهب الى

أوغنـدة . وهـذه غلطة شنيعة تستوجب عـادة عقوبة الاعـــدام . وفى أول نوفمبر أبلغ الوزير الأول كازاتى الغضب الشديد الذى حـــاق بالملك حتى أخرجه عن دائرة الصواب بسبب هـذا الحـادث إلا أنه وعد بأن يبذل كل ما فى وسعه لتهدئته وتوصيل برى الى أوغنده . وأبلغه كذلك رغبـــة الملك فى أن يراه غير ان كازاتى تردد نظرا للظروف الحالية وقـال لو كان أمين باشا أرسل اليه الهدايا التى طلبها منه لـكان ذهب اليه وهـدأ خـاطره كما فعل حين قدم له بندقية وينشستر .

وفى ٢٤ نوفمبر عرض الوزير الأول على كازاتى أن يتبادل معـــه الدم سرا حتى لا يعرض نفسه لغضب الملك . ومع ان هـذا الطلب بدا لكازاتى غريبـــا إلا أنه قبـله ووقفت هذه المسألة عند هـــذا الحد ولم تدخـل فى طور العمل .

اعتزام أمين باشا السفر الى ناحية الشمال للتأثير على حامياتها

وكان كازاتى لدى وصوله الى أونيـورو قد طلب ارسال ستة شبان من أبناء أكبر أسرة فى البـــلد ليتعلموا فى وادلاى وأجيب طلبـه هـــذا . وكان غرضه الحقيقى الاحتفاظ بهؤلاء الغلمان رهائن تحت ستار التعليم . وقد سافر فعـلا أولئك الشبان الى وادلاى فمـــات منهم اثنان بوباء الجـدرى وداوم الاربعة الباقـــون الدراسة واكتسبوا بجدهم رضاء معلميهم . وأبدى كباريجا مرارا رغبته فى أن يراهم فكان كازاتى بدون أن يرفض اجابته الى مرغوبه رفضـــا باتا يشير دواما على أمين باشا بأن لا يدع هـــذه لرهـــائن تفلت من بين يديه . وبينما كانت الأحـوال تسير على هذا لنوال اذا بالمـــدير يرجـع أولئك التلاميـذ فى أواخر شهر نوفمبر ويعلن

بذلك كازاتى ويخبره فى الوقت ذاته انه أزمع السفر نحو الشمال اجابة لطلب ضباط الأورطة الأولى وان الآمال تساوره بأن يستطيع رد حاميات تلك الناحية الى طريق الواجب وان يرجعها الى رشدها . واختتم كتابه بقوله انه قد وصل اليه خطابات بواسطة قنصل الانكليز فى زنزبار من الحكومة المصرية وفرمان بترقيته لرتبة « باشا » وانه يعتمد على هذه المستندات ليؤثر على حاميات الشمال .

نصائح كازاتى لأمين باشا وازدياد سوء الحالة

وكتب كازاتى الى أمين باشا ليعرفه انه دواما مستعد لبذل كل ما فى وسعه فى سبيل معاونته فى الظروف الحرجة التى يجتازها وينصحه بأن يكون رءوفا بالضباط والمستخدمين الذين كان يعاملهم بقسوة شديدة . وتوسل اليه أن يجعل دواما نصب عينيه خبث كباريجا ومكره ذلك الملك الذى لا يمكن التغلب عليه إلا بالضغط . وطلب منه كذلك أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لارسال ساع فى كل اسبوع الى كيبيرو لحمل المراسلات وباخرة كل خمسة عشر يوما والتنبيه عليها بأن لا تقلع مراسيها إلا بعد أن يرد لها التعليمات اللازمة منه . وقد وعد أمين باشا باجابة كل هذه المطالب وزايل كيبيرو .

وفى ٢ ديسمبر أرسل كازاتى المكاتيب المطلوبة إلا أنه لم يأت رسول ولا أية اشارة تدل على قدوم باخرة . وكانت الأحوال فى أثناء ذلك تزداد سوءا على سوء . فمنع محمد برى وشخص من السودانيين من الذهاب الى قرية من القرى المجاورة يسكنها التجار العرب . وأرسلت رجال من الوانيورو الى حدود الأوغندة للقبض على السعاة الذين يحملون المراسلات

والاستيلاء عليها .

وأعطى لرجل من قبائل الشولى الثـائرين على الحكومة ١٠ بنادق بصفة هـدية وعقد هذا صـلات مع ملك الأونيورو مرتكب كل هذه الآثام .

وكان كازاتى ما زال يأمل أن تأتى سفينة وتلقى مراسيهـا أمام كيبيرو غير ان آماله كانت دواما تذروهـا الرياح . واتصـل به ان البواخر أقلعت بالمـدير الى دوفيليه لتأدية الرحلة التى كان قد عزم على القيام بهـا صوب الشمال لزيارة المحطات التى هناك وانه تركها تنتظره فى محطة دوفيليه وسافر برا الى كري لأنها لا تستطيع أن تذهب به أبعد من ذلك بسبب الشلالات ومن كري هرب ليلا ليرجع الى دوفيليه لأن جنوده توعدوه بالقـاء القبض عليه وسجنه وبعد ذلك ارجعته البواخر الى وادلاى وتأخر سفرها من هـذه المحطة بسبب الترميمات الكبرى التى عملت بها وبسبب دهانها بالطلاء لكى يكون تأثيرها أكثر فعـلا فى رحلتها القادمة فى البحيرة .

وفى ١٠ ديسمبر قـدم رقيق من أرقاء تجار العـرب وقص على كازاتى انه كان اتهم مع محمـد برى بالمؤامرة على الملك وانهما يحرضان الأهالى على الثـورة وان بينهما وبين موانجـا ملك أوغنـدة علائق سرية الغرض منها خلعه من العـرش . وقص أيضا ان الأوامر كانت قد صدرت الى أحـد الرؤساء بمحاصرة مسكنه ونفيه هـو و برى أو قتلهما ان أبديا مقاومة ولكن هـذا الرئيس أبى أن يأخـذ هـذه المسئولية على عاتقه .

ونصح كازاتى الذى ما كان يخشى شيئا على نفسه ، برى بأن يتوجه الى أصدقائه تجار العرب ويوسطهم فى الأمر لدى ذوى الحل والعقد من أرباب الدولة كى يقدموا لهم بعض الهدايا وبهذه الوسيلة ينجو من الخطر الذى يهدده . غير ان برى ظل مكتوف اليدين لأنه كان يفكر فى عاجه الذى كان مهددا بالمصادرة واقتصر على أن يتعلق بحبال الأمل عوضا عن العمل . وبذا انتهى عام ١٨٨٧ م .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول للعام القادم .

سنة ١٨٨٨ م

من

حكمدارية أمين باشا

تفقده محطات الجنوب و بحيرة البرت نيانزا
وتحريه أخبار حملة استانلى

فى أول ينـــاير بارح أمين باشا دوفيليه على ظهر الباخرة « نيـــانزا » موليـــا وجهه شطر وادلاى . وبعد أن قضى ليـلة فى الطريق وصـل الى هـذه المحطة فى اليوم التـالى . وكان الزنوج مصطفـين على الضفة بطـــول الطريق يعبرون بصياحهم ويشيرون بحـركاتهم الى ما يخالج قلوبهم من الارتياح وان قدومهم كان من أجـل التمتع بمشاهدته .

وقد وجـد فيها كل الامور سائرة بانتظام جارية فى مجـرى حسن وان القائد عمـــلا بأمره قد قطع كل الحشائش والغابات النابتة حـــول المحطة ابتغاء صونها من أخطار الحرائق وتفاديا من حدوث حريقة كالتى شبت فى العام الغابر . ولم يجد أمين باشا فيها مكتوبا من كازاتى .

وقد لبث مقـــيما فى وادلاى الى منتصف فـــبراير وبعـد ذلك سافر هـــو و فيتا حسان و عثمان افنـدى لطيف على الباخرة « الخـديو » ليتفقـد أحـوال محطات الجنـــوب و بحـيرة البرت نيـــانزا وليجـد كذلك فى لصول على أخبـار حمـلة استانلى . وكانت الباخـرة تقطر أيضا مركبـــا

كبيرا موسوقا بالمؤن للمحطات . وكانت أمواج البحيرة ثائرة فى خلال الابحار . ولما كان لا يريد الوقوف إلا فى تونجورو استمرت الباخرة فى مسيرها ليلا . وكان الظلام حالكا والرياح عاصفة تثير عباب الأمواج فتتكسر هذه على جانبي الباخرة . وطرقت آذانهم على حين فجأة صيحات يأس وفى الوقت نفسه حدثت رجة يستشف منها ان الباخرة آخذة فى الهبوط بفعل ثقل جسيم خلفها وكان الليل داجيا لا تستطيع العين أن تتبين شيئا فى ظلمائه فلم يتمكن انسان من أن يستدل على شيء من الصياح إلا أن المركب غرق وان بحارتها على وشك أن يبتلعهم اليم . وبادر نوتية الباخرة الى قطع حبل المركب المربوط بالباخرة بناء على اشارة أمين باشا فاعتدلت هذه واستوت على قاعدتها . واتخذت كل الاجراآت التي فى حيز الامكان لانقاذ الغرقى غير أنه لسوء الحظ لم يسعف منهم غير نصف عددهم .

وبعد أن أفضوا الى تونجورو أرسل امين باشا الى محل الحادثة الباخرتين بقيادة عثمان افندى لطيف لانقاذ المركب من جوف اليم . واشتغلت الباخرتان مع اربعين رجلا فى تفريغ مشحونه وتجفيف ما به من ماء واستغرق هذا العمل يومين .

ويبدو ان الله عز وجل جعل هذه الكارثة سببا لانقاذ كازاتى وذلك ان علائق هذا بكباريجا واتباعه أمست فى المدة الاخيرة شديدة التوتر . وحاول الملك اكثر من مرة التخلص منه بأن أمره بأن يلحق بجونكر فى أوغنده أو يرجع الى وادلاى . ومع ذلك آثر كازاتى ان يظل فى أونيورو .

غضب كباريجا على كازاتى واقصاؤه عن الأونيورو

وقـــد أوجد حذر الجميع من كازاتى وحدة لسانه مع كل كائن أيا كان اعداء آخرين له من جملتهم عبد الرحمن الزنبارى . فكان هؤلاء يذكون نار كراهة الملك له وغضبه عليه . ولما رأى كباريجا انه يستحيل عليه التخلص منـــه بالطرق الودية كلف وزراءه (الماتونجوليين) بتسفيره بأى طريقة كانت . ومن المحقق انهم لم يحاولوا القضاء عـــلى حياته اتقاء ما يجلبه عليهم اعدامه من الوبال والاخطار الجسام . فلقد كان غير خاف عليهم ان فى مديرية خط الاستواء العدد الـــكافى من الجنود والمدافع والاسلحة والمراكب وان فى استطاعة هذه ان تقتص من كباريجا قصاصا زاجرا اذا حدثته نفسه بارتـــكاب جريمة كهذه . وقد كان الشوليون ذاقوا من قبل مثل هذا القصاص على اثر عمل من هذا النوع قاموا به بتحريضه واغرائه . وعـــلى ذلك آثر كباريجا ان لا يخاطر باتيان عمل مثل هـــذا العمل وتقرر توصيل كازاتى الى حدود الاونيورو حتى اذا حدث له حـــادث مكدر عند ذلك يستطيع كباريجا ان ينفض يديه ويتخلص من تبعته .

وقد نفذ هذا القرار . وبعد أن تحمل كازاتى آلاما مرة ترك بين حى وميت على ارض مملكة الشولى فى جوف البطاح والغدران الواقعة على ضفة البحـــيرة . وبينما كان يسير متغلغلا فى تلك النواحـــى والزنوج يقتفون أثره إذا به يسمع صـــوتا فى كوخ يتحدث باللغـــة العربيـــة . وتبين ان هذا الصوت صوت أرملة المرحـــوم مرجان افنـــدى الدناصورى قومندان أمادى سابقا فدلته على الطريق وأفهمته ان

البواخر فى البحيرة .

إنقاذ كازاتى وارجاعه الى تونجورو

وعول كازاتى على ما أسدته له تلك المرأة التى حبته بها العناية الالهية من الارشادات . ولما وصل الى شاطىء البحيرة حل فضل هندى الدنقلاوى وهو رجل من الرجال المرافقين له مركبا لأحد الشوليين وأبحر عليه ابتغاء الوصول الى نقطة تونجورو . وفى اثناء الطريق وقع نظره على الباخرتين اللتين كانتا مشتغلتين فى انقاذ المركب وأفهم عثمان افندى لطيف الموقف الحرج الذى فيه كازاتى . وعثمان افندى احاله على امين باشا فى تونجورو . وهذا انتقل فورا هو وفيتا حسان على مركب فضل الى حيث توجد الباخرتان ومن هذه الناحية ابحرا على الباخرة نيانزا . وبعد بحث طويل وجدوه فى اليوم التالى هو والجندى خورشد طاهر و ١٥ زنجيا وكان كازاتى يوشك ان يكون عاريا من الملابس غير انه كان معه لحسن حظه حذاء انكليزى وفى قدميه بينما خورشد المسكين وهو رجل جركسى وصل حافى القدمين ورجلاه متورمتان فى حالة يرثى لها .

وعندما نزلا فى الباخرة عملت لهما (اى خورشد وكازاتى) الاسعافات التى تتطلبها حالتها . وحالما امتلك كازاتى صحته قص على أمين باشا و فيتا حسان ما وقع له . ذلك انه فى ٩ يناير صدر له الأمر هو و برى بأن يذهبا الى رئيس البناسورا فاستشفا من خلال هذا الطلب الضربة المزمع توجيهها اليهما الا انه لم يكن فى استطاعتهما ان يتجنباها . وصدعا بالامر وان هو الا ان وصلا الى اكواخ هذا الرئيس

حتى اعطى اشارة واذا بعدد كبير من الرجال مسلحين انقضوا عليهما وجردوهما من ملابسهما وربطوا كل واحد منهما فى شجرة . ولم يجرد كازاتى وخادمه تجريدا تاما فكان ذلك دلالة على ان الامر لم يصدر باعدامهما لانه لو كان مقضيا عليهما بهذا العقاب لكانت ملابسهما قد نزعت كما هى العادة المتبعة فى الاونيورو وهذا ما حدث لبرى المسكين إذ جردوه من كسائه قاطبة .

وكانت تهمة كازاتى انه حشد فى مسكنه جنودا من جنود المديرية بقصد محاولة احداث انقلاب فى حكومة الاونيورو ولم يربطوه فى الشجرة إلا من أجل ان يحققوا ما نسب اليه بتفتيش اكواخه . وبعد ان اتموا هذه العملية طردوه فى اتجاه كيبيرو واعطيت التنبيهات بأن لا يعطى ولا يباع له شيء فى الطريق . وهذا ما حصل إلا أنه لدى وصوله عند هذه الناحية الاخيرة اعطاه رئيسها قوتا . وبعد مسيرة خمسة ايام بلغ شاطىء البحيرة وكانت نجاته من الموت على يد تلك الارملة كما سبق أن فصلنا ذلك .

سفر أمين باشا للبحث عن استانلى

وقال كازاتى عند مقابلته لامين باشا ان استانلى على مسافة غير بعيدة . وعلى ذلك أبحر امين باشا ومعه فيتا حسان على الباخرة الخديو قبيل منتصف شهر مارس موليا وجهه شطر قسم البحيرة الجنوبى الغربى ابتغاء بذل ما فى وسعه فى سبيل استنشاق اخبار استانلى وذهب من مسوه الى نسابى Nsabé حيث قيل له انه يوجد بالفعل اناس من البيض على مقربة من هذه الجهة . ومعنى ذلك فى عرف البعض مسافة شهر وفى عرف البعض الآخر

شهرين أو ثلاثة .

واستمروا فى السير كذلك فى اتجاه الجنوب الى ان بلغوا نقطة لا تستطيع الباخرة ان تتجاوزها لقرب غور مائها وعندئذ نزلوا فى مركب ورسوا عند قرية اخبرهم كبيرها ان بيضا قدموا حقيقة وهم يبحثون عن بيض آخرين واستطرد فقال انهم لم يذهبوا بعيدا . وقال انه سيأتيهم بنبئهم اذا كان فى عزمهم الرجوع بعد ١٥ يوما .

وترك امين باشا لذلك الكبير خطابا برسم استانلى مؤرخا فى ٢٦ مارس قال فيه انه نظرا لاذاعة اشاعة مقتضاها ان رجلا ابيض ظهر فى طرف البحيرة الجنوبى قد قدم على ظهر باخرته ليتحقق من صدق هذه الاشاعة ولكنه استحال عليه ان يعرف من هو ذلك الابيض أو ان يستقى عنه مفصلات لأن الاهالى يخافون من كبارها خوفا شديدا . وانه مع ذلك ترك هذا الخطاب الى كبير الناحية ليسلمه اليه اذا رجع وانه يرجوه ان يواصله بأخباره .

رجوعه الى تونجورو وتسلمه خطابا من جفسن أحد أعضاء حملة استانلى

وبعد ذلك رجع امين باشا الى تونجورو غير انه قبل انتهاء الـ ١٥ يوما أغار الوانيورو على البلد وصيروها خرائب وأطلالا وذهبت كل محاولة ومجهود فى سبيل البحث عن حملة استانلى ادراج الرياح والسبب فى ذلك انما يرجع الى جهل الزنوج . ولكن قبيل آخر أبريل وصل من مسوه الى تونجورو على حين فجأة ترجمان يقال له واد الجارا Wad El Gara

ومعه خطاب برسم امين باشا عنوانه بالانكليزية وذكر أن ذلك الخطاب مرسل من شخص أبيض قدم الى شكرى افندى وان هذا الابيض معه العسكرى السودانى سرور و بنزا Binsa اللذان كانا قد سافرا مع جونكر الى مصر . ففض امين باشا هذا المكتوب فوجده من جفسن Jephson احد اعضاء حملة استانلى وفيه يحيطه علما بخبر بلوغه مسوه وبلوغ استانلى كافالى Kavalli الواقعة فى جنوب غرب البحيرة ويطلب منه أن يحضر اليه لأنه قد أعياه التعب ورثت ثيابه .

ارسال أمين باشا أحد الضباط لمعاونة جفسن

وكانت الطريق من تونجورو الى مسوه صعبة المسالك فى البر وكان امين باشا قد سلكها مرة ابتغاء القيام باستكشافات علمية إلا أنه ما كان يود أن يسلكها مرة أخرى رغم رغبته الشديدة فى مقابلة جفسن . فكتب اليه انه فرح بقدوم الحملة ويتمنى له الخير ويرحب بمجيئه غير انه نظراً لرداءة الطريق من البر قد التزم ان يترقب وصول الباخرة ليسافر الى مسوه . وقال له امين باشا فى الوقت نفسه انه أصدر أمراً الى شكرى افندى بأن يضع نفسه تحت مطلق تصرفه فى كل ما يحتاج اليه وان حامل اجابته الملازم الاول سليمان افندى مرسل لخدمته الى أن يصل .

وسليمان افندى هذا الذى عينه امين باشا لهذه المهمة هو رجل مصرى والسبب فى اختياره لها معرفته بطرف من اللغة الفرنسية . وقد دون جفسن عند وصوله اليه فى مذكراته الملاحظة الآتية وهى :ـــ

« ان سليمان افندى رجل مصرى جميل المنظر وكسوته العسكرية بيضاء لا عيب فيها » .

وفى ٢٦ أبريل تلقى امين باشا من سليمان افندى خبر وصوله الى مسوه وقال ان جفسن ينتظر بفارغ الصبر ان يراه . وتلقى امين باشا فى الوقت نفسه من جفسن خطابا ذكر فيه انه يكون سعيدا بأن يحظى بمقابلته . وأنهم قضوا فى سفرهم هذا شهورا كثيرة فى قلب غابات لا نهاية لها وعانوا أهوالا جمة فى سبيل الوصول اليه وانه كتب لاستانلى يخبره بأن صحته « أى صحة أمين باشا » جيدة وانه يتمنى أن يراه فى القريب العاجل .

سفر أمين باشا لاستقبال جفسن
وتسلمه منه خطاب استانلى

وفى ٢٧ أبريل وصلت الباخرة « الخديو » الى تونجورو فأمر أمين باشا بتفريغ حملها فى الحال وأن ينزل فيها الوقود غير انهم ما استطاعوا أن يجعلوها على أهبة الاستعداد للسفر إلا فى منتصف النهار . وأبحر عليها هو و كازاتى و فيتا حسان . وعند الساعة السادسة والنصف أدركوا مسوه وكان الظلام كاد يرخى سدوله . وكان جفسن منتظرا على الضفة هو والجاويش بخيت وثلاثة جنود وبعض من الزنزباريين . وتصافح أمين باشا و جفسن وقدم الأول للثانى كلا من كازاتى و فيتا حسان وسلم جفسن الى أمين باشا خطابا من استانلى الذى كان فى جنوب البحيرة وعم الجميع الغبطة . وبعد أن تجاذب أمين باشا و جفسن أطراف الحديث زهاء ساعة افترقا .

ما احتـــواه خطاب استانلى
وما قـــاله أمين باشا بصدد حملتـــه

واطلع أمـين باشا على خطـــاب استانلى وهـــو يتضمن وصف سفره ابتداء من الكنغو مع كافة البيـــانات والتفصيلات الخاصة باجتياز الغابة الكبرى وبلوغه فى أول مرة بحـــيرة البرت نيانزا وذكر الآلام الشديدة التى عانتها الحملة وقال استانلى انه فقد خلقا كثيرين واضطر أن يتخلى عن جانب كبير من الأحمال وأن الحمـــلة انشطرت الى ثلاثة أقسام كل منهـــا فى نقطة فالقسم الأكبر فى يامبويا Yambuya والقسم الثانى مع المرضى وبعض من الرجال الأصحاء فى حصن بودو Bodo . أما هو فمع الدكتور بارك Parke و ١٥٠ نفسا على ضفة البحيرة بالقرب من نسابى . ثم استطرد فقال ان حملته ليست فى حالة تستطيع معها ان تمد أمينا باشا بأقل مساعدة وانه لا يقدر أن يتنازل له إلا عن بعض المـــؤونة التى أحضرها من القاهرة . وانه مع ذلك اذا أراد أمـــين باشا و موظفوه مبارحة البلد فهو يتعهد بارجاعهم الى ديار مصر . وكذلك يتضمن الخطاب ان استانلى أحضر لأمـــين باشا مكتوبا من الخديو وآخر من نوبار باشا وان الحكومة المصرية تخلت من مدة طويلة عن ممتلكاتها فى السودان . واختتم كلامه بأن قال لأمين باشا انه لا ينبغى ان ينتظر قدوم حملة اخرى غير هذه لنجدته .

وقال فيتا حسان ان أمينا باشا بعد ان تلا الخطاب طرحه جانبا بشدة قائلا بصوت مكتئب : « انى اذا كنت انتظرت بفارغ الصبر حملة استانلى فمـــا ذلك إلا لأنى كنت أؤمل أن تصل إلى امداد وذخيرة . فبعد ـ حملت نفسى العناء الجم في سبيل امتـــداد المديرية وبسطها وتنظيمها

وانشاء محطـــات فى كل موضع واخضاع معظم القبائل التى تحيط بهـــا يطلبون منى الآن أن اتخـــلى عن كل هـذا وأتركه واسافر . كلا فلن يحدث هذا !! ليس هذا الذى كنت أترقبه من حملة استانلى . وليس هـذا هو الغرض الذى جــاءت من أجـله على ما اعتقد . فـاذا تركت البلد الآن فـماذا تفعل القبائل البائسة التى خضعت لحكومتنا واستظلت برايتها وساعدتنا مساعـدة لا تقـــدر ؟ انها بلا ريب تتلاشى أو يفنى العـدد الأكبر منها بيد رجال كباريجا أو بيد أعدائنا الآخرين . ومن الاجرام تركهم وشأنهم تلعب بهم يد المقادير بعد أن عاونونا » .

ما أبـــداه كازاتى و فيتا حسان

عن حمـــلة استانلى

وطلب أمين باشا من كازاتى و فيتا حسان ابداء آرائهما . فقـال الاول : « ان الأقامة بخط الاستواء أمست خطرة وخطرهـــا يعادل عدم فائدتها لاسيما بعد أن تخلت الحكومة المصرية نهائيـــا عن السودان . أما اذا كانت المسألة هى مسألة الرجـوع الى ديار مصر لحمـــلة استانلى لا تفيدنا أية فائدة وما كان لنا بها من حاجة . وأحسن شىء يعمل الآن هو البحث عن استانلى ومساعدته وتسلم ما معه من الذخـيرة والمراسلات وعنـــد ذاك يقدر أمين باشا أن يقـــول له : ان قافلتك ضعفت ووهنت كثيرا والسفر عن طريق يامبويا طويل شاق وان الأفضـــل لك أن تنضم الى القسم الأكبر من حملتـــك فى أرض الكنغـو بينما نحن يـكون فى امكاننا أن نسافر فى نفس ذلك الاتجاه عن طريق مكراكا و ممبتو . فاذا كان استانلى يصل قبلنا الى يامبويا فليس ثمت حاجة لأن ينتظرنا أما اذا سبقناه نحن فأمين

باشا يقدر أن يقول له : اننا سننتظره لكي نرجع معا .

« ولكننا اذا سافرنا منفردين يمكننا أن نتخذ طريقا أحسن كثيرا من الطريقين المار ذكرهما إذ فيها نجد ما يلزمنا من الزاد والحمالين . ولغاية حدود ممبتو التي هي أبعد من نصف الطريق قليلا نسير فوق نفس أرض مملكتنا لأن البلد الى الآن ما زال تابعا للحكومة المصرية . وفوق ذلك فان جنودنا لا تمانع في اتخاذ هذا الطريق وتفضلها على غيرها ولا تقبل بكل تأكيد اتخاذ طريق آخر فهم يعرفون مكراكا و ممبتو ويعلمون انهم يجدون فيها كافة ما يلزمهم وعدا ذلك يمكنهم فيها ان ينضموا الى الحاميات وأسر جنودها » .

ويتضح مما أبداه كازاتي ان حملة استانلي كما يستطيع المرء أن يستنتجه لدى وقوع نظره على جفسن و الزنزباريين الذين معه وما هم عليه من سوء الحال والجوع والعرى ، لا تقدر بأى حالة من الأحوال أن تأخذ معها كل المسافرين من خط الاستواء ومجموعهم يبلغ زهاء عدة آلاف سواء أكان ذلك باتخاذ الطريق التي اختارها استانلي في المجيء أم باتخاذ الاخرى التي ينوى أن يسلكها في الاياب . إذ في الحالتين يعسر كثيرا العثور على زاد يكفي جماعة هكذا كثير عديدهم . لذلك رأى تفضيل الطريق الذى اقترحه من كل الوجوه اذا تقررت مبارحة البلد ..

أما فيتا حسان فأبدى رأيه بالكيفية الآتيــة قال : « ان رأيه معلوم وهو أنه بلا امتراء يأسف لمبارحة البلد . واذا كان من المحتم الانسحاب فهو يشارك كازاتي فيما ارتآه . وان كل الأدلة ناطقة بأوفقية هــذا الطريق الذى ربما كان في اجتيازه سلامتنا ونجاتنــا . وان أمينا باشا يعرف

ان الأورطة الأولى لا تقبـــل كلاما بصـدد السفر صوب الجنـــوب وانه لا يوجد هنـاك من يسير بصحبته فى ذلك الطريق . أما اذا قــــرر السفر فى اتجـــاه الشمال واعلن السفر عن طريق مكراكا و مبتو فقراره يقـابل بحماس . وهـو يعتقد فوق ذلك ان الموظفين و الجنـود السودانيين نظرا لما هم عليه من الوثوق بسمو منزلة الحكومة المصرية يصعب عليهم أن يصدقـوا أن استانلى وجماعتـه وهم على ما يرونه فيهم من الجـوع والعرى يمكن أن يكونوا مرسلين من قبل الخـديو . وهكذا تنبعث الريب والظنـون فى نفوسهم وتدعو الحالة مرة اخـرى الى اجتيـاز نفس الصعاب التى ما زالت عالقـة بالبـال . ومن رأيه أيضا انه لا يجب السماح لأى انسان كان ان يحظى بشرف انقـاذهم ما دام يكون فى استطاعتهم ان ينقذوا أنفسهم بانفسهم بدون معاونة غيرهم وبطريقة ربما كانت اضمن لنجاتهم وسلامتهم . وذهب الى ابعد من ذلك وقال : ان حمـــلة استانلى وقد انخفضت الى عددها الحـالى يبدو له ان فيها خطرا عليهم لانه ذاع وشـاع بين النـــاس ان الحملة هلك منها كثيرون من الجوع والنصب وحسبك أن تعرف ان ٦٠ جنديا سودانيـا سافروا من مصر فلم يبق منهم إلا ١٨ جنديا اصحاء . ولا يمكن ان تقع مثل هـــذه الاخبار من نفوس رجال المديرية وهم يعيشون هنـا فى رغـد من العيش موقعا حسنا . فقـــد مر عليهم خمسة أعـوام وهم منقطعون عن العـــالم انقطاعـا تـاما ومع ذلك فـلابسهم لو قيست بمـلابس رجـال استـانلى لعـدت ثيـابا من زخرف وكل ذلك لا يمكن أن يبث شيئـا من الطمأنينـة والثقة فى روع رجالنا المطبوعـين على الحذر الذين لم يضربوا فى سبل المدنية إلا بسهم صغير .

سفر أمين باشا لمقابلة استانلى

وبدا لهما أن أمينا باشا يشاركهما فى الرأى . ولما كان الوقت قد تقدم ودقت الساعة الحادية عشرة مساء افترقوا . وارسل أمين باشا فى غداة اليوم التالى ـ ٢٨ ابريل ـ الى حواش افندى و سليم افندى و كودى افندى امرا خطيا بان يسرعوا على قدر الامكان بالقدوم الى مسوه ليرافقوه فى الذهاب عند استانلى . وأخذ معه من محطتى تونجورو ومسوه كمية من نسيج الدامور والجوخ ووزعها على الزنزباريين وجنود جفسن واحتفظ بالباقى لجفسن و استيرز Stairs و بارك . وتبادل أمين باشا الحديث مرة اخرى مع جفسن قبل أن يسافر . وقال فى مفكراته التى نقلها عنه شويتزر Schweitzer فى كتابه « حياة أمين باشا ج ١ ص ٢٧٠ » انه يبدو ان القلق سائد فى القاهرة بخصوص مغادرته مديرية خط الاستواء . وهذا صحيح الا ان القلق لم يكن سائدا فى نفس الحكومة المصرية بل فى نفس هؤلاء الذين كانوا سيحلون محلها .

وتزودت الباخرة الخديو بالوقود ووسقت بالمؤن والمواشى والطيور برسم استانلى وأتباعه . وفى ٢٩ منه نزل فيها أمين باشا و جفسن و كازاتى و فيتا حسان وولوا وجوههم شطر نسابى فدخلوها فى الساعة السادسة والنصف مساء . وحيا الزنزباريون قدوم أمين باشا مرات بطلقات عديدة . ولبث فيتا حسان بالباخرة أما أمين باشا و كازاتى فنزلا الى البر وذهبا لزيارة استانلى الذى كان قد جعل مركزه على بعد نصف ساعة من المحطة فقابلهما بالبشاشة والترحاب وكان بصحبته الطبيب بارك . أما الاوربيون الآخرون فقد كانوا تخلفوا مع الامتعة . وكان وصول استانلى عقب سير



أول مقابلة من أمين باشا و كازاتى لاستانلى فى ٢٩ أبريل سنة ١٨٨٨ م

حيث قاسى فى خـــلاله رزايا ومحنا يشيب لهولها الولدان وهلك منـه خلق كثير جوعا . وطـال بينهم الحديث واستمر الى ان انقضى المزيـع الأول من الليـل حتى أن أمينا باشا و كازاتى لم يرجعا الى الباخـــرة إلا فى منتصفه . واحضرا معهما طـــردين صغيرين تسلماهما من استانلى وكان أحدهما يشتمل على منسوجات وجوخ وملابس وغيرهـا وكلها تالفة من الرطوبة والثانى به جملة جرائد ومكاتيب برسم أمين باشا و كازاتى من اصدقـائهم فى اوربا وأمر من سمو الخـــديو توفيـق وخطـاب من نوبار باشا رئيس مجلس النظار .

وهذا نص الأمر الذى أرسله اليه الخـــديو توفيق فى ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ هـ ـ أول فـبراير سنة ١٨٨٧ م ـ « وقد وجد مقيدا بالدفاتر تحت نمرة ٣ » :ـــ

الى محمد أمين باشا مدير خط الاستواء

قـد سبق اننا شكرناكم على بسالتكم وثباتكم أنتم والضباط والعساكر الذين معكم وتغلبكم على المصاعب وكافأناكم على ذلك بتوجيـــه رتبة اللواء الرفيعـة الى عهدتـكم وصدقنـا على جميـــع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضابطان كما أخطرناكم بأمرنا العالى الصـــادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ٨٦ نمرة ٣١ سايره (١) ولا بد أنه وصل اليكم أمرنا المشار اليه مع البوستة المرسلة من طرف دولتلو نوبار باشا رئيس مجلس نظار حكومتنا . وبما ان ما بذلتموه من حسن المساعى وما كابدتموه من الأعمـــال الخطيرة التى قمتم بها قـد

(١) — بحثنا عن هذا الأمر فى دفاتر دار المحفوظات المصرية بالقلعة فلم نعثر عليه .

استوجب زيادة محظوظيتنا منكم أنتم والضباط والعساكر الذين معكم فقد تروت حكومتنا فى الكيفية التى يمكن بهـا إنجادكم وتخليصكم مما أنتم فيه من المشقات . والآن قد تشكلت نجدة تحت رياسة جناب المستر استانلى العالم الشهير والسائح الخبير الذائع صيته بين الممالك بكمال فضله على أقرانه . واستعدت هـذه الرسالة للذهاب اليكم ومعها ما أنتم فى حاجة اليه من المؤونة والذخائر بقصد حضوركم أنتم والضباط والعساكر الى مصر على الطريق الذى يتراءى للمستر استانلى المومى اليـه أنه اكثر موافقة وأسهل عبورا . وبنـاء عليه أصدرنا أمرنا هذا لكم ومرسلينه بيد المستر استانلى المومى اليه إعلاما بالكيفية . فبوصوله تبلغونه الى الضباط والعساكر المومى اليهم وتقرئونهم سلامنا العالى ليحيطوا علمـا بما ذكر . واننا مع ذلك نترك لكم وللضباط والعساكر المومى اليهم الحرية التامة فى الاقامة أو تفضيل اغتنام فرصـة الحضور مع هذه النجدة المرسلة اليكم . وقد قررت حكومتنا بأنها ستصرف لكم ولجميع المستخدمين والضابطان والعساكر كامل ماهياتهم ومرتباتهم المستحقة . أما من يريد البقاء فى تلك الجهـات من الضابطان والعساكر فله الخيار انما يكون ذلك تحت مسئوليته وبارادته المطلقة ولا ينتظر بعد ذلك أدنى مساعدة من الحكومة . فافهموا ذلك جيدا وبلغوه بتمامه لسائر الضابطان والعساكر المذكورين ليكون كل منهم على بينة من أمره . وهذا كما اقتضته إرادتنا »

خطاب نوبار باشا الى أمين باشا

وهـذا نص الخطاب الذى أرسله اليـه حضرة صاحب العطوفة نوبار باشا رئيس مجلس النظار فى ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ ﻫ (٢ فبراير سنة ١٨٨٧ م)

وقد وجد بدفتر صادر رياسة مجلس النظار سنة ١٨٨٧ م تحت رقم ٢ :ـــ

سعادة أمين باشا مدير خط الاستواء .

قد بعثنا لكم بواسطة قنسلاتو انجلتره زنجبار كتابا من الحضرة الخديوية تشكركم به على حسن مساعيكم وعلى الأعمال الخطيرة التى قمتم بها أنتم والضباط والعساكر وتمدحكم على ثباتكم وبسالتكم وتغلبكم على المصاعب المحدقة بكم . وانها إيذانا لحظوظيتها منكم قد أحسنت عليكم برتبة اللواء الرفيعة وأقرت على جميع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضباط . وكنا أفدناكم بأنه سيصير ابعاث نجدة لكم فالآن هذه الرسالة قد تشكلت تحت رياسة المستر استانلى الذى يسلمكم خطابنا هذا مع ارادة سنية من الحضرة الخديوية . وهذه الرسالة قد تشكلت واستعدت للذهاب اليكم ومعها المؤونة والذخائر التى أنتم فى حاجة اليها ولتحضركم أنتم والضباط والعساكر الى مصر عن الطريق الذى يتراءى للمستر استانلى أنه اكثر موافقة . ولا لزوم لاسهاب الشرح عن الغاية المقصودة من هذه الرسالة إلا أن الحضرة الخديوية تترك لكم وللضباط وللعساكر الموجودين معكم الحرية التامة إما بالاقامة فى الجهات الموجودين بها وإما باغتنام الفرصة للحضور مع النجدة المرسلة اليكم . إنما يلزم ان تعلموا وتفهموا ايضا جميع الضباط والعساكر وخلافهم بأنه اذا كان البعض منهم يروم البقاء فى الجهات الموجودين بها فله الخيار فى ذلك . إنما يكون ذلك تحت مسئوليته وبمطلق إرادته وانه لا ينتظر فيما بعد أدنى مساعدة من الحكومة . فهذا ما تريد الحضرة الخديوية أن تفهموه جيدا لمن يريد البقاء هناك ولا حاجة لى بأن أخبركم

بأنه ستصرف لكم أنتم وجميع الضباط والعساكر والمستخدمين ماهياتكم ورواتبكم المستحقة لكم إذ أن الحضرة الخديوية قد أقرت على رتبكم . هذا وانى اتأمل بأن مستر استانلى يراكم جميعا بغاية الصحة والسلامة فان هذا هو أقصى رغبتنا وما نشتهيه لكم من كل قلوبنا »

رئيس مجلس النظار

« نوبار »

قدوم استانلى ومقابلة أمين باشا له
وما دار بينهما حول مغادرة المديرية

وفى يوم ٣٠ أبريل قدم استانلى على نقالة يحملها جماعة من الزنزباريين لأن رجله كانت مرضوضة ، لزيارة أمين باشا . وكان الاعياء والتعب ظاهرا عليه وكان يبدو أن سنه تزيد عن عمره الحقيقى وهذا أمر يمكن أن يدركه بسهولة من عرف المتاعب الهائلة التى عاناها فى سفره الشاق . وتناول استانلى الطعام مع أمين باشا واستقبل الضباط الموجودين . ولما كان معسكر نسابى قائما فى أرض ذات غدران ومستنقعات غير صحية قام أمين باشا و استانلى بجولة صغيرة على ساحل البحيرة لاستكشاف موضع يكون اكثر صلاحية فتكلل سعيهم بالنجاح ونصب كل منهما معسكره فى المكان الذى وقع اختياره عليه .

وفى أول مايو ذهب أمين باشا لمقابلة استانلى وطلب هذا من الأول أن يكاشفه بما عقد عليه النية وهل صحت عزيمته على السفر أو البقاء . وقال له استانلى ان لديه اقتراحين يقدمهما له غير انه لا يستطيع عرضهما عليه

قبل أن يعرف ما استقر عليه رأيه فجاوبه أمين باشا انه لا يمكنه أن يصدر قرارا باتا قبل أن يعرف نيات اعوانه وما يبدونه من الرأى . فاذا كان هؤلاء يبغون الاقامة فهو يظن ان يبقى كذلك بشرط أن رافقوه الى جهة يكون الاتصال منها مع العالم ميسورا . وهذه الحالة غير متوافرة فى الجهات التى كانوا فيها لانه عندما ينسحب استانلى وحملته ينقطع بحكم الطبع كل اتصال بالعالم .

وسأله استانلى فى أثنـاء الحديث كيف يكون الحال اذا أوجد له انسان اجرا كافيا وكذلك مبلغا سنويا للقيام بنفقات جنوده . وهل ترغبه منحة كهذه فى البقاء . فأجابه أمين باشا جوابا سلبيا قائلا ان عملية التموين فى المواضع التى كانوا فيها والحالة على ما كانت عليه ، من المستحيلات . وقبول اعانة من هذا النوع وفى هذه الظروف يعد اختلاسا لاموال أولئك الذين يدفعونها .

وأوضح استانلى انه فى حيز الامكان احتلال ركن بحيرة فكتوريا نيانزا الشمالى الشرقى ومنه يمكن فى الحـال ترتيب المواصلات بسهولة . وذكر أن هذه الجهة صحية وانه يعتقد أن مشروعا كهذا يلقى معاضدة من انكلترا بسرعة (١) . وارتأى أمين باشا أن هذا المشروع فى متناول اليد للغاية ومن السهل تنفيذه فارتاحت له نفسه وانشرح صـدره . وسر سرورا لا مزيد عليـه إذ رأى استانلى الذى كان من دأبه التحرز لدرجة كبرى يهتم به كل هـذا الاهتمام . ثم دار الحديث بعد ذلك حول

(١) — هذا المشروع انما يلقى معاضدة انجلترا له بالطبع لمطامعها فى هذه الجهة كما لا يخفى .

شئون اخرى .

زيارة استانلى لأمـــين باشا
ومفاتحته فى أمر الانسحاب الى مصر

وفى ٢ مايو أتى استانلى لزيارة أمين باشا وأحضر له الرئيس كافاللى وهـذا الرجل كان قد حاز اعجاب الجميع نظرا للخـدم التى أداها للحمـــلة . وأصغى أمين باشا للقصة الطويلة العريضة التى أبداها كافاللى بالشكوى فى حق أخيـه لـكنه ارتأى انه يجب عليـه أن يتجنب التدخل بينهما رأسا . واعرب عمـــا يخالج أفكاره بصدد ما قد يحيق بأهــــالى هذه النواحى من البؤس والشقاء الذى لا حـــد له اذا نفذ أمر الخـديو وانسحب بجنوده . لأن كباريجا لا يتأخر عندئذ لحظة هـو وأتباعه عن أن ينقض على البـلد ويخربها ويبث الأحزان فى قلب كل من كان مواليا له . وكانت هذه المسألة تتراءى له فى شكل مزعج حتى انه لم يستطع أن يمحوها من فكره وأخـيرا منح الرئيس كافاللى بعض الهدايا فأخذها وانصرف .

وفاتح استانلى مرة اخرى أمينا باشا فى ذلك اليـــوم فى الاقتراحـات التى اقترحها عليـه فى العشية ولكن هذا أبى أن يبت فيها بأى وجـه من الوجـوه ووعد مع ذلك انه حـــالما يستقر رأى أتباعـه على أمر يبلغـه إياه بلا توان . وصرح بأنه مستعد تمـــام الاستعداد لأن ينفذ أمر الخـــديو بالانسحـاب الى مصر بشرط أن يقبـل ذلك اتباعه . أما اذا أبوا فعنـدئذ يكون من واجبـه بالطبع ان يفكر أولا فى المصريين الذين بالمديرية وفى أمر نقلهم .

وكان أمين باشا يحدث نفسه قائلا ان جميع اعضاء حملة استانلى يميلون ميلا خاصا لاقناعه بالانسحاب الى مصر أو الى انكلترا (١) .

وكان استانلى قد طلب من أمين باشا مرارا وتكرارا الوقوف على ما انتواه كازاتى فكان يجيبه فى كل مرة انه يجهل ذلك جهلا تاما . ولما أعاد على أمين باشا هذا السؤال فى ذلك اليوم عرض عليه ان يسأله هو نفسه فتعلل استانلى بانه غير ملم باللغة الفرنسية إلا قليلا فقدم أمين باشا نفسه للترجمة . وفى مساء اليوم عينه رجع أمين باشا الى استانلى وأخذ معه كازاتى ولما طرحت على كازاتى هذه المسألة قال انه سيحذو حذو أمين باشا .

وقدم جفسن فى اليوم التالى الموافق ٣ مايو ليتبادل مع أمين باشا الحديث وفاتحه هو الآخر بصدد مشروع بحيرة فكتوريا نيانزا الذى كان عرضه عليه استانلى والذى حسبما ابداه جفسن كان حائزا اعجاب استانلى التام . وجال فى خاطر أمين باشا اثناء الحديث ان المشروع المعروض عليه ربما لا يكون فى جوهره الا مشروعا لتحقيق اغراض ساسة وتجار انجلترا . ثم دارت المناقشة فيما يمكن القيام به من الاعمال كانشاء سكة حديدية وايجاد بواخر وغير ذلك الا ان اهم ما شغل البال فى هذا الحديث هو تكرار جفسن لأمين باشا قوله الاوفق ان يترك مديرية خط الاستواء ويعود الى ديار مصر أو لندن .

---

(١) — هذه كانت رغبة الانكليز بالطبع حتى تخلو هذه المديرية من الجنود المصرية فتلتهمها مطامعهم الاستعمارية وهذا هو الذى حصل فعلا ويالالاسف .

افضاء استانلى لأمين باشا بدخيلة نفسه وحقيقة مهمته

وفى ٤ مايو قدم استانلى ليرى أمينا باشا ويحادثه بشأن موقفه فطلب منه أن يجاوبه اجابة شافية وخالية من كل لبس وابهام عما اذا كان قد عقد النية على البقاء أو عزم على السفر وذلك بدون انتظار ما يستقر عليه رأى رجاله .

وهاك ما أجاب به أمين باشا :ــ

« لقد فوض الينا الخديو أنا ومن بمعيتى الأمر فى سفرنا أو بقائنا . ومعنى هذا انه يوجد هنالك ريب فى ولائنا . وفى ذلك جرح لاحساسنا لا سيما ونحن ما زلنا للآن مخلصين . ولكن هنالك شىء آخر وهو مسألة المسئولية التى لا استطيع ان احملها على عاتقى . فمن الواضح فى نظرى تمام الوضوح ونظر اتباعى أيضا ــ انه بعد سفر الحملة لا يمكننا الاقامة هنا بعيدين عن كل اتصال محرومين من جميع وسائل المواصلات الا انه مع ذلك اشك كثيرا فى انه يقوم فى نفس اتباعى الاهتمام أو حتى الرغبة فى الذهاب الى مصر ويستثنى من ذلك المصريون . وهؤلاء كما سبق أن عرفتكم انا مستعد ان اسلمهم لكم لتوصلوهم الى ديار مصر . ولو كان الخديو الذى لم يقطع بكل تحقيق كل أمل من احتلال السودان ثانية أمرنى بأن أجمع جنودى فى نقطة ادنى الى البحر من هذه أو فى موضع تكون المواصلة منه اكثر سهولة وأنتظر هنالك اوامره لكنت أذعنت لامره ولكان جنودى حذوا حذوى واقتفوا اثرى . وانى متحقق من ذلك كما انى متحقق من كرههم الذهاب الى ديار مصر اللهم الا النزر

اليسير وهم الذين من هذه الجهـــة . أما فيما يختص بى أنا شخصيا فالامر هين لين . ذلك انى لا ارغب قط التوجـــه الى مصر . غير انى اتحاشى أن اتدخل فى أى أمر كان . أما انت يا استانلى فقد وعدتنى بان تدع معى جفسن والثلاثة الجنود السودانية الذين قـــدموا بمعيته من مصر . وذلك اثناء ذهابك للبحث عن اعضاء الحملة الآخرين . وعليك ان تزوده بنداء توجهه الى اتباعى وتذكر فيه رغبة الحكومة وبذا يعلم جفسن ما يريده وما يبتغيه أولئك الاتباع . فاذا عزموا الرحيل فانا اكون أول من يقودهم فى سفرهم . أما اذا كان المصريون وفئة قليلة من السودانيين هم فقط الذين يريدونه فانا اسلمهم لك وابقى اذ لا ينبغى أن اترك اناسا قـــد سبق أن اعطيتهم وعدا بالبقاء . ولا ينبغى للخـــديو ان يغضب من اجل ذلك وانى لا استطيع أن اعده بان استمر مقيما هنا لاضطرارى ان اجد محلا آخر استطيع منه المخابرة مع العالم . اما اذا كان الوصول الى ذلك المكان عن طريق ممبتو أو بحيرة فكتوريا نيانزا أو بحيرة تانجانيقا فالمسألة تحتـــاج الى وقت وتفكير » .

وقد سمع استانلى هذا القول باصغاء تام وبعد أن سكت بعض لحظات جاوب أمينا باشا بما يأتى :

« لقـــد فهمت مما سمعته منك الآن انك لا ترغب مطلقا الرجوع الى مصر وانك تريد الاقامة هنا اذا وجـــدت لك عونا . وانا اعتبر الخطة التى عقدت النيـــة على اختيارها بصدد جنودك وما يوجه اليهم من الاسئلة هى خطة قويمة . فاذا كانت الجنود تقرر الاياب الى مصر فعندئذ يكون من واجباتك ومن واجباتى انا ايضا أن نقتادهم اليها . اما اذا كانت الجنود

أو على الأقـــل الأغلبيـة المطلقـة منهم تأبى السفر وتؤثر ان تلبث تحت قيادتـــكم وتأتمر بأوامركم وتذهب معكم اينما تريدون فعند ذاك تنفصم عرى رابطتكم بالحكومة المصرية فعلا ولا يكون لكم بهـــا صلة . ولما كان هذا الأمر قد يمكن ان يحدث فلدى اقتراحان يلزمنى أن اعرضها عليكم . ولوثوقى بما تحليتم به من الشرف اتقـــدم وابادر باحاطتكم علما بهما مذ الآن . وانى بالطبع ابتدىء بالقول انه من واجباتكم مهما كان الأمر ان تعملوا بما يتفق مع ارادة مصر على قدر الامكان وان لا تبوحوا بما اعدكم به وبما قد عقدت النية على أن اعمله .

« فالاقتراح الأول هو أن ملك البلجيك يعرض عليكم أن تلبثوا حيث انتم بصفة وال لهـذه المديرية نيابة عنـه فتكون وظيفتكم فيها وظيفة مدير عام ويمنحكم لقب جنرال ويترك لكم حرية تعيين مقـــدار راتبكم ويضع تحت تصرفكم مبلغا سنويا يتراوح بين ٨ آلاف وعشرة آلاف جنيـــه انكليزى للقيام بنفقـــات الادارة ونفقـــات الجنـــود وذلك الى ان يحين الوقت الذى تستطيع فيـــه المديرية أن تقوم هى نفسها بنفقاتها وجميع الامور الاخرى يمكن بسهولة تسويتها . واما التموينات فجاهزة تحت طلبكم .

« والاقتراح الثانى هو ان تجمع سائر جنودك الذين لديهم استعداد لأن يتبعوك واتخذ لك مقرا فى ركن بحيرة فكتوريا نيانزا الشمالى الشرقى وابتن لك فيها محطات وأخبر بذلك حالا المستر ماكينون Mackinnon « رئيس اللجنة التى ألفت لتخليص أمين باشا » ويوجد فئة من التجار الانكليز تترقب وصولك بفارغ الصبر لتؤلف جمعية تشبه شركة الهند الشرقية

East Indian Company . وقــد اعد لذلك مبلغ قـدره ٤٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزى . وهذه الجمعية (١) تريد منك الثقة والاطمئنان وكل الامور تسوى فى الحـال وتقوم أول قافلة بالتموينات برسمك من الساحل بلا توان » .

وردا على سؤال وجهـه أمين باشا بشأن مصير ضباطه من جهة الرتب والراتب اجـاب استانلى ان الشركة الجـديدة المزمع تأليفها ستثبت كلا منهم فى مركزه الحالى وطلب منـه أن يفكر فى الأمر ويفيده بمـا يستقر عليه رأيه فيما بعد . وانصرف عنـد غروب الشمس ودعا أمينا باشا للحضور لزيارته فى العشية لأن لديه مستندات يريد أن يطلعه عليها .

ولـبى أمـين باشا الطلب وذهب الى استانلى فاطلعـه على خريطة نواحى الكونغو وأراه كذلك نسخة معاهـدة اقامة حدود بين فرنسا والبلجيك نيابة عن حكومة الكونغو الحـرة وأراه أيضا الورقة التى سطر عليها اقتراحـات الملك ليوبولد Leopold عـلى أثر مقابلتـه له . واتضح مما ذكر أن الملك كان مهتما اهتماما شديدا ليضمن لمملكته طريق النيل . ولم يرجع أمين باشا الى داره الا فى الساعة العاشرة مساء وحكى أن ذلك اليوم ربما كان هو أحق ايام حياته بالذكر .

(١) — نلاحظ على هذا القول ان الاقتراح الأول لم يكن سوى مقدمة للدخول فى الموضوع اما الثانى فهو الاقتراح الجدى ومن اجله تألفت لجنة الانقاذ الذائعة الصيت كما برهنت على صحة ذلك الحوادث التى وقعت بعد كأن الحكومـة المصرية لو كانت مطلقة اليـدين كانت تعجز عن ارسـال قافلة للتموين كالقافلة المزمع أن ترسلها الشركة التى كان فى النية تأليفها .

وقال فيتا حسان اذا كان أمين باشا استطاع أن ينظر بعين الرضا لوصول صوت استغاثته لغاية بلاد الانكليز فانه رأى بعين الاشمئزاز من جهة اخرى انهم عوضا عن أن يوجهوا اليه امدادا وذخيرة ارسلوا اليه حملة مكلفة بحمله على ترك بلد صار عزيزا عليه ولا يمكنه تركه بدون أسف ولا بدون أن يستولى عليه شيء من الندم بسبب تلك القبائل البائسة التى ستتخبط فى دياجير الخراب والدمار على أثر سفره . وأدركته حيرة بالغة وهذه الحيرة لا تخلو من سبب . ذلك أنه لو أراد الاقامة بجانب أولئك القبائل قياما بواجبه نحوهم اعترضه الواجب الآخر وهو تلبية نداء الحكومة المصرية ولجنة الانقاذ . ومن الوقت الذى زاره فيه استانلى أخذت الهموم تساوره بشدة تفوق شدة هموم مدة الأمير كرم الله . ومن يوم وصوله الى نسابى لم تقل همومه بل بالعكس أخذ باله يزداد اشتغالا .

وفى ٢٢ مايو وصلت الباخرتان الى معسكر استانلى وقدم عليهما الضباط حواش افندى و ريحان افندى و سليم افندى مطر و كودى افندى وجاء عليهما ايضا ٨٠ جنديا و ١٣٠ حمالا . وكان هؤلاء الحمالون قد قدموا لمرافقة استانلى فى عودته فسر بهم سرورا لا مزيد عليه . وكان بالباخرتين كذلك حبوب وأقوات لأتباع استانلى . وهنا مثار للعجب إذ انقلبت آية هذا الانقاذ من اسداء المعونة الى الاحتياج اليها . وفى الحال أخذ أمين باشا أولئك الضباط الى هذا الأخير وبعد أن قابلهم تحادث معهم وقتا ما ووعدهم بشرح أوامر الحكومة لهم فى مساء اليوم بداره وعلى ذلك انصرفوا .

وتوجه أمين باشـا ومعه الضباط الى حيث يوجد استانلى وهـذا فسر لهم أوامر الخـديو . وتكلم حواش افندى اكثر من سواه أما كودى افندى فقال : « انه يذهب حيث يذهب رئيسه » . وصرح الجميع انهم مستعدون لاطاعة الأوامر وانفض عـلى ذلك الجمع وراح أمين باشا يسائل نفسه عن الاجل الذى يستمر فيه هـذا الاحساس راسخا فى نفوسهم .

وفى ٢٣ مايو أمر استانلى باعداد معـدات سفره للغد . وكانت مدة اقامته مع أمين باشا على شاطىء البحيرة استغرقت نحـو شهر . وقبل أن يسافـر سلم اليـه ٣٤ صندوقا من مهمات الحرب منها ٣١ صندوقا برسم سلاح رمنجتون و ٣ صناديق برسم سـلاح وينشستر . وصدر الأمر أيضا الى جفسن بان يلبث مع أمـين باشـا ليتحقـق بالاتفاق معـه من أولئك الذين يريدون الذهاب الى مصر من رجال المديرية .

وفى ٢٤ مايو جمع أمين باشا حرسا مؤلفا من ٥٠ جنديا ليقوم بعمل تشريفة لاستانلى بمناسبة سفره . وبعـد الوداع سار استانلى وبمعيته بارك Parke ليستحضرا مؤخرة الحمـلة . وفى الوقت نفسه ركب أمين باشا وبصحبته جفسن و كازاتى و فيتا حسان ظهر الباخرة وأقلعت بهم ميممة شطر مسوه .

ومن وقت رجوع كازاتى من الاونيورو كان يبدو عليه دواما شيء من الغضب نظرا للاهانة التى لحقته هو واتباعـه فى ذلك البلد . تلك الاهانة التى لم يلاق مرتكبوها عقابا للآن . وله الحق فعلا فى أن يغضب لأن

الاهانة لم تلحق به وحــــده لانه أهـين وهـــو نائب عن المـديرية .
وعلى ذلك يكون من واجبات الحكومة الحصول على ترضية . وهـذا أمر
ليس فيه شيء من الصعوبة ولا الخطر لانه كان فى حيز الامكان بواسطة
الباخرتين و ١٠٠ جندى فتح بعض الممتلكات الخاصة بكباريجا الواقعة على
شاطىء البحيرة لا سيما كيبيرو .

ثم بواسطة ٣٠٠ جندى يكون فى حيز الاستطاعة التوغل فى جهات أبعد
من ذلك بكثير والوصول لغاية كيتانا Kitana مثلا وهى محل اقامة أم الملك
وعند ذلك يضطر كباريجا الى تقديم تمام الترضية . غير أن أمينا باشا كان
قد أضمر ان لا يفصم عرى علاقته بالملك كلية وأن لا يطرح من
فكره أمر اعادة الصلات الحسنة مع الاونيورو اذا انسحبت الجنــــود .
ولكن من وقت ما تغيرت الأحوال بقدوم استانلى لم يعد أمين باشا يرى
ضرورة لان يراعى الملك اكثر مما مضى . ولدى وصوله الى مسوه أصدر
امرا الى سليم افندى مطر و كودى افندى احمد بان يقلعا بالباخرتين مع
٧٠ جنديا ويستولوا على كيبيرو . ونفذ فعلا هــــذا الأمر ووضع الجنـد
ايديهم على كيبيرو وكمية جسيمة من الملـــح وزهاء ٥٠٠ رأس من
الضأن فكانت هــــذه الغنيمة نعمة من اجزل النعم على المـديرية لان
حيوانات الذبيح فى محطات الجنوب كانت تركت لحملة استانلى وكانت قد
أخذت أيضا عند عودته ١٨٠ رأسا من الماشية .

وانتقل أمـين باشا من مسوه الى تونجورو مع من كان بمعيته .
ولدى وصوله الى هــــذه المحطة اعلن سائر المستخدمين والموظفـــين
من ملكيين وعسكريين بارادة الخـــديو إخلاء المـديرية والاياب الى

ديـــــار مصر واعطى أمرا بان كل واحد يظل مكانه حتى يرجع اليهم استانلى .

وزار أمين باشا يوما فيتا حسان وهو كاسف البال تبدو عليه سيماء الملال والضجر . ولما سأله عن السبب فى ذلك قال انه سمع أن احمد افندى محمـــود و عبد الوهاب افندى طلعت اشتكيا منه الى استانلى قائلين انه غير كفء للحكم . ثم استطرد فى الكلام فقال انه كان يعاملهما بالحسنى وانه قد اخطأ فى معاملتهما بذلك وانه لم يبق فى قوس صبره منزع وانه عقد النية على أن يعاملهما معاملة غير التى كان يعاملهما بها قبلا . فقال له فيتا حسان ان كل ما اعتراه من السآمة والملل سيزول عند سفرهم القادم وانه يجمل به أن يغمض جفنيه أيضا هذه المرة لا سيما انه غض بصره فيما سلف عن خطيئات تفوق هذه الخطيئة كثيرا فى الجسامة فى اوقات اكثر شدة . ومن المستغربات مع ذلك ان استانلى لم يفه ببنت شفة لامين باشا بصدد ذلك وعد الباشا سكوته أمرا غير لائق .

ما دار حول سفر الجنود واقامتهم

وعند ما أبلغ أمين باشا الموظفين والعساكر أمر السفر مع استانلى زاد جفسن على ذلك بان قال . « ان اطعتم الباشا واتبعتموه لن تنساكم أمة الانكليز » . وهذه الكلمات مضافة الى الكلمات التى فاه بها أمين باشا قبلا بصدد الانسحاب عن طريق الاونيورو وكذلك التقدمة التى عرضها على الحكومة البريطانية بالاستيلاء على مـــديرية خط الاستواء كما هو مذكور فى الملحق الخاص برحلة استانلى والتى لا بد ان خبرها اتصل بمسامع الجميع . كل ذلك أكد وأيد ظنونهم بصدد نيتهم وشيكا للحكومة

الانكليزية .

وان هو إلا أن تفرقت الجنود حتى أخذوا يتساءلون ويقولون : « ماذا يريد منا الشعب الانكليزى . ان أولئك الناس غير قادمين من مصر لأنهم عوضا عن أن يتكلموا باسم افندينا نراهم يتكلمون باسم الشعب الانكليزى ونراهم مرتدين بملابس رثة بالية فلا يمكن أن يكونوا قادمين من قبل افندينا » .

وكان لا يوجد شخص واحد تقريبا راضيا بالسفر خصوصا وقد علموا بالظروف التى صادفتها حملة استانلى حين مجيئها . تلك الظروف التى لا تشجع الا قليلا على السفر . فلقد مات منها خلق كثير وجرح جمع كبير زد على ذلك القحط وسوء الحال وشظف العيش ومقاساة العذاب بأنواعه الى أن وصلت الى المديرية . كل ذلك كان لا يمكن أن يغرى أولئك الناس على مبارحة بلد يعيشون فيه نسبيا عيشة رخاء . وهذه الأسباب مضافا اليها الحذر المتأصل فى نفوس أغلب السودانيين أدت الى القلق وهذا القلق تحول فيما بعد الى تذمر لا ترتاح اليه النفوس .

وفى ٢٠ يونيه وصل بريد وادلاى و دوفيليه . وجاء به انه بينما كان جنديان يجتازان النهير على ظهر مركب إذ قلبها فرس بحر فمات الجنديان غرقا . وتكدر أمين باشا لهذا الحادث كدرا عظيما لا سيما ان احدهما كان رفيقه الوحيد لدى رحلته الأولى الى اوغنده فى أيام غوردون باشا . وورد أيضا بهذا البريد تقرير من دوفيليه جاء فيه ان الرؤساء المجاورين لهذه المحطة يأبون الطاعة بسبب اشاعة أذاعها الضباط المصريون وانهم ممتنعون عن المجيء اليها . فكتب أمين باشا ردا على هذا التقرير انه سيحضر

هو نفسه لينظر فى هذا الأمر .

تــلاوة أمر الخــديو ونداء استانلى على الجنــود والموظفين فى لادو وغيرها

وبعـــد أن أقام أمين باشا شهرا فى تونجورو سافر منها فى ٢٥ يونيه الى وادلاى . وكان بمعيته جفسن و فيتا حسان فقط . أما كازاتى فلبث فى تونجورو بسبب نزاع قام بينـــه وبين أمين باشا على أمر تافه . ذلك انهما كانا تبادلا بعض عبارات جافة بصدد ضابط يقـــال له مصطفى افندى العجمى وكان حواش افندى قـــد أهانه فتدخل كازاتى ودافع عنه . ولما كان كازاتى لا يستطيع أن يوجه الكلام رأسا الى أمين باشا توجه الى فيتا حسان قبل سفرهم وأشار عليه بأن يبذل كل ما فى وسعه ليمنعه من السفر لأن لديه دواعى تحمـــله على الاعتقاد بانه ستحل بهم كارثة . وانه لا يقدر هو نفسه أن يذكر ماهية هـــذه الكارثة بالضبط لأن نفسه تحدثه بأشياء غـــير معينة وألح على فيتا حسان أن لا يتجاوز السفر الى وادلاى على كل حـــال . فوعده هـــذا بذلك واقلع الكل على الباخرة الخـــديو وولت وجهها شطر هـذه المحطة الاخيرة فوصلت اليهـــا فى ٢٧ يونيه .

وفى وادلاى أمر أمـــين باشا بتلاوة أمر الخـــديو على الموظفين والجنود مجتمعين . أما جفسن فتلا عليهم أيضا نـــداء استانلى وهـذا نصه :

« أيها الجنود

« بعد أن قضينا بضعة شهور فى اسفار محفوفة بالاخطار وصلنا فى نهاية المطاف الى شواطىء بحيرة نيانزا . وقدومى هذا كان بناء على أمر خاص صادر من لدن الخديو توفيق والغرض منه خروجكم من هنا والرجوع الى دياركم . ولا بد لكم من معرفة ما يأتى :

« ان طريق البحر الأبيض مسدود والخرطوم وقعت فى قبضة رجال محمد احمد . وغوردون باشا وكافة رجاله قتلوا . وسائر البواخر والمراكب وغيرها بين بربر وبحر الغزال استولى عليها المهديون وان أقرب محطة مصرية هى الآن وادى حلفا الواقعة فيما وراء دنقلة . ولقد حاول الخديو واصدقاؤكم أربع دفعات انقاذكم . ففى أول مرة أرسلوا غوردون باشا الى الخرطوم ليرجعكم جميعا الى أوطانكم . ولكن بعد أن قاتل قتالا عنيفا مدة عشرة اشهر سقطت الخرطوم وقتل غوردون وجميع رجاله . وعقب ذلك اتت الجنود الانكليزية بقيادة اللورد ولسلى Wolesley ولكن تأخر مجيؤهم أربعة أيام عن الوقت اللازم أى بعد ان كان قد قضى الأمر وانتهى كل شىء . وأتى بعد هذا الدكتور لنز Dr. Lenz وهو من كبار السياح . واجتاز بغية انقاذكم طريق الكونغو . الا انه لم يجد العدد الكافى من الرجال لمرافقته واضطر لان يرجع بعد أن وصل الى الطريق المذكورة . وكذلك حصل للدكتور فيشر Dr. Fisher الذى كان أرسله والد الدكتور جونكر المعروف لديكم اذ اعترض مروره خلق كثير العدد فاضطر هو الآخر أن يعدل عن متابعة سفره .

« ولقد أوردت لكم كل ما ذكرته لأبرهن لكم ان مصر لم تطرحكم من بالها وانها ما زالت تفكر فى أمركم وان الخديو ووزيره نوبار باشا ما زالا واضعيكم نصب أعينهما . فلقد علما عن طريق اوغندة انكم أديتم واجباتكم كجنود بشجاعة وبسالة . ولهذا أرسلونى لأقول لكم انكم فى افكارهم وانهم فى انتظار مكافأتكم وينبغى أن ترافقونى الى مصر حتى تؤجروا وتكافئوا . ويقول لكم الخديو فوق ذلك انكم اذا كنتم ترون أن الطريق طويلة كثيرا وتخشون السفر فيمكنكم أن تلبثوا هنا . وفى هذه الحالة تمسون جنودا غير تابعين له وتنقطع رواتبكم فى الحال . ولا يعود الخديو يفكر فيما قد يحيق بكم من الاخطار سواء قلت أم جلت بل تقع مسئولية ما قد يحدث على عاتقكم . أما اذا قررتم الذهاب الى مصر فأنا هنا مستعد لأن اقتادكم الى زنزبار وأقلكم على بواخر الى السويس ومنها تتوجهون الى القاهرة . ومتى وصلتم اليها تدفع لكم فى الحال رواتبكم ويثبت كل منكم فى درجته والمكافئات التى وعدتكم بها هنا تصرف لكم بتمامها .

« ومرسل لكم من قبلى المستر جفسن وهو ضابط من ضباطى وقد أمنته على سيفى وسيكون نائبا عنى لديكم وسيقرأ لكم أيضا بالنيابة عنى هذا النداء . وقد عزمت على السفر عاجلا لأبحث عن اتباعى وامتعتى وأحضرهم الى نيانزا وبعد اشهر اكون قد رجعت وعندئذ نرى ما وطدتم العزم عليه . فاذا كنتم شحذتم غرار العزم على السفر الى مصر ذهبت بكم اليها من طريق مأمون واذا قلتم إنكم ستظلون حيث أنتم الآن ودعتكم وانصرفت موليا

وجهى أنا ومن بمعيتى شطر ديار مصر والله يحفظكم » .

صديقكم الصادق

« استانلى »

وبعد تلاوة هـذه المستندات تعهد الجميع بالاستعداد للسفر وقبلوا شروطه . ولما كانت الامور جرت فى مجراها العادى ولم يحـدث شىء خارق للعادة فى وادلاى بعد اقامة اسبوعين سـافر أمين باشا مع جفسن و فيتا حسان الى دوفيليه وكان ذلك بتاريخ ٢٥ يوليه فاستقبلهم فيها حواش افندى استقبالا باهرا كانت الجنود فيه مصطفة على ضفة النهر . ولدى نزولهم من الباخرة ذبحت جاموسة تحت أقدامهم وكان الطريق الطويل العريض الممتد بطول المحطة مفروشا برمال صفراء الأمر الذى ألبس الناحية بهجة أيام العيد .

وفى وسط الطريق نصب حواش افنـدى تحت ظل أربع شجرات ضخمة من شجر الجميز شبه مصطبة لأمين باشا و جفسن و فيتا حسان والضباط . وان هو الا ان أخذوا مقاعدهم حتى قدم لهم الشربات ثم القهوة أربعة من الزنوج مرتدين بثياب بيضاء مع الابهـة المألوفة فى سرايات القاهـرة . وكانت القوط مزركشة بالذهب والفناجين من الصينى المزين بالزهور .

وكان جفسن لا يتوقع أن يرى مثل هـذه الخيرات ومثل هـذا الغنى



المستر جفسن وهو يتلو نداء استانلى فى دوفيليه
والشيخ المعمم فى أقصى اليمين من الصورة هو الشيخ مرجان قاضى المديرية

والرفاهية لدى اناس يعيشون فى قلب افريقية وكان يظن أنهم يعيشون فى أشد حالات القحط ويقاسون أهوال وآلام الجوع وفى حالة تستوجب الاسعاف ولذلك دهش وجمدت أعصابه وصار يقلب الطرف ذات اليمين وذات الشمال ويقول لأمين باشا وللحاضرين انها لعمر الحق خسارة وأى خسارة ترك بقعة كهذه .

وكان جفسن أبدى فيما سلف نفس هـــذا الدهش فى مسوه عندما رأى الضباط متشحين بالقمصان النظيفة المنشاة وكان بـــلا ريب يترقب أن يراهم لابسين ثيابا بالية . على أن الذين كانوا يرتدون كساوى ممزقـــة مع قرب عهـــد مجيئهم من أوربا هم بلا امتراء ضباط استانلى .

وكان حواش افندى أعد لهم مساكن استوفت شروط الراحـــة تمكنوا فيها من تمضية الوقت الذى أقاموه فى دوفيليه ناعمى البال قبل أن يسافروا الى لابوريه ومحطـــات الشمال . وكان أمين باشا يريد أن يرى الأورطة الأولى بعينى رأسه ليعرف أميالها نحوه وافكارها من جهة السفر مع استانلى .

وفى ١٧ يوليـــه سافر أمين باشا و جفسن و فيتا حسان بعد وقوف يوم فى دوفيليه الى جهـــات الشمال فمروا بلابوريه وموجى وكان يحتل هاتين المحطتين الأورطـــة الثانية ولم يقفوا بهما ثم وصلوا الى كرى وهى أول المحطـــات التى تحتلها الأورطة الأولى . وفيها أصدر أمين باشا أمرا الى البكباشى حامد افندى بأن يرسل المراكب من الرجاف الى كرى ومر اسبوع ولم تأت المراكب المطلوبة . وأرسل جادين افندى Djadîne قائد

الرجاف ينبئهم بأن المراكب تشتغل بنقل الذرة وعلى ذلك لا يمكن ارسالها . فاعتبر حامد افندى هذا الفعل تمردا وانه مقدمة لحدوث ما هو أشد وأنكى، وانسحب اعترافا بعجزه حتى لا يتورط فى تصرفات اورطته الخارجة على النظام . وطالت المكاتبة فيما بين أمين باشا وجادين افندى بدون جدوى . واتضح بعد وقت قصير أن جنود الرجاف معارضة فى مسألة السفر التى لا بد أن يكونوا سمموا بها . بل زعموا انهم أوعزوا الى على افندى جابور فى مكرا كا بالمجىء عاجلا والقاء القبض على أمين باشا .

واقترح جفسن على أمين باشا أن يتابع السفر مع فيتا حسان الى جهة الشمال ليرى رأى العين الأحوال على حقيقتها . الا أن أمينا باشا عارض فى ذلك إذ قد تجلت الآن آراء الأورطة الأولى وظهر التمرد علنا وابنت أوامر أمين باشا حبرا على ورق وكل يوم تشرق شمسه يأتيهم بخبر مسير جنود هذه المحطة أو تلك على محطة كري بغية القاء القبض على أمين باشا ومن بمعيته .

أما فى كري فأبدى الجنود استعدادهم للسفر بعد أن تلى عليهم أمر الخديو ونداء استانلى وفى اليوم التالى عدلوا عن هذا الرأى اذ علموا أن فى غير استطاعتهم استصحاب كل ذويهم فصرحوا بأنه فى غير امكانهم ان يعزموا على السفر . وأراد جفسن أن يحملهم على الرحيل نخاب مسعاه وكانت نتيجة سعيه عكس ما يبتغى . ذلك بأن قال ان استانلى يود بلا ريب أن يأخذهم معه هم وآلهم اذا رغبوا فى ذلك ولكن وجودهم فى القاهرة على هذا النحو يجعلهم يشعرون بالضيق لأن المعيشة فيها ليست مرضية كما هو الحال هنا وفوق ذلك فان أثمان الحاجات هناك

مرتفعة .

ولما كانت اطالة الاقامة زيادة عما مضى لا يرجى منها أية فائدة وقد يجوز أن الأحوال تزداد سوءا قرر أمين باشا ومن بصحبته أن يقفلوا راجعين لصوب الجنوب . وكتب أمين باشا من موجى مرة أخرى الى ضباط الأورطة الأولى طمعا فى ردهم الى الصواب ولكن محاولته هذه ذهبت ادراج الرياح . وسلك منهم ضابطان فقط وجنودهما مسلك التعقل والتروى وهما بخيت افندى برغوت قائد كرى وعبد الله افندى منزل قائد موجى . وكدس جنود المحطة الاخيرة حبوبهم وأخذوا فى تحضير خبزهم استعدادا للسير . وبينما كان أمين باشا فى هذه الناحية انضم اليه ١٤ جنديا من الاورطة الأولى كانوا قد تعلقوا بأذيال الفرار . ولما علم ضباط الرجاف الثائرون بأن الجنود الهاربين وصلوا الى كري بدون أن يقف فى طريقهم ممانع ألقوا بخيت افندى برغوت فى غيابة السجن . وعند وصول هذا الخبر قرر أمين باشا بموافقة جفسن و عبد الله افندى منزل ارسال جندى برتبة ضابط صف و ٤٠ عسكريا لاطلاق سراح بخيت افندى برغوت . الا انه مع ذلك تولى قيادة هذه الشرذمة ضابط يقال له اسماعيل افندى حسين بعد أن أغرى بالترقى وسافر هو وعساكره ليلا ورجع بالفعل فى اليوم التالى ومعه بخيت افندى برغوت وقد أنقذه بعد مشقة .

وأصدر أمين باشا قبل ان يبارح موجى امرا الى قومندان المحطة بأن يرسل الى دوفيليه كافة الذخيرة التى فى المخزن . ووقع هذا التدبير غير الصائب الذى اشار به جفسن حسب قول أمين باشا موقعا سيئا من نفس الجنود الذين كانوا لبثوا هم وحدهم تقريبا موالين لغاية

ذلك الوقت . فلقد يؤثر الجندى السودانى أن يجرد من كل ما يمتلك على أن يسلم ذخيرته تلك التى يستمد منها قوته وتفوقه على غيره . وقد حاول فيتا حسان أن يحول دون صدور هذا القرار ولكنه لسوء الحظ حبط مسعاه ولم يجن غير الفشل .

هياج الجنود فى لابوريه

وذهب أمين باشا هو ورفاقه من موجى الى لابوريه فدخلوها فى ١٢ اغسطس وكان القضاء قد خبأ لهم فى زواياها حادثا مكدرا ذلك أنهم ما كادوا يدخلون محطتها حتى رأى فيتا حسان العساكر الذين رأوا الذخيرة تنقل من موجى يتذمرون ويقولون ان الباشا جرد اخوانهم فى الشمال من السلاح ليتركهم عزلا من وسائل الدفاع .

وفى عصر اليوم التالى الموافق ١٣ منه حشد أمين باشا الجنود فى شكل مربع ووقف هو و جفسن و فيتا حسان والكاتب غبريال افندى شنوده فى وسطه وتلا أمر الخديو ونداء استانلى . وعندما سألوا الجنود عما اذا كانوا يريدون السفر اجابوا بأنهم سيسافرون بكل ارتياح ولكن بعد أن يحصدوا زراعتهم ويحضروا الزاد للسفر .

وكان « بنزا » ترجمان جفسن ملما الماما سيئا سواء أكان باللغة العربية أم بلغة الساحل فخلط فى الترجمة ولم يؤدها على صحتها . وذلك انه حينما سأل جفسن الضباط أن يحيطوه برأيهم فيما يتعلق بالسفر ترجم بنزا Bensa هذه العبارة ترجمة سيئة فقال للضباط انه يجب عليهم أن يسافروا فى



تمرد جنود محطة لابوريه يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٨ م
عندما قرأ عليهم جفسن أمر الخديو توفيق باخلاء المديرية والعودة الى مصر

الحال فلم يجاوب أحد من العساكر بشيء والتزموا جـــانب الصمت ولاح عليهم عدم استحسان هذا الانذار كما كان يبدو ذلك من وجوههم وعند ذلك خرج من الصف بغتة بلال شرقاوى مراسلة ســـرور افندى قائد المحطـة وحثهم بصوت عـــال على نحص مضمون الأمر والنداء فأمسك أمين باشا بعنق الجندى وقد استشاط غضبا من لهجته وأمر اليوزباشي سليم افندى مطر بالقاء القبض عليـه وسجنه . وما كاد الضابط يقترب من بلال حتى عبأ الجنـود بنادقهم كأنهم تلقوا أمرا بذلك وصوبوهـا على أولئك الذين كانوا فى قلب المربـع واندفعـوا الى الأمـــام صائحين : « لمـــاذا يسجن اخونا . اخلوا سبيله » . فاكفهر وجـه جفسن أما أمـــين باشا فلبث هادئا واستل سيفه وتقـدم بضع خطوات لصوب الجنـود فتقهقر هؤلاء مذعورين واسلحتهم مرفوعة .

وفى هـــذا اليوم عينه اقيمت فى لابوريه حفلة ختان وفيها أفرط الجنود حسب عـادتهم فى شربهم المريسة فحملهم السكر على أن يأتوا أعمالا غير لائقة . ولو كان عنـــد ذلك وقع أى حادث مهما كان تافها لذهبت حتما أرواح من كان فى قلب المربع . ولمـــا كان الموضع الذى به أمـين باشا ورفاقه يشرف على الناحيـة تمكن فيتا حسان من أن يرى خلف صفوف الجنود الذين كانوا يحيطون بهم خادمين من خـــدم أمين باشـا وبعضا من خدمه يركضون . فجال فى خـاطر فيتا حسان انه لا بد من حـــدوث كارثة اذا حاول هؤلاء الخدم الدفاع عن مخدوميهم فشق له طريقا بين الجنود وقبض على الخدم وصفعهم بعض صفعات وقفوا عندها جامدين . ثم اجابوا وقد تملكهم الغضب : « اننا نريد الدفاع عن أسيادنا أو نموت معهم » . فردهم فيتا حسان وبذا امتنع حدوث قتال بين الجنود والخدم .

وكان أمين باشا فى اثناء ذلك لم يزل فى نفس موضعه محاطا بالجنود فعدا فيتا حسان الى الدار وأتى بمسدس معبأ واندفع فى الزحام فوجد الجنود قوضوا المربع وأسرعوا عدوا الى مخزن الذخيرة . وكان الباعث لهم على احداث هذه الحركة رؤية الجنود المنوطين بمراسلات أمين باشا والمنوطين بمراسلات جفسن يغدون ويروحون بجانب ذلك المخزن فظنوا انهم يحاولون الاستيلاء على الذخيرة تخفوا ليمنعوهم عن هذا العمل لانهم ما كانوا يريدون ان يدعوهم يأخذونها منهم كما حدث فى موجى .

وظل أمين باشا فى المكان الذى وقعت فيه هذه الحوادث سابحا فى بحر افكاره بينما كان جفسن قد اختلط بالجنود امام المخزن محاولا تهدئة خواطرهم . ودنا فيتا حسان من أمين باشا وأشار عليه بأن يرجع الى المنزل فرفض وآثر ان يبقى ليرى على أى وجه سوف تنتهى هذه المسألة . فأفهمه فيتا حسان ان كافة الجنود سكارى وانه لا يمكن القيام بأى عمل مجد اللهم إلا الرجوع الى الدار وتركهم ينامون حتى يفيقوا من سكرتهم وعند ذلك يخجلون من فعلتهم ويندمون على ما فرط منهم ويخلدون الى الطاعة . وعاد جفسن فى هذه اللحظة يضحك من وقوع هذا الحادث الذى كان لا يبعد أن ينتهى بأشأم العواقب وعلى ذلك رجع الجميع الى البيت مع أمين باشا .

وجاءهم عشية فى الوقت الذى يقوم فيه عادة بعض الجنود بالحراسة أمام بيت الباشا ضابط واخبرهم بأن هؤلاء الجنود يرفضون القيام بالحراسة ويطلبون مقابلة جفسن . فأقلقهم هذا الخبر وسهروا الى أن

انصرم النصف الأول من الليل ثم أدوا هم أنفسهم تلك الحراسة بالمناوبة باعتبار كل منهم ساعتين مبتدئين بفيتا حسان ثم جفسن فأمين باشا .

وفى الصباح ذهب جفسن الى الجنود فوجدهم على أتم حالة من الهدوء والسكينة فدهش من ذلك . وكان يبدو عليهم انهم نسوا حوادث المشية وطلبوا من جفسن أن يتوسط لدى أمين باشا ليصفح عنهم معتذرين بالسكر . وقالوا انه ليس يوجد عندهم أى باعث يدعوهم لكره أمين باشا وقد عرفوه من مدة ١٢ عاما وأنه ابوهم وطبيبهم وربهم . وانهم لا يمتنعون مطلقا عن السفر إلا انهم يطلبون ايضا أن يؤخذ اخوانهم جنود الاورطة الأولى . وأتى بعض الضباط مع جفسن ليطلبوا العفو من أمين باشا بالنيابة عن جنودهم . وبارح أمين باشا ومعيته لابوريه بدون أن يحدث حادث آخر . وأراد الضباط عند سفره القيام بالتشريفات العسكرية المعتادة فأبى .

امتناع الأورطة الثانية عن السفر

وقد خبأ لهم القضاء والقدر فى خور أبو مفاجأة أخرى أدهى وأمر . ذلك انه بينما كان أمين باشا و جفسن و فيتا حسان يتناولون الطعام فى ١٨ اغسطس أى يوم وصولهم اذا بزنجى من زنوج حواش افندى يقال له ريحان قد قدم من دوفيليه يجرى بكل ما استطاع من قوة وسلم للباشا خطابا من سيده يقول فيه انه مسجون فى دوفيليه وأن نيران ثورة قد اندلع لهيبها بغتة فى الاورطة الثانية التى تعارض الآن فى أمر السفر . وان اليوزباشى فضل المولى افندى الأمين قائد محطة فابو

وصل فجأة إلى دوفيليه ومعه ٦٠ من عساكره وحض على الثورة وقبض على زمام حركة التمرد وسجن حواش افندى فى داره وتولى قيادة دوفيليه .

ويؤخذ من خطاب حواش افندى ومن قصة خادمه ان الامور وقعت بالكيفية الآتية :

صعد فضل المولى افندى النيل بالتواطؤ مع نوتى دوفيليه ادريس الدنقلاوى ودخل دوفيليه خلسة بدون أن يشعر به أحد . وكان معه اثنان من الضباط الذين تحت رياسته وهما احمد افندى الدنكاوى وعبد الله افندى العبد والستون جنديا التابعون له . وبينما هو على وشك أن يمر على الحرس الكبير صادف حواش افندى في طريقه فطلب هذا منه معرفة السبب الذى حدا به للقدوم بدون استئذان . فأجابه فضل المولى بأن ليس له أن يعطيه اوامر وانه قدم ليضع حدا لاساليبه التى ليس لها عاقبة اخرى سوى خراب المديرية وأمر حواش افندى أن ينصرف الى منزله . فأدرك حواش افندى مبلغ الخطر وحاول تجنب وقوعه قائلا :

« هلم نشرب معا كأسا وبعد ذلك يمكنك أن تعرفنى الداعى لقدومك الى هنا » . فلم يقع فضل المولى فى الشرك وأجاب :

« اذهب . أتدعونى الآن للأكل والشرب فى منزلك ولكن عندما تكون أخذتنا أنت وصاحبك النصرانى الحقير كما يؤخذ قطيع الغنم فماذا تعطينا عند ذاك . نحن لا نريد أن يدركنا الموت فى الطريق وعلى كل حال لا نسافر » وبعدئذ أمر بالنفخ فى الناقور إيذانا بالمسير .

ولما اجتمعت جنود دوفيليه فى الميدان أراد حواش افندى أن يوجه اليهم أمرا بان يلحقوا به ليرى اذا كان لم يزل فى استطاعته أن يعتمد عليهم غير أن هؤلاء قد كانوا بلا مراء أغروا سرا على العصيان ومع كل فلم يترك له فضل المولى افندى وقتا وقاطع كلامه وذلك بتوجيه خطبة للجنود يحضهم فيها على العصيان . وهاك ما قاله :

« انهم يريدون تسفيركم من طريق مجهول ويريدون أن ييتموا اطفالكم . لقد سمعتم قصة جنود النصرانى . تلكم القصة التى يؤخذ منها ان أولئك الجنود اضطروا فى الطريق الى اكل كل شىء حتى الجذور والحشائش مع أنه لم يكن عليهم ان يجروا وراءهم جيشا من النساء والاطفال . وكان الجميع مسلحين ومع ذلك فقدوا اكثر من ثلث عـــدد رجالهم . فماذا تنتظرون انتم من وراء سفركم مع آلكم ونسائكم وأولادكم . انكم ولا شـــك سيدرككم الموت فى الطريق ان لم يكن من الجوع فمن سهام الهمج المتوحشين الذين ستمرون فى قلب بلادهم . وفضلا عن ذلك فمن ذا الذى يضمن لكم ان هـذا النصرانى قادم من الديار المصرية . أولايوجد لدى افندينا بك من البكوات يستطيع أن يرسله إلينا اذا كان يريد حقا وصدقا استدعاءنا الى مصر . وهل من المعقول ان الباشا عندما يطلب منا أمرا يقول لنا : « اعملوا هـذا أو ذاك » ، وافنـــدينا الذى يسمو عنه بمراحل عندما يطلب منا شيئا يقول : « اعملوا ذلك ان اردتم » . وهل انا اذا امرت خادمى بفعل شىء ما أقول له : « اعمله اذا اردت » . ألا يداخلكم الشك فى أن هذا النصرانى آت من القاهرة . أوليس من واجباتنا أن نعارض فى هـــذا السفر الذى لا يعلم سره إلا علام الغيوب والذى يريدون أن يحسنوا لنا الاقدام عليه . فاذا أوليتمونى ثقتكم اطيعونى وانا اضمن لكم أن لا يصيبكم شىء يكدركم

ولا تتبعوا حواش افندى واذا أتى الباشا وهو لن يتأخر عن المجيء أنظر عند ذلك فيما سنفعل » .

ولقد عرف فضل المولى افندى كيف يصيب من سامعيه عرقا حساسا وكيف يعبر عن وجهة عدم رضاهم . وأمال الجميع الى كفة فضل المولى افندى فرحهم وابتهاجهم للخلاص فى نهاية الأمر من نظام حواش افندى الصارم . ولم يحاول هذا بعد ذلك أن يستعمل أى شيء من سطوته ودخل الى داره خائفا من الانقلاب الذى وصلت اليه الحالة وطلب المعونة من أمين باشا . وأراد منه على الأخص الثبات ورباطة الجأش اذا رأى اختلالا فى النظام لدى دخوله دوفيليه .

وقرأ أمين باشا الخطاب وألقاه على المائدة وقد انخلع قلبه وأخذ لحيته فى قبضته كعادته ولبث لحظة كاسف البال خائر القوة وأخذ جفسن و فيتا حسان ينظر كل واحد منهما الى رفيقه دهشا . وشعرا بحدوث شيء ذى بال ولكنهما ما كانا يترقبان وقوع حادث كهذا اذ انه كان قد وصل اليهم قبل ذلك ببضع ساعات من حواش افندى كتب وخطاب بالتهانى بعيد الاضحى .

وشرع أمين باشا يتحدث الى جفسن بالانكليزية وظل فيتا حسان لا يفهم من كلامهما شيئا سوى « حواش . دوفيليه . فضل المولى تمرد وعصيان » . وأخيرا ناوله أمين باشا مكتوب السوء فعلم منه ما حدث تماما .

وأجاب أمين باشا حواش افندى انه سيأتى هو نفسه الى دوفيليه

في الغد . وسافر ريحان افندى فى الحال بالرد واستدعى فى الوقت نفسه اليوزباشى سليم افندى مطر ، وكان لهذا الضابط حرمة واعتبار فى ارجاء المديرية ، ثم افترقا . وانقضى بعد ذلك هزيع كبير من الليل بدون ان يستطيعوا اغماض جفونهم لحظة . فلقد أمسى موقفهم غاية فى الحرج إذ ما كادوا يخرجون من مخاطر كثيرة حتى رأوا انفسهم محاطين بجنودهم الثائرين بدون ان يستطيعوا ايجاد مخرج لهم .

تمرد فضل المولى افندى وتأسيسه لحكومة وقتية

وقدم سليم افندى مطر فى اليوم التالى قبيل الساعة العاشرة . وكان يبدو لهم ان كل العناصر من ماء وسماء وانسان تحالفت عليهم . فكان البرد فى ذلك اليوم قارسا تصطك من شدته الاسنان والمطر ينهمر ماؤه كالطوفان وعلى ذلك كان يتعذر السفر لعدم امكان العثور على حمالين فى ايام النوء التى تتغطى فيها جميع الطرق والمسالك بالماء .

وبينما كان امين باشا ورفاقه ينتظرون بفارغ الصبر ان يتمكنوا من الرحيل ورد خطاب آخر من حواش افندى يقول فيه إن الحكومة الوقتية التى أسسها فضل المولى افندى اطلقت سراح كل المسجونين . وهكذا يستطيع احمد افندى محمود ومن التف حوله أن يذكوا نار الثورة بدسائسهم ودناءة اعمالهم .

وفى اليوم التالى تبددت الغيوم وصحا الجو وجفت الطرق حتى كأن ذلك حدث بسحر ساحر . وخاطر بعض الزنوج بالخروج من اكواخهم فأخذوا قسرا بصفة حمالين . ولما كان عددهم لا يفى بالمطلوب دعت الحالة

الى ترك الجانب الاكبر من متاعهم فى خـــور أبو . وكان فيتا حسان قد أشـــار على الباشا منـذ مجىء سليم افندى مطر أن يرسله الى الامام فى اتجاه دوفيليـــه ليهـدىء الخواطـــر المتهيجـة عوضا عن الانبعاث مرة واحـدة فى قلب الثورة ولكن هـذه النصيحة لم يعمل بهـــا وسافر سـليم افندي معهم .

ولدى وصولهم الى دوفيليـــه فى ٢٠ اغسطس الموافق آخـــر ايام عيد الاضحى كان اختلال النظام فيها قـــد بلغ غايتـه إذ خرجت الجنود عن حـدودها واختلطت بالأهـــالى اختـلاط الحابل بالنابل وأخـذوا يرتعون ويلعبـون ويحتسون المريسة فى كل الزوايا والاركان . أما الحـــرس وقد كان باقيـــا فى مكانه بالمصادفة فلم يبـد حراكا ولـكنه لم يؤد التعظيم بالسلاح للباشا .

وقـــوع أمين باشا و فيتا حسان
فى أسر الثـــوار

وعندما دخلوا فى الطريق القصير الموصل الى دار الباشا ووصلوا اليها حطوا بها رحـالهم بدون أن يعترضهم معترض . وأراد فيتـا حسان أن يستطلع الاحوال على الفور فوجـــد بالباب جنديا سد عليـــه الطريق بحربته ومنعه من الخروج وهـكذا قضى عليهم بالأسر . وأحاط فيتـا حسان الباشا علما بالحالة فلم يبـد لذلك دهشة وعلى اثر هـذا الحادث أرسل اليهم حواش افـندى بعض المرطبـات وقهوة مع خادمـه . وكان هو الآخر محجوزا فى داره فلا يمكنه الخروج منها الا انهم تركوا خـادمه مطلق السراح وبذا استطاع أن يتصل بهم يرسل اليهم ما يحتاجون اليه .

مطـــالب الثـــائرين

ولم يكن سليم افندى مطـــر مقضيا عليه بالسجن مثلهم فسمح له بالخروج وعند عودته أخـــذ يهدىء خاطرهم قائلا لهم انه قابل فضل المولى افندى وان هـذا قال له انه ليس على الباشا من بأس وان الثـــائرين لا يريدون به شرا غـــير انهم كانوا يطلبون منه دواما اقالة حـواش افندى فلم يلب طلبهم . وانهم حاقدون على هـــذا الاخير لانه كان يسيء دواما معاملتهم وانهم يطلبون أمورا ثلاثة هى عزل حواش افندى من الخدمة ، وابعاد فيتا حسان عن الباشا لانه كان على حسب قولهم مشير سوء ، وعدم السفر مـــع استانلى . واذا كان لا بد للخديو ان يأمر حقيقة بالسفر فليكن رجوعهم الى مصر عن طريق الخرطـــوم وهـو الطريق الوحيـــد الذى يعرفونه . أما فيما يتعلق بسجن الباشا ومن معه فلا ينبغى اهتمامهم به لانهم لا يقصدون بذلك الا ابعادهم عن الموظفين والضباط حتى لا يشتبكوا معهم . وقالوا علاوة على ما ذكر ان فى استطاعة جفسن أن يغدو ويروح بلا ممانعة لكونه ضيفا . واختتم سليم افندى كلامه فقال انه لا ينبغى لهم قط أن يتألموا وان المياه لن تلبث ان تجرى فى مجاريها ويستتب النظام كما كان .

وخوفا من تواطؤ أمين باشا مع ربانى الباخرتين واحتمال هروبه فصل فضل المولى ومحازبوه من باب الاحتياط بعض عددهما حتى لا يمكن الانتفاع بهـــما .

وفى اليوم التالى قابل جفسن فضل المولى افندى فأيد هـــذا له بعض

ما قاله فى المشية لسليم افندى وزاد عـلى ذلك بان قـال إن الثوار فى هـذه الدفعة يشتكون مباشرة من الباشا وانهم يترقبون قـدوم جميـع ضباط الاورطتـين لمحاكمتهم . (أى أمـين باشا وفيتا حسان وحواش افندى) .

وأذاع الثوار اشاعة بناء على اقتراح وكيل المديرية عثمان افنـدى لطيف الذى كان يحتاط دواما حتى لا يجلب على نفسه عـداوة انسان ، فحواها ان أمينا باشا لم يكن مسجونا بل انه هو (أى عـثمان لطيف) دعاه فقط أن يلازم عقـر داره خوفا من أن يعتدى أحـد على حياته كما حـدث ذلك فى لابوريه .

وفوق ذلك وجـه فضل المولى افندى ومن والاه ابتغاء اخفاء تمردهم بستار من الرياء الالتماس الآتى الى أمين باشا وها هو :

« الى صاحب السعادة مدير مديرية خط الاستواء .

ان عبد الوهاب افنـدى طلعت و احمـد افندى محمـود وآخرين أمسوا من أمـد مديد مغضوبا عليهم . وبما أن الحكم الصادر ضـدهم لا تبدو عليه صبغة قانونية لأنه لم يصدر من مجلس تأديب ولا من هيئة عسكرية أتينا بهـذا نلفت نظر سعادتكم الى ما يعـانونه من عـدة شهور من أحوال البؤساء والعناء . وهى أحوال فى حـد ذاتها عقاب زاجر . لهذا نلتمس من مراحمكم الصفح عنهم ورجـوعهم الى مراكزهم . وهـذا ونحن لم نزل خدامكم الطائعين الخ . . . » .

ومع ان لهجة هـذا الاسترحام الرقيقة لم تخـدع أحدا منهم إلا أن

أمينا باشا ابتغاء حفظ كرامته جارى الثائرين فى عبثهم وأجاب بأنه مراعاة لوساطتهم صفح عن عبد الوهاب افندى طلعت و احمد افندى محمود ورفاقهما وأمر بارجاعهم الى وظائفهم .

تقليب وجوه النظر فى خلاصهم

وجال بخاطر فيتا حسان ان كازاتى يستطيع ان يفيدهم نظرا لطول المدة التى أقامها فى مديرية خط الاستواء وخبرته بناسها . ولما كان أمين باشا لم يشأ أن يستدعيه أخذ فيتا حسان على عهدته أن يبلغه كافة هذه الحوادث ويستقدمه . فقال له الباشا إنه لا فائدة من وراء مجىء كازاتى وانه لن يأتى . غير أن فيتا حسان كان عارفا بما انطوى عليه كازاتى من البسالة والاقدام وشرف المبدأ . وكان يعتقد انه بمجرد ما يصل اليه خبر ما حل بهم من البلايا والرزايا لا بد أن يبادر ويبذل كل ما فى وسعه فى سبيل انقاذهم . ومع ذلك فقد التزم لعدم سفر البواخر كلية ان ينتظر فرصة اخرى ليرسل اليه خطابا .

وقال أمين باشا ذات ليلة لفيتا حسان ان جنديا يقال له سرور أتى من جهة البحيرة وأخبر بوصول استانلى وانه سر لهذا الخبر لان معناه وضع الحد النهائى لمدة أسرهم . وانه لهذا السبب بادر بابلاغه هذا الخبر . ولسوء الحظ كان خبر هذا القدوم لا نصيب له من الصحة اذ ان استانلى ما كان ليرجع الا بعد خمسة أشهر . ومع هذا فقد باحث جفسن أمينا باشا بحثا مستوفيا فى الخطة التى ربما يقبل استانلى العمل على تنفيذها ابتغاء خلاصهم . فقال انه يريد أن يتوجه الى استانلى مع كافة كبار الضباط ويبلغه كل ما حدث وان يبدأ بالقبض على الضباط ثم يأتى

بعد ذلك الى دوفيليـــه بالبواخر وينزل فى ضفة النهر الشرقيـة مقابل دوفيليه ويحتم على الثائرين اطلاق سراح أمين باشا وفيتا حسان وحواش افندى . فاذا امتنعوا عن اجابة الطلب يهاجم دوفيليه وينهى المسألة هو ورجاله بمدافعه الرشاشة من طراز مكسيم فى دقائق معدودة .

واستولى الحماس على جفسن وأمـين باشـا وخـــال كلاهما ان يوم الخـــلاص أصبـح قاب قوسين أو ادنى . أما فيتـا حسان فيقـــول انه كان ينظر الى هذه الخطة التى كان يستحيل تنفيذها بوجه من الوجوه مبتسما . فلاحظ أمين باشـا منه ذلك وسأله عما اذا كان هو على غير رأيهم . فأجابه فيتـا حسان بأنه بلا شـك غـــير متفق معهم فى الرأى وما ذلك إلا لأن استانلى لم يصل حتى الآن إذ انه قال عنـد سفره انه يتوقع أن لا يرجـع من رحلتـه قبـل خمسة أو ستة أشهر وهـا نحن والحالة هذه لم يكد ينقضى الا نصف هــــذه المدة ولا بد لنا فوق ذلك من عمـل حساب للطوارىء وما عساه أن يقع بعـد هــــذا أو ذاك من الحدثان . ولنفرض لحظـة انه وصل بل نفرض اكثر من ذلك فنقول انه صار أمامنا على الضفـــة المقابلة لنا وانه أرسل انذارا نهائيـــا للعصاة . ولكن ألا يرون هلاكهم من خلال هذا الانذار ويفتح أعينهم القبض على رفاقهم . ان من شيم السودانيين العناد فهم يرفضون اطلاق سراحنا وعندما يدوى صـوت أول مدفع فى الفضاء يغيرون علينا وينتقمون منا .

وعندما سمع أمين باشـا ذلك ساورته الافكار . أما جفسن فاقتصر على اجابة فيتا حسان وهو ممتلىء حماسة لخطته بأن استانلى من أعاظم القـــواد ممل بحسب وحى أفكاره . فقال له فيتا حسان ليكن قـائدا ماهـرا بل

أكبر مارشال فى العالم فهـــو لا يستطيع أن يقينا من أشأم الخواتيم اذا تحولت الحوادث هذا التحول وانقلبت هذا الانقلاب وان الطريقة المثلى هى استعمال الحيلة وان كانت هذه الوسيلة ربما لا تنجح أيضا فى انقاذنا لأن الثوار ليسوا أطفالا .

تشكك الثوار فى حقيقة أمر استانلى

ووجه الثـــوار الى الأونباشى وجنـدى جفسن وابلا من الأسئـــلة المتناقضـة ليتبينوا اذا كان استانلى أتى حقـا من قبـل مصر . وكلفـــوهم بالقيام بجمـلة تمرينات عسكرية . ولما سئلوا عن مجرى الحوادث الجارية فى مصر ما استطاعوا أن يأتوا باجوبة شافية الأمر الذى لا عجب منـــه لأنهم لا يخرجون عن كونهم عساكر سودانيين إلا أنهم حتى فى التمرينـــات العسكرية أظهروا العجز وعدم الكفاءة فكان ذلك داعيا لتقوية ظنون الثائـــرين وحملهم على الاعتقـــاد بأن استانلى لم يك آتيـــا بالفعل من قبل مصر .

استدعاء فضل المولى افندى للضباط لعقد مجلس

وفى ٣٠ أغسطس أى بعـــد عشرة أيام من مجىء أمين باشا ورفاقه الى دوفيليه قـدم ضباط الأورطة الأولى بنـــاء على استدعاء فضل المـــولى افندى . وهـــؤلاء الضباط هم اليوزباشية على افنـدى جابور قائد مكراكا و بلال افندى الدنكاوى قائد بيدن و بخيت افندى رغوت قائد كري و سرور افنـدى قـائد لابوريه و عبد الله افندى منزل قائد موجى و الملازمون الأول الشيخ بخيت (أمين مستودع موجـــى) و عـلى افنـــدى شمروخ

(أمين مستودع الرجـــاف) و حسين افندى محمـد من خور أبو و فرج افندى الدنكاوى من لادو و حسن افنـدى بريه من الرجاف وكان معهم خمسون جنديا .

ووجه هـــؤلاء الضباط الى الجنوب لمقابلة استانلى وليستدعوا رفاقهم الذين فى محطـــات وادلاى و تونجـورو و مسوه لحضـــور المجلس المزمع انعقاده . وكان سفـــرهم مع جفسن إذ أن هـذا كان يريد مقابلة رئيسه استانلى .

تفتيش الثوار منزلى فيتا حسان و أمين باشا

وانتهز فيتـا حسان فرصة سفر البواخـــر ليلتمس من جفسن ان يحمل خطابا منه الى كازاتى . وبما أن جفسن طلب من فيتا حسان أن يسمح له بالنزول فى داره فى مسوه فقد كتب الى خادمه عنبر أن يقوم بخدمته كما لو كان هو نفسه . وحـــل جفسن بتلك الدار وبـذا استطاع أن يحضر تفتيشها وكان هـذا التفتيش بناء على أمر صادر من ثوار دوفيليـه نظرا لتشككهم فى وجود مستندات يمكن الارتكان اليها فى اتهـــام الباشا و فيتا حسان . ولكنهم لم يعثروا على شىء من ذلك لأن فيتا حسان كان يحمل دواما أوراقه وجريدته ومذكراته اليوميـة معـــه وكان لا يتركها تفارقه قط . وكانوا يظنون أن يجدوا لديه بضائع أو أشياء من متعلقات الحكومة لا سيما الـ ١٤٠٠٠ العـــود الكبريت المشئومة التى سببت هـلاك محمد برى المسكين والتى كانت محفوظة لدى أمين باشا فى وادلاى منذ أحضرها ذلك اللص .



شكرى أفندى قومندان محطة مسوه

وبما ان استانلى لم يكن قد وصل بعد فقد عاد الثوار الى دوفيليه مع كازاتى و عبد الوهاب افندى طلعت واحمد افندى رائف وسليمان افـــندى سودان وآخرين واحضروا معهم الـ ٣٤ صنـــدوق الذخيرة التى احضرها استانلى وسلمها . وفتش الثائرون منزل أمين باشا فى وادلاى تفتيشا دقيقا ولكنهم لم يعثروا فيه على شئ اللهم الا على بعض وريقات لا قيمة لها . وأبى شكرى افندى قائد مسوه أن يتتبع خطوات المتمردين ويحذو حذوهم اذ أن هذا القائد كان من اطيب ضباط المديرية وأحسنهم ولذا امتنع عن الاشتراك فى أعمال رفاقه السافلة .

وبمجال وصول الباخرة الى دوفيليه ذهب جفسن لمقابلة أمين باشا و فيتا حسان . أما كازاتى فانطلق الى فضل المولى افندى وزاره بادىء ذى بدء . ولاح على أمين باشا عدم الارتياح من هـــذا السلوك غير انه بعد ان تروى فى ذلك تبدى له ان ما عمـــله كازاتى مبنى على التروى والحكمة اذ كان من اللازم التزلف للثوار وارضـــاء عواطفهم حتى يتيسر الاتصال بهم بسهولة وبدون أن توقظ فى نفوسهم عوامل الحذر .

وقابل فضل المولى افندى كازاتى بغاية اللطف والبشاشة ووعـــده كما وعد جفسن قبله بأن يظل مطلق السراح لكونه ضيفا وأن يكون حـــرا فى أعماله . وحضر بعد ذلك كازاتى رأسا عند أمين باشا وعانقه حتى كأنه لم يحدث بينهما شىء .

محاكمة الثوار لأمين باشا و حواش افندى

ولما كان عدد ضباط الاورطتين وموظفى المديرية أوشك أن يكتمل فى

دوفيليه فقد عقد المجلس جلساته فى ٢٤ سبتمبر لمحاكمة أمين باشا ومحازبيه . وحضر كازاتى المداولة بناء على طلب الثوار .

ونظروا بادىء ذى بدء قضية أمين باشا . وبعد جدال عنيف تقرر ان يكتب اليه بطلب تعيين لجنة تحقيق للنظر فى جميع الشكاوى . ولما كان كتبة المديرية قد نشروا تقريرا ذكروا فيه ان أمينا باشا كتب الى مصر بأن كافة الضباط السودانيين اندسوا فى غمار الثورة دعت الحالة الى استحضار دفاتر صور الخطابات الخاصة بأمين باشا . وبعد فحصها اتضح أن الأمر بعكس ما أذاعوه فى تقريرهم .

وقدم الكتبة الطيب افندى ومصطفى افندى احمد وصبرى افندى التماسا للمجلس طلبوا فيه اقالة أمين باشا من منصبه وتلوا عريضة اتهام طويلة ضده وهذه العريضة حرروها بلا نزاع بالاتفاق مع فضل المولى افندى . وبعد مناقشة طويلة قرر المجلس اقالة أمين باشا وتعيين حامد افندى بدلا منه بصفة مدير خط الاستواء وترقيته الى رتبة قائمقام وتعيين عبد الوهاب افندى طلعت قائدا للأورطة الاولى مكانه ومنحه درجة بكباشى .

وتلا ذلك نظر قضية حواش افندى وكانوا قد اتفقوا سلفا على مصيره . ولذا تقرر عزله من وظيفته بدون مناقشة . وهكذا صار فى قدرتهم الانتقام من ذلك الذى كان قابضا على ناصيتهم زمنا طويلا بيده الحديدية . وان هو الا ان صدر هذا القرار حتى ذهبوا للاتيان به من داره ووضعوه أمامها وأقاموا عليه حرسا شديدا . واضطر أن يرى بعينى رأسه كيف صودرت رياشه وانعامه وسائر ممتلكاته فلم يتركوا له حتى قميصا ولم يستطع أن يدخل الى عقر داره الا بعد نهب كل ما كان

في حوزته .

وأخذ حواش افندى ذلك الذى أبلى بلاء حسنا فى مواقع ممبتو المريعة وأظهر شمما وهمة عالية فى مواقف اخرى حرجة ، يبكى الآن من شدة ما اعتراه من الغيظ عندما رأى ثمرة جده وكل اتعابه تلاشت وذهبت ادراج الرياح . وردت الى حواش افندى جملة أشياء من ممتلكاته بهمة حامد افندى الذى ارتقى رغم ارادته الى رياسة الحكومة الجديدة . ومنح سليم افندى مطر رتبة بكباشى وعين قائدا للاورطة الثانية .

وكان عثمان افندى لطيف يرسل سرا الى أمين باشا ورفاقه بيانات بسير الحوادث وتطوراتها . ومن جهة اخرى كان كبار الضباط يجتمعون احيانا تحت الجميزات الاربع القائمة فى وسط الميدان الواقع بين البيت النازلين به وبيت حواش افندى ويجادل بعضهم بعضا بشدة لدرجة يستطيع معها المسجونون أن يسمعوا كل ما يدبرونه فى امرهم . واقترح بعض الضباط فى جلسة من تلك الجلسات الخلوية ابقاء أمين باشا فى مركزه وضم لجنة اليه مؤلفة من ستة ضباط . وهذه اللجنة تقرر برياسته باغلبية الاصوات كل أمر يختص بالمديرية .

واحتج عبد الوهاب افندى طلعت بشدة على هذا الاقتراح صائحا : « ما ذا تخشون . نحن لا نمس الباشا بسوء وينبغى أن يظل دائما فى داره محترما وأن نقدم له جميع لوازمه ولكن لا يجب أن يبقى بعد الآن على رأس المديرية . نحن لا نريد أن نرهقه عسرا ولكننا لا نريد كذلك أن يكون حاكما علينا » .

وكان عبد الوهاب افندى ضابطا من ضباط العرابيين وأبعد الى السودان . ومن وقت أن وصل الى المديرية حاول بكل وسيلة اضعاف سلطة المدير . وكان ذات يوم قد حرر التماسا يطلب فيه عزل أمين باشا . ولما شرع فى عرضه فى السر على الموظفين والجنود للتوقيع عليه عنفه القاضى الحاج عثمان تعنيفا شديدا لدرجة انه آثر بعد ذلك أن يلتزم جانب الهدوء والسكينة ولكنه كان دواما يعترض الحكومة حتى بلغ من امره أنه لا يحدث شيء يخل بالنظام الا وله حتما ضلع فيه .

وعرض فى المساء على جمعية فى دار عبد الوهاب افندى نفس الفكرة المتقدم ذكرها وهى ضم ستة ضباط الى أمين باشا فقبلت باجماع الآراء بناء على الايضاحات التى ابداها فضل المولى افندى . وكتب عثمان افندى لطيف بذلك للمسجونين وكذلك فعل عارف افندى نديم وبذا علموا ما تقرر فى شأن مصيرهم فى نفس المساء . وما كادوا يتنفسون الصعداء حتى نمى اليهم فى اليوم التالى انه حدث أن على افندى جابور رغما عن موافقته فى العشية جمع فى داره بعض رفاقه وبث فى قلوبهم الخوف والرعب بان وصف لهم ما سيحيق بهم من البلايا والرزايا من جراء سخط الباشا اذا ظل قابضا على زمام الاحكام حتى انه انتزع منهم وثيقة موقعا عليها من ٧٢ شخصا تحتم خلع أمين باشا من وظيفته على أن ثلاثة ارباع الموقعين وقعوها بدون أن يدروا شيئا من مضمونها . وعرضت تلك الوثيقة على المجلس فى اليوم التالى فاضطر بعض من الضباط الذين كانوا لم يزالوا موالين للباشا أن يوافقوا على ما شاءته الاغلبية .

وأول عمل قام به المدير الجديد هو التوقيع على أمر خلع أمين باشا

و حواش افندى و فيتا حسان غير انه تعذر عليهم تنفيذ فصل هذا الاخير لعدم اهتداء الثوار الى ايجاد من يفوض اليه القيام بأعمال الصيدلية والمستشفى . وكان قرارا عزل أمين باشا وحواش افندى مكتوبين بعبارات متقاربة ومؤرخين بتاريخ واحد أى أن كليهما مؤرخ فى ٢٧ سبتمبر . وهذا هو قرار عزل الباشا :

الى حضرة صاحب السعادة محمد أمين باشا .

« ايماء للشكاوى المتقدمة فى حقكم للمجلس ونظرا لاشتراككم مع حواش افندى فى تدبير تسفير موظفى المديرية الملكيين والجنود مع حملة استانلى فى اتجاه الجنوب تقرر فصلكم الى أن يتم البت فى هذه الشكاوى . وسنحيطكم علما بنتيجة التحقيق عند اتمامه . وحررنا لكم هذا حتى تسووا ما لديكم من الاعمال . واذا كان لديكم بعض مستندات تهم المديرية فحرروا بها كشفا وأرسلوها الينا » .

رئيس مصلحة خط الاستواء

« حامد محمد »

* * *

ومنح الثائرون انفسهم رتبا أخرى غير التى سبق ذكرها . فأخذ اليوزباشى على افندى جابور رتبة صاغ والجاويش حمد شاويش رتبة ضابط هذا عدا ترقيات جمة بين الضباط والجنود . وأبى فضل المولى افندى محرك الثورة وروحها كل الاباء ان يقبل اية ترقية جديدة وقال انه لم يدر بخلده

الحصول على فائدة شخصية من وراء الثورة وان همه الوحيد ايجاد نظام للمديرية أحسن وأوفق والضرب على ايـــدى استبداد حواش افندى وخصوصا منع السفر مع استانلى والحيلولة دون عواقبه المشئومة .

ولم يحرم المستخدمون الملكيون من نصيبهم فى الغنيمة ونال الجانب الأكبر منهم علاوات بحسب أهمية مراكزهم . أما حامد افندى فكان تعيينه رئيسا للمديرية على غير رغبته وقبل وظيفته الجديدة وهو شبه مكره . إذ ان هذه الحكومة كانت مقدمة لتولى السلطة العسكرية الحكم وكانت النيـــة معقودة على إيجاد حـــاكم عسكرى . ولما كان أرقى الضباط رتبـــة فى خط الاستواء همـــا البكباشيان حامد افندى و حواش افندى وكان بحكم الطبع لا يمكن الكلام بشأن هذا الأخـــير وهو أول ضحايا الثورة فلم يبق سوى حامـــد افندى وهذا اضطر رغم أنفه أن يأخـــذ على عاتقه عبء قيادة الثوار وهو عالم بثقله وان يحكم بلدا تدهور فى لجج الفوضى . وعندما هنأه كازاتى بمنصبه الجديد قال :

« أخشى كثيرا أن نكون قد ضيعنا كل شىء . ان السمكة اذا قطع رأسها تنتن . فاذا كان أمين باشا مع توليه حكم هؤلاء الناس منذ اثنى عشر عاما عجز عن إخضاعهم ولم يجد له من تمسهم شفيعا فكيف أنجح أنا فى قيادتهم » .

وسلك أمين باشا مسلكا يليق بمنزلته ولم يدع الحـــيرة تتطرق الى نفسه ولم يقم بعمل يقصد به استرجاع سلطته . ووضع كل آماله فى الزمن والزمن حلال المشاكل . وكان لا يود أن يتغلب على تصاريف الحوادث بل اتبع سياسة التربص . وأشار عليـــه فيتا حسان فى أول يوم أن يقدم

على عمل وذلك بأن يخرج فجأة أمام الجنود ويحاول بيسالته إرجاعهم لطاعته . وبعد وقت أشار عليه كازاتى بنفس هذه المشورة . غير ان أمينا باشا أجاب بأن الزمن وحده كفيل بعلاج كل هذه الأحوال وان واحداً من الحادثين المنتظر حصولهما وهما قدوم المهديين أو وصول استانلى يكفى لتغيير وجه الحالة . وانه يبدو له ان هذين الأمرين وشيكا الوقوع . وكان يظهر فعلا ان الزمن سيحقق ما ارتآه .

وكان رؤساء الحكومة الجدد شغلهم الشاغل دواما المسجونين على ان تصريف أشغال الحكومة العادية كان لا يدع لهم وقتا للراحة . وكان كازاتى ملازما دائما لهم ويشترك معهم فى المناقشة والجدال ويغلظ لهم القول لا سيما عندما يتخذون قرارا ضد المسجونين . وهكذا جر على نفسه سخط على افندى جابور وجماعته . وأذيع ذات يوم أن هذا ينوى القبض عليه والقاءه فى السجن ونظرا لكونه لبث متغيبا زمنا طويلا زيادة عن الزمن المعتاد جزع المسجونون لذلك جزعا شديدا .

ولما نمى الخبر الى كازاتى ذهب هو نفسه عند على جابور ورجع بعد ساعة يجر خلفه خروفا . وذلك ان هذا الأخير داخله الخوف لما رآه من ثبات ورباطة جأش كازاتى وأكد بأنه لم يخطر بباله قط مثل هذه النية وأهدى اليه خروفا .

وأصدرت الحكومة الثائرة أمرا الى جماعة من الضباط بتفتيش منزل أمين باشا فى وادلاى ومنزل فيتا حسان فى مسوه وعلى ذلك سافرت الباخرة الخديو فى ٦ أكتوبر وعلى ظهرها كودى افندى و عوض افندى و احمد افندى محمود و الطيب افندى و صبرى افندى لتأدية هذه المأمورية

ورافقهم فى هـذه الرحلة كازاتى ليحضر التفتيش وليدعو الضباط ان يلازموا جانب الاعتدال فى تأدية مأموريتهم .

وأبلغ عثمان افندى لطيف ذات يوم أمينا باشا أن لجنـة التحقيق قررت استجوابه . وحضر فعلا القضاة المحققون فى نفس اليوم غير انهم ما كادوا يلفظون بعض كلمات حتى قاطع الباشا كلامهم قائلا إنه لا يجاوب إلا اشخاصا يعلونه فى الرتبة .

ورغب أمين باشا فى خلال سجنهم له ان يكتب وصيته فأحضر لهـذا الغرض الضابطين مصطفى افنـدى العجمى وفرج افنـدى الجوك واحضر كذلك إمام الاورطـة الثانيـة بصفـة قاض والاثنين الاولـين بصفـة شهود وأمر بتحرير اشهاد شرعى وعين ابنته فريدة بصفـة موصى لها بجميع ممتلكاته وان يكون الوصى سمو الخـديو توفيق وعينه منفذا للوصية وكازاتى وصيا مؤقتا وذلك لغـاية أن تصل ابنته الى القاهرة . وفى اليوم نفسه أعتق جميع ارقائه من رجال ونساء .

وكانت التحقيقـات فى اثناء ذلك آخـذة مجراها . وتقدمت فى حق أمين باشـا و حواش افندى شـكاوى جمـة كلها سخيفة ومضحـكة الا انهم لم يجدوا شيئا يوجب الشكوى من فيتـا حسان . وفى ذات يوم ادعى ضابط انه يدين هـذا الاخير بمبلغ ٤٥ ريالا ومع أن المطالبة كانت على غير اساس فقد دفع فيتا حسان هذه القيمة بناء على مشورة كازاتى حسما للمشاكل . وفى مرة اخرى استـدعى امام المجلس ليجاوب على تهمة وجهت اليه فحواها انه خبأ بمنزله زنجية من الرقيق لحواش افندى فأجاب أن فتشوا بيتى لتتحققوا من وجود هذه الزنجية أو عدم وجودها .

قدوم أتباع المهدى الى لادو وتحول مجرى الأمور لدى الثوار

وكان يوجد من بين الشكاوى الموجهة الى أمين باشا شكوى يرجع تاريخها الى أوائل المـــدة التى قبض عليهم فيها . ذلك ان واحدا من الثائرين وهو كاتب يقال له ميخائيل افندى عوض أصيب بجرح فى صدره وهـــذا الجرح ازدادت حالته سوءا وعند ذلك فقط استدعى الباشا لمعالجته ولكن الطب لم يستطع أن يمد فى أجل المجروح غير يومين . وعلى ذلك اتهم الباشا بتجريعه السم على اســـاس محضر مستوف الشروط . وبعد أن انتهى التحقيق أمرت حكومة دوفيليه مستندة الى التقرير بنفى المسجونين وذلك بنقل أمين باشا الى الرجاف وحواش افندى الى كري و فيتا حسان الى مكراكا . غير أن خبر وصول الدراويش حول اهتمام الثائرين الى اتجاه آخر وحال دون تنفيذ الحكم مؤقتا .

ففى ١٥ اكتوبر قدم بغتة جنـــدى من المحطات الشمالية مسرعا ومعه خطاب ينبىء بوصول ثلاث بواخـــر تجر تسعة مراكب كبيرة الى محطة لادو التى أخليت من مدة طويلة . وهـــذه البواخر الثلاث والمراكب التسعة محملة كلها بالرجال . وسافر ذلك الجنـــدى ليلا ونهارا الى أن بلغ دوفيليه لكى يوصل الخبر سريعا . وظن بعض الناس أولا أن هذه السفن لا بد أن تكون للحكومة المصرية . ولكن هذا الظن ما لبث أن تبدد بقدوم رسول آخر من الرجاف فقد قال هـــذا الرسول انه عندما ورد هـــذا الخبر سافر ضابط و ٥٠ جنديا من المحطة لاستكشاف الحـــالة واستطلاع طلع أولئـــك الناس ثم قفلوا راجعين بعد أن تحققوا أن القادمين هم من أتباع المهـــدى . وقال الرسول أيضا ان ثلاثة دراويش

قادمون فى الطريق الى دوفيليه ومعهم خطاب (١) لأمين باشا من عمر صالح قائد الحملة مؤرخ فى ٦ صفر سنة ١٣٠٦ ه (١٢ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م) .

خطاب عمر صالح عامل المهدى الى أمين باشا

وفى ١٧ اكتوبر وصل الى دوفيليه فعلا الثلاثة الدراويش ومعهم حرس والخطاب المذكور وهذا نصه وقد اثبتناه كما هو بأخطائه فى الرسم واللغة :—

« وبعد فمن عبد ربه عمر صالح عامل المهدى عليه السلام وقايد سريت (٢) خط الاستوى الى المكرم محمد أمين مدير خط الاستوى وفقه الله لطريقه الهداية آمين .

بعد السلام نعلمك أن الدنيا دار زوال وارتحال . وكل ما فيها ذاهب كانه لم يكون .ولا ينفع العبد منها الا ما قدمه لآخرته . واذا اراد الله بعبده خيرا اسطفاه لنفسه ووفقه لجميع أموره وألهمه الحق فى جميع سره وجهره . ولا يصدر منه قول ولا فعل الا ويكون موافقا للصواب . وان الله هو القاهر فوق عباده وبيده مفاتيح كل شىء . ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولا ينجو منه ناج ولا هارج . والخير والشر بيده والملك ملكه يأتيه لمن يشاء واذا قضى أمرا فان نما

(١) ـ نقلنا هذا الخطاب بنصه العربى من كتاب « التمرد فى خط الاستواء » لمستر جفسن أحد أعضاء حملة استانلى وقد نقله له من نسخته الاصليه عبد الرحمن افندى رحمى ابن عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء وكان مع والده فى ذلك الوقت بهذه المديرية . وسيرى القارىء فى هذا الكتاب أخطاء كثيرة ولا ندرى أهى من الاصل أم من الناقل وقد نبهنا على بعضها وتركنا البعض الآخر لفطنة القارىء . (٢) أى سرية خط الاستواء .

يقول له كون فيكون . وبما انك من ذو [١] الفهم السديد والرأى المفيد . ومظنون عندنا بكل الخير وعلمنا بلغنا من بعض اصدقائك الذين يفهمونا حالك وأحوالك كمثل الحبيب عثمان ارب مندوبك الذى حضر معنا الان وغيره . ان سيرك مع الناس حسن وتحب الحق فلذالك اردنا ان نوضح لك بعض حالنا وما نحن عليه لأن الناس كلهم لا يخلو من الضضديات [٢] ولا يقولون الحق ولو على انفسهم ولربما يجحدوه [٣] فانا جند الله لا يقاومنا احد تقوله تعالى وان جندنا له [٤] الغالبون . وحسب الامام محمد المهدى بى [٥] عبد الله عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وعد به سيد الوجود بقوله يخرج من عطرتى [٦] رجل فى آخر الزمن يملو الأرض قسطا وعدلا كما مليت [٧] جورا وظاما . وان قيمنا هذا هو بامره ولا نريد به جاها ولا مالا الا السواب [٨] فى دار المئاب . وقد بعنا له ارواجنا واموالنا واولادنا فى سبيل الله فاشتراه الله منا بقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلونا ويقتلونا وعدا عليه حقا فى التورات والانجيل والقران ومن اوفا بعهده من الله فاستبشروا بيعكم الذى بايعتوا به ذالك هو الفوز العظيم [٩] . وقد ظهره الله تعالى بين اظهرنا فى شهر رمضان سنة ١٢٩٨ وبشره صلى الله عليه وسلم

---

(١) ـ أى ذوى الفهم . (٢) أي لا يخلون من الضديات . (٣) الصواب يجحدونه . (٤) الصواب لهم . (٥) أى ابن عبد الله . (٦) أى عترتى . (٧) أي يملأ كما ملئت . (٨) [illegible] الثواب . (٩) صحة الآية : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

بانه هو المهـدى المنتظر وأجلسه على كرسيه وأقـلده بسيف النصر فى الحضرتين وبشره بأن جميع من يعاديه كافر بالله ورسوله ويخـذل فى الدارين وماله وأولاده غنيمـة للمسلمين ومنصور على جميـع من يعاديه ولو الثقلين . وبشره ان من باده بالعـداوة ياخـذه الله اما بالخسف واما [١] بالغرق وأيده الله بالملايكة والأوليه [٢] من لدن آدم الى يومنا هـذا والجن الانس . وله راية يحملهـا عزرايل عليه السلام . ويقـدم رايته النصرى [٣] أربعين ميـلا وكثيرا من البشارات التى لا يحصا عددها . فصدع بالأمر وظهر كالشمس فى رابعة النهار الذى [٤] لا ينكر ضواها [٥] الا علي خفـاش ينكر الحق ودعي الخلـق الى الله ورسوله بأمر الله ورسوله وأمرهم بالهجرة اليهم ومحـاربة من أعداه [٦] بأى جهة كانت . وخاطب فى وقتهـا الحكمدارية وباقى مـديريات السودان وبلغ الأمر منتهاه وخاطب كافت الملوك وخصوصا سلطان اسلانبول عبد الحميد و محـمد توفيق والى مصر و فكتوريه ملكت برطانيه كونها توسطه بالمحاربة [٧] مع الحكومة المصرية فاتوه النـاس أفواجا أفواجا يهرعون اليه من جنب وبايعوه وصفة بيعتـه : بايعنا الله ورسوله وبايعنـاك على توحيد الله . ولا نشرك بالله شيئا . ولا نسرق . ولا نزنى . ولا نأتى ببهتـان . ولا نعصيـك فى معروف . بايعناك على زهـد الدنيا وتركها . والرضى بما رضى الله . ولا نفر من الجهـاد . وانتهى . فوجدنـاه أشفق علينا من الوالدة الشفوقة . ويوقر كبيرنا . ويرحم صغيرنـا . ويألف أهل الشرف . ويكرم أهل الفضل . ويمـزح ولا يقول الا الحـق .

(١) - أى إما وإما . (٢) أى الأولياء . (٣) صوابه النصر . (٤) صوابه التى . (٥) أى ضوءها . (٦) الصواب أمرهم بالهجرة اليه . أو اليها . ومحاربة من عاداه (٧) أى توسطت .

ودل الخلـــق الى الله . وفـــدهم فى الدنيا . وشوقهم الى الاخـــره .
وحكم فينا على الكتاب والسنه . وطرح جميع اقـــوال الفقهه والمذاهب
والمسلمين كلهم صاروا اخواننا . وعلى الخير اعواننا . وصاروا يقفوا اسر (١)
رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ويشبهه فى الخلق والخلق كما قال صلى الله
عليه وسلم يشبهنى فى الخلق والخلق وبشره ايضا بان زمنه منـــدرج بزمنه .
واصحابه كاصحابه والعام منهم له مرتبـــة عند الله كعبد القادر الجيـــلى
فتبعه وصدق بمهديتـه من ختم الله له بالسعادة فى الدارين وخالفه وجحد
مهديته من كفر بالله ورسوله كاخبار النبى له بذالك . فجميع الترك الذين
حاربوه بالسودان بعد تكرار الانذارات وحصول الكرامات وخوارق
العادات التى حصلة فى زمنـــه وشاهدوه بالعيان قد خـذلهم الله . وقتـلوا
على يد اصحابه اشر قتـــلا . واول جرده توجـه فى رأسها ابو السعود بيك
بوابور منذ كان بأبا وهو فى ضعف شـــديد فقتلهم الله الى آخرهم ثم أمره
رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بالهجره الى ما شا بقدير ففعل فلحقه راشد
ايمن مدير فشوده وما معه من الجموع . ثم بعدها يوسف باشا الشلالي و محمد
بيك سليمان الشايقى وعبد الله ولد دفـع الله من تجار كوردفان بجرده اخره
بقوة كافية فقتلهم الله . ثم وجرده الهكس احـــد الرجال المشاهير وعلاء الدين
باشا الحكمدار وكثير من الضابطان ومعهم جيش عرمرم بألوف من
أجناس شته (٢) فى عـدد وعدد ومدافع كرب لا يعلم عـــددها الا الله
فقتلوا فى أقل من ساعة وصار يفتح حصونهم حصنا بعد حصنا (٣) لغاية
الخرطـــوم الذى هو مركز الحكمدارية ومحل المدد والعـدد وبين مرج
البحرين ففتل من داخـله غوردون باشا وما معه (٤) من القناصل كهنزل

(١) ـ الصواب وصار يقفو أثر (٢) أى شتى (٣) الصواب حصنا بعد حصن (٤) ومن معه .

و نقوله لونديزى الرومى و عاذر القبطى وغيرهم من النصارا وكثيرا من المسامين المخالفين كفرج باشا الزينى ومحمــــد باشا حسن وبخيت بطرا كى و احمد بيك على جلاب . وكل مقتولا منهم [١] تأكله النار فى الحـــال . وكلما [٢] يقتل على يد اصحاب المهدى تأكله النــــار . وهذه أكبر معجزة وأعظم آية فى تعجيل العقوبة فى الدنيـــا قبل الآخره . واعجبه من ذالك آية اخره [٣] أن ارماح اصحاب المهـــدى جميعها تلمع الأنوار فى رأسها وتهلل بفصيح اللسان كما شوهد بالاعيان [٤] . وليس بعد الاعيان [٥] بيان . وهكذا واقعه بعد واقعه بسواكن ودنقله حتى قتل الجنرال استورت باشا وكيل الحكمدارية وما معه [٦] من القناصل بوادى قمر . واستورت الثانى بابى طليح الذى كان حضر لنجدة أخـــذ غوردون باشا بجيش انجليزى فقتلوا ورده الله جيش [٧] خائبا . وجميع السودان وما معهم [٨] صاروا فى سلك المهدية . وسلموا الأمر للامام المهـــدى فسلموا بمالهم وعيالهم وجناهم وصاروا من أصحابه ومن خالف قتله الله وأمواله واولاده غنيمه للمسلمين . والان جيوش المهديه محاصرة لأرض مصر بجهـــة وادى حلفه بالحبيب ولد النجومى . وجهـــة ابو حمد وعتباى بقصاد اقصر ابو الحجـــاج الحبيب عثمان دقنه . وأرض الحبشة فى كفالة الحبيب حمدان ابوا عنجه . وقاتلوه فاعانه الله عليهم وقتلهم بما فيهم مقدام جيشهم المسمى راس ادرانجى بنفسه . وقتلوا [٩] بعضا من اولاده واسروا [١٠] البعض من نسأه [١١] واولاده . ووصل الى كنيستهم التى ببندر قندر التى من أعظم شعائرهم النصرانية وجهة دارفور

(١) صوابه وكل مقتول . (٢) أى وكل من يقتل . (٣) أى وأعجب من ذلك آية أخرى . (٤) و (٥) صوابه العيان . (٦) الصواب ومن معه . (٧) الصواب ورده الله وجيشه (٨) أى ومن معهم . (٩) و (١٠) الصواب قتل . وأسر . (١١) أى من نسائه .

وشكا وبحر الغزال الحبيب عثمان ادم ومعــه كرم الله والزبير الفحل . والارض كلها مملوة (١) من الانصار لجهاد اعدا الله المخالفين للامام المهدى عليه السلام وانهم منصورون بحول الله وقــوته كما اوعــدهم الله بذالك بقــوله تعالى يا أيها الذين امنــوا ان تنصروا الله ينصركم . وقــوله تعالى حقا علينـا نصر المؤمنين . وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيــل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٢) . وحيث ان قـد حضرنا بداخل ثلاثة وابورات وصنادل ونقوره مشحونه من حزب الله الانصــار وتحت قيادتنا مرسولين اليكم منطرف الوسيلة العظما (٣) ووالى أمر المسلمين القــايم فى نصرة الدين المعتصم برب العالمين خليفة المهدى عليـه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضى الله عنــه . وبأوامره الشريفة التى هى أمر الله ورسوله الواجب طاعتها عليكم كتابا وسنة لك ولمن معك من المسلمين والمسيحيين والمسبويين بالبشارة . ولما فيـه صلاح حالكم فى الدارين وارشادكم لما يرضى الله ورسوله والعفـو منكم ولمـن معكم من أموالكم وأولادكم لله ورسوله بشرط الانــابة الى الله . ومرفوق معنا جـوابات بأذن سيادته من بعض اخوانكم الذين يحبونا لكم الخــير كمثل عبد القادر سلاطين الذى كان مــدير عموم دارفور . ومحمــد سعيد الذى كان مسمى سابقا بجورجى اسلانبوليه . واسماعيل عبــد الله الذى كان سابقا مسمى ببولص صليب القبطى . وباقى الاخوان شفقة عليك . وقد فازوا بصحبت (٤) المهــدى وخليفته عليـه السلام المذكورين . وفمن هما (٥) اسوتكم لعبد الله لبــتن الذى كان مـدير بحر الغزال . وابراهيم باشا فـوزى . والنـور بيك ابراهـيم

(١) أى مملوءة . (٢) صحة الآية إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . (٣) أى مرسلين اليكم من طرف الوسيلة العظمى . (٤) الصواب وقد فاز بصحبة الخ . (٥) الصواب ومن هم اسوتكم كعبد الخ . .

مدير سنار . والسيد بيك جمعـه مدير الفاشر . واسكندر بيك قيمقام اورط كردفان . فتداركم [١] الله بلطفه . والان في ارغد عيش . وا كل راحة وعوضهم الله خيرا مما كانوا فيـه سابقا دنيا واخرا [٢] لصحبتهم للمهدى في هنيا لهم بذالك وطوبة لهم ثم طوبه [٣] . ولزيادة شفقـة خليفة المهدى عليه السلام عليك وعلى المسلمين وتحيزكم في بلاد العبيـد وانقطاع اخباركم الزمن الطويل وتشتت شملكم زادت شفقتـه عليكم وارسلنا لكم بجيش كما ذكرنا لانقاذكم من دار الكافرين وانضمامكم على اخوانكم المسلمين . فينبغى أن تجبوا [٤] داعى الله بالتلبيـة وتحضر مسرعا لمقابلتنا باى جهـة كانت حيث اننـا بالقرب منك لاجل تشريفكم بالاوامر الشريفة وتسليمها اليك بما معها فتجدها مملوءة بالحكمة والموعظا [٥] الحسنة . وتنيل بهـا [٦] السلامه في الدارين وتجد بهـا رضى رب العالمين . وزيادة عليذالك فانا ماموراً من الجناب الشريف التي لا تسعها مخالفتـه باكرامكم ومراعاتكم [٧] . وعنـد المقابـلا معنا ستظفروا بمقصودكم وتكونوا [٨] من رجال الدين حسب اشارة سيد الجميع . فطب نفسك ولا تكن من المعرضين . حماك الله . وفيهذا كفايه لمن ادركته العناية . وفقنا الله واياك لاتباع مرغوب سيادته وجعلنا واياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وفى الحقيقة هو الهـادى الله . ثم ومنضمن ما سرى [٩] خليفة المهدى عليـه السلام حضور جواباتك التى حضرة مع الحبيب عثمان ارباب بالتسليم فقبلها ووقمه [١٠] عنده

(١) الصواب فتداركهم (٢) أى وأخرى . (٣) الصواب فهنيئالهم بذلك وطوبى لهم ثم طوبى (٤) الصواب أن تجيبوا (٥) أى مملوءة بالحكمة والموعظة الخ .. (٦) الصواب وتنال (٧) الصواب وزيادة على ذلك فأنا مأمور من الجناب الشريف الذى لا تسعنى مخالفته الخ .. (٨) الصواب وعند المقابلة معنا ستظفرون بمقصودكم وتكونون الخ .. (٩) الصواب ومن ضمن ما سر خليفة المهدى الخ ...
(١٠) الصواب ووقعت عنده .

موقع الاحسان . ومع هذا وشفقة خليفة المهدى عليكم حضرنا كما ذكرنا بالمتن . بارك الله فيكم وحمد مساعيكم والسلام »

٦ صفر سنة ١٣٠٦

* * *

رجـــوع الثوار الى أمـــين باشا
واستشارتهم له فى أمر المهديين

وقدم الضباط بخيت افندى برغوت و فرج افندى الجـــوك و عبد الله افندى منزل ليستشيروا أمينا باشا فقال لهم انه أقيل من وظيفته ومسجون وانه على ذلك ليست له أية صفة ليبدى رأيا فى المسائل العامة إذ لم يعـــد له فيها شأن .

ولقد زعزع قـــدوم المهديين عقيدة الضباط وخلع قلوبهم خلعا . وفى الحـــال تألف بين صفوف الثوار حزب ميـــال للمسجونين وأخذ هؤلاء يحركونه سرا بواسطة البعض من أصدقائهم . وتحـــادث ابراهيم افندى حليم مع فريق من ضباط الصف والجنود ليقفوا فى سبيل قـــرار نفيهم والحيلولة دون تسفيرهم اذا أريد تنفيذ هذا القرار . وأقسمت الجنود بأن لا يدعوهم البتة يسفرون الباشا صوب الشمال وذلك لأن اشاعة كانت قد أذيعت مقتضاها انه تقرر اعدام المسجونين فى خور أيو . وكأن الجنود قد عادوا الى صوابهم أمام الخطر المحدق بمديرهم وصرحوا بدون التباس أو تصنع أنهم يمانعون فى حدوث جريمة كهذه .

وازداد الحزب الميـــال للمسجونين قوة فأشار فيتا حسان على الباشا مرة اخرى بأن يخرج أمام الجنود ويوجه اليهم نـــداء فامتنع قائلا انه وقتما يضايق المهديون الثوار يرجع هؤلاء من تلقاء أنفسهم الى رشدهم ويلتمسون منه أن يتسلم قيادتهم . وأخذ الجنود فعلا يتذمرون ويطلبون بالحاح ولجاجة تفويض أمر قيادتهم للباشا حتى يتيسر النصر على العدو .

ولما رأى حزب الثوار أن فريقا كبيرا من رجاله نأى بجانبه وأعرض عنهم ازداد عتـوا وعنادا وقرر ابعاد جميع أولئك الذين يعطفون على المساجين ويوالونهم . وعلى ذلك أبعد ابراهيم افندى حليم الى وادلاى .

وأخـذ القلق والهم يتسربان الى نفس جفسن . ففى داخليـــة المديرية الفوضى ، وخارجها المهـديون . والخطر محدق من النـاحيتين . هكذا كان الموقف . فطلب جفسن من أمين باشا أن يأذن له بالسفر صوب الجنوب للبحث عن استانلى وقد كان يتمنى سرعة إيابه .

وكان كازاتى وقتئذ غائبا فاذا سافر أيضا جفسن بقى المسجونون بدون صديق يواسيهم فى شدتهم وعلى ذلك التمس منه أمين باشا أن لا يتركهم وحدهم فعدل عن طلبه .

تعزيز الثوار لحامية الرجاف

وعندما جـــاء خبر وصول المهديين الى لادو سافر فى الحـــال القائمقام حامد بك و البكباشى عبد الوهـــاب افندى طلعت و اليوزباشى سليم افندى خلاف و الملازم فرج افندى الدنكاوى ومعهم ٦٠ جنـــديا واربعة صناديق ذخـيرة للرجاف لتعزيز حاميتها . وقـــام على أثرهم بعد ثلاثة أيام الصاغ على

افندى جابور و اليوزباشى فرج افندى الجوك و الملازم على افندى شمروخ ومعهم ٦٠ جنديا آخرون و ١٨ صندوق ذخيرة لنفس الجهة ولأجل الغرض ذاته .

استيلاء المهديين على الرجاف

وما كادوا يسافرون حتى جاء فى ٢٩ اكتوبر رسول من دوفيليه يحمل خبر استيلاء المهديين على محطة الرجاف وذبح كافة حاميتها تقريبا وسبى النساء والأولاد وأسر بعض الضباط ومن بين هؤلاء أسرة القائمقام حامد بك . وأبلغ عثمان افندى لطيف هذا الخبر الى أمين باشا بخطاب هذه ترجمته .

ولى نعمتى .

لقد ظهر بجوار الرجاف فى ١٩ أكتوبر فى الساعة الرابعة مساء رجال من الخرطوم وآخرون غيرهم من أتباع الرئيس بافو Befo متظاهرين بأنهم يقصدون نهب ماشية الرئيس لاكو . فبارحت الجنود المحطة ليحولوا دون تنفيذ مرامهم فانتهز رجال الخرطوم سنوح هذه الفرصة ودخلوا المحطة . وبعد أن احتلوها أداروا وجوههم نحو الجنود وقتلوا منهم ثلة كبيرة منها الضباط على افندى العبد و حسن افندى بن بريه والكاتب احمد زنيل . أما رجالنا فتعلقوا بأذيال الفرار وفريق منهم ولى وجهه شطر مكراكا والفريق الآخر لاذ بلابوريه ووقع فى الأسر كافة من لم يستطع السفر من نساء واطفال وخادمات ومن هؤلاء أسرة حامد بك و على افندى جابور و على افندى شمروخ و جادين افندى .

ولاذ بلابوريه أيضا حاميات بيدن و كري و موجى ناجين بحياتهم .
والى الآن لم يسد شبح رجال الخرطوم لا فى بيدن ولا فى كري بل ما زالوا
فى الرجاف مشغولين باقتسام النساء والاولاد والرقيقات ممن وقع فى سبيهم .
وختاما اقبل يديكم ويدى المستر جفسن م؟

عثمان لطيف

محاولة الثوار استرداد الرجاف وفشلهم فى ذلك

وقــال حامل هـذا الخبر ان الحكومة الوقتية أزمعت ان تحشد جيوش حاميات المحطات الشمالية الممكن الاستغناء عنها لمهاجمـة الرجاف ومحاولة استرجاعها .

وفى ٣٠ اكتوبر رجع كازاتى ومن كان معه من الجنوب على الباخرة الخـديو بدون أن يجد المندوبون لتفتيش منزل أمـين باشا فى وادلاى ومـنزل فيتا حسان فى مسوه ، شيئا يوجب الشك أو الريبـة رغم ما أبداه أولئك المندوبون من التدقيق فى التفتيش والبحث . وتمكن كازاتى من انقاذ جميع موجودات الباشا اللهم إلا المنسوجات الجديدة التى اعتبرت ملكا للحكومة وحجزت . أما ممتلكات فيتا حسان فصودرت جميعها ولم تأت احتجاجات كازاتى بأية فائدة أو عائـدة ولم يدعـوا له حتى قطعة نسيج باليـة ولا قبضـة من الذرة وحملهم الشر الى أن انتزعـوا من خادمته السيدة أساورها الفضة .

وبعد انقطاع الأخبار بضعة أيام ورد فى ١٤ نوفمبر الى دوفيليه نبأ بأن

الفرقة التى كانت أرسلت بقيادة القائمقام حامد بك وكبار ضباط الثورة لاسترداد الرجاف انهزمت انهزاما تاما ومع ان قسما من الجنود تمكن من النجاة فقد قتل أغلب الضباط .

كيف هزم المهديون الثوار

وتفيد الأخبار التى وردت أن الأحوال جرت بالكيفية الآتية :

لما استولى المهديون على الرجاف أسرع بالذهاب اليها الضباط الذين فى دوفيليه والذين لهم منازل وأسر بها ومعهم ١٢٠ جنديا من حاميات دوفيليه و خور أبو و موجى و كري و ٢٧٠ رجلا من مكراكا لينقذوا من نجا من المجزرة وينتقموا من رجال المهدى . وكان هؤلاء قد تركوا مراكبهم بجوار الشاطىء وانطلقوا الى الجبال . ولما لم ير الجنود بعد أثرا للعدو ورأوا المراكب مهجورة فاتهم اتخاذ أية حيطة وتشتتوا سواء أكان فى القرية أم فى اتجاه المراكب ظانين انها أضحت غنيمة باردة لهم . وانتهز المهديون هذه الفرصة وسطوا على الرجاف وذبحوا العدد الأكبر من الجنود ومن ضمنهم القائمقام حامد بك و البكباشى عبد الوهاب افندى طلعت و الصاغ على افندى جابور و اليوزباشى سالم افندى خلاف و الملازم فرج افندى الدنكاوى وغيرهم .

تأليف حزب من ضباط دوفيليه وتقرير فك أسر أمين باشا

وفى اليوم التالى أذيع هذا الخبر فى دوفيليه وشرعت الجنود تتذمر علنا وبصوت جهورى وعزوا الخطأ الى الضباط الذين على رأس الحكومة ولجوا

فى اطـــلاق سراح المسجونين وحتموا رجـــوع الباشا الى وظيفته لأنهم لا يثقون إلا به دون سواه فى انقاذ المديرية . وكان الثوار الأشد تمردا قد قتلوا فى واقعة الرجاف وكان الرؤساء الذين ما زالوا فى دوفيليه قد قرروا فى نهاية الأمر تسليم أعنة السلطة الى الباشا .

ومن ناحية اخرى كان قد تكون عدا ذلك حزب من ضباط دوفيليه من مدة ليسعى فى صالح أمين باشا . وارسال بعض هؤلاء الضباط الى وادلاى جعل البعض الآخر يجاهر بما يكنه صدره وما يبطن .

وكان هـــذا الحزب يتألف من سليم افندى مطر و بخيت افندى برغوت و حسين افندى محمد و سليمان افنـــدى عبد الرحيم وغيرهم . وأخذ سليمان افندى سودان من وقت عودته من فابو يقدح فى المتمردين ويذمهم دواما وبواسطة ضغطه هو و كازاتى على سليم افندى انطوى هذا هو الآخر فى نهاية الأمر .

وكان قد طلب بلجاجة من فضل المولى افندى من مدة سلفت ان يصادق على سفر أمـــين باشا فكان على الدوام يتمنع محتجا بالوعد الذى اعطاه الى على افندى جابور بأن يبقى الباشا حتى يرجع الى دوفيليـــه . غير انه فى صباح يوم ١٦ نوفمبر استدعى سليم افندى مطر كافة الضباط ولم يزد عن ان احاطهم بانه نظرا للحوادث التى وقعت فى الرجاف قـــرر ان يسافر الباشا الى وادلاى حـــتى صادق الجميع على ذلك فى الحـــال ولم يشذ عن هـــذا الاجماع سوى اثنين من المصريين وهما اليوزباشى مصطفى افنـــدى العجمى والكاتب مصطفى افندى احمد وطلبا ضمانات لطمأنينتهما وسلامتهما .

وأرسل سليم افندى بلا توان فى طلب الكتبة الذين كانوا بتحريضهم السبب فى حدوث كل هذه الملمات وهم : احمد افندى محمود و صبرى افندى و احمد افندى رائف و ميخائيل افندى اسعد وغيرهم وأفهمهم بثبات وحزم ما قرره الضباط فحاول الاثنان الاولان أن يبديا شيئا من التحذير والنصيحة وصرحا بأنهما يؤثران الموت على قبول هذا القرار . ولكن سليم افندى أغلظ لهم القول وعرفهما أن ايامهما مضت وانقضت وان ليس لهما أن يشتغلا إلا بالامور الخاصة بهما وانهما لن يدعوا بعد اليوم فى الاجتماعات . وطلب سليم افندى بعد ذلك من جميع اليوزباشية أن يرافقوه بملابس التشريفات ليبلغوا أمينا باشا هذا القرار فلبى الجميع الطلب إلا مصطفى افندى العجمى الذى صرح بأنه لا يريد ان يزور الباشا .

واستدعى سليم افندى كازاتى وطلب منه أن يبلغ أمينا باشا أنهم سيذهبون عاجلا لزيارته . وفعلا قام كازاتى بهذه المهمة . وعند منتصف النهار حضر لمنزل أمين باشا البكباشى سليم افندى مطر واليوزباشية فضل المولى افندى الأمين و سليمان افندى سودان و بخيت افندى برغوت و عبد الواحد افندى مقلد وبلغه سليم افندى قرارهم وانه اتضح للكل انه لو سارت الأحوال على هذا المنوال لساءت العقبى وحل الدمار . ولما كان العدد الاكبر من الضباط والكتبة يتخيلون ان الباشا سوف ينتقم منهم اذا عادت اليه مقاليد الامور فقد قرروا من أجل طمأنينتهم والحصول على الوقت اللازم لاحاطة الضباط الذين كانوا غائبين والذين كانوا اشتركوا فى أول مؤتمر ، ان يلتمسوا من الباشا أن يذهب الى منزله فى وادلاى وان يشرع فى الرحيل فى بكور اليوم التالى لان سليمان افندى كان يريد أن ينتظر حتى

يصل الى منزله قبل أن يسافر هو الآخر .

واكد الضباط لأمين باشا أنهم يعتبرونه دواما رئيسهم والمحسن اليهم وطلبوا منه الصفح عما فرط منهم وعن الاضرار والآلام التى حاقت به بسبب اغراء بعض عمال السوء وقالوا له انه بمجرد ما يرجع كافة الضباط الذين فى الشمال تتصلح الاحوال جميعها وترجع المياه الى مجاريها ويقصون على مسامعه كيف حدثت كل هذه الامور ويطلبون منه ان يتولى قيادتهم وتسييرهم بالحالة التى قادهم بها وسيرهم عليها الى الآن .

فشكر أمين باشا الضباط على ما أبدوه من الود والصداقة وصرح بانه مستعد لان يسافر غدا فى البكور . ولكن فيما يتعلق برجوعه للقبض على أعنة الحكم فهذا شيء خارج عن الموضوع . وانه حتى اذا كانوا هم يرغبون فى هذا الرجوع فهو لا يستطيع أن يجيب طلبهم . وعلى هذا طلب منه سليم افندى أن يؤجل قراره فى هذا الصدد الى وقت آخر . وبعد ذلك تكلم ببعض عبارات استعطاف فى مصلحة فضل المولى افندى وهنا صافحه أمين باشا واعدا اياه بأن يضرب صفحا عما وقع من المومى اليه فى حقه باغراء المضللين . وعلى اثر ذلك انصرف الضباط وقبل أن يبارحوه التمس سليم افندى من أمين باشا السعى لما فيه مصلحتهم لدى رجوع استانلى . وبعد انصرافهم انسحب الحراس من أمام منزل أمين باشا واستبدل بهم الحرس المعتاد وأضحى المسجونون مطلقى السراح احرارا فى أن ينصرفوا الى حيث شاءوا وأرادوا . وكان كازاتى و جفسن يحضران اجتماع أمين باشا بالضباط .

تهنئة الأهالى لأمين باشا باطلاق سراحه

وجاء الى أمين باشا فى عصر هذا اليوم خلق كثير ليقدموا له التهانى . وفى عشيته انطلق هو لزيارة سليم افنـــدى وزاره زيارة قصيرة وشكره على ما بذله من المجهودات . وذهب معه جفسن ليستأذن فى أخذ مركب استانلى الذى كان قد قدم عليه فأذن له بذلك فى الحـــال . وأبدى سليم افنـــدى غاية اللطف والأيناس والتمس من أمين باشا أن لا يدع فى نفسه أية حفيظة من جهته . وكان قد صـــدر أمر الى عبد الله افنـدى منزل بان يحضر الجنود الى دوفيليـــه حالما يكون ذلك فى حيز الامكان وبعـــد ذلك يتوجهوا الى وادلاى ليكونوا بمعيتـــه اذا رغب ذلك .

وأتى ضبـــاط الصفوف والعساكر الى منزل سليم افنـــدى ليقبلوا يد أمـــين باشا . وفى المساء أنزلوا متاع الباشا ومن كان بمعيتـــه الى الباخرة .

سفر أمين باشا الى وادلاى واستقباله بها

وفى الغد ١٧ نوفمبر اقلع أمـــين باشا و جفسن و كازاتى و فيتا حسان على الباخرة الخـــديو . وكانت الجنود عنـــد مرسى المراكب مصطفة على الشاطىء ليحيوا الباشا التحية العسكرية وعندما أبحرت الباخـــرة اطلقت المدافع سبع طلقات .

ووصلت بهم الباخرة إلى وادلاى فى عصر اليوم التالى ١٨ منـه . وقوبل

أمين باشا مقابلة فخمة للغاية أشبه شيء بحفلات الأفراح ومواكبها البديعة واضطر ان يقوم بتشريفة رسمية فى داره واتاه الضباط والموظفون ليقدموا له واجبات الاكرام والطاعة . وكان حواش افندى قد ارسل قبل هؤلاء الى وادلاى غير انه ما كان مطلق السراح حتى ذلك الوقت لأنه كان يوجد امام عتبة داره حرس معين من قبل حكومة دوفيليه . وكان أمين باشا لم يزل كذلك خاضعا لنفس هذا التدبير الا أن كودى افندى قائد وادلاى ضرب بأمر هذه الحكومة عرض الحائط وابدل بالجندى المعين امام منزل الباشا لحراسته ، البلطجى المكلف بخدمته هو نفسه ليقوم بتأدية واجبات الباشا اكثر من أن يقوم بحراسته .

استيلاء المهديين على دوفيليه
وتقرير الضباط والجنود التراجع عنها

وكانت حكومة دوفيليه قد قررت توجيه النساء والاطفال الى وادلاى . وان يحتفظ فى دوفيليه بالجنود فقط وذلك احتياطا لمقابلة ما عساه ان يطرأ من هجوم المهديين . ولتسهيل عملية النقل اضطر اليوزباشى حمد افندى ان يذهب ومعه ١٨ جنديا الى بورا Bora الواقعة بين دوفيليه ووادلاى لسرعة اعداد الوقود حتى لا تضطر البواخر ان تقف زمنا طويلا فى انتظار احضاره .

ورجعت الباخرة الخديو الى دوفيليه بعد أن نقلت أمينا باشا الى وادلاى ومضى زمن طويل على عهد سفرها إذ انه لغاية ٣ سبتمبر لم يرد عنها أى خبر وقد احدث تأخير اخبارها كدرا عظيما . وفى هذا التاريخ أكره كثيرون على السفر الى توبجورو . وامتنع

الكاتب احمد افنـــدى راثف عن السفر فزجه كودى افندى قومندان المحطة فى غيابة السجن .

وأرسل أمين باشا ساعيا عن طريق البر ليتسقط الاخبـــار إذ كانت قد أذيعت اشاعات مكدرة فحواها ان دوفيليه سقطت فى أيدى الاعداء وان هؤلاء استولوا أيضا على البواخر . وازعج هـــذا الخبر الجميع لانه لو كان صحيحا لأمسى الموقف حرجا للغاية . اذ يكون فى استطاعة المهديين ان يأتوا فى كل وقت وساعـــة الى وادلاى وكانت هـذه غير معـدة لابداء مقاومة جـــدية إذ المحطة عندئذ لم تكن محصنة ولم يكن بهـــا سوى حامية ضعيفة وقليل من الذخيرة . وهى الذخيرة التى كان قد تركها ثوار دوفيليه .

وفى ٤ ديسمبر قدم حمد افنـدى وجنوده وروى ان رئيس بورا وهو صهر كودى افندى أتاه وقص عليه ان المهديين هاجموا محطتى دوفيليه وفابو واستولوا عليهما عنوة وصيروهما اثرا بعـــد عين وابادوا جميـــع المقيمين بهما واسروا الباخرتين وان الزنوج المقيمين بالمركزين المذكورين انضموا جميعهم الى المهديين وان هؤلاء اصبح فى وسعهم القـدوم الى وادلاى على الباخرتين فى كل وقت ولحظة والاغارة عليها .

وعهد أمـين باشا الى الصاغ ابراهيم افنـــدى حليم وكان وقتئذ معه بان يستصحب ناقل هـــذه الاخبار فى الحال الى كودى افندى لكى يتمكن من استدعاء مجلس من الضباط للمـداولة وتقرير الخطـــة اللازم اتخاذها لانه لم يعـد بعد مديرا ولا يريد بعـد ذلك أن يتدخل فى اعمال المـــديرية بل يود الذهاب الى تونجورو حتى يكون بعيدا على قـــدر

الامكان من المهديين . وأرسل جفسن فى طلب كازاتى وتوجها معا لمقابلة كودى افندى ايضا . وجرى كل ذلك عند الساعة الحادية عشرة صباحا .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر أتى الضباط بجملتهم لمقابلة أمين باشا واوضحوا له انهم جمعوا الجنود لاستشارتهم فاستقر رأيهم جميعا على ترك المحطة لانها فى حالة لا تستطيع معها الدفاع وان يغرقوا المراكب ويلقوا المدافع فى اليم ويوزعوا الذخيرة على الجنود ويتراجعوا الى تونجورو ومسوه ليستطيعوا من هاتين المحطتين الاتصال باستانلى . وصرح جفسن انه هو الآخر مستعد لان يضحى بمركبه . وبما انه هو و كازاتى حضرا المداولة ووافقا على ما تم فيها فلم يبق امام أمين باشا الا أن يوافق هو الآخر على ذلك القرار الذى كان يرى انه يوجد هنا لك من الاسباب ما يبرر اتخاذه . وعلى هذا قرر الجميع السفر فى بكرة اليوم التالى وان لا يأخذوا معهم إلا الاشياء الضرورية وان يتركوا ما بقى بعد ذلك من المتاع .

استعطاف الضباط أمينا باشا لتسلم قيادتهم

واتى الضباط أمينا باشا ليلتمسوا منه الرجوع الى تولى القيادة ما دام جميع من كان فى دوفيليه قد هلك فأبى اولا ولكنه نظرا لشدة الحاحهم قبل على شرط أن تنفذ أوامره بالضبط والدقة وبغير ذلك يستقيل فى الحال . وانصرفوا على ذلك الا انه لم تكد تمر ساعة بعد الا ورجع البعض منهم يقول ان سعيد افندى يخالجه شىء من الشك بصدد هذا الانسحاب ويقترح التربص يومين ابتغاء الحصول على اخبار

من دوفيليه .

تنحيه عن قبول القيادة واعتزامه السفر

واجابهم أمين باشا انه يعتبر نفسه الآن خاليا من كل مسئولية وانه عزم على أن يسافر عاجلا وما على الذين يريدون البقاء الا ان يبقوا . واتى الجنود الى داره فكرر وأعاد على مسامعهم هذا الكلام لانه شاهد ان كثيرا منهم كانوا مترددين فى امرهم .

وما ان وافقوا على هذا القرار حتى هب الجنود وفى مقدمتهم الضباط والعلم المصرى يرفرف على رؤوسهم للقيام بمظاهرة امام منزل أمين باشا وحتموا اعدام اثنى عشر من الخطرية المقيمين فى وادلاى انتقاما لرفاقهم الذين قتلوا فى دوفيليه وما ذلك الا لأن الخطرية ابناء جلدة المهديين . وكان فى استطاعة هذه المظاهرة ان يتولد عنها تمرد واراقة دماء وهذا شىء يجب اجتنابه بأى طريقة كانت . وحاول فيتا حسان أن يهدىء الخواطر ونجح لحسن الحظ فى سعيه . فقد اختلط بالجنود وأفهمهم أنه اذا كان المهديون قتلوا اخوانهم فليس للخطرية الذين معهم يد فى ذلك وان الاحسن معاملتهم معاملة المسجونين واستخدامهم حمالين . واذا كانوا يخافون منهم الهرب فما عليهم الا أن يسجنوهم حتى تحل ساعة السفر . وعلى ذلك زجوا الخطرية فى السجن عملا بمشورة فيتا حسان وهدأ بال الجند .

سفر أمين باشا ومن رضى بالسفر معه

وفى ٥ ديسمبر فى الساعة الخامسة صباحا كان أمين باشا متهيئا للسفر .

ولم يستطع كودى افندى ان يستحضر له سوى ٣٧ حمالا اعطى جفسن أربعة منهم و كازاتى خمسة و فيتا حسان عشرة وبما أن رجال جفسن اخذوا عدا ذلك ثلاثة فلم يبق لنقل متاع أمين باشا الخاص الا ١٥ حمالا . وحمل خدم أمين باشا كل منهم متاعه الخصوصى . وكان كازاتى يشكو انحرافا ألم بصحته فأعطاه حماره الذى كان يركبه عادة واعطى عثمان افندى لطيف الحمار الثانى لركوب اولاده .

ولما لم يستطع كودى افندى جمع العدد الكافى من الحمالين للسفر رأى أنه من اللازم توزيع احتياطى الذخيرة على الجند . وبدا لفيتا حسان أن هذا التدبير لا يخلو من الخطر لانه عندما يكون النظام مهددا بالاختلال يحمل الخوف العساكر وهم مزودون بالكثير من الذخيرة أن يزايلوا الحملة ويلوذوا بالجبل قبل هجوم المهديين أو السفر مع استانلى .

ونصح فيتا حسان كودى افندى أن لا يفعل ذلك ولكنه لم يعمل بمشورته وفى صبح اليوم الذى سافروا فيه فرق الذخيرة .

وازدادت الاخبار التى كانت ترد وخامة . وقيل ان المهديين استولوا على البواخر وبلغوا منتصف طريق وادلاى . ولم يكن لديهم طريق للانسحاب الا الطريق الوحيد الذى أزمعوا أن يسلكوه أى الذهاب الى تونجورو برا . واتخذت القافلة سبيلها فى الساعة السادسة صباحا متبعة شاطىء النهر . وبعد مسيرة بضع ساعات من وادلاى لاحظ فيتا حسان أن الجنود كانوا يختفون بالتدريج وان ما قدره سلفا اضحى امرا مقضيا . وامست الحملة مؤلفة فقط من أمين باشا و جفسن و كازاتى و فيتا حسان و حواش افندى و ماركو جسبارى و عثمان افندى لطيف والكاتبين احمد

افندى ابراهيم و احمد افندى رائف وأسر باسيلى افندى بقطر و احمد افندى البراد . ومن عدد قليل من الزنوج والزنجيات . اما الجنود فرجعوا جميعا الى وادلاى .

وفى خلال بياض اليوم لحقهم اونباشى ليخبر الباشا أن الزنوج نقلوا نبأ مقتضاه ان البواخر اضحت بين دوفيليه ووادلاى ويطلب منه باسم الجنود الذين عادوا فاحتلوا هذه المحطة الاخيرة ، ان يرجع . وبطبيعة الحال أبى واستمروا سائرين فى طريقهم الى أن أدبر النهار وقضوا ليلتهم فى أرض مملكة بوكى Boki وعاودوا المسير من بكرة نهار اليوم التالى . وقبيل الظهر عاين فيتا حسان دخان باخرة يتصاعد من خلال حشائش ضفة النهر على مسافة بعيدة . وهذا الدخان لدى اقترانه بالاخبار السيئة التى وردت فى العشية لا يبعث فى النفس الطمأنينة . وما دام قد قيل ان الباخرتين وقعتا فى قبضة المهديين فهذا الدخان لا يمكن الا ان يكون صادرا منهما بفرض انهما لما لم يجداهم فى وادلاى تعقبتاهم وسارتا خلفهم .

انجلاء الحقيقة

وكان فيتا حسان و ماركو جسبارى يمشيان فى مقدمة القافلة ورأى الاول ان لا فائدة ولا عائدة من تبليغ أمين باشا بما شاهد وعاين اذ انه كان يذهب الى أن سلامتهم امست بعد ذلك مقضيا عليها قضاء مبرما ، وان لا مفر ولا نجاة من الخطر الذى كان يهدد حياتهم . ولما اقتربت الباخرة تبين لهم العلم المصرى وسمعوا نوبات اطلاق البارود لقتا لانظارهم وفى الوقت عينه طرق آذانهم صوت البوق اشارة « بتحية العلم » غير أن هذا لم يسر عن نفسهم الهم والخوف لانه طالما

استعمل المهديون قبل الآن حيلا كهذه اذ الاعلام المصرية وآلات الموسيقا العسكرية متوافرة لديهم . وانطلقوا مع ذلك الى الضفة وبعد ذلك بقليل استطاعوا أن يروا فرحين مبتهجين الباخرة الخديو تحمل اصدقاء . فلقد كان على ظهرها اليوزباشى ريحان افندى حمد قادما للبحث عنهم وعندما وقع نظره عليهم سألهم عن الباشا ولما علم انه فى المؤخرة انتظر مجيء باقى القافلة وحدثهم عن الحوادث التى جرت فقال :

الحوادث التى وقعت فى دوفيليه

عند هجوم المهديين على دوفيليه قسموا قوتهم امام المحطة الى قسمين . ولدى دخول معظم القوة المحطة عن طريق البساتين التى على الضفة كانت بقيتها تحيط بها وتهاجم الباب الغربى وذلك للاحاطة بالجنود من الناحيتين معا . أما الدراويش الذين دخلوا من ناحية النهر فهزموا الجنود وألجئوهم الى الفرار بغير انتظام فى اتجاه الغرب حيث اصطدموا بفرقة الاعداء الثانية . وعندما رأوا أنفسهم واقعين بين نارين اسرعوا بالدخول فى المحطة وانقضوا على قوة العدو الرئيسية وكانت هذه مشتغلة بالسلب والنهب فاخذوها على غرة وفاجئوها مفاجأة تامة وابادوا الدراويش عن آخرهم تقريبا ولم يستطع النجاة منهم الا القليل وظل الميدان فى الوقت ذاته فى قبضة الجنود . وكان بعض الدراويش فى بادىء القتال انقض على البواخر واستولى عليها ولكنه لما رأى اصحابه طردوا من المحطة تركها ولاذ بأذيال الفرار فى الحال . وخوفا من هجوم المهديين فى المستقبل شحن سليم افندى النساء والاطفال واقلعوا صوب الجنوب . وخسرت الدراويش خسائر فادحة فى هذه الموقعة وتركوا ١٨٠ قتيلا فى الميدان غير من نقلوه معهم

من القتلى والجرحى .

ولما وجد ريحان افندى وادلاى خاوية على عروشها استمر سائرا فى الطريق ليلحق بأمين باشا وكان حاملا له خطابا من سليم افندى مطر به تفصيلات الواقعة السالف ذكرها . وهى التى رواها فى الخطاب الآتى الذى أثبتناه بنصه العربى نقلا من كتاب كازاتى « عشر سنوات فى مديرية خط الاستواء » :—

خطاب البكباشى سليم افنـــــدى مطر
المرسل الى امـــــين باشا

مدير عموم خط الاستواء سعادتلو محمد أمين باشا حضرتلرى

افندم بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٨ حضروا العساكر من محطتى موجى واللابوريه ومايه وعشرون نفر من عساكر برنجى اورطه لمركز الاورطة . وفى يوم ٢٤ منه صار تعـــين بخيت افندى محمود الملازم ومعه فرق عسكرية الى اللابوريه لكشف اخبار الاشقيا . وفى الساعه ٥ حضرت بعض عساكر وعرفوا على ان الاشقيا قابلوهم بخور الطين ولغاية الغروب تم وصول الباقى وحضرت مكاتبة من ريس الاشقيا عمر صالح برغبـــة التسليم واوضحوا فيها قتـــل حامد بك محمد وعبد الوهاب افندى طلعت وعلى افندى جابور وسالم افندى خلاف وحسن افندى لطفى وان لم صار التسليم فتصير المحاربة ولم عطى لهم الرد فضلا عن حرق محررهم . وفى يوم ٢٥ منـــه احطاطت الاشقيا بالحصار وصاروا يهللوا بمقاله انهم مهديه . وفى الساعه ١٠ من هذا اليـــوم وردت منهم مكاتبة اخرى استعجالا للدولة وصار رميها بمعرفة

العساكر من خارج الحصار . وبالاستفهام من الادمى الذى احضرها عن الكيفية عرف على ان القصد التسليم . وفى يوم ٢٦ منه حضروا المذكورين بجوار المحطة وصاروا يضربوا الاسلحة علينا من الساعة ٣ لغاية الساعة ٩ وفى الحال صار خروج بعض عساكر اليهم وانتشب الحرب بينهم وهزموهم وقتلوهم ١٢ نفر بخلاف المجروحين ولم يحصل لعساكرنا شيء . وفى يوم ٢٧ منه لم يزل حضروا هؤلاء المفسدين وشاغلوا العساكر بضرب النار وفى الساعة ١٠ من ليلة يوم الاربع صار ضرب نوبه كبسه وفى الحال اشتغل ضرب النار من الاشقيا وعساكر الحكومة الخديوية ولغاية الصبح اشتد الحرب بين الفريقين الى ان صار اصابة احمد افندى على الاسيوطى وبخيت افندى على وسليمان افندى سودان بالرصاص والسيف من ايادى الاشقيا بأوجههم وايديهم وقليلا من الصف ضابط والعساكر . وفى هذه الاثناء دخلوا من تلك المفسدين داخل المحطة بقصد امتلاكها وقتلوا محمد افندى على التجار القبودان والاوسطه على احمد المهندس ومرجان ضرار ٢ جى رسل الخديوى وخميس سالم الباشمطشجى وفرجالله مروه المطشجى . ولما تراءى لجميعنا ذلك صار الاجتهاد فى قتل من دخلوا الحصار والمحاطين به من خارج . وفى الساعة ٢ تقريبا انفضت المعركة بين الطرفين بانتصار عساكر الحكومة وهزم عدوهم . وباقتفاء ما صار قتله منهم وجد مائتان نفر وعشرة بخلاف الذين لن امكن تعداده من المجروحين الذين وصلوا لمحل اقامتهم . واكتسبنا منهم احدى عشر بيرق بما فيهم بيرق اميرهم وبعضا من الاسلحة الرامنتون والبيادة وجملة سيوف وحراب وأسر واحد منهم وارتجعت العساكر فى محلاتهم بعد اعمال التشريفة اللازمة . وفى يوم الخميس لم حصل شيء بخلاف المشاغلة فقط وفى ليلة ٢ الجمعة الساعة

١ تكامل حضور جماعة فابو لهنا والساعه ٢ حضر احد اهالى البادية المأسورة بطرفهم وعرف عن قتل اغلبهم وان عزمهم الفرار الى الرجاف . وفى صباح اليوم المذكور حضر ادى تعلق عبد البين افندى شلمى وعرف عن فرارهم ليلا . وفى الساعة ١ من هذا اليوم حضر واحد عسكرى اصله من ملحوقات ٣ جى لك باللابوريه وصادق على قول من سبق حضورهم وفى الوقت توجهوا العساكر الى المحل الذى كانوا مقيمين به الاشقيا فوجدوا جملة نفوس قتلة ومجروحين بخلاف ما سبق تعداده وقتلوا المجروحين واحضروا بعض صناديق جبخانة فوارغ . وفى يوم السبت الموافق غرة الجارى الساعة ٦ حضر واحد عسكرى اصله كان من توابع المرحوم ريحان افندى ابراهيم وبسؤاله عن الكيفية اوضح انه محضر معهم من الخرطوم وان ما قالوه الاشخاص المحضرين منهم المورين عنهم بهذا هو حقيقى وان قوة الاشقيا صارت ضعيفة جدا . كذا عينا تراجمة لكشف اخبار فتوجهوا لحد خور عبد العزيز فوجدوا جملة اجربة داخلها ملبوساتهم وواحد سنكة رامنتون فأحضروهم . وفى يوم تاريخه الساعه ٥ حضر واحد عسكرى يسمى فضل المولى من جماعة موجى من ضمن المأسورين بحركة الرجاف الاخيرة وعرف بأن الاشقيا توجهوا الرجاف مكسورين مجدين السير والمجروحين الذين كانوا معهم يبلغوا ماية وخمسين نفر وجارى وفاتهم بالطريق ومسيرهم بالعجلة . وكل ما مروا على محطة مثل الخور واللابوريه جارين حرقها . هذا ولاحاطة شريف علم سعادتكم بما قد حصل من عساكر الحكومة وجب ترقيمه بالعرض لسعادتكم افندم م

٢ ديسمبر سنة ١٨٨٨ — ختم

سليم مطر

سعادتلو افندم حضرتلرى

افندم مما توضح ان جميع فرسانهم ورؤسائهم وقاضيهم قتلوا فى يوم الواقعة م؟ تاريخه ختم

* * *

وبعد ذلك اضحى من غير اللازم الاستمرار فى السفر برا ولكن ريحان افندى الذى كان يتلقى الاوامر من دوفيليه لم يشأ أن يوصلهم الى تونجورو بل أراد ان يرجعهم الى دوفيليه التى كان رؤوس الحكومة المؤقتة يجنحون للاقامة فيها . ولكن ربان الباخرة احمد الدنقلاوى عنف ريحان افندى تعنيفا شديدا لعدم قيامه بواجبات الاحترام نحو أمين باشا وقد كان على كل حال رئيسه وقرر رغم ما صدر اليه من الاوامر توصيلهم الى تونجورو فدخلوها فى ٨ ديسمبر عند العصر .

ولا ريب ان الحوادث الاليمة التى وقعت بعد سفر استانلى قد حملت أمينا باشا على أن يقرر مبارحة خط الاستواء . ولقد كان فى غير استطاعته ان يفارق هذه الارض التى أمست له وطنا ثانيا ولكنه اصبح يرى الآن انه من المتعذر البقاء فيها اكثر مما مضى والفوضى ضاربة فى جميع اطنابها مع ما لديه من قلة الذخيرة . وعلى ذلك اضمحل وتلاشى تماما تبكيت الضمير الذى كان يجده من نفسه عندما يفكر فى فراق أتباعه .

وكان قد مر على مبارحة استانلى لهم سبعة اشهر كاملة لم يرد لهم فى خلالها عنه أى خبر مع انه كان قد وعدهم بان غيابه لن يتعدى

خمسة أو ستة أشهر .

وبعد خمسة عشر يوما من وصولهم الى تونجورو أحضرت الباخرة الخديو طائفة اخرى من النساء والاولاد وخطابا من الكاتب رجب افندى محمد الى أمين باشا يقول فيه ان حزب الثوار رجع الى تجبره وعجرفته من وقت ما انتصر على المهديين ذلك الانتصار الذى لم يكن فى الحسبان وانه قرر محاكمة الجميع أى أمين باشا و كازاتى و فيتا حسان لمبارحتهم وادلاى .

وفى آخر ديسمبر توفى اليوزباشي سليمان افندى سودان فى تونجورو بحمى أصابته على أثر جرح من قذيفة كسرت عظمة فخذه فى موقعة دوفيليه وكان قد أتى قبل ذلك بعشرين يوما الى تونجورو ليعالجه أمين باشا وكان سليمان افندى هذا من الضباط البواسل ولهذا طرح أمين باشا ظهريا اشتراكه فى الثورة وعالجه باخلاص . ودفن بعد موته باحتفال عسكرى حتى كأنه ظل باقيا على عهد الاخلاص .

١ — ملحق سنة ١٨٨٨ م

رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم التاسع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

اتهام كباريجا كازاتى وصدور أمره باعتقاله

فى ٣ يناير من عام ١٨٨٨ م بات رسول من قبل الرئيس امبوجا Mboga فى جوايا Djouaia العاصمة الجديدة . وكان هذا الرسول متوجها الى مرولى . وقد روى ان جماعة من الاوربيين معهم عدد جم من المقاتلين مرتدون ثيابا مثل ثياب الزنزباريين ، قدموا من ناحية الغرب ووصلوا الى مسافة قريبة من ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربية . وهؤلاء بلا شك كانوا رجال حملة استانلى . ففرح كازاتى بهذا الخبر فرحا عظيما حتى انه نسى ما كان يعانيه من الهم والكرب فى ذلك الوقت ونسى برى [1] الذى كان يرتجف خوفا على حياته وأسرته وعاجه واخذ يبتسم .

وكان اجنا كاماتيرا Gnacamatera الوزير الأول الجديد قد عرض

(١) — سبق ذكر هذا الاسم كثيرا فيما مضى وقد جاء في البيان الذى أرسله الينا عبد الرحمن افندى رحمى نجل عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء باسم محمد بيره .

على كازاتى فى ٢٤ نوفمبر المنصرم ان يتبادل معه سرا معاهدة الدم ولكنه لم يقم بتنفيذ ما عرضه . ثم انه فى ٤ يناير بعث اليـه برسول ومعـه جره مريسة هـديه ليقول له ان غاية مناه مباشرة حفلة معاهـدة الدم فى القريب العاجل .

وعاد الرسول فى ٦ يناير ومعه دجاجتان وعنزة هـدية وأخبره بأن الحفلة ستتم فى نفس هـذا المساء والتمس منه ان يحضر بمفرده عند الوزير الاول عندما يسمع دق الطبل الكبير فوعده كازاتى بالحضور وعلى هذا انصرف الرسول .

وكان كازاتى الى هذا الوقت قد كتم عن برى كل ما تم فى هذه المسألة ولم يبح له بشيء مما جرى بصددها فرأى انه لم يعد بعد من الضرورى خفاؤها عنه وأحاطه علما بتفاصيلها واتفقا رأيا على أن يذهبا معا الى تلك الحفلة الا أن صوت الطبل لم يدو فى ذلك المساء .

وفى ٨ يناير أتى رسول من قبل الملك واخبرهما ان الحرب مع اوغندة اضحت وشيكة وان لا مندوحة من ذهابهما للتفاهم مع الوزير الأول فقبلا وضربا اليوم التالى موعدا لذهابهما .

وفى ٩ يناير توجه كازاتى وخادمه الوكيل و برى والاونباشى السودانى سرور الى منزل الوزير الاول . وأدخلوا حـال وصولهم فى الدار وكانت غاصة بجموع المقاتلين . وبعد أن قدموا لهم التحية أدخلوهم قاعة الجلسات . وبعد قليل فتح الباب ودخل اجناكاماتيرا وساد السكون وبعد خمس دقائق رفع ذراعـه . وكانت هذه هى الاشارة التى اتفق عليها . فقبض

عليهم جميعا وربطوا فى جذوع اشجار فنـــاء الدار . وأخبرهم الوزير الأول ان هذا بناء على أمر الملك وانه سيشرع فى تفتيش مسكن كازاتى لانه متهم باخفاء رجال مسلحين قدموا سرا من وادلاى على دفعات فى اوقات متباينة ليعاونوه على افتتاح المملكة . فأجابه كازاتى انه لا يستطيع وهو فى الحالة التى هو فيها ان يتحمل مسئولية ما يجده فى منزله وطلب منـــه ان يقبل مرافقة خادمه ليبلغ اوامره للمقيمين فيــــه . ورضى اجنا كاماتيرا بذلك وأخذ معه الخادم الوكيل بعد أن تلقى من سيده امرا بان يقول لمن يكون بمنزله أن امتثل اوامر الوزير الاول .

اطلاق سراح كازاتى وعودته الى المديرية

وانطلق الوزير مع الوكيل تاركا كازاتى ومن معه فى حراسة ٣٠٠ من المقاتلين . وهكذا لبثوا ساعات طويلة معرضين لوهج الشمس . وقبـــل الساعة ٣ رجع الوكيل خادم كازاتى مـــع بناسورا وأمر هـــذا بحل وثاق اذرعتهم وبعـــد قليل عاد اجنا كاماتيرا وقال موجها الكلام الى جموع الحاضرين ان هؤلاء الجماعة ـ مشيرا الى كازاتى ورفاقه ـ هم الذين جلبوا الواجندا فى البلد وتآمروا على الملك ابتغاء اسقاطه من العرش . وبناء على ذلك سيطردون من البلد . وأمر بحل عقالهم .

وأحاط الوكيل مخدومه كازاتى علما بكل ما صار وتم فقال ان المنزل كان محاطا بألفى رجل وأرسلت ثلة من جنود كبارنجا معه لتفتيشه ونهبوا كل ما كان به مثل سلاح كازاتى وجنوده الثلاثة وجميع المتاع وكذلك نبشوا الارض وبالطبع اتضح فساد كافة التهم التى كانت وجهت الى كازاتى لانهم لم يعثروا على شئ مما عزوه اليه ولهذا أخلوا سبيلهم ماعدا برى وواحدا

من الجنديين السودانيين .

وسافر كازاتى ومن كان بمعيته بعد أن أطلق سراحهم . وبعد أن عانوا تقلبات ومصاعب شتى بلغوا كيبيرو حيث قدم أمين باشا فى ١٦ يناير على الباخرة الخديو لأخذهم . ولقد يستطيع المرء أن يتصور كم ألم بهم من الفرح عندما وجدوا أنفسهم قد نجوا .

وعند تفتيش مسكن كازاتى كان اجنا كاماتيرا قد طلب من الجنديين خورشد الجركسى وفضل السودانى أن يبلغا أمينا باشا ان الملك هو الذى أمر باستعمال الخشونة والقسوة مع كازاتى ابتغاء سلامة المملكة وان ممثله هذا — أى كازاتى — رفع العلم المصرى وأراد خلعه — أى الملك — من عرشه بالتواطؤ مع موانجا . وان الملك يريد المحافظة على معاهدة المحالفة والصداقة التى تربطه بأمين باشا وانه سيرسل اليه قريبا رسولا خاصا ليؤكد له ذلك فى وادلاى .

وقد نقل لأمين باشا هذا الكلام وأفسح له صدره وعزا ما حدث الى كراهة كباريجا لكازاتى كراهة شخصية . وهذا التأويل الذى أوله المدير العام لم يرق فى عينى كازاتى .

وطلب كازاتى من أمين باشا أن يسفر احدى الباخرتين الى كيبيرو بخطاب ينذر فيه كباريجا باطلاق سراح برى والجندى السودانى وباعادة ما صادره من السلاح والمتاع ترضية عن الاهانة التى لحقت الحكومة فلم يلب أمين باشا هذا الطلب مع أن كثيرا من الضباط أيدوه وقال انه لا يريد قطع العلائق الحسنة مع اونيورو لكونها طريق مواصلاته

مع أوغنده .

وحصل كازاتى بمشقة على ترقية الجنديين فضل و خورشد فترقى الاول الى رتبة ضابط والثانى الى ضابط صف غير أن خورشد ما لبث أن أدركته المنية على أثر مرض أصابه فى خلال تلك الأيام ايام البؤس والآلام .

وأثرت خطة كباريجا العدائية فى الاهالى تأثيرا سيئا فتغير مسلكهم واتخذوا أماكن لاقامتهم على مسافات بعيدة من المحطات العسكرية وشرعوا يمتنعون عن توريد جزية الحبوب والقيام باعمال النقل . وهكذا كانوا يثيرون عداوة خفية كانت تنقلب الى حرب علنية عندما يأنسون من أنفسهم القدرة على ذلك .

ولم تتقدم الحالة فى داخلية المديرية خلال غياب كازاتى . وأدى التساهل الى التراخى فى النظام فكانت عاقبة ذلك اطلاق ايدى الجنود فى اعمال المديرية وحدوث الاضطراب وصارت سلطة المدير العام اسما بدون مسمى كما يقولون وهيبته التى كان يستطيع الاعتماد عليها أضحت سخرية .

سفر امين باشا للبحث عن استانلى
واغارته على ماجونجو

ومن وقت ما وضع كازاتى قدمه على الباخرة الخديو فى ١٦ يناير أبلغ أمينا باشا الخبر الذى كان قد سمعه عن وصول استانلى فاستقر رأى الباشا على أن يذهب للقائه . وعلى ذلك أقلع فى ٣٠ يناير الى

محطـــة مسوه ليستوثق من قدومه . وعندما بلغ هذه المحطة علم بمقاصد الاهالى العدوانية فأرسل فى ٦ فبراير تجريدة على ارض مملكة ماجونجو الواقعة على ضفة النيل اليسرى اغارت عـــلى قرية من قرى اللوريين Lours المتمردين . وفى ٩ منـــه أرسل تجريدة اخرى فعادت بغنائم من الحبوب والماعز .

وفى ١٢ فبراير كتب أمـــين باشا من مسوه الى كازاتى يستقدمه ليتشاوروا فى أمر القيام بغارة على كيبيرو لأنه كان يرغب فى اتلاف الملاحات التى بها والتى كانت ينبوع ثروة للبلد فرفض كازاتى تلبية هـــذه الدعوة بسبب اعتلال صحته .

وفى ٢٥ فبراير بارح أمين باشا محطـــة مسوه ابتغاء البحث عن استانلى ولكنه لم يحصل على نتيجة مرضيـــة لان مشايخ القرى لم تبد الا قليلا من الاستعداد لتزويده بالمعلومات ورجـــع الى المحطة فى ٦ منه .

وفى ١٨ مارس أذعن كازاتى لالحـــاح المدير العـــام وتوجه الى مسوه وتوصل الى حمل الباشا على تأجيل مشروع الغارة على كيبيرو وبالاحرى تركه كلية وهو ذلك المشروع الذى كان الباشا لم يعدل بعد عنـــه لان كازاتى كان لم يزل واضعا نصب عينيه الحماية التى كان شمله بها رئيس هذا المركز المسمى كاجورو Kagoro .

ومن مسوه قفل أمين باشا و كازاتى راجعين الى محطة « تونجورو » وكانت هـذه قائمة مثل مسوه على ضفة البحيرة الغربيـــة لكنها كانت

أقرب الى الشمال من هذه . وبما أن أهالى مسوه اكدوا بان خلقا من البيض على مقربة من المحطة فقد قام رسول فى اوائل شهر أبريل ومعه خطاب برسم استانلى .

وصول احد ضباط استانلى بخطاب الى امين باشا

وفى ٢٣ أبريل من عام ١٨٨٨ م بينما كان الكل مجتمعين كعادتهم عند السدير العام والليل مرخ سدوله اذا بصوت طلق نارى يدوى على الطريق النازل من الجبل الى المحطة فوثب الجميع الى الخارج فتبين لهم أن ضابطا من ضباط حملة استانلى وصل الى مسوه أمس عشاء ومعه خطاب من استانلى وهو مقيم فى هذه المحطة فى انتظار مقابلة الباشا .

مضمون هذا الخطاب

والخلاصة أن الخطاب وصل فى عصر يوم ٢٧ أبريل وقرأه أمين باشا على كازاتى و فيتا حسان وهو مكتوب طويل عريض من استانلى روى فيه قصة حوادث واسفار متنوعة ومحزنة مصحوبة بتقلبات وتطورات جمة وأوجاع ومحن شتى . فمن مرض الى جوع وشدة ورداءة فى الجو وطرق غير مسلوكة حتى كأن كافة المصاعب والمتاعب تكأكأت واجتمعت على الحملة . وفوق هذا وذاك اجتيازها غابة شاسعة واسعة غير مطروقة ولا مأهولة فضلا عن استمرار قلة الزاد لديها الامر الذى أدى الى هلاك خلق كثير منها حتى ان استانلى رأى نفسه مضطرا الى أن يشطر قافلته ويترك معظمها فى يالبويا Yalbouya ويدع المرضى فى حصن بودو Bodo . ولم يحضر



محطة مسوه العسكرية الواقعة على ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربية

ويرى فوقها العلم المصرى يخفق وذلك عند حضور استانلى لاخلاء المديرية

معه الى شاطىء البحيرة التى كان قد بلغها أول مرة فى ديسمبر من عام ١٨٨٧ م إلا الدكتور پارك Parke والمستر جفسن و ١٣٠ نفسا .

استطلاع امين باشا رأى كازاتى ومقابلته استانلى

وبعد أن تلا أمين باشا هذه الرسالة المثيرة للشجون والتى تركتهم حيارى مبهوتين طلب من كازاتى أن يمده برأيه فى الخطة التى يجب اتباعها فأجاب كازاتى قائلا إن الحالة التى وصل اليها استانلى الآن قد بلغت مبلغا لا يستطيع معها انسان أن ينتظر منها أمرا عظيما لا بالنسبة لك ولا له . فقد أصبح من شهور عديدة غير متصل بالقسم الاكبر من حملته ومن جهة اخرى فاننا لا نستطيع أن ننضم اليه لصعوبة الطريق الذى وقع عليه اختياره . وتعريض أنفسنا لما قد تأتى به المقادير يعد منا بمثابة الاقدام على تعريض أنفسنا بلا جدال للتهلكة . أما اننا ننتظر أن يرتد على عقبه ويرجع بكل قوته فذلك افضل ولكن يلزم ان لا يعزب عن بالنا أيضا ان هذا الامر يستغرق على أقل تقدير ثمانية أشهر ومن المحتمل أن ننتظر رجوعه بدون جدوى . والاصوب لنا أن نسلك سبيل الجنوب الغربى عن طريق مميتو المعروفة لدى الجنود والتى سبق لأهلها أن رأوا فيها بينهم اجانب مسلحين . والواجب علينا أن نذهب الى استانلى لنقدم له الشكر على مجهودات الابطال التى بذلها ونمده بما بقى تحت تصرفنا من محصول المديرية الضئيل ونبلغه فى الوقت ذاته بما استقر عليه رأينا .

واستحسن أمين باشا هذا الرأى وصرح بأنه موافق عليه . وكان سفره

يوم ٢٩ أبريل . وقبيل آخر النهار ألقت الباخرة الخديو مرساتها امام ويريه Wéré على مسافة غير بعيدة من المكان الذى اقام فيه استانلى معسكره . ونظرا لأن أمينا باشا كان يرغب المبادرة الى لقائه نزل الجميع فى مركب أوصلهم الى اليابسة فى ظرف ساعة . ومن هذه اللحظة علا صياح الفرح ودوت طلقات البنادق وأخذ القوم يصافح بعضهم بعضا الى أن بلغوا مضرب رئيس الحملة فاستقبلهم حاسر الرأس . واستمرت المقابلة وقتا يسيرا ولكنها كانت ودية تناولوا فى غضونها بعض اقداح الشمبانيا .

وفى اليوم التالى توجه اليهم استانلى مع اتباعه الزنزباريين ونصبوا معسكرا فى نسابى . وقدم أمين باشا ما استطاع تقديمه من الاحذية والمنسوجات والتبغ والملح والشهد والحبوب والسمسم للحملة القادمة من أوربا لتقدم لهم امدادا . وهكذا انعكست الآية ومثل المعطى دور المعطى له وأحدث ذلك فتورا فى الفرح الذى كان يجب أن يكون فرحا عاما وشاملا .

ومع ذلك كان استانلى لم يزل واثقا من يمن طالعه وحسن حظه فلم يتردد عن أن يضع على بساط البحث مسألة الاياب . ودارت المناقشة حول معرفة ما اذا كان أمين باشا يريد أن يذعن لارادة الخديو ووزيره نوبار باشا . فكان جواب المدير العام أن علق مشيئته فى هذه المسألة على ما يقرره أغلبية أتباعه . اما كازاتى فرغم رغبته فى الاسراع لوضع حد لآلامه قد صرح بانه لا يريد الانفصال عن أمين باشا . وكان فى الحالة الراهنة ليس من أصالة الرأى من جهة ثانية التصرف بغير هذه الطريقة لان

رجال المديرية لم يتبعوهم الا رغم ارادتهم وانهم اذا كانوا قد قدموا معهم فما ذلك الا رغبـــة فى مشاهدة تلك الحملة التى أتت لنجدتهم وطار صيتها فى الخافقين والتى صرح أمــين باشا بان فى استطاعتها عمل العجب العجاب وبنوا عليها صروحا من الآمال .

ومما لا مراء فيه ان استانلى سلمهم ثلاثين صنـــدوقا بها مظاريف رمنجتون . ولكن هل فى استطاعة هـذه الكمية من الذخيرة أن تغير أو تبدل فى الموقف !؟

لقد أدرك أمين باشا بثاقب فكره ما لا بد أن تكون قد احدثته قصة الحوادث والآلام التى عانتها الحملة والشدائد التى تغلبت عليها من التأثير السيء فى نفوس رجاله إذ انه من المحقق أن الجنود والزنزباريين الذين تتألف منهم الحملة لم يكونوا قد احجموا عن تبليغهم تفاصيل تلك النوازل فألح على استانلى مرارا وتكرارا بأن يمتلى ظهر الباخرة الخديو ويزور المحطات القريبة . وكان قد مر على الجنود والموظفين خمس سنوات لم يقبضوا فى خلالها شيئا من رواتبهم ومع أن كل أولئك الخلائق من الناس لم يسلكوا مسلكا لا عيب فيه الا أنهم مع ذلك تحملوا بجلد وشجاعة صدمة الثورة وقاتلوا فى سبيل بقاء علمهم مرفوعا وعدد الفارين منهم لم يتعد القليل .

الا ان استانلى أبى تلبية دعوة الزيارة محتجا بضيق الوقت ولكن هذا لم يحل دون بقائه شهرا فى نسابى . أما أمين باشا فاستسلم للمقادير بدون أن يتشجع كما ينبغى لمواجهة الحوادث . وعبثا حثه كازاتى على أن يبين بجلاء ووضوح حالة الموقف والشقاق الذى أدى الى التخاذل والانقسام فى ارجـــاء المديرية . نعم وعد أمين باشا أن يفعل ذلك الا انه اقتصر على أن يلمح

الى هذا الامر تلميحا غامضا .

ورضى استانلى باقتراح أمين باشا القاضى باستشارة الموظفين والجنود بصدد القرار اللازم اتخاذه بشأن العودة وذلك بينما هو - أى استانلى - يذهب للاتيان بالقسم الاكبر من الحملة والمتاع الذى تركه خلفه كما رضى بوجوب حشد أولئك الذين يقرون الاياب فى نسابى وانتظاره فيها . وانتدب استانلى احد ضباطه ليرافق المدير العام لتسهيل أعماله ولتلطيف الوقع السىء الذى نشأ من تمنعه من زيارة المحطات . وسلم استانلى الى جفسن وهو الضابط الذى فوض اليه تلك المأمورية رسالة ليتلوها على الضباط والموظفين شرح فيها وجهة نظر الخديو وموقف أولئك الذين يؤثرون البقاء على الاياب . وخلاصة النداء المسطر بها انه أرسل اليهم الضابط جفسن ليقف على نياتهم بصدد عودتهم وانه رجع ليستحضر مؤخرة حرسه وانه فى ظرف بضعة أسابيع يرجع اليهم ويوصل الى مصر أولئك الذين عقدوا النية على السفر من طريق مأمون . أما أولئك الذين يريدون البقاء فهؤلاء سيتركهم ويرحل .

وكان يبدو مع ذلك ان استانلى مهتم اهتماما خاصا بمستقبل أمين باشا . ومع انه كان قد أجل مسألة العودة الى الوقت الذى يكون فيه جمع شتات قوته فلم يثنه ذلك عن أن يلوح لأمين باشا ببروق من الآمال . فبعد أن بذل شيئا كثيرا من ذرابة اللسان ليبين له أن مقاومة المهدية الآخذة يوما فيوما فى التقدم والانتشار ضرب من المحال ، عرض عليه ذات يوم أن يسكنه فى ركن بحيرة فيكتوريا نيانزا الشمالى الشرقى حيث تستطيع شركة افريقية الشرقية الانكليزية الانتفاع به وذلك بانشاء محطات على طريق ممبسه

وتتكفل الشركة عند ذلك بأن تضمن له ولمن يكون بمعيته مستقبلا ثابتا موطدا . وعرض عليه في يوم آخر ضم المديرية الى ولاية الكونغو الحرة ولكنه قدم هذا الاقتراح امتثالا لكلمة كان قد تلقاها أكثر من أن يقصد منه الوصول الى غرض معين لان استانلي ما كان يستطيع أن يرتجي ان هذا الاقتراح يصادف قبولا حسنا بعد كل الذي لاقاه في سفره من المصاعب والمشاق . وكان أول الاقتراحين هو الذي يود استانلي أن يراه مقبولا لان الغرض الاصلي من ارسال الحملة هو استمالة أمين باشا لاسيما الجنود الذين تحت امرته للمصلحة البريطانية كما برهنت على ذلك الحوادث التي وقعت بعد .

اغترار أمين باشا بوعود استانلي

ولسوء الحظ غرت أمين باشا في البداية تلك الوعود وذهبت به الاحلام وعدم التبصر الى أن يتمدح امام اتباعه هذا التوفيق العجيب . وعلى ذلك كان لا ينبغي له أن يدهش اذا رأى اتباعه يظهرون اشد الحذر ويمتنعون عن السير في اتجاه الجنوب لانهم كانوا يخشون أن يباعوا كما سبق القول الى ملك الاونيورو أو أوغنده أو يخدموا حكومة غير حكومتهم التي قاعدتها في الخرطوم .

وكان أمين باشا في ذلك الوقت فقط (ونقول في ذلك الوقت فقط لانه فيما بعد تنازل عن رأيه نظرا للمعاملة غير العادلة التي عومل بها منهم) يؤكد امياله الشخصية للانكليز ويهنيء نفسه بصدق نية واخلاص طوية إذ وفق لايجاد خير معين له في هذه الامة العظيمة الامر الذي يعتبره كأنه حل لمشكلة من اعضل المشاكل . وكان يقول ويردد هذا القول : « ان يحوني

العلمية ستؤتى أكلها . ومن ذا الذى كان يظن ان عصفورا أو حشرة تأتى بخدم جليلة كهذه الى شعبي والى أنا نفسى » .

تلك هى عقلية وسجايا المدير العام لمديرية خط الاستواء الذى كان يدير أمورها فى أصعب الاوقات وأحرجها .

وقال كازاتى ان ما كان يقصه عليه أمين باشا من عبارات المجاملة التى كان يبديها فى محادثته لاستانلى كانت تثير فى نفسه افكارا مؤلمة وانه كان لا يفتر عن أن يقول له : « ان قدوم استانلى أظهر ضعف سلطتكم عوضا عن أن يوطدها وان كل ما يمكن أن يقال إن كل أمر يتفق عليه مع استانلى يثير عوامل الريبة والحذر فى النفوس وينشأ عنه خلل فى النظام » .

وفى ١٦ مايو استأذن كازاتى من استانلى ليرجع الى تونجورو . ورجع أيضا استانلى على عقبه تاركا نسابى فى ٢١ منه ومعه زهاء مائة رجل من الحمالين أحضرهم له أمين باشا .

ولما كان كباريجا لم يتحول عن خطته العدوانية وذلك باثارة الفتن فى الخفاء إذ كان قد تآمر مع رئيس الجهات المجاورة لمسوه على مهاجمة هذه المحطة ، أمر أمين باشا انتقاما منه بتدمير كيبيرو وكانت هذه ضربة قاضية لأن فى تدميرها حرمان الاونيورو من مورد تستمد منه معظم ثروتها وهو الملاحات التى بها .

وفى ٣٠ مايو عندما لاح ضوء الفجر ألقت الباخرتان الخديو ونيانزا با امام كيبيرو وأنزلوا بها جنودا من اللوريين سرا بدون أن

يشعر بهم احد . وهؤلاء حاصروا القرية وأحرقوها وولى قاطنوها الفرار بعد أن قتل منهم خلق كثير وعقب ذلك صار تدمير اللاحات ورجعت التجريدة الى مسوه .

نتائج اغترار المدير بالسياسة الانكليزية

والشقاق الذى كان لم تزل ينشب مخالبه فى احشاء المديرية نشأ عنه ابعاد الكثيرين من الموظفين عن المراكز السامية وبالتالى أوجد اناسا متذمرين . وكان بعض هؤلاء المبعدين يستحق ما حل به من العقاب الا أن قاعدة العدل والانصاف وعدم المحاباة ما كانت تراعى فى كل الاحوال . وكان المعزولون يتآمرون فى الخفاء لأنهم كانوا منفردين . وكان الخوف يكرههم على استعمال اليقظة غير أن قدوم استانلى أنعش ميت آمالهم . ويبدو انه حرك فيهم الشهوات التى كانوا يبطنونها . فأخذوا يتناقشون فى المحطات عندما طرق آذانهم خبر مجيء حملة استانلى ويذكرون المظالم التى وقعت على البعض والنعم التى أغدقت على آخرين . ثم ان اباء استانلى زيارة المديرية والجهل بما كان يدور فى نسابى شق طريقا واسعا لفرض افتراضات من اغرب واعجب الافتراضات . ومن هذه القول إنهم كانوا يسوون فى تلك الناحية التنازل عن المديرية لدولة اخرى وانه لم يبق لتوقيع هذه التسوية إلا خطوة واحدة .

وقابل استانلى فى خلال اقامته فى نسابي الصاغ (سابقا) عبد الوهاب افندى طلعت و احمد محمود افندى سكرتير المدير العام سابقا فقصا عليه ما وقع فى المديرية من الحوادث فى السنوات الاخيرة بلهجة كانت بعيدة عن المدح وذهبا الى ان اتهما صراحة أمينا باشا .

وأرهف استانلى أذنيه لسماع شكواهم ثم نصحهم بالتذرع بالصبر حتى يرجع وان يستخدموا هذه المدة فى اعداد رفاقهم للرجوع الى أوطانهم ولكنه لم ينبس ببنت شفة للباشا بما سمعه سواء أكان ذلك ابتغاء عدم احداث ارتباكات جديدة أم لرغبته فى عدم الظهور بالتدخل فى اعمال المدير العام . وما إن سافر امين باشا حتى طرق مسامعه خبر هذه الشكاوى فاستولى عليه غضب شديد لا يتناسب مع اهمية الحادث .

وفى ٣ يونيه وصل الى تونجورو عابس الوجه ممتلئا صدره غلا وضغينة . وكان ملما بأميال الجنود فاستحسن بناء على مشورة البكباشى حواش افندى عمل تحقيق سرى الغرض منه الوصول الى رؤوس العصابة والمتذمرين غير انه افضى الى تحرير بيان باستبعاد اناس روعى فيه هوى نفس البكباشى وما تكنه جوانحه .

ويقول كازاتى انه كان يتتبع من أمد مديد بانتباه وتأمل تطورات الاهواء والاغراض بين الموظفين المدنيين والعسكريين وانه ألح اكثر من مرة على المدير العام باتخاذ سياسة الوفاق والمسالمة إذ ان هذه هى السياسة الوحيدة التى بها يستطاع ايجاد حالة يمكن احتمالها الى ان يحين وقت الرحيل . وانه كان فى حيز الامكان فى الزمن الماضى توطيد دعائم السلطة المزعزعة الاركان باستعمال الشدة . اما الآن فلا فائدة ولاعائدة من استعمالها لان زمانها قد مضى وانقضى . فضرب امين باشا بهذه النصيحة عرض الحائط وصم دونها آذانه وعول على سياسة القمع وشجعه فى هذا الطريق المستر جفسن مستندا الى المبدأ القائل إن "القوة تأتى بأفضل النتائج وخال انه من اللازم استخدام منتهى الشدة

مع أولئك الذين تجاسروا على الوشاية فى حق رئيسهم . ولقد يكون فى الامكان التماس العذر للمستر جفسن لانه كان يجهل حالة المديرية ولكن يجب ان لا تقاس حالته هذه بحالة غيره . وكانت عاقبة جميع ذلك تنزيل درجات بعض الضباط واعتقال بعض الموظفين وعزل عثمان افندى لطيف من وظيفته .

وفى ٦ يونيه كانت الباخرة نيانزا متأهبة للسفر ولم يبق امامها إلا ان تتسلم كيس المراسلات لتقتلع مرساتها وكان كازاتى فى تلك اللحظة يبذل لدى امين باشا آخر مجهود ليحمله على العدول عن مسلكه المجرد من كل سياسة فقابل مسعاه باللوم والتعنيف وعزا اليه الرغبة فى التعدى على اختصاصه .

وحضر ايضا جفسن لمقابلة كازاتى وأنبه تأنيبا رقيقا بقوله : ان الباشا لا يمكنه ان يعمل احسن من ان يستخدم سطوته والسيطرة الممنوحة له فأجابه كازاتى بأنه سيأتى يوم يرى فيه جفسن ان الحق فى جانبه وأنه قطع علاقته مع المدير العام .

بدء ظهور تذمر الجنود

وفى ٢٣ يونيه استشار جفسن حامية تونجورو بحضور الباشا بصدد ما عقدت النية عليه فى أمر السفر فلم يجاوب واحد منهم اجابة صريحة وقال الجميع بلسان واحد انهم يمتثلون لما يأمر به الباشا فيعملون مثل ما يعمل . وبعد ان انفض جمعهم انقلبوا يذكرون وعورة الطريق وتعريض انفسهم لخطر البيع للانكليز وارتباط الباشا مع هؤلاء بعروة

صداقة وثقى . وانتقلت تلك الاقاويل وسارت من محطة الى اخـــرى بسرعـــة البرق وانتشرت فى ارجاء المـديرية وصار كل انسان يؤولها حسبما يحلو له .

وبعد هـــذه الاستشارة قر رأى امين باشا وجفسن على السفر فى ٢٦ يونيـــه . فجزع كازاتى لهـذا الخبر للخطر الذى يستهدفان له فى هـذه الرحـــلة وكلف فيتـا حسان بأن يلح على الباشا بالعدول مؤقتا عن السفر ويترك وقتا للنفـــوس المتهيجة بسبب الاحكام التى صدرت اخـــيرا على الخصوص لتهـــدأ من اضطرابها وان يترك جفسن يسافر وحـده اذا لج فى ذلك ولكن لا يلزم على كل حـال ان يتخـــطى الباشا وادلاى لانه يخشى عليـــه من أى حادث يقع بينما جفسن لا يخشى عليه من أى شىء بل يقابل على الرحب والسعة بصفتـه ضيفـا . وقوبل هـــذا الرأى بالاعـراض وسافرا بدون اكتراث .

الجهـــر بالعصيان

وما كاد امين باشا يتخذ طريقـــه حتى رفع قائد تونجورو وهو رجل نوبى يقـــال له سليمان افنـدى النقاب عن وجهه بـلا مبالاة وحشد الجنـــود والموظفين الملكيين وحض على المقـاومة وكال للنصارى بالكيل الوافى اسفل الشتائم وأحطها ولم يقف عنـــد حد ان يقدم مثلا فى التمرد والعصيان بل جد وكد فى سبيل حمل غيره ايضا على الاقتداء به فأرسل الرسالة تلو الرسالة الى مواطنه فضل المولى افندى (وهـــذا نال فيما بعـد رتبـــة بك وكانت له اليد الطولى فى اعمـال المديرية الختامية) الذى كان قائدا فى فاتيكو طالبا منه مساعدة فعالة لينقذ المديرية من الخـــراب

الذى يجـــره عليها امين باشا وان يقـوم على رأس الحركة فى المحطات الشمالية بينما يكون هو نفسه قد استولى على تونجورو و مسوه و وادلاى . وقوبلت اقتراحاته الشـــورية قبـولا حسنا من المتذمرين وصادفت دعـوة سليمان افندى اذنا مصغية فى كل حدب وناحية وقبل فضل المولى ان يقبض على أعنة الحركة .

وظـــل مع ذلك كل من امـين باشا و جفسن مطبقا جفنيه صاما أذنيه بل حسبا ان قدوم وفد اليهــما من قبل الاورطة الأولى مكلف باعلان ولائها بمثابة ضمان لنجاحهـا . وهكذا رأيا ايضا فى المقابلة الودية التى قابلهـا بهـا حواش افندى ولهذا السبب واصلا السفر غير مبـالين . ولدى استشارة حاميـــة كري قررت باجماع الآراء اخـلاء المديرية والاياب الى مصر غـير أن ما رأته الجنـــود من الاستعجال فى فض مسألة الاخـلاء ثبط همتهم . وعنــدما أمر امـين باشا بارسال كافة الذخـــيرة التى فى المستودعات الى دوفيليه داخلهم الخوف والجزع وخالوا انه فى حالة ابائهم السفر يتركون هم وذووهم بدون وسائل يدافعون بها عن انفسهم ويبقون تحت رحمة المهديين والاهـالى ولذلك قامـوا بنفس واحد وصوت واحـد يعارضون تنفيذ ذلك الامر . وقد أدى هذا مع ما سبق ايضاحه الى رواج سوق الكلمات الآتية فى كافة المحطات :

« لقد خدعنا ولا بد لنا من المداولة فى مسألة الدفاع عن ارواحنا » .

وقد كان من التناهى فى الغفـلة مداومة السفر الى الرجـــاف وغندوكورو لان من الجائز ان يكون امين باشا فيهما عرضة للاعتقال اكثر مما كان عرضة له فى السنة الماضية وقلما قفل راجعا من محطات الشمال التى

كان قد عزم على زيارتها لان كافة محطات الشمال هذه يحتلها جنود الاورطة الأولى وهى قلب مركز الثورة وقطبها .

وآثر امين باشا وجفسن المضى الى موجى لأن قائدها اليوزباشى عبد الله افندى منزل كان لم يزل مقيما على عهد ولائه للحكومة وله من السيطرة ما يكفى لحمل جنوده على استماع كلمته واطاعة أوامره . وأدت الحامية التى كانت تبجل قائدها غاية التبجيل وتحترمه أشد الاحترام مراسم النظام حسبما كان يتوقع وينتظر منها وأقرت اخلاء المحطة . وكذلك لم تبد أية ممانعة أو أى عناء عندما أخذ من مخازن محطتها ٢٠ صندوق ذخيرة وأرسلت الى دوفيليه .

وظلت المحطات الشمالية محتفظة بنفس ذلك الصمت الذى لا يبشر بطالع محمود . وبعد أن انتظر امين باشا وجفسن ١٥ يوما انتظارا لا طائل من ورائه امتثلا لحكم القضاء والقدر وارتدا على اعقابهما .

بدء ثورة الجنود على المدير

وفى ١٣ أغسطس احتشدت حامية لابوريه فى ميدان القرية . وقرأ جفسن رسالة استانلى وترجمها امين باشا الى العربية ثم طلب معرفة ما قررته الحامية فى أمر سفرها فأخذ التذمر ينتشر بسرعة فى الصفوف وبدا عليها القلق والاضطراب غير انه لم يتجاسر أحد ان ينبس بكلمة . وبينما هم كذلك إذا بجندى برز من بين اترابه وبندقيته فى يده والوقاحة بادية على وجهه وقال للمدير العام إن الجنود عولوا فعلا على السفر ولكن بعد الحصاد .

وألح جفسن فى طلب الحصول على اجابة فى اليوم التالى . وعندئذ استشاط الجندى غضبا وصاح قائلا : « ان جنود الحكومة لا تعامل هكذا وان ما قيل لهم كذب ومين لان الخديو يأمر ولا يلتمس وعلى هذا لو كان الامر صادرا منه لكان قد اتخذ الاحتياطات اللازمة لانفاذه فلا يدع كل انسان حرا يعمل ما تسول له نفسه » .

وغضب امين باشا من هذه اللهجة وقبض على عنق الجندى وأمر القائد بتجريده من السلاح واعتقاله .

وفى الحال تحفز الجنود على بكرة ابيهم واختلت صفوفهم وازدحموا حول الباشا بشكل ينذر بالتهديد والوعيد واسلحتهم محشوة ومصوبة نحوه وجرد هو الآخر سيفه من غماده ليخضع ذلك المتمرد ويحمله على الطاعة . وحالت سرعة تدخل الضباط وحدها دون حدوث كارثة . وانصرف الجند فى نهاية الأمر وذهبوا فاحتلوا الترسانة وأبوا القيام بالحراسة المعتادة امام مسكن المدير العام .

اعتقال المدير و فيتا حسان

وفى صبيحة اليوم التالى اتجه امين باشا و جفسن شطر محطة خور أيو وفيها قدم اليه رسول من قبل البكباشى حواش افندى فى دوفيليه وأخبره بالخطر الذى يهدد المديرية .

وورد للمدير العام رسالة اخرى تنبئه بالرجوع سريعا لاجتناب حدوث مشاكل جديدة .

وفى ١٩ أغسطس وصل امين باشا و جفسن و فيتا حسان الى دوفيليه ودخلوها من الباب الشمالى ولم يتقدم أحد لمقابلتهم . وكانت الطرق مقفرة والمحطة ساكتة سكوت سكان القبور ولكنهم ما أدركوا مسكنهم حتى ظهر بغتة ثلة من الجند وأقاموا حراسا على منافذه .

وهكذا أمسى كل من امين باشا و فيتا حسان رهين السجن . اما جفسن فظل طليقا ولم يعامل معاملتهما بالطبع لاعتباره ضيفا .

اعتقال حواش افندى وتأسيس حكومة وقتية

ولم يضيع المتذمرون اوقاتهم فى النفخ فى غير ضرم وساعدتهم فوق ذلك جميع الظروف فى تمهيد اعمالهم . فما ساعدهم فى قضاء اغراضهم حوادث كري و لابوريه وكذلك التردد وطول الاقامة بغير جدوى فى موجى . وكان قبل ذلك ببضعة ايام قد بارح فضل المولى افندى محطة فابو ومعه ٧٠ جنديا وبمعاونة اليوزباشى احمد افندى الدنكاوى استولى على دوفيليه بدون قتال ، واعتقل حواش افندى وسمى فضل المولى افندى نفسه منقذ المديرية التى صارت عرضة للخطر من جراء سوء ادارة المدير العام ودسائسه . وكانت الافكار قد أعدت اعدادا تاما حتى انه لم يخطر ببال احد تعنيفه أو لومه وأقيمت حكومة مؤقتة .

وخفض امين باشا جناحه ورضى بما خط له القدر فى عالم الغيب ولم يقم بأى عمل يمحى ما لحقه من الاهانة ويرفع شأنه . وحكى كازاتى ان الباشا لم يقتصر على عدم الاصغاء لمشورته بان لا يجاوز وادلاى فحسب بل أجاب فيتا حسان الذى قدم له هذه المشورة نيابة عنه بقوله :

« ليس لدى الآن ما اخشاه لأنى قابض على ازمة الأمـــور ومعى رجل انكليزى » .

وكان فى تلك الساعة كل ما يستطيع هـذا الانكليزى عمله هـو ان يشاطر المدير العام نحس طالعه وسوء بخته .

وفى ٩ سبتمبر قبيـــل الساعة الثالثة مساء ألقت الباخرة الخديو مرساتها تجاه تونجـــورو وخرجت الحامية لملاقاتها وهى قلقة مضطربة . وبعد ذلك بقليـــل رأى كازاتى وكان قد ظل باقيا بهـذه المحطة جفسن قادما وسيماه تدل على الكآبة وقص عليه الامور المحزنة التى شاهدها . ولم يكن على كازاتى شيء أسهل من ان يذكره بالنصائح التى قدمها اليه . ولكنه امتنع عن ذلك ورأى ان الوقت لم يحن بعد لابداء هذه الملاحظة وشجعه على قدر ما استطاع ووعده بأن يبذل كل ما فى امكانه .

وقد أثرت هذه الاخبار فى كازاتى وآلمته أشد الألم إلا انها لم تحدث فى نفسه دهشة البتـــة . ورغم أن ما حدث كان نتيجة عـــدم اصغاء امين باشا لمشورة كازاتى رأى هذا ان ذلك لم يقلل من واجبـــه فى السعى لانقاذه من الورطـــة التى وقع فيها وارجـــاع سلطته التى أمسى مجردا منها .

وسهل مهمة كازاتى هذه أمر صدر من حكومة دوفيليه المؤقتة الى قائد تونجورو بمراعاته كل المراعاة هو واتباعه ودعوة هـذه الحكومة له أن يذهب الى دوفيليه اذا اراد ان يجتمع بالباشا وان يشترك فى مداولة الجمعية العمومية التى ستنعقد هناك .

واستولى مندوبو الحكومة المؤقتة الذين قدموا مع الباخرة الخديو على المخازن وانطلقوا يفتشون منزل فيتا حسان تفتيشا دقيقا وارتكبوا فى اثناء ذلك فظاعة أثارت غضب كازاتى وأحفظته . وأدتهم شدة التحمس الى أن يعاملوا قائد المحطة سليمان افندى معاملة المشبوهين وهو ما كان يترقب بلا ريب ان يعامل هذه المعاملة جزاء رفعه لواء الثورة فى مقدمة المتمردين .

وكان هذا الوفد مؤلفا من ستة أعضاء بين موظفين وضباط وعلى رأسه اليوزباشى احمد افندى الدنكاوى . واستدعى هذا الوفد الحامية ان تجتمع بتمامها وعرض عليها قصة الثورة والغرض المزدوج الذى ترمى اليه وهو تحرير المديرية وانتصار العدالة التى يجب ان تسود جميع الاراضى التابعة للخديو . وهذه خلاصة ما ذكره اليوزباشى :—

« لقد جر المدير العام على المديرية التى فوض اليه أمر حكمها العار والشنار بأعماله التعسفية وقسوته واختلاسه لأموال الحكومة واستعمال طريقة المحسوبية مدة خمس سنوات متوالية . وزاد اليوم الطين بلة بان اضاف الى جرائمه السابقة جريمة بيع المديرية للانكليز . اما الآن فقد حانت المطالبة بحقوقنا المهضومة فأزحنا نير الرق عن كاهلنا وأقمنا حكومة جديدة رمزها : النظام والعدالة » .

وقد قوبلت هذه الكلمات من الجميع بالاستحسان وصفقوا لها تصفيقا طويلا .

وفى ١٣ سبتمبر سافر الوفد الى مسوه وبعد ان أبدى شكرى افندى قائد هذه المحطة بعض الاعتراضات أمر الوفد بنقل الثلاثين صندوقا المعبأة مظاريف رمنجتون التى كان أحضرها استانلى وأودعها فى مخازنها ، الى دوفيليه .

ولما كان الوفد قد بارح دوفيليه اذيع ان حملة استانلى رجعت وكان هذا هو السبب الذى من أجله حصل جفسن على اذن بأن يرافق الوفد الى تونجورو و مسوه ولكن هذا الخبر كان بعيدا عن الصحة .

وبعد ان فتش الوفد المخازن ورتب الاعمال الادارية عاود ادراجه ومعه كازاتى و جفسن الى وادلاى التى أمست قاعدة الحكومة والتجأ اليها عدد كبير من الموظفين لاسيما المصريين .

وفى ١٨ سبتمبر وصل الى وادلاى وانعقد فى نفس مساء ذلك اليوم مجلس عام مؤلف اغلبه من ضباط وموظفين مصريين . وكان الغرض من هذا الاجتماع وضع خطة لعرضها على المجلس فى دوفيليه فانتهز المصريون هذه الفرصة للقبض على ناصية الاعمال ولم يتركوا وسيلة إلا اتخذوها ليحولوا دون ابداء اية ارادة ترمى الى التزام فضيلة الاعتدال . وكتبوا عريضة اتهام أبانوا فيها ما تكنه صدورهم من حفائظ للمدير العام وفوض المجلس للبعض من اعضائه الاستمرار فى كتابة الطلبات .

وأقلعت الباخرة وبعد سفر يومين وصلت الى دوفيليه وذهب جفسن

فى الحال الى منزله الذى كان منزل الباشا ايضا . أما كازاتى فقصد رأسا الى فضل المولى افندى رئيس الحكومة المؤقتة وحصل منه بلا عناء على إذن بالسكن مع امين باشا وبأن يحضر ايضا جلسات المجلس الذى كان سيتداول عما قريب فى شأن مصير المديرية .

وتوجه كازاتى بعد ذلك الى مسكن الباشا و فيتا حسان وصافحهما متأثرا وطلب منهما ان يضعا فيه ثقتهما وان يتشجعا .

انعقاد جمعية من الضباط لاتخاذ التدابير الكفيلة
لتوطيد النظام الجديد

وعندما أثار الحزب العسكرى هذه الحركة لم يكن يرمى الى خلع المدير العام بل كان قصده فقط ان يضم اليه مجلسا يشاطره المسئولية فى ادارة اعمال المديرية . غير ان المصريين لم يرتضوا ذلك وتوصلوا بواسطة تفوقهم الذى يكفله تعليمهم الى ان يحصلوا على عمل تحقيق ادارى واتهام امين باشا وفيتا حسان والبكباشى حواش افندى قائد الاورطة الثانية .

وفتحت الجمعية العمومية جلستها فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٨ م وكان بجدول اعمالها هذه المسائل . وبعد ان تلى عليها بيان الاسباب التى اقتضت اتخاذ هذه التدابير الصارمة ضد المدير العام وشريكيه فى الجرائم ، قرر احالة دراسة الاصلاحات الكافلة لعدم الاخلال بالشرائع والحقوق واحترام الشخصيات فى المستقبل الى لجنة عسكرية .

ولم يرض المتطرفون بهذا القرار وعقد المصريون ليلا اجتماعا سريا بمنزل اليوزباشى على افندى جابور وهو رجل سودانى حقود بغيض للآراء المعتدلة التى كان يعاضدها فضل المولى افندى .

وتناقشوا فى هذا الاجتماع فى الوسائل اللازم اتخاذها لاغراء الجمعية وانتزاع قرار منها تكون عاقبته قلب الادارة ظهرا لبطن .

واستدعى فى اليوم التالى بعض الاعضاء وقدم ثلاثة من شياطين الدساسين وهم صبرى افندى والطيب افندى من الموظفين والضابط مصطفى افندى احمد ، عريضة اتهام ومشروع أمر بعزل امين باشا واقالة فيتا حسان ووقف البكباشى حواش افندى . وكان هؤلاء الثلاثة يرون فى انفسهم شدة العزيمة وقوة الشكيمة ارتكانا على معاضدة على افندى جابور واتباعه لهم .

تنصيب القائمقام حامد بك على المديرية بدلا من امين باشا

وبعد المداولة قررت الجمعية باجماع الآراء استمرار حبس الثلاثة المتهمين وترقية البكباشى حامد افندى قائد الأورطة الأولى الى رتبة قائمقام وتعيينه محل المدير .

وأعلن فى اليوم عينه هذا الأمر موقعا عليه من المدير الجديد الى أمين باشا . وأشار عليه كازاتى بالاذعان له فامتثل ولكن جفسن عارض لأن ذلك يكون بمثابة سابقة رديئة .

وأغار الجنود على منزل البكباشي حواش افندى وصادروا ممتلكاته وأخذوا يسبونه ويستعملون معه الخشونة . وكان حواش افندى مكروها فى كل أرجاء المديرية لمداومته على الانغماس فى التعسف وارتكابه المظالم وتأثيره على أمين باشا تأثيرا مهلكا .

محاولة نفى المدير العام و فيتا حسان و حواش افندى

وخطر ببال الثوار فى نهاية الأمر احتمال رجوع استانلى بين لحظة وأخرى . وتقرر فى جلسة علنية الاعتراف بأنه مندوب الحكومة الخديوية ومفاوضته مباشرة بصدد اخلاء المديرية والعودة الا أن أولئك الذين كانوا اندفعوا أكثر من غيرهم فى تيار الثورة لم يشتركوا فى المناقشة وتآمروا فى الخفاء على أن يحولوا دون اطلاع استانلى على مجرى الأحوال ويستولوا على الذخيرة التي بعث بها الخديو واتفقوا كذلك فيما بينهم على استبعاد الثلاثة المعتقلين الى محطات الشمال حتى لا يتمكنوا بأى وجه من الوجوه من التعلق بأذيال الفرار .

وكان كازاتى يحضر بموجب الاذن الذى كان قد أعطى له جميع جلسات الجمعية التى كان لا بد من رفع قراراتها فيما بعد الى سمو الخديو ليوافق عليها . وكانت له كذلك علاقات متصلة الحلقات مع الضباط والموظفين الاكثر نفوذا . وكان جفسن يرافقه بعض المرات فى هذه الزيارات . ولم يقصر فى هذه الفرصة عن ان يوضح لهم ان الاستبعاد الذى عقدوا الخناصر عليه ان هو إلا اساءة استعمال للسلطة .

وفى صبح يوم ٢٨ سبتمبر نبه البكباشى سليم افندى مطر كازاتى سرا الى أن جمعا مؤلفا من بعض رؤوس الثوار اجتمع بدار اليوزباشى فضل المولى افندى وأخذ فى تحضير امر النفى لكى يقدمه للجمعية العمومية . وعلى الفور أرسل كازاتى الى اليوزباشى المذكور يطلب منه الترخيص له بحضور ذلك الاجتماع فأذن له بذلك وذهب عقب ذلك اليه فوجد لديه زهاء اثنى عشر من اعداء الباشا الألداء .

وكانت الجلسة هائجة وعنيفة وفتحت فى الساعة السابعة صباحا ولم تنته إلا عند الساعة الواحدة مساء . ودافع فيها كازاتى عن أصدقائه وبعد مشاق كبيرة حصل على تأجيل اتخاذ أية وسيلة عدوانية . وتوجه فى نهاية الامر مع سليم افندى مطر من باب الاحتياط الى القائمقام حامد بك ليحصلا منه على وعد بأن يعارض فى كل محاولة تبذل فى هذا السبيل . وفعلا حصلا منه على وعد بذلك .

تفتيش منزلى أمين باشا و فيتا حسان

وكان رئيس القومسيون المكلف بتحقيق سياسة امين باشا الادارية رئيس الحسابات الذى كان من هنيهة موقوفا من وظيفته فقرر القيام بتفتيش مسكن كل من الباشا و فيتا حسان لمعرفة ما إذا كانت بهما المستندات والبضاعة والذخيرة التى اختفت . وأعلن هذا القرار فى الحال لأمين باشا و فيتا حسان فطلب كازاتى ان ينوب عنهما فأجيب طلبه .

وفى ٥ أكتوبر وصل المندوبون للتفتيش ومعهم كازاتى الى وادلاى ونزلوا الى البر وحاصر الجند منزل امين باشا وابتدأ التفتيش واستعمل فيه

الدقة المتناهية وعند الفراغ منه سلموا الى كازاتى نسخة من المحضر مشمولة بامضاآت المندوبين .

وفى ١٤ اكتوبر صار تفتيش منزل فيتا حسان ولم يراعوا هذه المرة الظواهر مثل المرة السالفة بل اختلس كل ما كان به وأودع المخازن ليرسل منها الى دوفيليه .

وبعد ان انتهى التفتيش أخذ المندوبون فى نهب كل ما وقع تحت أيديهم . وفى خلال انهماكهم فى هذه الملذات استدعوا للسفر الى دوفيليه على وجه السرعة فوصلوا إليها فى ٣٠ منه .

اغارة المهديين على الرجاف

وتلقوا لدى نزولهم بهذه الناحية اخبارا سيئة ذلك ان ثلاث بواخر قدمت من ناحية الشمال وألقت مراسيها امام الرجاف ونزل منها رجال من المهديين وأغاروا على المحطة واستولوا عليها بعد ان قاومتها الحامية مقاومة قصيرة المدى ومات ثلاثة من الضباط وثلاثة من الموظفين بعد أن دافعوا عن مدخل الحصن دفاع الابطال البواسل وقام المهديون بعمل مجزرة مريعة أبادوا فى خلالها كثيرا من الرجال والنساء والاولاد .

وبعد الفراغ من ذلك القتال أرسل عمر صالح نائب المهدى وقائد جيشه خطابا الى أمين باشا مدير خط الاستواء يقص عليه فيه بلاء رئيسه فى الحروب البلاء الحسن ويدعوه الى الاذعان والخضوع ويعد كل من امتثل بالأمان .

وألقت هـذه الرسالة التى أتى بها ثلاثة من الدراويش الرعب والذعر فى قلوب الثائرين فتوجهوا الى امين باشا وطلبوا منه ان يمدهم بمشورته . فأبى ان يتحمل أية مسئولية لكنه مع ذلك لم يتأخر عن أن يمدهم برأيه وذلك بأن أشار عليهم بالتقهقر صوب الجنوب ويتحصنوا فى تونجورو .

وكانت فاجعة الرجاف قد أسخطت الضباط وأوغرت صدورهم فسافر القائمقام حامد بك مع اليوزباشى على افندى جابور على رأس الاورطة الأولى وأمداد أخرى أخذت من مختلف المحطات . وزحف على موجى بقصد أن يحشد فيها معظم القوات التى فى مكراكا ومهاجمة المهديين الذين كانوا قد تحصنوا فى الرجاف . وكان الموقف فى تلك الظروف قد بلغ أشد حالات العسر . وزاد الضيق عن كل الازمان التى سلفت . وكانت المقاومة بحسب رأى الاغلبية لا يرجى منها خير . بل كانت غير مستطاعة ولذلك أرسل فى الحال صوب الجنوب الرجال غير الصالحين للحرب ونسوة الجنود وكتب فى الوقت نفسه مكتوبا الى حامد بك يطلب العدول عن الاخذ بثأر الذين ذهبوا ضحايا فى واقعة الرجاف واعطاء الأوامر اللازمة لحشد الجنود فى دوفيليه إذ أنه من المحقق ان المهديين لا بد أن يستمروا فى خطة الهجوم كما أنه من المحقق ايضا ان الجنود لابد ان يعجزوا عن صدهم .

نقل أمين باشا والمسجونين معه الى وادلاى

ولما كان لايوجد فى دوفيليه شيء من الأمن والطمأنينة عاد كازاتى الى المفاوضة ملحا فى طلب نقل المتقلين الى وادلاى مبينا الضرورة

القصوى الماسة لوضعهم بمنجاة عن اخطار الهجوم المرتقب حدوثه فى قادم الايام . وصرح فضل المــولى افندى بأن لا ينازع فى أحقية هذا الطلب ولـكنه يريد ان يؤيده حامد بك فى ذلك . وكان حامد بك فى ذلك الوقت مع الجنود فى كري .

وشجع كازاتى التذمر الذى كان يبدو بين صفوف الجنود فذهب لزيارة البكباشى سليم افندى مطـــر و اليوزباشى سليمان افندى وأفهمها ان من واجباتهما تلقاء المسئوليـــة الملقاة على عاتقهما إبعاد المسجونين إذ من الجائز أن يذهبوا ضحية حدوث عراقيل لا يكون فى استطاعة أحد تجنبها . واستقر الرأى على عقـــد اجتماع يحضره الضباط وحـــدهم نظرا للحالة الحاضرة .

وفى ١٥ نوفمبر وردت أخبار نكبة ثانية . ذلك أن المهديين هزموا الجنـــود التى يقودها القائمقام حامد بك على مسافة قليلة من الرجاف ، وشتتوا شمل الجنـــود وابن القائمقام وبكباشيا وثلاثة يوزباشية ولفيفا كبيرا من الجنود قتلوا فى الميدان . وكان الخطر متوقعا حدوثه فى القريب العاجـــل واختلال النظام بلغ غايته لدرجة فقد معهـــا كل صوابه . وكذلك لم يحتج أى كائن عندما أخـــذ البكباشى سليم افندى مطر على عهدته فى صبح اليوم التالى الاستيلاء على القيادة العليـــا . وكان أول أمر وجه اليه التفاته الوفاء بوعده فاجتمع الضباط بهيئة مجلس ووافق على نقل المعتقلين وأعلن القرار حسب المعتاد الى الموظفين المدنيين . وعنـــد الظهيرة أخبرت لجنة مؤلفة من الضباط الباشا بذلك وانصرف الحـــرس الذى فى مدخل داره .

وفى صبح يوم ١٧ نوفمبر صعد امين باشا على ظهر الباخرة الخديو المكلفة بنقله هو وحاشيته الى وادلاى وكانت المدافع أثناء صعوده تدوى فى الفضاء والعساكر تؤدى له التحيات العسكرية . ولدى وصوله الى هذه المحطة قوبل مقابلة حماسية فكان جميع الناس واقفين على قدم الاستعداد وبادر رجال الحكومة بالالتفاف حوله مبالغين فى الاحتفاء به وتقبيل يديه وهتفت الجنود له ودوت المدافع ولاحت عليه سيماء الدهشة عندما رأى كل هذه الحفاوة . ثم توجه الى مسكنه ورغما عنه وجد نفسه مكرها على استقبال الضباط والموظفين الذين كانوا قد أتوا ليقدموا له عبارات التبجيل والاكرام .

وكان لغاية ٤ ديسمبر لم يرد أى خبر من دوفيليه . وفى هذا التاريخ ليلا رجع اليوزباشى حمد افندى مسرعا من قرية بورا Bora حيث كان يقيم فى طلب الحبوب منذ عدة أيام . وبينما هو قائم باعباء هذه المأمورية ألزمه شيخ القبيلة السفر الى وادلاى وما ذلك إلا لأن المهديين كانوا قد هاجموا محطة فابو واستولوا عليها وحاصروا دوفيليه بمعاونة الأهالى .

وكان هذا الخبر من أشأم الاخبار وأفظعها لأنه قد يحتمل أن تكون دوفيليه قد سقطت قبلا فى قبضة العدو وقضى الأمر . وأصبح فى استطاعة المهديين بمعاونة الباخرتين النزول فى وادلاى بدون أى تأخير وبما أن هذه المحطة ليس بها شىء من وسائل الدفاع التى يمكن التعويل عليها صار من اللازم الاسراع بالتوجه الى تونجورو عن طريق المرتفعات .

وبما أن القارب الحديد وهو الذى أحضره جفسن فى حملة استانلى كان قد أغرق بعد أن صار تحطيمه وأمسى لا يصلح لشىء ما صار توزيع الذخيرة على الجند وتركت المؤن التى لم يتيسر نقلها . وفى بكرة اليوم التالى فى أول ساعة من النهار اتخذ الجنود سبيلهم فى البر وساروا بلا ترتيب ولا نظام .

وفى الساعة التاسعة أذيعت اشاعة مقتضاها أن الباخرتين وصلتا الى وادلاى تحملان العلم المصرى . وفى الحال وقفت الحملة وعاد الجنود والمستخدمون الى الادبار ليتأكدوا من صحة الخبر ومن بقى منهم بعد أن قضى الليل سافر فى الغد وبلغ قرية فاجونجو Fagongo الواقعة قرب مجرى النيل .

هزيمة المهديين

وبعد قليل أذيع أن الباخرة الخديو صارت على مدى البصر ثم وصلت وألقت مرساتها فى خليج صغير تحت القرية . ونزل منها الى البر ضابط وأخبر أن المهديين بمساعدة أهالى موجى ولابوريه قاتلوا جنود دوفيليه مدة ثلاثة أيام ودخلوا لغاية المحطة ولكن اضطروا فى نهاية الامر الى الانسحاب . وانقلبت حركة تقهقرهم فى ٢٨ فبراير الى هزيمة تامة وتركوا من رجالهم عددا كبيرا فى حومة القتال . واقتفى أثرهم فرقة من الجنود فلحقت بكثيرين من المتخلفين وجرعتهم كأس المنون .

وبما أن الذخيرة كانت قد نفدت فقد استقر بهم الرأى على اخلاء دوفيليه والرجوع الى وادلاى .

وطلب الضابط بعد ذلك من الباشا أن يذعن للامر الذي كان يحمله وهو يقضي برجوعه الى وادلاى حيث كان فى العزم عقد جمعية عامة لاتخاذ قرار بشأن اعادة تنظيم المديرية . غير أنه نظرا لكون أمين باشا كان قد صمم على الذهاب الى تونجورو قرر الضابط أن يرافقه ويتوجه معه صوب البحيرة .

أما الحركات العسكرية التى اتخذت فى دوفيليه والمعركة التى حامت حولها بغرض الاستيلاء عليها من قبل المهديين فقد ذكر تفصيلاتها البكباشى سليم افندي مطر فى خطاب بعث به الى أمين باشا وهذا الخطاب مذكور فى صلب تاريخ المديرية عن هذا العام .

إخلاء دوفيليه

وأخليت دوفيليه خلافا للعادة المتبعة فى البلد بسرعة البرق وحملهم على ذلك بلا جدال عامل الخوف الذى يقال إنه يخلق للانسان أجنحة . فبدءوا أولا بتكديس الأسر فى وادلاى لترسل فيما بعد بالتدريج الى تونجورو ومسوه . وانما الذى كان يؤسف له فقط هو خلو المخازن من الحبوب .

وفى ١٦ ديسمبر نقل اليوزباشى سليمان افندى الذى كان جرح جرحا بليغا فى فخذه فى واقعة دوفيليه الى تونجورو . وعالج امين باشا الذي كان من شيمته الاحسان الجريح غير أن جروحه كانت بالغة لدرجة لم يستطع معها الطب انقاذه فتوفى المسكين فى ليلة ٢٩ منه متأثرا بجراحه وعين الملازم الأول صالح افندى محله قائدا فى تونجورو .

ولا بد لنا أن نذكر أيضا بين ضحايا الحرب اليوزباشي احمد افندى الاسيوطى الذى قضى نحبه فى وادلاى متأثرا بجراحه . فقد أصيب برصاصة فى خلال دفاع مجيد امام باب دوفيليه فأبى أن يبتعد عن ساحة الحرب واستبسل فى القتال الى أن أصابته رصاصة ثانية فى رأسه فهدت قواه وعجز عن الاستمرار فى النضال .

اختلاف الثوار فى أمر أمين باشا ومن معه

ولم تشأ اللجنة الثورية أن تعترف بسلطة سليم افندى مطر . وأكره هذا على إبعاد البكباشي حواش افندى الى وادلاى وكان فى تونجورو على أثر الترخيص الذى حصل عليه أخيرا . واقترح فى جلسة الاكتفاء بعزل أمين باشا واتخذ من اخلاء وادلاى ونهب المخازن علاوة على الاسباب التى سبق عرضها على الجمعية العمومية فى دوفيليه فى سبتمبر ، مبرر لهذا الاقتراح فوافق الجميع عليه . وتقدم اقتراح آخر القصد منه صدور أمر رئيس المديرية بتكبيل امين باشا بالاغلال الى أن يحين تسليمه للعدالة الخديوية واعدام فيتا حسان و كازاتى و جفسن و ماركو جسبارى (وهذا الاخير تاجر يونانى) شنقا جزاء حملهم الجنود على اخلاء وادلاى ابتغاء ايقاع جنود دوفيليه فى خطر أعظم .

وثارت ثائرة سليم افندى مطر تجاه هذه المزاعم التى بلغت غاية السخافة وجاوب محاولا تضييق دائرة التمرد والعصيان والاخلال بالنظام الآخذة فى الاتساع يوما فيوما .

واقترح هو الآخر عقد جمعية عمومية فى وادلاى عند ما يتم اخلاء

دوفيليه يترك لها أمر استقرار نظام المديرية النهائى ومسألة الاياب الى ديار مصر . وكان يريد الذين اشتهروا أكثر بحصافة الرأى من بين أولئك الذين التفوا حول البكباشى إما رجوع الباشا الى منصبه أو اخلاء المديرية على الاقل . وتتألف أغلبية هذا الحزب من الضباط ومن عدد من المستخدمين المصريين المسلمين والاقباط .

ويتألف الحزب المعارض الذى يرأسه فضل المولى افندى من قليل من الضباط وعدد لا يذكر من الموظفين وكثير من الدناقلة وهم على وجه العموم من الذين تورطوا أكثر من غيرهم فى اشعال نار الثورة وجروا فى تيارها ولذلك كانوا يصرون على عدم مبارحة البلد ويعضون بالنواجذ على البقاء .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الاول للعام القادم .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٨ م

حملة استانلى

من ابتداء تكوينها الى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م (١)

عند ما بترت الثورة المهدية مديرية خط الاستواء من جسم مصر بقيت هذه المديرية منعزلة عن العالم المتمدين كجزيرة فى وسط الاوقيانوس . وكان يندر ورود أخبار منها . وكانت تلك الاخبار تأتى بواسطة التجار الزنزباريين الذين يتبادلون المتاجر مع اوغندة أو المبشرين الانكليز المقيمين فى هذا البلد .

وهذه الاحوال اضطرت أمينا باشا بحكم الطبيعة الى الاستنجاد . ويبدو أن أول شخص وجه اليه نداءه كان الدكتور فلكن وهو عضو من أعضاء البعثة الانكليزية المقيمة فى اوغندة وكان قد قضى بعض السنين فى هذا البلد كما سبق القول وله صلة ود وصداقة بأمين باشا ونزل فى ضيافته عدة مرات عند ذهابه الى البلد المذكور وإيابه منه . وكانت صداقتهما وثيقة لدرجة ان امينا باشا عهد اليه تنفيذ وصيته .

وكان الدكتور فلكن بعد ان عاد من اوغنده فى عام ١٨٧٩ م

(١) — راجع الجزء الأول من كتاب « حياة أمين باشا » تأليف تشويتزر Schweitzer وكتاب « في ظلمات افريقية » تأليف استانلى .



مستر استانلی

اتخذ له مقرا فى انكلترا وفى هذا البلد وصلت اليه استغاثة امين باشا فى اكتوبر سنة ١٨٨٦ م .

وهذه الاستغاثة كانت قد كتبت فى وادلاى فى ديسمبر سنة ١٨٨٥ م . وان هو الا ان تناولها حتى أخذ يعمل ونشر الاستغاثة فى المجلة الجغرافية الاسكتلاندية Scotish Geographical Magazine بعددها الصادر فى ٢٣ نوفمبر عام ١٨٨٦ م . وانعقد مجلس الجمعية الجغرافية الاسكتلاندية Scotish Geographical Society فورا بحضور الدكتور فلكن الذى ألح فى طلب بذل المساعى لدى الحكومة البريطانية للحصول على معاضدة من جانبها فى سبيل ارسال مدد لامين باشا .

وبعد المداولة قرر المجلس السالف الذكر باجماع الآراء ما يأتى : (١)

« نظرا للخدم الطويلة والمتعددة التى قام بها الطبيب امين بك فى خلال الاثنى عشر شهرا المنصرمة فى أواسط افريقية لعلم الجغرافية وللعلوم الأخرى المماثلة له سواء أكان ذلك بمجهوداته الشخصية أم بالمساعدة التى كان يقدمها على الدوام للرواد والرحالين يرى المجلس انه يستحق المعاضدة والمعاونة من جانب الحكومة البريطانية .

« وان المجلس لا يقترح ارسال أية حملة عسكرية بل من رأيه ان فى استطاعة حكومة جلالة الملكة ان تقوم بهذه المهمة بنجاح بواسطة حملة للانجاد سلمية .

---

(١) — راجع مقدمة كتاب « حياة أمين باشا ص ٢٣ » .

« ومن الواضح الجلى ان اجتياز حملة من هذا النوع اقطارا لم تطأ بعضها الى الآن قدم رحالة ، يساعد كثيرا على توسيع دائرة معارفنا عن جغرافية افريقية » . اه

وأرسلت صورة من هذا القرار الى ايرل ايديسلى Earl of Iddesleigh وزير الخارجية بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ م وأرسل الرد بوصولها فى ٤ ديسمبر من هذه السنة وقال فى اجابته ان حكومة جلالة الملكة واضعة هذه المسألة موضع النظر .

وأوجد عمل الجمعية الجغرافية الاسكتلاندية اهتماما عظيما فى انكلترا فيما يتعلق بهذه المسألة وانتهز الدكتور فلكن هذه الفرصة السانحة ليحرض على انجاحها وذلك بالكتابة فى الجرائد الانكليزية الهامة .

لقد كتب الهر تشويتزر Herr Schweitzer مؤلف كتاب « حياة أمين باشا » بالصفحات من ٢٦١ الى ٢٦٥) ان الجمعية بعملها ترمى الى مقاصد سياسية لا علمية . ونقل فصلا من جريدة من جرائد برلين المسماة « داى بوست Die Post » الصادرة فى شهر يوليو سنة ١٨٨٤ مذكورا به محاولة أصحاب رءوس الاموال فى لوندرا تأليف شركة باسم « جمعية السودان الملكية » لتستولى على السودان وتحل المسألة المصرية بأبسط وأخصر طريق .

وبالطبع جاهر الدكتور فلكن بعدم صحة هذه الرواية واستمسك بوجهة نظره قائلا ان هذا العمل هو لمحض خير الانسانية وقد دعاه للقيام به الصداقة المتينة التى تربطه بأمين باشا . ومن الجائز ان هذا كان رأيه

الشخصى ولكن هذا النداء صادف على كل حال آذانا مصغية واستغلته المطامع الاشعبية التى وجـــدت من ازمان بعيدة كما برهنت على ذلك الحوادث التى وقعت فيما بعد .

وعين أمين باشا بالتدقيق فى رسائل أخرى كتبها الى الدكتور فلكن بعــد الرسالة السالف ذكرها الخطة التى يريد اتباعها فهو قبل كل شىء يشترط كفالة مركزه الخاص ببقائه حيث كان بوصف أنه مدير مدى الحياة تابع لنقابة انكليزية تتسلم مديريته بعد ان تخليها الحكومة المصرية ويبارحها الضباط والموظفون المصريون إذ انه لا يريد ان يقيم إلا مع جنود سودانيين يضعهم تحت تصرف النقابة التام مبينا الاقتصاد الذى يحدثه هذا الترتيب بسبب الاستغناء عن ارسال حملة مسلحة .

(ويرى من خلال تاريخ المديرية ان هــؤلاء السودانيين أنفسهم هم الذين ظلوا على عهد الولاء للحكومة المصرية الى آخر لحظة وعزلوا أمينا باشا واعتقلوه عند وصول حملة استانلى لاعتقادهم انه اتفق مع الانكليز على بيعهم لهؤلاء هم والمديرية صفقة واحدة .

اما فكرة الاستقلال فلم تك حديثة العهــد عند امين باشا لانه اعترف فى خطاب أرســله الى الدكتور فلكن ـ انظر ص ١٦ من كتاب حياة امين باشا ـ انه عرض على عبد القادر حلمى باشا حكمدار السودان العام ان يفصل ادارة مديريته عن السودان) .

وتحرك الدكتور فلكن مرة أخرى عند ما صارحه امين باشا بنياته الحديثة ابتغاء ايجاد النقــابة التى ينبغى ان يعهد اليها تسلم زمام المديرية

والعساكر السودانيين الذين عرضهم امين باشا عليـــه . ولم يمض وقت طويل حتى وجدت شركة افريقية الشرقية الامبراطورية البريطانية Imperial British East Africa Company الـــتى ما كانت تتـوق الى شيء أحسن من ان تتم مسـألة كانت تطمح اليها الابصـــار وتصبو اليها النفوس من أمـد بعيد فعقدت اتفاقية مؤقتـــة موقوفة على اعتماد من امين باشا ومن مقتضيات هذه الاتفاقية ان ينقل امين باشا إلى الجمعيـــة جميع الحقوق المتعلقة بالارض وغيرها من الحقـــوق التى اكتسبها فى المديرية المذكورة وتتعهد الجمعية من ناحية أخرى ان تبذل مجهوداتها قبل الحكومة البريطانية لتحملها على التصريح بأن المديرية أمست تابعة لها وان تتكفل لامين باشا بأن يعمل فيها بوظيفة مدير مدى الحياة .

(وهنا يتساءل المرء عن الحقوق التى اكتسبها امين باشا فى مديرية من ممتلكات مصر حتى يكون له حق التنازل عنها ؟) .

وأرسلت هذه الاتفاقية إلى امين باشا بعـــد سفر استانلى . ومن المحتمل أنها لم تصل اليه الا بين الزيارتين اللتين أداهما له هذا فى معسكره بالقرب من بحيرة البرت نيانزا . وكانت مراجـــل الثورة تغلى عند ذاك فى ارجاء المديرية وغير ممكن ابرام أية اتفاقية من هـذا القبيل كما يعلم ذلك بداهة وقضى على المسألة القضـــاء الاخير . ومما لا بد من ملاحظته هنا ان هذه الجمعية هى ذاتها التى امتلكت فيما بعـد اوغندة ومديرية خط الاستواء بعـد مغادرة امين باشا لها لتسلمها للحكومة الانكليزية عقب ذلك .

ومـع ان قرار الجمعيـة الجغرافيـــة الاسكتلاندية ونداءها للحكومة البريطانية لم يلقيا تلبيـــة لكنهما مع ذلك أتيا بثمر . وذلك ان رجلا من

اسكتلاندا حيث تقيم الجمعية الجغرافية المذكورة التى لفتت نظر الحكومة الانكليزية الى نجدة امين باشا ، وهو السير وليام ماكينون فكر منذ ان وضع القرار الأول فى تأليف لجنة لجمع الاموال للشروع فى تكوين حملة لنجدة أمين باشا، ولم يكن الغرض من ارسال هذه الحملة الحصول على مأرب سياسى فحسب بل على مأرب تجارى أيضا لانه كان من المعلوم فى انكلترا ان أمينا باشا كدس فى وادلاى كمية وفيرة من العاج وان فى امكان الحمالين الذين يستخدمون فى نقل المواد اللازمة لامين باشا ان يتولوا احضار تلك الكمية . وكانوا يقدرون ان هذا العاج عند ما يباع يغطى ثمنه نفقات الحملة بل ربما فضل بعد ذلك ربح . وهكذا يصاد عصفوران بحجر واحد .

وقبيل آخر عام ١٨٨٦ م كان السير وليام ماكينون قد قطع شوطا بعيدا فى المحادثة مع استانلى فى هذا المشروع والمبلغ اللازم لتنفيذه . وبما أن أغلب أصدقاء السير وليام كانوا فى تلك الآونة غائبين فلم يشأ مطلقا أن يقرر هو وحده أمرا بصدد طرق السفر ووسائله . ولكن نظرا لتصميم استانلى على القيام برحلة الى امريكا تقرر ان يقوم السير وليام المذكور بعمل اللازم لجمع الاموال وان يبعث ببرقية الى استانلى حالما ينتهى من ذلك .

وأقلع استانلى الى امريكا وبعد ان أقام بها اسبوعين جاءته برقية منبئة بالحصول على المال وفيها حض له على الاسراع فى الاياب . وفى الحال أقلع ووصل الى انكلترا قبيل آخر عام ١٨٨٦ م .

وبلغ المال الذى كان قد جمع عشرة آلاف جنيه انكليزى بشرط أن

تمنح الحكومة المصرية مبلغا يضارع هذه القيمة . وقد قبلت هذه الحكومة هذا الشرط وبذا أمسى ارسال الحملة من الامور المبتوت فيها .

وانها لغريبة تلك الحكومة القصيرة النظر التى تنفق اموالها فى سبيل ترك أرضها وجنودها لغيرها .

أما من جهة أن الحملة كانت ترمى الى مقصد سياسى ألا وهو ابتلاع مديرية خط الاستواء وإعطاؤها للحكومة البريطانية فليس لدى أحسن من أن أذكر شهادة شاهد عدل خال من الغرض والتحيز وهو الاب شينز Schynse عضو جمعية المرسلين الجزائريين الذى كان مقيما فى محطة بوكومبى Bukumbi عند بحيرة فكتوريا نيانزا مع مرسل آخر وهو الاب جيرولت Girault .

طلب هذان المرسلان حين مرور حملة استانلى عائدة الى زنزبار من استانلى ان يأذن لهما بالسير مع الحملة لغاية الساحل فأجيب طلبهما . وبذا اختلطا بأمين باشا اختلاطا طال أمده وعاشراه معاشرة يومية كما اختلطا بأعضاء الحملة وعاشراهم وعلى ذلك كان فى استطاعتهما ان يحصلا على معلومات لا يمكن أن يتسرب الشك فى صحتها .

واليك ما سطره الاب شينز فى جريدة رحلته فى قلب افريقية مع استانلى وامين باشا ص ١٦٠ : —

« ان كثرة اتصالنا بضباط الحملة أدى بنا الى كشف أشياء جمة يتبين لنا من خلالها بجلاء القصد والغاية من هذه الحملة . على اننا لو حكمنا بالظواهر لرأينا أنها نجحت وان أوربا ستحتفل بنجاحها غير ان هؤلاء الابطال الصناديد غير راضين فى الواقع ونفس الامر عن النتيجة

ولا يتحرجون من الاعتراف بخيبة الامل وهاك ما قالوه : « لقد هلك منا خلق كثير وذهبت اموال كثيرة ضياعا وقضينا عامين ونصف عام فى بؤس وشقاء ومع ذلك فما الذى حصلنا عليه ؟ لقد أحضرنا معنا عددا من داخلية افريقية من الموظفين المصريين المرتشين الذين لا يرجى منهم خير ومن يهود ويونان وأتراك لا يقرون لنا بجميل حتى أن كازاتى نفسه انقلب متوحشا وصار لا يساوى مشقة انقاذه . اما امين باشا فهو انسان شريف ولكنه لم يكن سوى رجل علم . لقد كنا نظن اننا نجد فى امين باشا جنديا باسلا على رأس ألفى جندى من الجنود المنظمة تنظيما حسنا بحيث لانحتاج ان نقدم لهم سوى الذخيرة ليكفلوا لانجلترا الاستيلاء على خط الاستواء ويفتحوا بحرابهم ممرا لغاية ممبسه . اما الآن فكل هذه الآمال أخفقت وأضحت الصدور منقبضة . واما امين باشا فهو رجل اختبر العالم وعرف دخائله فلا تزين له نفسه المحال بشأن البواعث الحقيقية لارسال هذه الحملة » .

وهاك ما ورد ايضا بالصفحة ٢٠٠ من رحلة المؤلف المذكور :ـ

« وكنت أمضى معظم الاوقات اتحدث فى الطريق الى امين باشا فكان لا يكتم البتة عنى رأيه فيما يتعلق باسباب تأليف الحملة . فكان يقول : وهل يصح فى الاذهان ان رجلا داهية مثل تاجر اسكتلاندى — أى سير وليام ماكينون — يطرأ على فكره فجأة أن يضحى بمبالغ طائلة فى سبيل انقاذ موظف مصرى ربما لم يكن سمع حتى ذلك الحين انسانا يلفظ اسمه ؟ انهم لم يباشروا ارسال الحملة حبا فى سواد عينى الدكتور امين باشا بل من أجل المديرية التى كان هو على رأسها

ومن أجل عاجها . ولو بقيت ظروف الأحوال كما كانت لكانت الاربعة الآلاف قنطار العاج المودعة فى وادلاى قد غطت بسعة نفقات الحملة وفضل ما يكفى لتكوين احتياطى لعدة سنوات ولكان أمين باشا قد جمع فى خلال ذلك كميات أخرى من العاج . وهكذا كانت انكلترا تضم الى ممتلكاتها مديرية أنيقة بدون أن تدفع فلسا واحدا وتستولى منها على ايرادات تفى بنفقات اتصالها بممبسه . واذا كانوا يعيرون أمينا باشا فانه يلزمه فى مقابل ذلك ان يجعل ما له من النفوذ والمعلومات فى خدمة منقذيه وتحت تصرفهم ويتحول جميع ذلك الى مضاربة تجارية كثيرة الارباح .

« واختتم الدكتور كلامه قائلا : انى لشاكر لاولئك الأماجد على ما صنعوه غير انى أدركت الغرض الحقيقى من الحملة من أول محادثة حصلت بينى وبين استانلى فانه وان لم يبد اقتراحا مباشرا لى فانى مع ذلك شعرت بان وراء الاكمة شيئا آخر غير محض الرغبة فى ارجاع بعض الموظفين المصريين » . اه

أما فيما يتعلق بالوجهة التجارية فان الحوادث التى حدثت فى المديرية حالت دون تحقيق شىء منها وحبطت هذه المسألة من جميع وجوهها . ولكن ما أهمية ذلك بالقياس الى الفائدة الحقيقية ذات الاهمية التى اكتسبوها ألا وهى اقتلاع رئيس المديرية من وظيفته ذلك الرئيس الذى يمثل سلطة الحكومة المصرية وزوال تلك السلطة بهذا العمل مع بقاء قوة هذه الحكومة المسلحة والمنظمة . وهذا ما كان ايضا مطمح انظارهم وذلك لكى يجدوا تلك القوة معدة حاضرة فيجندوها ويحتلوا بها

الارض التى كانت تصبو اليها نفوسهم كما حدث بعد ذلك لأنه لم يكن من غرض حملة استانلى قط رجوع الجنود المقيمين فى المديرية الى اوطانهم ولكن كل تصرفاتها كانت ترمى كما رواه كازاتى أيضا الى عمل ما فى قدرتها لتركهم فى البقعة التى هم بها ليستخدموهم فى المشاريع التى كانوا مبيتين القيام بها .

وعند ما جمع المال جد استانلى فى جمع رجاله . وهاك أسماء الاشخاص الذين تألف منهم أركان حربه :—

الماجور بارتلوت Le Major Barttelot ؛ و الكابتن نلسون Le Captaine Nelson ، و اللفتنانت استيرز Le Lieutenant Stairs ، و الدكتور پارك Le Docteur Parcke ؛ و المستر بونى Mr. Bonny ، و المستر وارد Mr. Ward ، و المستر تروب Mr. Troupe ؛ و المستر چمسون Mr. Jamson ، و المستر جفسن Mr. Jephson .

وسافر استانلى من لوندرة فى ٢١ يناير من عام ١٨٨٧ م ودخل القاهرة فى ٢٧ منه وفيها استقبله السير افلن بارنج Sir Evlyn Baring واصطحبه الى داره . وفى الايام التالية قابل الخديو توفيق وناظر النظار نوبار باشا ودعى لتناول الطعام عند كليهما . وقابل كلا من الاطباء شوينفورث وجونكر وهذا الاخير كان قد قدم حديثا من رحلته فى خط الاستواء ؛ وتباحث معهما فى خطة السير التى يلزم اتخاذها ولكن يبدو انه لم ير فى آرائهما ما يصح كثيرا للتعويل عليه . وجهزت له نظارة الجهادية ٦٢ جنديا سودانيا زودتهم بلوازمهم . وقد أخذت هذه الجنود من أورطة من أورط الجيش لترافقه فى رحلته بدعوى اقناع عساكر أمين باشا السودانيين بأن الحملة آتية حقا

وصدقا من مصر إلا انه لم يرسل معهم حتى ضابط واحد وكان يقودهم ضابط صف فقط برتبة جاويش .

واختار استانلى من بين مختلف الطرق الثالثة أمامه طريق الكونغو فكانت خطته أن يسافر من ساحل افريقية الغربى ويتخذ سبيله صعدا فى النهر المذكور لغاية آخر نقطة صالحة للملاحة ومن هناك يتوغل فى الغابة الكبرى فيصل الى بحيرة البرت نيانزا من الجهة الغربية .

ولما فرغ استانلى من اعداد معداته سافر من القاهرة فى ٣ فبراير قاصدا السويس . ومن هذه المدينة أقلع فى ٦ منه موليا وجهه شطر زنزبار فدخلها فى ٢٢ من الشهر المذكور وهنا انتقل الى مركب آخر أنزل فيه أيضا ال ٦٢٠ حمالا الزنزباريين الذين كان قد اكتراهم . وفى ٢٥ منه حلوا الاشرعة وأبحروا فى اتجاه مدخل نهر الكونغو حيث القى المركب مرساته فى ١٨ مارس وفى الغد صعد فى النهر ووصل الى آخر نقطة صالحة للملاحة فى ٣٠ أبريل . وفى هذه البقعة أقام معسكرا وترك فيه مؤخرة حرسه تحت امرة الماجور « بارتيلوت » ومعه كل من المستر بونى ووارد وتروب وجمسون وأخذ هو معه الكابتن نلسون والالفتنانت استيرز والدكتور بارك والمستر جفسن ومعهم ٣٨٩ من حماليه وترك ٢٧١ فى معسكر المؤخرة واتجه من ناحية الشرق صوب بحيرة البرت نيانزا .

وكان سفر استانلى فى ٢٨ يونيه عام ١٨٨٧ م وبعد أن تغلب على مصاعب عظام وفقد أكثر من نصف رجاله سواء أكان بالموت أم بالامراض أم بالهرب بلغ بحيرة البرت نيانزا فى ١٣ ديسمبر من عام ١٨٨٧ م على مقربة من كافاللى ومعه ١٧٤ رجلا لاغير . وهناك لم يستطع الحصول على أى

نبأ عن أمين باشا وكل ما أمكنه ان يحصل عليه من الاهالى هو انه كان يوجد رجل من البيض يقطن اونيورو وكان ذلك الرجل هو كازاتى الممثل لأمين باشا وقتئذ فى مملكة كباريجا . ولما كانت المسافة الفاصلة بينه وبين وادلاى طويلة نظرا لضعف رجال حملته قرر العودة الى حصن بودو الذى كان أقامه فى منطقة ابويرى Ibwiri الخصبة التى كان ترك فيها عددا من حملته تحت إمرة الكابتن نلسن الذى كان قد وقع فى مخالب المرض والدكتور پارك .

وأدرك استانلى حصن بودو فى ١١ يناير عام ١٨٨٨ م وهناك أصيب بمرض نشأ عنه زيادة فى التأخر وعاود السفر فى نهاية الأمر فى ٢ أبريل ليحاول الاتصال بأمين باشا وترك الكابتن نلسن فى حصن بودو . ولدى وصوله الى كافاللى سلمه الأهالى ربطة كان أودعها له عندهم رجل آخر من البيض . وهذه الربطة هى عبارة عن خطاب من امين باشا مؤرخ فى ٢٦ مارس يقول فيه انه طرق أذنيه اشاعة أذيعت بين الأهالى فحواها أن رجلا من البيض وصل الى طرف البحيرة الجنوبى فأتى بباخرته الى هذه المنطقة ليتحقق من صحة هذه الاشاعة ولكنه لم يستطع أن يظفر بشىء من الاهالى يسترشد منه عن مرغوبه لخوفهم الشديد من كباريجا وعلى ذلك ترك له هذا الخطاب يرجوه فيه أن يظل فى المكان الذى تسلم فيه الخطاب الى أن يتمكن من الاتصال به .

وقرر استانلى أن يرسل بلا توان تحت قيادة جفسن الزورق الممكن فكه الذى أحضره معه وقد أبحر الزورق من كافاللى فى ٢ أبريل صوب محطة مسوه الواقعة — حسب قول الاهالى — على مسافة يومين بطريق البحر

المسافر على امتـــداد شاطىء البحيرة الغــــربى . وسلمه استانلى خطابا لأمين باشا يحيطه فيه علما بأنه أخذ خطابه وانه زار البحيرة للمرة الأولى فى ١٤ ديسمبر وانه لم يجـــد أى نبأ عنه لدى الاهالى وان هؤلاء لايتذكرون سوى زيارة ميسون بك Mason Bey التى كان قد زارهم فيها قبل ذلك بعشر سنوات حين طاف حول البحيرة بالباخرة نيانزا . وانه قد رجع ليحضر زورقه لكى يتمكن من الوصول اليه . وقص عليه سلسلة الحوادث التى صادفته وتعليمات الحكومة المصرية وطلب منه ارسال مؤن .

وفى ٢٩ أبريل عندما أخـــذ استانلى يسير فى الساعة ٨ صباحا صوب البحيرة وصلت اليه مذكرة من جفسن مؤرخة فى ٢٣ من هذا الشهر مع دليل يخبره فيها بوصوله الى مسوه وان شكرى افندى قائد المحطة أرسل يعلن الباشا الذى كان فى تونجورو بوصوله .

وأخذ استانلى فى السير وبعد ساعتين عسكر على قيد ٤٠٠ متر من شاطىء البحيرة . وشاهد عنـــد الساعة ٤ مساء بمنظاره على مسافة بعيدة نقطة سوداء على صفحات ماء البحيرة فخال لأول وهلة أنها مركب ولكن هبة سوداء بددت الريب وأظهرت أن هذه لم تك سوى دخان باخرة . وأخذت الباخرة تقترب رويدا رويدا ثم رمت مرساتها فى خليج صغير واقع على بعد مسافة من المعسكر .

وفى الساعة ٨ مساء فى وســـط التهليل والفرح الشامل وطلقات تحيات القدوم دخـــل امين باشا وبصحبته جفسن وكازاتى وضابط آخر وقابله استانلى عند المدخـــل فشكره امين باشا معبرا عما يخالجه من العرفان بالجميل على ما قام به من الاعمال فقال له الأول : دعك من التحدث بعبارات

الشكر . وأخذه بصحبته هو والآخرين وجلسوا امام مضربه وامامهم شمعة يستنيرون بنورها .

وقال استانلى انه كان يترقب أن يرى رجلا من الوجوه ذا هيئة عسكرية طويل النجاد نحيل القوام مرتديا كسوة مصرية بالية فاذا به أمام انسان نحيف الجسم وعلى رأسه طربوش أنيق الثياب نظيفها قميصه ناصع البياض متقن الكى والتفصيل ولا ينم وجهه عن مرض أو هم أو غم بل يدل بالعكس على جسم تام وفكر ناعم مطمئن . وعلى النقيض من ذلك كازاتى فانه وان كان أقل من أمين باشا سنا يبدو ضامر الجسم مضطرب البال مفعما بالهموم طاعنا فى السن على صغره وكان أيضا يرتدى ملابس بلغت مبلغا كبيرا فى النظافة وعلى هامته طربوش مصرى .

وقضوا فى هذه المقابلة الاولى ما يناهز ساعتين يقصون بايجاز حوادث رحلتهم والخطوب التى وقعت فى أوربا والامور التى جرت فى مديرية خط الاستواء وموقفهم الذاتى وبعد ذلك شيعوهم لغاية المركب الذى أوصلهم الى الباخرة .

وفى ٣٠ أبريل ذهب استانلى الى أمين باشا ورد له زيارته .

وازاء الموضع الراسية به الباخرة الخديو كانت طائفة من جنود الباشا السودانيين مصطفة على الضفة تحيت الزائر بموسيقاها . وقال استانلى ان رجاله الزنزباريين الذين يوشكون ان يكونوا عراة بجانب أولئك السودانيين ذوى الهيئة الحسنة هم أشبه شىء بجيش من المتسولين . ولكن ليس لديه ما يوجب خجله منهم لأن أقوياء السودانيين كانوا قد ظهروا أقل مقدرة

منهم كثيرا عندما أريد منهم اتمام عمل مثل الذى قام به رجاله .

وبعد هذه الحفلة الصغيرة الرسمية سلم استانلى لأمين باشا ٣١ صندوقا من الذخيرة من أصـــل الصناديق التى أحضرها له لأن الباقى تخلف مع مؤخرة الحملة . ثم صعد الى الباخرة وتناول الطعام على ظهرها .

وقال أمين باشا ان الباخرة الخـــديو بنيت عام ١٨٦٩ م وان طولها ٢٧ مترا وعرضـــها ٦ أمتـار وغاطسها متر ونصف متر . وانه رغما عن بطئها وعمرها البالغ عشرين عاما لم تزل تقوم بخدم جليلة . وكان على متنها عـــدا أمـين باشا كازاتى وفيتـا حسان وبعض الموظفـين المصريين وواحـد ملازم اول وزهاء ٤٠ جنديا .

وانطلقت البـاخرة الخديو فى السير وقبيـــل الظهيرة ألقت مرسـاتها قرب نسابى حيث كان استانلى أرســـل حاشيته لتقيم معسكرا . ونزل استانلى فى هذه المحطة .

وأتى أمين باشا فى المشية ليزوره وتجـــاذبا أطراف الحديث مدة طويلة بدون أن يتمكن استانلى من التكهن بما قد عقد أمين باشا النية عليه . ومما قاله استانلى ان أمينـا يشق عليه كثيرا ترك هذا البـــلد الذى يشغل فيه وظيفـة نائب الملك .

وسلم استانلى أمينا باشا خطابى الخديو ونوبار باشا وأفاض فى بيان الدواعى التى حملت الحكومة المصرية على اخلاء ممتلكاتها فى خط الاستواء .

فأجابه أمين باشا انه فهم جيـــدا المصاعب التى تقوم فى وجه مصر فيما

لو أرادت الاحتفاظ بتلك الممتلكات إلا أنه لا يفهم جيدا أيضـــا لماذا يجب عليه هـــو الانسحاب . يقول له الخديو ان راتبـــه ورواتب الضباط والجنـــود تسوى لهـم اذا عادوا الى القـــاهرة ولكنهم اذا ظلوا باقين تقع مسئولية ذلك على عاتقهم مع العـــلم انه لا ينبغى لهم أن يعتمدوا على أية معونة من جانب الحكومة . وكان خطاب نوبار باشا يتفق مع خطاب الخديو فى المعنى فهو لا يأمره بمبارحة المديرية ويترك له الحرية التامة بأن يعمل حسب مشيئته وهو لا يسمى ذلك أوامر .

وقال له استانلى انه مادام الخديو و نوبار غير موجـــودين ليجاوباه عن الاشياء التى يريد ايضاحات عنها فى هـــذين الخطابين فهو مستعد لوقوفه على مجرى الحوادث أن يمده بما عنده من المعلومات . فالدكتور جونكر عندما وصـــل الى الديار المصرية ذكر أنكم كنتم فى هم وغم ناصب بصـــدد الذخيرة التى كانت على وشك الفراغ . وانه كان لديكم منها قدر كاف لتحافظوا على موقفكم عاما بل ربما عاما ونصف عام اذا لم يهاجمكم العدو بشدة واذا لم تضطروا أن تقاوموا مقاومـــة طويلة المدى وانكم تحبون هذا البلد وأهاليها حبا جما ويكدركم أن تروا ما قمتم به من الاعمال لعبت به يد الضياع وانكم تتمنون ان تحتفظ مصر بولايتها وان لم تكن هـــذه فتكون دولة أخرى أوربية لها قـــدرة وتريد الاستمرار فى الاعمال التى أخذتموها على عاتقكم وعلى ذلك أول ما خطر ببال وزراء الخديو من تلاوة تقرير جونكر هو انه مهما كانت ماهيـة التعليمات التى تعطى لكم ومهما كان نوعها فانها لا تحول دون عدم رضاكم عن مبارحة مديريتكم ولذلك قرر الخديو ان يترك لكم الخيار .

ثم قال استانلى أما تعليماته لى فهى ان أسلمكم كمية من الذخيرة وان أقول لكم انى مستعد أن أتولى ارشادكم فى سبيل الخروج من افريقية . هذا اذا أردتم ولكن اذا آثرتم البقاء هنا فان مهمتى تكون قد انتهت .

أما اذا فرضنا أنكم تريدون البقاء لأنكم ما زلتم فى طور الشباب إذ أن سنكم لم تجاوز ٤٨ عاما وبنيتكم مازالت قوية وهذا بالطبع له حد ، فسيأتى يوم تفكرون فيه فى السفر . وعلى فرض أنكم تمكنتم من الوصول الى الساحل فمن هو ذلك الذى يرحل عندئذ رجالكم الى وطنهم ؟ انكم لا تستطيعون ان تترقبوا من مصر أى مدد ما دمتم تكونون قد أبيتم اجابة طلبها . أما اذا كنتم على عكس ذلك تلبثون هنا مدى حياتكم فماذا يكون مصير المديرية عندما تمضون الى عالم آخر غير عالم الدنيا ؟ ان أتباعكم يتنافسون فى طلب الرياسة ويتخاذلون فتنتهى بهم الاحوال الى الخراب والدمار الشامل لاسيما ان المديرية يكتنفها شعوب ديدنها شن الغارات وفى شمالها المهديون وانى لو كنت فى مركزكم ما ترددت طرفة عين عن السفر .

فأجابه أمين باشا بأن ما قاله حق ولكن كيف يتيسر نقل النساء والاولاد الذين ربما بلغ عددهم ١٠٫٠٠٠ نسمة . ولا بد لذلك من عدد جسيم من الحمالين لأنه من المحقق أنه ليس فى الاستطاعة تركهم ومن المستحيل تكليفهم المشى .

فقال استانلى ان من اللازم ركوب الأولاد على حمير وقد قلتم ان لديكم منها عددا كبيرا أما النساء فهؤلاء يمشين . ففى الشهر الأول يسرن مسافة قصيرة غير أنهن يتعودن شيئا فشيئا السير فان النساء اللواتى كن معى

اجتزن كل افريقية . وأما من جهة الماشية فيخال لى أنه يوجد منها فى المديرية الشيء الكثير وما علينا إلا أن نأخذ منها عـــدة مئات من الرءوس . وأما الحبوب والخضر فهذه نأخذها من البلاد التى نجتازها . والى هنا انتهى الحديث واتفق استانلى وأمين باشا على العودة الى الكلام فى اليوم التالى .

وفى الغد أول مايو نزل أمين باشا الى اليابسة وانتقل الى استانلى وعاد الى حديث الأمس .

وقال أمين باشا لاستانلى ان ما قاله له بالأمس حمـــله على التفكير فى وجوب مبارحة افريقية . أما من جهة المصريين فهو يعـــلم أنهم يتمنون السفر ويسره أن يتخلص منهم لأنهم يعملون على اضعاف سلطته ولكنه فى ريب من أمر الاورطتين النظاميتين . لأنهما تعيشان هنا عيشة حـــرة رضية ورغـــدة ويعز عليهما ان تجدا نظيرها فى الديار المصرية فاذا عرض عليهما ترك هذا البلد فانهما حتما تجنحان للثورة . وما الذى نعمله عند ذلك ؟ فلو تركناهم وشأنهم يكون هذا بمثابة ضياعهم . ثم قال ان من واجباته ان يدع لهم سلاحا وذخيرة وبعد سفره لا يكون هنالك سيطرة ولا نظام فيتناجزوا ويتخاذلوا ويتفرقوا شيعا وأحزابا وينشأ من ذلك المنافسة والبغضاء فتهرق الدماء وتسيل مدرارا ومن هنا يحيق الخراب بجموعهم .

فأجابه استانلى بأنه مثـــل امام عينيه منظرا رهيبا وبمـــا انه مع ذلك معتاد على تنفيـــذ الأوامر مهما كانت عواقبها بالنسبة لغيره فيبدو له أن الذى يجب عليه أن يعمله هـــو أن يكلف من يلزم بتلاوة أمر الخديو على جنوده ثم يطلب من الذين يريدون السفر أن يصطفوا جهـــة اليمين . أما الذين يؤثرون البقاء فيصطفون على اليسار وبعد ذلك يهيء فى الحال السفر

للأولين ويترك للآخرين أسلحتهم وذخيرتهم ويفهمهم ان لا أحد بعد ذلك تقع عليه تبعة ما قدر لهم فى عالم الغيب لأن مستقبلهم لا ينبغى أن يعنى أمينا باشا إزاء واجب اطاعة أوامر الخديو .

وقال له أمين باشا انه سيرسل غدا الباخرة ويرسل معها خطاب الخديو وانه يقلده منة وفضلا لو سمح لواحد من ضباطه أن يحضر امام الجنود فى دوفيليه ويقول لهم انه وكيل الخديو ومكلف باحضارهم . فربما بعدما يكونون قد رأوه وتحدثوا مع السودانيين الذين قدموا من مصر ، يقبلون السفر . وفى هذه الحالة يسافر هو أيضا ولكن اذا ظلوا باقين فهو يبقى كذلك .

فسأله استانلى عما يفعله المصريون اذا بقى هو ؟

فأجابه أمين باشا بأنه عند ذلك يلتمس منه ان يأخذهم معه .

فقال له استانلى انه يجب عليه اذا بقى ان يسطر وصيته بصدد راتبه هذا اذا لم يكن يفكر فى التنازل عنه لنوبار باشا .

فأجابه أمين باشا بأنه يتنازل عنه لنوبار باشا عن طيبة خاطر وانهم فى مصر قد نسوه وأى نسيان وانه عند ايابه الى مصر تقدم له أزكى التحيات ثم يقاد الى الباب ولا يكون أمامه بعد ذلك الا ان يبحث عن ركن من اركان مصر او الآستانة يعتكف فيه الى الممات وتلك نظرية لا ترتاح لها النفس .

وهنا انتهى الحديث .

وفى ٢ مايو أبحرت الباخرة الخديو قاصدة مسوه وتونجورو ووادلاى ودوفيليه لاحضار من كان يرغب فى السفر وكذلك لاحضار الحمالين . وكان تقرر ان يمتد غياب الباخرة اسبوعين . وبقى أمين باشا مع كازاتى فى نسابى حيث كان استانلى أقام معسكره .

وفى ٣ مايو قابل امين باشا استانلى مقابلة أخرى وأيد ما قاله له فى العشى بصدد رجاله ذلك أنه يعتقد انهم لا يجنحون للذهاب الى مصر . غير انه نظرا لأن استانلى سيترك له جفسن والسودانيين الذين قدموا من مصر فان هؤلاء سيجدون لهم مندوحة من الوقت ليسمعوا رجاله ما عندهم من المعلومات . وطلب ايضا من استانلى ان يكتب نداء الى الجنود ليبلغهم نص ما لديه من التعليمات ويحيطهم علما بأنه فى انتظار قرارها .

فأجابه استانلى انه يوجد لديه عدا اقتراح الخديو اقتراحان آخران يجب عليه ان يعرضهما على مسامعه وبذلك يكون مجموع الاقتراحات التى لديه ثلاثة وهى :—

(١) — اقتراح الخديو الذى قد علمه أمين باشا وأجاب عليه بأن رجاله لا يريدون السفر وانهم اذا ظلوا باقين يبقى هو ايضا معهم .

(٢) — اقتراح عرضه ملك البلجيك على استانلى ليبلغه لأمين باشا وهو ان هذا المليك مستعد أن يحكم مديريته على شرط ان يكون فى استطاعتها توريد ايراد معقول وان مصروفاتها السنوية لا تتعدى ال ٣٠٠٫٠٠٠ ثلثمائة الف فرنك . واما هو — أى امين باشا — فيعين بوظيفة مدير وقائد (جنرال) براتب قدره ٣٧٥٠٠ سبعة وثلاثون الفا

وخمسمائة فرنك .

(٣) ـ والاقتراح الثالث هو انه اذا كان امين باشا معتقدا بأن رجاله سيرفضون اقتراح الخديو القاضى بارجاعهم الى اوطانهم فعليه ان يصاحبه هو وجنوده الى زاوية بحيرة فكتوريا نيانزا الشمالية الغربية حيث يسكنه باسم « شركة افريقية الشرقية البريطانية » وانه ـ أى استانلى ـ سيساعده على اقامة حصن له فى ناحية تصلح لمشروعات الجمعية وانه سيترك له باخرته والاشياء التى تلزمه . وعند ايابه يعرض الأمر على اللجنة ويحصل منها على اقرار ما يكون قد تم الاتفاق عليه . وهنا وجه عنايته على أن يزيد على ما سبق ذكره ان ليس لديه تفويض بأن يفاتحه فى هذه المسألة الاخيرة التى أوعزت بها اليه صداقته دون سواها ورغبته الحارة فى انقاذه هو ورجاله من العواقب المشئومة التى يمكن أن يجرها تصميمه على البقاء حيث يوجد الآن [1] وزاد على ذلك بأن قال انه واثق وثوقا تاما بأنه سيحصل على موافقة الشركة مع الارتياح وأنها ستعرف كيف تقدر أهمية اورطة أو أورطتين منظمتين [2] وخدمات رجل ادارى من درجته [3] .

وبعد أن عرض عليه هذه الاقتراحات الثلاثة ألقى على مسامعه كلاما مسهبا ضرب فيه على النغمة المعتادة بان ذكر مساوىء

(١) ـ وهذا الشعور من استانلى شعور رقيق يمدح عليه كثيرا لو كان صادرا عن إخلاص .
(٢) ـ هو واثق من ذلك لأنه بالطبع هو الغرض المقصود من الحملة . (٣) ـ القصد من هذا خداع
ن باشا وحمله على القبول .

الادارة المصرية وعـــدم مقدرتها على حكم هذه الممتلكات حتى لو افتتحتها فتحا جديدا .

فشكر أمين باشا استانلى شكرا جزيلا على حسن صنيعه وقال له انه قد أجاب من قبل على الاقتراح الاول من اقتراحاته الثـــلاثة . أما عن الاقتراح الثانى فقال له ان أول واجب عليـــه هو لمصر . وانه طالما هو هنا فالمديرية تابعـــة لها ولا ينتهى أمر هـذه التبعية إلا بسفره . وبعد هذا السفر لا تكون المديرية تابعة لكائن من كان . وانه لا يستطيع أن يستبـدل بالعلم آخر فيرفع عوضا عن العلم الاحمر علما ازرق لانه خدم العلم الاول ٣٠ عاما . أما الثانى فلم يره مطلقا . ثم سأل استانلى اذا كان يرى بحسب ما علمه من التجارب ان فى حيز الاستطاعة الاحتفاظ بحرية المواصلات مع الكونغو بواسطة دفع أجر مناسب . فأجابه استانلى جوابا سلبيا .

واستطرد أمين باشا فى الكلام فقال انه شاكر من صميم قلبه لصنيع الملك ليوبولد ولكنه لا يقدر على اجابة طلبـــه . أما الاقتراح الثالث فهو معجب به ويرى أنه أفضـــل حـل للمسألة لأنه يظن ان اتبـــاعه لا يبدون أية صعـــوبة فى مرافقته الى فكتوريا نيانزا لأن اعتراضهم هو على الذهاب الى مصر . وقال ان عدد أولئك الاتباع يبلغ ٨٠٠٠ نسمة وان ثلاثة ارباعهم من النساء والاولاد وانه لا يجـــرؤ ان يأخذ على عاتقه مسئولية اقتياد هذا الجمع الغفير لغاية الساحل خشية هلاكهم فى الطريق . أما الطريق لغاية فكتوريا نيانزا فقصير وقطعه فى حيز الاستطاعة وعلى ذلك آخر الاقتراحات يكون أخيرها وأفضلها .

فطلب منـــه استانلى أن يفكر جيدا فى الامر . وانه ليس هنالك

من موجب للعجـــلة إذ من الواجب عليه العودة لاستحضار حرس مؤخر حملته . وهنا أطلعه استانلى على صورة خطاب كان أمين باشا قد كتبه فى سنة ١٨٨٦ م الى السير جون كيرك قنصل جنرال الانكليز فى زنزبار عرض فيه مديريته على انكلترا مؤكدا ان يكون سعيدا للغـــاية بتسليمها للحكومة البريطانية . وهذه النسخة سلمتها وزارة الخارجية الى استانلى بأمر من اللورد ايديسلى Iddesleigh وزير خارجية انكلترا .

فقال أمين باشا ان هـذا الخطاب كان خصوصيا وما كان يجب مطلقا نشره . وما ذا تقوله الآن الحكومة المصرية وقد رأته يتهور لدرجة أن يساوم فى مسألة كهذه ويعرض شيئا من ممتلكات الحكومة المصرية بدون اذن منها على حكومة أخرى .

فأجـــابه استانلى ليس فى الأمر كثير من الضرر لأن الحكومة المصرية صرحت بعجزها عن البقاء فى المديرية والحكومة البريطانية لا تريد قط التدخل فى ذلك . وان من رأيه ان المديرية لا يكون لها أية قيمـــة اللهم إلا اذا أخضعت اوغنده و الاونيورو وانتشر السلم فى ربوعها وهـــذا شيء غير ممكن اذا قبل طلبات الملك ليوبولد وبما انه يأبى الدخـــول فى خدمة هذا الملك فيمكنه ان يركن اليه ويعول عليه — أى على استانلى وهو يحصل على رضا من جمعية انكليزية باستخدامه هو واتباعه . وانه قد يحتمل ان تكون قد تأسست شركة فى اللحظة التى كان يكلمه فيها بقصد ايجاد ممتلكة بريطانية فى شرق افريقية .

والى هنا انتهى الحديث .

وفى الغد ـ ٤ مايو ـ كلم الباشا استانلى ـ حسب ما علمنا من هذا الاخير ـ بعبارات تشف عن ازدياد طمأنينته لمشروع مبارحة البرت نيانزا لأنه كما يبدو قد ازداد شغفا بنواحى فكتوريا نيانزا أكثر مما شغف بها عندما عرض المشروع عليه أول مرة .

وفى ١٤ مايو وصلت الباخرة الخديو تحمل ذرة وبقرا حلوبا . وقدم أمين باشا هدايا لحازت بحسب قول استانلى أحسن قبول . وهذه الهدايا عبارة عن حذاء للمشى متين الصنع لاستانلى وقيص وكساء وسروال لكل من جفسن و پارك . وقدم أيضا لكل منهم جرة من الشهد و موزا و برتقالا و بطيخا و بصلا و ملحا و لاستانلى خاصة رطلا من التبغ و برطمانا به محفوظات متبلة فى الخل . وهذه الهدايا وبالأخص الملابس انطقت لسان استانلى فقال انها تبرهن على ان أمينا باشا لم يكن مفتقرا للدرجة التى تصوروه فيها .

وقدم أمين باشا فى نفس ذات اليوم لاستانلى سليم بك مطر و حواش افندى وضباطا آخرين كانوا قدموا مع الباخرة . وقال استانلى انه طلب من أمين باشا ان يبتنى له محطة صغيرة على احدى الجزر ليتخذها مستودعا للحملة فقبل هذا الطلب . ودهش استانلى أشد الدهش عندما التفت الباشا فى ذلك اليوم الى حواش افندى وقال له بلهجة المتوسل . « عدنى بحضور استانلى ان تقدم لى ٤٠ رجلا ليشيدوا له المحطة التى تصبو اليها نفسه » وقد دهش استانلى كثيرا من هذه اللهجة لأنه ما كان يخال ان يرى مديرا يخاطب مرءوسه بهذا الضرب من الكلام .

وتجاذب استانلى أيضا فى ذلك اليوم أطراف الحديث مع أمين باشا .

وكان استانلى على وشك الذهاب للبحث عن مؤخـــرة حرسه وكان يرى انه بعـــد إيابه يضيع منه كذلك شهران قبل ان يكون أمين باشا قد انتهى من حشد حاشيته لأنه عوضا عن ان يأخذ فى الحـــال فى العمل ويستعد للسفر فهو يؤثر ان ينتظر عودة استانلى مع مؤخرة حرسه مرتكنا الى ان هـــذا يتوجه حينذاك الى دوفيليه ليحمل جنوده على ان يسيروا على أثره . وكان أمين باشا لم يزل يؤكد ان رجاله لا يريدون العـــودة الى الديار المصرية ولكنه فى حيز الاستطاعة اقناعهم بأن يرافقوه لغاية بحيرة فكتوريا نيانزا .

وفى ١٦ مايو سافرت البـــاخرة الخديو من نسابى الى محطات مسوه فتونجورو فوادلاى لتحضر عددا من الحمالين ليحلوا محل الذين أدركتهم المنية خلال السفر . وبقى كازاتى و فيتا حسان على ظهر الباخرة .

وفى ٢٢ مايو وصلت الباخرتان الخديو و نيانزا . وكانت الاخـــيرة تجر خلفها مركبا كبيرا . وقـــدم عليها البكباشى و الصاغ و ٨ جنديا من الاورطـــة الثانية و ١٣٠ حمالا من قبيلة المادبين و مؤن و ٦ خراف و ٤ معز و حماران من الحمر القوية أحدهما لاستانلى والآخر للدكتور پارك . وكان طول الباخرة نيانزا ١٨ مترا وعرضها ٣ أمتار وبنيت فى الوقت الذي بنيت فيه الخديو أى عام ١٨٦٩ م .

وسلم استانلى الى أمين باشا قبل ان يسافر عـــدا ال ٣١ صندوق مظروف رمنجتون التى كان سلمها له قبلا صندوقين بها مظاريف وينشستر وسفينته المصنوعة من الصلب وأشياء أخـــرى . وترك له علاوة على ما ذكر ضابطا من ضباطه وهو المستر جفسن و ٣ جنود سودانيين من

الذين قـــدموا معـه من مصر و بينزا وهو خادم الدكتور جونكر وذلك طبقا لما سبق الاتفاق عليه . واجابة لطلب الباشا سطر نداء لجنـــود المديرية ليتلوه عليهم جفسن . وهــــذا النـداء سبق ذكره فى صلب تاريخ المديرية عن السنة الحالية .

وفى ٢٤ مايو انطلق استانلى يضرب فى الارض بقصد استحضار مؤخـرة حرسه وكان أمين باشا قد سبقه الى مسافة تقرب من مرحلة على طريقه ومعه فرقة من الجند . وعند مروره أدوا له التعظيمات العسكرية ثم ودع بعضهما بعضا واستمر استانلى سائرا فى طريقه لكيلا يرجع إلا فى بدء السنة القادمة . والذى قام به من الاعمال خـــلال هذه الفترة لا يدخل ضمن موضوع هذا التاريخ ولذلك ضربت صفحا عن ذكره . واكتفى بالقول إنه وجد مؤخرته فى أشد حالات الهرج والارتباك ووجد رئيسها الميجر بارتلوت وهـو رجـل شرس الاخلاق كثيرا لدرجة ان طباعه لا تتفق الا قليلا مع أخلاق الناس الذين وضع على رأسهم قد قتل بأيدى نفس رجاله لتدخله فى بعض أمور تتعلق بشخصياتهم وان ضباطا آخرين من حملتـه قفلوا راجعين الى بلاد الانكليز بسبب المرض ولم يستطع استانلى ان يرجع الا بفلول مؤخرة حرسه الى بحيرة البرت نيانزا .

ولهذه الحملة تكملة نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

٣ — ملحق سنة ١٨٨٨ م

حملة المهديين
على مديرية خط الاستواء

روى ابراهيم باشا فوزى فى الجزء الثانى من كتابه « السودان بين يدى غوردون و كتشنر » من ص ١٣٢ الى ص ١٣٩ كيف تألفت حملة المهديين التى أرسلت الى مديرية خط الاستواء لافتتاحها . ولما كان فى هذا الوقت معتقلا فى أم درمان لدى المهديين رأيت ان من المفيد ان آتى هنا على ذكر ما رواه فى هذا الصدد ، قال : ـ

شأن خط الاستواء والمهدويين

« أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهدويين فأقول ذكرت فى أوائل الجزء الأول الاسباب التى حملت الطيب الأثر غردون باشا على فصلى عن ولاية أقاليم خط الاستواء و بينت باسهاب المساعى السافلة التى بذلها امين افندى طبيب الحامية وقتئذ لنيل أمنيته من الولاية على أقاليم خط الاستواء وكيف دفع السائح ينكر (أى جونكر) على الوشاية بى عند غردون باشا حتى عاملنى بالمعاملة القاسية التى شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور براءتى عنده بارشاد الضابطين اللذين كشفا له حقيقة المسألة .

« وعلى أثر هاته الحادثة امتلأ غردون باشا غيظا من أمين افندى وتبدلت ثقته ومحبته فيه بوصمه بالخيانة والكراهية .

« ثم لما عدت مع غردون الى الخرطوم فى المرة الثانية وتحادثنا فى شؤون كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاقد على أمين بك حاكم خط الاستواء سيء الظن به .

« ولما استولى كرقساوى على أقاليم (بحر الغزال وشكا وحفرة النحاس) غزا حدود خط الاستواء وعاد دون ان يظفر بشيء منها .

« وفى سنة ١٣٠٥ كان بأم درمان رجل اسمه عبد الله الطريفى وهو عم الحاج الزبير الذى ذكرنا فى أول خلافة التعايشى انه أرشده الى سلوك الطريق الذى سار عليه . وكان عبد الله الطريفى هذا جابيا من قبل المهدوية فى اقليم القضارف فاغتال منه مالا جزيلا باتحاده مع ابن أخيه الحاج الزبير . وفى سنة ١٣٠٤ أرسل التعايشى الى (القضارف) من أوقفه على خيانة الحاج الزبير وعمه عبد الله الطريفى فقبض عليهما واستصفى ما اغتالاه من المال وزجهما فى السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية فعمدا الى وسيلة يتقربان بها اليه فدخل الحاج الزبير على التعايشى وأخبره ان عمه عبد الله الطريفى كان نخاسا فى جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة بأخلاق وعوائد أهالى تلك البلاد وأبان له الثمرات التى تعود من فتح خط الاستواء من جلب العاج وريش النعام والارقاء من تلك الديار فعول التعايشى على انفاذ عبد الله الطريفى لفتح تلك الاقاليم .

« وعبد الله الطريفى هذا كان نخاسا وفى بداية ظهور دعوى المهدوية

قبضت عليه الحكومة وسجنته لاتيانه أمرا من أنواع الحيل وذلك انه كتب على بيض الدجاج لفظ الشهادتين وبعدهما ذكر اسم المهدى الذى عد هذا التزوير من كراماته وكان عبد الله الطريفى هذا ذا دهاء وحيل ومكر سيء .

« ولما صمم التعايشى على انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعانى الى داره فذهبت اليه وأنا فى وجل شديد من هذه الدعوة فدخلت عليه فألفيته جالسا وحده فلما وقع بصره على هش وبش فقبلت يده وجلست على الارض أمامه وقد ذهب روعى لما آنست من بشاشته فخاطبنى بما يأتى :

« يا ابراهيم فوزى انى عزمت على انفاذ حملة لفتح اقاليم خط الاستواء وبما انك كنت حاكما عليها فانى أود انفاذك اليها لتكون مرشدا صادقا ومستشارا أمينا لقائد الحملة وانى أود ان تكون راضيا بالقيام بهذه المهمة التى أعهد اليك القيام بها لانى عالم بأنك صرت من أخلص المخلصين لنا .

« فأجبته بأنى أشكر مولاى على ثقته بى وأعاهده على القيام بما عهده الى بالصدق والوفاء . فسره هذا الجواب وأعطانى عشرة ريالات وتناولت معه الغذاء على قصعة الضيوف وانصرفت الى منزلى مملوء الجوانح بالسرور وقد رأيت أنى أستطيع النجاة من أسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لدى وصولى الى خط الاستواء فقضيت ليلتى لا تزور الكرى جفنى لشدة ما داخلنى من السرور الذى تلاه الترح حيث استدعانى التعايشى الى مجلس حافل بالقضاة والخلفاء وأرباب الشورى . وبعد ان شكرنى على قبولى القيام بمهمة الدلالة لقائد حملة خط الاستواء عبد الله الطريفى قال لى انى أخشى عليك متاعب السفر وأود أن تكون قريبا منى ولذا أقلتك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريفى ولكن أكلفك بوضع رسم مشفوع بالتعليمات التى يجب

العمل بها اذا وجدت بواخرنا النهر مسدودا . فوعدته باحضار الرسم فى الغد وبعد خروجى علمت ان سبب تأخيرى ان عبد الله الطريفى وابن أخيه الحاج الزبير وشيا بى عنده حيث قالا له ان ابراهيم فوزى كان حاكما لأقاليم خط الاستواء وقد شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف الناس بأخلاق وعوائد أهلها . وانا نخشى من مغبة وصوله الى تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتى أى عمل يريده من ضروب الاضرار بنا . وانه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع الفرار الى ما وراء بحيرة فكتوريا نيانزا . فأثرت وشايتهما على التعايشى وعدل عن إنفاذى مع تلك الحملة .

« هذا وقد اشتغلت ليلتى بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفى اليوم التالى قصدت دار التعايشى فألفيته جالسا ومعه الذين كانوا معه بالأمس وغيرهم من الأمراء وهو يلقى التعليمات على عبد الله الطريفى قائد الحملة . فقدمت له الرسم فتناوله كاتبه وأوقفه على كل ما فيه والتفت الى وشكرنى وقال اننى عزمت على انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة . فقلت نعم ياسولاى وقد مالت نفسى للانتقام من عبد الله الطريفى وابن أخيه الحاج الزبير لوشايتهما التى سدت فى وجهى بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه .

« فقال التعايشى هات ما عندك . فقلت ان عبد الله الطريفى وسائر الذين انتدبتهم لهذه الحملة كانوا نخاسين وقد ذاق أهالى خط الاستواء من مظالمهم ما جعلهم يبغضونهم أشد البغض وهم قوم لا خلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة . فلذلك ترى أهالى تلك البلاد يبغضونهم ويفرون من وجوههم كما يفر الانسان من الضوارى . فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد

جاءت النتيجة بعكس رغائبك حيث يلجأ الأهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الذين ذاقوا مرارة سيطرتهم فيما مضى ورزحوا تحت نيرهم زمنا . والأولى عندى ان يعهد مولاى قيادة الحملة الى أحد آل بيته ويشد أزره بجيش من الجهادية ليكون قادرا على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تطأ أقدامهم أرض تلك الارجاء يعودون الى اعمالهم السيئة التى تأباها عدالة مولاى . وما وصلت الى آخر هذه العبارة حتى بدت علامات السرور على وجه التعايشى والتفت الى وبالغ فى الثناء على وشكرنى قائلا ان ما قلته حل فى لبى كجرة مملوءة بماء الشهد وعملا بنصيحتك سأعين أحد آل بيتى لقيادة الحملة . وقد أرجأت أمر سفرها الذى كنت مزمعا انفاذه فى الغد ريثما اختار القائد الجديد الذى لا بد من امهاله أياما يأخذ فى خلالها أهبته للسفر .

« وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفى وابن أخيه الحاج الزبير فخرجا يتعثران فى اذيال الفشل ووجوههما مكفهرة والله اعلم بما فى قلوبهما من الغيظ والاحنة على .

« ولدى خروجهما قابلا أحد أصدقائى المصريين وقالا له أيليق من فلان أن يأتى ما أتاه أمام الخليفة فقال لهما الجزاء من جنس العمل لأنكما بدأتما بالوشاية عليه فنجحتما فى الاضرار به وهكذا يكون جزاؤكما .

« وعلى أثر هذه المحادثة انتدب التعايشى أحد أقاربه المسمى عمر صالح ومعه نحو الخمسمائة جهادى وجعله قائدا للحملة وجعل عبد الله الطريفى كدليل له . ويبلغ مجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جلهم مسلحون بالأسلحة النارية .

« وفى أواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة ام درمان على أربع بواخر ولما وصلت الى أماكن السدود وجدتها متراكمة بها فتعذر عليها متابعة السير الى جهة الجنوب فمكثت بقية سنتها تعالج فتح السدود فهلك من رجالها كثير وهلك أيضا عبد الله الطريفى مع من هلك وقوبلت الحملة من اهالى البلاد بنفور عظيم وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطىء النهر والآخر اشتغل بفتح السدود .

« هذا وقد رأيت ان أورد هنا شذرة من وصف السدود اتماما للفائدة التى ربما تشوف اليها القارىء فأقول :

« يبتدىء خط السير فى النيل الأبيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع النيل الأزرق وهذا النهر هادىء وضفتاه متراميتان عن بعضهما حتى يتعذر فى بعض الأمكنة رؤية من بالشاطىء الشرقى الشاطىء الغربى مثلا ولو بالنظارة المعظمة وذلك من بعد بركة السنيورة . فاذا غادرت بحر الغزال متجها الى الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الأمر بعكس ذلك فتشاهد ضفتى النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريره يصم الآذان .

« وتربة تلك البلاد من طينة لزجة تضارع المواد الغروية الشديدة اللزوجة كالصمغ ونحوه .

« وينبت على ضفتى النهر حشيش فى طول قصب السكر ولكنه ممنوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو منه وتحدث منه قروح قبل ان يبرأ

من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهــــر تتقطع من الجـزر قطع من الطـين عليها أجزاء من هـذه الحشيشة التى يطلق عليها اسم (ابو صوفـة) فتترا كم عند مضيق النهر وتمنع سير السفن . وطريقة إزالتهـا هى ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر .

« هذا ما كان من أمر حملة المهـدويين . وأما أمين باشا حا كم خـط الاستواء فانه غادر (اللادوه) عاصمـة الاقالــيم الاستوائية الى الجهــات الجنوبية على أثر ما أصاب جنوده من الفشل منــذ عامين امام (كرم الله كرقساوى) داعية المهدى فى (شكا وبحر الغزال) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء .

« ولما وصل عمــر صالح الى (اللادوه) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت (بالرجاف) جنـوب اللادوه فتقــدم نحوها وشن عليها الغـارة وذبح بعض من بها من الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية فى مكان اسمه اللابوريه وهاجمــوا الدراويش فدارت الدائرة على الحـامية وقتـل كثير من جنودها وفـر البـاقون الى (الدفليـه) فأعاد الدراويش الكرة عليهم واستولوا على خطوط النــار عنوة وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقا كثيرين وأجلتهم عن الدفليـه فغادروها منهزمين لا يلوون على شيء ولحقـوا ببواخرهم فى (اللادوه) .

وفى غضون اشتغال الحاميــة بدفع غارة الدراويش وصــل المستر استانلى الرحالة الذى كلفتـه الحكومة الخـديوية بسحب حاميـة خط الاستواء عن طريق زنجبار .

« ولما سمعت الجنود بأمر هـــذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الى جهة
ـار مملوءة بالمخاطر والصعوبات ولا دواب للحمـــل فى تلك الأرجاء
بع بينهم ان مسافة الطـــريق تبلغ مسيرة سنة تمرد السودانيون منهم
أمين باشا وقبضوا عليـــه وسجنوه وعينـوا حاكما وضباطا من صغار
اط السود كما قبضوا على سائر الضباط المصريين والموظفين الملكيين وزجوهم
لسجن .

« ثم نمى الى أولئك الجنـــود المتمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم
ءوا الى لقائهم فى جهات جبال (الدفليه) فقـــام ضابط سودانى يدعى
مطر وهجم على السجن وأطلق أمين باشا وساروا الى جهـــة قريبـة
ـ بحيرة فكتوريا نيازا وقابلوا المستر استانلى هناك فمهـــد المستر استانلى
سليم مطر تسكين ثائرى الحامية واستمالتهم لمرافقته فتوجه الى (الدفليه)
اول اقناع الجنود بوجـــوب امتثال أمر الخديو الذى يحمـــله استانلى
يفلح ورمـــوه بالخيانة وكادوا يبطشون به . وظل المستر استانلى ينتظر
ـدته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتـــدأ مسيره الى زنجبار ثم لحقتـــه
الطريق كتب من الضابط سليم أغا مطر يخـــبره فيها بحبوط مسماه
ـــابع المستر استانلى سيره حـــتى وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور
ـك فيها أكثر من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسيرون
الاقدام .

ولولا سوء تصرف أمين باشا وذبحه الأفيال الهندية والثيران المروضة
كانت رحلة استانلى الى زنجبار من أيسر الاسفار إذ الذين رافقـــوه
يبلغون ألفى نسمة والثيران المروضة التى ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف رأس

عدا بضعة أفيال .

« وعلى أثر ذلك صفا الجـــو للمهدويين فى خط الاستـــواء وانطلقت أيديهم فيـه يجلبون منه العاج والريش وسائر محصولاته ولله الامر من قبـل ومن بعد » . اه

سنة ١٨٨٩ م

من

حكمدارية أمين باشا

قضى أمين باشا ومن كان معه شهر ينـاير من عام ١٨٨٩ م فى تونجورو بدون أن يحدث حادث يستحق الذكر . وكل ما هنالك أنه أذيع ان الثائرين أخلوا دوفيليه بعد أن أضرموا فيها النار ووطدوا أقدامهم فى وادلاى .

وفى ١٨ ينـاير بلغ استانلى كافالى الواقعة فى زاوية بحيرة البرت نيانزا الجنوبية الغربية وأرسل خطابين أحدهما إلى جفسن والثانى إلى أمين باشا فوصلا الى مسوه فى ٢٨ منه وبعد ذلك أعاد تصديرهما اليوزباشى شكرى افندى قائد هذه المحطة الى تونجورو حيث سلما الى المرسل اليهما .

واشتكى استانلى فى خطاب جفسن مر الشكوى من أمين باشا لعدم وفائه بوعده بتشييد محطة فى نسابى وارسال جفسن الى حصن بودو من أجل الأشياء التى تركت فيه . وذكر النكبة التى حلت بمؤخرة حملته إذ لم يبق لديه من ٢٧٤ رجلا سوى ٩٤ كما ذكر قتل الماجور بارتلوت Barttelot ورجوع البعض من ضباطه الى أوربا . وقال لجفسن انه اذا كان لم يزل يعتبر نفسه عضوا من أعضاء حملته وليس من رجال أمين باشا أو من رجال المهدى فعليه ان يحضر فى الحال لمقابلته وانه أى استانلى

ليس لديه وقت يسمح له بالتردد وانه وان كان فى استطاعته انقاذ عشرة باشوات إلا أنه لايمكنه بأى وجه كان ان يعرض حملته للخطر .

وقال استانلى فى خطـــاب أمين باشا ان القسم الثانى من الادوات المكلف بتسليمها اليـــه تحت أمره وهـو عبارة عن ٦٣ صندوق مظاريف رمنجتون و ٢٦ صندوقا من البارود زنة كل منهـا ٤٥ رطلا و ٤ صناديق كبسول و ٤ طرود بضاعة وأشياء أخرى . واستعلم منه عما اذا كان ينبغى عليه ان يدعها له على شاطىء البحيرة أو فى أى محـل آخر يعينه له لتسليمها بالايصال اللازم وانه فى انتظـــار ما يرد منه من التعليمات فى هـذا الشأن ليعمل بمقتضاهـا . وطلب منه أن يرسل اليـه جوابا باتا ويخـــبره بما اذا كان هو وكازاتى يرغبان السفر معـه أم لا واذا كان يوجـــد هنالك أشخاص آخرون يريدون الرحيل . ويرجوه فى الحالة الايجابية ان يخـــبر أولئك الأشخاص بوجـــوب قدومهم فى الحـال وإقامة معسكر على ضفة البحـيرة يكون الوصول اليـــه فى متناول يده وان يحضروا معهم زاد شهر . ويبين له الصعاب التى تحـول دون ايجاد المـــؤونة فى المواضع المجاورة للبحـيرة وعدم ضمان الحصول عليها اللهم إلا باستعمال القوة وهذا ليس من الكياسة فى شىء نظـــرا للاحوال السائدة فى مديريته . وانه اذا لم يصل اليـــه أى نبـأ منه ولا من جفسن فى ظرف ٢٠ يوما فلا يكون مسئولا عما يمكن حـــدوثه . وأردف ذلك بقوله إنه يكون من حسن حظه إطالة إقامته فى كافاللى اذا كان متأكدا من ايجـــاد زاد أو كان فى استطاعته - أى أمين باشا - ان يقدم له ما يلزم من الميرة وانه على كل حال مستعد ان يقـدم له كل ما يلزم من الخدم عند وصول اخباره .

واستقر رأى كل من أمين باشا و جفسن على ان يسافر جفسن برا الى مسوه ومن هذه الى نسابى بالمراكب ليقابل استانلى .

وجال فى خاطر أمين باشا انه لو انتظرهم استانلى فبها ونعمت وإلا سافروا بمعونة الله بدونه . وانه ربما كان من الأوفق لهم أن يقيموا معا وينجزوا هم العمل من ان يلقوا أنفسهم بأيديهم بدون احتياط تحت رحمة استانلى .

وطلب أمين باشا من الملازم صالح أبى زيد قائد تونجورو أن يكلف سليم افندى مطر بارسال باخرة للسفر عليها الى استانلى . وما كاد الجواب يرسل برا حتى وصلت الباخرة الخديو بعد غروب الشمس بنصف ساعة آتية من وادلاى غاصة بالركاب وذلك بعد أن قضت خمسة أيام فى هذه الرحلة . وكان من ضمن ركابها حواش افندى وسكرتير أمين باشا رجب افندى والضابطان المصريان عبد الواحد افندى مقلد وعلى افندى شمروخ وكثيرون غيرهم . وفى اليوم التالى ٢٧ يناير أبحرت الباخرة المذكورة وعلى متنها جفسن الذى كان مسافرا ليجتمع برئيسه .

وقال فيتا حسان إن أمينا باشا كان قد وطد العزم على السفر إلا أن سببا عز على فيتا حسان إدراكه فى الحال جعل أمينا باشا يكره السفر بهذه السرعة . ذلك انه كان لا يريد الرحيل بمعية استانلى بدون ان يكون معه ثلة من الجنود تفوق قوتها قوة حملة استانلى أو على الأقل تضارعها إذ كان يخشى ان يلقى بنفسه تحت رحمة رئيس عات فى غضون رحلة طويلة محفوفة بالمشاق . وكانت نفسه تعاف أيضا ان ترى ملزمة بالتنازل له وحده عن شرف قيادة القافلة بصفة رئيس لا مرد لأمره .

ولأنه عنـد ذاك يستطيع ان يزعم أنه منقذهم ومنجيهم . أما اذا كان أمين باشا معه مائتا أو ثلثمائة جندى فان استانلى يحسب له حسابا وفى حالة حدوث خلاف فى الآراء يمكنه هو ومن معه ان يستمروا فى طريقهم سائرين بمعزل عن استانلى . وعلى ذلك كان يرغب للوصول الى ذلك الغرض فى استمالة الجنود اليه لعل ذلك يؤدى الى عودته على رأس الحكومة .

وعندما أدرك سليم افندى مطر - وكان قد وصل الى تونجورو - أنه هو ورفاقه لا يمكنهم مقابلة استانلى الا اذا كان أمين باشا على رأسهم طلبوا منه مصاحبتهم فأبى هذا بتاتا وقال « انى لم أعد بعد مديركم ولا أستطيع أن أذهب معكم بصفة ترجمان لا أقل ولا أكثر . وما منحنى الخديو لقب باشا لأقوم مقام ترجمان بينكم وبين استانلى » . واستعصم أمين باشا خلف هذه الايضاحات الى ان قدموا له الخضوع التام .

ولسهولة الوصول الى هذه الغاية كان فيتا حسان وكازاتى يكثرون التردد على الضباط لزيارتهم ويأكلون ويشربون معهم وينتهزون فرصة حسن استعدادهم ليشيروا عليهم بعمل صلح مع الباشا قائلين لهم : « انكم اذا طلبتم مجتمعين الصفح عن زلاتكم وعن اغتصابكم السلطة فلا بد ان يلين » . وأتت هذه المناورات فى الحال بالثمار المبتغاة . وقرر الضباط فيما بينهم الذهاب مع أمين باشا الى محطة مسوه لكى يكونوا على مقربة من معسكر استانلى . وفى ٨ فبراير وصلوا الى هذه المحطة وفيها نال أمين باشا مبتغاه فملا اذ فى الغد بعد محادثة قصيرة مع كازاتى مثل الضباط بجمعهم بين يديه وقدموا له مع كل واجبات

الاحـــترام عريضة عليها اثنا عشر توقيعا وفيها يعترف الموقعون بخطئهم ويلتمسون الصفح ويطلبون منه ان يتسلم أعنة الاحـــكام وبعد قليل من التمنع قبل منهم ذلك . وعقب ان انصرف الضباط صفوا الجنـــود أمام داره ونصحوهم بأن يظلـــوا أوفياء مخلصين ما دام الباشا قد قبل الآن ان يقبض على أزمـــة المديرية ويتولى أحكامها . ثم بعد ذلك تلى الفرمان الصادر من الخديو بمنحه رتبة الباشوية وأطلق بعـــد تلاوته ١١ مدفعا تحيـــة . ولهذه المناسبة ترقى سليم افندى مطر الى رتبـــة قائمقام مكافأة له على حميتـــه وغيرته وعثمان افندى لطيف الى رتبة بكباشى جزاء ما أداه من الخدم .

« وأقام بعد ذلك أمين باشا يومين فى مسوه ثم أقلع ومعه كازاتى و فيتا حسان و سليم بك مطر و ١٢ ضابطا و ٤٠ جنـــديا على الباخرتين ويمموا شطر ركن البحيرة الجنوبى الغربى ليقابلوا استانلى . وفى غضون هـذه الرحلة قابلهم مركب به خطاب من استانلى وآخر من الدكتور فلكن الى أمين باشا . وخلاصة الخطاب الاول كالآتى :-

« لقـــد تأسفت للنوازل المشئومة التى حلت بكم . واذا كان من المقتضى ابقاؤكم بعـــد الآن فى الاسر فانه يتعذر على ان انقذكم لأن حملتى قاست كثيرا وحلت بها نوائب جمـــة ولم يبق تحت تصرفى إلا قوة ضئيلة . ومن المتعذر على الذهاب للاتيـــان بكم ومع ذلك سأنتظركم هنا ثمانية أيام ابتداء من هذا التاريخ ، وأملى عظيم بأن تتمكنوا من المجىء . وفى حالة تخلفكم عن الحضور فانى لا أقصر عند رجوعى الى بلاد الانكليز عن اسداء الثناء عليكم قياما بالواجب ولجدارتكم وأهليتكم » .

أما خطاب الدكتور فلكن فمصوغ بصبغة الود . فقد قال فيه انه أبلغ استانلى ما عمله فى انكلترا لمصلحة أمين باشا ونصح أمينا بأن يجعل التقتير رائده فيما لديه من المال حتى رجوعه الى القاهرة . فكانت هذه النصيحة سببا لانشغال بال أمين باشا وقلقه لانه لم يدرك معناها ومغزاها على صحته . وترجمها الى كازاتى وفيتا حسان فلم يستطيعا ان يستنتجا منها غير ان الباشا ليس أمامه ما ينتظره من الحكومة المصرية وان من الواجب عليه تجاه هذا التخلى المنتظر ان يحتفظ بما عسى ان يكون فى حوزته من المال . ويقول فيتا حسان ان هذا الايضاح بدا لأمين باشا مقبولا جدا لأنه سبق أن تلقى خطابا من الطبيب شوينفورث مبينا فيه بجلاء ووضوح الحوادث التى وقعت قبل ترقيته الى رتبة باشا .

وها هو فوق ذلك ما ذكره فيتا حسان بصدد هذه المسألة :

« لما رأى أمين باشا نفسه متروكا فى زوايا النسيان من جانب الحكومة المصرية أدار وجهه بواسطة الدكتور فلكن شطر حكومة الانكليز ليلفت أنظارها الى مديرية خط الاستواء . فردا على هذه الاستغاثة التى تكررت فيما بعد تألفت حملة استانلى فى انكلترا . وعلى ما يظهر لم تنظر الحكومة المصرية لهذه الاستغاثة الموجهة من أمين باشا الى حكومة أجنبية غير حكومته ، بعين الرضا . وهذا بلا ريب هو السبب الذى من أجله تخلت عنه الحكومة المصرية ، وأنها لم تعدل عن رأيها وتمنح أمينا لقب باشا دلالة على رضاها عنه إلا بعد ان تدخل فى الأمر شوينفورث تدخلا مشوبا بالحزم والعزم .

« ولم نكن مغالين فى اعتقادنا ان المقابلة الفاترة التى كان يتوقعها

الدكتور فلكن لأمين باشا فى القاهرة كان سيكون سببها التأثير السيء الذى أحدثه فى نفس الحكومة المصرية تحوله عنها الى الحكومة الانكليزية . على انه ليس لانسان ان يلومه لاستنجاده بالانكليز لأن المديرية كانت مستهدفة للخطر وكان هذا الخطر نزداد يوما بعد يوم وكل مديريات السودان سحقتها قوات المهدى الهائلة رغم ما أبدته من المدافعة ولم يبق أى أمل بالنجاة أمام مديرية خط الاستواء .

« وكانت الحكومة المصرية عاجزة كل العجز عن مقاومة الثورة وكان يبدو ان مديريتنا ضاعت ضياعا لا يرجى بعده رجوع . وعند ذاك صرح لى أمين باشا بأن نيته اتجهت نحو الانكليز حتى لا يدع مديرية خط الاستواء الفسيحة الجميلة ترجع الى عهد البربرية والتوحش . وانها اذا كانت تحت سيطرة أمة متمدينة تستطيع ان تكون وسطا لقوة عاملة تنتشر المدنية والتقدم من ربوعه فى افريقية الوسطى . ووقتئذ كتب الى الدكتور فلكن ذلك المكتوب الذى يؤاخذونه على تسطيره فى القاهرة ويعدونه شبه خيانة » . اه

ان كل ما ذكره فيتا حسان بشأن هذه المسألة لا يعد مطلقا على حسب رأيى من الظروف المخففة فى مسئولية عرض أمين باشا مديريته على انكلترا وتقديمها لها لأنه لم يكن له أية صفة تخوله الاقدام على ذلك . وقد يبدو فوق ذلك أنه ندم أشد الندم على ما اقترفه فيما بعد . ويدل على هذا أقواله وسلوكه بعد ان وصل الى زنجبار . واذا كنت قد ذكرت هنا كل أقوال فيتا حسان بشأن هذه المسألة فما ذلك إلا لأنه سيجيء ذكرها فى الملحق الخاص باستانلى أيضا .

وفى ١٢ فبراير وصل أمين باشا الى ويرى Wéri وهى مرسى للمراكب يتزن فيها الذاهب الى معسكر استانلى . وكان هـذا المعسكر فى أعلى لجوة ولدى نزوله وجد جفسن قدم خصيصا لينتظره فى ذلك المرسى . وقد نصب فيه أمين باشا معسكره وكتب فى اليوم التالى الموافق ١٣ منه خطابا الى استانلى قال فيه ما يأتى :

« لقد وصلت هنا بعـد ظهيرة أمس على باخرتى ومعى الفريق الاول من الأشخاص الذين يرغبون مبارحة هذا البلد بحراستكم . وحالما أفرغ من بناء الحال اللازمة لوقاية اتباعى تبحر الباخرتان ثانية الى محطة مسوه لتحضرا قسما آخر من الاشخاص الذين ينتظرون نقلهم .

« ويوجد الآن معى ١٢ ضابطا يشتاقون لمقابلتكم وكذلك ٤٠ جنديا . وقد أتوا تحت مباشرتى ليلتمسوا منكم ان تمنحوهم مهلة قليلة لاحضار رفاقهم الذين يحضرون من وادلاى على نية السفر . ولقد وعدتهم ان أبذل كل ما فى وسعى لمساعدتهم فى طلبهم هذا » .

وفى ١٧ فبراير وصل أمين باشا ومعـه اتباعه وعلى رأس هـؤلاء سليم بك مطر الى معسكر استانلى . أما كازاتى و فيتا حسان فلبثا فى « ويرى » الواقعة على شاطىء البحيرة ورجعت الباخرتان الى مسوه لتحضرا قسما آخر من الاشخاص الذين عقدوا النية على الرحيـل ثم قفلتا راجعتين وعليها أولئك الأشخاص ونقلتا فى الوقت ذاته خبر حدوث اخلال جديد بالنظام فى وادلاى وتغيير فى الحكومة .

وبعد سفر أمين باشا وصل ضابط من ضباط استانلى يقـال له المستر



مقابلة استانلى ضباط الحامية المصريين والسودانيين بمديرية خط الاستواء
ويرى فى أقصى اليمين مدفع مكسيم مصوبا اليهم ارهابا لهم .

بونى Mr. Bonny الى « وري » ومعه ١٠٠ رجل من الزنجباريين والحمالين التابعين لرئيس كافالى . وكان استانلى قد أبرم مع هذا الرئيس عقدا تعهد فيه ان يورد المدد اللازم من الحمالين لنقل الأمتعة والبضائع من « وري » الى معسكر استانلى أي مسافة ثلاثة أيام بأجرة قدرها ثلاثة سميات للحمال الواحد عن كل رحلة ذهابا وإيابا . وقد ذكرنا فى حكمدارية عام ١٨٨٦ م أن كل ٢٥٠ سميا تساوى ريالا مجيديا قيمته ١٧٫٥ من القروش ومن هنا يرى تفاهة هذا الأجر ويعلم بأى مبلغ حقير يقنع أولئك الزنوج .

وفى اليوم الذى وصل فيه بونى الى وري أذيعت اشاعة فحواها أن بابادونجو Babadongo وزير كباريجا قادم على رأس جيش عرمرم لمهاجمة المعسكر الذى أقامه فيها أمين باشا . وحاول كازاتى ان يحجز بونى والقوة التى معه للدفاع عن المعسكر ولكن المذكور رفض قائلا ان الأمر الذى معه يقضى بأخذ المتاع والسفر . وهذا ما عمله فعلا .

وانتهز كازاتى هذه الفرصة ليرسل معه رسالة الى أمين باشا يطلب فيها منه المدد . وحالما وصلت هذه الرسالة الى يد أمين باشا عاد الى وري ومعه سليم بك مطر والضباط والعساكر الذين رافقوه الى استانلى ومعهم ضابط من ضباط هذا الاخير يقال له نلسن Nelson و ٧٠ زنجباريا مسلحون غير انه اتضح فيما بعد ان هذه الاشاعة عارية عن الصحة ولذا لم تجاوز حد الاذاعة .

قال مؤلف كتاب « حياة أمين باشا » بالجزء الأول ص ٣٠١ :ـ

« ان حملة استانلى عندما وصلت الى البحيرة فى المرة الثانية لم تكن

أحسن حالا مما كانت عليه عند مجيئها فى المسرة الأولى فى السنة الماضية . ولم يكن لدى استانلى شيء من العطف والميل لا نحو أمين باشا ولا نحو ضباطه . فكان يعتقد ان حملته أخطأت قصدها ولم تصب قط مرماها وكان هذا الاعتقاد المضنى يشغل كل أفكاره .

« وإن مهمة استانلى لم يكن من مقاصدها تمكين أمين باشا من مواصلة نشر العمران فى ربوع مديرية خط الاستواء المصرية كما لم يكن من أغراضها انقاذه بتوصيله الى ساحل البحر بل كان جل ما ترمى اليه اكتساب اقليم مترامى الاطراف لصالح شركة انكليزية يبشر بادرار الخيرات الكثيرة يباشر حكمه مدير خبير محنك .

« أما الآن وقد أمسى أمين باشا لا يملك جيشا فليس له منه فائدة . والشيء الوحيد الذى ما زال فى الاستطاعة جنيه من الحملة هو انقاذ ذلك الرجل الذى كانت أوربا بأسرها مهتمة بأمره من الهلاك مهما كلف انقاذه من محن ورزايا تجل عن الوصف .

« وكان هذا الانقاذ لا بد من اتمامه فى أقرب آن مع صرف أقل ما يمكن من المال .

« ولقد كان استانلى يمقت أتباع أمين باشا وكان يود حصرهم فى أقل عدد ممكن . ولو بقيت جنود أمين باشا وباشر المسير على رأسهم لفتح اقليم البحيرة لحساب انكلترا لما كان استانلى قد تضرر منه وما كان يقيم العراقيل فى وجهه . أما الآن وقد أصبح هؤلاء الجنود عاجزين عن تنفيذ الخطة التى كان استانلى قد علق عليها الآمال فقد صار كل شيء

يعمل للحيلولة دون انسحابهم لان فى استطاعة الجنود ان يضايقوا استانلى فى ادارة الحملة التى كان يريد ان يكون مطلق التصرف فيها ويقدر أنه يعطى أمينا باشا ـ ذلك الذى أنقذه استانلى ـ شيئا من المهابة والسيطرة . ولكى يجد أيضا حجـــة مقبولة فى الظاهر لاستبعاد هـــؤلاء الجنود والتخلى عنهم عزا اليهم نيـة الخيانة ، واتهمهم بأنهم لا يبيتون نيـــة القبض على أمين باشا فقط بل على استانلى وضباطه وتسليمهم للمهديين . وهـــذه التهمة التى ليس لها أساس أصـلا أصبحت مصـدر كل ما نسبه استانلى الى الجنود من المثالب وكل ما صوبه اليهم من المطاعن » . اه

ولقـــد أصاب هذا المؤلف كبد الحقيقة اذ قال ان استانلى كان غرضه التخلى عن الجنود وتركهم فى الموضع الذى كانوا فيه وعـــدم أخذهم معه . أما السبب الذى ذكره وان كان له أساس من الصحة إلا أنه لم يكن السبب الرئيسى إذ ان السبب الرئيسى ينحصر فى ان الشركة الانكليزية التى كان يظن أنها تثبت أقدامها فى مديرية خـــط الاستواء مكان مصر لم يكن هذا المسعى لحسابها الا فى الظـــاهر ولكن فى الواقع ونفس الأمر كان لحساب الحكومة البريطـــانية التى خلقتها . وكانت هـذه تود ان هذه القـوة النظامية المسلحة تظـل فى محلها حتى يمكنها ان تجـــدها جاهـزة فتجندها لخدمتها كما برهنت على ذلك الحوادث التى حدثت فيما بعد .

وكان الأمر المهم إذن هو ما يأتى : لما كان رأس هذه القوة المسلحة هو أمين باشا وكان من غير الممكن ان يرجى من وراء هـــذا أية فائدة فكان اذن من اللازم خلعه لان خلعه يعد بمثابة اقتـــلاع السلطة المصرية

الممثل لها . وعدم تعيين خلف له من جانب هذه السلطة نفسها ينشأ عنه ترك هذه القوة بغير رئيس وجعلها غير مملوكة لمالك .

نعم . ان استانلى عند قدومه فى المرة الأولى عرض على أمين باشا إلحاقه مع هذه القوة بخدمة الشركة غير أنه فى ذلك الوقت كان الجمهور فى أوربا يجهل الحالة التى كانت عليها المديرية كما كان يجهل نفسية القوة وكان يتصور أنها على جانب من الطاعة العمياء لرئيسها . وهذه الظروف تستدعى حتما رضا هذا الرئيس حتى يمكن استخدامه لأنه متى تخلص من خدمة الحكومة المصرية استطاع بكل سهولة ان يرتبط مع الشركة . وهكذا يبقى زمنا ما مع شرذمة من الضباط الانكليز ومتى قبض هؤلاء على ناصية تلك القوة يستغنى عن أمين باشا وعن خدمته . وهذا هو الأسلوب الذى سارت عليه الحكومة البريطانية فى مصر .

ولنرجع الآن الى موضوعنا فنقول :

أحضر سليم بك مطر رسالة موقعا عليها من استانلى لتبليغها لكافة ضباط المديرية وموظفيها الملكيين . وتحتوى هذه الرسالة على شروط ونصائح تختص بالسفر . ومن مقتضاها ان استانلى قدم منتدبا من قبل الخديو ليكون فقط مرشدا لموظفى المديرية الذين يرغبون فى الرجوع الى ديار مصر وأنه يمنح أولئك الموظفين الوقت الضرورى للذهاب الى معسكره والاستعداد للسفر . ويتعهد ان يقدم لأمين باشا و كازاتى و فيتا حسان وماركو جسبارى ما يلزم من الحمالين لنقل أسرهم وأمتعتهم . أما غيرهم فينبغى ان يدبروا أمر أنفسهم بمعرفتهم ولذا ينصحهم ان لا يحملوا معهم أحمالا يتعذر نقلها وان لا يأخذوا فى السفر إلا الأسلحة والذخيرة والملابس

والزاد اللازم والاشياء الضرورية وانه يتعهد كذلك بالعناية فى مدة السفر بوسائل معيشة أمين باشا ورفاهته وأمنه وراحته هو وكل من كان له صديقا .

وهنا قال فيتا حسان انه سوف يتضح فيما بعد كيف بر استانلى بوعده وقال أيضا ان هذه الفقرة وهى : « أمين باشا وكل من كان له صديقا » قد يمكن ان تجر عليهم أمورا غير محمودة فلفت نظر أمين باشا الى هذه العبارة . غير ان السيف كان قد سبق العذل والرسالة كانت كتبت ومن غير المستطاع تعديلها . وكان استانلى قد حررها باللغة الانكليزية وترجها الى العربية أمين باشا ونسخها كاتبه رجب افندى فلم يكن فى الاستطاعة معرفة من من الثلاثة استعمل هذه العبارة . إنما قد يكون من المحتمل أنها كانت السبب فى حيرة وارتياب أغلب الضباط وترددهم عن السفر . وان هذه العبارة لا يمكن الا ان توقظ فيهم وهم على ما هم فيه من الحيرة الخوف من ان يعاملهم استانلى معاملة سيئة أو يضطرحهم من باله اضطراحا تكون مغبته جلب الأذى والضرر لهم .

وبقى الكابتن نلسن فى معسكر « ويرى » مع أمين باشا وأرسل مع حاليه بعض الموظفين والأمتعة الى معسكر استانلى محتفظا بجنوده المسلحين .

الحوادث التى وقعت قبل سفر امين باشا
الى معسكر استانلى

وفى اليوم التالى وصلت الباخرة نيانزا من وادلاى وبها خطاب

من فضل المولى افندى الى سليم بك وقرار من الحكومة الثائرة هذا نصه :

« نحن ضباط مديرية خط الاستواء وموظفيها الملكيين . نظرا لوفاة المأسوف عليه (حامد بك) قائمقامنا وحاكم المديرية قررنا باجماع الآراء ترقية البكباشى فضل المولى افندى الأمين الى رتبة قائمقام وتعيينه حاكما على مديرية خط الاستواء خلفا للمأسوف عليه جد الأسف (حامد بك) » . اه

وهذا القرار موقع عليه من ٣٠ شخصا بين ملكيين وعسكريين اما بالامضاء أو الختم . والخطاب مكتوب بلهجة كبرياء تقرب من الوقاحة يلوم فيه مرسله سليم بك مطر على خيانته باعادة أمين باشا لتولى الحكم بدون اذن منهم ويلح عليه بالعودة مع الضباط الى وادلاى وأن يحضر معه أيضا أمينا باشا و كازاتى و حواش افندى و فيتا حسان . واستطرد فضل المولى بك قائلا : انه سيحضر هو نفسه اذا لم ينفذ هذا الأمر ويأتى بمن ذكرت أسماؤهم طوعا أو كرها . ومع ذلك لم يحرك هذا التهديد ساكنا وذهب هباء .

ومع هذا فقد سافر سليم بك ورفاقه الى وادلاى فى ٢٦ فبراير ليقنعوا فضل المولى بك ومن معه ويرجعوهم الى الصواب . وكان قصدهم اذا لم يكلل مسعاهم بالنجاح استحضار أسرهم والجنود لينطلقوا في السير مع استانلى .

ورأى أمين باشا ان ليس هناك ضرورة تستدعى إطالة إقامته فى

وبرى فذهب الى معسكر استانلى مع ان كازاتى كان قد نصحه بأن ينتظر مجىء باقى الموظفين والجنود الذين ظلوا على عهد الاخلاص ونبهه بأنه متى اجتمع الاربعة الأوربيون المقيمون فى خط الاستواء فى معسكر استانلى فهذا يأمر فى الحال بالسفر بدون ان ينتظر الآخرين وعندئذ يكونون مضطرين حسب رأى كازاتى أن يتنازلوا عن خطتهم القاضية بأخذ جنود المديرية حتى يستطيعوا القيام برحلتهم على أحسن ما يمكن من الاحوال . ويقول فيتا حسان انه لو عمل بحسب هذه المشورة لانقضت تلك الرحلة فى أوقات ميمونة ولما اضطروا ان يعانوا بغى استانلى وعتوه طيلة ثمانية شهور .

وغادر فيتا حسان وبرى بعد أمين باشا بأربعة أيام برفقة كابتن من ضباط استانلى يقال له استيرز Stairs و ٤٢ حمالا لنقل أمتعته فوصل الى معسكر استانلى بعد ان سار يومين سيرا شاقا . وعلم فيتا حسان فى الليلة التى قضوها فى الطريق ان امرأة سودانية زوجة بلوك امين شركسى يقال له رشدى حلمى جاءها المخاض فبادر اليها وباشر توليدها . وفى ظرف نصف ساعة انتهى كل أمر . ونظرا لما اكتسبه فى مدة عشر سنين من التجارب لم يتخذ أى تدبير لنقلها ونقل طفلها وفى اليوم التالى سارت فى الطريق وابنها على ذراعها بكل بسالة كأنها لم تضع .

ويبدو معسكر استانلى نظيفا نظافة كافية وبه شىء من النظام . وتقع عين القادم اليه من ناحية البحيرة أولا على مضرب كبير وهو مضرب استانلى وبجانبه سارية ارتفاعها سبعة أمتار يخفق العلم المصرى فى أعلاها . ثم يرى ميدانا على جانبيه صفين من الاكواخ مربعة الشكل أعدت

لنزول أمين باشا ومن معه . وحالما وصل فيتا حسان قصد أمينا باشا وذهب أمين باشا معه الى استانلي وقدمه اليه . وبعد أن صافحه ورحب به سأله عن المدة التي تلزم لأولئك الذين يريدون السفر معه للوصول الى معسكره . فأجابه فيتا حسان ان نقل أربعة أو خمسة أفواج يوميا كالتى تشحن الآن تكفى الذين فى ويرى . أما أولئك الذين لم يزالوا الى الآن فى محطات المديرية فهؤلاء من المتعذر ان يحدد لهم ميعاد حتى على وجه التقريب لأن ذلك يتعلق بسرعة استعدادهم ومقدار حمولة الباخرة وكذلك اهتمام كل أولئك الخلق بأمر السفر وعلى ذلك سيستغرق ذلك زمنا طويلا ولا يستطاع الانتهاء من النقل فى أقل من ثلاثة أشهر . وبعد ان شرب فيتا حسان القهوة استأذن من استانلي وانصرف الى حيث يوجد الكوخان اللذان أعدا له .

ولبث كازاتى فى ويرى وكان يبدو انه لا يريد ان يقتفى أثرهم واكتفى بمراقبة النقل . وأخذت القوافل تغدو وتروح وتأتى كل مرة بعالم جديد .

ولم يحدث فى المعسكر حادث ذو شأن حتى يوم ٥ أبريل اللهم إلا حادثا فرديا كان يمكن ان يجر الى عواقب غاية فى الوخامة اذا لم يتدخل فى الأمر فيتا حسان . ذلك ان اناس زنجبار نظرا لما جبلوا عليه من الوقاحة وقلة الادب استباحوا رفع الكلفة مع كل امرأة يصادفونها سواء كان ذلك بالقول أم بالفعل . وفى ذات يوم تعدوا بهذه الطريقة على زوجة ضابط صف يقال له عمر افندى الشرقاوى وهو قائد الجنود السودانية الذين قدموا من مصر مع استانلي . وأبلغ عمر الشرقاوى جنوده وقد

كانوا شاهدوا الحادث فطلب عمر من استانلى ترضية عن هذه الاهانة التى لحقته فأجابه ان خذ ثأرك بيــــدك . وان هو إلا ان سمع ذلك حتى تسلح بهراوة وانقض على المتدين وهــــوى على ثلاثة منهم بضربات متواترة إلا انه سرعان ما أحاط به جيش من الزنجبــــاريين . وفى الحــــال خف خدام موظفى المديرية وهم من قبيلتى الدنكا والشلوك أى من جنس عمر افندى إلى نجــــدته وهم قــوم مشهورون بالجـــــرأة والبسالة ولا يحجمون أمام أى خطر مهما عظم واستعملوا فى دفاعهم كل ما وقع تحت أيديهم وكان لا مفر من نزول كارثة لو لم يبادر فيتا حسان ومـوالى أولئـك الموظفـين بأمرهم بالانسحاب والكف عن القتـال . ومع ان استانلى كان قد صرح الى عمــــر الشرقاوى بأن يثـــأر لنفسه لم يحل ذلك دون ان يحـــكم عليه بأن يحمل صندوق ذخـــيرة على رأسه مـــدة طويلة . وهو حكم كريه بقـدر ما هـو خارق للمـــألوف ويبـدو غريبا لمن لم ير بعيـــنى رأسه استبـداد استانلى الشنيع .

وعندما وصل فى آخـــر مارس فوج الى ويرى قال استانلى ان هذه الشحنة هى الأخـــيرة وأولئك الذين تخلفـــوا الى الآن هم وشأنهم . فاضطـرب وانزعـج أمين باشا لذلك هو ومن معـه لأنه بصرف النظــــر عن سليم بك وبعض الابطال الذين لم يزالوا الى الآن باقين فى المديرية قـد تجرد من كل قـوة مسلحة واستسلم لمشيئة استانلى وإرادته . ومما زاد فى أسفهم ان سليم بك أفلح فى نهاية الأمر باقناع الكل بالسفر .

وفى ٢٥ مارس كان سليم بك قـد كتب الى أمين باشا وبعث له برسالة موقع عليها من كافة الضباط الثائرين يعربون له فيها عما له فى نفوسهم من

الاجلال . ويقولون انهم جميعا مستعدون للسفر مع استانلى . وطلبوا فى نهاية الامر أن يؤجل استانلى السفر الى أن يصل الى وادلاى جنود مكراكا الذين هم الآن سائرون فى الطريق ويصل كذلك جنود نقطة أبى نخره وعندئذ يولى الجميع وجوههم شطر معسكر استانلى . وقالوا علاوة على ما تقدم انهم سيهتمون بأمر نقل كافة الموظفين على ظهر الباخرتين بأسرع ما يمكن الى ودى .

وجاء الى أمين باشا خطابات أخرى يلتمس فيها مرسلوها منه ويتوسلون اليه ان ينتظرهم وان لا يتركهم . وجاء له أيضا رسالة بنفس هذا المعنى من محمود افندى العجيمى قائد مكراكا .

وخلب هذا التغيير فى الرأى لب أمين باشا لانه يسوغ له السفر مع كافة أتباعه . فبلغ استانلى هذا الامر فى التو والساعة فلم يشأ ان يشارك الباشا فى تحمسه وجمع سائر ضباطه ووجه اليهم السؤال الآتى :

أيجب علينا أن ننتظر مجىء طائفة موظفى المديرية أم لا ؟ وأوضح لهم أنه سمح للذين ينتوون السفر بمهلة شهر للحضور الى هنا وقال ان هذا زمن كاف جدا على ما يرى . وان الثلاثين يوما قد انتهت الآن ولم يصل من مجموعهم جزء من ستة عشر . وان أميننا باشا يريد أن ينتظرهم . أما من جهته هو فلا يمكنه ان يصرح إلا بخمسة عشر يوما وان لا ينتظر أكثر من ذلك . وانه بالاختصار ربما كان من سوء الفطن انتظار قدوم ضباط وادلاى مع ال ٦٠٠ او ال ٧٠٠ جندى التابعين لهم . فصرح كل ضباط استانلى باجماع الآراء بأنه من غير الممكن الانتظار أكثر مما مضى ولم يشذ عن هذا الاجماع إلا الكابتن نلسن إذ

انه رأى رأى أمين باشا وقال ان هـذا بوصف انه رئيس يجب عليه ان ينتظر اتباعه وان لا يتركهم .

ولا ريب ان الخمسة عشر يوما التى سمح بها استانلى لجمـــع كافة رجال المديرية لم تكن كافية . فلقد كان أولئـــك كثيرى العدد وموزعين فى جملة محطات لا يستطيعون فى الحقيقة المجىء منها الى معسكر استانلى . وكان يلزم لنقلهم بالباخرتين على أقـــل تقدير اثنا عشر شوطا وحتى لو سلمنا ان الجميع كانوا لا يبغون الرحيـــل كان يلزم على كل حال خمسة أشواط فى نقل سليم بك مطر ومن معه من الضباط والموظفين وكان كل شوط من ورى الى وادلاى يستغرق حتما ٢٠ يوما بغض النظـــر عن الوقت الذى يلزم لجمع الحطب لوقود البـــاخرتين وتصليح عددهما إذا استدعت الحـــالة ذلك . فلو حسبنا الزمن الضرورى الذى يلزم بقطع النظـــر عن كل عارض فلابد على الاقل من ثلاثة أشهر لاحضار أولئك الذين عقدوا النية على السفر وهم زهاء ثلث جماعة المستخدمين .

ولم يحدد استانلى هـــذا الأجل المضحك فحسب بل اقترح ان تنقل النساء والصغار بالبواخر وان يأتى جميـــع الرجال سليمى البنيـة برا ويأخذوا معهم فى سفرهم حمالين من الزنوج وماشيـة للـــزاد على ان السفر برا كان من الامور المتعذرة لانه يستغرق زمنا أطول مما يستغرقه السفر بحرا بقطع النظر عن مقاومة الزنوج الذين يعترضونهم فى الطريق إذ ان هؤلاء لا يمكن ان يدعوا القوافل تمر هادئة .

انه من غير الممكن ان استانلى كان يجهل كل هذه التفصيلات . ولا مندوحة من التسليم بأن هـذا الأجـل البالغ أدنى حـــد فى القصر الذى

اقترحه لم يكن الغرض منه إلا مداراة الظواهر بينما الجند فى الواقع عارفون أنه غير ممكن تنفيذه .

وكان استانلى يأمل ان كازاتى يعاونه فى تحويل أمين باشا عن وجهة نظره واقناعه بصواب وجهة نظره هو . فقصده وهو بصحبة هذا الاخير وشرح له المسألة وطلب منه ابداء رأيه فى الموضوع . وكم كانت دهشته عندما رأى فى كازاتى خصما عنيدا للاسراع فى السفر ومع ذلك لم يتزحزح استانلى عن رأيه ولم يغير فكره . وأبلغ سليم بك أنه منحه أجلا نهايته ١٠ أبريل أى زيادة خمسة عشر يوما فيكون مجموع التأجيلات ٤٤ يوما وانه فى ١٠ أبريل يقوض المعسكر ويسافر . وأعلن استانلى بذلك شكرى افندى قائد مسوه برسالة ثانية وطلب منه الحضور فى الوقت اللازم .

وداخل أهل المعسكر اضطراب عظيم لدى هذا النبأ واغتم الجميع لاضطرارهم الى السفر بدون أقربائهم وأتباعهم إذ كان يوجد بالمعسكر نساء لم يأت أزواجهن بعد وأبناء لم يزل آباؤهم فى مختلف محطات المديرية . وكان يوجد كذلك خدم أخذوا بصفة حمالين ولم يزل مواليهم متخلفين فى جهات قصية جدا . وكل هذه الخلائق كانوا بحكم الطبع فى حالة يأس لأن كلا منهم ترك ذويه . وحضر كل هؤلاء الخلائق الى فيتا حسان وشكوا اليه أمر اجبارهم على السفر وهم على هذه الاحوال . وبما أنه كان يشاطرهم تماما وجهة نظرهم فقد ذهب واحد منهم وهو الصاغ ابراهيم افندى حليم الى أمين باشا ليلتمس منه نيابة عنهم ان يأمر باطالة المدة ليجد سليم بك ورفاقه الوقت الكافى للقدوم .

وكان أمين باشا لا يريد أن يتهم بأنه هو المحرك لهذا المسعى فنصحهم أن يتوجهوا الى استانلى ويطلبوا منه هذا التأجيل وأكد لهم أنه اذا استدعاه استانلى ليبلغه خبر زيارتهم فهو يعاضد طلبهم . ولكن بعد ساعة من انصرافهم من عنده استدعاهم ثانيا وأشار عليهم بأن لا يقوموا بأى سعى حتى لا يستفزوا استانلى لاستعمال الشدة . وقال لهم ان هذا هو صاحب الأمر والنهى وانه يجب عليهم ان يخضعوا لارادته طوعا أو كرها وان تركهم له فيه مجلبة للخطر لأن ذلك قد يمكن أن يجر بسهولة الى اعادة الاخلال بالنظام فى المديرية ومن جهة أخرى فان استانلى لا يدعهم يذهبون الى حيث يريدون لأنهم وان كانوا ضيوفه فهم فى الوقت ذاته أسراه . ويجب عليهم أن يعرفوا موقفهم هذا وان لا يستسلموا للأوهام والتخيلات .

وفى ٤ أبريل أعطى استانلى أمين باشا ٤ حمالين من أهالى زنجبار . وبضم هذا العدد الى ال ١٤ ماديا الباقين من ال ١٠١ الذين قدمهم أمين باشا الى استانلى عندما رجع ليبحث عن مؤخرته يكون مجموع ذلك ١٨ حمالا . وأعطى كازاتى ٣ فيكون لديه ٩ حمالين بما فى ذلك خدمه . وأعطى فيتا حسان ٢ فيكون لديه ٣٠ حمالا بما فى ذلك خدمه .

وكان لدى استانلى خادم من أهالى الزنجبار يقال له صالح وهو شاب نبيه ذكى الفؤاد يبلغ من العمر ١٨ عاما يعرف القليل من اللغة الانكليزية ويعى بعض قشور من العربية تعلمها من عساكر الحملة السودانيين فاستعمله مولاه جاسوسا له .

وكان صالح هذا يأتى استانلى بأخبار أقل الحوادث ويطلعه على آراء

أمين باشا وكازاتى وفيتا حسان ورجال المديرية .

وفى ٥ أبريل قام استانلى بالعمل الذى سموه (الانقلاب الفجائى الذى أحدثه استانلى) . وان مقاصد الثلاثة المذكورين الحميدة ما كانت تدع له مجالا لأن يتجاسر ويوجه اليهم أية ملامة بشأن تأجيل السفر غير انه نظرا لعدم مبالاته بما يفعل لدرجة خارقة للعادة اتهم أتباعهم بأمور هم منها أبرياء .

واليك بيانا دقيقا عما وقع من الحوادث فى ذلك اليوم حسب رواية فيتا حسان :—

قبيل الظهر دوى صوت صفارة استانلى المعهود . فانقض فيتا حسان خارج الكوخ فصادف كازاتى وكان قد خرج مثله ليرى ماذا حدث فرأيا فى دهشة الناس يطوون مضرب استانلى طى السجل ورأيا استانلى وضباطه مرتدين كساوى السفر . فتوجه الاثنان الى أمين باشا فوجداه قد بلغ منه التهيج مبلغا كبيرا . فسأله فيتا حسان عن الذى حصل فأجابه : « إن هذه هى أول مرة أهنت فيها وان استانلى وبخنى توبيخا شديدا وزعم أن مؤامرة عملت ضده . وانه على وشك ان يهدر دماء فى المعسكر . وان مسئولية هذه الدماء ستقع على رأسى . وانه يريد أن يسافر فى التو والساعة . وانه ليس فى استطاعة مخلوق أيا كان ان يمانعه » . فقال له فيتا حسان ان ذلك من رابع المستحيلات إذ لم يستعد بعد أحد للسفر وانه لا يوجد لديهم حمالون ولا عبيد وان هؤلاء انطلقوا الى الغابات لجلب الأحطاب إذ انهم كانوا يعرفون ان ميعاد السفر تعين فى يوم ١٠ أبريل ولم يقوموا بأى استعداد للرحيل اليوم .

مغادرة أمين باشا مديرية خط الاستواء
وسفره مع حملة استانلى

أعمل أمين باشا فكره برهة وبدون ان يجاوب أشار اليهم بيده ان اتبعونى وخرجوا من ناحية المسكر وكان أمين باشا وضباطه واقفين وسط مربع مؤلف من رجال المديرية يحيط بهم الزنجباريون . ولدى اقترابهم من استانلى سمعوه يصيح :

« لقد علمت بالأمس أنهم سرقوا سلاح واحد من أتباعى وأنهم يريدون اعدامى . فهاكم صدرى أطلقوا على النار اذا كنتم تجرءون على ذلك . أنتم لا تعلمون بأنى أدعى استانلى وانى « بولاماتارى » ـ أى كسار الاحجار ـ وانى أنا المسؤول هنا . نحن نقوض المضارب فى الحال . انى أريد ذلك . فكل الذين يبغون السفر يمكنهم ان يقفوا على يمينى والذين لا يريدونه يقفون على الشمال . وهؤلاء أنذرهم بأنى أعدمهم فى الحال رميا بالرصاص » .

ويقول فيتا حسان ان استانلى قد حضر خطابته بحذاقة . فأولا قذف بتهمة خرقاء وقعت وقع الصاعقة فى النفوس فأدهشت كل واحد . فبعد استعارات بليغة مثل « بولاماتارى » مدبرة خصيصا للتأثير على عقول البسطاء من السامعين كشف عن بطارياته وعندئذ أضحى من غير المستطاع مقابلة مشيئته إلا بالرضا والطاعة العمياء . وتكلل زهوه بالنجاح واتجه الكل بطريقة آلية الى يمينه .

وزاد فيتا حسان أيضا ان قال انه يعترف بالوجهة العملية لمثل هذا

الفعل . فالصرامة متى اقترنت بالجرأة ومثلت مع شيء من الأبهـــة ينخدع بها الجموع على وجـــه العمـوم وبالأخص جمـوع الزنوج . ولكن ما كان ينبغي لاستانلي ان يستعمل مثل هـــذه الطريقة مع أشخاص يجب ان يخدمهم كمرشد وليس من حـدود وظيفتـه ان يتحكم فيهم وقـد أتى اليهم بقصد إسعافهم وليس لينقـذهم رغم أنوفهم . إذ قال الخـديو : « ان استانلي سيقودكم مع الراحة على قدر ما يستطاع » .

سجـــايا استانلي

وعنـدما وصف فيتـا حسان سجايا استانلي قال : « لا مندوحة من التسليم بأنه لم يكن رجلا عاديا بل هو رجل ذو جـــرأة نادرة لا تدركه أية حـــيرة عند تخـير الوسيلة وذلك ما أكسبه بعض الشهرة وانه ما خلق إلا ليكون فاتحا من فاتحي العصور الخاليـة المحنكين في قيادة الاقوام المتوحشة الذين يبثون الذعر والرعب في قلوب من يمرون بهم . وهو لا يعتبر الانسان إلا آلة لخدمة مصالحه الخصوصية ومجده الذاتي وان هـذه الآلة يمكن كسرها متى قضى وطره منها وطرحها ظهريا » .

حوادث أيام رحلة استانلي في عودته

وانقضى اليوم الأول من رحلتهم المفعمة بالوقائع الخطيرة بدون حادث . وكانت الطريق غير مستوية ومتعبة . وفي المساء سير استانلي رجاله الزنجباريين للقيام بغارة ليحضروا ماشية للذبح وعددا من الزنوج لاستخدامهم حمالين . ورجعوا في غد اليـــوم التالي ومعهم ٥٠ زنجيـــا و ٦٠ ثورا . وانقضى يوم ١١ أبريل في الراحـــة وسافروا في يوم ١٢ منـــه ليصلوا عنـد الرئيس

« موزامبونى » Mosamboni بعد الظهيرة .

وكان قد سافر قبل ذلك بنحو عشرة أيام الملازم الأول استيرز Stairs و البكباشى حواش افندى و الكاتب يوسف افندى فهمى لاعداد معسكر فى هـــذه الناحيـة . ولدى وصـــول الحملة اليها وجدته تاما . وكان استانلى ينوى ان يقيم فيه مدة ولكن ما استقر بالقافلة فيه إلا وقـــدم اليـوزباشى شكرى افندى من مسوه إذ أنه لما لم يجـــد أحـدا فى كافاللى تتبع أثر الحملة لأن أسرته وأمتعته كانت قد سبقته معها . وما كاد يسمع النـاس يتكلمون عن السفر حتى نزل فى مركب وأخذ معه بروجيـــا وجنديين وبعض الخـــدم وسافر الى ورى . ولما وجد معسكرها خاليا كما هو الحـال فى كافاللى اقتفى أثر الحملة وأسرع فى السير مع بضعة الرجال الذين كانوا بصحبته بدون ان يخشى أو يخاف من القبائل التى لا بد ان يصادفها فى طريقه . ولقد كان شكرى افندى جنديا باسلا ورجلا ذكى الفـؤاد فأدرك الحمـــلة بدون عناء وقال ان سليم بك مطـر كان يأمل ان تنتظـره الحملة فى كافاللى وان يعجـــل فى أثنـاء ذلك ترحيل رجاله . وانه يأسف هو الآخر لاسراع القافلة فى السفر وأكد ان سليم بك ومن معه سيحل بهم القنوط واليأس عندما يعلمون بهذا الخبر .

وفى اليوم الذى حطوا فيـــه فى موزامبونى ظهر عند انبثاق الفجـــر أن ٦٩ شخصا بين جندى وخادم اختفوا ومن بينهم ٤٧ نفسا من أتباع حواش افندى . وأخـــذوا معهم المتاع و١٢ بندقيـة وقفـــلوا راجعين على ما يقـال الى خط الاستواء ليوفـــروا على أنفسهم متاعب السفـر . وأصبح حواش افنـدى لا يدرى ماذا يصنـع . فلقـد كان فى حوزته فى العشى ٥٠

حمالا ومن وقت حدوث هذا الهرب صار لا يملك إلا ٣ من الخدم من بينهم امرأتان غير ان حواش افندى كان رجلا ثابت الجأش لا تزعزعه العواصف والاهوال وفى ظرف أيام قلائل جمع ثانيا حاشية كافية ان لم تكن أكثر عددا من الأولى .

وبعد ان وصلت الحملة الى موزامبونى ببضعة أيام وقع استانلى فى مخالب المرض ووقف مسيرها . وكان قد أصيب بنزلة صدرية لم يبل منها إلا بعد خمسة عشر يوما والفضل فى ابلاله عائد إلى الدكتور پارك وأمين باشا وما بذلاه من التضحية فى علاجه .

وفى غضون هذا المرض لاذ زنجى يقال له ريحان كان حواش افندى قد أعطاه لاستانلى بأذيال الفرار مع زهاء ١٠ رجال . وطاردهم شكرى افندى بناء على أمر استانلى وأرجعهم الى المعسكر . وتبين ان ريحان هو المحرض لهم على ذلك وانه هو الذى قدم هذه القدوة السيئة وان ذنبه التمرد والعصيان فعقد له مجلس حربى مؤلف من استانلى وضباطه وحكم عليه بالاعدام فشنق وأعطيت جثته لرجال زنجبار فقطعوها وتركوها فى العراء . وعزوا الى ريحان فوق ذلك كثيرا من الجرائم الهامة فقالوا انه تآمر بقصد تجريد الحملة من أسلحتها وتسليم هذه الاسلحة الى سليم بك حتى يتمكن هذا من السطو على القافلة وهى عزلاء من السلاح .

ويقول فيتا حسان لقد كان من المستحيل ان يصدق انسان ان زنجيا معدما مثل ريحان حديث الخروج من جباله يستطيع ان يدبر خطة كهذه وان ينظم مؤامرة واسعة المدى مثل هذه . والأدنى للصواب أن استانلى كان يرى أن من الضرورى لأمن السفر ان ينكل بهذا المسكين

ليكون عـــبرة لسواه منعا لحدوث تدابير سرية فى المستقبل . على أن الحملة ليس لها أى حق ان تحتفظ بهذا المسكين كرقيق وان توقع عليه هـــذا العقاب الصارم ولكن استانلى كان قد اعتاد طبائع البلد القاصية باستعمال القوة الوحشية بدلا من الحق .

وفى أول مايو كان استانلى قد أبل من مرضه تماما وقرر استئناف السفر بعـــد أيام قلائل . وفى هـــذا الوقت كان كازاتى و الصاغ على افندى سيد احمد وهو شيخ كبير منهوك القوى ومريض قـــد طلبا من استانلى بعض الحمالين . ولكن استانلى كان قد اعتاد ان يحيل اتباع المديرية على الباشا وهكذا يتخلص من طلباتهم العادلة الحقة . والباشا كان من جهة أخرى قـــد أضاع كل نفوذ له فى الحملة من وقت الاهانة التى لحقته فى يوم ٥ أبريل وصار لا يتمنى غير شيء واحد وهو الوصول الى الساحل . وكان يتجنب كل بيان وبحث مع استانلى لئلا تلحقه اهانة أخـــرى يصعب عليه احتمالها . وعلى ذلك أحال كازاتى و على افندى سيد احمد على استانلى قائلا لهما ان هذا ليس من شأنه . ولما رآهما فيتا حسان فى حيرة وارتباك أعطى كلا منهما حمالين واقترض بعض نقود من رفاقه فى السفر واكترى أربعة زنوج آخرين بمبلغ قدره ١٧٠ ريالا .

وفى مساء ٧ مايو أى عشية يوم الرحيل حضر ساع وبيده خطابان . وعبثا حاول الناس معرفة لمن هذان الخطابان ومن هو مرسلهما .

وفى ٨ منه قوض المعسكر سحرا وقرب الساعة ٦ أخـــذت القافلة تسير . وقبيل الظهر وصلت الى جـــدول ماء ووقفت بقرب قرية . وعندئذ قامت ضجة هائلة فى المعسكر انجلت عن اذاعة خبر وصول أيوب افندى

اسكندر فى الافواه . وأيوب افندى هذا كاتب كان قد ترك فى وادلاى . وعلم منه أن حزب سليم بك مطر وحزب فضل المولى بك انفصلا نهائيا . وانسحب الحزب الأخير الى جبال لاندو Landu بينما أخذ حزب سليم بك مطر فى السير مع رجال مكراكا وكانوا على وشك أن يلحقوا بهم . وان مقدمة مؤلفة من ٣٧ ضابطا وضابط صف كانت على مقربة من كافاللى وأخذت تحاول ان تلحق أمينا باشا ولكنها كانت تخشى أن لا تنتظرها القافلة . ودهش أيوب افندى عندما علم بخبر سفر الحملة هكذا على عجل لأن الخطاب الذى أخبرهم فيه بمسألة السفر لم يرد إلا فى العشى . وكان يلومهم على تركهم . ولكنه قال لفيتا حسان ان سليم بك كان له من الشاكرين على الجهود التى بذلها عبثا لأجل تأجيل السفر من كافاللى وانه أرسل اليه مكتوبا بهذا الصدد أحضره الساعى فى اليوم الذى انقضى مع رسالة إلى أمين باشا . وهكذا انكشف ما كان سرا بالأمس فقد وصل بالفعل خطابان أحدهما لفيتا حسان وصودر . وهنا يتساءل المرء عن الغرض من مصادرته ؟ ولماذا أريد اخفاء الأخبار عنهم ؟ ان كل ما فى استطاعة المرء ان يبديه فى هذا الصدد هو محض افتراضات . فان استانلى كان لا يهمه بلا جدال أخذ سليم بك ورجاله معه . ومع أنه كان يريد ان يتظاهر بأن يسهل لهم اللحاق بالقافلة فانه مما لا ريب فيه كان يود من صميم قلبه عكس ذلك وانه كان يبذل كل الوسائل ليمكر بهم . وكان أمين باشا يرغب من جهة أخرى ان لا يدرى أحد من المعسكر ان رفاقه السيئى الحظ على مسافة يومين وانهم يخلون عليهم بالانتظار . نعم كان يرغب ذلك لأنه لم يكن فى الاستطاعة تقديم دليل قوى يبرر مثل هذا السلوك .

ورجع الجاويش عبد الله الطرابيشي والجنود الأربعة الذين كانوا قد رافقوا أيوب افندى ومعهم خطاب ووعد من استانلي لسليم بك بأن ينتظره عشرة أيام بعد مسافة قليلة من هنا عند سفح جبل رونزورى Ruensori أو أبعد من ذلك قليلا عند شاطىء بحيرة ادوارد حيث يجب ان تمكث الحملة عشرين يوما .

وكان استانلي يظن ان فى امكانه ان يصل الى البحيرة فى ظرف عشرة أيام بعد ذلك . وقفل الصاغ على افندى سيد احمد راجعا مع الجاويش عبد الله لأنه كان يبدو له انه لا يستطيع ان يتبع القافلة . وسافرت ايضا زوجة أيوب افندى فاتخذها لكله وشحه لمساعدته فى حمل متاعه . وكان كل واحد يعتقد اعتقادا جازما أن استانلي يريد أن ينتظر سليم بك وأتباعه .

وفى ٩ مايو عاودت الحملة السفر متتبعة سلسلة الجبال الموصلة الى بحيرة « ادوارد » Edward وكان السير شاقا ومضنيا وشؤما على الحمالين . وقبل الرحيل قامت الحملة بغارة وأتت بكثير من الأسرى وهؤلاء الناس التعساء الحظ عوملوا كذلك معاملة أسوأ من معاملة دواب الحمل . فقد كبلوا فى أعناقهم بحبال متينة كل ثمانية أو عشرة منهم معا كما يكبل الرقيق واضطروهم أن يمشوا على هذا الحال والاحمال فوق رءوسهم . وأدمى أقدامهم الطلوع والنزول وسط الحصباء المدببة والمرور من جداول المياه . وكانت المؤخرة تسوقهم بالسياط وكانوا يتحاشون وقوع الضرب بدفع بعضهم بعضا فكانوا يقعون بأحمالهم ويصابون بجروح بليغة أحيانا . وإذا كان أحدهم لا يستطيع النهوض بعد كبوته يهمل فى الطريق فتلتهمه الوحوش

الضارية أو يذهب فريسة قبيلة من القبائل المعادية هذا اذا لم تعاجله المنية قبل ذلك بسبب الجوع . واذا كانت جراحه لم تحل دون متابعته السير عندئذ يكلف ان يستمر ماشيا بحمله إلى أن تتفاقم جروحه ويروح شهيد عدم العناية والكد المستمر .

وهذه الأفعال التى صدرت عن حملة الانجاد هى أعمال وحشية قاسية لا تتفق مع المهمة التى جاءت من أجلها .

وبعد هذه الغارة قامت الحملة بأربع أو خمس غارات أخرى فى مدد متباينة المدى وعادت بشيء كثير من الماشية وعدد كبير من الحمالين إلا أنها دمرت عدة قبائل تدميرا .

وكانت الطريق رديئة ومخترقة دواما الجبال . وبدأ أناس خط الاستواء يتألمون مر الألم من كثرة الصعود والهبوط . وكان البكباشى حواش افندى والتاجر ماركو دون سواهما لهما دواب . أما الآخرون جميعهم بما فيهم أمين باشا وكازاتى فكانوا يسيرون على الأقدام وإذا كان البعض منهم له مقدرة على مثل هذا المشى فان الأغلبية كانت تراه شاقا مضنيا . وكان الشيوخ الطاعنون فى السن والنساء والاولاد وهؤلاء كانوا يكونون تقريبا النصف يعانون من الآلام أكثر من غيرهم وكان عدد المرضى زداد يوما عن يوم وكان أشد الأخطار جرح الأقدام سواء أكان ذلك من زلة قدم أم العثور فى حجر أو جذع أم أى شيء آخر . وأحقر جرح وأصغره كان بمثابة حكم بالاعدام . واذا حال جرح أى انسان دون مشيه سواء أكان هذا من البيض أم السود فالمصير واحد وهو التخلى عنه بحيث لا يبقى أمامه سوى انتظار الموت بأى شكل من أشكاله

الافريقية أى الرعن « ضربة الشمس » أو الجوع أو العطش أو الحيوانات المفترسة أو سهم أو حربة .

وكانت فرائص أعضاء القافلة ترتعد عندما تفكر فى الضيق واليأس الذى يحيق بامرىء ترك على قارعة الطريق وهو يعلم العاقبة التى تترقبه وأن لا أمل له البتة بعد . أما اذا كان المتروك أبا أو ولدا فقد يستطيع الانسان ان يتصور كم كانت آلام الابن أو الأب أو الأخ أو الأم إذ يجب عليهم ان يظلوا ساكتين رغم ضربات السياط التى تقع عليهم من مؤخرة القافلة وان لا يلتفتوا ليودعوا المقبور حيا الوداع الأخير .

ولقد ترك الكاتب باسيلى افندى بقطر اخويه وكان أحدهما شابا والآخر أكبر سنا . ورمى العسكرى المصرى ـ حمدان بنته البالغة أربع سنوات لما أعياه حملها وقد كان يجر رجليه بمشقة مدفوعا إلى الأمام بوقع السياط التى كان ينزلها بشدة على جسمه الكابتن نلسن . وهذا الجندى التعس لم يمتد به زمنه حتى تطول آلامه ويطول ندمه على ما فرط منه قسرا فى جانب ابنته لأنه وقع فى اليوم التالى فى الأرض يطلب من الموت الغوث .

وكان الزنجباريون والوانيما Wanyemas والحمالون الذين أسروا فى الغارات وخدم خط الاستواء يكونون وحدهم ثلثى القافلة . ومع انه كان قد يمكن ان يكون عدد المرضى كثيرا فكان فى الاستطاعة حمل البعض منهم الى ان يشفوا بدون تضحية حتى بشخص واحد منهم إلا انه مع ذلك لم تمتنع التضحية بهم والاخذ فى تسليمهم للحمالين إلا من الوقت الذى انضم فيه الى القافلة المبشران جيرول Girault وشينز Schynse .

ومن موزامبونى اجتازت الحملة غربا بلدا جبليا ثم اتجهت على خط مستقيم نحو الجنوب الى جبل القمر (رونزورى) متتبعة دائما أبدا سفح سلسلة الجبال .

ومن كافاللى الى ساحل الزنجبار لم يعد أمين باشا يتصل باستانلى اتصالا وديا . فكان الأول يسير مع الحملة ولا يهتم باتجاهها . وفقط عندما يكون لدى استانلى قرار بشأن مستخدمى خط الاستواء يرسل پارك Parke إلى أمين باشا لكى يعلن أولئك بذلك القرار بواسطة رئيسهم .

ومن بعد موزامبونى دخلوا أراضى مزروعة موزا فكانوا يستهلكون منه المقدار الأكبر فى اقتياتهم . وكان استانلى يأمر بأن يوزع عليهم موز وقليل من الذرة والفول وقطعة من اللحم مرتين فى الاسبوع وذلك فى يومى الاثنين والجمعة عندما توجد ماشية . ومن وقت إلى آخر يوزع عليهم شىء من البطاطا والقلقاس . وهذه كانت مؤونتهم مدة سفرهم التى استغرقت ثمانية أشهر .

وفى اليوم السابق لاجتياز نهر سمليكى Semliki واليومين التاليين لاجتيازه كان الطريق حسنا ومارا فى سهل رحيب فأراحهم من المشى المهلك فى الجبال . ومع ان الطبيعة كانت تجود عليهم بمحاسنها بعض أيام فى هذا الطريق السهل فان بنى الانسان لم يدعوهم يتمتعون بتلك المحاسن بل فاجئوهم بالعدوان . ذلك أن قبائل البناسورا التابعين لكاباريجا ظهرت دفعتين بعد ان فارقوا سلسلة الجبال وأطلقت عليهم عيارات نارية ثم أدبرت مسرعة .

ولم يكن نهير سمليكي متسعا وكان به زوارق للزنوج وإن هو
إلا أن وقع نظر هؤلاء على القافلة حتى تركوها تعبر النهير عبثا .
واستغرق اجتيازه يومين بدون حدوث أى عارض . وبعد ان عبروا
سهلا شرقى النهير وصلوا فى مدة يومين إلى سلسلة جبال أخرى يقال
لها « رونزورى » فتتبعوها سائرين من جهتها الغربية متجهين من الشمال
الى الجنوب . وقامت قبائل البناسورا أيضا بثلاث هجمات بعد عبور
نهير السمليكي غير انه لم ينشأ عنها ضرر . وبعد ان تركوا هؤلاء لاح
بعض رجال قبيلة الوانيبا وعقب ان صوب جنود الحملة اليهم بعض طلقات
ظهر لحسن الحظ أنهم اخوان وعلى ذلك سكتت فى الحال أصوات البنادق .
وبعد عبور السمليكي والدوران حول سلسلة جبال رونزورى باسبوعين
تقريبا بلغت الحملة سفح الجبل الأعظم ويسميه الأهالى وريكا Wirika .
ثم لاح لها الرونزورى واقفا أمامها بحجمه الضخم الرهيب فكانت بروزاته
تنكشف وتظهر الواحدة تلو الأخرى أو تختفى عن الابصار تبعا لموقعها
وبعدها عن العين . أما ذروته المغطاة بالثلوج فكانت محتجبة بالغيوم . وكانوا
قد رأوا الرونزورى قبل الآن ابتداء من مرتفعات كافاللى فكان
يختفى عند المسير بين المضايق وفى الوديان الصغيرة بينما كان يبدو للعين
عند السير فى المرتفعات . وفى ذات يوم غائم لم يبد للعين شمسه أخذ المطر
يتساقط من الصباح وعند الظهيرة استحال مطرا مدرارا واستمر على هذا
الحال طول الليل فطلب المرضى من أمين باشا ايقاف الحملة وهذا
رأى من واجبه إحالة هذا الطلب الحق على استانلى فضرب به
عرض الحائط .

وقد كانت القافلة منهوكة القوى وكان رجالها يجرون أرجلهم بصعوبة

كبرى أو يسيرون مشتتين فى كل ناحية بدون رابطة ما . وهكذا كانت الحملة ممتدة بطول عـدة كيلومترات ولو كان الاهالى معادين لها لكانت أبيدت لأنها كانت فى حالة لا تستطيع معها مقاومة . وكانت حتى نفس المؤخرة منثورة ومتخلفة كثيرا عن هيئة معظم الحملة لدرجة أنها فى المساء لم تتمكن من ان تعسكر مع القافلة .

ان هذه الحملة التى تألفت لانقاذ أو على الاقـل لمعاونة أمين باشا كانت قد وصلت الى ساحل بحيرة البرت نيانزا فى حالة كانت فيها احوج من غيرها الى المعونة . ولهذا السبب وزع أمين باشا بسخاء على افرادها وكانوا قد وصلوا تقريبا عرايا وجائعين نسيجا من الدامور وماشية وزادا من كل نوع . ولما كان استانلى قد ذهب شطر الغرب ليجيء بمؤخرة الحملة أخـذ معه ١٠١ من زنوج المديرية لنقل الاحمـال التى برسمها « اى المديرية » ولم يرجع من هذا العدد إلا ١٦ وال ٨٥ الآخـرون مع رئيسهم المصرى محمد جداوى ادركتهم المنيـة . وتتألف الاشياء التى برسم امين باشا من بعض أثواب من نسيج القطن ومنسوجات حمـراء من الصوف ومناديل وفوط وأربعة احـذية وقبعة من اللبد وأخرى من التيل « Casque » . وهذا هو كل ما احضرته حمـلة استانلى الى مديرية خط الاستواء ومديرها مع بعض الملابس الداخليـة وجوارب تالفـة و ٣٣ صندوق ذخيرة . وبما انه كان من غير المستطاع مساعدة امين باشا بهـذه الاشياء إلا مساعدة تكاد لا تذكر فلم يمانع فى مسألة انقاذه هـو وبعض رجاله ممتثلا للقوة أكثر من الضرورة . (ولم يغب عن البال ما حـدث فى ٥ أبريل) . وكان من المنتظر ان يعامل على الاقل بشيء من الرعاية والالتفات حسبما كان يرجوه بعـد ان سمع ما جاء بخطاب الخديو ووعود استانلى ولكن

أتت الحالة بالعكس وامتثل رجـــال المديرية الماسكين للضرب بالسياط يكويهم بسيورها اناس من الأوربيين مع سبهم فى الوقت ذاته بوابل من الشتائم مثل : « جـــودام Goddam » أو الكلمة الزنجبارية « كومانيانا Kommaniana » وهى كلمة غليظة سافلة .

وعدا الاربعة الحمالين الذين أعطاهم استانلى لأمين باشا عند كافاللى والثلاثة الذين أعطاهم لكازاتى والاثنـــين اللذين أعطاهما لفيتا حسان كان كل شخص فى القافلة ملزما بأن يستحضر هو لنفسه حماليه وزاده وينقل مرضاه ويقيم كوخه عندما تحط القافلة الى غير ذلك .

وحطت الحمـــلة فى سفح جبل رونزورى مدة يومين ثم اتجهت جنوبا الى أن بلغت شاطىء بحيرة إدوارد بعد مسيرة اثنى عشر يوما . وأقيم المعسكر على قيد فرسخ من البحيرة .

وكان استانلى قد أبان وهو فى كافاللى رغبتـه فى ان يمكث عشرة أيام على الأقل عند بحـــيرة ادوارد ليفحصها ويرسم خريطة لها ولكنه لم يلبث عندها إلا يومين . وكان قد أعرب عن نيته أن ينتظر سليم بك عشرة أيام بجوار جبل رونزورى وعشرين يوما عند بحيرة ادوارد . ولكن شيئا من هذا لم يكن فى نيته ولا قصده لانه بذل كل ما فى وسعه لمنع سليم بك من أن يلحق بالقافلة . وكان يرى فى انضمامه اليها كابوسا على صدره . وسارت الحمـــلة مدة عشرة أيام على ساحل البحيرة على ابعاد منـــه تختلف قربا وبعـــدا . وفى أول يوليـو زايلتـه فى الشمال الغـــربى لتتوغل فى بلدة أنكولة Nkole .

ووقع أثنـــاء مسيرها على طول شاطىء البحيرة خلق كثير فى المرض وتوفى كثيرون خصوصا من الاولاد . وجرحت أيضا أقـــدام الكابتن نلسن فقد كان أصيب بجرح فى بلاد الكونغو ففتح ثانية وصار يعـــانى منه ما عاناه رجال المديرية الذين كان قـد اعتـاد أن يطاردهم بلذعات سوطه وسبابه الذى كان كثيرا ما تتخلله كلمة كومانيانا Kommaniana . وقـد كانت الشفقة منزوعة من قلب نلسن أكثر من كل ضباط استانلى . وكان اليوم الذى عـــين فيـه لقيادة المؤخـرة يوم شؤم ونحس إذ ازدادت الشكاوى وصار الحمـالون الذين كانوا يتهربون من لذعات ضربات السياط التى كانت توزع عليهم بكرم وسخاء يتحينون أقـل فرصة ويفرون تاركـين أحمـالهم أو يأخذونها معهم .

وحضر فيتا حسان لنلسن بنـاء على طلبـــه من عقاقير أعطاه اياها مرهما لجرحه ودعت الحالة الى حمـله على نقـالة مـدة اسبوع إلى ان ختم جرحه . ووقع الجميع من جهـة أخرى فى براثن المرض واحـــدا بعـد الآخر ولم ينج استانلى ولا ضباطـه ولا كازاتى . واستلزمت الأحـــوال حملهـم على نقـالات . أما الذين احتملوا مشاق السفـر بدون ما تدعـو الحالة الى حملهم حتى ولا ساعة واحـــدة فهما اثنـان فقط : أمين باشا وفيتا حسان . وكان الاول يمتطى حمارا ابتـداء من « ماكولو » Makolos والثـانى هو الوحيـد الذى قطع المسافة جميعها من بحيرة البرت إلى ساحل المحيط الهنـــدى مشيا على الأقـدام . وعندما بلغت الحملة بلدة أنكولة Nkole اضطر رجال حمـلة استانلى المنقذون أن يتركوا بعض اناس من رجال المديرية بسبب عدم وجود حمالين وهم : الكاتبان المصريان ابراهيم افندى ترباس و ابراهيم افنـدى طـــاهر و الصاغ المصرى ابراهيم افنـدى حليم و اليـــوزباشى المصرى

عبد الواحـــد افندى مقلد . ولم يكن لدى كل واحد من الثلاثة الأخيرين إلا خادم أو خادمان ولكن كل هــؤلاء كانوا لم يزالوا حديثى السن لا يقدرون على حملهم . أما الاول فكان معه ستة أشخاص بين نساء وأولاد وكان فى امكانه عند الحاجة أن يكلفهم بحمله ولكنه كان يجــول بخاطره قسوة المؤخبــرة فيؤثر ما قدر له من الاخطار المستترة فى عالم الغيب على الآلام الحاضرة وازداد مرضه عما كان وصرح بأنه عجز عن السير فترك فى الطريق . وهـذا هو الرجل الوحيد الذى أظهر أتباعه الوفاء والاخلاص وأبوا مفارقته ولبثوا باقين معه .

وضحى حليم افنـــدى فى سبيل راحة زوجته وهى امرأة مصرية يقال لها خضرة كل ما يمتلك وهـــو مبلغ زهيد قدره ٣٠ ريالا فاعطى هذا المال الى أناس من الزنزباريين ليقيموا فى كل محطة يطول المكث بها عشرة ايام كوخا لزوجته ولما وقع هو مريضا تركته زوجته ملقى على الارض وتابعت سيرها مع الحملة فى الطريق .

وعنـدما وصلت الحمـــلة الى بلد انكولة اصدر استانلى اوامر غاية فى الصرامة ذلك ان لا يمس الزراعة أحـــد وان لا يقتطف اصبع واحدة من الموز حتى لا يكون ذلك باعثا لغضب الأهالى . واستغرق اجتياز هـــذا البلد كل شهر يوليو تقريبا . ففى اليوم الأول اقتاتوا بما كانوا يحملونه من الزاد ثم رخص لهم بجنى الموز والمرور من الحقول . وأن تجلب الخـــدم فى كل دفعة تحط فيها الحمـــلة موزا و فولا و قلقاسا و بسلة وغيرها . وهنا تركت بعض المرضى الذين لا يقدرون على دفع اجرة نقلهم . وكانت الطـريق لا تختلف فى شىء عن الطرق التى وقعت عليها

العـــين قبلا وهى عبارة عن سلسلة جبال لا نهاية لها تضطر المسافر فى بعض الاوقات ان يصعد الى ارتفـــاع الف متر لينزل فيما بعــــد فى دروب مكونة من قطع ضخمة من الاحجار مكدسة بعضها فوق بعض مثل مدرجات الاهرام الماثلة .

وكانت زنجيات الحملة يشددن خواصرهن بمناطق مزركشة بالخرز ويحلين اجيادهن بعقـــود من الخرز اللامع الذى حجم الخرزة منه يضارع حجم البنـــدقة الصغيرة وشكلها مثل كرة من الزجاج . وكان هذا الخرز مطمح انظار أهالى انكولة فيدفعون فى الخرزة الواحـــدة دجاجتين وفى الاربعـــين خروفا . وعندما زار اخو الملك استانلى افتتن هو نفسه بهذا الخرز فاحتفظ لرعاياه بكل الخرز الذى كانوا اخذوه قبلا وطلب غيره من استانلى ولما كان هذا قد انفق كل ما كان عنده منه طلب جمع كل الموجود فى القافلة ليقدمه لصاحب السمو الملكى .

وعبرت الحمـــلة فى نهاية الامر نيل اسكندرا وبلغت فى مسيرها كارجويه وفيها تحرر فى ٢ اغسطس سنة ١٨٨٩ عقد بين امرأة قبطية من القاهرة يقال لها منجدة والحملة اشترط فيه ان هذه تقلها نظرا لمرضها مقابل أجر قدره ريالان فى اليوم الواحد .

وبينما فيتا حسان يتحادث مع امين باشا فى غضون وقوف الحملة حضر الصف ضابط عمر الشرقاوى مع ١٥ جنديا وهم بقيـــة الجنود الذين احضرهم استانلى من مصر وكانوا فى حالة اهتياج وبلغ امين باشا ان واحـــدا من جنوده يقال له فضل المولى قتـــل شخصا من الاهالى بعيار نارى فسلط عليه استانلى الهمج فاقتادوه وقـــد ثقبت النبال جسمه الى محل يقرب من

أكواخهم وأخذوا يرقصون حول هـــذا الجسم المصبوغ بالدماء وقبل ان يقضوا عليه انتزع كل واحد منهم سنا منـه ويعترف رفاق ذلك الجنـــدى انه أذنب ويوافقـون على اعدامه رميا بالرصاص بوصف انه جنـــدى لا على تسليمه للمتوحشين ليطيلوا عذابه . وكان هذا هو نفس رأى امـــين باشا ولكن ذلك العمل تم بدون استشارته وصار الآن وقـــد سبق السيف العـذل لا فائدة من الشكوى . فأخذ يلطف خواطرهم وانصرفوا متبرمين وقلوبهم طافحة باليأس .

وفى ١٤ اغسطس عنـــد دخول الحملة أرض مملكة لانجيرو Languro وزع عليها نقـود « سمبى Sembi » وهـــذا أمر ليس له سابقة . ومن هذه اللحظة الى ان أفضت الحملة الى الساحل صار الزاد لا يؤخــذ مجانا بل كل شخص يتكلف بنفقة مؤونته ودفعها من ماله ومن الاجرة التى كانت تعطى له من الحملة . وهـذه الاجرة كانت ضئيلة ففيتا حسان ومن معـه أى ١١ نفسا لم يستولوا فى ظرف أربعـــة أيام إلا على ٣٥٢ سمبى فقط يعنى ٨ سمبى لكل واحـد فى اليوم وهـذه القيمة تساوى ٢ سولا Sola عبارة عما يقبضه عسكرى ايطالى فى اليوم . ولقـــد يفهم المرء بسهولة انه حتى فى وسط افريقيا ٢ سولا لا تكفى اطعـام رجل مع ان المسكن هناك تحت القبة الزرقاء لا يكلفه قطميرا . وعلى هذا اضطر رجال الحملة ان يتنازلوا عن بعض الاقمشة أو الخـرز الذى كانوا محتفظين به أو الذى كان فى حوزة الخـدم حتى يتمكنوا من الحصول على قوتهم اليومى .

وكان اليوزباشى على افندى شمروخ مريضا ونظـــرا لانشغال حماليه بزوجته التى كانت هى الأخرى مريضة دعتـــه الضرورة أن يخاطب

فى شأن حمله الزنجباريين والتزم ان يتحمل الاجر الذى فرضته عليه الحملة وهو ١٠ ريالات أو بعبارة أخرى ٤٥ فرنكا يوميا وهذه قيمة باهظة يأبى العقل ان يصدقها ولكن ما حيلة المسكين وهو لم يجد أمامه بابا غير هذا يسلكه .

وكان المبشر ماكاى Makai قد اتخذ له محل اقامة على شاطىء بحيرة فكتوريا نيانزا الجنوبى وكانت محلته كبيرة تتألف من جملة دور مبنية من الخشب محمية بسور من الاوتاد والكنيسة قائمة فى وسطها . وبعد ان يجتاز المرء السور يجد مصنعا به آلات وأدوات مختلفة يشتغل فيه عمال من الزنوج متشحين بثياب نظيفة وفوق رؤوسهم قبعات . وهذا المنظر يحمل الانسان على ان يفكر فيما يثمره الحزم المقرون بالاحسان حتى بين متوحشى افريقية . وكانت مساكن الاهالى متجمعة على قيد بضع دقائق من مسكن ماكاى القائم على بعد زهاء نصف فرسخ من البحيرة .

وكانت الاهالى فى ماكولو Makolo قد توصلت لان تشتغل بالتجارة . وكثيرا ما كان يجتاز الاوربيون البلد فى قوافل وكان هؤلاء يدفعون الثمن المحدد حتى عن الماء خرزا من الزجاج .

ولكى يخفف استانلى عن كاهل أتباعه الزنجباريين أمر بتوزيع أقمشة وخرز فى هذا البلد وان يستبدل بها زاد يكفى لثلاثة أشهر وهى المدة اللازمة للوصول للساحل . وبعد هذا التوزيع بقى لدى الحملة بعض طرود كانت تود الخلاص منها فوجدت لها فكرة شيطانية ذلك أن أمر استانلى ان يدفع لجميع موظفى المديرية من الباشا الى آخر جندى مرتب نصف شهر نقدا لحساب الحكومة المصرية وبهذه النقود التى أعطيت لهم باع لهم

هذه الطرود الباقية التى كان يود ان يتخلص منها .

وطالت مدة الاقامة بطرف ماكاى الى ٢٠ يوما اذ ان رجال الحملة كانوا منهوكى القوى وكان لا بد لهم من الراحة لاكتساب العافية وبعد هذه المدة سارت القافلة .

ومن اوزوكوما Osukuma محل اقامة البعثة الانكليزية لغاية الساحل يستعمل الاهالى طريقة الاستبدال كما هو الحال فى بلد الوانيورو . ويسود طول هذه المسافة بعض النظام ولا يتقيد الانسان فيها كما هو الحال فى المراحل التى سلفت بسخاء الاهالى أو الارض . ولم يكن هنالك مزارع موز للميرة ولا حقول يستطاع بواسطتها اطفاء حرارة الجوع والاهالى تبيع لأى كائن كان جميع أنواع حاصلات بلدها بمناديل أو بشىء من نسيج القطن أو خرز من الزجاج ويؤدون ايضا ما يطلب منهم من الخدم فى نظير جعل يقبضونه . وبفضل هذه الظروف لم يكن الانتقال بين الساحل وفيكتوريا نيانزا شاقا ولا خطرا طالما كانت القافلة لا تبث على الاقل فى روع الاهالى المخاوف بكثرة عدد رجالها وقوتها . وهذه هى بالضبط والدقة الحالة التى كانت عليها القافلة فاعترض اهالى اوزوكوما Osukuma مرورها فى الموضع الذى كانت القوافل الصغيرة الأخرى تمر عادة بسهولة منه ومن جملتها قافلة الطبيب جونكر التى كانت مؤلفة من بعض الخدم . وحاولوا منعها من المرور وعلى ذلك حدثت مناوشة شديدة استعملت فيها الحملة لأول مرة مدفعها الرشاش « مكسيم » وانتهز أغلب حماليها فرصة الهرج والمرج ولاذوا بأذيال الفرار واستمر الاهالى فى هجومهم هذا مدة خمسة او ستة ايام أمطروا القافلة فى اثنائها وابلا

من السهام .

وفى بلد الميانوزى Mianwisi انضم الى القافلة المبشران « جيرولت Girault و شينس Shynse » وظـــلوا معها الى ان بلغت الساحل . ولدى وصولها الف استانلى فرقة من الزنوج لحمل المرضى ومن هـــذا الحين امتنع ترك هـؤلاء على قارعة الطريق مثل ما كان جاريا قبل . ولم يقم بهذا العمل الا بعـــد فوات الوقت اذ فى الواقع ونفس الأمر كانت القافلة اضمحلت ومات منها نصفها فى كافاللى فلو كان هـذا العمل الانسانى شرع به من منذ ما ابتـدأت الحملة تسير فى طريقها لكان فى الاستطاعة انقاذ كثيرين من أولئك الذين جىء بهم من خط الاستواء ولم يموتوا هـذه الموتات القظيعة فى بلاد قبائل الهمج المتوحشين .

واستمرت الحملة فى مسيرها بهدوء وسلام بعد هجوم اوزوكاما وكانت تقطع كل يوم مرحلة مدة أربـع أو خمس ساعات . وقبيل ظهيرة اليـــوم كانت تقف القـــافلة على نية ان تعاود السير فى بكور الغد عند الساعة السادسة وكانت تستريح فى كل قرية تجد فيها ما يلزم من القوت أو تجد حمالين تكتريهم للمرحلة القادمة .

ورأت الحمـــلة ذات يوم علما يخفق امامها فى الهواء على قيـــد بعض كيلومترات . وعندما اقتربت منه تحقق لها انه العلم الالمانى فظنت ان هـذه محطة امبابوا Umpapua التى طالما تحدث عنها أمين باشا .

وكان قبل ذلك ببعض أيام وصل الى أمين باشا خطاب من الماجـور ويسمان المندوب الامبراطورى فى افريقية الالمانية الشرقية يقـــول له فيه

انه التزم ان يذهب هو بنفسه الى الساحل غير ان الكابتن شميت كان وصل اليه الأمر ان يستقبله (أى أمين باشا) واتباعه وان يحضر لهم كل ما يحتاجون اليه ويصحبهم الى البحر . ومن وقت وصول هذا الخطاب اليه عادت له طلاقته وبشاشته وفارقته الهموم وكان يشعر بأن أوقات الابتلاء والتجارب مضت وانقضت ورجع له استقلاله وعظمته وكانت قد تغيرت ايضا طباع فيتا حسان وصار ينفر قليلا من جنس البشر من وقت مبارحة كافاللى ولا يجالس أمينا باشا الا نادرا . ولما وصل هذا الخطاب الى أمين باشا استدعاه وأخذ يحاول تشجيعه وبين له ما يخالجه من الآمال قائلا : « انى لا أود ان تفارقنى . انك لازمتنى دواما فى حالتى السراء والضراء وانا لا أنسى قط ما قدمته لى من الخدم . فلا تتوهم انى اترك السودان لأنى عدت مع استانلى . لقد عشت فيه ردحا وافتكر ان ستدركنى منيتى فيه . ولا أظن ان فى استطاعتك ايجاد مركز لك يوافقك فى مصر لأن الاحوال لا بد ان تكون قد تغيرت فيها تغيرا جسيما . وسأجد لك هنا مركزا فى الحكومة الالمانية لكى تظل سرمديا معى . لقد اشتهر الآن فى الخافقين اسمى وآمالى وما نلته من فخر ومجد سيئول اليك حين وفاتى . وانى سأذهب بلا ريب الى القاهرة وسيكون فيها همى الوحيد الاهتمام بالموظفين المرافقين لنا وسأرجع بعد ذلك وانت معى لكن سيكون رجوعنا فى ظروف أخرى غير الظروف الحالية » .

فشكره فيتا حسان على مقاصده الحسنة وأكد له انه سيكون سعيدا لو امكنه البقاء فى صحبته .

كانت محطة امبابوا قائمـــة على مرتفـع مشرف على سهل به مزارع نضرة واشجار جميز مر عليها مئات من السنين يجتازه جدول ماؤه صاف رائق . وكان بهذه المحطة وقتئذ مـــائة جندى سود مدججين بالسلاح مرتدين ملابس حسنة ويقـــوم بقيادتهم ٤ ضباط من الالمان تحت امرة الكابتن شميت Shmidf وتتألف المحطـة من بعض دور مبنيـة يكتنفها سور مشيد من قطع صخرية ضخمة غير مرتبـــة الوضع ويمتـد البصر من المحطة فى أفـق رحب فسيح دائم الخضرة . وكان ضابط من ضباط الحاميـة يشكو من المـرض فذهب اليـــه أمين باشا و بارك Parke وعالجاه فى مـــدة وقوف الحملة .

وكانت اقاليم اوزاجارا Usagara التى اجتـازتها القافـــلة فى ١٥ يوما ارضهـــا خصبة مثـل ارض اوزيجـــوا Usegua والامن العـام ضـارب اطنـابه فى سائـر ربوعهـا وامبـابوا هى المحطـــة الوحيـدة التى تحتلهـا الجنـود الالمانيـــة . ومع انه كان لا يوجد حامية فى القرى الاخرى فالعـــلم الالمـانى يخفق فوق دورهـا فى سـائر النواحى وكان هـذا الدليـل الصـامت على السلطة كافيا لتوطيد النظام والسكينة .

وبعد وقوف ثلاثة أيام فى أمبـابوا تابعت القافلة سيرهـــا ميممة الساحل يرافقهـا الكابتن شميت وبعـد عـدة ايام بلغت سيمبـــا Simba حيث اولم الماجور ويزمان وليمة على شاطىء نهير كنجانى للحملة وهـــذه الوليمـة فاخرة بالنسبة للبـلد المجتاز . وبعد مرحـلة قصيرة دخلت باجامويو Bagamoyo فى ٤ ديسمبر وكان ذلك فى الساعة ٤ بعد الظهر وكان العلم المصرى يرفرف فوق رأسها بينما كان الحصن يحييها باطلاق ٢١ مدفعا .

وعقب ذلك بساعة جمع أمين باشا جميع افراد القافلة وأبلغهم انه أتاه توا برقيتان احداهما من صاحب الجلالة امبراطور المانيا يهنئه فيها بعودته سالما من افريقية والثانية من صاحب السمو الخديو فيها مثل التمنيات السالفة له ولمن معه من الموظفين واخباره بأن الباخرة المنصورة وبها كل ما يلزم للحملة معدة تحت تصرفه لترجعه الى مصر .

وبينما كان الجميع فى غبطة وفرح يخالج نفوسهم لفكرة امكان الاياب فى نهاية الأمر الى ديار مصر خلف رئيسهم اذ طرأت فاجعة هائلة بدلت أفراحهم أتراحا وذلك انه قبيل الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ مساء عند نهاية الوليمة التى أولمها الماجور ويزمان حدث لأمين باشا حادث مفزع حال دون سفره من باجامويو مدة شهرين وهو انه ذهب الى النافذة وهوى منها الى الشارع من ارتفاع أربعة أمتار وقد يجوز ان سقوطه هذا نتج من انحنائه كثيرا عليها . وبادر فيتا حسان فى الذهاب الى المكان الذى سقط فيه ولكنه كان قد نقل قبل ان يصل ، الى المستشفى الذى حظر دخول أى انسان عنده .

وبعد يومين من وقوع هذا الحادث المكدر اضطر فيتا حسان ان يسافر الى زنجبار ومنها أبحر مع كافة رفاقه خلا أمين باشا الى ديار مصر فوصلوا اليها فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٠ .

نتـــائج حمـــلة استانلى

ذكر فيتا حسان ان قافلتهم كانت مؤلفة عند سفرها من كافاللى من اكثر من ٧٠٠ نسمة وحسب رواية استانلى من ٥٥٠ بما فى ذلك ١٧٣ مـوظفـــا مصريا واسرهم وكان الباقى زنوجا ذكورا واناثا مستخدمـين وضباطا وجنـــودا وخـدما وحمالين . ولدى وصولهـــا الى زنزبار كان هـــذا العدد لا يكاد يبلغ المائتين . منـه مصريون ٩٦ مع اسرهم وزهاء ١٠٠ مستخدم وخادم زنجى من اهالى مديرية خـــط الاستواء . وعلى ذلك يكون قد وصل من ال ٧٠٠ شخص الذين سافروا من كافاللى مع استانلى الى الساحـــل ٢٠٠ شخص فقط والباقى ترك فى الطريق ميتا أو مريضا ما عـدا زهاء ٢٥٠ خادما هربوا بسبب سوء المعاملة .

واليك بيانا بالبيض الذين لم يبلغوا السـاحل :ـــ

(١) الذين ادركتهم المنيـة فى الطريق : من الضباط على افندى شمروخ و سليمان افندى عبد الرحيم . ومن الكتبة : واصف افنـدى و يوسف افندى فهمى .
ومن غيرهم : محمد خير و الحاجه أم عثمان والدة وكيل المديرية عثمان افندى لطيف و عزيزة كريمة حسن افندى .

(٢) الذين تركوا فى الطريق : من الضباط : ابراهيم افندى حليم و عبد الواحـد افندى مقلد . ومن الكتبة توما افندى و احمـد افندى

ابراهيم و ابراهيم افندى طاهر و ابراهيم افندى ترباس . ومن غيرهم : محمد رشدى و محمد مطلق و محمد عماد و هوارى جمعه و حمدان احمد و محبوب ابراهيم و محمد عرابى و محمد أمين و فطومة بنت الشيخ . هذا عدا ٨٠ فى المائة من الاولاد وأغلبهم من أمهات زنوج .

ومن الواضح الجلى ان رحلة كهذه من بحيرة البرت نيانزا الى الساحل فيها كثير من التعب والمشاق فى ذاك الوقت إلا انه أيضا من المحقق انه لو كانت حملة منقذيهم راعت ان قافلتهم تمتاز ولو شيئا قليلا عن قطيع من الانعام ما كان لازمها النحس وحلت بها كل هذه الخطوب . وفى غضون كل هذه الأسفار الطويلة لم ينقصها مرة الزاد . واذن لا يمكن أن تعزى خسائرها الى الجوع وكذلك لم يلحقها ضرر يذكر من الاهالى . والعدو الوحيد الذى فتك بصفوفها وأنقص عددها هو التعب والامراض . فلو استنزلنا عدد الخدم الذين تعلقوا بأذيال الفرار لا نخفض عدد القافلة الى ٤٥٠ نسمة . ومن المعلوم انه لا يمكن مع ذلك ان يقضى على ٢٥٠ من ٤٥٠ فى ظرف ثمانية شهور بأمراض عادية اذا وجد من يعتنى بهم أقل عناية واذا كانوا لم يساقوا بالسياط سوق الانعام حتى أنهم لو كانوا قافلة أرقاء ما كانوا يساقون بقسوة تفوق هذه القسوة البربرية . ولو استطاع أناس مديرية خط الاستواء ان يتكهنوا بما خبىء لهم فى هذه الرحلة ما استطاع اغراء ولا قوة ان تزحزحهم من بلادهم واقناعهم بالسفر . فما من مصرى يقدر ان يشعر بعاطفة ميل أو ود نحو استانلى الذى اشترك اشتراكا فعليا فى اقتطاع أحسن وأفيد مديرية من مديريات مصر فى السودان ولكن لا مندوحة من الاعتراف بأنه رجل صبور على

المكاره وذو بأس نادر استعمله وبالأسف ضدنا . ولكن حكومة مصر فى ذلك العصر هى التى تستوجب منـــا أشد اللوم لسذاجتها التى أوقعتها فى هـذا الشرك وورطتها فى التوقيع على سلخ هـذه المديرية من السودان المصرى فى الوقت الذى لم يكن عليها سوى ان تترك هؤلاء الجنود حيث كانوا ولو التزمت هذه الخطة لثبت هؤلاء فيها الى ان أعيد افتتاح السودان .

وهذا هو الذى وقع . فقد ظل أولئك الجنود فى اماكنهم هناك لغاية ان أتت شركة شرق افريقية الانكليزية وجندتهم فى خدمتها وهكذا برجال مصر وسلاح مصر استولت على مديرية من مديرياتها كما يتضح ذلك لمن تتبع فى هذه القصة ما حدث بعد سفر أمين باشا .

١ — ملحق سنة ١٨٨٩ م

رحلة اليوزباشي كازاتي في مديرية خط الاستواء

القسم العاشر

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

ولما وصل أمين باشا الى تونجورو Toungourou أرسل خطابا الى شيخ القرية المزمع وصول استانلي اليها ليسلمه له عند مجيئه . وبعد قليل قدم استانلي الى هناك . وفى ٢٦ يناير ورد الى أمين باشا وجفسن Gephson خطابات من استانلي منبئة بوصوله صور فيها الموقف الذى عليه القسم الأكبر من الحملة فى صورة تولد الخيبة فى النفوس واستخدم الخطايا التى اقترفها الآخرون ليوارى ما وقع منه هو نفسه من الخطايا . وذكر انه عندما عثر على مؤخرته لم يجد بها سوى ضابط واحد من خمسة ضباط و ١٠٢ من ٢٧١ رجلا . وكان استانلي فى قلق وهم للموقف المحزن الذى باتت فيه رجاله حتى انه ذهب عن باله الغرض الوحيد الذى تألفت حملته لأجله أو الغرض الذى أذيع على الاقل انه قدم من أجله . ألا وهو : خلاص أمين باشا ، لدرجة ان أظهر نفسه بمظهر العاجز عن بلوغ هذه الغاية . وتهرب خلف انذار نهائى صرح فيه بأجل قصير وكتبه بلهجة تشعر بشىء من قلة الذوق . واستدعى أخيرا جفسن

للذهاب اليه وترك أمينا باشا يدبر أموره بنفسه لانه لا يريد أو لا يقدر ان يحاول القيام بعمل لخلاصه .

وكتب أمين باشا خطابا الى سليم افندى مطر ينبئه فيه بقدوم استانلى ويطلب منه اعداد باخرة النقل الى ورى محل وجوده . وأشار فى الوقت نفسه بانتداب لجنة من الضباط للذهاب الى استانلى وصرح بأنه لن يبارح تونجورو قبل بضعة أيام . وأعلن جفسن من ناحيته رئيس الحكومة الوقتية بأن حملة الانقاذ على وشك العودة وان الحاجة ماسة لتوريد ٤٢ ناب فيل لتعطى أجرة للاثنين والأربعين حمالا نظير نقل الاثنين والأربعين حملا التى أحضرتهم للباشا .

وفى ٢٨ يناير سافر جفسن من تونجورو الى مسوه Mswa ولكن عند وصوله الى هذه المحطة الاخيرة رجعت الباخرة الخديو التى أحضرته اليها الى تونجورو واضطر ان يقطع المسافة بين مسوه وورى على زورق أحضره له شكرى افندى قائد المحطة .

وغادرهم جفسن وهو متيقن انه لن يراهم بعد وكان يلح على أمين باشا لغاية آخر برهة أن يسافر معه غير ان كازاتى فى هذه المرة وفق تمام التوفيق وأصغى الباشا الى مشورته بالبقاء وان لا يفارق تونجورو قبل ان يتداول مع ضباط وادلاى .

ولم يحدث رجوع استانلى رجة وقلقا عظيما فى وادلاي لأن جميع الناس فيها كانوا لم يزالوا فى ذعر ووجل من الصدمة الهائلة التى منيت بها الحكومة من جراء الهجمة الاخيرة التى هدت قواها وزعزعت أركانها

وصيرتها عرضة للأخطار . نعم أنه مما لا جدال فيه ان العدو رجع مهزوما ولكن هذا النصر كان معتبرا من تلك الانتصارات التى فيهما خسارة الغالب تربو على خسارة المغلوب لأن ذلك النصر استنفد كل وسائل الدفاع التى كانت فى المديرية وجسرأ علاوة على ذلك الأهالى على الحكومة فصيرهم واقفين لها على قدم الاستعداد فى كل وقت متحينين أى ضعف يبدو منها لشن الغارات . وأحدثت رغبة بعضهم فى الرجوع الى مصر وانشغال بال البعض الآخر بسبب نفاد الزاد مآلا واحدا وعاقبة واحدة عند الفريق الأول والثانى ذلك انهما قابلا مع تباين حالتيهما بفرح وسرور خبر قدوم استانلى .

وحدث مع ذلك اشكال بصدد المفاوضة مع استانلى إذ من المحقق أنه لا يقبل المحادثة مع أحد غير الباشا وبالأحرى لا يقبل ذلك مع ضباط ثائرين . وقد تعين وفد من ستة ضباط ليذهب الى تونجورو ومنها لمعسكر استانلى تحت كنف الباشا ولكن لما مثل سليم افندى مطر بين يدى الباشا وطلب منه مرافقة الوفد وأن يسهل له بتوسطه ما يتخذه من الاجراءات رفض أمين باشا رفضا باتا واحتج بأن الخديو عينه رئيسا للمديرية فلا يمكنه ان يعترف ضمنا بما تأتيه حركة الثورة من الاعمال حتى لا يجلب على نفسه مسئولية عن ذلك أمام رؤسائه وانه اذا كان لا يمكنه ان يعترف ضمنا بذلك فهو بالأحرى لا يقبل القيام بعمل حقير الا وهو وظيفة المترجم التى يراد اسنادها اليه .

وللخروج من هذا المأزق الموجب للحيرة والارتباك جاهر كازاتى بأن رجوع أمين باشا لتسلم مقاليد الحكم هو الوسيلة الوحيدة للنجاة وان

هذه الوسيلة هي التي يمكن الاعتماد عليها في الخروج منه . وكان لم يبق لأمين باشا غير قليل من الامال الا ان هذا التصريح حرك في نفسه عوامل الطمع وبث فيه الرغبة للأخذ بالثأر فأبدى استحسانه لهذه الخطة .

وكان من السهل على كازاتي في الظروف التي كانت تكتنف المديرية ان يجد له مناصرين لتنفيذ مشروعه وبالاخص بين أولئك الذين يرغبون العودة الى مصر وقام بينه وبين من كانوا في توبجورو عدة مناقشات واخيرا تقرر الرجوع في ذلك الى ما يختاره الضباط والمستخدمون الذين في وادلاي . وفي اثناء انتظار الاجابة اتفقت الآراء على الانتقال الى مسوه ليكونوا في موضع قريب من معسكر استانلي . وبالفعل تم الانتقال اليها .

وعندما صاروا في مسوه تذرع كازاتي بقصر المدة التي ضربها استانلي واقترح على سليم افندي مطر ان يذهب الاشخاص الذين يرغبون في السفر الى امين باشا ويقدموا له معاذيرهم ويلتمسوا منه ان يتنازل ويرجع لتسلم اعنة الوظيفة التي قلدها له الخديو وقبل هذا الاقتراح كل من كان في مسوه وعمل بذلك محضر نسخت منه عدة صور وارسلت الى توبجورو و وادلاي لعرضها على الذين في هاتين المحطتين للتوقيع عليها .

وتوجه المندوبون الى امين باشا لتتميم المهمة التي القيت على عاتقهم . وقد قبل امين باشا التماسهم وفي ٩ فبراير عاد الى تسلم مقاليد الأعمال ورقي البكباشي سليم افندي مطر الى رتبة القائمقام وعينه علاوة على ذلك وكيل مديرية .

ومنح ترقيات أخرى نظير تأدية أعمال حربية متنوعة فى موقعة دوفيليه . وبعد ان أصدر أمين باشا الأوامر اللازمة بشأن اخلاء المحطات أقلع الى معسكر استانلى فى ويرى هو وسكرتيره وبعض الضباط .

وعهد الى عثمان افندى لطيف الذى ترقى حديثا لرتبة البكباشى استقبال من يأتى ويرسله الى المعسكر المعد لحشد الجنود . وكان عثمان افندى هذا من عام ١٨٨٢ م وكيلا للمديرية . وقضى نحو عشرين عاما فى السودان شغل فى أثنائها عدة مناصب . وعلى أثر خلاف شجر بينه وبين قائد دوفيليه فصل من وظيفته ولم يعد الى الخدمة إلا حديثا .

واستغرق السفر من مسوه الى ويرى يومين تداول فى خلالهما أمين باشا وكازاتى فى الخطة الواجب اتباعها . وكان على أمين باشا واجب لا بد من تأديته . وذلك الواجب يحتم عليه ان لا يفارق القائمقام سليم بك مطر ولا فردا واحدا من أولئك الاشخاص الذين برهنوا عند انعقاد اجتماعهم فى مسوه على احترام النظام وعدم التخلف عن التضحية وبذل النفس . وهذا ما كان يمليه عليه واجب الاعتراف والاقرار لهم بالجميل . وكان عليه من ناحية أخرى ان يضع نصب عينيه تتميم المهمة التى القاها الخديو على عاتقه وهى السهر على الجميع . وعلى ذلك كان من المحتم على الباشا ان يحتفظ بحريته التامة فى ابداء رأيه الشخصى الى اللحظة التى يكون فيها جميع رجاله قد اخذوا استعداداتهم للسفر .

وكان موقع « ويرى » صالحا للغاية لدنو البواخر من الشاطىء ووضعه بهذه الكيفية يسهل المواصلة مع معسكر استانلى فى كافاللى . وكان وصولهم الى ويرى فى ١٦ فبراير . وسار أمين باشا وضباطه مولين وجوههم

شطر معسكر استانلى . وفى ٢٠ فبراير قدم المسيو بونى ومعه ٣٠ زنجباريا و ٦٤ حمالا لأخذ أمتعة الباشا .

ورجـــع أمين باشا فى ٢٢ منه وأخبر كازاتى بالتدابير التى اتخذها هو واستانلى وقال انه لم ينبس لاستانلى ببنت شفة بصدد ما عنده من البواعث التى كان يجب عليه ان يبديها له .

وفى ٢٦ منه رجع الى معسكر استانلى بعد ان علم ان مجلس وادلاى الذى أرسل إليه قـــرار مسوه أبى ان يوافق على هذا القرار وثبت خلع الباشا من منصبه وعين فضل المولى افنـــدى لادارة شئون المديرية ومنحه رتبة قائمقام .

أما سليم بك مطر والضباط الآخرون الذين كانوا توجهوا لمقـــابلة استانلى فقد رجعوا مبتهجين فرحين بما لاقـــوه من حسن الوفادة . وقد كانوا ينتظرون منه بعد حوادث الشهور الاخيرة اللوم والتعنيف ولكنه قابلهم بالبشاشة والايناس والقول اللين اللطيف وسلمهم رسالة ليبلغوها لضباط وموظفى وادلاى .

(وهذه الرسالة مذكورة فى الملحق الثانى لهذه السنة) .

وأطلع سليم بك كازاتى على هذه الرسالة فلفت نظـــره ما بها من ابهام وغمـــوض فيما يتعلق بالاشخاص المقصودين بها والظروف التى رمت اليها . وكذلك بالنسبة للأسلوب الذى أشارت به الى سيطرة الباشا وتدخله فى تنظيم العودة لأن المسئولية الملقاة على عاتق هذا أمام الخديو كانت أكبر من مسئولية أى شخص آخر .

واتخـــذ سليم بك طريقه فى اليوم ذاته الى وادلاى وقد عقـــد النية ووطد العـزم على ان لا يدع فضل المولى بك يتغلب عليه . ووجـــه اليه كازاتى النصح بأن يعجل ترحيل الرجال وأسرهم وقال له : « عسى أن نراك قريبا » . ولم تخرج هذه الكلمات إلا من شفتيه لأن الصعاب التى كان لا بد له من اقتحامها والتغلب عليهـــا والشروط المدونة بالرسالة وكذلك اختلال النظام وفقدانه كلية كل هذه كانت موانع تحول دون الوفاء بالوعود التى أعطيت .

ولبث كازاتى فى ورى الى أول مارس وهـــو التاريخ الذى سافر فيـه فيتا حسان وسافر هـو على أثره فى اليوم التالى وبلغ معسكر حملة استانلى القائم فى كافاللى فى ٣ منـه وحط فيـه رحاله . وكان الدخـول الى هذا المعسكر من الباب الجنوبى . وقد كان العـــلم المصرى يخفق فى ذروة سارية قائمة فى نهاية الميدان الرحب الواقع فى وسطه . والحراسة فيه موكول أمرها للزنجباريين تحت مباشرة ضابط انجليزى رأسا . وكان يوزع خصيصا على رجال أمـين باشا اسبوعيا مقدار من اللحم . ولا توزع الأطعمة يوميا الا على رجال الحملة دون سواهم . أما السيطرة فكانت محصورة كلها فى شخص استانلى وضباطـه ولم يكن للباشا الا سيادة وهميـة لا غير . وكان استانلى يهز فى أمين باشا العرق الحساس بأن يحييه بتسميته « العالم الملحق بالحملة » وقد لا تخلو هذه التسمية من التهكم .

وتتابع نقل الأمتعـة كما تعهـــد بذلك استانـلى من معسكر ورى الى كافاللى ابتداء من ١٤ فبراير . وكان الذى يقوم بهـذا العمل الزنجباريون يعاونهم الأهالى إلا أنه ما كان يخلو الحال من أن يبدو من هؤلاء شيء من

عدم الطاعة وعندئذ يكون جزاؤهم الجلد .

وكان قليلا ما ترد أخبار من وادلاى فينشأ عن ذلك تأويلات وتقولات متضاربة . وكان استانلى لا ينتظر للبدء فى الرحيل الا ابلال بعض الزنزباريين ولذا قد حدد تاريخ سفره عندئذ وقد يكون فى الغالب قد اتخذ قراره هذا وقتما خاطب ضباط وادلاى بقوله : « مهلة مناسبة » .

ففى المرة الأولى تعين السفر فى ٢٥ مارس ورضى أمين باشا بذلك ثم تأجل الى ١٠ أبريل فقبل أمين باشا هذا الميعاد أيضا . وشافه جفسن فى هذا الشأن كازاتى فى ١٤ مارس فلاحظ هذا بحسن نية وصدق طوية أنه من رابع المستحيلات حشد جميع أولئك الذين عقدوا النية على السفر فى ظرف ٢٥ يوما . وأن تحديد أجل قريب كهذا معناه الرغبة فى ترك عدد كبير من رجال أمين باشا . وفاتح كازاتى فى ذلك أمين باشا فصرح له هذا بأنه ما زال يرغب انتظار أتباعه ويؤثر الانفصال عن استانلى إذا سافر قبل وصول الجميع .

وفى ٢٥ مارس ورد خطاب موقع عليه من ٣٦ ضابطا من وادلاى وفيه يعلنون بعبارة بسيطة وصريحة بدون أن يبدوا أى احتجاج انهم قرروا بالاجماع الرجوع الى مصر وكان اسم فضل المولى بك والثائرين الآخرين مذكورا بين أسماء الموقعين .

ورأى استانلى فى هذا ما يكفيه لأن يرفع عقيرته مناديا : يا للخيانة ! ولأن يعقد مجلسا برياسته بحضور أمين باشا ويقرر تعجيل السفر وترك

من بوادلاى . والكابتن نلسن وحده تشدد فى الكلام . غير أن الباشا لا يستطيع أن يقبل التعجيل هكذا بالسفر بدون الاخلال بواجباته . ولكن ما العمل واستانلى يريد ذلك . وتأيد بالفعل السفر فى ١٠ أبريل بقبول صريح من الباشا .

ولم يتصل كل هذا بكازاتى إلا بعد ظهر الغد . وقدم استانلى وعرض على كازاتى بايجاز موقف الحملة الحرج وأطلعه على ما دار بينه وبين الباشا من الحديث وتأسف من اهمال أتباع الباشا وبطئهم ومن تخلفهم كلية عن الحضور . وختم كلامه بأن صرح بأنه فى ريب من نيات ضباط وادلاى وان الباشا متكدر من ذلك . وقال أيضا : وهل من واجباته هو (أى استانلى) ان يعرض الحملة الموكول اليه أمرها الى خطر محقق ؟ أو ليس من واجبات أمين باشا ان يفكر تجاه هذا الخطر فى سلامته هو نفسه ولا يخاطر فى سبيل اناس أهانوه وسجنوه ؟

فأجابه كازاتى ان واجبه يقضى عليه بلا نزاع ان يحافظ على الحملة التى عهد اليه أمرها . أما فيما يختص بواجبات والتزامات الباشا فهو لا يشاطره رأيه لأنه يعتبره مرتبطا بصك الطاعة والخضوع الذى تسلمه فى مسوه فى ٨ فبراير .

وأرسل استانلى يطلب من الباشا القدوم اليه وأعاد عليه السؤالين الأخيرين اللذين كان وجهها الى كازاتى فأكد له انه لا يعتبر نفسه مرتبطا البتة وانه ما قبل فى مسوه إلا لأنه لم يجد أمامه منفذا آخر ليبارح منه المديرية . ولما انت استانلى نظر كازاتى لموافقة رأيه هو لرأى أمين باشا أجاب هذا انه متمسك برأيه وانهم مطلقو السراح فى آرائهم وان لا مانع

يمنعهم من عمل ما يستحسنونه .

ولم يلبث الفرح والابتهاج الذى أثارته الرسالة الواردة من وادلاى وقتا طويلا لأن قرار السفر كدر العدد الاكبر كدرا لا مزيد عليه وأبدى هذا الفريق كدره علانيـة . ومع أن كازاتى قد اتخذ العزلة شعاره فى معيشته واطرح تقريبا مباشرة الناس هزته أشواق حب الاستطلاع لأن يعرف ما يجول بخاطر الضباط وقد شاءت المقادير ان تسبقه فى تحقيق رغبته فأتاه فى الغد لزيارته البكباشى حواش افندى و عثمان افندى لطيف و اليوزباشى ابراهيم افندى حليم و الملازم الأول على افندى شمروخ واعربوا بالاجماع عن عدم ارتياحهم لترك اخوانهم فى وادلاى مجردين من الميرة والذخيرة ولا مفر لهم من الوقوع غنيمة باردة بين براثن أعدائهم كما أبدوا استياءهم من سلوك الباشا .

ولما كان استانلى قد عقد النية على أن لا يحيد عن خطته أمر الكابتن نلسن بمبارحة المعسكر فى ٢٩ مارس ليبعث بكل الذين فى ورى الى كاقاللى . والآن يزعم ويؤكد رئيس الحملة وضباطه أن مهمتهم تنحصر فى خلاص أمين باشا وأنقاذه وصمموا على ترك الجنود والمبادرة برجوعهم هم أنفسهم .

وارتبك أمين باشا واحتار فى أمره وصار لا يدرى ما يصنع . فقد كان يرغب من جهة رغبة شديدة ان يجعل بينه وبين رؤساء الفتنة جبالا ووديانا غير انه كان يكره من جهة أخرى كراهة لا تقل شدة عن رغبته فى مفارقة أولئك الرؤساء ، ان يسلم نفسه مكتوف اليدين والرجلين للانكليز بحيث يمسى غير صالح إلا ان يكون سلبا من أسلابهم وغنيمة

من بين غنائمهم وازداد ترددا فى أعماله . وأخـــذ يتلمس ذات اليمين وذات اليسار عله يهتدى لطريق النجاة بدون ان يقر حزبا من الحزبين وزاد بعمله هذا الموقف تعقيدا بدلا من تسهيله وتبسيطه .

وأخـــذت مراجل استانلى تغلى جزعا وفرغ صبره . وكانت الاخبار التى تصل اليه تدعـه فى ريب من مقاصد الباشا . وجاءت أخبار قرب إتمام اخلاء وادلاى فمهدت له سبيل اقتحام الامور .

وفى ٥ أبريل أصدر التعليمات الـــتى اقتضتها المصلحة ثم توجه عنـــد أمين باشا . وبعد ان كلفه بأن لا يخبر أحدا بما سيقوله له أخـــبره بأنه حدث فى أثناء الليل محاولة الغـرض منها سرقة أسلحة الزنجباريين وان هنالك مؤامرة ضده وان النية معقودة على مقاومة قرار السفر .

فأجابه أمين باشا انه يعتقـد بأنه لا يوجـد شخص واحـد يتجرأ على ان يحاول القيام بالامر الذى أريد إدخاله فى ذهنه .

فأجـــابه استانلى بأنه لا يريد ختلا ولا مواربة وان لديه اقتراحين يجب عرضهما عليه : أولهما انه عول على حصار المعسكر فى بكور غد بعساكر من الزنجباريين واصدار أمره بالسفر فى الحال واذا حـــدثت مقاومة فعندئذ يستعمل السلاح . والثانى ترحيله مع حرس بدون ان يشعر أحـد واللحاق به بعـــد بضع ساعات . فرفض أمين باشا الاقـتراحين قائلا انه لا يمكنه ان يترك كازاتى و فيتا حسان و ماركو . فأجابه بأن لا داعى للحزن ولا للخـوف عليهم وانه متى استقر فى مكان يذهب هـو فى طلبهم وينتزعهم بالقـوة الجبرية من أيدى المصريين اذا استدعت ذلك الاحـــوال . فأجابه

أمين باشا انه لا يرى ضرورة للالتجاء لوسائل كهذه ما دامت الحملة ازمعت على السفر فى ١٠ أبريل .

وعندئذ استشاط استانلى غضبا ولم يقف غضبه عند حد وضرب الارض برجله وصاح بصوت مخنوق من الغيظ : « جـودام . استودعك الله . وليسقط على رأسك ما يهدر من الدماء ! »

وقفز الى الخارج ونفخ فى صفارته وهرع الى مضربه وخرج منه وبندقيته فى يده وكان الزنجباريون محشودين فى الميدان وجانب منهم يخفر خارج المعسكر وقلبت المضارب ظهرا لبطن وتكدست الامتعة وصناديق الذخيرة أكواما .

وشاهد كازاتى وهو واقف على عتبة مسكنه هذا المنظر الخارق العادة وهذا الاستعراض غير المألوف وجال فى خاطره بادىء بدء ان رجال الحملة شارعون فى القيام بعمل مناورات لأجل السفر المزمع حصوله .

واستفهم كازاتى من الذين كانوا يمرون أمامه عن جلية الخبر فلم يرد ولا واحد منهم له غليلا اذ الكل كانوا يجهلون سبب حدوث هذه الحركة . وبعث بخادمه الى أمين باشا فعاد وقال له ان الباشا يعد معدات السفر وان الحملة سترحل فى التو والساعة .

وذهب كازاتى الى أمين باشا فوجده شاحب اللون يكاد يتميز من الغيظ . وقال له بصوت يرتجف انهم شرعوا فى السفر وان استانلى داس كل شعائر الحشمة واللياقة وذلك بشتمه ثم انعقد لسانه لأنه وعد بأن لا يتكلم . وكان أمين باشا رازحا تحت تأثير الخوف يخشى ان تحدث استانلى امارته

بالسوء ان ينفذ الاقتراح الاول الذى كان عرضه عليه .

وكانوا شارعين فى حشد جميع الحاضرين من موظفى مديرية خط الاستواء فى الميدان . وكان كل هـؤلاء الناس مبهوتين حيارى سابحين فى بحار من الهم والغم لا يدرون كيف يفكرون ولا فيم يفكرون . وكان آخر من وصل منهم أمين باشا وكازاتى .

وصاح استانلى فى الحاضرين وهـو فى أشد حالات الهيجان من الغضب : « أنا وحدى الحاكم الآمر هنا . واذا كان أحدكم تحدثه نفسه ان يقاومنى أرديه ببندقيتى هذه وأطؤه بقدمى . وليمض الآن أولئك الذين يبغون السفر معى الى هذه الناحية » .

ومضى الجميع الى النـاحية التى أشار اليها . وأحضر الرؤساء المتهمون بعمـل المؤامرة بين يدى استانلى فأمر بتجريدهم من أسلحتهم وزجهم فى السجن .

وأوضح استانلى لهم انه يطلب منهم طاعة عمياء وان عليه ان يزودهم بحاجاتهم على طول الطريق وانه وطن العزم على ان لا يدع النظـام يختل مرة أخرى كما حـدث فى دوفيليه ووادلاى . وان السفر قد تحـدد نهائيا فى ١٠ أبريل . وصار المعسكر ابتداء من ذلك اليوم كأنه فى حالة حصار وتضاعفت نقط الحراسة وأخذ العسس يغدون ويروحون دائما أبدا فى الليل وحظر على الناس الخروج بعد غروب الشمس .

وعمـل احصاء عام ظهر منه ان عدد رجال حملة الانقاذ يبلغ ٣٥٠ رجـلا منهم ٢٥٠ مسلحون وعـدد الذين حضروا من مديرية خط

الاستواء ٥٧٠ نسمة منهم ٤٠ مسلحون . وهـــذا العدد الاخير هـــو الذى ارتعدت منه فرائص استانلى وخشى منـــه على حياته . ورفض أمين باشا الاشتراك فى هذه الاحصائية .

وفى صباح يوم ١٠ أبريل دوى صوت صفارة استانلى فى الهواء واتخذت الحملة سبيلها بعد حرق المعسكر وهدمه .

وكان رجال المديرية غير راضين عن الحالة إذ انه ما كان غاب عن بالهم التدابير التى كان اتخذها ولا ترك رفاقهم فى وادلاى ولذلك بعـــد مسيرة يومين هرب منهم ليـــلا تحت جنح الظلام ٦٩ نفسا . فكدر ذلك الحادث الضباط وأحزنهم . وأبلغ واحد منهم الباشا ما حدث فجزع لذلك وعمل فى الحال بجد لاغلاق هذا الباب . وفى مساء نفس اليوم جمع أتباعه ونبههم الى الخطر الذى يحيق بهم وجرد من السلاح كثيرا ممن اشتبه فيهم ومن ضمنهم أربعة من خدمه .

وفى ٢٧ أبريل قـــام مجلس بعمـــل تحقيق بقصد تلافى تيار ذلك الهـــرب الذى ربما أدى الى تعريض قوة القافلة وأمنها للخطر . وبعد ان انعقدت الجلسة عـــدة ساعات تبين لها فى نهـــاية الأمر ان خدم الباشا الأربعة تآمروا بقصد الرجـــوع الى وادلاى وذلك بتحريض من ريحان . وكان ريحان هذا شابا زنجيا قـــد اصطفاه استانلى لنفسه فقص على الاربعة الخـــدم ما حاق بالقافلة من أنواع العـــذاب الذى لا يضارعه سوى عذاب الجحيم . وبعد المداولة حكم المجلس عليهم بالجلد بالسياط .

ولما أعوز الحملة الحمـــالون التجأت الى شن الغارات وهذه لم تأت بثمرة تذكر . وبعد مسيرة عدة أيام وقع استانلى فى مرض شديد الوطأة وقام بتطبيبه أمين باشا والدكتور بارك Parke طبيب حملة النجدة .

وكان استانلى قد احتفظ بالاثنين والستين صندوق الذخيرة التى كان تسلمها من الحكومة المصرية برسم أمين باشا ولم يشأ تسليمها لرؤساء وادلاى خوفا من أن يعرض ذلك ـ حسب رأيه ـ حملتـــه للخطر . أما أمين باشا الذى كان قد اعتاد أن يطـــوى ارادته طى السجل أمام تحكمات ارادة استانلى فلم يستطع ان يبدى أية اشارة بهذا الصدد سواء أكان بالقول أم بالفعل خوفا من ان يعرض نفسه لغضب استانلى مرة أخــــرى . ومع ذلك لابد ان يكون قد جال فى خاطره هـذا الامر وقلبه يطفح بالحسرات عندما علم عقب التخلى عن رجاله فى وادلاى ان هؤلاء أمسوا عرضة لتعـدى المهديين والاهالى .

ولما رأى استانلى انه فى غـــير حيز الامكان جمع حمالين اضطر الى ترك هـذه الذخيرة وأمر بدفنها وكلف الملازم استيرز Staires بذلك فنفـذ ما كلف به فى ليل ٢٩ أبريل .

واستمر أفـــراد رجال القافلة فى الفرار ولم تغن شدة اليقظة والمراقبة فتيلا فحـــل بالضباط الهم والغم بسبب الموقف الذى هم صائرون اليه وطلبوا من استانلى ان يسفر حملة مسلحة الى ورى لجمع الفارين اليها . فقبل ذلك وصرح لهم بـ ٣٠ زنجبـــاريا وانضم هـؤلاء الى اتباع أمين باشا الذين تحت امرة اليوزباشي شكرى افندى وفى أول مايو رجـــع شكرى افندى ومعه ٩ من الهاربين ومن ضمنهم ريحان الشهير . ولما كان استانلى غير مرتاح

لحكم المجلس السالف ويرى فى هذا الصدد ان يقوم بعمل صارم يكون فيه عبرة وموعظة أمر باعدام ريحان شنقا فى الحال ونفذ الامر . ولبثت جثته معلقة فى الهواء الى اليوم التالى ثم القيت طعاما للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة .

وفى ٢ مايو عاودت القافلة المسير . وفى الايام الأول كان البلد الذى يجتازونه صعب المسالك كثير المنخفضات والمرتفعات فعانى الكثيرون فيهما الامرين سواء أكان من الحمى أم من التعب لاسيما المصريين وصارت أقدامهم فى حالة يرثى لها . وطلب المرضى مرارا وتكرارا الراحة فكان أمين باشا يشير عليهم ان يوجهوا طلبهم الى استانلى وهذا يردهم الى الباشا بدعوى ان ليس له صفة لأن يتخذ قرارا فيما يختص بأناس غير موضوعين تحت سيطرته مباشرة . فكان هؤلاء المغلوبون على أمرهم يزحفون وهم يلعنون الساعة التى وثقوا فيها بأولئك الذين وعدوهم بالانقاذ واليوم الذى اطمأنوا فيه اليهم .

وكان كل يوم يمر له ضحايا ويزيد عبء أولئك الذين بقوا على قيد الحياة أثقالا . وكان الموظفون يشتكون من المظالم التى يستهدفون لها والخدم يعرضون آثار الوحشية التى جادوا بها عليهم للعيان وهم ينوءون بأحمالهم ويئنون . وكان على النقيض من ذلك لا يغفل الضباط الانكليز طرفة عين عن الاسراع فى السير وحث المتخلفين عليه . وكانوا يتوسعون فى الحق الذى منحوه لأنفسهم عفوا بأن لا يبالوا بآلام غيرهم وان يستعملوا وسائل الشدة والضغط . وكان الزنجباريون أيضا يرون كل شيء مباحا لهم حتى لا يكونوا أقل شدة وضغطا من اربابهم الانكليز .

وفى ٨ مايو لحق الكاتب أيوب افندى الحملة . وكان معه خطاب من سليم بك مطـــر قال فيه بعد ان ذكر حشد الجنود والموظفين الذين استقر بهـــم الرأى على السفر فى مسوه : « ليس لدينا ذخـــيرة لأننا التزمنا أن نترك جميـــع الاشياء الى فضل المـــولى ورجاله الذين فى وادلاى . وفى استطاعة الاهالى ان يهاجمونا فى الطـــريق فنطلب منكم من باب الشفقة والرحمة ان تكفوا عن السير وتقفـــوا لانتظارنا . واذا لم تنتظرونا فلا بد ان ينزل عليكم مصاب ياباشا وتكون مسئولا امام الله » .

وقـــد صموا آذانهم ولم يصغوا لهذه الاستغاثة . وكل ما فى الأمر أنه كتب الى سليم بك بالحث على الاســـراع فى المسير ليلحق بالقـــافلة التى ستقف فيما بعد .

وفى ١١ منه حطت الحمـــلة قرب ارض مملكة كباريجا فهاجمها رجاله وبعـــد ان تبادل الفريقان بعض طلقات نارية انسحب المهاجمون وقتل فى اثناء هذه المناوشة خادم كازاتى وهـــو شخص يقال له « وكيل » قد رباه منذ طفوليته .

وكان اتجاه الدرب مائلا نحو الجنـــوب واجتيازه فيه صعوبة كبرى وكان استانلى يود ارتياد الذرى المغطاة بالثـــلوج التى كانت تتراءى له من كافاللى إلا انه كان يود شيئا آخر وهو ان لا يلحق سليم بك ورجاله بالحملة وكان يقول : « عندما نضع بيننا وبينهم عوائق كهذه لا يمكن تذليلها فلن نخشى من ناحيتهم شيئا بعد ذلك » .

واستمر السير فى طـــرق ممضة وأحوال يرثى لهولها . وكانت الحملة تعانى آلاما لا توصف سواء أ كان ذلك من طبيعة الارض أم من سوء معاملة ضباط حملة الانقاذ والزنزباريين .

وفى ٥ يونيـــه توفى الموظف واصف افندى . وأساء الزنزباريون معاملة الجندى المصرى حمدان وكان المسكين قد انهكت الحمى قـواه وصيرته عاجزا عن ان يستمر فى السير مع رفاقه فجن من النصب والألم فرمى بابنــه فى الاعشاب وترك هذا المسكين بها دون أن يلتقطه أحد .

وفى ١٠ يونيه ترك السودانى مابو Mabou وفى ١١ منه ترك مصرى يقال له هوارى لأنهما أمسيا غير قادرين علي المشى بعد .

واتصل باستانلى ان رجال كباريجا سيهاجمون فى مروره فأمر كل خادم يحمل بندقية ان ينضم الى الزنزباريين . ورأى أمين باشا انه حــرم من ستة من رجاله فاحتج لدى استانلى فكان جزاؤه ان اساء مقابلتـه وعزا اليه كل البلايا والرزايا التى تنوء تحت اعبائها الحمـــلة فانسحب أمين باشا . ولما كان استانلى يشعر باحتياجه الى ما يخفف عنـــه لوعـة غضبه استحضر فيتا حسان و ماركو و المـوظف باسيلى افنـدى محفـــورين واتهم الثلاثة بمقاومة أوامره .

وفى ١٤ يونيه قعد عن السير فى الطـريق موظف وجنـــدى مصرى وبعض النساء وبعض الاولاد فتركوا فيه وانقطعت أخبارهم ولم يعد أحـد يراهم بعد إذ لم يتول انسان العناية بأمرهم .

وفى ١٢ أغسطس أقيم المعسكر قرب قـــرية فذهب بعض الجنـــد

وبعض الزنزباريين واستـــولوا على بعض الاقـــوات وشىء من المريسة بدون رضا أصحابها . فقام شجار بين الفريقين قتــــل فى خلاله جندى مصرى يقال له فضل المولى رجلا من سكان القرية فرفع هؤلاء شكواهم الى استانلى وطلبوا دفـــع الفدية . وبعد التحقيق أمر استانلى بأن يسلم الجندى للأهالى فجروا هـــذا المسكين وقد رشقوه فى ظهره بثلاث نبال على مرأى من رفاقه وأشيع فى المعسكر عند المساء ان جميـــع اسنانه هشمت بناء على رغبة النساء وحكم عليه بالاعدام ولكن بعد ان يستوفى جميع أنواع العذاب فتذمر لذلك جميع رجال المديرية وطلب الجند من أمين باشا أن يتدخل فى الأمر فرفض .

وفى ٢٨ أغسطس وصلت القافلة الى محل اقامة مبشرى البعثة الانكليزية فى أوغنده وسر كازاتى سرورا لا مزيد عليـــه عندما رأى صديقه الدكتور ماكاى رئيس البعثة . وكان هذا يقضى فى ذلك الحين أواخر أيامه لأنه بعد وصول القافلة بزمن يسير الى الساحل ورد نعيه .

وكانت الاخبـــار التى وردت للبعثة السالف ذكرها بصدد المسافة الباقية من الطريق لا تبعث فى النفوس الطمأنينة لأن الشجار القـــائم بين الألمان والعرب ما كان قد انفض بعد . وألح الدكتور ماكاى على استانلى أن يؤجل ميعاد سفره الى ان تأتى أخبار مطمئنة أكثر ولكن استانلى حسب حساب المصاعب التى تنشأ من وراء هذه الاقامة الطويلة ونظرا لوثوقه بالقوة التى لديه أمر بسفر القافلة فى ١٧ سبتمبر .

وفى ٢٠ سبتمبر أغار الاهالى على القافلة فصدوا وفى اليوم التالى أعادوا شن الغارة فكان حظهم كحظهم فى غارتهم الاولى . وأمر استانلى بأن يثأر منهم

بنهب أقرب قرية واحراقها .

وفى ٣١ اكتوبر قبيل الظهر دوى صياح الفرح فى المعسكر . وكان ذلك بسبب قدوم السعاة حاملين خطابات من البكباشى وزمان قائد الجيوش الالمانية بافريقية الشرقية الى أمين باشا منبئة بسفر البكباشى المذكور الى زنزبار وبتصدير هذا أمرا الى الملازم الأول شميت Schmidt بأن ينتظرهم .

وفى أول نوفمبر انطلقوا فى السير . وفى ١٠ منه وصلت القافلة الى المحطة الالمانية التى فيها الملازم الأول شميت وهذا وضع نفسه تحت تصرف أمين باشا طبقا للامر الذى ورد اليه من رئيسه وزمان .

وفى ١٢ نوفمبر عاودت القافلة المسير وعلى رأسها الملازم الأول شميت ورجاله والعلم الالمانى يخفق فى المقدمة . وفى ٤ ديسمبر وصلت الى باجاموبو Bagamouyo حيث استقبلهم البكباشى وزمان بغاية المودة والترحاب ثم أولم لهم الوليمة التى حدث فيها الحادث الذى وقع لأمين باشا .

والى هنا انتهت قصة رحلة اليوزباشى كازاتى .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٩ م

تكملة حملة استانلى [١]

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وفى ١٦ يناير من عام ١٨٨٩ م عاد استانلى بفلول مؤخرته وحط بمعسكره على مرحلة يوم من بحيرة البرت نيانزا . وهناك علم من الاهالى ان جفسن و١٧ جنديا مقيمون قرب البحيرة وان أمينا باشا بعث برسل الى كافاللى للاستقصاء عنه .

وقدم قبيل المساء من كافاللى رسولان ومعها خطابات باسمه وكلما تلا سطورا منها اعترته رعدة تذهب بلبه فلا تترك فيه إلا موضعا لدهشة لا حد لها . وتلك الخطابات كانت مرسلة من أمين باشا وجفسن باسمه من دوفيليه ووادلاى وتونجورو لكى يطلعاه على كل ما حدث فى المديرية فى مدة غيابه .

ورد استانلى على خطابات الاثنين فأمر جفسن ان يحضر فى الحال الى كافاللى حيث قد عزم هو على الذهاب اليها وأن يحضر معه قرارا باتا من الباشا ومن كازاتى بسفرهما أو بعدم السفر .

(١) — راجع الجزء الثانى من كتاب « فى ظلمات افريقية » لاستانلى .

وقال فى الرد على أمين باشا ان القسم الثانى من الاشياء التى كلف بتسليمها اليه تحت امره وهى ٦٣ صندوق مظاريف رمنجتون و٢٦ صندوق بارود وزن كل صندوق ٢٠ كيلو جراما و٤ صناديق كبسول و٤ طرود أمتعة . ويطلب منه ومن كازاتى ان يفيداه نهائيا عما اذا كانا يريدان السفر معه واذا كانا يريدان ذلك فعليهما أن يحضرا الى كافاللى مع من يريد من المديرية السفر فى أقرب آن وانه يمهلهما ٢٠ يوما واذا كان لم يصل اليه خبر منهما فى بحر هذه المدة فهو يتخلى عن المسئولية بصدد ما يحدث بعد . وانه لا يطلب أكثر من ان يقيم زمنا ما فى كافاللى ولكنه لا يقدر على ذلك بسبب نقص الزاد . هذا اذا لم يسعفه أمين باشا بشىء منه من عنده .

وفى ١٧ يناير سار استانلى بعسكره وذهب الى كافاللى وأقام فيها على قيد زهاء ٢٠ كيلو مترا من بحيرة البرت نيانزا . وفى ٥ فبراير أرسل جفسن يخبره بوصوله الى شاطىء البحيرة فأرسل اليه استانلى حرسا لاستحضاره . وفى اليوم التالى قدم وبعد ان أخبره بما حدث فى مدة غيابه طلب منه استانلى أن يكتب له تقريرا مبينا فيه تلك الحوادث والظروف التى أحاطت بها وفى الحال أخذ جفسن فى كتابة التقرير المطلوب .

وهاكه :

« قرية كافاللى بالبرت نيانزا فى ٧ فبراير سنة ١٨٨٩

« سيدى المحترم

« أتشرف بأن أقدم لجنابكم التقرير الآتى عن المدة التى أقمتها من

٢٤ مايو سنة ١٨٨٨ م لغاية هذا الوقت لدى صاحب السعادة أمين باشا مدير مديرية خط الاستواء :

« قد زرت طبقا لأوامركم كل محطات المديرية تقريبا وتلوت فيها رسائل صاحب السمو الخديو وصاحب السعادة نوبار باشا كما تلوت فى الوقت نفسه نداءكم أمام جميع الضباط والجنود والموظفين المصريين . وبعد ان تشاوروا فيما بينهم سألتهم عما اذا كانوا يريدون البقاء أو يقبلون ان يسافروا معنا بموجب اذن مرورنا .

« ففى لابوريه أجاب الكل أنهم يتبعون المدير أينما سار . ويبدو ان الجميع فرحوا بقدومنا لنجدتهم وأبدى الكل مزيد احترامهم لشخص المدير وامتدح سائرهم طيبته وصلاحه وعدله وما أبداه من التضحية خلال سنين كثيرة وأطلق لى الباشا السراح بأن أحتك بالاهالى وبضباطه فكنت اختلط عن أشاء وأفاوض من أشاء .

« وأخذنا فى كرى وهي آخر محطة من المحطات التى تحتلها جنود الاورطة الثانية الوقت اللازم للاستعلام والاستقصاء . وكان البلد من شمال وغرب كرى تحتله الاورطة الأولى وكانت هذه الاورطة فى حالة تمرد على ضد الباشا من زهاء أربع سنين فكتب البكباشى حامد افندى الى الباشا يضرع اليه ان لا يذهب الى الرجاف حيث تآمر الثائرون على أسرنا ليقتادونا الى الخرطوم لأنهم متوهمون ان المصريين ما زالوا الى الآن محتلين لها ويزعمون ان الاخبار التى أذاعها أمين باشا مختلقة . ودعت الحالة أن نرتد على اعقابنا بدون أن نزور محطات الشمال .

« وبينما نحن نقرأ فى لابوريه الخطابات السالف ذكرها خرج جندى من الصفوف وصاح : « ان تقولون إلا كذبا . وما خطاباتكم إلا ورقا مزيفا . ان الخرطوم لم تزل ثابتة الى هذه الساعة . والخرطوم هى طريق ديار مصر ونحن نعود اليها من هذا الطريق أو نموت فى البلد الذى نحن فيه » .

« وان هو إلا أن أمر الباشا بحبس هذا الجندى حتى تركت العساكر صفوفها وأحدقوا بنا من كل جانب يهددوننا بينادقهم المحشوة . وظننا خلال جلبة وضوضاء وشجار استمر بضع دقائق أننا مقتولون أجمع إلا أن ثائرتهم ما لبثت ان خمدت كثيرا أو قليلا وطلبوا منى أن أكلمهم على انفراد فلبيت الطلب فاذا بهم يعربون لى عن أسفهم لما حدث وتبين ان سرور افندى رئيس المحطة هو الذى أفعم أدمغتهم وأغراهم على ذلك .

« وفى ١٨ أغسطس بينما كنا راجعين الى دوفيليه علمنا أن ثورة كانت قد شبت دبرها فضل المولى افندى رئيس محطة فابو واننا أخذنا نحن أنفسنا فيها أسارى . ويبدو انه خلال غيابنا قام بعض من المصريين برياسة عبد الوهاب افندى و مصطفى افندى العجمى (وكلاهما من الذين نفتهم مصر الى جهات أعالى النيل لأنهما اشتركا فى الثورة العرابية) بالقاء خطب بين جموع الاهالى ونشرا عليهم منشورات وكان ذلك بالاشتراك مع أربعة موظفين ملكيين وهم مصطفى افندى احمد واحمد افندى محمود وصبرى افندى والطيب افندى وآخرين . ومما ذكروه فى خطبهم وخطاباتهم انه ليس من الصحيح ان الخرطوم سقطت . وان الرسائل التى قيل إنها من لدن سمو الخديو وصاحب السعادة نوبار باشا كلها ملفقة وان استانلى

لم يكن إلا أفاقا وانه ليس قادما من مصر وانه تآمر هو والباشا على أخذ الاهالى بصفة ارقاء وبيعهم هم ونسائهم وأولادهم للانكليز . واستطردوا بعد فقالوا علاوة على ما ذكر « اننا فى مصر تمردنا على صاحب السمو الخديو فليس اذن من المسائل المهمة ان نتمرد على رجل لا تعلو رتبته درجة باشا » .

« وأحدثت هذه الأقوال فى البلد عاصفة . وترك الجنود الضباط يفعلون ما يشاءون ولم يشتركوا معهم فى شىء من الثورة سوى مراقبتنا عن كثب . وأمر فضل المولى افندى واحمد افندى الدنكاوى و عبد الله افندى العبد قواد الثورة باقتياد الجند الى دوفيليه لينضموا فيها الى الثوار . وأرسلوا فى كل صوب وناحية خطابات يقصون فيها أنهم زجونى انا والمدير فى السجن لأننا تآمرنا على خيانتهم وأصدروا أوامر بالحضور الى دوفيليه ليتشاوروا فيما بينهم فيها بشأن التدابير التى يلزم اتخاذها وطلبوا كذلك المساعدة من ضباط الاورطة الاولى الثائرين .

« وقد وجهت إلى أسئلة بصدد الحملة . وفحص الكتبة خطاب سمو الخديو وقرروا انه خطاب مفتعل . واقترح الثوار خلع الباشا واذعن مناصروه أمام الارهاب والوعيد . وأعلن كتابة أمر عزله وابقائه أسيرا فى الرجاف . أما أنا فكنت مطلقا حرا حسب قولهم وأسيرا فى الحقيقة لأنهم ما كانوا يسمحون لى ان أجاوز عتبة المحطة وكانت كل حركاتى وسكناتى تحت المراقبة . وكانوا قد رسموا خطة لاجتذابك فى البلد وتجريدك من أسلحتك وميرتك وأقواتك وغيرها ثم يطرحونك فى الخارج .

« وأقام الثوار بعد ذلك حكومة جديدة وعزل كل الضباط المظنون

فيهم الانتماء الى الباشا ولكن سرعان ما دبت نيران الغيرة وظهر التخاذل والشقاق بينهم وبعد ان عملت يد السلب والنهب فى منزل أمين باشا وأصدقائه الاثنين أو الثلاثة انفرجت الازمة قليلا .

« وفى ١٥ اكتوبر علمنا على حين فجأة ان رجال المهدى قدموا الى لادو فى ثلاث بواخر وتسعة صنادل .

« وفى ١٧ منه أحضر ثلاثة من الدراويش حاملين علما أبيض رسالة من عمر صالح رئيس قواد المهدى يعد فيها الباشا بالامان والعفو الشامل ان خضع هو وجنوده . وفتح الثوار الرسالة وقرروا المقاومة .

« وفى ٢١ اكتوبر اتصل بنا ان المهديين ومعهم جماعة من البارين كثيرى العدد استولوا على الرجاف بعد ان قتلوا فيها ٣ من الضباط و٣ من الكتبة و٢ من الموظفين وكثيرا من الجنود وأسروا النساء والاطفال . وعلى هذا ساد الرعب والذعر وأخلى الضباط والعساكر وأهلوهم محطات بيدن و كري و موجى وفروا هاربين بغير نظام الى لابوريه . ولم يلبثوا فى كري الوقت اللازم لأخذ الذخيرة .

« وعند وصول خبر هــــذه الفاجعة قرر الثائرون ان يرسلوا نجدة إلى موجى وفعلا جمعوها من كافة المحطات الجنوبية .

« وفى ٣١ اكتوبر أتت أخبار بأن الشحناء والتخــــاذل قام بين الضباط وأن الجنـــود جاهروا بالامتناع عن امتشاق الحسام ما لم يطلق سراح مديرهم .

« وفى ١١ نوفمبر بلغنا أن الجنود زحفوا على الرجاف فخرج عليهم رجال المهدى بشدة كبيرة فولوهم ظهورهم بلا قتال تاركين خلفهم الضباط فقتل منهم ستة من بينهم الضابط الذى ولى حديثا وظيفة المدير وآخرون من أردأ رجال الثورة . واختفى غير هؤلاء اثنان وسقط عدد كبير من الجنود على الحضيض بسبب تعبهم من شدة اسراعهم فى الهرب ولحقهم العدو وأجهز عليهم .

« ودعا ذلك الضباط المحازبين للباشا الى الالحاح فى طلب اطلاق سراحه . وكان قد مر عليه ثلاثة أشهر وهو واقع تحت مراقبة شديدة . ولخوف العصاة من الشعب أرجعونا الى وادلاى حيث قابلنا الأهالى بحماس . وهكذا انقطع الشك باليقين واقتنع الكل بسقوط الخرطوم واننا قادمون حقا وصدقا من ديار مصر .

« وبعد بضعة أيام بعث الباشا برسل الى دوفيليه وكان مشغول البال لانقطاع أخبارها . وأذيع أن قوة كبيرة من رجال المهدى تتقدم من ناحية الغرب الى وادلاى وانها صارت على مسافة أربعة أيام لا أكثر .

وفى ٤ ديسمبر قدم الينا الضابط المعين لقيادة بورا Bora وهى محطة صغيرة واقعة بين وادلاى و دوفيليه ومعه عساكره والجميع فى حالة اضطراب شديد وقالوا انهم تركوا نقطتهم وان دوفيليه و فابو وكل المحطات الواقعة شمالا سقطت فى يد العدو وان البواخر اسرها رجال المهدى . وان الأهالى المقيمين حول المحطات ثاروا وجاهروا بالانضمام الى صفوف العدو وقتلوا رسلنا ، فانعقد مجلس للشورى وقرر فيه الضباط والجنود

التقهقر الى تونجـــورو ومنها يذهبون الى الجبل ويحاولون ان ينضموا اليكم فى حصن بودو . وطلب منى فى نفس هذا المجلس ان أحطم مركبنا حتى لا يقع فى ايدى المهدى ولما كنت لا أجد وسيلة لانقاذه اضطررت أن ألبى هذا الطلب وانا آسف أشد الاسف .

« وفى ٥ ديسمبر سافرنا مبكرين حاملين من المتاع ما هـــو أكثر لزوما لنا وتركنا ما عدا ذلك . واخلينا المخازن من الذخـــيرة ووزعناها على الجنـــود . وفى اللحظة الاخيرة صرح هؤلاء انه مادام الآن لديهم مقدار وافر من البارود فهم يؤثرون ان يرجعـــوا الى بلدهم مكراكا وما جاورها من النواحى حيث يتفرقون بين مواطنهم تاركين الباشا وضباطه حيث هم .

« وبدت الامـــور بالغة النهاية الكبرى فى الخسة . وكنا نسير فى صف طويل مؤلف على الأخص من موظفين مصريين ونسائهم وأهليهم يرافقهم سبعة أو ثمانية من الجنـــود وهم آخر من بقى على عهد الاخلاص . وكان كل ما يوجد تحت تصرفنا ٣٠ بندقية وبعض خـــدم مسلحين . وان هو إلا أن شرعنا في المسير حتى انقض الجنود على المساكن وأعملوا فيها سلبا ونهبا .

« وفى ٦ ديسمبر كانت باخرة صاعدة فى النيل خلفنا فاستعددنا لأن نصوب عليها النـــيران ولكننا ما لبثنا ان اتضح لنا انها تحمل بعضا من رجالنا قادمين من دوفيليه وسلموا لنا خطـــابات من الباشا ومنها علم أن فـــابو أخليت واستطاع اللاجئون منها الوصول الى دوفيليه رغم مهاجمة الزنوج لهم . وان دوفيليه سقطت بعد حصار دام أربعـــة أيام أمام فئة

صغيرة من جنود الأعداء دخلتها تحت جنح الظلام وأسرت حتى البواخر وولى المدافعون عنها الأدبار وعددهم ٥٠٠ جندى . ولكنهم لما وجدوا أنفسهم بين نارين بث فيهم القنوط واليأس شيئا من الحماس واقتفى الجند أثر الضباط سليم افندى مطر و بلال افندى و بخيت افندى برغوت و سليمان افندى . وزادهم نجاح هذه الحركة اقداما وجرأة فاستردوا المحطة وقاموا منها بخروج كبدوا فيه العدو خسائر فادحة للغاية حتى انه ولى مدبرا الى الرجاف ولم يعقب وأرسل باخرتين لطلب الامداد من الخرطوم . وكان الجنود يظهرون فى كل ناحية ووقت جبنا مخجلا ما لم يقعوا فى ورطة . ومات منهم خلق كثير فى واقعة دوفيليه وقتل ١٤ ضابطا وأصيب سليمان افندى بجرح من عيار نارى خرج من بندقية أحد رجاله ومات بعد ذلك بعدة أيام . وتقدر خسائر المهديين بـ ٢٥٠ قتيلا ولكن الحيطة تدعونا الى حذف ثلثى هذا العدد مع أن هؤلاء لا يحملون من الأسلحة سوى الحراب والسيوف بينما يحمل الجنود بنادق « رمنجتون » ويقاتلون خلف الخنادق والمتاريس ولكنهم لا يصوبون طلقاتهم باحكام فلا يلحق العدو منها ضرر كبير ولا تزعجه .

ورغب الجنود فى وادلاى أن يأخذ الباشا على عاتقه مسألة القيادة ولكن كل ما وقع من أمور الخيانة أبانت له موقفا لا يرجى لاعوجاجه صلاح فتراجع الجنود الى تونجورو . ولم يستغرق الانسحاب من وادلاى أكثر من يومين الا أن هذا الانسحاب أظهر لى شدة صعوبة توصيل هؤلاء الناس الى زنزبار ان لم أقل استحالته فيما لو طلبوا أن نصطحبهم . ومن الوقت الذى سافرنا فيه من وادلاى استرد الحزب المضاد للباشا نفوذه . ولم تعد فرائصه ترتعد من المهدى رأسا . وأخذ ثانيا يتهم أمينا

بشا باختلاق قصة سقوط دوفيليه لكى يسد الطريق على جنوده القدماء ويخون دون انسحابهم ويسلمهم الى المهدى ثم يذهب بعد ذلك فيلحقكم هو واتباعه . وحكم هذا الحزب على أنا و امين باشا وكازاتى لارتكابنا جريمة الخيانة بالاعدام .

« وفى خلال الوقت الذى عقد فيه الضباط والجنود مجلس الاستشارة فى وادلاى حدث شجار هائل إذ طلب البعض البقاء والبعض الآخر طلب ان يلحق بالباشا وانجروا من الكلام الى اللكم والضرب ، وأشار فضل المولى افندى وانصاره بوضعى أنا و أمين فى الاسر وبالعكس عاضد سليم افندى مطر وحزبه رئيسهم سابقا وطلبوا الذهاب معه خارجا عن البلد . ومع ان هؤلاء كانوا يعطون الوعود بالسفر ولكنهم ما كانوا يفعلون شيئا فى سبيل الاستعداد له . فاذا كنتم تريدون أخذهم معكم فعليكم أن تتذرعوا بالصبر أشهرا عديدة . واضطررت بعد ذلك أنا و الباشا و كازاتى أن ننتظر فى تونجورو لأن الثوار كانوا قد أصدروا لقائد المحطة أمرا مشددا بمراقبتنا عن كثب لغاية صدور أمر آخر .

« وفى ٢٨ يناير وصل إلى أنا و الباشا خطاباتكم المؤرخة فى ١٧ و ١٨ واطاعة لأمركم الصريح القاضى بالسفر عاجلا الى كافاللى أخذت فى التأهب للرحيل من اليوم التالى ومعى رد أمين باشا على خطابكم إلا أنه فى خلال هذا الاستعداد حدث من بعض الخدم الأصاغر خيانة أوجبت امساكى يومين عن السفر غير أنه بهمة وسعى شكرى افندى رئيس مسوه الذى ظل على عهد الاخلاص بحيث لا استطيع أن أوفيه حقه من الشكر على سلوكه فى غضون تلكم الأشهر الخمسة المشئومة تمكنت

من الانتقال الى نيامساسى Nyamsassi . ولما كانت أمواج البحيرة فى هذا الفصل صعبة جدا واخطارها كثيرة للغاية فقد استغرق قطع المسافة بين مسوه ونيامساسى خمسة أيام .

« والآن تارة يستأثر الثوار بالنفوذ وطورا يستأثر به أنصار الباشا . ووصل حديثا الى الرجاف باخرة تحمل مددا للمهديين وهؤلاء يرتقبون أيضا قدوم باخرتين غير الأولى فى القريب العاجل وينتظرون كذلك مجيء جنود من بحر الغزال . ولن يتوانى المهديون عن الانقضاض على وادلاى بجيش عرمرم ومباغتة المحتلين لها وهم فى تخاذلهم وترددهم انتقاما للهزيمة التى لحقت بصفوفهم فى دوفيليه .

ان تونجورو واقعة على مرحلة يومين لا أكثر من وادلاى . ولوجود أمين باشا بين أشخاص لا يمكنه ان يركن اليهم فمن المهم المبادرة بانقاذه لأن موقفه محفوف بأكبر المخاطر .

وقد وجهتم لى وللباشا فى خطابيكم رقم ١٧ و ١٨ سهام اللوم لعدم انشاء معسكر فى نسابى Nsabé حسب الوعد وعدم اقامة حامية فيها وتزويدها بالاقوات بحيث تكون مستعدة عند عودتكم . ولأننا لم نكن فى حصن بودو . ولأننا لم نحضر لكم الحمالين ولأن الاشخاص الذين كانوا يريدون الاستفادة من اقامتهم فى حراستكم لم يكونوا فى انتظاركم فى نسابى الى غير ذلك . ونجيب بأن كل ذلك كان يستحيل علينا القيام بعمله إذ بعد أن تغيب الباشا شهرا أى مدة زيارته البحيرة اشتغل بانجاز ما لديه من الاعمال الكثيرة التى كانت متأخرة فى مقر الحكومة . أما من جهتى فقد لبثت أربعة أسابيع بين براثن حمى مستمرة تقريبا . ولم نتمكن من زيارة المحطات

التى فوق وادلاى إلا فى شهر يوليه .

« وان هـو إلا أن فرغنا من أعمالنا فى الشمال حتى وقعنا فى الأسر . وفى ١٨ أغسطس انتزع من الباشا كل ما بقى له من سلطة ونفـــوذ . وقبل أن يبارح وادلاى حاول أن يرسل فرقة إلى نسابى ليبتنى فيها تكنة ولـكن الجنود أبوا الامتثال قبل أن يعرفوا ما استقر عليه رأى رفاقهم المقيمين فى الشمال . وانه ليعد من حسن الحظ عـدم اعداد المحطة وعدم نقل حامية ومؤن حصن بودو اليها إذ لو حدث ذلك لـكان المتمردون امتلكوا المحطة وأسروا من قد يكون بها من الاوربيين .

« ولابد من إخباركم بأنه عنـد مجيئى فى ٢١ أبريل سنة ١٨٨٨ حاولت الاورطة الأولى دفعتين وكانت ثائرة قبل ذلك بمدة طويلة ، ان تقبض على الباشا . أما الأورطـة الثانية فبقـدر ما يقال عنها من اخـلاص كان من غير المستطاع حكمها وقيادتها وأمين باشا لم يكن له من السيطرة إلا الاسم والشيء التافه فاذا عرض أمر هام لا يمكنـه ان يصدر بشأنه حكما بل يلتزم ان يستعطف ضباطه بأن يتكرموا بعمل كيت وكيت .

« ومما لا ريب فيـه أن أمينا باشا كان يلمح لنا مدة اقامتنا فى نسابى عـام ١٨٨٨ بأن الأمور لا تسير من تلقاء نفسها فى مستوى سهـل ولكنه ما كان يظهـر لنا الموقف على حقيقته . وهـــذا الموقف كان منذ ذلك الوقت ميئوسا منـه ومع ذلك لم يكن يخطر ببالنا أن الحفيظة والـكدر أو الاخـلال بالنظام بلغ هـذه المنزلة فى مديريته . لقد كنا نظن ـ كما كان يظن فى مصر وفى أوربا حسبما ذكر فى خطابات جونكر وفى خطابات الباشا نفسه ـ أن كل المصاعب آتيـة من الخارج وبهذه الطريقـة حملنا أن

نركن الى أشخاص لا يستحقون معونتنا . وعوضا عن أن يقدروا ما نقدمه لهم من النجدة حق قدره ويمدحونا على ذلك نراهم يتآمرون على اهلاكنا لينهبوا أمتعتنا . ولو كان الثوار فى الوقت الذى بلغت فيه الحفيظة والسخط أشدها أمكنهم أن يعزوا الى أمين باشا احداث اقل مظلمة أو قسوة أو حتى اهمال لكانوا أعدموه حتما الحياة .

« ان الذين يرغبون فى مبارحة البلد هم بعض أشخاص لم يزالوا على عهد الاخلاص للباشا وكثير من المحايدين وبعض موظفين من صعاليك المصريين بثت غارة المهديين الذعر فى قلوبهم . وقد حثثهم أن يتجمعوا فى نسانى حيث يمكنكم الاتصال بهم ولكن يبدو انهم غير قادرين على أن يتحركوا من أماكنهم وان لا شيء يمكن أن يخرجهم من الجمود الذى هم فيه .

« ولا مندوحة من القول إن القسم الأكبر من الأهالى بل أغلب السودانيين وعدد من المصريين يكره مبارحة البلد . وبما أنهم حشدوا من البلاد المجاورة فكثير منهم لم يزر مصر ولم تقع عينه عليها . وان مطمح كل سودانى هو حوز أكبر عدد يستطيع حوزه من الناس . والضابط هنا يعيش عيشة بذخ . ويحكم على ٢٠ أو ٥٠ أو ١٠٠ بين خادم ورجل وامرأة وولد . وهو لا يستطيع فى القاهرة أن يقتنى براتبه الا ٣ أو ٤ أشخاص وهذا ما يفسر لك عدم اهتمامهم بأمر السفر .

« أما رغبة الباشا فى السفر أو عدم رغبته فيه فيمكننى أن أؤكد ان الباشا يريد بلا مراء مصاحبتنا ولكنى لا يمكننى ان اتكهن بصدد الشروط التى يقترحها لدى سفره . ويلوح لى ان آراءه مضطربة كثيرا . فاليوم لا يبغى احسن من السفر وفى الغد تعوقه فكرة اخرى .

ونقد تحدثت معه جملة مرات فى هذا الموضوع وما استطعت ان احصل منه على رأى .

« وقلت له : « الآن واتباعك قد خلعوك واطرحوك ظهريا اظن أنك تشعر بخلوك من كل مسئولية ومن كل التزام من جهتهم » . فأجاب : « انهم لو لم يكونوا عزلونى لكنت أشعر بأن من واجباتى ان أشاركهم فى السراء والضراء وأن أعاونهم بكل ما فى وسعى . ولكنى الآن أعد نفسى مطلق العنان وليس على بعد اليوم إلا ان أفكر فى سلامتى . وإذا كان لى حظ فى ذلك أسافر من هنا بدون أن التفت ورائى » .

« ومع ذلك كان قد قال لى قبل سفرى ببضعة أيام فقط : « حقا ليس على أية مسئولية فيما ينالهم من خير أو شر ولكنى لا أقدر أن آخذ على عاتقى مسألة سفرى أنا الأول تاركا وراء ظهرى شخصا منهم يريد حقا مبارحة هذه الديار . انى أعرف ان المسألة مسألة شعور صرف ولابد أنكم ترونها غريبة ولكنى لا أريد ان يلمزنى عدو من أعدائى فى وادلاى قائلا : « انظروا كيف قد تخلى عنكم » .

وما هذان إلا مثلان من أمثلة كثيرة . ويمكننى ان أقص أقوالا أخرى جمة لا تقل عن المثلين السابقين فى التناقض والتضارب .

« وقد صحت يوما وقد أدركنى شىء من الملل والسآمة عقب محادثة معه من تلك المحادثات التى تنتهى على غير نتيجة قائلا : « لو توصلت الحملة يوما الى الانتقاء بك فانى أشير على استانلى بالقاء القبض عليك وأخذك معها أردت أم لم ترد » . فأجاب « عند ذلك لا أبدى شيئا فى سبيل

مقاومتكم » . ويبدو لى انه اذا كان ينبغى علينا انقاذه فيلزمنا أولا ان ننقذه من ذات نفسه .

« وقبل ان أختتم هذا التقرير ينبغى على ان أعترف بأنى ما سمعت فى محادثاتى المتنوعة مع اتباع الباشا إلا ثناء ومدحا لما اتصف به من العدل والكرم وشذ عن ذلك القليل النادر ولكنه يقال كذلك انه لا يقبض على موظفيه بيد فيها القوة اللازمة .

« ان السودانيين الثلاثة الذين كنت تركتهم لى بصفة « مراسلة » وخادمى بنزا راجعون معى . أما مبروك قاسم ذلك الرجل الذى صدمته الجاموسة فى نسابى فقد أدركته المنية بعد سفرك الى حصن بودو بيومين .

« هذا وانى ياسيدى العزيز خادمك المطيع . الامضاء

ا . ج ماونتناى جفسن

* * *

وسلم جفسن كذلك الى استانلى جوابا من أمين باشا ردا على خطابه الذى حدد له فيه مهلة ٢٠ يوما ينتظره فى غضونها . ولفته أمين باشا فى رده الى انه لدى وصول خطابه كان قد انقضى ٩ أيام من الـ ٢٠ وان الـ ١١ يوما الباقية لا تكفى مطلقا للتأهب للسفر وقال له انه أخذ معلومية باستمداده لتسليمه القسم الثانى من الأشياء التى يجب عليه تسليمها له وانه عندما يصل الضباط الذين هو فى انتظار قدومهم من وادلاى يكلف واحدا منهم بتسلمها بالوصل اللازم . أما فيما يختص بسفره وسفر كازاتى فقد قال أمين باشا انهما يرغبان السفر غير انه يوجد غيرهم يرغبون فيه

أيضا وانه يرجوه ان يتذرع بالصبر الى أن يتمكن من جمع شتاتهم . وقال له أيضا ان ثلة من رجاله قادمة اليه مع جفسن .

ومع أن هذا الجواب صريح العبارة للغاية وخال من كل لبس وابهام بالنسبة لرغبة أمين باشا فى السفر لم يره استانلى كذلك وكتب له خطابا آخر يطلب منه فيه ان يعرفه بصراحة عن مقاصده .

وفى ١٣ فبراير وصل الى يد استانلى خطاب من أمين باشا يخبره فيه بوصوله الى البحيرة ومعه الباخرتان بهما أول فوج من الاشخاص الراغبين فى السفر وانه حالما يتم الترتيبات اللازمة لايوائهم ترجع الباخرتان الى مسوه لاحضار آخرين غيرهم . وقال أمين باشا كذلك ان لديه ١٢ ضابطا يريدون مقابلته وان معه ٤٠ جنديا . وانهم أتوا تحت إمرته ليرجوه أن يمنحهم الوقت اللازم لاحضار اخوانهم الذين ينوون السفر من وادلاى وأنه هو وعدهم بأن يعمل ما فى وسعه لمعاضدتهم واستطرد قائلا ان الامور تغيرت عما كانت وان استانلى يمكنه ان يعين لهم الشروط التى يراها .

ومع ان استانلى كان دواما فى ريب من ناحية ضباط المديرية ويخشى أن يدبروا مؤامرة بقصد تسليمه هو واتباعه الى المهديين فقد أرسل جفسن فى ١٤ فبراير ومعه ٥٠ رجلا مسلحين لخفارة أمين باشا وضباطه لغاية المعسكر حيث وصل الجميع فى ١٧ منه .

ويقول استانلى ان سليم بك رجل يناهز الخمسين من العمر ذو قامة تبلغ ست أقدام (٨٣ و ١ متر) وان هيئته لم تقع فى نفسه موقع هيئة رجل

متآمر بل رجل مكسال همه الأكل والشرب . وكان يوجد بين الضباط الآخرين ثلاثة مصريون من الذين اشتركوا فى الحوادث العرابية وأما الباقون فسودانيون . وكان الكل متشحين بكساو طلية بجدتها الامر الذى أثر فى نفوس أتباع استانلى . وقدم أمين باشا أتباعه لهذا الاخير وتأجلت الجلسة للغد .

وفى ١٨ فبراير حصل الاجتماع فى مضرب استانلى الكبير . وشرح استانلى للضباط مقصد حملته قائلا ان الطبيب جونكر الذى أقام بينكم قال انكم واقعون فى موقف حرج وان ليس لديكم بارود للمدافعة تجاه عدوكم . وعندما سمع ذلك أصدقاؤكم الانكليز أعطوه نقودا ليشترى لكم بارودا ويحضره لكم . ووقت مروره من ديار مصر طلب منه الخديو ان يقول لكم إن فى استطاعتكم مرافقته اذا شئتم واذا كنتم تؤثرون البقاء فأنتم وشأنكم .

وترجم أمين باشا لهم هذا الكلام وبعد ذلك قال الكل : « كويس » وتكلم سليم بك أكبر ضابط بينهم فقال :

« لقد برهن لهم الخديو مرة أخرى على رضاه عنهم وعطفه عليهم وانهم رعاياه الأمناء المخلصون . وهم لا يتمنون أكثر من عودتهم الى مصر ولم يخطر ببالهم قط ارادة البقاء هنا . وانهم جنود الخديو وله ان يأمرهم بما يشاء وعليهم له واجب الطاعة . وان رفاقهم فى وادلاى انتدبوهم للمثول بين يديه (أى استانلى) ليطلبوا منه ان يمنحهم الوقت اللازم لشحن أهليهم بالبواخر لكى يتمكنوا من الاحتشاد فى معسكره ويرجعوا الى مصر » .

وبعد ذلك قدم الضباط الى استانلى الخطاب الآتى :

حضرة صاحب السعادة مندوب حكومتنا .

عندما أبلغنا سليم بك مطر قائد جنود المديرية خبر قدومكم السعيد امتلأنا سروراً وزدنا رغبة فى الرجوع الى بلدنا ولهذا تساورنا الآمال أن نأتى اليكم بمشيئته تعالى فى وقت قصير جدا . ولمعلوميتكم بذلك حررنا لكم هذا الخطاب من وادلاى .

الصاغان : بخيت برغوت و بلال الدنكاوى .

اليوزباشية : حسين محمد . مرجان ادريس . مصطفى العجمى . خير يوسف السيد . مرجان بخيت . سرور سودان . عبد الله منزل . فضل المولى الامين . احمد الدنكاوى . كودى احمد . السيد عبد السيد .

الملازمون : مبروك شريف . نور عبد البين . مصطفى احمد . خليل عبد الله . فرج سيد احمد . مرسال سودان . مرجان نديم . صباح الهامى . بخيت محمد . عابدين احمد . اسماعيل حسين . محمد عبده . خليل نجيب . احمد ادريس . ريحان راشد . ريحان حمد النيل . خليل سيد احمد . فرح محمد . على الكردى . احمد سلطان . فضل المولى بخيت . الريس عبد الله . السيد ابراهيم .

فأجابهم استانلى انه سيعطيهم الرد كتابة ويمنحهم فيه الأجل الكافى للذهاب الى وادلاى لأخذ الجنود وذويهم واثقالهم فى الباخرتين واحضارهم . هذا اذا كانوا لم يزالوا موطدين العزم على السفر .

فأجاب سليم بك وباقى الضباط انهم موطدون العزم على السفر .

وفى الغد ١٩ فبراير استحضر استانلى سليم بك وضباطه وسلمهم الرسالة الآتية باسم ضباط وادلاى :

« السلام عليكم . ان سليم بك وضباطا آخرين طلبوا من استانلى انتظار قدوم أصدقائهم الذين لم يزالوا فى وادلاى . فأرسل اليهم الرد بخطه منعا لحدوث أى سوء تفاهم .

« وبما أنه ـ أى استانلى ـ أرسل خصيصا من قبل الخديو ليدل من يرغب فى الذهاب من مديرية خط الاستواء الى القاهرة على الطريق وأن المستر استانلى لا يمكنه أن يعمل سوى أن يحدد وقتا معقولا لأولئك الذين يريدون مبارحتها معه .

« ومع ذلك يجب أن يكون معلوما جيدا ان جميع الأشخاص الذين يبغون السفر معه ينبغى عليهم أن يتدبروا هم أنفسهم فى أمر نقل ذويهم وأمتعتهم ولا يستثنى من ذلك إلا الباشا و اليوزباشى كازاتى والتاجر اليونانى ماركو والاثنان الأخيران أجنبيان وغير مرتبطين بخدمة مصر .

« لذلك ينبغى على كل جندى أو ضابط عقد النية على مبارحة البلد مع المستر استانلى أن يتزود هو نفسه بالمواشى والحمالين اللازمين لنقل أولاده وما معه من متاع .

« وعليهم أن يحتاطوا حتى لا يبهظوا أنفسهم بالمتاع الذى لا فائدة ترجى منه . والسلاح والذخيرة وأدوات الطبخ والزاد هى وحدها

الأشياء الضرورية .

« ومن المعلوم أن الذخيرة الاحتياطية المحضرة من مصر باسم الباشا وجنوده تبقى تحت تصرف الباشا دون سواه كما أمر بذلك الخديو .

« والمستر استانلى يريد أن يعرف الجميع حق المعرفة انه غير مسئول عن أى أمر اللهم إلا عن ايجاد الطريق الموافق والمؤونة الكافية لحرس الحملة وذلك بقدر ما يمكن الحصول عليه من النواحى التى تجتازها .

« غير ان المستر استانلى يرى نفسه ملتزما بحكم الشرف ان يبذل ما فى استطاعته ليعاون أمينا باشا ورجاله وأصدقاءه فى سبيل الحصول على الهناء والسلامة والراحة .

« وعندما يتلى هذا الاعلان فى وادلاى فعلى الضباط ان يعقدوا مجلسا ويتخذوا التدابير اللازمة حسبما هو مدون به . وكل الذين يرون فى أنفسهم القوة والوسائل لمبارحة مديرية خط الاستواء عليهم ان يتأهبوا للسفر للمعسكر حسب الارشادات التى يكون الباشا قد أعطاها . أما أولئك الذين ما زالوا مترددين والذين لم يأنسوا من أنفسهم القوة والذين يرتابون فيما لديهم من الوسائل فعليهم ان يعملوا بحسب ايعاز رؤسائهم .

« وأثناء ذلك يكون المستر استانلى جهز معسكرا فى المقدمة ليضم فيه الذين عقدوا النية على السفر معه » .

هنرى . م . استانلى
قائد حملة الانقاذ فى كافاللى

ملحوظة : من تلاوة هذا المستند يتضح جليا ان استانلى بانتدابهم الى السفر يلزمهم بالقعود عنه . وفى الواقع كيف يكون ذلك ؟ هل فى استطاعة كل هؤلاء المخلوقات أن يحصلوا على حمالين وما يلزمهم من الدواب لنقل أولادهم ومتاعهم ؟ أو ليست هذه بالأحرى حيلة دبرها استانلى ليستفيد منها الثناء على صنيعه ويتوصل فى الوقت نفسه الى مبتغاه الا وهو بقاء الجنود المصرية فى موضعهم لكى يجندهم أولئك الذين كان قد تقرر حضورهم فيما بعد فى خدمة شركة افريقية الشرقية الانكليزية كما حدث ذلك بعد .

وفى ٢٦ فبراير أرسل سليم بك والضباط على الباخرتين اللتين كانتا أحضرتا من مسوه الى معسكر البحيرة وسقا من الامتعة والملتجئين .

وأحاط أمين باشا استانلى بوصول بريد فى ٢٥ فبراير من وادلاى . وانه تسلم خطابا رسميا من سليم بك باسم الضباط المتمردين بزعامة فضل المولى افندى يخبرونه فيه بعزله من رياسة قيادة الجنود وأن مجلسا عسكريا حكم عليه هو وكازاتى بالاعدام . وان اليوزباشى فضل المولى افندى ترقى الى رتبة قائمقام لدى تسلمه زمام الاعمال أى الى رتبة البكوية .

وفى ٢ مارس وصل فيتا حسان وفى ٥ منه وصل حواش افندى بكباشى الاورطة الثانية .

وفى ٢٥ مارس قدمت الباخرة نيانزا وورد معها بريد وادلاى . وأرسل سليم بك الى أمين باشا يقول انه يرى ان كل الثائرين يريدون أن يسافروا معه . وانه يمكن انتظارهم فى المعسكر . وأبلغ الباشا استانلى هذا الخبر وقلبه طافح بالفرح والسرور . إلا أنه بدت على استانلى سيما التشكك

والارتياب فى هــــذا الخبر . وقـال لقد مر احــــد عشر شهرا لم يجمعوا فى خـــلالها سوى ٤٠ ضابطا ومستخدما مع ذويهم وان كل شهر اقامه فى افريقية يكلف جمية الانقاذ ١٠٠٠٠ فرنك (٤٠٠ جنيه) وان الزنزباريين عيل صبرهم وحنوا للرجـــوع الى ديارهم . وقال استانلى أيضا عــــلاوة على ما تقـدم انه علم من حواش افنـدى وعثمان افنـدى لطيف والميكانيكى محمد أن لا سليم بك ولا فضل المـــولى بك يريد الرجـــوع الى مصر وان الثقـــة التى وضعها أمين باشا فى ضباطه هى من قبيل وضع الشىء فى غير محله وان لدى البـاشا أسبابا وجيهـــة تدعوه الى الريبـة فى مقاصدهم فلقد ثاروا عليه ثلاث دفعـــات وجاهروا بالعزم على القبض على نفس استانلى حالما يعود .

ولما كان أمين باشـا قد طلب من استانلى ان يعرفه عما يجب عليـه ان يجاوب به الضباط قـال له استانلى انه سيستدعى ضباطـه بحضوره وهـــؤلاء يتكفلون باجابته .

وأرسل استـانلى فى طلب استيرز Stairs و نلسن Nelson و جفسن Gephson و پارك Parke وبعد ان جلسوا عــــرض عليهم المـوقف وبين لهم الآجال الكثيرة التى منحت لسليم بك وضباطـه بلا جــــدوى . وكذلك صرح لهم بمخاوفه من قبوله فى معسكره من ٦٠٠ الى ٧٠٠ جنـدى مسلحين كانوا بالأمس عصاة فأصبحوا اليـــوم مخلصين ومطيعين . ولقـد يستطيع المرء أن يتساءل أى الاغراض بثت فى نفوسهم هذا الروح روح الاخلاص والطـاعة واذا قبـــلوا بصفة جنود أمنـاء مخلصين الا يمكن ان يدب فيهم ذات ليـــلة روح التمرد ويستولوا على الذخيرة ويحرموا بهذه الكيفية الحملة

من وسائل الرجوع الى زنزبار . وهل بعد كل هذه الاعتبارات يكون من الحكمة يا حضرات الضباط امتداد المهلة الى ما بعد ١٠ أبريل وهو التاريخ المعين للسفر ؟

فأجاب الضباط بالاجماع بالنفى .

وتنفيذا لهذا القرار أرسل استانلى فى ٢٧ مارس الى سليم بك وضباطه فى وادلاى الرسالة التالية :

اعلان الى سليم بك والضباط الثائرين .

معسكر كافاللى فى ٢٦ مارس سنة ١٨٨٩ .

« بعد السلام . بما انه قـــد منحت مدة معقولة تسمح لكل انسان يرغب مبارحة هذا البلد ان يصل الى معسكرنا فيحيط رئيس حملة الانقاذ سليم بك وزملاءه علما بأن هـذا اليوم هو الثلاثون من بعد مبارحتهم معسكر نيانزا فى طلب جمع أناس وادلاى . « فالمدة المعقولة » انتهت اليوم .

« ومع ذلك بناء على ما أبداه أمين باشا من الملاحظات وطلبه امتداد المدة يكون معلوما لكل من يهمه ذلك ان الحملة مدت أجل اقامتها فى كافاللى اسبوعين أيضا ابتداء من تاريخه وعلى ذلك ستتخذ الحملة سبيلها ميممة زنزبار فى ١٠ أبريل القادم فكل انسان لا يصل فى التاريخ المذكور لا يلومن إلا نفسه إذا لم يستطع مرافقتنا » .

الامضاء

هنرى . م . استانلى

وهذه الرسالة الثانية لا يمكن اعتبارها إلا تكرارا للرسالة السابقة .

وذكر استانلى ان عثمان افندى لطيف أتى اليه فى ٣١ مارس وأحاطه برأيه عن ضباط وادلاى وهاك ما قاله له :

« ان سليم بك يمكنه ان ينضم اليهم ويتألف منه ومن رجاله عدد مجموعه ٣٥٠ ما بين ضابط وجندى . أما فضل المولى رئيس الحزب المعارض ومعاونه فهما من المحازبين للمهدى (وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن الاول قتل فيما بعد فى واقعة ضد المهديين) . فانهما من وقت ما علما بسقوط الخرطوم (وذلك قبل اليوم بـ ٣٧ شهرا) أى فى الوقت الذى سافر فيه الطبيب جونكر بالضبط كانا امتنعا عن الامتثال كلية للباشا . وكانت الآمال قد سولت لأمين باشا أن قدومكم قد يحملهما على تغيير ما كان قد علق باذهانهما فذهب هو وجفسن الى وادلاى . ولما كان فضل المولى يريد ان يكون من المقبولين عند الخليفة وينال منه الزلفى والمناصب العالية بتسليم الباشا اليه بادر بالقاء القبض عليه . وكان أيضا قد دبر خطة وهى تنحصر فى اجتذابكم بمعسول الوعود ويبعث بكم الى الخرطوم . وأنا أوجه اليكم النصح ان تكونوا على حذر فيما لو أتيا لزيارتكم . أما أنا (أى عثمان لطيف) فقد كفانى ما نالنى من هذا البلد ويهمنى جدا الرجوع الى مصر .

وسأله استانلى عما يراه الناس هنا . فأجابه عثمان لطيف ان حواش افندى لا يتجاسر على البقاء هنا بعد سفركم . فلقد كان بصفته بكباشى الاورطة الثانية معدودا من الناس الغلاظ الاكباد ولذا كان مكروها وطالما هموا بقتله . أما الباقون جميعهم تقريبا فيؤثرون البقاء هنا طائعين مختارين لو نصحهم سليم بك بذلك . أما أنا وحواش افندى

فسنلازمكم فى سفركم . نعم قد يحتمل أن يقضى علينا فى الطريق لكن لو بقينا هنا فهلاكنا أمر لا مفر منه .

وسأل استانلى عثمان افندى عن سبب عدم الميل للباشا فأجاب انه يجهل السبب فان الباشا كان عادلا للغاية مع الكل . ولكن كلما كان يتسامح مع الناس انصرفت قلوبهم عنه . فقد كانوا يقولون : « ليذهب لجمع الحشرات والطيور فقد استغنى عنه الحال » . والباشا كان يحب الاسفار ويراقب كافة الاشياء إلا أنه قلما كان يهتم برجاله .

وسأله استانلى هل يكون الباشا محبوبا أكثر عنده وعند الآخرين لو شنق منهم اثنين أو ثلاثة فأجاب عثمان افندى لطيف سلبيا وقال انه يكون مهيبا أكثر . وطلب من استانلى ان لا يبلغ الباشا ما ذكره له من الكلام وإلا فلن يغتفر له ذلك مطلقا . فطمأنه استانلى وأوصاه بأن يأتى لينبهه الى ما قد يحدث من المؤامرات فى المعسكر . فأجابه عثمان لطيف انه هو وابنه مستعدان لخدمته وانهما سوف يلمان بكل ما يدبر فى المعسكر ويبلغانه إياه .

وراقب استانلى عثمان افندى لطيف بعد ان خرج فرآه يتجه الى مضرب أمين باشا وشاهده يقبل يده ويخر أمامه ساجدا تعظيما واحتراما . وكان الباشا جالسا فى مقعده فى هيبة ووقار يصدر أوامر الى عثمان لطيف افندى بعظمة وهذا ينحنى كل مرة اكبارا واجلالا . ويقول استانلى انه لو كان رآهما أجنبى ساذج لتخيل ان فى الأول تمثل السلطة الملكية بينما تمثل فى الثانى طاعة العبودية . ويقول استانلى علاوة على ما ذكر ان مراسلته « سيلى » Séli وهو شاب زنزبارى أكثر براعة فى

خصوصية من كل الذين فى المعسكر ويعلم بما يدور فيه أكثر كثيرا من عثمان افندى لطيف ومن حواش افندى ومن كافة المصريين .

وفى بكرة يوم دخل أمين باشا فى مضرب استانلى وذكر له ان كازاتى لا يبدو مرتاحا لترك رجاله فى المديرية ويرى ان واجبه يقضى عليه ببقائه معهم . فأجابه استانلى بأن ذلك خطأ لأنهم كانوا جميعا من عهد قريب أسرى لدى الجنود وكان هؤلاء يريدون ان يبعثوا بهم الى المهدى فى الخرطوم .

واعترف أمين باشا بأن ذلك حق وانه سيسافر فى ١٠ أبريل إلا انه يرجوه أن يتكلم مع كازاتى فى هذا الشأن . فقبل استانلى وذهب الاثنان الى مضرب كازاتى وهناك دارت محادثة طويلة بين الاثنين وتمسك استانلى بأن ثورة الجنود وتمردهم وسلوكهم مع الباشا يجعله فى حل من كل مسئولية قبلهم بينما كان كازاتى على نقيض ذلك يتمسك بأنه حتى بعد ذلك يجب عليه ان لا يتخلى عنهم وقد يجوز أنهم الآن تغيرت افكارهم ورجعوا الى الطريق السوى . وانفصلوا فى نهاية الامر بدون ان يقنع أحدهم الآخر .

وفى أول أبريل عملت الترتيبات الاولية الهامة للعودة . فسافر الملازم استيرز ورجاله يرافقهم حواش افندى ورشدى افندى وثلاثة مصريون مع اتباعهم الى بلد الرئيس مازامبونى لينشئوا فيه معسكرا ويستحضروا الاقوات التى تحتاج اليها الحملة التى تقرر مسيرها فى ١٠ أبريل .

وذكر استانلى انه علم فى ٥ أبريل من مراسلته سيلى ان الزنزباريين

يقولون فيما بينهم ان أشخاصا حاولوا مرارا سلب بنادقهم ولكن يقظتهم وانتباههم حالا دون ذلك .

ملحوظة : (ولماذا يكونون قد حاولوا سرقة هذه البنادق ؟ ان الاشخاص الذين كانوا بمعسكر استانلى من المديرية هم بلا شك أولئك الذين كانوا يريدون حقيقة السفر وبادروا بالمجىء بقــــدر ما يمكنهم من السرعة حتى لا يتخلفوا عنـــــه . وعلى ذلك ليس لهم أية مصلحة فى وضع عراقيــــل فى سبيل سير الحملة . ويبدو أن الحقيقة هى ان استانلى ما تحين هذا العذر وما أبدى ما أبداه عن حالة الافكار التى قال انها كانت سائدة بمعسكر وهى الحالة التى وصفها لنا بعد ، الا ليحدث ذلك الانقلاب المظلم ويخلق له مبررا للابتعاد عن جنود المديرية الذين ما كان يريد بأى وجه من الوجوه ان يستصحبهم فى سفره) .

وقال استانلى بعد ان ذكر محاولة سرقة البنادق انه كان يسود المعسكر شعور بأن أمرا يوشك ان يقـــع فيه . وكان الناس يتهامسون فى خلواتهم ولوحظ ان المصريين الذين بالمعسكر يبعثون برسائل فى مغلفات الى أبناء جـــلدتهم فى وادلاى وان هؤلاء يردون عليهم برسائل لا تقل عنها ضخامة .

ملحوظة : (هذه تهمة مبهمة غير معينة كان من واجبات استانلى ان يجلى غامضها فى الحال بحجز وفتح هــــذه الرسائل وشنق من يتبين على رجل يضع أعناق رجال قافلته فى المشانق) .

وزاد استانلى على ذلك بأن قال ان بعضهم نبهه الى أخذ الحيطة والحذر

من ناحية المصريين وان لا يطرح من باله البندقية التى سرقها ضابط والمحاولة الجريئة التى بذلت بقصد سرقة البنادق الأخرى . وقال ان كل ذلك يدل على ان حدثا جسيما تعد له العدة قبل سفره .

وتوجه استانلى الى أمين باشا وحالة افكاره على ما ذكرنا بل ازدادت اضطرابا بقصد انتهاز الفرصة وقال له ان البريد الذى وصل من وادلاى مذكور به وجود اضطراب كبير فى حالة الامن وخلل فى النظام . وان نحو ستة أحزاب يصطدم بعضها ببعض وان أبواب مستودعات الحكومة كسرت وأخذ كل منها مشتهاه بدون ان يستطيع الضباط منع شىء . وان رجاله هنا وصل اليهم جملة خطابات من هناك ومن غريب الاتفاق ان حاول البعض هذه الليلة سرقة بنادق الزنباريين . وانه يبدو له أنه كثير جدا ان يقضى خمس ليال علاوة على ما مر من الزمن ليصل الى يوم ١٠ أبريل وانه يرغب السفر فى الحال وانه إذ كان لا يميل الى استعمال القوة فيعرض على أمين باشا وسيلتين :

الوسيلة الأولى ان يستدعى رجاله ويسألهم ليقف على من يريد مصاحبته فالذين يريدون البقاء يطردون وان لم يمتثلوا تستعمل معهم القوة .

والوسيلة الثانية ان يسافر هو بهدوء وسكينة فى الغد عند انبثاق النهار بحراسة رجال استانلى وينشىء معسكرا على قيد ٥ كيلو مترات من هنا ويستدعى برسائل أولئك الذين يبغون مصاحبته ولكن لا يجوز لأحد غيرهم ان يقترب من معسكره والا كان عرضة للهلاك .

وطلب أمين باشا استشارة كازاتى فرفض استانلى هذا الطلب واحتد

قائلا انه لا يأذن بحـــدوث ارتباك أو خلل فى النظام فى حمته وان هذه ستحمل أحمالها وتنطلق فى السير بعد ثلاثين دقيقة وانه اذا أريقت قطرة دم تقع مسئوليتها على أم رأسه .

وخـــرج استانلى ودق اشارة حمل السلاح وفى ظـــرف خمس دقائق كانت رجاله مصفوفة عـــلى شكل ثلاثة أضلاع مربع وأمر جفسن بأخذ بلوكه المسلح بالعصى واخراج كل اناس المديرية . وانتشر الزنزباريون فى المعسكر لا يبقون على أحد ولا يعفون أحدا من ضربات عصيهم . ويقول استانلى انه كانت تضحكه رؤية رجـــل زنزبارى بسيط يهز عصاه فوق رأس وكيل المديرية أو البكباشى أو اليوزباشية والملازمين .

ولما صار الجميع داخـــل المربع طفق استانلى يتكلم مرة أخرى عن نفس مسائل السرقة والتآمر . وبعـــد ان انتهى من ذلك سأل من منهم يريد السفر ومن منهم لا يريده . وبطبيعة الحـــال بادر الناس جميع وهم محاطون بهذه الظروف الى القـول إنهم يودون السفر . وهـذا علاوة على انهم جميعا كانوا قد أتوا لهـذا الغرض وكل ما قاله استانلى وكل ما افترضه .. كان له وجود إلا فى مخيلته .

وأعلن استانلى ان السفر سيقع بعد خمسة أيام وأمر بأن يحرر له كشف بأولئك الذين عقدوا النيـة على السفر وفعـلا تم تحرير هـذا الكشف وهى أسماء الاشخاص ذوى الحيثيات منهم :

أمين باشا . و اليوزباشى كازاتى . و الطبيب فيتا حسان . و المسيو مرزكو جسبازى . و وكيل المديرية عثمان افندى لطيف . والضباط : البكباشى حواش

افندى منتصر . و الصاغ ابراهيم افندى حليم . و اليوزباشية : احمـــد افندى ابراهيم . و عبد الواحـد افندى مقلد . و على افندى شمـروخ . و على افندى سيد احمد . و شكرى افندى . و الملازمون : سليمان افندى عبد الرحيم . و ابراهيم افندى ترباس . و فـرج افندى . و الموظفون : أيوب افندى . و اسنيكا افندى . و رشدى افندى . و عزرا افندى . و رفائيـل افندى . و واصف افندى . و غـبريال افنـدى . و عوض افنـدى . و محمـــد افندى خير . و يوسف افندى . و رجب افندى . و عارف افندى . و احمـد افندى رائف . و احمد افندى ابراهيم . والثلاثة الاخوة باسيلى افنـدى و توما افندى و داود افندى .

وفى ٨ أبريـــل وقعت مشاجرة بين كل من عمر وهـــو جاويش العساكر السودانيـة التى قـدمت من مصر مع استـانلى وشخص زنزبارى بسبب اهانة وقعت من هـذا لزوجـة الأول . وهـــذه المشاجـرة أفضت الى اشتراك السودانيين والزنزباريين فيها كل منهم فى جانب ابن جـــلدته وانتهت المعركة باصابة عدد كبير بجراح . ولما اتصل هـــذا الخبر باستانلى حكم على عمر بأن يحمل صندوق ذخيرة الى أن تشفى جـراح الزنزباريين . ويرى فيتـا حسان ان سبب هـذا الشجار هو استانلى نفسه كما ذكر ذلك فى صلب تاريخ المديرية عن هذه السنة .

وفى ١٠ أبريل أخذت القـافلة كما قال استانلى فى السير . وكانت مؤلفة حسب الارقام التى سطرها استانلى كما يلى :

رجال الحملة ٢٣٠ ورجال المـديرية ٦٠٠ وحمالون ٦٨٠ فيكون المجموع ١٥١٠ نسمة .

وبعد ذلك وصف لنا الرحلة لغاية زنزبار وهذا أمر سبق تدوينه واذا كنا قد كتبنا هذا الملحق وسطرنا كذلك ملحق السنة الماضية فما ذلك إلا لتبيان صلاته مع سلطة مديرية خط الاستواء حسب روايته هو نفسه .

الحوادث التى وقعت
فى مـديرية خط الاستـواء

بعد سفر أمين باشا منها

وقدوم حمـــلة استانلى الى ديـــار مصر

من سنة ١٨٩٠ إلى ١٨٩٩ م

لم تكد حملة استانلى تبلغ القاهرة فى بدء عام ١٨٩٠ م ومعهـــا رجال مديرية خط الاستواء الذين أمكنها استحضارهم حتى وصل اليها عامـــلا شركة شرق افريقيـــة الشرقيـة الانكليزية وهما السير ف . د . وينتون « F.D.Winton » والكابتن وليامز « Captaine Williams » . وقد يجوز أنهما وصلا اليها قبل الحملة وظلا ينتظرانها فيها .

وكان ضباط وجنـود مديرية خط الاستواء الذين قـــدموا مع الحملة ملزمين بطاعة نظـارة الجهادية التى بدون رضاها ما كان فى استطاعة أحـــد منهم أن يتطوع لخدمة أى شخص ما . ولكن هذه النظارة لم تكن مصرية إلا اسما وكانت فى الواقـــع ونفس الأمر مصلحة من مصالح جيش الاحتلال البريطانى . وعلى هـذا يستطيع المرء أن يدرك بسهولة أن العاملين السابق ذكرهما لم يصادفا أقل عناء فى تجنيـد من وقع عليه اختيارهما من بين القادمين مع الحملة . وفضلا عن ذلك فمن المحقق ان نظارة الجهادية قد استعملت



الكابتن لوجـــارد

كل ما لها من السيطرة على هــؤلاء الرجال وذلك بضغطها عليهم لحملهم على قبــول هـذا التجنيد . إذ من البداهة أن أولئك الرجال ما قاموا بأعباء هــذه الرحلة الطويلة الشاقة من قلب افريقية الى ان بلغوا الديار المصرية كما سبق ايضاح ذلك لكى يعودوا الى الموضع الذى كانوا فيه بمجرد وصولهم .

وقصارى القول هذا هو ما حدث . فان السير ف . دى وينتون والكابتن ويليامز جندا من بين رجال المديرية على أثر وصولهم من افريقية الى مصر اليوزباشى شكرى افندى الذى كان قائدا لمحطة مسوه والملازم فرج افندى و٧٠ سودانيا وأقلهما معهم الى ممبسة فوصلوا اليها فى أوائل شهر يونيه من عام ١٨٩٠ م وفيها وجدا الكابتن لوجارد « Lugard » الذى كان فى انتظارهما فى تلك الناحية من الشهر الماضى . وكانت الشركة قد عينته قائدا للحملة التى كلفت بالذهاب لتسلم أوغندة . وقد قلت لتسلم أوغندة مع أنه لم يحصل أى اتفاق بين ملكها والشركة المذكورة لأنه يمكن اعتبار ما كان لم يحدث الى ذلك الوقت فى حكم الأمر الواقع .

ووجد الكابتن لوجارد لدى وصوله الى ممبسه فى أوائــل شهر مايو من سنة ١٨٩٠ م أوامر من الشركة بالاسراع فى السفر بقدر مافى الاستطاعة لأنهــا علمت ان أمينا باشا التحق بخدمة الحكومة الالمانية وسافر الى تلك المنطقة فكانت تخشى أن لا يسبق حملة أمــين باشا ويعقد اتفاقا مع ملك أوغندة الأمر الذى يحرمها الشىء الذى تصبــو اليه وتطمح لأن الاتفاقية الانكليزية الألمانية التى قررت مصير هـذا البلد ما كانت أبرمت بعد وما كانت وقع عليها .

وفى الحال أخذ الكابتن لوجارد فى إعـــداد معدات السفر وغيرها من اللوازم . وفى ٦ أغسطس من عام ١٨٩٠ م ولى وجهه شطر الجهـــة المقصودة فبلغها قبيـــل آخر العام المذكور . وانى لا أكلف نفسى عناء وصف رحلتـــه لأنه خارج عن موضوع هـذا الكتاب الذى ينحصر فى ايضاح ما وقع للجنـود المصرية الذين تركوا فى مديرية خط الاستواء وكذلك مصيرهم .

وكانت أوغندة لدى وصول حملة الكابتن لوجارد منقسمة الى ثلاثة أحزاب دينيـة الأمر الذى نشأ عنـه نشوب حرب أهليـة . واليك بيان أديان هذه الاحزاب :

الأول الاسلام الذى أدخـــله تجار العرب الزنزباريون الذين يتبادلون المتاجر مع أوغندة . ومن الامور المحققة أن هذا الدين هو أول دين دخـل فى ذلك البلد .

والثانى البروتستانت وهو دين أدخله فيها المبشرون الانكليز الذين قدمـــوا اليها وتوطنوا فيها عام ١٨٧٧ م كما هـو مذكور فى الملحق الرابع لعام ١٨٧٨ م .

والثالث الديانة الكاثوليكية وهذه أدخلها فى البلد الآباء البيض الجزائريون Les pères blancs d'Algerie (وهــــؤلاء الآباء البيض ليسوا جزائريين جنسية بل مبشرين أوربيين مقرهم فى بلاد الجزائر) .

ومع أنه كان من الصعب معرفة عدد معتنقى كل دين من هذه الأديان الثلاثة بالتدقيق إلا أنه كان من المسلم به أن عـدد كل طائفة منهم كان مساويا

لعدد الأخرى تقريبا ولذلك كان ينشأ عن انضمام طائفتين الى بعضها انحطاط هائل فى عدد الثالثة يجر عليها الضرر .

وكان يبدو أن انضمام الطائفتين الأخيرتين الى بعضها ضد الأولى أمر بديهى لأنهما فى الحقيقة من دين واحد هو المسيحية ولكن هذا كان غير الواقع لأن فريقى النصارى كانا يقتتلان ويتناحران حتى كأنهما كانا يناجزان المسلمين . ونشأ عن ذلك أنه حين قدوم حملة شركة افريقية الشرقية الانكليزية ما كان فى استطاعة انسان القول إن طائفة منهم أو طائفتين موقفها أو موقفهما كان متفوقا . وكانت السلطة تنتقل من طائفة الى أخرى بحسب الظروف ومن هنا يدرك المرء بسهولة حالة التخبط والفوضى التى كانت تسود أرجاء البلد .

ورجح قدوم حملة الشركة كفة طائفة البروتستانت لأنها هى والحملة من دين واحد ومن عهد ما وضعت الشركة يدها على أوغندة شبت حرب صليبية ثم داوم عمال الحكومة الانكليزية على امدادها بالوقود فكان المسلمون لها طعاما بادىء ذى بدء ومن بعدهم الكاثوليك وذلك بقصد تطهير البلد من هاتين الطائفتين . وهذه الحرب الصليبية نجحت نجاحا باهرا حتى انه على ما أعلم لم يبق فى أوغنده اذا استثنينا الوثنيين إلا البروتستانت . واذا هاج الشوق أحدا لاستيعاب مفصلات هذه المسألة فما عليه إلا أن يطالع مؤلفات الآباء الكاثوليك التى وضعوها عنها .

ولدى وصول الكابتن لوجارد أبرم معاهدة مع موانجا ملك أوغندة بالنيابة عن شركة افريقية الشرقية الانكليزية والمعاهدات التى من هذا النوع هى عبارة عن المستندات التى تتملك بها الدول الاوربية فى افريقية والشرق

حقوق الأمم المستضعفة وتختلسها ظلما وعدوانا . وبعد ذلك بدأ الحادثة مع طائفة الكاثوليك للشروع فى عمل مشترك تدور رحاه على المسلمين أولا فاذا ما فرغ من هؤلاء وتخلص من وجودهم انقلب على الأولين . وهـذا ما حدث فعلا وفاز بتحقيقـه . واليك ما ذكره فى كتابه « قيام مملكتنا الافريقية الشرقية The Rise of our East A. E. « ج ٢ ص ١١٢ » وذلك قبل أن يشرع فى شن حربه الصليبية على المسلمين :—

« لا يقاتل بعد الآن نصرانى نصرانيا ونحن ضد الاثنين . ولكننا جميعا مصفوفون فى ناحية واحـدة وعلى وشك أن نصير رفقاء فى شن الحـرب على العدو المشترك فالمسيحيون ضد المسلمين » .

ويبـدو مع هـــذا ورغم ذلك أن هذا الضابط كان أكثر عـدالة وأكثر وفاء بالوعـود التى قطعت من كافـة الضبـاط الذين خـــدموا فى هذا البلد .

وتألفت حملة من الطائفتين ومن سودانيي الشركة وشنت الغـــارة على المسلمين وانتصرت عليهم ولكن هذا النصر لم يكن باتا . وبعد ذلك ذهب الكابتن لوجارد ابتغاء تجنيـد جنود خط الاستواء المصريين القـدماء وكان هـؤلاء مقيمين فى كافاللى فى المعسكر الذى أخـــلاه استانلى تحت إمرة سليم بك مطر . وكانت هـذه المسألة فى الواقـــع بغيته الاوليـة وكان يريـــد الاسراع لاسيما أنه كان قـد سمع أن أمينـــا باشا يمم تلك المنطقة ليجندهم فى خدمة الحكومة الالمـانية وكان لا يريد أن تفلت منـــه هذه الفرصة .

وقبل أن نخوض كثيرا فى هذه القصة ينبغى أن أذكر ما وقع من الحوادث فى مديرية خط الاستواء بعد سفر أمين باشا مع حملة استانلى ووصول جنود المديرية إلى كافاللى :—

حول جنود المديرية بعد سفر أمين باشا

لقد بارح سليم بك كما سبق القول معسكر استانلى فى كافاللى فى ٢٦ فبراير عام ١٨٨٩ م مع الضباط الذين كانوا قد ذهبوا بصحبته عند هذا الأخير وذلك ابتغاء الشروع فى اخلاء مديرية خط الاستواء من الموظفين والجنود .

ومع ذلك كان الأجل الذى منحه استانلى وحدد له نهاية مارس ثم مده الى ١٠ أبريل لا يكفى مطلقا لحشد كل أولئك الخلائق فى معسكره فى المدة التى عينها . فالحاميات التى كانت فى مختلف المحطات تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة شاسعة . وكان من المستحيل حشدها فى الوقت اللازم . فمثلا حامية مكراكا كان لابد لها من شهر لتصل فقط الى وادلاى . ومن هذه المحطة كان من اللازم الابحار مسافة أخرى على متن الباخرتين والمراكب التى يمكن أن تجرها الى أن تصل الى معسكر استانلى . ولم يكن من اللازم نقل المستخدمين والجنود فقط بل كان ينبغى ايضا نقل ذويهم وأتباعهم ومجموعهم يبلغ عدة ألوف من الارواح . فكان من رابع المستحيلات استطاعة الوصول فى الوقت المعين بوسائل النقل التى كانت قليلة جدا .

وكان من اللازم عدم التعويل على السفر برا لأنه حتى لو اطرحنا

جانبا مسألة الصعوبات الهـــائلة التى تعترض تحريك جموع كبيرة كهذه على مسيرة مسافات هكذا ساشعة فالطريق الذى كان من الضرورى اجتيازه مأهول بقبائل معادية ولابد من محاربتها للتمكن من اجتيازه .

ولقـد كان استانلى من أكثر الناس خـــبرة بالأسفار فى افريقيـة ويعرف حق المعـــرفة أنه يستحيل جمع كل هؤلاء الخلائق فى الأجـــل المضروب ولكنه بتحديد هـذا الأجل لم يرد إلا التخلص من اللوم . أما فى الحقيقـة فكان قد قرر عـدم ارجاعهم معــــه وغرضه تركهم حيث كانوا للانتفاع بهم فى أيام أخرى وأمور أخـــرى . ألم يصرح لنا أنه لم يكن ليسمح بوجودهم فى معسكره خـوفا من أن يوجـــد به من ٦٠٠ الى ٧٠٠ جنـدى مدججـــين بالسلاح مع ان هذا لم يكن السبب الحقيقى ؟ .

وشرع سليم بك بالاختصـار على أثر وصوله الى وادلاى يجد ويعمـل . وابتدأت عملية النقل . ولما نمى اليه خبر سفر الحمـــلة بادر بارسال ثلتين خلفها الأولى مؤلفة من ضابط واحد وثلاثين جنـــديا والأخرى من ضابط أيضا و٥٠ جنديا لتلتمسا من أمين باشا الانتظار غـــير أن هاتين الثلتين لم تستطيعا اللحـــاق بالحملة ولم تفوزا بالوصول الى مقصدهما . وعـــاد الضابط الأول الى مسوه بدون أن يعمـل أى عمل . أما الثـانى ويقال له السيد افندى فقـــد اهتدى صدفـة عند البحث فى أحد معسكرات استانلى الى ال ٤٢ صندوق الذخيرة التى كان طمرها فيه وأخذها ثم رجع وأقام فى معسكر استانلى فى كافاللى .

وفى غضون وقـوع هذه الحوادث اختـل النظام مرة أخـرى وتجدد

الاضطراب بين فريقى سليم بك وفضل المولى بك فى وادلاى وفى ذات ليلة فتح الأخير هو وعصبته مخازن الحطة واستولوا على كافة ما فيها من الذخيرة وولوا وجوههم صوب الشرق .

أما سليم بك وكان عندئذ فى مسود فوقع فى أشد الحيرة لأنه لم يكن لديه إلا النزر اليسير من الذخيرة والبعض من محازبيه وكان فريق من الباقى من هؤلاء فى وادلاى والفريق الآخر فى طريقه الى مسوه للانضمام اليه .

وكان سليم بك لا يستطيع بحكم الطبع أن يرجع الى وادلاى وقرر أن ينتظر وصول محازبيه المرتقب قدومهم اليه . وعندما وصل هؤلاء ذهبوا جميعا الى معسكر كافالى لينضموا الى فريق السيد افندى . وفى هذا المعسكر اتخذوا محل اقامتهم .

ونمى خبر العثور على الـ ٤٢ صندوق الذخيرة الى فضل المولى بك فأرسل ٤٠٠ رجل للاستيلاء عليها . ولدى وصولهم الى كافالى أوشكت موقعة أن تحدث بين الفريقين غير أنه فى نهاية الأمر حكم الفريقان العقل وبذا انفض الاشكال وقسمت الذخيرة بينهما .

وكان عدد الفصيلة المنضمة وقتئذ الى سليم بك يبلغ ٨٠٠ جندى مدججين بالسلاح « رمنجتون » وهؤلاء مع أتباعهم يبلغ مجموع عددهم زهاء ٨٠٠٠ نسمة .

وكان مع هذه الفصيلة عوض افندى مخزنجى المديرية ومحمد افندى زيور وهو كاتب شركسى المحتد . غير أن عدد الجنود نقص بسبب ما قام بينهم

وبين الاهالى من الحروب . غير أن سليم بك كان قد حصن المحطة واستمر العلم المصرى يخفق فوق معاقلها .

وفى يوليه سنة ١٨٩١ م وصل أمين باشا الى كافاللى وكان مقصده تجنيد عساكره القدماء باسم الحكومة الالمانية . وقابله سليم بك ومن كان بمعيته لدى قدومه بمزيد الفـــرح والابتهاج لأنهم خـــالوا أنه أتى اليهم من قبل الحكومة المصرية يحمل لهم امدادا لكن أمينا باشا صرح لهم أنه التحق بخدمة الحكومة الالمانية وانه لا ينبغى لهم أن ينتظروا أية معونة من لدن الحكومة المصرية وانه خير لهم أن ينخرطوا فى سلك الجندية تحت إمرته .

وإن هو إلا أن سمع سليم بك هـــذا القول حتى أجاب انه هو وجنوده من رعايا جناب الخديو وانهم يعتبرون أنفسهم دائما أبدا فى خدمته . وعلى ذلك لا يستطيعون اجابة طلبه بل أذاع الجنود اشاعة فحواها أن الخديو غضب على أمين باشا بسبب تركهم وطرده من خدمته .

وتوصل أمين باشا مع ذلك الى تجنيـــد زهاء عشرين نفسا منهم . وفى ٩ أغسطس سافر . غير أن أكثر أولئك الذين جندهم تسللوا بعد بضعة أيام وقفلوا راجعين الى كافالى . وعند ذلك فقط أتى الكابتن لوجارد ووجدهم على هذه الحالة . وكان قدومه فى ٨ سبتمبر أى بعد شهر من سفر أمين باشا . أما قصـــة التصفية الثانية التى شابت فضل المـــولى فسنذكرها فى الوقت المناسب .

تجنيد الكابتن لوجارد للعساكر

ووصل الكابتن لوجارد إلى شاطىء بحيرة البرت نيانزا الغربى فى ٦ سبتمبر من عام ١٨٩١ م تجاه نسابى حيث كانت الباخرتان « الخديو » و « نيانزا » قد قدمتا بالاشخاص الذين كانوا قد عزموا على الرحيل إلى ديار مصر مع حملة استانلى . وأعلمه أهالى المديرية الذين كانوا بمعيته بذلك وأطلعوه على هذه الأماكن . وأبلغه الاهالى أيضا أن جنود سليم بك السودانيين ضاربون على مسافة غير بعيدة . وبعد ان تسلق سفح نجد نزل بجوار قرية .

وزاره فى نفس مساء اليوم بعض الضباط وفرحوا بلقاء رفاقهم العائدين من الديار المصرية بعد أن طال عهد غيابهم عنهم وقفل البعض من الأولين راجعا بحمل الخبر إلى زملائه . وقضى الباقون ليلتهم فى المعسكر مع شكرى افندى ورفاقه . وأبلغوهم ان سليم بك ليس فى معسكره فى هذه الآونة بل ذهب ليقابل فصيلة من فصائلهم قادمة من مديرية خط الاستواء .

وفى اليوم التالى قوض لوجارد مضاربه ونصبها تجاه معسكر السودانيين بحيث صار لا يفصلها إلا جدول ماء . وبعد ذلك بعث برسل إلى سليم بك يستقدمه على وجه السرعة . فأجابه أن ابعث بشكرى افندى لمقابلتى ولكن الكابتن لوجارد رفض مصرحا أنه لا يرسل اليه أى شىء قبل أن يراه هو شخصيا .

ووصل سليم بك فى ١١ منه وذهب الى الكابتن لوجارد . ووصف

الاخـــير الاول فقال إنه من الجبابرة وأنه عبل الجسم لدرجـــة خارقة للعادة على أن استانلى كان قد وصفه بأنه رجل منهمك فى تعـــاطى المسكرات ميـــال الى الراحة . ويراه لوجارد بالعكس رجـــلا ذا حزم وعـزم كما برهن على ذلك فى الحـوادث الأخـــيرة التى وقعت فى مديرية خط الاستواء .

وعرض عليـــه الكابتن لوجارد عنـد مقابلته أن يستحضر معه من يريده من ضباطه فأجاب سليم بك أن لا حاجة لذلك وأنه وحـــده يبت فيما يلزم نيابة عن ضباطه وأن هؤلاء يقبلون ما يراه ويقره . وهـــذا ما جرى وتم .

وجاوب سليم بك على الاقـــتراحات التى اقترحها عليه الكابتن لوجارد بتجنيده هـو ورجاله بأن شعر رأسه ابيض وهو فى خـــدمة الخديو وأن لا شيء فى العالم يستطيع أن يحوله عن الاخلاص فى خدمة المـــلم الذى خاطر بحياته مائة مرة فى سبيل نصرته وأنه إذا كان يحمل تصريحا من الخديو فهو ينضم اليه ولكنه بدون ذلك لا يخدم أى علم آخـر مهما كان ذلك العلم .

فأجاب الكابتن لوجارد على ذلك أن مصر أخلت السودان وأن الخـديو أرسل بواسطة استانلى أمرا للجنـود باخـــلاء مديرية خط الاستواء وأن مصر وانكلترا مرتبطتان بمعاهدة وثيقـة العرى وأنه أى (لوجارد) يحمـل شارة مصر العسكرية لأنه حارب الدراويش فى السودان باسم الخـديو . وقال علاوة على ذلك انه سيكتب للخـديو ويكتب سليم بك كذلك اليه ليلتمسا منـــه هـذا الاذن ثم بعـد أن تأتى إجابة الخـديو يعمـــل سليم بك

بما يجيء بها . أما الآن فلنتفق فيما بيننا فاذا كان الخديو لا يأمر بخدمة الانكليز (١) ويستدعيكم إلى مصر يمسى العقد لاغيا وتكون لكم الحرية المطلقة فى السفر وهو يعاونهم فى ذلك . وانه ربما ترد إجابة الخديو يكون سليم بك فى خدمة الانكليز ويأتمر بأوامره .

وقبل سليم بك هذه الشروط وطلب من الكابتن لوجارد أن يرشده عن الموضع الذى يرغب أن يذهب اليه واعدا أن يظل هنالك مع جنوده رافعا رايته وأن يخدم الانكليز الى أن يأتى جواب الخديو فيعمل فيما بعد بمقتضاه وافترقا على ذلك .

وفى الغد تقابلا مرة ثانية أظهر سليم بك فيها صلابة فى المفاوضة . فكان يريد أن تستمر جنوده تحت مطلق تصرفه ويعسكروا فى محطة واحدة الى حين ورود إجابة الخديو .

فأجابه الكابتن لوجارد أنه لا يستطيع قبول هذا الشرط وأنه لا يسمح بدخول قوة مسلحة فى أرض تدير شئونها الحكومة البريطانية بأى حال من الأحوال ما لم تكن هذه القوة تحت كامل تصرفاته . فيسكنهم فى المحال التى وقع عليها اختياره وذلك يكون تبعا لما يستطاع الحصول عليه من الأقوات ومراعاة الاماكن التى تتطلب حاميات . وحيث أنه وعد بالكتابة للخديو فاذا أمر بعودتهم إلى مصر (٢) فهو يبذل كل ما فى وسعه ليسهل رجوعهم اليها وقال علاوة على ذلك مخاطبا أيضا سليم بك : « انه خير لك أن تعتمد علىّ وتثق بى وإنك إذا أردت أن تعرف

(١) — وهذا الأمر مستحيل . (٢) — وهذا الأمر بعيد الاحتمال .

أنى ممن يحتفظون بوعودهم ولا يفرطون فيما يصـدر منهم من الكلام فما عليك إلا أن تستعلم من رجالك أما إذا كنت غير واثق منى فبقدر ما نسرع فى قطع المفاوضات يكون ذلك خيرا وأبقى » .

وانتهى الكلام بقبول سليم بك بتأثير شكرى افندى الذى كان بمصر إذ أفهمه أن الانكليز والخـديو مرتبطون بعهود لا انفصام لها وأنه اذا أبى التسليم بما عرضه عليـه لوجارد يصعب عليه أن يبرىء نفسه أمام الحكومة المصرية . هذا ومن جهة أخرى فان شكرى افندى ما استخدم كما سبق القول إلا لهذا الغرض ولهذه الغاية .

وجال بخاطر الكابتن لوجارد أولا أنه يمكنه أن يذهب بهذه الجنود ويحتل ثانية وادلاى ويترك فيها حامية فى بقعة حصينة غير أن الاحوال تغيرت عما كانت فى الزمن السابق فالباخرتان الخـديو ونيانزا أغرقتا وأمستا أثرا بعـد عين واغراقهما ، فى نظره وحسبما قال ، يعد طامة كبرى فلولاه لكان بالطبع قد وضع يده عليهما كما وضع يده على الجنـود المصرية وكل ما كان من ممتلكات مصر وذلك بحكم الاتحاد الوثيق — كما قال — الذى بين الخديو والانكليز . وهذا الاتحـاد بحسب عقليته يخول له تملك كل ما يختص بمصر .

واذن أضحت الحـال بسبب عدم وجود هاتين الباخرتين اللتين كان بواسطتهما يمكن قطع المسافة إلى وادلاى فى الزمن السالف فى ظرف ثلاثة أيام ، داعية الآن الى قطعها برا فى قلب بلد مأهول بالاعداء . وعلى ذلك اضطر الكابتن لوجارد رغم رغبته الشديدة فى وضع يده فى التو والحال على مديرية خط الاستواء المصرية أن يؤجل هـذه العملية وهو آسف كل الأسف

إلى ما بعد . ومن ناحية أخرى فان سليم بك اعترضه فى ذلك صراحة لأن أمر الخديو لم يكن قد ورد بعد .

وتمت التسوية على ذلك وكتب منها نسختان احداهما بالعربية والأخرى بالانكليزية وها كها :

« يتعهد الكابتن لوجارد أن يكتب للخديو يستأذنه فى تجنيد العدد اللازم من الجنود له وللشركة أيضا وإذا أبى الخديو الترخيص بذلك واستدعيت الجنود الى الديار المصرية سهل لهم طريق مرورهم فى قلب أرض الشركة وذلك مقابل الخدمة التى يكونون قد أدوها . واذا كانوا ينتظمون نهائيا فى خدمة الشركة يمنحون مكافأة عن المدة التى يكونون قد قضوها فى خدمة الشركة وذلك لحين ورود الترخيص من الخديو . وفى أثناء هذه المدة ينتظمون فى سلك الجندية بقيادة الكابتن لوجارد الذى يتعهد بأن لا يرسلهم إلى مديرية خط الاستواء وأن يبقيهم داخل حدود مملكة الاونيورو . أما اذا دخلوا نهائيا فى سلك الجندية فى خدمة الشركة بعد ورود اذن الخديو فيتحتم عليهم أن يذهبوا محل ما يؤمرون وهم رافعون علم الشركة . ولهم إلى أن يرد ذلك الاذن أن يرفعوا العلم المصرى . أما فيما يختص بالرتب والمرتب والكساوى والعلوفة فيعاملون المعاملة التى كانوا يعاملون بها فى عهد الحكومة المصرية » .

وكتب الكابتن لوجارد وسليم بك إلى الخديو حسب الاتفاقية فأذن بطبيعة الحال كما كان ينتظر بتجنيد جنوده الخاصة فى خدمة الشركة . وهذا الاذن قد وصل إلى أوغندة بعد أن أعلنت الحكومة الانكليزية امتلاكها لهذه البلاد فأهمل أمره حتى لم يهتم كائن من كان بتبليغه الى الجنود .

ويقول الكابتن لوجارد إنه سر أيما سرور لانتهاء المفاوضة بهذه الطريقة . وبالطبع يسر سرورا لا مزيد عليه لأن الحكومة الانكليزية بعد الشركة اكتسبت بدون أن تخسر فلسا واحدا قوة نظامية بأسلحتها وذخيرتها لتحتل أرضا كانت تطمح اليها من أمد مديد وتلك الارض من ممتلكات غيرها واكتسبت معها أرباب الصنائع والعمال بمديرية خط الاستواء . وبعد أن تم هذا حصل الاتفاق ما بين كل من الكابتن لوجارد وسليم بك على السفر بعد عشرين يوما .

واجابة لطلب سليم بك عرض الكابتن لوجارد الجنود فى يوم ١٧ سبتمبر . وروى هذا الاخير أن عددهم كان زهاء ٦٠٠ جندى وكانوا فى العرض يؤلفون مربعا ومسلحين بسلاح رمنجتون وهؤلاء عدا الذين كانوا بغير سلاح وفى استطاعتهم أن يحسنوا القيام بالخدمة إذا كانوا يمتلكون أسلحة . ووجه اليهم الكابتن لوجارد بعض كلمات تتعلق بأمر تجنيدهم ثم والوا السير على عزف الابواق والطبول أمامهم . وكان كثير منهم مصابا بجروح مندملة أصيبوا بها فى حروبهم مع الدراويش . وكان بينهم بعض المصريين . ويقول الكابتن لوجارد إنه يستحيل على المرء أن لا يعتريه هزة اعجاب عند رؤية هؤلاء الجنود المتروكين مارين أمامه بأعلامهم الممزقة والمثقوبة من كل ناحية بفعل الرصاص الذى اخترقها فى المواقع الدامية والحروب الهائلة مع المهديين وإخلاصهم الذى لا حد له للخديو والراية المصرية . وكان من بين هؤلاء الجنود ضابط قديم يقال له بلال بك مرضوض الذراعين بفعل الرصاص الذى أصابه وصير ذراعيه عاطلتين عن الحركة أصلا . وهذا الضابط بشجاعته وهمته أنقذ دوفيليه يوم أن هاجمها المهديون . وقال سليم بك للكابتن لوجارد إن كثيرا من الجنود مات متأثرا من سهام أهالى المديرية المسممة عند

قدومهم من وادلاى الى كافاللى .

فهل كان يليق بعد كل هذا أن يكون جزاء هؤلاء الجنود المخلصين من حكومتهم أن تتهاون فى أمرهم الى هذا الحد وتتركهم بهذه الحالة ؟ !

وهل يصح أن يوصف هؤلاء الجنود بالثوار ويقال عنهم انهم كانوا عقدوا النية على القبض على استانلى ليسلموه للمهديين وتقف حكومتهم منهم هذا الموقف الشائن ؟ ! . إن هذا لا يصدر من حكومة رشيدة أبدا ولكن لا غرابة فقد كانت هذه الحكومة مغلوبة على أمرها حتى ليصح لنا أن نقول إن ما صدر منها لم يكن فى الحقيقة إلا من وحى المحتلين وضغطهم وان كان هذا لا يعد عذرا مبررا لها فى هذا الموقف الخطير .

وقدم بعد الظهيرة ثمانية من كبار الضباط إلى الكابتن لوجارد ليوقعوا التعهد وقد قال إن مقابلته لهم كانت لطيفة وأن أساليبهم مشوبة بالأدب والأنس .

وشرعوا فى السير فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٩١ م . وعلى طول الطريق أقام الكابتن لوجارد على حدود الاونيورو سبعة معاقل وضع فيها حاميات من جنود سليم بك ولم يحتفظ إلا بمائة جندى قادهم إلى حصن الشركة القائم فى « روباجا » عاصمة أوغنده التى وصل اليها فى ٣١ ديسمبر من سنة ١٨٩١ م .

ولدى دخولها وجد أمرا من الشركة باخلاء أوغندة لأن مواردها المالية لا تسمح لها بالاحتفاظ بها . ووقع هذا الخبر فى نفسه موقعا سيئا

وعقد النية هو والكابتن وليامز على أن يرجع أحدهما إلى انكلترا ليحاول حمل الشركة على العدول عن قرارها . ولكن فى ٧ يناير من سنة ١٨٩٢ م قبل الشروع فى تنفيذ هذا المشروع قدم بريد من الساحل مؤداه أن الشركة قررت مد الاحتلال عاما آخر .

وسعى الكابتن لوجارد فى تهدئة الخواطر ومصالحة الكاثوليك مع البروتستانت وذلك بتخصيص منطقة لكليهما . ولما تكلل سعيه بالنجاح باشر مفاوضة المسلمين ابتغاء معاملتهم بعين الطريقة السالف ذكرها . ولما كان فريق المسلمين أرسل مندوبين للمفاوضة شيع الكابتن لوجارد مع هؤلاء سليم بك بصفة مندوب من قبله . ويقول هذا الكابتن إنه كان يثق ثقة تامة بالبك المشار اليه وان المسلمين يعتبرونه أهم انسان بين معتنقى ديانتهم فى هذه المنطقة وكان سليم بك مزودا بأمر يقضى باستحضار الملك الذى نصبوه عليهم وهو شخص يقال له « امبوجو » Ombogo وكان لوجارد لا يريد الاعتراف بتنصيبه .

واتخذ سليم بك طريقه وبعد وقت أرسل خطابا الى الكابتن لوجارد يقول فيه إنه ابتغاء اقناع امبوجو حلف له يمينا على المصحف أنه لا يناله أقل سوء ما دام يسلم نفسه للكابتن السالف ذكره . وأورد هذا الاخير فى كتابه (المجلد الثانى ص ٤٧٨) ان هذا العمل برهان ساطع ليس فقط على اخلاص سليم بك فحسب بل على ما كان عنده من الثقة فى الانكليز أيضا وأظهره بصبغة أحسن كثيرا من الصبغة التى رآه عليها استانلى وجفسن .

وفى نهاية الأمر أحضر سليم بك قبيل آخر مايو « امبوجو »

وهذا فوض أمره الى الكابتن لوجارد . وقال لوجارد (راجع المجلد الثانى من كتابه ص ٤٩٦) ان سليم بك وشخصا مصريا آخر يقال له احمد افندى أظهرا فى تلك المفاوضات براعة فائقة وذات قيمة لا تقدر وأنه كان من المستحيل أن يدرك غيرهما هذا النجاح (وسنرى فيما بعد كيف جوزيا على هذه الخدمة) .

وصمم الكابتن لوجارد بعد ان عين منطقة للمسلمين على الرجوع الى بلاد الانكليز ليحاول منع إخلاء أوغندة واتخذ سبيله فى السفر فى ١٦ يونيه عام ١٨٩٢ م . فوصل الى ممبسة فى أول سبتمبر وبينما هو سائر فى طريقه صادف فريق الضباط الذين كانوا يشتغلون فى رسم سكة حديد أوغندة المنوى انشاؤها بقيادة الماجور مكدونالد .

وقال الكابتن لوجارد عن هذا الضابط انه رجل كفء غير ان اساليبه فى افريقية لا تتفق مع أساليبه .

وقد ذكرت هنا ما قاله لوجارد عن هذا الضابط لأنى سأضطر الى التكلم عن هذه الشخصية فيما بعد .

وأقلع الكابتن لوجارد فى ١٤ سبتمبر الى انكلترا . وكان معه ابنة سليم بك وكان قد سلمها اليه ليوصلها الى ديار مصر . وكان فى صحبته كذلك كثير من الفارين من مديرية خط الاستواء . ونزل مع من كان بمعيته فى السويس وولى وجهه شطر القاهرة وفيها علم أن الحكومة المصرية قررت أن لاشأن لها البتة بكل من يأتى من تلك المديرية بل ترفض أن تصرف لهم متأخر رواتبهم . فدهش

كثيرا من هذه المعاملة التى لا يصح أن تصدر من حكومة تعرف لنفسها كرامة اللهم الا اذا كانت تريد بعملها هذا ان تكره رعاياها على البقاء فى تلك المنطقة لينتظموا فى سلك جندية غيرها كما حدث فعلا .

ويقول الكابتن لوجارد انه بذل ما فى وسعه فى نظارة الجهادية المصرية لكى ترأف بهؤلاء اللاجئين . ثم يمم انكلترا ووصل الى لندره فى ٣ اكتوبر من عام ١٨٩٢ م . وفيها علم ان اخلاء أوغندة الذى كان قد تقرر ميعاده فى آخر السنة تأجل ثلاثة أشهر ليكون لدى الحكومة الانكليزية الوقت الكافى لأن ترسل مندوبا من قبلها ليحصى الثمار التى يمكن جنيها من ذلك البلد حتى تستطيع عند اللزوم أن تحل محل الشركة .

مهمة السير جيرالد پورتال

وعين السير جيرالد پورتال Sir Gerald Portal قنصل جنرال بريطانيا فى زنزبار والذى كان السكرتير الأول للوكالة السياسية البريطانية فى مصر من عام ١٨٨٣ الى عام ١٨٩١ م تحت رياسة اللورد كرومر ، قومسيرا بريطانيا وعهد اليه الذهاب الى أوغندة وأن يصحب معه عددا كبيرا من رجال اركان الحرب للقيام بالابحاث اللازمة عن حالة هذا البلد والبت فى شأن القواعد التى يمكن وضعها له من وجهتى الادارة والسياسة . وتزود كذلك بأمر مقتضاه أن يحل اذا رأى أوفقية ذلك محل « شركة افريقية الشرقية البريطانية » .

وفى أول ينـاير من عام ١٨٩٣ م اتخذ طريـق زنزبار ووصـل الى روباجـا عاصمة أوغنـــدة فى ١٧ مارس . وبعد أن أقام فيها أسبوعين وهـــو وقت قصير للغـاية لا يكفيه ليفكر فيما يلزم عمـــله أو ما يلزم اجتنابه الأمر الذى يــــدل دلالة واضحـــة على أن القـومسير البريطانى كان لديـه سلفـا تعلـــيمات معينـة بالخطـــة التى يجب عليـــه اتباعها ، أنزل فى أول أبريل عـلم الشركة ورفع محـله العـــلم البريطانى وبذلك وضع البـلد تحت حماية انكلترا .

وفى غضون اقامـة السير جـيرالد بورتال القصيرة فى أوغنـــدة قسم أرض المملكة مرة أخـرى بين الثلاث الطوائف ونشأ عن ذلك احتجاج الكاثوليك والمسلمين بشدة لترجيـــح كفة البروتستانت فى القسمة . ولم يكترث بالطبع السير جيرالد بهـــذا الاحتجاج وضرب به عرض الحائط . وكتب سليم بك خطـابا يطلب فيـــه انصاف المسلمين فقابله السير جـيرالد بورتال فى ٢٥ مايو أى قبـــل سفره بخمسة أيام وأفهمـه أن هـذه مسألة لا تعنيـه ولا دخـــل له فيهـا . وقال السير جـيرالد فى كتـابه « مأمورية أوغنـدة ص ٢٣٩ » إن سليم بك وافقـه على ذلك . ومن اللازم أن نتذكر هذا القول عند الكلام على ما وقع للماجور مكدونالد عقب سفر القومسير البريطـانى تماما .

وكان من بين القرارات التى اتخذهـا السير جيرالد بورتال أثنـاء إقامتـه فى أوغنـــدة قرار بتعيين رئيسين لوزارة الملك على أن المعتـاد دواما تعيين رئيس واحـد . وغرضه من ذلك إرضـاء طـائفتى الكاثوليك والبروتستانت إذ جرت العـادة أن يكون لكل من الطائفتين وزير أول وأبى أن يتمتع

المسلمون بمثل هذا الشرف .

وذكر السير جيرالد بورتال بالصفحة رقم ٢٤٥ فى مؤلفه الآنف الذكر أنه فى عشية يوم سفره أى فى ٢٩ مايو قابل رؤساء المسلمين مقابلة حدث فيها هرج ومرج وذلك بحضور الملك وفى غضونها أفهمهم أن لا حق لهم فى أية توسعة فى سلطتهم . وكل هذا يدل على أنه ما كان يشعر بمودة نحو المسلمين .

وفى ٣٠ مايو من عام ١٨٩٣ م بارح السير جيرالد بورتال عاصمة أوغندة وعهد مؤقتا بادارة الاعمال الى الماجور مكدونالد . ولا يجب أن يعزب عن بالنا ان هذا الماجور لازمه طول مدة اقامته فى أوغندة . ولو وجد أى شك وقتها فى قيام ثورة كالتى سنأتى فيما بعد على ذكرها لما سافر بالطبع السير جيرالد . ومما يبرهن على ذلك أن السير جيرالد عندما تلقى خطابات من الماجور مكدونالد وهو فى الطريق كتب يعرض على هذا الماجور الرجوع إذا كان هنالك ضرورة تقضى برجوعه .

وفى ٨ يونيه وصل الى السير جيرالد وهو فى طريق السفر خطاب من الماجور ماكدونالد يخبره فيه بهجوم من كباريجا ملك أونيورو على معاقل أوغندة قتل فيه شكرى افندى ضابط أمين باشا الذى جنده عمال الشركة من القاهرة وأخبره أيضا فيه بأن الحالة أمست حرجة .

فأجابه السير جيرالد بورتال أنه فى انتظار أخبار أخرى فى ناحية يقال لها موميا Momia لغاية ٢١ الجارى . وأنه مستعد للرجوع إذا دعت

الحالة الى ذلك . وانتظر فى الواقع الى ما بعد هـذا التاريخ وفى ٢٤ منه تلقى خطابا ذكر فيه أن الحالة تحسنت ولا تستدعى حضوره . وعلى ذلك قوض السير جيرالد معسكره وعاود السير . ولم ترد الى هذه الفترة أخبار بشأن الثورة التى اشتهر أمرها .

وفى اليوم التالى ٢٥ منه جاء السير جيرالد بورتال خطاب من الماجور يقول فيه إنه أتاه خطاب من سليم بك مكتوب بلهجة وقحة وإنه يخشى قيام ثورة من جانب الجنود السودانية وانضمام هؤلاء الى مسلمى الأونيورو الأمر الذى ينشأ عنه ولا بد من اضطراب فى الأمن وخلل فى النظام . وطلب منه الرجوع وفى الحال قفل السير جيرالد راجعا .

وفى ٤ يوليه عندما بلغ السير جيرالد بورتال « موميا » فى طريق الرجوع أتاه خطاب آخر من الماجور مكدونالد يخبره فيه أنه حدث قتال مع المسلمين وانتصر عليهم وقبض على سليم بك وحاكمه وحكم عليه بالنفى وأن فى استطاعته أن يستمر فى طريقه . وأبلغه أيضا أن سليم بك و « امبوجو » الذى بايعه المسلمون ليكون ملكا عليهم وهو ذلك الذى سلم نفسه للكابتن لوجارد بناء على الحاح سليم بك وكذلك بعض رؤساء المسلمين قد أرسلوا مخفورين ليأخذهم القومسير معه الى الساحل . ولمرض سليم بك عجز عن الوصول وتوفى فى الطريق قبل أن يدرك الساحل .

ومن الغريب أن يرى الانسان أن هذه الثورة — هذا على فرض أنها كانت ثورة جسيمة بالمقدار الذى تفضل الماجور مكدونالد وأراد أن يصبغها به — لم يصل خبرها لا الى الماجور ولا الى القومسير قبل

ذلك الحسين ، مع أن الأخير سافر قبل الزعم بحدوثها بزمن يسير . ومن رأينا أن هذه المسألة يمكن اعتبارها من الحكايات الملفقة أو إهمالا صادرا منها . غير أنه يظهر أن تلك المؤامرة لم تحدث فى الواقع إلا فى مخيلة الماجور ومن المرجح أنها ما اخترعت إلا لتدعم بها القضية وتكون من المبررات للاستيلاء على هذه الارجاء .

ولقد قال لنا الماجور إنه جرد الشركة من جنودها الذين كانوا مقيمين فى حصن قاعدة البلد بصفة حامية بدون أن يبدوا أية مقاومة . ثم قال لنا إنه اخذهم الى خندق الحصن ووضع على الافريز المشرف عليه رجالا مدججين بالسلاح . فاذا كان هؤلاء الجنود ذوى مقاصد سيئة فهل كانوا ينصاعون لمن يقتادهم الى خندق الحصن ؟ ان الانسان له أن يشك فى صحة هذا القول .

وبعد ذلك ذهب وفاز على جماعة المسلمين المتجمهرين خارج العاصمة وانتصر عليهم ثم زحف على « بور أليس » Port-Alice وكانت هذه محطة قائمة على بحيرة فكتوريا نيانزا على مسافة عشرين كيلومترا من قاعدة البلد حيث كان يوجد سليم بك مع زهاء ٣٠٠ جندى من السودانيين ودخلها تقريبا وحده وقبض عليه دون أية مقاومة منه أو من الجنود الذين كانوا معه .

فهل يمكن أن يسلم الانسان وقد جرت الأمور هذا المجرى بأن تهمة الثورة هذه كانت جدية ؟ وما الذى كان يمنع سليم بك وعساكره من الانضمام الى المسلمين الذين يقول الماجور إنه هزمهم ، إذا كانوا يريدون هذا الانضمام ؟ الجواب لا شيء بالطبع .

ومما يبرهن على أن هـــذه المسألة لم تبلغ مبلغ الأهمية التى أراد أن يصورها فيها الماجـــور ماذكره نفس السير جـــيرالد بورتال إذ قال فى كتابه السابق بالصفحة رقم ٢٥٩ إنها كانت نزاعا محليا وذلك بعد أن وصلت اليه تفصيلات ما قد حدث .

ويبدو أن الماجور مكدونالد لم يثر كل هذه الضجة إلا ليتخلص من سليم بك والرؤساء المسلمين . فلقد نالوا من سليم بك ما كانوا يبتغونه وهو تجنيد العساكر السودانية . وعندما تم لهم ما أرادوه منه أمسى شجا يجب التخلص منه . ووجدوا أن الفرصة سانحة أيضا لازاحة الرؤوس المسلمين وترك البلد خالصا للطوائف الأخرى .

واحتج الكابتن لوجارد فى كتابه (المجـــلد الثانى بالصفحتين رقم ٥٥٩ و ٥٦٠) على هذا التصرف قائلا :

« لم يتصل بأوربا الى الآن ما وقع للمسلمين الذين ظـــلوا باقين . فلقد فوض هؤلاء أمر ملكهم إلى ووضعوه بين يدى واثقين بعدالتنا وانصافنا وطهارة ذممنا . وهـــذا العمل فى عرف اهالى أوغنـــدة تكاد أهميته لا تقل إلا يسيرا عن كف أيديهم عن الحـــرب . هذا وقد نمى الينا الآن (أى بعد سفر السير جيرالد بورتال) أن المسيحيين ظفـــروا بالمسلمين وأقصوهم عن ديارهم . وكان قد داخلنى الأمل أن هـــذا العنصر الأسلامى يستطيع أن يصير تحت إدارة حصيفة مصدر قـــوة لا ضعف لحكومتنا سواء أكان بصفة رعايا مخلصين أمنـــاء راضين عما قسم لهم فى عالم الغيب أم بصفة عامـــل توازن فى البلد . وإن كل توسع يمنح فى الأراضى للطائفة المسماة : « فرنسا » المدججة بالسلاح يثير بحكم الطبع

حفيظة المسلمين لأنهم يرون أنى عاملت تلك الطائفة بكرم وسخاء أكثر مما عاملتهم .

« ولقد يستدعى تساهل خال من المحاباة كالتساهل الذى جنيت ثماره قبلا إنصاف طائفة الأهالى المسلمين الخطيرة الشأن إنصافا لا يقل عما يمنح لطائفة المسيحيين . وأرى أنه من العدل والصواب رفع الصوت بالشكوى من الحكم على جموع الأهالى المسلمين تلك الشكوى التى تردد صداها فى رسائل القسيسين ومكاتبات (المكاتيب الخصوصيين) . فالكاثوليك والبروتستانت لهم مبشرون يرددون رجع شكاويهم وينشرونها فى اوربا . وفى استطاعة الأولين أن يسارعوا برفع راية حرب أهلية وفى استطاعة الآخرين أن يقاوموا الحكومة بسهولة ويشهروا بها وأوربا لا تردد سوى رجع اصواتهم . أما المسلمون فقد ارتبطوا بالمعاهدة وهذه تحرم استعمال تلك الافعال التى لا تبيحها الأنظمة البريطانية . وذات الأب هيرت Hirth يصرح بأن الكاثوليك يتقلدون الأسلحة . والسير بورتال يقول علاوة على ذلك (إنهم يسرون للملك العداوة بدون داع) . ومع ذلك فالمسلمون متهمون ببث الدسائس وهم مبعدون ومطرودون بينما الآخرون ينعمون بمنح جديدة . إننا وجدنا فى أوغندة لنحكم بدون التفات للمعتقدات وما دام الأمر كذلك فلماذا يحتم علينا القضاء على المسلمين اللهم إلا اذا كان ذلك لعدم وجود مبشرين لهم يرفعون أصواتهم بالشكوى فى عالم الصحافة » . اهـ

أما اتهام سليم بك بالخيانة فهاك الكيفية التى فند بها الكابتن لوجارد

هـــذا الاتهام فى كتابه الآنف الذكر بالمجلد الثانى بالصفحتين رقم ٤٧٨ و ٤٧٩ :—

« جاء فى برقيات وردت حديثا أن الكابتن مكدونالد أثبت على سليم بك الخيانة والمؤامرة مع مسلمى أوغندة بقصد إقصاء الانكليز عن هذا البلد كما أثبت عليه تهما أخرى .

« ويؤخذ من التقارير التى وردت لانكلترا أن الريب التى انبعثت فى نفس سليم بك عندما جال فى خاطره أن المسلمين عوملوا معاملة مجحفة لا تعد خيانة . وكان عند ذلك مريضا وفى حالة أشبه بحالات المشرفين على الموت ومع ذلك لم يحل هذا دون صدور الأوامر بتسفيره الى الساحل الأمر الذى كان حتما سببا فى وفاته .

« ومن الحكاية التى رويتها يظهر للعيان أن سليما ظل حيالى مخلصا وأمينا مخاطرا فى ذلك بحياته . وقد تم بهمته وحسن مساعيه الاتفاق مع المسلمين فى وقت كانت الفرصة فيه سانحة له بارتكاب الخيانة وكان السودانيون قريبين منه فى ناحية طورو Toru ومستعدين لاقتفاء أثره والعمل بأوامره بدون بحث ولا جدال . أما طائفة مسلمى أوغندة فكانوا حتما يبادرون بانتهاز هذه الفرصة . ومع كل ذلك ظل مخلصا الاخلاص التام .

« ولقد كنت أعرف ذلك الرجل الذى اشتغلت معه حق المعرفة حتى أنى أستطيع أن أحكم أنه ظل كذلك مخلصا . هذا ولا بد أن يكون سليم بك قد خرج خروجا غريبا عن جادة الصواب لتحوله عن

مبدأ ذلك الاخلاص الذى بلغ فيه شأوا بعيدا ليسلك مسلك المداوة والبغضاء وذلك فى الوقت الذى كان يساوره فيه رسول الموت . وزعموا أن سليما شط به الفكر فى تقدير نفوذه ومكانته فاندفع فى ذلك الطريق طريق البغى والعدوان لما رآه من معاملتى أنا والكابتن ويليامز له . وقالوا انه لا يليق معاملة مرؤوس أجير بهذه المعاملة . ولكن سليم بك لم يكن عندما كنا فى أوغندة ضابطا منتظما فى سلك الجندية بل كان حائزا لرتبة بك فى الجيش المصرى — وهى رتبة سامية — وظلت مناطق شاسعة تحت قيادته منذ سنين . ومعاملته بجرأة معاملة ضابط صغير أمر مستهجن . وكان من المتفق عليه بيننا أن يرجع الى مصر . وكان عندما يتم تجنيد السودانيين ينبغى عليه أن يزايل البلد بلا نزاع . أما فيما يتعلق بشخصى فيحزننى أن أفكر فى أمر ذلك الرجل الذى أزمن فى الخدمة والذى اختاره غوردون لقيادة مرولى والذى بهمته ومهارته نجت دوفيليه من السقوط . ولم يثبت عليه الى هذه الساعة أية خيانة وهو فى معمعان انحلال جيوش السودان ، ذلك الرجل الذى برهن على اخلاصه لى معرضا حياته للخطر . وانى أعرف أنه أكره على السفر بغتة وهو مشرف على الموت مسلوب الكرامة مغضوب عليه ليقضى عليه فى الطريق سجينا محكوما عليه بالاعدام من غير مدافعة ولا مرافعة » . اهـ

ومن جهة أخرى فان الكابتن لوجارد الذى ترقى الآن الى رتبة لورد نوه كذلك حديثا فى محاضرة القاها بصدد تلك الناحية بذكرى سليم بك وأشاد بما كان له من المنزلة والاحترام ونشرت هذه المحاضرة فى العدد السادس الصادر فى لندره فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٠ م

من جريدة : « Geographical Journal » بالمجلد السابع والستين . وهذا أمر يستوجب له المديح والثناء .

وهاك ما قاله :—

« . . . . وأزيد على ذلك فقط اننا ضممنا الينا السودانيين وأمكننا أن نرتبط معهم بعلاقات ودية . فاخلاص هـؤلاء بقيادة رئيسهم الطاعن فى السن لحاكمهم الخديو الذى قاتلوا المهدى والدراويش فى ظلال رايته مدة خمسة عشر عاما كما كانوا يقولون ، لهو اخلاص يحرك العواطف ويثير الحنان فى النفوس . ولقد مر أربعون عاما ومع ذلك فأنى لا أستطيع أن أحتمل أن تمر بمخيلتى ذكرى الظروف التى انبنى عليها نهاية خدماته المترعة بالبسالة والاقدام » .

ومن ناحية أخرى فان الماجور مكدونالد ذلك الرجل الذى كان وجوده يناسب جيل الصليبيين أكثر مما يناسب جيل العصر الحاضر قال مفتخرا بصنعه فى الصفحة الأخيرة من كتابه « التجنيد والخدمة فى شرق افريقية البريطانية Soldiering and Surveying in British East Africa » ما يأتى :—

« لقد كان من حسن حظى وأنا قومسير مؤقت أن أعمل بصفة قطعية على ملاشاة آخر مجهود تبذله الهمجية الاسلامية لطرد النفوذ الاوربى ومشروعات المبشرين والتمدن » . اه

وردا على ما ذكره الماجور مكدونالد أقول :—

ألم تك مع هذا حكومة أولئك « المسلمين الممسوج » هي التي أرسلت المبشرين الى قلب أوغنده التي طردوا منها المسلمين وآوتهم في محطاتها واستقبلتهم استقبالا رسميا باهرا وأدت التشريفات العسكرية لهم (راجع روايات المبشرين ولسن وفلكن) مع انهم كانوا ذاهبين ليبشروا بدين مناقض لدينهم ؟ !

وهل لو اجتاز مشايخ من مشايخ المسلمين أرضا لدولة مسيحية لينشروا دينهم كانت هذه الدولة تعاملهم بتلك المعاملة التي عومل بها المبشرون ؟

وهل تلك البعثات المسيحية المختلفة الاجناس التي كانت ضاربة في قلب السودان أيام حكم مصر بقصد تنصير رعايا مصر من الامور التي تكون محتملة في بلد خاضع لحكم دولة مسيحية ؟ !

كل هذه أسئلة تحتاج الى أجوبتها .

ويبدو من ناحية أخرى أن الماجور مكدونالد متصف بصفات لا يقره عليها دواما رفاقه وذلك لأنه عدا ما ذكره عنه الكابتن لوجارد من أن أساليبه في افريقية لا تتفق مع أساليبه ذلك القول الذي سبق تدوينه فقد عثرنا في « كتاب حوادث افريقية Africa Incidents » للماجور روستن بالصفحة رقم ٨٢ بصدد الثورة التي اشتهر أمرها على ما يأتي :

« ويبدو أن يورتال لسبب ما وجد مانعا يحول دون تسليم عهدة الحماية الجديدة - وذلك ريثما يصل خلفه - الى موظف كان سابقا في

خدمة « شركة افريقية الشرقية البريطانية » فعين بصفة مؤقتة الكابتن مكدونالد قومسيرا وترك له تعليمات وافية فيما يتعلق بالسياسة الواجب اتباعها .

« وضرب مكدونالد مع ذلك بهـــذه التعليمات عرض الحائط واطرحها ظهريا وسار على خطـــة خاصة به . وهكذا قبل أن يتجاوز بورتال ١٥٠ ميلا فى سفره صوب الساحل أتته الاخبار بحدوث قلاقل فى « كمبالا » Kampala ولذا أجل سفره وأرسل مددا لقاعدة البلد » . اه

ولاية الكولونيل كولفل
وتجنيد فرقـــة فضل المولى بك

لما رفع السير جيرالد بورتال الراية الانكليزية على أوغندة وأعلن الحماية البريطانية على البلد طلب من حكومته إرسال أربعة ضباط لهم المام باللغـــة العربية وسبق لهم الخدمة مع جنود من السودانيين وذلك بقصد أن يتولوا رياسة جنود مصر السودانيين الذين جنـــدهم الكابتن لوجارد بواسطة سليم بك وأحضرهم إلى أوغندة واشترط ان تكون رتبة أحدهم راقية ليعهد إليه إدارة شؤون البلد .

وهذه الاوصاف لا تنطبق بحكم الطبع إلا على الضباط الذين أدوا خـــدما فى أورط الجيش المصرى السودانية وعلى ذلك وقـــع الاختيار على أربعة من هؤلاء وأرسلوا إلى أوغندة وهم : الكولونيل كولفل Colvile والكابتن جيب Gibb وبيزانت Besant وترستن Thruston .

وسافر هؤلاء على الأثر ووصلوا إلى زنزبار فى ٣١ اغسطس عام ١٨٩٣ م وبارحـــوها فى ٤ سبتمبر . وفى أثناء الطريق وقع أحدهم وهو الكابتن

بزانت فى مخـــالب الامراض ولعـــدم إمكانه مداومة السير ترك فى محطة من محطات الشركة ليرجع الى بلاده بعد إبلاله . واتصل بالكولونيل كولفل وهو فى الطريق فى إحدى محطات الشركة ان السير جيرالد بورتال الذى كان يظن أن يقابله فى طريقه والذى كان يحمل باسمه رسائل ، قد سلك طريقا آخـــر ومر منذ عشرة أيام . ولما كان أرقى الأربعة فى الرتبة فتح تلك الرسائل ووجـــد فيها التعليمات اللازم تبليغها إياه ومن بينها أمر بتسليمه مقاليــد الأمور وارجاع الماجور مكدونالد إلى بلاد الهند . واستمر هو ورفيقاه الاثنان سائرين الى أن دخلوا قاعدة أوغندة فى ١٠ نوفمبر .

وليس من موضوع كتابنا هـذا بيان ما عمله الكولونيل كولفل فى مدة ولايته . بل أريد أن أذكر فقط الاعمال المتعلقة بجنود مصر هؤلاء الجنود الذين أخذوا منها بقصد أن يسلب بهم أكبر مديرية من مديرياتها منفعة وأكثرها لزوما لها . أما فيما يختص بالكولونيل كولفل فانى أكتفى بالقول انه أعلن الحرب بهؤلاء الجنود على كباريجا ملك الأنيورو ورتب خطا أقام به نقطا حربيـــة احتلها هؤلاء الجنود . وهذا الخط يبتدىء من أوغندة وينتهى عند كيبيرو الواقعة على ضفة بحـــيرة البرت نيانزا الشرقية والتى بها الملاحات الشهيرة . تلك الملاحات التى يعود منها كما سبق القول على كباريجا ايرادات عظيمة .

وأرسل الكولونيل كولفل فى ينـاير عام ١٨٩٤ الماجـور « أون » Owen وهو ضابط من الضباط الذين قدموا مع السير جــيرالد بورتال وظل مقيما بالبـــلد ، إلى وادلاى وهى آخر قاعدة اتخـــذت لمديرية خط

الاستواء . وكان يريد من وراء ارساله أمرين : الأول أن يرفع على هذه الناحية العلم البريطانى والأمر الثانى تجنيد فضل المولى بك وفرقته التى كان المظنون أنها فى وادلاى وذلك بالطريقة التى جندت بها فرقة سليم بك .

ووصل الماجور أون الى وادلاى ورفع الراية الانكليزية على الحصن المصرى القديم وجند خمسين رجلا من الاهالى الذين يمتلكون بنادق فى خدمة الحكومة الانكليزية ليؤلف منهم حرسا لمنع التعدى على تلك الناحية التى وضع يده عليها ثم قفل راجعا الى أوغندة بدون ان يعثر على فضل المولى بك أو فرقته . وكل ما قيل له انه يوجد فريق من الدراويش على مقربة من الجهة آخذا فى التقدم .

وأقام الكولونيل كولفل عندما رتب خط النقط الحربية لغاية بحيرة البرت نيانزا معسكرا رئيسيا فى بقعة يقال لها « أهواما » Hoima على مسافة ٣٠ كيلو مترا تقريبا شرقى البحيرة وفيه حشد معظم العساكر السودانيين ونصب عليهم الكابتن ترستن قائدا . وكان هذا القائد قد خدم فى الجيش المصرى .

وفى مارس عام ١٨٩٤ م نمى إلى هذا الضابط من بعض الاهالى ان قوة كبيرة من الجنود السودانيين معها جملة أعلام قدمت واحتلت « مهاجى » القائمة على ضفة بحيرة البرت نيانزا الغربية وكانت قبلا محطة من المحطات التى ابتناها أمين باشا . وأول فكرة طرأت على ذهنه ان هؤلاء لا بد ان يكونوا الدراويش الذين اتصل خبرهم بالماجور أون لما كان فى وادلاى . فقام ترستن فى الحال الى كيبيرو حيث كان يوجد مركب

مصنوع من الصلب وموضوع فى البحيرة فأبحر فيه وولى وجهه فى بادىء الأمر الى ناحية قريبة من مهاجى ليستقى أخبار أولئـــك الذين قدموا حديثا . فعلم من الاهالى ان عددا كبيرا من الجنود الزنوج ومعهم كثير من الامتعة وكثير من الرايات ومدفع ورجـــل من البيض أتوا من ناحية الشمال ووصلوا الى « مهاجى » فاستنتج الكابتن ترستن من وجود الرجل الابيض بينهم انه قد يجوز ان يكونوا من جنود شرق الكنغو بقيادة ضابط من بلجيك .

وعندما اقترب الكابتن ترستن من مهاجى ظهر له عدد من الاكواخ وأناس سود يغدون ويروحون فى كل صوب وناحيـــة ولمح كذلك عددا كبيرا من الاعلام منتشرة على شاطىء البحيرة . وبما أن عدم النظام فى كل هؤلاء الجنود يدل على أنهم غير تابعين لأمة متمدنة أخذ الخوف يدب فى قلب الكابتن ترستن ظنا منه أن يكون هؤلاء هم الدراويش الذين فكر فيهم فى بادىء الأمر فوجه اليهم بعض طلقات عالية من مدفع المكسيم الذى كان معه غير أنهم لم يجاوبوه عليها . وتأكد بهذه الطريقة انهم لم يكونوا من الدراويش فاقترب من الضفة ورأى جليا انهم رافعون العـــلم المصرى وموسيقا تعزف السلام الخديوى . واصطفت الجنـــود واصدر لهم قائد الأوامر باللغة التركية المستعملة فى الجيش المصرى التى يعرفهـــا الكابتن ترستن .

واقترب الكابتن ترستن من الشاطىء ونزل إلى الـــبر واستقبل بكل أنواع الحفاوة العسكرية مع النفخ فى البوق والقـــرع على الطبول . وبعد ذلك حضر لمقـــابلته أربعة ضباط من السودانيين متوسطى السن متشحين

بثياب بيضاء نظيفـــة وأوصلوه إلى حديقـة حيث قدمت له القهوة وقـــدم اليـه كافة الضباط . ولما كان الليـــل قد أخـــذ يرخى سدوله طلب الكابتن ترستن الانصراف ليـــترك لهـم وقتا لتـأدية فـــروض الصلاة وقال لهم إنه يأمـل ان يراهم فى اليـــوم التالى ويتفاوض معهم فيما يتعلق بالاشغال مؤمـــلا الوصـول الى اتفاقيـــة ترضى الطرفـــين ثم ذهب الى مضربه . وفى الغـــد أتوا بجمعهم ليزوروه وقصوا عليـه ما وقـــع لهـم . وهاك ما قالوه :

لما تركهم أمين باشا انقسمت جنوده شطرين : أحـدهما بقيادة سليم بك وقد ذهب إلى كافاللى ونزل بها ومنها جنـده الكابتن لوجارد . والثانى بقيادة فضل المـــولى بك وقد انصرف الى الاطيان الخصبة الواقعة شرق وادلاى وأقام بها . وهناك زارهم الكابتن فون كركهوفن Von Kirkhoven البلجيكى وكان قد أتى من ولاية الكنغو بجندهم باسم هـذه الولاية وذهب بهم غرب النيل . ثم قتل الكابتن فون كركهوفن قضاء وقدرا بيد خادمه وخلفه ضابط بلجيكى أيضا يقال له دولاج De Laages وهـــذا أدركته المنيـة بعد الأول بزمن يسير ثم تولى القيادة بعده ضابط آخر بلجيكى يسمى بيرت Beart . وتلقى هذ االضابط عندئذ تعليمات مقتضاها اقامة نقطة حربيـة فى وادلاى وأرسل كافة جنوده السودانيين لتنفيذ هذا الأمر . وكان عددهم يبلغ ٧٠٠ جندى فسافروا على دفعتين بين الأولى والثانيـــة خمسة عشر يوما . فالفصيلة الأولى وكانت منقسمة إلى بلوكين بقيادة فضل المـولى بك التقت بالدراويش بقـــرب وادلاى ودارت بينهما رحى الحرب فكانت النتيجة إبادة الفصيلة تقريبا برمتها وقتـــل فضل المولى بك ومن سلم من الموت أخـذ أسيرا . أما الفصيلة الثانية المكونة من البلوكين الآخرين فوصلت إلى وادلاى

وأقمت فيها . وهـــذه هي الجنود التي أخبر عنها أهالي هذه الناحية الماجور أون قائلين إن قوة من قوات الدراويش آخـــذة في الاقتراب وذلك عندما أتى إلى وادلاى ليرفع الراية البريطانية . وعما أنهم كانوا لا يحصلون على القوت في هـــذه الناحية إلا بمشقة هجروها وأتوا للاقامة في مهـــاجي الواقعة على شاطىء البحـــيرة وفي هذه الناحية عثر عليهم الكابتن ترستن ومع ذلك فهؤلاء لم يكونوا إلا نصف القوة فقط أما النصف الآخر فمعسكر في الجبل على مسافة بضعة أيام .

وقال لهم الكابتن ترستن ان الكابتن بيرت لابد ان يكون قد أخطأ لأن البلد الذي هم فيـــه من ممتلكات انكلترا وانه على ذلك لا يستطيع مطلقاً ان يسمح لقوة مسلحة يظلها علم أجنبي ان تقيم في هذه الارض وان من أبسط الأمور وأهونها لهم ان ينتظموا في سلك الجندية مع انكلترا . فقالوا انهم يقبلون ذلك بطيبة خاطر لا سيما انهم لم يصلهم من البلجيكيين سوى راتب سنة واحـــدة وان هذه السنة قد انقضت . فسلمهم الكابتن ترستن راية انكليزية رفعـــوها وحيوها بالسلام الملكي . وبعد ذلك دعوه لزيارة معسكرهم فلبى دعوتهم وحيوه عند وصوله الى ذلك المعسكر بطلقات البنادق . ومن هذا الكابتن علموا بوفاة الخـــديو توفيق . وتبين عندئذ أن الرجل الأبيض المرافق لهم وخاله الكابتن ترستن ضابطا بلجيكيا هو كاتب مصري الجنس أشقر اللون كان معهم وان هـذا على ما يظهر لعب دورا هاما في مسألة تألب الجند على أمين باشا .

وقال لهم الكابتن ترستن انه أزمـــع الذهاب ليتكلم مع رئيسه الكولونيل كولفل بصدد الاتفاق الذي عمـــل معهم وانه سيرجع اليهم بعد

شهر ومعه ما يزوده به من التعليمات . وانه يجب عليهم ان يستحضروا فى غضون هذا الشهر نصف جنودهم النازلين فى اجلين .

وعاد الكابتن ثرستن إلى معسكره فى هوية وأرسل فى منتصف بلاغا الى رئيسه الكولونيل كولفل بما أجراه . ولما كان هذا الرئيس منتظرا الجنود وأخذ يبحث عنهم من أمد طويل وأرسل الكابتن ثرستن من أجل هذا الغرض إلى وادلاى ، بادر الى انتهاز هذه الفرصة التى سنحت له وأرسل فى التو والساعة إلى الكابتن ثرستن أمرا بتجنيدهم وارسالهم إلى اوغندة مع أتباعهم .

وسافر الكابتن ثرستن بلا توان فى أول مايو عام ١٨٩٤ م ومعه يوزباشى سودانى من أولئك الذين كان الكابتن لوجارد قد جندهم يدعى ريحان افندى راشد وكان قد خدم فى الزمن السابق بصفة سياسة غوردون باشا عندما كان مديرا عاما لمديريات خط الاستواء . ويقول الكابتن ثرستن إنه كان رجلا ماهرا محبوبا من الجنود وكان يخال عند أخذه معه ان يستفيد منه كوسيط لتمهيد المشكلات إذا وجد شيئا من هذا القبيل .

ووصلا إلى مهاجى وقابل الأهالى الكابتن ثرستن بالتشريفات المعتادة . وبلغهم شروطه فقبلوا بها واشترطوا لذلك ان يقبل بها البكباشى احمد افندى على الذى حل محل فضل المولى بك والذى كان مع العصبة الأخـــرى . وهـذا الضابط كان عند ذاك يوزباشيا ولعب دورا هاما فى مسألة تمرد على أمين باشا . وقد قال ريحان افندى راشد ان احمد افندى هذا ـ وكان له به معرفة ـ رجل مستبد صلب الرأى له نفوذ كبير على العساكر وهؤلاء يعتبرونه كملك فتشاءم الكابتن من ناحية هذا الرجل لا سيما وانه يمتلك عددا كبيرا

من الرقيق ذلك الأمر الذى لا يمكن احتماله وغض النظر عنه فى أراض تحكمها بريطانيا .

ووصل احمد افندى على هو وجنوده وأتباعه بعد أربعة أيام . وعند اجتيازه المعسكر حاول الكثيرون ممن كانوا به أن يقبلوا يده . ووجده الكابتن ترستن ـ وكان قد قابله ـ رجلا مهذبا وبعد التحيات المعتادة طلب احمد افندى على منه الانصراف لأنه متعب وقال انه سيرجع وقت العصر ليزوره .

ولاحظ الكابتن ترستن ان عدد الرايات المصرية يفوق عدد الرايات البلجيكية كثرة بين أولئك الجنود . ويفهم بسهولة من هذا الامر انهم شديدو التعلق براياتهم المصرية القديمة أكثر من تعلقهم بالأعلام الأخرى . وحالما لاحظ ذلك جال فى خاطره أنه فى استطاعته الاستفادة من هذا الشعور وعلى هذا رفع علما مصريا بجانب العلم الانكليزى الذى كان يخفق أمام سرادقه وترك جانبا القبعة التى كانت على هامته وارتدى طربوشا وأخرج من حقائبه براءة تعيينه ضابطا فى الجيش المصرى ووضعها فى جيبه .

ومن حيث أن هذا الضابط توسل بهذه الطريقة ليخدع العساكر المصرية ويجندهم فى خدمة الحكومة الانكليزية فقد تاقت نفسى أن أخرج شيئا قليلا عن موضوعنا هذا وأنقل ما ذكره هو ذاته فى كتابه « حوادث افريقية ص ٧٦ » عند نهاية خدمته فى الجيش المصرى بصدد الطربوش الذى وضعه الآن على هامته .

وهاك ما قاله :

« فى أوائـــــل شهر مايو عام ١٨٩٣ م أبحرت من الاسكندرية وعنـدما دارت بى الباخرة حـول الميناء ألقيت طربوشى فى البحر مع شيء من الكفران بالنعمة وانـكار الجميل ولكن بدون أدنى ذرة من الاسف » . اه

وانى اذا ذكـرت هنا ما قاله هذا الضابط فما ذلك إلا لأبين لأبنـــاء وطنى شعور بعض الأجانب حيـــال مصر التى أكلوا زادها وشربوا ماءها وألحقوا بخدمتها .

ولنرجع الآن الى موضوعنا وما يأتى أدهى وأمر :ــ

وفى الساعة الرابعة قدم البكباشى احمد افنـــدى ومعه كبار ضباطه والكـاتب المصرى . وبعـــد أن أمرهم الكابتن ترستن بالجلوس قـال للبكباشى احمـــد افنـدى على انه أرسل فى طلبهم لأنه لا يريد أن يبقى فى هذه النـاحية لا هو ولا جنوده وانه ينبغى عليهم أن يأخذوا متاعهم غدا ويقتفوا أثره .

وسأله احمد افندى على من هو وما هى السلطة التى له عليه ؟

فأجابه ترستن انه المتولى القيـادة فى كل الاراضى البريطانية التى فى منطقة النيل وان حاكم أوغندة الانكليزى أصدر له تعليمات بأن لا يسمح له بالاقامة حيث هو مقيم الآن وبما انه دخـل فى بلدهم فصار بحكم دخـوله هذا يأتمر بأوامره .

فأجاب احمـد على ان البـلد ليست ملكا للانكليز وانه تلقـى أوامر

بالمجيء الى حيث هو مقيم الآن وانه مصر على البقـــاء فى النقطة التى هو نازل فيها .

وطلب منـــه ترستن ان يعـــرفه المالك للأرض التى يقـــيم فيها بحسب فكره .

فأجابه احمـد على ان كل هـذه البـــلاد كانت قبلا ملكا لأفندينا (الخديو) وهذا تخلى عنها . أما الآن فهو لا يعرف المالك ولكن البلجيكيين أرسلوه ليحتلها .

فقال له ترستن انه لم يحصل شيء من هـذا وأن الخديو لم يتخل عن هذه الاراضى بل كلف الانكليز باحتلالها الى ان يروق له استرجاعها .

وبعد ذلك تبادلا الحديث الآتى وقد ورد فى كتاب ترستن الآنف الذكر بالصفحتين رقم ١٧٩ و ١٨٠ وها هو :ـــ

سأل ترستن احمد على فقال : هل أكون قد أصبت كبد الحقيقة اذا رأيت فيك بكباشيا مسلما وهل تفضل ان أسميك اسما آخر ؟

فأجابه احمد على : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . . الخ . .

فقال ترستن : أظن ان المسلمين المتمـدنين أو رعايا الامبراطـورية العثمانيـة يعتبرون على كل حال أن مولانا السلطان بمنزلة خليفـة الرسول وامام المسلمين . فهل هذا حق أو السلطان شيء آخر ؟

فأجاب احمد على : انه لم يك شيئا آخر .

فسأله ترستن : وهل من واجبات المؤمنين الامتثال لأوامر السلطان أو لأوامر ملك مسيحى أجنبى ؟

فأجابه احمد على : كلا ! بل لأوامر السلطان بلا نزاع .

فقال ترستن : والملك النصرانى ليس له عليهم حقوق بالطبع ؟

فأجاب احمد على : نعم ليس له عليهم أى حق .

فسأله ترستن : وهل يباشر أمير المؤمنين بنفسه السهر على كل قسم من أقسام الشعوب الاسلامية أم يباشر ذلك بواسطة مندوبين ينتدبهم للبقاع البعيدة ؟

فأجاب احمد على : أرى انه يصرف الأمور فى الامبراطورية كما ذكرت .

فقال ترستن : ولكن لا يلزم ان ندع أى شك يحوم حول هذا الموضوع . إذ من الجائز أنى لم أعبر عما أريد بكيفية واضحة . فهل تعيين الأمراء أمر شرعى أو من الاشياء المحرمة ؟

فأجاب احمد على : انه بالبداهة أمر شرعى .

فقال ترستن : أوليست طاعة الأمراء فرضا واجبا على المؤمنين ؟

فأجاب احمد على : بلى إنها من فروض الاسلام .

فقال ترستن : وهل افندينا أمير من أمراء السلطان ؟

فأجاب احمد على : نعم هو كذلك .

فسأل ترستن : وهل تجب اطاعة أوامره ؟

فأجاب احمد على : بكل تأكيد » . اه

وبعد ذلك أخرج ترستن براءة تعيينه ضابطا وعليها بصمة ختم الخديو ووضع هذه البصمة على جبينه ثم أعطاها لأحمد على وقال له اقرأ أوامر أفندينا واعمل بها .

وأخذ احمد على البراءة وبعد ان تلاها قبل الختم ووضع البراءة على رأسه ثم أعطاها للكاتب الذى بعد ان عمل مثل ما عمل قرأها وقرر أنها براءة حقيقية من الخديو .

ونهض عند ذاك احمد على وأقبل على ترستن ليقبل يده غير ان هذا أبى وقال نحن الآن رفاق وأنا لا أقبل ذلك . فقال له احمد على انه صار الآن مستعدا ان يتوجه إلى حيث يأمره وانه يطلب منه فقط ان يأذن له بأربعة أيام يجمع فى خلالها الاقوات فسمح له بذلك .

ويرى من هذه القصة ان هذه الفصيلة كأنت تريد دواما مثل فصيلة سليم بك ان تظل مخلصة لعلم بلدها مصر . وانما تخلى الحكومة عنهم والمناورات التى توشك ان تكون مجردة من الصدق مثل المناورة التى أتيت توا على ذكرها ، هى التى أكرهتهم على الدخول فى خدمة الحكومات الاجنبية .

ومن المهم ان أذكر هنا ما حدث بعد ذلك لأحمد على ليكون فى ذلك

عبرة لمن يعتبر . فلقد حدث له ما حدث لسليم بك وبعد ان جندت عساكره أمسى فضلة لا خير فيها ولا شيء يرجى منها . وعندما وصلت فصيلته الى أوغندة عزل من القيادة وأعطى قطعتين صغيرتين من الارض ليتولى زرعها بدون أن يعين له راتب أو معاش حتى ولا خدم . وقال ترستن ان آخر مرة رآه فيها كان يربح معاشه من تجارة الماعز . وقال علاوة على ما ذكر انه رأي من الشهامة ورحابة الصدر ان لا يوجه اليه أية ملامة . وللقارىء أن يحكم أى الضابطين الانكليزى أو السودانى أحق بتلقيبه بلقب ضابط .

ولما هبت ريح ثورة الجنود السودانية فيما بعد انضم اليها احمد على وقتل فى معركة من المعارك التى شنها عليهم الانكليز .

وقد تم سفر هذه الجنود حسب الاتفاق . فنقل الى أوغندة ٥٠٠٠ خمسة آلاف نسمة وهناك أمر الكولونيل كولفل الماجور كننجهام Cunningham الذى تولى فيما سلف قيادة الأورطة الثالثة عشرة السودانية فى الجيش المصرى وكان ترستن ملحقا فى الخدمة بهذه الأورطة أيضا ، بفرز هؤلاء الناس .

وهاك نتيجة هذا الفرز :

٣٠٠ جندى سليمى البنية متعلمين تعليما وافيا و ٥٠ طاعنين فى السن غير صالحين للخدمة و١٠٠٠ شاب من عبيدهم يمكن تجنيدهم وجعلهم جنودا صالحة .

وحدثت جملة وقائع مع كباريجا ملك الاونيورو فى غضون عام ١٨٩٤ م

بدون حصول نتيجة يركن اليها أو يعول عليها . وكافـــة المحاولات التى بذلت فى سبيـل أسره ذهبت هبـــاء وفشلت . وبارح الماجـور مكدونالد أوغندة فى يونيه وبارحها الكولونيل كولفل فى آخر السنة وذلك بعد أن أصيب بمرض بالـغ فى الشدة لدرجة أن دعت الحالة الى حمله طـول الطريق حتى وصل الى الساحل . وعنـد سفره فـوض للمستر جاكسن Jakson وهو من الموظفـين الملكيين القيـام بشؤون وظيفتـه . وسافر الكابتن ثرستن كذلك من البلد فى فاتحة عام ١٨٩٥ م واشترك فى حمـــلة دنقلة مع الجيش المصرى ثم رجـع الى انكلترا ، وعاد الى أوغنـدة فى أبريل من عام ١٨٩٧ م أى فى السنة التى اندلع فيها لهيب ثورة الجنود السودانية الكبرى التى سنأتى على وصفها بعد . وأخـذه هؤلاء الجنود أسيرا هو واثنين آخرين من الضباط الانـكليز وأعدموه الحياة .

ثورة الجنـــود السودانية
فى أوغندة

لم يتوصل الماجور ثرستن بحكم الطبيعة أن يذكر فى كتابه « حوادث افريقية » شيئا عن ثورة الجنود السودانية التى لقى فيهـــا حتفه . غير أن أخاه الذى نشر هذا الكتاب دون فى آخـره فصلا سماه « التالى » ذكر فيه أسباب هـــذه الثورة وتطوراتها على اختلافها . وبما أن أخاه قتل بيد هؤلاء الجنود فلا مجال للقول إنه كان يكتب ليدافع عنهم أو انه كان ميالا اليهم . ولذلك ينبغى لنـا عندما يكتب شيئا مخففا لوقع خطئهم أو يحمل المـــرء على أن يلتمس لهم العذر فى أفعالهم ، ان نعتقد بصحة ما كتب . وعلى هذا وقع اختيارى على كتابه دون سائر كتب المؤلفين الآخرين الذين كتبوا فى هذا

الموضوع . فمن هذا الكتاب استقيت أكثر المعلومات التى سيأتى ذكرها .
هذا ومما زاد نيران هذه الثورة اشتعالا اشتراك موانجا ملك أوغندة فيها وقيامه على السلطة البريطانية بسبب معاملتها له معاملة مزرية وذلك بتحديد سيطرته وتدخلها فى تصرفات بلاطه حتى فى أمور نسائه كما قال شقيق الماجور ثرستن بالصفحة رقم ٢٨٧ . ومع ذلك فقد وقع فى الأسر فى آخر الثورة هو وكباريجا ملك الاونيورو (١) وأرسل كلاهما الى جزر سيشل حيث قضيا بقية حياتهما .

وكان عدد جنود فصيلتى سليم بك وفضل المولى بك الذين جندتهم السلطة البريطانية للخدمة فى أوغندة يبلغ زهاء ١٠٠٠ جندى . وهذه الجنود هى البقية الباقية من حامية مديرية خط الاستواء . وكانت هذه الجنود عندما تقوم بغارات لجلب الأقوات تستولى كذلك على عدد وافر من الزنوج وتحتفظ بهم وتضرب عليهم الرق . ولذلك ازداد عدد الفصيلتين السالف ذكرهما حتى بلغ وقت ارسالهما الى أوغندة ١٠٠٠٠ نسمة تقريبا بما فى ذلك أسرهما وأرقاؤهما . وكان من بين هذا العدد فريق يصلح للتجنيد . ففى وقت فرز فصيلة فضل المولى بك كان يوجد كما قيل ١٠٠٠ من أولئك الأرقاء يصلحون للخدمة العسكرية . وبالتحقيق كان يوجد مثل هذا العدد فى الفصيلة الأخرى التى كان يقودها سليم بك فكانت الحكومة البريطانية كلما حدث فراغ فى الصفوف أو أرادت ازدياد تلك القوة تلجأ الى تجنيد أولئك العبيد وبهذه الوسيلة بلغ عدد الجنود فى أوغندة ١٦٠٠ جندى عام

(١) — السير جفرى ارتشر Geoffrey Archer الذى كان حكمدارا للسودان وكان قبل هذه الوظيفة مقيما فى أوغندة سمح لكباريجا بالعودة الى بلاده ولكن كباريجا لم يصل اليها ومات فى أثناء الطريق ما بين زنزبار وأوغندة .

١٨٩٧ م أى فى السنة التى هب فيها ريح الثورة .

ويبـــدو أنه عندما رجع الماجور ترستن الى أوغندة فى أبريل عام ١٨٩٧ م بعد أن غاب عنها عامين وجد كما قال أخوه بالصفحة رقم ٢٩٤ الجنود فى حالة استوجبت اشفاقه وحنانه . فكان راتب الجندى الشهرى أربع روبيات بينما كان الحمال يقبض ١٢ روبية وعلاوة على ذلك كانت رواتبهم متأخـــرة ستة أشهر عند قدومه . وكساويهم التمين صرفها لهم سنويا يظهــر أنها كانت تصرف إليهم بغير نظام . لأن الحالة التى كانوا عليها يلوح انهـــا كانت أسوأ من حالتهم يوم أن قدمـــوا الى أوغنـــدة . وقد يدهش المرء حيال الانتقادات التى توجه الى الادارة المصرية عنـــدما يرى أن عساكرها بعد انفصالهم عنها مـــدة سبع سنوات فى ثياب أحسن حالا مما كانت بعد أن قضوا نفس هـــذه المدة فى خدمة الانكليز .

أما المسافات التى كانوا يقطعونها ذهابا وإيابا فكانت على ما يظهر بعيـــدة عن حد التصديق كما جاء بالصفحة رقم ٢٩٥ . فقد كانوا يلبثون شهورا متنقلين بهذه الكيفية بدون أن يروا أسرهم لأنهم كانوا يرسلون تارة ذات اليمـــين وطورا ذات الشمال اما لقمع تمرد قبيلة أو لحراسة قافلة وذلك بصرف النظر عن المعاملة الشديدة الصارمة التى كان يعاملهم بها الماجـــور ترنان Ternan . وهـذا الضابط من الذين خدموا ايضا فى الجيش المصرى . ومع ذلك فرغم هـــذه المعاملة التى لا تتفـــق إلا قليـــلا مع ماتوجبه الانسانية ظل هؤلاء الجنود مخلصين وقاتلوا مخاطرين بأرواحهم جنود ولاية الكنغو المتمردين أولئك الجنود الذين قتلوا ضباطهم

وكانوا ينوون دخول أوغندة .

ويستطيع الانسان وهذه حالتهم أن يتصور حالة أفكارهم عندما أخبروا أنهم على وشك أن يباشروا القيام بحملة ذات أمد طويل وغير معين ويجوز أن يكون سنة أو سنتين أو أكثر . ومما زاد الطين بلة أنهم علموا أن الماجور مكدونالد ذا الذكرى المشئومة والذى كان قد بارح البلد سيرجع هو نفسه اليها ويتولى قيادة هذه الحملة . ويبدو أن العساكر كانوا فعلا تغلى مراجلهم احتداما من هذا الضابط بسبب المعاملة الغاشمة التى أصلى بنارها كما سبق القول قائدهم قديما سليم بك مطر بالحكم عليه وبنفيه مع المرض الذى كان يئن من آلامه حتى أنه مات فى الطريق .

ومن المستحسن قبل ان نسير شوطا بعيدا فى موضوع هذه الثورة أن نبين ماهية هذه الحملة والغرض منها فنقول :ـــ

ان السبب الذى أبدوه رسميا عند اعادة فتح السودان هو أنه على أثر الضغط الذى كان يقوم به الدراويش على الايطاليين فى كسلا طلب هؤلاء من الحكومة البريطانية الزحف على دنقلة ليكرهوا الدراويش على التراجع وتخفيف ذلك الضغط .

وهذا القول بعيد عن الصواب . والحقيقة هى ان الحكومة البريطانية علمت من مصدر سرى أن حملة مارشان التى أرسلتها الحكومة الفرنسية من أراضى ممتلكاتها فى اتجاه الشرق تقصد فى الواقع ونفس الأمر فاشودة والنيل للتوطن هناك ودق أوتادها والحصول على طريق فى وادى النيل . واذن كانت حملة أوغندة فى الحقيقة تقصد الذهاب الى

فاشودة واحتلالها قبل ان تصل اليها حملة مارشان Marchand ولكن المصدر الرسمى كان يقول انها ألفت لتذهب الى منابع نهير جوبا Juba وتحديد تخوم النفوذ الايطالى .

وكان فى غير حيز الاستطاعة اتخاذ طـــريق النيل لسببين : الأول احتلال الدراويش للقسم الواقع شمال مديرية خط الاستواء ووجوب قتالهم بادىء ذى بدء . وحتى لو فـــرض أن هذا القتال تكلل بالنجاح فانه يعيق جدا مسير الحملة . والثانى أنها حتى على فرض أنه لم يكن يعوق سيرها كانت تلاقى فى طريقها منطقـــة السدود واجتيازها من المستحيلات إلا إذا كان يوجد هنالك بواخر وهـذه لا وجود لهـــا . فلهـذه الاسباب كان على الحملة أن تتجه من قسم أوغندة الشرقى صوب الشمال ثم إلى بحيرة رودلف ـ وهــــذا ينطبق تماما على السبب الذى ذكر رسميا ـ وبعد ذلك تستمر فى سيرها شمالا دائرة حول منطقة السدود من الجهة الشرقية وهكذا تصل الى احتلال فاشودة .

وما هى يا ترى أغراض الحكومة البريطانية من احتلال فاشودة ؟ أكانت لتسلمها لحكومة السودان لتدمجها فى الاتفاقية الانكليزية السودانية الخاصة بادارة السودان حتى تكون جزءا منه أم لتزعم متى احتلتها أن الجنود البريطانية هى التى فتحتها وحدها ، وبما أن فتحهم لها يكون عندئذ من الأمور المقـــررة فيقتضى اعتبار البلد بأجمعه ابتداء من هذه الناحية وما وراءها جنوبا من ممتلكات انكلترا ؟ انه ليصعب على المـــرء أن يقـــرر أحد الأمرين ، ولكن اذا كان ولا بد أن يحكم بحسب تصرفات هـذه الحكومة وأفعالها التى منها زعمها ان الجزء الجنوبى من

مديرية خط الاستواء المصرية الذى وضعت يدها عليه بهذه الوسيلة هو أرض بريطانية يجب أن يحكم ان غرضها كان اعتبار كل المنطقة ابتداء من فاشودة وما وراءها جنوبا هى كذلك بريطانية وتقرير حدود السودان عند هذه الناحية .

وعلى ذلك لما علمت الجنود السودانية التى كان قد تقرر أن تشترك فى تأليف هذه الحملة بالشروع فى تنفيذ هذه النية ، وكانوا متشبعين بالروح السابق تبيانه ثار منهم ٦٠٠ جندى لأنه استحال تعميم هذه الثورة لبعد المسافات بين مختلف الحاميات الفاصلة بين الحامية والأخرى ولأن الحكومة توصلت الى تجريد تلك الحاميات من أسلحتها قبل ان تتصل بها أخبار الثورة وتنضم الى بعضها . وليس من أغراضى أن أقص مفصلات هذه الثورة التى أوشكت ان تجر الى إفلات أوغندة من يد الانكليز بل أكتفى ان أقول انه بواسطة الجيوش الهندية التى أحضروها والتى انضم اليها أهالى أوغندة المسيحيون ـ لأن الجنود السودانية كانوا مسلمين ـ استمرت الحرب سجالا بين الفريقين أكثر من عام وانتهت بابادة هؤلاء الجنود . وهلك فى هذه الحروب كثير من الضباط الانكليز . أما المساكر السودانية فخسروا فيها رؤساءهم الثلاثة الكبار وهم بلال افندى ومبروك افندى وجادين افندى الذين كانوا من قدماء ضباط الجيش المصرى كما خسروا رؤساءهم الآخرين . ولم يؤخذ من جميع هؤلاء ضابط حى بل قضى عليهم فى ميدان القتال . تلك كانت خاتمة من بقى من الجنود المصريين الذين فى السودان ، أولئك الجنود الذين ظلوا على عهد إخلاصهم لحكومتهم بعد أن تركتهم .

خاتمـــة خدمة أمـــين باشا

الآن وقد أتينا على ذكر جميع ما سلف أرى من المناسب أن نذكر ما وقع فى الختام لأمين باشا فنقول :

لابد أن يتذكر القـــراء تلك الوليمـــة التى أولمها الماجـــور ويسمان قومسير غرب افريقيـــة الالمانية الامبراطورى أثناء وجـود حمـــلة استانلى فى بجـــامايو Bagamayo تكريما للذين رجعوا مع الحملة المذكورة وانه فى أثناء هـذه الوليمة اتجه أمين باشا بعد أن تناول الطعام نحو النافذة المطلة على الشارع . ولما كان قصر نظره لا يسمح له بتميـــيز الاشياء بدرجة كافية خاله بابا يوصل الى طنف ونظـــرا لانخفاض عتبة تلك النـــافذة سقط فى الشارع ونقل على أثر هذا الحـــادث الى المستشفى الالمانى وفيـه عولج فى الحال المعالجة التى استدعتها حالتـــه . وكان من المظنون فى أول الأمر أنه أصيب بكسر فى الجمجمة غير انه اتضح لحسن حظه انه لم يصب بشىء من ذلك وبعد ان قضى فى المعالجة ثلاثة أشهر أبل من مرضه والتحق بخدمة الحكومة الالمانية فى فبراير عام ١٨٩٠ م .

وكان يوجد فى ذلك الحين مناظرة شديدة جدا بين انكلترا والمانيا حـــول اقتناء أراضى افريقية لأن الاتفاقية الانكليزية الالمانية التى كان مبينا بها منطقة نفوذ كل من الدولتين ما كان وقع عليها بعد وكانت كل واحدة منهما تحاول ان تسبق الأخرى فى احتلال الاراضى التى تطمح اليها لـكى تضع المنازعة لها أمام أمر واقع .

وكان من بين الاراضى التى تتوق لها نفوسهما أراضى افريقية الوسطى

التى بها الممتلكات المصرية . وكانت هذه الممتلكات شاغـلة لأفكارهما أكثر مما عداها . فكانت انكلترا ترى أن وضع يدها عليها هو بمثابة امتلاك مفاتيح الباب الذى تستمد منه مصر الحياة ولذلك كانت دواما قابضة عليها كلحقة من ملحقاتها . أما ألمانيا فهـذه حتى على فرض أنها كانت مدفوعة الى ذلك بأسباب أخرى فان وضع يدها على أراض كانت تتوق انكلترا لهذه الدرجة الى امتلاكها يجعل فى امكانها طالما كان هذا السلاح فى يدها أن تنال منها امتيازات ذات بال فى مناطق أخرى ما كانت لتنالها إذا لم تكن واضعة يدها على تلك الممتلكات .

وعلى ذلك كانت الممتلكات المصرية هى التى تطفىء حرارة ظمئهما وعليها تدور رحى المساومة والمصالحة بين الدولتين .

وأعقب دخـول أمين باشا فى خـدمة المانيا هبوب عاصفة سخط وحنق فى صحافة الانكليز فرمته بالكنود ونكران الجميل وما شا كل ذلك من الكلام الجارح لأن الانكليز حسب قولها هم الذين أنقذوا حياته بمالهم فكان ينبغى عليه ان يضع نفسه تحت تصرفهم ويستعد لخدمة سياستهم فى مستقبل الايام لا لخدمة المانيا .

ولكن لم يكن هـذا بل سافر أمين باشا على رأس حملة برعاية الحكومة الالمانية الى أواسط افريقيـة ليضم الى هـذه الدولة أراضى وسط هـذه القارة فعول على الذهاب الى بحيرة البرت نيانزا للبحث عن جنوده القدماء ليتمكن بواسطة ماله عليهم من النفوذ الذى كان يتخيله ، من تجنيدهم واستخدامهم بصفة قـوة مسلحة توصله الى تنفيذ أغراضه وتحقيق مطامعه .

وانتظمت الحملة وتألفت برياسة أمين باشا من : الدكتور استلمان العالم بالطبيعيات Dr. Stuhlmann ، واللفتنانت لانجلد Langheld قائد الجنود ، واثنين من الآباء البيض وهما شينز وأخت le Pères Blancs Schynze et Achte وكان أولهما ساح قبلا فى الساحل مع حملة استانلى ، ورجب افندى سكرتير أمين باشا قديما فى مديرية خط الاستواء الذى كان مقيما معه ، وباشجاويش وجاويش المانيين ، و ١٠٠ جندى ، و ٦٠٠ حمال .

وفى ٢٦ أبريل سنة ١٨٩٠ م سارت الحملة فى طريقها . وبعد أن جال أمين باشا فى ارجاء داخلية افريقية مر من جنوب بحيرة فكتوريا نيانزا ووصل بعد سياحة ١٥ شهرا أعنى فى يوليه سنة ١٨٩١ م الى كافاللى وفيها وجد سليم بك مطر وجنوده . وظن هؤلاء فى بادىء الأمر انه أتى من قبل الحكومة المصرية لانقاذهم من المكان النازلين فيه . ولكن لما أخبرهم ان ليس له علاقة بهذه الحكومة وانه موظف من قبل الحكومة الالمانية خمدت حميتهم من جهته . وحاول ان يجند البعض منهم غير أنهم أبوا ولم يستطع ان يستميل منهم غير ١٥ وأغلب هؤلاء هربوا منه بعد بضعة أيام ورجعوا الى كافاللى .

وبعد أن أقام أمين باشا فى هذه الناحية شهرا توجه غربا فى جوف الغابة الكبرى التى اجتازها استانلى وهو آت لأخذهم ووصل تقريبا الى نهر الكنغو وفى هذا الموضع قبض الاهالى عليه وأعدموه الحياة وكان ذلك فى أواخر اكتوبر سنة ١٨٩٢ م .

وهكذا كانت خاتمة خدمة ذلك الرجل الذى اهتمت أوربا بأجمعها بشأنه فى وقت من الاوقات .

ضياع السودان

يتهمنا الانكليز بضياع السودان . وردا على هـــذه التهمة اقـــول اننا لم نضيعه واننا لو تركنا نعمل بمفردنا وبحسب ما يبدو لنا بدون تدخلهم لما ضاع السودان أبدا وانه ما ضاع الا بتدخلهم وليس لأحد ان يداخله أقل ريب فى ان هـــذا الضياع كان مقصودا ومتعمدا والحوادث التى وقعت بعد تبرهن بوضوح وجلاء على صدق ما نقول .

وأمامنا وضع يدهم فى الحـــال على مديرية خط الاستواء التى هى من ممتلكاتنا وذلك عقب مبارحتنا لها تحت تأثير ضغطهم . ومن ناحية أخرى فانهم كما بينت فى خلال سرد هـذا التاريخ كانوا يطمحون الى امتلاكها منذ زمن بعيد لكونها أنفع مديرية من مديرياتنا السودانية الأخـــرى وألزمها لكياننا لأن القابض عليها يقبض فى الوقت نفسه عـــلى مصدر حياتنا ولهذا سارعوا الى احتلالها قبـــل اعادة فتح السودان واعتبروها أرضا بريطانية حتى لا تدمج فى عقد الاشتراك فيه (اتفاقية سنة ١٨٩٩ م) .

ولدينا كذلك أمام أعيننا دخولهم عنوة شركاء لنا فى السودان بعد اعادة فتحه وكانت خاتمة ذلك طردنا من هـذا البلد الذى هو ملك لنا وحدنا وجزء لا يتجزأ من أرضنا .

ودعما لدعوانا هذه أنشر المكاتبات الآتية :

(١) — مذكرة قدمتها لمجلس النواب الانكليزى .

(٢) — خطاب من السير مالكولم مكلريث Malcolm Mcilwraith الى جريدة التيمس وقد نشرته فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٠ م .

(٣) — ردى على هذا الخطاب وقد نشرته التيمس فى ١٢ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

(٤) — رد السير رنل رود Rennell Rodd على ردى السابق . وقد نشرته التيمس فى ١٤ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

(٥) — ردى على السير رنل رود وقد اعتذرت التيمس من عدم نشره لطوله .

(٦) — صورة مناقشة حدثت فى مجلس النواب الانكليزى بصدد وادى النيل .

واليك هذه المستندات :

(١)

مذكرة قدمتها للحكومة البريطانية ولمجلس نوابها وللأمة الانكليزية بواسطة صحافتها :

« فى الوقت الذى يلوح فيه اننا على وشك ان نعقد اتفاقية بيننا وبين انكلترا وذلك بفضل ما ظهر من بعد نظر وزارة العمال الحاضرة وتشبعها بروح العدل والانصاف واحترامها مبادىء حقوق الشعوب

تلك المبادىء التى نبـذتها وياللأسف الوزارات البريطانية السابقة وجعلت بيننا وبين الأمـة الانكليزية المطبوعة على تقـديس هـذه المبادىء حجبا كثيفة منذ احتلت انكلترا ديارنا . نعم فى هذا الوقت الذى يرفرف فيه روح التسامح والوئام على ما يظهـر فوق رؤوس الفريقين أناشد الامة الانكليزية وحكومتها الحاضرة ان تمد يدها لحـل مسألة لا يليق بكرامتها ابقاؤها معلقة بدون حل الى الآن . تلك هى مسألة السودان .

وانى لعـلى يقين انه متى وصلت الوقائع التى سأذكرها بعد الى جمهـور الشعب الانكليزى يبادر الى حلها الحل العادل المنطبق على مبادىء الحق .

فأقول انهم اتهمونا بتضييع السودان مع اننا لم نضيعه وما كان ليضيع أبدا لو تركونا نعمل حسب ارادتنا واليك البراهين :

لقد تمـكن عبد القـادر باشا حلمى بالقوة المحلية التى كانت تحت امرته من قمع الفتنة واخمـاد نار الثورة فى الجزيرة كلها تقريبا . فهل كان يعجز عن اعادة الأمن الى ربوع السودان اذا كان قد أمد بالاثنى عشر الف جندى التى فوض أمر قيادتها الى هيكس باشا ؟ اللهم لا .

فقـد كانت الخطة التى وضعها خطـة حكيمة وهى تنحصر فى ان يستمر مرابطا هو وجيوشه ومدفعيته وأسطول البواخر على طول مجرى النيل .

وفى هـذا الوقت لم يكن بيـد المهـدى سوى كردفان وهى عبارة عن بيـداء قاحـلة لا تستطيع بحال من الاحوال ان تمـير الجموع الملتفة حوله . فكان بذلك مضطرا للتخلص من هـذا الموقف الى سلوك أحـد هذين الطريقين :

فاما أن يخاطر بنفسه (وهـذا أمر بعيد الاحتمال) ويهاجم جيوش عبد القادر باشا وهى متحصنة على النهر بمدافعها وبواخرها فتضربه الضربة القاضيه .

وإما أن يبقى كما هو محصورا فى كردفان (وهذا أكثر احتمالا) فيكون القضاء عليه محققا بمرور الزمن أعنى ان الجوع لا يلبث ان يهاجم جموع أولئك الغوغاء فيفت فى عضدهم ويبدد شملهم فتخبو نار الثورة من تلقاء نفسها . هذا فضلا عن أن أنصار المهدى يكونون قد أدركوا أن حكومة هذا الرجل أقل رفقا بهم من حكومة مصر فينصرفون عنه ويهجرونه حالما تخمد جذوة الحماسة التى تأججت بين ضلوعهم فى بادىء الأمر .

قال سلاطين باشا فى كتابه : (السيف والنار) ص ٢٣٢ بهذا الصدد :

« لو صادفت نصائح عبد القادر باشا آذانا مصغية لجرت الأمور فى السودان فى غير المجرى الذى جرت فيه ولكانت النتائج غير هذه النتائج السيئة .

« فقد كان يرى عدم تسيير حملة كبيرة لاعادة فتح كردفان وأن تترك والثوار الذين فيها الآن وأن يبقى الجيش المصرى والمدد الذى يتلقاه مرابطا فى حصون قوية على طول مجرى النيل الأبيض . وكانت القوات العسكرية التى تحت إمرته كافية لقمع ثورة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض والايقاع بجيوش المهدى الآتية من الغرب والحيلولة دون تقدمها .

« ولو اختيرت هـــذه الخطة لكان من المحتمل كثيرا أن يدب الفساد فى صفوفهم . وتسودهم الفـــوضى بسبب اختلال الادارة عندهم وعدم وجـــود نظام ما يستندون اليه . وبذلك تستطيع الحكومة ان تسترجع الأراضى التى ضاعت منها ولو بالتدريج على ممـــر الأيام . ولا ريب فى أنى لم أكن بمستطيع فى ذلك الحـــين أن أحتفظ بسيطرة الحكومة فى دارفـــور . على أننا لو قدرنا فى هـــذه الحالة ضياع هـذه المديرية نهائيا فاننا نكون قد اخترنا أخف الضررين بلا مراء . ولكن لم يكن ذلك رأى القابضين على أزمة الحكم فى القاهرة .

« فقـــد ظهر أمر عال جاء فيه أنه لابد من توطيد سطوة الحكومة بجيش يرسل تحت إمرة الجـــنرال الانكليزي هيكس بمساعدة ضباط أوروبيين آخرين . أما عبـــد القادر باشا فقد استدعى وعين عـــلاء الدين باشا الذى كان فـــيما سبق حكمدارا عاما لشرقى السودان بدلا منه .

« فلم تكد تبلغ مسامع المهـــدى هذه الأخبار حتى وعاها وعمل لها حسابها وأعد لها عدتها » . اه

وقد حدث بعد ذلك أن فرضت علينا انكلترا استدعاء عبد القادر باشا فـــرضا . وبديهيا أن مصر لم تستدع قائدها المنصور من تلقاء نفسها ، وتلا ذلك ان حتمت علينا اعداد حمـــلة على رأسها هيكس باشا واركان حربه وهم وان كانوا ضباطا ممتازين ولهم دراية حسنة بمهنتهم إلا أنهم يجهلون تمام الجهـــل حالة البلاد وطبيعة أرضها . وبدلا من أن يتبـــع أولئك الضباط خطة عبـــد القادر باشا التى هى غاية فى

الحكمة ويضعوها نصب أعينهم ساقوا الجيش الى صحارى كردفان وهناك هلك منه من هلك ظمأ ومن بقى قاتل فى أرض موافقة تمام الموافقة للاعداء وغير صالحة لقتال جيش منظم فعانى أشد الآلام ثم أبيد عن آخره ، أعنى أن ما كان منتظرا أن يحل بالمهدى ورجاله حل بجيشنا بسوء الخطة التى وضعت له .

فقل لى بربك من المسئول عن ضياع السودان بعدئذ أمصر ام انكلترا ؟

وإليك ما قاله الجنرال السير فرنسيس ونجت باشا وهو أعرف القواد الانكليز بالمسائل السودانية بالصفحة رقم ١١٥ من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ م بعد ان عاين ميدان القتال :

« زرت ميدان الواقعة التى قتل فيها الدراويش المرحوم الجنرال هيكس باشا وأفنوا كل جيشه سنة ١٨٨٣ م . ومن الغريب أن العساكر كانوا فى حالة شديدة من العطش مع وجود بركة كبيرة من المياه على بعد ميل واحد عنهم ولكنهم لم يعلموا بها والمحل واقع على بعد ٣٠ ميلا جنوبى الأبيض فى وسط غابة كثيفة ولا أشك فى أنه لو كانت النجدة المرسلة لرفع الحصار عن الأبيض أكثر عددا وأقوى عددا لكانت لاقت ما لاقته حملة هيكس . وإرسال تلك الحملة فى احوال كهذه يعد ضربا من الجنون وهو أكبر دليل على ان الحكومة فى ذلك الحين لم تكن عالمة بحقيقة الحال ولم تحسب حسابا للصعوبات التى لا بد لجيش عظيم من ملاقاتها فى أثناء مروره ببلاد كهذه » . اهـ

وقد وصل اللورد كرومر من انكلترا الى مصر بعد سفر الحملة بعدة أيام فكتب عنها فى تقريره السابق الذكر ص ١١٦ ما يأتى :

« لم أعثر على كتابة من الجنرال هيكس يستدل منها على عدم استصوابه لهذه الحملة ولكن لا ريب عندى فى انه كان عالما حق العلم أن الجيش الذى تحت قيادته لم يكن صالحا للقتال ولم يشأ أن ينصح للحكومة بالعدول عن هذه الحملة حتى لا يقال انه تردد فى تأدية مهمة محفوفة بالاخطار » . اه

وانى أقــــول تعليقا على هذا القول دون ان يكون لى أدنى قصد الى انتقاص الجنرال هيكس أو تسوىء ذكرى هذا الجندى الذى فاض روحه فى حومة الوغى وصار فى عداد الغابرين إن هذا التأويل من اللورد كرومر لا يتفق مع الواقع .

وبيانا لذلك أذكر لك الكيفية التى ألفت بها هذه الحمـــلة والحوادث التى توالت عليها :

لما تألفت الحمـــلة بمصر وأرسلت الى السودان نيطت قيادتها العامة بضابط مصرى هو سليمان نيازى باشا وعين هيكس باشا أركان حرب وقائدا ثانيا لها ودامت هذه الحالة الى أن انتصر الجيش فى واقعة المرابيع فى ٢٩ أبريل عام ١٨٨٣ م .

وكتب عنها السير فرنسيس ونجت باشا فى كتابه (المهدية فى مصر والسودان) ص ٧٥ ما ترجمته :

« طهر النصر البلاد من الثوار بين الخرطـــوم وسنار وعادت قبائل

كثيرة وقدمت الطاعة الى الحكومة . وصار هيكس فى حالة تمكنه من توجيه النظر الى كردفان منبع الثورة . غير أنه كان عليه قبل هذا ان يزيل من طريقه العراقيل التى كان يلقيها له كبار الموظفين فى الخرطوم بعد ما مرت ساعة الخطر الوقتى . فشمر عن ساعده وحارب هذه الدسائس محاربة طويلة استغرقت شهر مايو ويونيه ويوليه ولم تستبعد الحكومة أكبر عائق يقوم فى وجهه ألا وهو سليمان نيازى باشا إلا بعد ان قدم هيكس باشا استقالته . وعلى أثر ذلك حل محله فأصبح هيكس باشا القائد العام للحملة التى سترسل الى كردفان » . اهـ

فماذا يستطاع ان يستنتج من هذا غير ان هيكس باشا كان يريد ان تكون يده هى العليا فى كل أمر ورأيه فوق كل رأى فقدم استقالته لكى يزال من أمامه أكبر مخالف له الا وهو سليمان نيازى باشا الضابط الوحيد الذى يعلوه فيقال من منصبه ليخلو له الجو ؟

ولا مساغ للشك فى أن تغييرا له مثل هذه الأهمية لا يمكن حدوثه الا بتدخل قوى من قنصل بريطانيا العام بالقاهرة وهذا مما يبرر القاء المسئولية الكبرى على حكومة انكلترا .

فمن البديهى إذن ألا يجد اللورد كرومر شيئا مما توقعه من هيكس باشا لأنه هو الذى اختط خطة هذه الحملة وهو أيضا الذى دبرها . ولو كان الأمر على خلاف ذلك لكان من واجبه أن يلفت أنظار الحكومة التى يعمل لها للاخطار التى تقف فى سبيله ثم يقوم بواجبه بعد بيانها كجندى .

ويظهر فوق ذلك أن الضباط الانكليز أنفسهم عندما أمعنوا فى تلك الصحارى لاح لهم شبح خطئهم . غير انه لسوء الطالع كان قد قضى الأمر وسبق السيف العذل .

والدليل على صحة ما تقدم ما دونه سلاطين باشا فى كتابه (السيف والنار) ص ٢٤١ قال :

« بعد وقت قليل وصلت الى مذكرات أمير الألاى فركهار رئيس أركان حرب ومستر أدونوفان مكاتب جريدة ديلى نيوز . فلما قرأتها جميعها من أولها الى آخرها بعناية تامة ألفيتها مفزعة محزنة . فقد أطنب كلاهما فى وصف الشقاق الذى كانت حلقاته مستحكمة بين الجنرال هيكس وعلاء الدين باشا . وحمل فركهار على رئيسه بشىء من العنف لزلاته العسكرية واستشعر الاثنان بالكارثة التى حلت . ولام فركهار رئيسه وعنفه تعنيفا مرا لتقدمه بقوة ساءت حالتها وروحها المعنوية حتى بلغت مبلغا يؤدى بها من غير نزاع الى نزول كارثة » . اه

ومن الأمور الطبيعية التى لا تحتاج الى نزاع أن الجيش الذى يكون مسوقا الى هلاك محقق بالعطش وبما سينزله به عدوه تحت إمرة رؤساء أضاعوا كل ثقته بهم لقيادتهم له الى موارد الحتوف والهلكة لا يمكن ان يكون روحه فى مستوى عال .

وقد اضطررنا بعد ذلك الى أن نفتح السودان فتحا جديدا ، وأن تكون عساكرنا ضعف عسكر الانكليز ، وأن نؤلف فوق ذلك حملة خاصة تتكفل بانشاء السكك الحديدية التى بدونها لا يمكن أن يتم فتح ما والتى

لا يستطيع أى جيش انكليزى ان ينشئها .

وبعد أن تم كل شيء وانتهى كل أمر أجبرنا على أن نوقع عقد اتفاقية اشتراك غير مشروع لأن الخديو ليس له أى صفة تخوله التنازل عن أى جزء من الأراضى المصرية لمصلحة كائن من كان والآن ينكرون علينا حتى هذا العقد بعد كل الضحايا التى أجبرنا على تضحيتها جبرا لأننا امتثلنا وأطعنا رغم أنوفنا الأوامر التى أملتها علينا انكلترا وفرضتها علينا فرضا ثم بعد هذا تبقى هى وحدها اليوم متمتعة بفوائد هذه الاتفاقية . أما نحن فيكفينا ان نرجع صفر اليدين .

ولم تكتف انكلترا بذلك كله بل اقتطعت من السودان القسم الجنوبى من مديرية خط الاستواء القديمة وألحقته بأوغندة واعتبرته أرضا بريطانية وهذا القسم هو الذى سيقام عليه خزان بحيرة البرت نيانزا وله أهميته العظمى لدى مصر .

فانكلترا التى طلبت من فرنسا اخلاء فاشودة باسم القطر المصرى كان يجب عليها بعد ذلك ان تطبق على نفسها مع مصر المبدأ الذى اتبعته مع فرنسا بعينه ما دام لا يوجد فرق بين هذه الحالة وتلك .

ويؤخذ من كل ما سلف أن السودان لم يضع الا لأن الانكليز أجبروا مصر على اتباع خطة أفضت الى ضياعه وانه لو ترك لها الأمر لما أضاعته مطلقا .

وبما أن مصر اضطرت بعد ذلك كله أن تفتح السودان فتحا جديدا فلا يجمل بشرف دولة عظمى كالدولة البريطانية التى تحتله الآن والتى لها فيه الأمر

والنهى أن تحرمها من حقوقها فيه .

(٢)

خطاب السير مالكولم مكاريث المنشور فى جريدة التيمس بتاريخ ٢٠ مايو عام ١٩٣٠ م .

وهذا الخطاب كتبه السير مالكولم مكاريث ردا على رسالة بعث بها نائب من نوابنا هو ممدوح رياض بك إلى جريدة التيمس بصدد مسألة السودان .

وهاك ترجمته :

مصر والسودان
مسألة السيادة

جناب مدير جريدة التيمس

سيدى

نشرتم فى جريدتكم الصادرة فى ١٧ مايو رسالة لرياض بك (ولعل هذا من سلالة رئيس النظار الشهير فى سالف الأيام) يعترض فيها على الرأى الذى أبديته بخصوص مصر والسودان فى الخطاب الذى بعثت به اليكم فى ١٠ مايو .

والنقطة الوحيدة فى هذه الرسالة التى ألحف عليكم بنشر بعض كلمات ردا عليها هى تلك النقطة الخاصة بذلك الزعم القائل إن : « اللورد

كرومر يرى ان الاتفاقية التى أبرمت عام ١٨٩٩ م لم تنتقص شيئا أبدا من حقوق مصر فى السودان » .

ويبدو ان هذا الرأى بنى بالأخص على اعتبار ان الاتفاقية « لم تبت فى حد ذاتها فى مسألة الملكية » لأن الغرض الأساسى منها كان الوجهة الادارية . ومما يزيد فى ضرورة الرد ان هذه النظرية نفسها على ما أرى تمسك بها وزير خارجية مصر (وكان عضوا من أعضاء الوفد فى المفاوضة الأخيرة) بأكثر الحاحا وشدة فى محادثة طويلة نشرتها « جريدة الديبا » فى عددها الصادر فى ١٦ مايو . ومع أن هذا الرأى يرتكز ارتكازا متينا على ما للورد كرومر نفسه من المكانة والنفوذ فان هذا اللورد دحضه بذات أقواله إذ أنه صرح بجلاء : « أن الحقوق البريطانية القائمة على حق الفتح ليست حقوقا على الادارة فحسب بل تتناول حقوق الملكية فى السودان » . (راجع كتاب مصر الحديثة تأليف الايرل اوف كرومر الجزء الثانى ص ١١٦) .

ومن جهة أخرى لم تكن هناك حاجة إلى نقض يصدر منه لأن هذه الحقوق واضحة فى نص الاتفاقية ذاتها . خذ مثلا وجود العلم إذ يكفى كفاية تامة لأن يكون علامة ورمزا للملكية . ويجب أن يقلل رفع العلم البريطانى فوق ربوع السودان من ذلك الوقت حقوق ملكية مصر . ونحن نعلم يقينا ان ذلك محق تلك الحقوق محقا تاما من أساسها . أما رفع العلم المصرى فذلك أمر ليس له إلا معنى سياسى يكاد لا يذكر . والسبب فى رفعه يرجع إلى مراعاة الشعور المصرى لا أقل ولا أكثر وذلك ترضية لعزة النفس المصرية . وهناك سبب سياسى آخر وهو ابعاد السيادة العثمانية التى

كانت لا بد أن تجر إلى بقاء الامتيازات للدول .

ولقـــد اعترفت مصر نفسها فى قضية بنسيني Bencini التى ذكرتها (وهـذه القضية لم يشر اليها رياض بك قط) بأن ليس لها حقوق ولا عليها واجبات حكومة فى السودان لأنها طلبت اخراجها من القضية مستندة فى ذلك صراحة إلى ان حكومة السودان مستقلة ومنفصلة تمـــاما . لهذا أنا عاجز عن أن أدرك كيف يعد قولى ان حقوق مصر فى السودان لا تزيد على حقوق دولة أخرى « قولا جريئا » .

المخلص

الامضاء : مالكولم مكاريث

(٣)

ردى على هـــذا الخطاب . وقد نشرته جريدة التيمس بتاريخ ١٢ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

وهاك ترجمته :

مصـــر والســـودان

حضرة الفاضل رئيس تحرير جريدة التيمس

قرأنا بدهشة عظيمة فى جـــريدة الاهرام ترجمة ما كتبه سير مالكولم مكاريث ردا على رسالة حديثة عن حقوق مصر فى السودان أرسلها ممدوح بك رياض الى جريدتكم .

فقد وجدنا سير مالكولم فى رده هذا يقيم أدلة غريبة جدا على تلاشى حقوق مصر فى السودان تلك الحقوق التى لم تفق فى نظره حقوق غيرها من الدول . وأدهشنا أكثر أن تصدر مثل هذه الحجج الغريبة عن رجل نبيل كالسير مالكولم عاش فى مصر ردحا من الزمان وعين فى وظيفة مكنته من الوقوف على أمور واقعية لهذه المسألة فكان خليقا به بعد كل ذلك أن يعلم بأن مصر لم تضيع السودان من تلقاء نفسها ولكنها أجبرت بضغط من السياسة الانكليزية على اتباع خطة أفضت إلى ضياعه . وذلك بأن فرضت عليها تسيير حملة الى السودان بقيادة هيكس باشا وبعض ضباط آخرين بريطانيين وكان الجميع على مقدرتهم وكفايتهم يجهلون تمام الجهل طبيعة أرض القطر الذى سيعملون فيه . فكانت نتيجة ذلك أن قادوا الجيش إلى فلاة كردفان العديمة المياه وهناك أبيد عن آخره ولم يحفلوا بالآراء التى أبداها عبد القادر باشا الذى اعترض على خطتهم التعسة وكان قد أوشك أن يهدىء البلاد قبل وصولهم اليها . ولو بقى فى مركزه لوضع الأمور فى نصابها .

وأذكر تأييدا لما سبق ما دونه سير ريجنلد ونجت وهو بلا شك أعرف القواد الانكليز بالمسائل السودانية فى الصفحة ١١٥ من تقرير لورد كرومر عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ م قال :

« زرت ميدان الواقعة التى قتل فيها الدراويش المرحوم الجنرال هيكس باشا وأفنوا كل جيشه سنة ١٨٨٣ م . ومن الغريب أن العساكر كانوا فى حالة شديدة من العطش مع وجود بركة كبيرة من المياه على بعد ميل واحد عنهم ولكنهم لم يعلموا بها . والمحل واقع على بعد ٣٠ ميلا جنوبى

الأبيض فى وسط غابة كثيفة ولا أشك فى أنه لو كانت النجـــدة المرسلة لرفع الحصار عن الأبيض أكثر عددا وأقوى عددا لكانت لاقت ما لاقته حملة هكس . وإرسال تلك الحملة فى أحوال كهذه يعد ضربا من الجنون وهو أكبر دليل على أن الحكومة فى ذلك الحين لم تكن عالمة بحقيقة الحال ولم تحسب حسابا للصعوبات التى لابد لجيش عظيم من ملاقاتها فى أثناء مروره ببلاد كهذه » . اه

ونحن إذا سلمنا حتى بأن مصر لم تكن لها حقوق سابقة فى السودان فان حقها فيه محفوظ باشتراكها مع انكلترا فى فتحه . وفوق ذلك فان القوة المحـــاربة التى أعادت فتح السودان كانت الجنود المصرية فيها ضعف البريطانية . وأن المصريين هم الذين وحدهم أنشئوا السكة الحديد التى لولاها لكان فتح السودان متعذرا . وأن مصلحة الأشغال والمهمات فى الجيش المصرى والعمال المصريين هم الذين شيدوا جميع المبانى الفخمة والمنشئات التى فى السودان والتى يفخر بها الانكليز إلى الآن أيما فخار .

ألم يبرهن كل ذلك على ان مصر لها حقوق فى السودان أكثر مما للانكليز فيه بموجب هذا الفتح ؟ !

ثم ذكر سير مالكولم رأيا أبداه لورد كرومر فى مؤلفـــه « مصر الحديثة » وهـــو مناقض لآرائه السابقة التى نقلها عنه ممدوح بك عن اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ م . فهل يا ترى عقـــدت اتفاقية أخرى بين مصر وانكلترا فى شأن السودان فى المدة التى بين الرأى الأول الطبيعى الذى أبداه لورد كرومر ورأيه الثانى ؟ ! اننا شخصيا لا نعرف عن ذلك شيئا ولا نرى ما يبرر تغيير الآراء فى مسألة كهذه .

وقد أتى سير مالكولم أيضا فى رده على ذكر قضية صرح فيها محامى الحكومة المصرية بأن مصر ليس لها أى شأن فى السودان .

فنرد عليه بأن المحامى فى قضية كهذه يكون بالطبع من موظفى مصلحة قلم القضايا التى هى احدى مصالح وزارة الحقانية التى تأتمر وتسترشد بأوامر وتعليمات المستشار القضائى كما يعرف ذلك سير مالكولم . فالتكلم فى السياسة فى مثل هذه الحالة وتحت هذه الظروف ليس له قيمة بالمرة ولا يمكن بأى حال من الاحوال ان يربط مصر وهى تحت الاحتلال البريطانى .

(٤)

رد السير رنل رود على ردى هذا . وقد نشرته جريدة التيمس بتاريخ ١٤ يونيه سنة ١٩٣٠ م .

وهاهى ترجمته :

مصر والسودان

جناب مدير جريدة التيمس

سيدى

إن إخلاص الأمير عمر طوسون وثباته لا ينازع فيهما منازع حتى ولا أولئك الذين آراؤهم مناقضة لآرائه مناقضة تامة . غير انه سواء أكان لنسيان طرأ على الذاكرة أم حدوث خطأ فى فهم نقطة من نقط التاريخ أرسل مكتوبا نشرته اليوم جريدة التيمس وفيه عبارة لا يمكن

السكوت عليهــــا . ذلك انه مثـل مصر كأنها « كانت مكرهة بعامل ضغط السياسة الانكليزية » على استخدام هكس باشا وضباط آخرين انكليز . وان هــــؤلاء وان كانوا على دراية إلا أنهـم كانوا يجهلون أحوال البلد الذى كان من الواجب عليهم ان يعملوا فيه . وهـذه العبـــارة تتنافى بالكلية مع الواقع .

ففى خريف عام ١٨٨٢ م أمكن فى نهاية الأمر كبح جمـــاح ثورة العساكر المتمردين على سلطة الخديو ورجـــوع المياه إلى مجاريها فى مصر بواسطة الاحتلال البريطانى . وكان لغاية تلك الساعة لم تأت مأمـــورية دفرن Dufferin . وكان لابد من مرور وقت قبـــل ان تعلن نظرية جرانفل Granville تلك النظـــرية التى تقضى بأنه طالما ان جيشا انكليزيا يكون مقيما فى مصر تلتزم حكومة جلالة الملكة ان تنتظر احاطتها بما تستقر عليه آراء ممثلها فى مصر لتعمل بمقتضاه .

وفى فبراير سنة ١٨٨٣ م جاهر الكولونيل استيوارت Stewart وكان عندئذ فى الخرطوم بأنه يكون من عدم أصالة الرأى كلية التقدم صوب كردفان وانه فيما اذا حدثت كارثة أو هزيمة بعد سقوط الابيض فلا بد على ما يحتمل ان يجر ذلك الى ضياع السودان برمته . وفى ربيع عام ١٨٨٣ م عينت الحكومة المصرية الجنرال هكس باشا فى اركان حرب جيش السودان . وفى ٧ مايو من السنة عينها أرسل اللورد جرانفل الى المستر كاترايت Catrwright المعتمد فى مصر البرقية الآتية :

« ليست حكومة جلالة الملكة مسئولة مطلقا عن الاعمال فى السودان . تلك الاعمـــال التى بوشرت بواسطة الحكومة المصرية ولا عن تعيـــين

الجنرال هكس وتصرفه » .

وأرسلت بعد ذلك برقية أخرى فى ٨ أغسطس الى السير مالت وكان عندئذ قد تسلم مقاليد وظيفته تؤيد مرة أخرى مع الالحاح اطراح مسئولية تصرف الاعمال الجارية فى السودان عن كاهل الحكومة الانكليزية اطراحا تاما . ومع ذلك يمثل الأمير عمر طوسون هكس باشا كأنه عين تحت « ضغط السياسة الانكليزية » .

ووضع هكس باشا الذى دبر الأمور مع الحكومة المصرية بدون تدخل أحد على رأس قوة مجردة من النظام ولا قدرة لها من الوجهة الحربية وهذا بصرف النظر عن تأخير دفع رواتبها ذلك التأخير الذى كان يبلغ فى بعض الاحيان راتب سنتين . وقد يجوز انه لم يقدر الصعوبات التى كانت فى طريقه حق قدرها لا سيما انه صرح مع بعض التحفظات أنه مستعد لأن يباشر القيام بالحملة . وكان فى غير مقدور الحكومة المصرية ان تمده بالمواد اللازمة ولكنها ما كانت تميل إلا قليلا للانسحاب فألقت بنفسها أمام نكبة . وسافر هكس بحملته المنحوسة فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٣ م . وبعد ذلك بثلاثة أيام جاء السير افلن بارنج وقبض على زمام وظيفته الرسمية فى مصر .

واذا كان هناك لوم يمكن توجيهه الى الحكومة البريطانية فى ذلك العهد فذلك لأنها لم تلح فى اتخاذ السياسة الوحيدة المعقولة وهى السياسة التى وقع عليها الاختيار مؤخرا أى سياسة الانسحاب التام من السودان . وفضلا عن ذلك فانها لم تكن راغبة فى احتلال مصر وما كان بالتحقيق من مقاصدها التدخل

فى حوادث السودان حتى انها حتمت على نفسها ان تكف عن أى تدخل .

المخلص

رنل رود Rennell Rodd

(٥)

ردى على هذا الرد وقد اعتذرت جريدة التيمس من عدم نشره لطوله وهو عذر غير مقبول ومن الغرابة بمكان .

وهاك ترجمته :

الاسكندرية فى ٣ يوليه سنة ١٩٣٠ م

سيدى

استرعت نظرى منذ أيام ترجمة نشرتها الجرائد المحلية لرد سير رنل رود على رسالتى المنشورة فى عدد التيمس بتاريخ ١٢ يونيه . ولقد رغبت فى الرد عليه ولكنى آثرت الاطلاع على الأصل الانكليزى أولا . وهذا ما توافر لى الآن :

انى أشكر لسير رنل رود كلماته الرقيقة الموجهة الى شخصى وأرد على بيانه بما يأتى :

انى أعلم تمام العلم ان سياسة اللورد جرانفل جاءت بعد حملة هكس باشا ولكن هذا لا يعنى أنها لم توجد فى ذهن الحكومة الانكليزية فى الوقت الذى احتل فيه الجيش البريطانى مصر . فما دامت الحكومة المصرية قد

أظهرت لين العريكة والطاعة للنصائح أو بمعنى أدق لأوامر الحكومة البريطانية غير الرسمية فلم تكن هناك ضرورة لجعل هذه السياسة رسمية وعلنية لأن مسلكا كهذا لا يكون لزاما إلا فى حالة المعارضة كالحالة التى أدت الى استقالة شريف باشا عندما رفض الموافقة على ترك السودان .

حقيقة أن الكولونيل استيوارت كان يرى ـ كما يقول سير رنل رود ـ عدم الزحف على كردفان وكان هذا هو رأى عبد القادر باشا أيضا ومن المحزن ان هذا الرأى لم يؤخذ به ولم يتبع إذ لو اتبع لما فقدت مصر السودان على الاطلاق .

وحقيقة ـ من الوجهة الرسمية ـ أيضا ان الحكومة البريطانية أعلنت انه لم يكن لها شأن بالاعمال الحربية فى السودان ولا بتعيين هكس باشا . ولكن المظهر الرسمى للأشياء مضلل ولا سيما فى مصر لسوء الحظ . فمثلا كان اللقب الرسمى للورد كرومر : « معتمد حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وقنصلها العام فى مصر » . ولكن كان لقبه غير الرسمى : الحاكم المطلق لمصر ومن كلمته قانون .

ولقد قرأت فى الصحف فى فرص مختلفة أسئلة تلقى فى مجلس العموم على وزير الخارجية خاصة بمصر كان الجواب عليها : « هذه مسألة تخص الحكومة المصرية » . فأى شخص يخدعه هذا الجواب الرسمى فى حين انه يعلم علم اليقين ان البلاد كانت ـ بصفة غير رسمية ـ تحت الحكم المطلق لقنصل انكلترا ؟

فلماذا لا يكون هذا شاملا لتصريح الحكومة البريطانية الخاص بالسودان

وتعيين هكس باشا ؟ فهو انكار رسمى لوجود يد لها فيهما بينما العمل بالعكس بصفة غير رسمية .

ولو كانت الحكومة الانكليزية لا تريد شيئا من السودان فلماذا أرسلت الكولونيل استيوارت فى بعثة خاصة إلى تلك البلاد ليقدم تقريرا عن سير الأمور فيها ؟ لم تكن هناك حاجة الى مثل هذه البعثة لو ان التصريح كان صادقا . أما فيما يختص بتعيين هكس باشا فان ما وقع هو كما يأتى :

بدأت الثورة المهدية قبل احتلال القوات البريطانية مصر وكان عبد القادر باشا معينا حاكما عاما للسودان قبل هذا الاحتلال . وبوجود القوات المحلية تحت أمره استطاع ان يهدىء البلاد تقريبا ولم يكن فى أيدى المهدى من البلاد إلا كردفان . فلو انه أمد بخمسة عشر الف رجل من جيش هكس باشا زيادة على القوات المحلية لأمكنه دون أدنى ريب ان يقضى بحملته على الثورة على أتم نجاح .

بعد ذلك جاء الاحتلال الانكليزى لمصر وعلى أثره اضطرت مصر إلى استدعاء قائدها المنتصر الذى هو أحد أبنائها والذى كان على وشك انقاذها من احدى الأزمات البليغة التى حاقت بها بدون حاجة الى معونة أى عنصر أجنبى .

وحل محل القائد المصرى قائد آخر انكليزى وأركان حرب من الضباط الانكليز . فهل يمكن جديا قبول هذه الحقائق على أنها حدثت من غير تدخل الحكومة الانكليزية ؟

وبفرض انه كان من الضرورى وجود قائد انكليزى ومعه أركان حرب من الضباط الانكليز على رأس الجيش السودانى فلماذا لم يفعل هذا قبل الاحتلال الانكليزى لمصر ؟

والبرقيات التالية التى قرأتها فى كتاب « خراب السودان » لمؤلفه هنرى روسل بالصفحتين ٣٦ و ٣٧ تؤيد وجهة نظرى :

المرفق ١٠ من الملف رقم ١٩٧

برقية من الجنرال هكس إلى السير ا . مالت .

الخرطوم فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ م .

أرسلت اليوم إلى نظارة الجهادية استقالتى من مركزى فى الجيش السودانى . ولقد فعلت ذلك وأنا متأسف ولكنى لا أستطيع القيام بأعباء حملة أخرى تحت هذه الظروف التى تشبه الظروف السابقة . فان سليمان باشا يقول لى إنه لا يفهم من برقية رئيس النظارة المؤرخة فى ١٤ يوليو أنه ملزم بتنفيذ آرائى فيما يختص بنظام أو كيفية زحف أو هجوم الجيش الذى يستعد للتقدم نحو كردفان ما لم يوافق هو عليها . وهو بذلك يقول فى الواقع انه يكون قد تصرف تصرفا مناقضا للتعليمات إذا نفذ آرائى من غير ان يوافق عليها . ولما كانت أفكارى وأفكاره قد تضاربت فى الحملة الأخيرة وستكون أكثر من ذلك فى حملة كردفان فلست بمستطيع تجاه ذلك إلا ان أستقيل . وفى الأيام الأخيرة فى مناسبتين هامتين أهملت وجهات نظرى .

فأرجو ان يعرض الجنرال بيكر على سمو الخديو أمر استقالتى وان يؤكد

له أسفى لهذه الضرورة وأبرقوا الى بالرد .

المرفق ١١ من الملف رقم ١٩٧

برقية من السير ا . مالت إلى الجنرال هكس .

القاهرة فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ م .

سيستدعى سليمان باشا عند انتخاب حاكم جديد . نرجو عدم ذكر هذا إلى ان يتم رسميا وانى آمل أنكم ستجدون بعد اتمام هـــذا الأمر سهولة فى عملكم كما تجدون طريقكم خلوا من العراقيل والعقبات . وسيكون علاء الدين قائدا اسميا .

المرفق ١٢ من الملف رقم ١٩٧

برقية من السير ا . مالت الى الجنرال هكس .

القاهرة فى ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٣ م .

تسلمنا اليوم برقيتك المـــؤرخة فى ٢٣ الجارى وانى أرى عدم التشدد فى طلب اقالتك بما ان سليمان باشا سيستدعى كما ذكرت لك فى برقيتى المؤرخة فى ٢٣ الجارى .

* * *

فما سبق يتضح كل الاتضاح ان البرقيـــة الثانية أرسلت قبـــل تسلم الأولى .

ويقول مؤلف كتاب « خراب السودان » الآنف الذكر الذى هو بعيد كل البعد عن الترفق بالحكومة المصرية :

« وعلى ذلك فانه يتضح تماما مما سبق ان سير ا . مالت قد ضغط على الحكومة المصرية وهذا كما يظهر يدل على أن حكومة صاحبة الجلالة فى هذا الوقت كانت مؤيدة للحملة المشئومة وإلا لأشار نخامته بقبول استقالة الجنرال هكس .

ويبدو هذا المسلك مورطا لحكومة جلالة الملكة فى سياسة متناقضة . فهم ينكرون على طول الخط أى مسئولية عن الأعمال فى السودان ومع ذلك يشجعون بطريق غير مباشر حملة لاخضاعه » . اهـ

وأظن ان فى هذا الكفاية لتوكيد بيانى .

وفى الختام أرد على ملاحظة سير رنل رود وهى : « اذا كان فى الامكان توجيه أى لوم إلى الحكومة الانكليزية فى ذلك الوقت فهو من أجل أنها لم تبادر بالالحاح على الحكومة المصرية بالانسحاب من السودان » ، فأقول :

انه لو تركت الحكومة المصرية وحدها فى ذلك الوقت لمعالجة هذا الموقف دون تدخل الحكومة البريطانية لما فقد السودان قط ولما كانت هناك حاجة إلى اعادة فتحه .

وانى لآمل أن تجدوا متسعا لنشر هذه الرسالة فى جريدتكم الغراء

واقبلوا شكرى سلفا .

الامضاء

عمر طوسون

(٦)

صورة مناقشة أثيرت فى مجلس العموم البريطـــانى بصدد وادى النيل . وسيرى فيها القارىء الاعتراف من الانكليز المسئولين بحقوق مصر فى السودان وادعاءهم فى الوقت نفسه بأن الارض الواقعة حول منابع النيل أى مديرية خط الاستواء فى الزمن الماضى معتبرة أرضا بريطانية ابتداء من عام ١٨٩٥ م أى حتى قبل اعادة فتح السودان . واليك ترجمتها :

مناقشة دارت فى مجلس العمـــوم
بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥ م

بعد ان قال سير ا . اشميـــد بارتلت E. Ashmead Bartlett انه يقصد ان يلفت الانظـــار الى تعسفات دولة عظيمة من الدول المجاورة (فى افريقية) استطرد فى الكلام فقال : « اما فيما يتعلق بمجـــرى النيل فان مسألة سلامة مجرى أعاليه تعتبر بلا نزاع أهم مسألة من بين جميع المسائل الخارجية التى ستكون موضع تنافس من وجهـــتى السياسة والسيادة والتى لا بد من اثارتها على ما يرجح فى السنوات القـــريبة المقبلة . ان الصراع قائم الآن بين فرنسا وانكلترا بشأن السيادة في افريقيـــة ففرنسا ترمى مطامعها الى مـــد نفوذها من الغرب الى الشرق أى من « السنغال » الواقعـــة على المحيط الاطلانطيقى ثم على خط مستقيم الى وسط افريقية عن

طريق السودان الى البحر الاحمر حيث لها الآن مرفأ فى « اوبوك » . ومتى أسست هذه المملكة الافريقية يضحى كافة شمال افريقيـــة مضطرا الى أن يكون ممتلكة فرنسية ومن ضمن ذلك مصر . أما فيما يتعلق بالبحر الابيض المتوسط فانه تقريبا على وشك أن يصير بحيرة فرنسية . . . . .

وأراد سير اشميد بارتلت ان يبين الأهمية البالغة التى تنشأ من السماح لفرنسا بأن تضع يدها على أى قسم من أقسام مجرى النيل فقال :

كل دولة من الدول العظمى تستولى بأى شكل كان على جزء من أعالى النيل تصبح مصر عمليا تحت رحمتها . فالنيـــل هو مصر ومصر هى النيل . وكل دولة تكون لها اليد فى مراقبة مياه النيل تكون مصر فى قبضتها وتحت تصرفها ويكون فى استطاعتها أن تفرض على شعب مصر الشروط التى تروق لها وتعجبها أو تفرض تلك الشروط على الحكومة البريطانية التى تراقب سياسة مصر وتتحمل مسئوليتها .

ومن بضع سنوات مضت قـــال له السير صمويل بيكر وهو ذلك المرجع العظيم الذى يعتمد عليه فى المسائل المصرية السودانية : « ان كل دولة أوربيـــة تقبض على أعالى النيـــل تمسى مصر فى قبضتها » . وقال منذ سنة ضابط من الضباط الأكفاء أصحاب الجـــدارة التى تستوجب مزيد الالتفات : « انى لو كنت المهدى لألزمت مصر بدفع ثمن كل لتر ماء تأخذه من النيل » .

وفى أوائل هـــذا العام قال السير كولن اسكوت مونكريف Colin Scott Moncriff وقد كان يتكلم فى هذا الموضوع : « أما فيما يتعلق

بتحويل ماء النيـــل وحرمان مصر من مائه فهو وان كان لا يخشى حدوثه من جانب المهدى الا ان الذى لا يستطيع هذا عمله يمكن دولة متمدنة أن تعمله .

ومن الواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ان القابض على أعالى النيل اذا كان متمـــدنا يقبض على زمام مصر ويصيرها تحت حكمه . . . . . فمتى امتلكت أمة متمدنة أعالى النيـــل فانها تقيم سدا على مخرج فكتوريا نيانزا لتوزيع ومراقبة مياه هذا البحـــر الخضم كما تراقب مانشستر ثيرلمير Thirlmere ويكون هذا من الأعمال السهلة . وعندما تتم هذه العملية يكون تصريف مياه النيل فى قبضة هذه الأمة فاذا أوقع مصر المسكينة سوء حظها فى حرب معها بشأن مياه النيل العليا يكون فى استطاعتها اغراقها أو قطع الماء عنها حسبما تشاء وتريد . فالنيل ابتداء من فكتوريا نيانزا لغاية البحر الابيض المتوسط يجب ان يكون تحت سيطرتنا » .

« والخطر علينا كل الخطر اذا ظلت حكومتنا ساكتة لا تحـــرك ساكنا الى ان تجد نفسها أمام أمر واقع فى شكل احتلال أجنبى لأعالى النيل فعندما نرى دولة أخـــرى قابضة على أعنة مصر باحتلالهـــا أعالى النيل نضطر الى أن نترك الأعمال العظيمة التى أقمناها فيها أو نباشر القيـــام بأشق الاشغال وأصعبها الا وهـــو طرد دولة عظمى من تلك النواحى القاصية فى افريقية . ان انجلترا قابضة الآن على مصبات النيـــل كما هى قابضة على منابعه ونحن نحتل مصر لغاية وادى حلفا . والذى يلزم عمـــله والحالة هذه هو ان تقوم حكومة جلالة الملكة بعمل سريع الغرض منه احتلال جميع هذا القسم من مجرى النيل احتلالا فعليا أيضا . وهذا القسم

غير واقع فى أرض مصرية أو تحت مراقبة مصر . ومن الآن الى ان يتم هذا العمل لا تضمن انكلترا أن لا تسبقها فرنسا الى هناك .

وذكر بعد ذلك تصريحات لوزراء فرنسا مظهرا ان الحكومة الفرنسية تترقب مجيء الوقت الذى ترى فيه نفسها بتنقيص أو تحويل مجرى الماء ، اذا أمكن ذلك ، فى مركز يخولها الضغط على بريطانيا العظمى ويحملها على ترك مصر . ونوه ايضا بذكر أكبر ضابط فرنسى فى الكنغو الفرنسى وقال إن هذا الضابط صرح بأن الاتفاقية المبرمة بين انكلترا والكنغو تكفل لفرنسا الدخول فى وادى النيل . . . . . وأن الدخول الى وادى النيل من جهة الجنوب هو الوسيلة الوحيدة لتسوية المسألة المصرية يوما ما تسوية تنطبق على مصالحنا . ومن السهل ضم أراضى الكونغو الى السودان عن طريق دارفور .

وعندئذ قال : انه لحادث ذو مغزى . فبينما يهدد الفرنسيون مجرى النيل من جهة الغرب تشتغل بعثة تستحق الالتفات منتدبة من قبل دولة أخرى منافسة أيضا لنا على ضفة مياه أعالى النيل الشمالية . وفى هذا توافق ليس للصدف يد فيه . فمنذ ستة أشهر سافرت هذه البعثة الروسية الكثيرة العدد والمدد والنفوذ الى بلاد الحبشة مزودة بهدايا ثمينة ومبالغ طائلة لتوزعها على الرؤوس والأهالى . وشرعت دولة أخرى من الدول العظام حليفة لنا تتحرك فى اتجاه مجرى أعالى النيل . ومن حسن حظنا ان يكون الايطاليون فى السودان الشرقى » .

وقال الماجور دارون : « لقد كان يخامرنى دائما أبدا كثير من الشك فيما يتعلق بالخطة التى يجب ان تمشى عليها سياستنا فى مصر . واننى

لا أقصد ان أناقش فيها الآن ولكن حيث أننا أصحاب النفوذ فيجب ان نأخذ على عاتقنا كل مسئولية تتعلق بالزحف في اتجاه الخرطوم لكى نحول دون توطن أية دولة أخرى أوربية فى مركز تستطيع منه ان تلحق بمصر اضرارا فادحة » .

وقال السير ادوارد غراى : « ان لدينا مسألة حقوق مصر . فموقف انكلترا أمام مصر من ناحية حفظ وصيانة حقوقها موقف أمين اؤتمن عليها وحقوقها لم تعترف بها انكلترا فحسب بل اعترفت بها أيضا فرنسا وأيدتها أخيرا . ولقد أوضحت يوما ان مناطق نفوذ بريطانيا ومصر تشمل حسب طلباتنا وطلبات هذا البلد الأخير جميع مجرى وادى النيل من أوله الى نهايته . وهذا هو النتيجة المنطقية للحوادث التى وقعت فى السنين الخوالى وللحوادث التى علم بها العالم فى العامين الأخيرين . تسألوننى اذا كان هنالك حقيقة حملة فرنسية قادمة من غرب افريقية بقصد الدخول فى وادى النيل واحتلاله لغاية النيل . وأنا أطلب من أعضاء المجلس ان يكونوا على حذر فلا يعيروا تلك الاشاعات التى أذيعت بصدد تحرك الحملات فى افريقية آذانا مصغية . ولقد اتصلت بنا اشاعات ابتدعتها الاهواء أو أوجدتها التخيلات بصدد تحرك الحملات فى نواح شتى من افريقية فى حين انه لا يوجد لدينا فى وزارة الخارجية ما يدعونا أن نصدق بأن حملة فرنسية مزودة بتعليمات تقضى بدخولها فى وادى النيل أو أن هذه الحملة تقصد ذلك . انى لأذهب الى أبعد من ذلك فأقول انه بعد كل الذى أوضحته بصدد الحقوق التى نعتبر أننا حصلنا عليها بواسطة الاتفاقيات السالفة والمطالب التى يمكن ان تطلبها مصر بناء على مشورتنا فى وادى النيل وفوق ذلك نظرا لأن مطالبنا وآراء حكومتنا

فى هـذه المسألة معروفة لدى الحكومة الفرنسية معـــرفة تامة وواضحة فأنا لا أستطيع ان أصدق ان هـذه الاشاعات تستحق ان يعـــيرها الانسان أدنى التفات لأن زحف حمـــلة فرنسية مزودة بتعليمات سرية قادمـــة رأسا من الناحية الثانية من افريقيـــة الى أرض حقوقنا فيها معروفة من أزمان مديدة يكون عمـــلا منافيا للعقل والصواب وغير متوقع ويجب على الحكومة الفرنسية ان تعلم علم اليقين انه يعتبر فى انكلترا كذلك » .

وعند انتهـــاء المناقشة سأل المستر لابوشير قائلا : « لماذا يجب على فرنسا ان تمتنع عن وضع يدها على أراض ممتدة عدة آلاف الأميال بين البحيرات وحدود مصر الجنوبية ؟ وقال انه لم يخـــبرها أحد مطلقا بواسطة أى مستند دبلوماسى بأن انكلترا لها من الحقوق أكثر مما لفرنسا على هذه المنطقة الشاسعة من وادى النيل » .

وقال عندئذ السير رتشارد تمبل Richard Temple :

« ان طلب انكلترا بمصلحة فى وادى النيل بأكمله قائم على أساسين :

أولا ـ اننا الآن ومن زمن قابضون على منابع النيـــل . وثانيا اننا نحتل مصب هـــذا النهر . وهذا الاحتلال لا يمكن ان ينتهى بالضم لكنه ليس مؤقتا وهو معد لان يستمر الى ان تصير مصر قادرة على ان تحكم نفسها بنفسها . وهذا أمر يستلزم طبعا احتـــلالا طويل المدى كثيرا . وانى أرى الأعضاء المحترمين الجالسين أمامى يضحكون الا انى أسألهم : متى يحين الوقت الذى تصبح فيه مصر قادرة على ان تحكم نفسها بنفسها . انى أخشى ان لا يتيسر لهـــذا الجيل ان يرى ذلك اليوم . وعلى كل حال

فنحن مستولون على هذه الارض بموجب هذه الاعتبارات ومضطرون ان نسهر ليكون احتلالنا ثابتا مكفولا على انه لا يكون كذلك اذا كانت دولة أجنبية ـ وقد يحتمل ان تكون هذه الدولة مناهضة لنا ـ تحتل أواسط وادى النيل . ان هذه المسألة معلومة جيدا لدى كل مهندس من مهندسى الرى . وأريد بذلك ان أقول ان الدولة التى تكون لها الرقابة على أواسط وادى النيل يمكنها ان تقطع المياه التى تجرى فيه . ويلزمنا ما دامت مصالح مصر مشمولة برعايتنا ان نسهر على حفظ حقوقها وهى تلك الحقوق الخاصة بوادى النيل بتمامه والتى لم تزل متمسكة بها . وعلى ذلك يكون طلبنا امتداد منطقة النفوذ البريطانى من طرف النيل الى طرفه الآخر لا يحتمل أى نزاع » .

وبعد ذلك بوقت قال السير غراى ردا على المستر لابوشير « ان طبيعة ومرمى المطالب البريطانية فى وادى النيل كانت معلومة جيدا لدى الحكومة الفرنسية » . اه

خلاصة وتذييل بوثائق امتلاك مصر لمديرية خط الاستواء

وخلاصة جميع ما ذكر ان انكلترا كانت تطمع من زمن بعيد فى امتلاك مديرية خط الاستواء المصرية الواقعة فى ارجائها منابع نهر النيل العظيم الذى يمنح مصر الحياة ، تلك المديرية التى كان باحتلال مصر لها قد تم وضع يدها على وادى النيل برمته من منابعه فى منطقة بحيرات خط الاستواء الى مصابه فى البحر الابيض المتوسط . ولا يستطيع أى انسان ان يكيف طمعها هذا الا بشديد رغبتها فى امتلاك مفاتيح الباب الذى تستروح منه مصر طيب الحياة لكى تصيرها مطيعة لأوامرها وخاضعة لارادتها باستمرار .

ويرجع تاريخ مطامع انكلترا هذه الى ما قبل احتلالها لمصر بزمن بعيد . ومما يؤيد ذلك المعلومات التى تلقاها الخديو اسماعيل والتعليمات التى أمد بها هذا الخديو القائمقام شاليه لونج بك الذى عين رئيسا لأركان حرب الجنرال غوردون فى ٢٠ فبراير سنة ١٨٧٤ م عند تعيين هذا الجنرال مديرا عاما لمديرية خط الاستواء فى السنة عينها .

وهاك ما قاله شاليه لونج فى كتابه « حياتى فى أربع قارات » ج ١ ص ٦٧ My Life in four Continents :

« كان الخديو اسماعيل يذرع قاعة الاستقبال بخطوات واسعة وهو متهيج

تهيجا عصبيا عندما دخلت عليه يصحبني طونينو بك Tonino Bey التشريفاتي الثاني ليقـــوم بواجب المحافظة عليه . فسألني الخـــديو : هل رأيت الجنرال غوردون ؟ فأجبت : نعم رأيته يا مولاي وقضيت معه الهزيع الأكبر من الليل . فقال الخديو : حسن جدا والآن اصغ الى ما أقول :

« لقد وقع الاختيار عليك لتكون رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها حماية مصالح الحكومة . واعلم ان القوم في لندن على وشك ان يجهزوا حملة تحت قيادة رجـــل متستر بالجنسية الامريكية يسمى استانلي Stanley وهو في الظاهر ذاهب ليمد يد المعونة الى الدكتور لفنجستون Livingstone أما في الباطن والحقيقة فلرفع العلم البريطاني على أوغنـــدة . فعليك الآن ان تذهب الى غندوكورو إلا أنه يلزمك ان لا تضيع شيئا من الوقت بل عم في الحال أوغنـــدة واسبق هناك حملة انكلترا واعقد معاهدة مع ملك تلك البلاد . ومصر لا تنسى لك أبد الدهر هذه العارفة وهذا الجميل . اذهب وليسر عقبك النجاح ان شاء الله » . اهـ

وسافر الكولونيل شاليه لونج عملا بهـــذه الأوامر الى أوغندة كما أوضحنا ذلك قبلا عند ذكر حوادث عام ١٨٧٤ م وأنجـــز مهمته وعقد معاهدة اتخـــذت أساسا للتبليغ الرسمي الذي قررت مصر بمقتضاه ضم جميع الأراضي الواقعة حول بحيرات فكتوريا والبرت الكبرى . وسنذكر هذه المعاهدة وما جرى عليها والتبليغ الرسمي فيما بعد .

وجاء بالصفحة رقم ١٧٨ من كتاب « غوردون في افريقية الوسطى » لمؤلفه بربك هيـــل Gordon in Central Africa, by Birbuck Hill أنه في عام ١٨٧٦ م قال غوردون باشا انه لما كان مـــديرا عاما لمديريات خط

الاستواء أرسل نور افندى محمد ـ وقد ترقى هذا فيما بعد الى رتبة بك وكان قائدا لجيوش المديرية ـ مع ١٦٠ جنديا ليبتنى محطة عسكرية فى أوروندوجانى ولكنه اجابة لطلب متيسا ملك أوغندة ذهب وابتناها فى روباجا عاصمة ملكه . وزاد على ذلك ان قال انه ما دامت هذه هى رغبة الملك متيسا فسيترك ال ١٦٠ جنديا يعسكرون فى عاصمته وانه فى استطاعته ان يأخذه أسيرا اذا حدثته نفسه باحداث قلاقل . وكانت كتابة غوردون لهذه السطور فى ٢ أغسطس من عام ١٨٧٦ م .

وكان غوردون باشا قد عزم على ان يسافر الى « روباجا » قاعدة مملكة متيسا ولكنه عدل عن هذا الرأى إذ قال فى الصفحة رقم ١٨١ من الكتاب المذكور بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٨٧٦ م إنه غير هذه الفكرة وأزمع على أن يرسل ٩٠ جنديا الى نور افندى لتعزيز ال ١٦٠ جنديا السابق ارسالهم إلى روباجا وانه بضم هاتين القوتين إلى بعضهما يصير فى هذه الجهة قوة كافية . ومن هذا يظهر بكيفية لا يتطرق اليها الشك أن غوردون كان يؤيد تأييدا تاما احتلال جنود مصر لعاصمة أوغندة ويقرر ان ذلك الاحتلال أمسى فى حكم الأمر الواقع .

وبادر غوردون باشا بابلاغ الخديو اسماعيل أنه أجرى احتلال أوروندوجانى وروباجا عاصمة أوغندة . إلا أنه فى أواخر نفس هذا العام (١٨٧٦ م) أى عند تركه خدمة الحكومة المصرية نظرا لانتهاء أجل عقد خدمته أمر بسحب كافة الحاميات المصرية المقيمة فى اونيورو و أوغندة . وعلى ذلك أخليت المحطات العسكرية الآتية وهى : فويرا ، و كيروتو ، و مازندى ، و مرولى ، و فاكوفيا ، و اوروندوجانى ، و روباجا . وعندما

عين أمين باشا مديرا لمديرية خط الاستواء أعاد احتلال بعض هذه المحطات ولكن لما عين غوردون باشا حكمدارا عاما للسودان أمر باخلائها ثانية وفعلا تم هذا الأمر ولما زايل مركزه وعين بدلا منه رؤوف باشا حكمدارا عاما للسودان رجع أمين باشا مرة أخرى واحتلها ولم يتركها إلا لما شبت نار ثورة المهدية وذلك عندما أراد ان يلم شمله ويحصر قوته المسلحة فى محطات معينة .

وكان الخديو اسماعيل قد تلقى فى خلال هذه المدة رسالة غوردون المنبئة باحتلال قاعدة أوغندة . فبادر بالانعام عليه بالوسام المجيدى الأول . ولم يصل خبر هذا الانعام الى غوردون باشا إلا عند إزماعه على الرحيل وبعد أن أصدر أمر اخلاء تلك المحطة .

وقال فى الصفحة رقم ١٩٦ من المؤلف الآنف الذكر إنه ارتبك فى أمره وصار لا يدرى كيف يفعل . وهذا أمر يفهم بالبداهة .

ومن العجب العجاب ان يرى الانسان انه بعد ان احتل قاعدة أوغندة وكل هذه المحطات الأخرى يرجع فيخليها بعد برهة قصيرة للغاية لا سيما ان هذا الاحتلال تم بمحض موافقته ولم يكن هنالك أى داع حربى يضطره الى الاقدام على الاخلاء لأن قوته العسكرية كانت باعترافه هو نفسه قد زادت عند نهاية خدمته .

ويقول بالصفحة رقم ١٩٦ من المؤلف السابق ذكره انه التزم ان يسحب جنوده من بلد متيسا بدون ان يذكر السبب فى ذلك .

ومن رأيى ان السبب يرجع حتما الى ان انكلترا كانت مستمرة فى

معارضة توسع مصر فى اتجاه الجنـــوب مع انه لم يكن لها فى ذلك الوقت أصلا أية مصلحة فى تلك النواحي ولكنها كانت تنظر للمستقبل القـــادم . وأستخلص هذا الرأى من شهادة رجل لا يمكن ان تعزى اليه أية محاباة لجانب مصر .

وهذا الشاهد هو فلكن أحد المبشرين الانكليز الذين أقاموا فى أوغندة وكان يكتب تقريبا فى ذلك العهد أى عام ١٨٧٩ م .

وهـــاك ما قاله فى مؤلفه « أوغنـــدة والسودان المصرى » ج ١ ص ٣٢٤ : —

« ومما يؤسف له انه لم يضع أحد حدا لتعسف واستبداد كباريجا ملك الاونيـــورو على انه قد كان فى حيز الاستطاعة الحيلولة دون هـذه التعسفات وهـــذا الاستبداد قبل ذلك بزمن اذا لم تكن بدت معارضات شديدة فى انكلترا من جانب أولئك الذين يرون بعين الحسد والغيرة توسع مصر فى ممتلكاتها صوب الجنوب » .

وأرى ان فى هذا القول ايضاحا وتبيانا لكل ما التبس علينا فى هذا الأمر وانه لابد ان يكون قد ورد لغوردون باشا بعـــد احتلاله لتلك المناطق أمر بالتحذير من عواقب ما أقدم على عمله فبادر الى اخلاء المحطات التى كان قد احتلها .

أما فيما يتعلق بادارتنا لأعمال السودان فأية سيئة لم يعـــزوها اليها ؟ وأى نقـــد لم يوجهوه اليها ؟ وأى لسان لم يسلقوها به ؟ انى أربأ بنفسي عن ان أقول انها كانت بلغت ذروة الكمال لكنها لم تكن بالتحقيق رديئة

أيضا للدرجـــة التى صورتها بها بعض الدوائر التى لها مصلحة فى ان تظهرها بهذا المظهر . ومما لا مراء فيه انه لم تقع فى أراضى ممتلكاتنا أعمال قسوة ان لم أقل أعمال وحشية كالتى حدثت فى أراضى افريقية الخاضعة لنفوذ بعض الدول الأوربية .

ولا ينبغى ان يغيب عن أنظارنا أيضا ان أغلبية الموظفين الذين كانوا يرسلون الى السودان هم من الطائفة المغضوب عليهـا أو من الذين وقع عليهم عقوبات يجب عليهم استيفاؤها هنـاك . واذا أضفنا الى ذلك المسافات الشاسعة التى يتحتم قطعها ووسائل النقل القليلة التى كانت فى ذلك العهد والتى من شأنها ان تجعل من الصعوبة بمكان ايجاد مراقبة جدية على تلك الارجاء القاصية البعيـدة ، تولتنا حقا الدهشة لعدم حدوث مساوىء أكثر مما حدث . ومع هذا فكل ذلك كان يتحسن على مرور الأيام وكانت تقل المفاسد تدريجا وفى النهاية تتلاشى . ولكى أبرهن من جهة أخرى على أن ادارتنا لم تبلغ هذه المنزلة من الانحطاط وانها كانت بالحرى أفيد للاقطار التى احتللناها فليس أمامى أخير من أن أذكر شهادة شخصيتين لا يمكن ان يعزى اليهما التحيز أو المحاباة بأى وجه من الوجوه وهما الدكتور جونكر الذى قضى سنين عديدة فى أواسط افريقية والمحترم فلكن الذى أقام أيضا سنين طويلة فى أوغندة . والى القارىء ما رواه لنا الاول والثانى :

قال الدكتور جونكر فى مؤلفه « رحلة فى افريقية » ج ١ ص ٥٠٠ :

« يرجع الفضل الى المسلمين ، وهم الذين تعزى اليهم المطاعن والمثالب ، فى الزام الزنوج بضرورة المعيشة فى هـدوء وسلام مع القبائل المجـاورة لهم والاقامة على قدر الامكان فى دورهم وصرفهم إلى زراعة حقولهم . وهذا العمل

ينبغي ان نقدره حق قدره بدون ان نبخسه شيئا . ومما يشرف الحكومة المصرية وضع بلد الزنوج تحت سيطرتها وهذا الأمر مكنها ان تفتح بابا لانتشار المدنية فى مستقبل الأيام .

« ومهما بلغ من ثقل النير الاجنبي فهو فى الواقع ونفس الأمر أفضل للزنوج من حكم نفس المستبدين منهم إذ ان حكم هؤلاء مصدر حروب لا نهاية لها يفنى فى خلالها بعضهم بعضا » . اهـ

وقال المحترم فلكن فى مؤلفه « أوغندة والسودان المصرى » ج ١ ص ٣٢٤ :

« ويمكننى ان أقول وانا مطمئن الخاطر هادىء البال عن الاقطار الواقعة تحت الأحكام المصرية حيث يتولى السلطة أمين باشا المدير الحالى لمديريات خط الاستواء ، ان أهاليها يعيشون فى حالة أحسن من التى كانوا يعيشون فيها تحت رعاية ملوكهم الهمج المستبدين » . اهـ

وتكفى شهادة هذين الشاهدين حسبما أرى لدحض التهم التى وجهوها الى ادارتنا . فقد كانت النتيجة لاحتلالنا لتلك الاقطار ان مهدنا الطريق واعددناها كما قال الدكتور جونكر لانتشار المدنية فى الزمن القادم وألقينا على عاتقنا مهمة تمهيد طريق المدنية فى ربوع أولئك القبائل المتبربرة غلاظ الأكباد وكسر صلابتهم فعرضنا أنفسنا لسهامهم المسممة والوقوع فى مكامنهم وقاسينا واحتملنا هذه الاخطار والآلام التى يلاقيها الممهدون الأولون لسبل المدنية . فهل كنا نعمل ذلك لأجل ان يأتى غيرنا ويحل محلنا ظلما وبكيفية غير مشروعة ؟ !



الميجـــر ستيجـــاند

وهنا أكرر ما ذكره الميجر ستيجاند (Stigand) الذى حكم تلك النواحى فى العهد الجديد فى مؤلفه « خط الاستواء Equatoria » ص ٩٩ بصدد حكم هؤلاء الزنوج فى المدتين السالفة واللاحقة ، حيث قال :

« كانت الأهالى فى عهد الحكومة المصرية القديمة كما يستنتج من التدابير التى اتخذت فى ذلك العهد أكثر عددا وأحسن نظاما وترتيبا ولكنهم كانوا أشد جنوحا للعداوة منهم فى العهد الحاضر . أما الآن فقد أصبح الدفاع عن نقطة من النقط ضد السكان المقيمين تحت ادارتنا لا يستلزم تعبا ولا نصبا حتى انه ليصعب ان يتصور الانسان حالة كهذه » . اه

وخلاصة هذا الموقف أن الأمر الوحيد الذى يمتاز علينا به خصمنا ينحصر فى قوته وضعفنا . وهذه القوة قد خولته ان يملى علينا إرادته ويجعلها بمثابة شريعة يجب العمل بمقتضاها ، غير ان هذا لا ينبغى ان يحول دون ثبات المصريين وتمسكهم بحقوقهم فيفرطوا فى شىء منها حتى ولو اغتصب منهم اغتصابا . فلو سلك أحد منهم مسلكا مناقضا لذلك وفرط فى تلك الحقوق فانه بذلك يكون قد لوث سمعته وارتكب خيانة وطنه واستحق اللعنة من الاجيال الآتية .

وهنا نورد للقارىء الكلام الخاص بالمعاهدة التى عقدها القائمقام شاليه لونج بك مع متيسا ملك أوغندة وما جرى عليها ثم ما انبنى على تلك المعاهدة وعلى فتح مديرية خط الاستواء من اعتراف الدول بملكية مصر لهذه الارجاء بواسطة التبليغ الرسمى الذى اتخذته حكومة مصر فى عهد نظارة المغفور له شريف باشا .

ولا شك أن القراء كانوا ينتظرون منا ان نورد لهم فى هذا المؤلف النص الرسمى للمعاهدة التى عقدها شاليه لونج مع متيسا ملك أوغندة ، والنص الرسمى أيضا للتبليغ الذى أرسلته مصر الى الدول وانبنى عليه اعترافها بضم مديرية خط الاستواء إلى الأملاك المصرية ووضع حماية مصر على مملكتى أوغندة والاونيورو . والقراء لهم كل الحق فى تحقيق ما كانوا ينتظرون إذ كان ينبغى ان يكون ذلك فى متناول أيدينا . فمن المخجل حقا مع الأسف الشديد الذى يحز فى النفوس ويؤلم النعرة القومية ان نفاجئهم هنا بأن هذا المطلب دونه عنقاء مغرب . فقد لعبت بهذه الوثائق الرسمية العظيمة الشأن أيدى المغتصبين حتى لا يبقى لدينا مستند رسمى نرفعه فى وجوههم . ومن العجب العجاب ان تضيع هذه المستندات فى طرفة عين بين سمع الحكومة المصرية وبصرها وان لا يبقى لها أثر ولا شبه أثر فى المراجع الرسمية . فقد بحثنا حتى أعيانا البحث فى دار المحفوظات المصرية بالقاهرة ، وفى محفوظات وزارة الخارجية المصرية ، وفى أعداد الوقائع المصرية ، ورجعنا بعد التعب والنصب بخفى حنين ، فلم نجد سبيلا أمامنا بعد هذا الاخفاق الأليم إلا الرجوع الى ما دون عنها فى الكتب الافرنجية . وها نحن نترجم ما جاء فيها عنها :

(١)

المعاهـــــدة

قال الكولونيل شاليه لونج فى كتابه « مصر ومديرياتها المفقودة L'Egypte et ses Provinces Perdues ص ٢٤ و ٢٥ :

« لقد توصلت إلى اصابة الهـــدف السياسى الذى ترمى اليـــه مهمتى ونجحت فى ذلك إلى وراء ما كنت أبتغى ، وقدمت للحكومة بتـــاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٤ م تقريرا ذكرت فيه ابرام معاهـــدة مع الملك متيسا قرر فيها هذا الملك وضع مملكته تحت حماية مصر . وهـــذه المعاهدة التى أبلغت لسمو الخديو واتخذت أساسا لصدور تبليغ رسمى قررت مصر بموجبه ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرات فكتوريا والبرت نيانزا ، قد اختفت من دار المحفوظات بمصر .

« وقد تأكد اللورد سالسبرى من اختفاء هـــذا التقرير خصوصا بعد تقسيم هـذه الاقاليم بين انكلترا والمانيا . وزعم انه نزع تلك الأراضى من أصحابها المتوحشين لا من مصر .

« والشاهد انه بالرغم من البحث الطويل عن هـــذه المعاهدة لم يوجد لها أى أثر فى الوزارات المختلفة . ويحتمل أنها أعدمت مع جميـــع المستندات المهمة والتقارير العلميـــة التى وضعها زملائى الفرنسيون والامريكيون من أركان الحرب والتى تشرح جميع الاعمال التى أنجزت فى مدة خمس عشرة سنة . ويقال ان جميع هذه المستندات أحرقها ضابط بريطانى أثناء نوبة جنونية أصيب بها من أثر الخمر » . اه

(٢)

التبليغ الرسمى

وقال أيضا الكولونيل شاليه لونج بك Colonel C. Chaillé Long

فى كتابه : « أواسط افريقيـة L'Afrique Centrale » من ص ٣٣١ الى ٣٣٣ :

« لقـد شاءت ارادة البارى ان يكون لجماعة الرواد القليـلى العـدد الذين روينا آنفا أخبار ما قاموا به من الاعمال ، نصيب فى كشف منابع النيـل . لهذا وانصافا لرئيسى السابق الكولونيل غوردون الذى فارقتـه تلبية لما اقتضتـه مصلحة العمـل فى أقاليم خط الاستواء حيث كانت تستدعى شق طريق يربط بحيرة فكتوريا بالاوقيانوس الهندى مباشرة ، أدون هنا نص بلاغ رسمى أرسله أخيـرا صاحب السعادة شريف باشا الوزير الألمعى وناظر خارجيـة صاحب السمو الخديو الى قناصل الدول الجنراليـة الممثلين لدولهم فى الديار المصرية . وهـذا البلاغ يؤكد خبر ضم غوردون باشا الأراضى الواقعة حول حوض النيل الاستوائى ، وهو :

« يؤخـذ من الأخبار الأخـيرة الواردة الى القاهرة ان غوردون باشا دخـل نهائيا فى مقاطعـة مرولى الواقعـة على شواطىء نهر سومرست Somerset (حيث عانى الكولونيل لونج ـ كما هو معلوم ـ هجوما شديدا ثبت أمامه ثبوت الابطال البواسل) .

« وأنشئت محطة فى مازندى عاصمة بلد الاونيورو .

« واضطر كباريجا ملك الاونيورو ، وكان يظهر دواما العداوة والبغضاء لمصر ، الى الفرار .

« واستدعى انفينا Anfina خصمـه المتشيع بروح المـودة لمصر ليخلفـه وليكون ممثلا للحكومة الخديوية .

« وخضع الأهالى والتزموا جانب الهدوء والسكينة وأرسل غوردون باشا بقيادة نور افندى وهو ضابط موثوق بأمانته واخلاصه ، الجنود اللازمين لاقامة نقطة عسكرية فى اورندوجانى ، ونقطة أخرى على شواطىء بحيرة فكتوريا على مسافة قليلة من مساقط ريبون . وورد فى الأخبار الاخيرة انه احتل موقع ماجونجو الواقع على شواطىء بحيرة البرت فى اتجاه مصب نهر سومرست . وفتح طريقاً تربط ماجونجو بمحطة دوفيليه Dufilé الواقعة على النيل الأبيض قبل مصب نهير أسوا Asua حيث وصلت المراكب تقطرها باخرة .

« وبذا تم لمصر ضم جميع الأراضى الواقعة حول بحيرتى فكتوريا والبرت نيانزا إلى أملاكها . وهاتان البحيرتان الكبيرتان تفتحان مع روافدهما ونهر سومرست ميدانا رحبا للريادة البحرية يقوم الآن غوردون باشا باعداده .

« وانه لمن حسن طالعنا ان نحيطكم علما بنتيجة ما توصلت اليه هذه الحملة الموفقة التى كللت أعمالها بالنجاح بفضل أولئك الذين قاموا بتدبيرها بفكر ثاقب وبسالة واخلاص باشراف غوردون باشا وذلك بقصد تحقيق رغبات الخديو التى ترمى الى احياء تلك الاقاليم بنشر المدنية بين ربوعها واعداد أراضيها للفلاحة وتنمية متاجرها .

« ومع مرور الزمن لابد من تحقيق هذه المآرب بمعاونة ادارة منظمة حازمة وهذا هو الأساس الذى لابد منه ولا غنى عنه لبلوغ درجة النجاح . وبعد وضع هذا الأساس لا تتخلف الحكومة الخديوية ولا تنى عن بذل جميع الوسائل الكافلة للوصول الى الغاية التى تسعى اليها

فى أقرب وقت .

« ويساور غوردون باشا الأمل بأن طرق المواصلات بين مختلف المحطات ستكون فى مدى سنة أو اثنتين آمنة الأمان الكافى بحيث تسمح للتجار والسياح ان يسيروا فى البلد آمنين مطمئنين الاطمئنان التام » . اه

خاتمة

نختم هذا الكتاب بحمد الله تعالى على حسن توفيقه لنا باخراجه إلى لغة الضاد حتى يكون فى متناول أيدى أبناء مصر والسودان وليعرفوا منه ما قام به آباؤهم وأجدادهم من جهود استولوا بها على وادى النيل من منابعه الى مصابه . وهم بذلك إنما استولوا على حقهم الطبيعى ولم يفتاتوا على أحد . فالوادى واديهم وهم أبناؤه فيجب أن يعود الحق الى أصحابه ، وأن يسترد أبناء هذا الوادى ما سلب منهم من بلاد هى لهم بمثابة الروح للجسد . فليعمل أبناء هذا الجيل لاستعادتها وان لم تشأ الاقدار أن تدنيهم من ثمار جهودهم فليكن أبناء الأجيال القادمة أسعد حظا . ولا يضيع حق وراءه مطالب ولا يأس من روح الله والله مع الصابرين ؟

مراجع الكتاب

(١)

المراجع العربيـــة

١ — دار المحفوظات المصرية بالقلعة .

٢ — مخلفات بعض رجال الجيش المصرى فى مصر والسودان لذراريهم .

٣ — تاريخ السودان القديم والحديث لنعوم شقير بك .

٤ — كتاب « السودان بين يدى غوردون وكتشنر » لابراهيم فوزى باشا .

٥ — كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك باشا .

(٢)

المراجع الافرنجيـــة

1 — LA BARBARIE AFRICAINE ET LES MISSIONS CATHOLIQUES DANS L'AFRIQUE EQUATORIALE, contenant particulièrement les actes des martyrs né gres de l'Ouganda,
par F. Alexis, Procure Générale,
Paris, 1891.

2 — LA TRAITE DES NEGRES ET LA CROISADE AFRICAINE,
par F. Alexis, Procure Générale,
Paris, 1891.

3 — GORDON AND THE SUDAN,
by Bernard Allen, Macmillan and Co., Ltd.,
London, 1931.

4 — WITH MACDONALD IN UGANDA,
by Major Herbert Austin, Edward Arnold,
1903.

5 — ISMAILIA,
by Sir Samuel Baker, Librairie Hachette & Cie,
Paris, 1875.

6 — JOURNAL ET CORRESPONDANCE DU MAJOR BARTTELOT, Commandant l'Arrière-Colonne dans l'Expédition Stanley, à la Recherche et au Secours d'Emin Pacha,
publiés par son frère, Librairie Plon,
Paris, 1891.

7 — GORDON IN CENTRAL AFRICA,
by Birkbeck Hill, Thomas De La Rue & Co.,
London, 1885.

8 — TRAVAUX GEOGRAPHIQUES SOUS LA DYNASTIE DE MOHAMED ALI,
par Bonola Bey, Société Khédiviale
de Géographie, 1889.

9 — THE OTHER SIDE OF THE EMIN PACHA RELIEF EXPEDITION,
by H. R. Fox Bourne, Chatto & Windus,
London, 1891.

10 — DER SUDAN UNTER AGYPTISCHER HERRSCHAFT,
von Richard Buchta, F. A. Brockhaus,
Leipzig, 1888.

11 — L'AFRIQUE CENTRALE,
par le Colonel Chaillé Long, Plon & Cie,
Paris, 1882.

12 — BULLETIN DE LA SOCIÉTÉ KHEDIVIALE DE GEOGRAPHIE,
Série I, Caire, 1876-1881.

13 — L'EGYPTE ET SES PROVINCES PERDUES,
par le Colonel Chaillé Long,
Librairie de la Nouvelle Revue,
Paris, 1892.

14 — MY LIFE UNDER FOUR CONTINENTS,
by Colonel Chaillé Long, Hutchinson & Co,
London, 1912.

15 — TEN YEARS IN EQUATORIA AND THE RETURN WITH EMIN PACHA,
by Major Casati, Frederick Warne & Co.,
London, 1891.

16 — SITUATION INTERNATIONALE DE L'EGYPTE ET DU SOUDAN, (Juridique et Politique),
par Jules Cocheris, Librairie Plon,
Paris, 1903.

17 — THE LAND OF THE NILE SPRINGS,
by Colonel Sir Henry Colvile, Edward Arnold,
London, 1895.

18 — LA SUCCESSION DE L'EGYPTE DANS LA PROVINCE EQUATORIALE,
par Henri Dehérain, Revue des Deux-Mondes,
T. CXXIII, 1894.

19 — PROVINCES OF THE EQUATOR,
Publications of the Egyptian General Staff,
Cairo, 1877.

20 — SEVEN YEARS IN THE SOUDAN,
by Romolo Gessi Pacha, Sampson Low, Marston & Co.,
London, 1892

21 — L'OUGANDA ET ALEXANDRE MACKAY,
par A. Glardon, Librairie Grassart,
Paris, 1891.

22 — DIE WAHRHEIT UBER EMIN PACHA, DIE AEGYPTISCHE AEQUATORIALPROVINZ UND DEN SOUDAN,
von Vita Hassan,
Berlin, 1893.

23 — REPORT ON THE EGYPTIAN PROVINCES OF THE SOUDAN, RED SEA AND EQUATOR,
Intelligence Department, War Office,
London, 1884.

24 — EARLY DAYS IN EAST AFRICA,
by the late Sir Frederick Jackson, Edward Arnold & Co.
London, 1930.

25 — STORY OF THE REAR COLUMN OF THE EMIN PACHA RELIEF EXPEDITION,
by the late James S. Jameson, R. H. Porter,
London, 1890.

26 — TRAVELS IN AFRICA, DURING THE YEARS 1875 - 1886
by Dr. W. Junker, Chapman & Hall,
London, 1890.

27 — WASTON PACHA,
by Stanley Lane-Pool, John Murray,
London, 1919.

28 — THE RISE OF OUR EAST AFRICAN EMPIRE,
by Captain F. D. Lugard, William Blackwood and Sons,
London, 1893.

29 — THE STORY OF THE UGANDA PROTECTORATE,
by General Lugard, Horace Marshall and Son,
London, 1900.

30 — SOLDIERING AND SURVEYING IN BRITISH EAST AFRICA,
by Major J. R. L. Macdonald, R. E. Edward Arnold, London, 1897.

31 — EMIN PASHA AND THE REBELLION AT THE EQUATOR,
by A. J. Mounteney-Jephson, Samspn Low, Marston, Searle and Rivington, London, 1890.

32 — SIR SAMUEL BAKER, A MEMOIR,
by Douglas Murray and Silva White, Macmillan and Company, London, 1895.

33 — AU SECOURS D'EMIN PACHA, 1889-1890,
par le Dr. Peters, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1895.

34 — AU COEUR DE L'AFRIQUE, OUGANDA, un demi-siècle d'apostolat au Centre Africain, 1878-1928,
par le R. P. Anthony Philippe, des Pères Blancs, Editions Dillien and Cie, Paris, 1929.

35 — THE BRITISH MISSION TO UGANDA IN 1893,
by Sir Gerard Portal, Edward Arnold, London, 1894.

36 — L'OUGANDA ET LES AGISSEMENTS DE LA COMPAGNIE ANGLAISE " EAST AFRICA ",
à la Procure des Missions d'Afrique, Paris, 1892.

37 — EMIN PASHA IN CENTRAL AFRICA,
by Prof, G. Schweinfurth, Prof. F. Ratzel,
Dr. R. W. Felkin, and Dr. G. Hartlaub, translated,
by Mrs. R. W. Felkin, George Philip and Son,
London, 1888.

38 — EMIN PASHA, HIS LIFE AND WORK,
by George Schweitzer Archibald Constable and Co.,
westminster, 1898.

39 — A TRAVERS L'AFRIQUE AVEC STANLEY ET EMIN PACHA, Journal de Voyage du Pére Schynse,
publié Par Charles Hespers, W. Hinrichsen,
Paris, 1890.

40 — STANLEY AND HIS HEROIC RELIEF OF EMIN PASHA,
by E. P. Scott, Dean and Son,
London, 1890.

41 — THE PARTITION OF AFRICA,
by J. Scott Keltie, Edward Stanford,
1893.

42 — DANS LES TENEBRES DE L'AFRIQUE,
par H. M. Stanley, Librairie Hachette and Cie,
Paris, 1890.

43 — EQUATORIA, THE LADO ENCLAVE,
by Major C. N. Stigand, Constable and Co.,
London, 1923.

44 — SUDAN NOTES AND RECORDS, Vol. X, 1927.

45 — AFRICAN INCIDENTS,
by Brevet-Major A. B. Thruston, John Murray,
London, 1900.

46 — STANLEY AU SECOURS D'EMIN PACHA,
par A. J. wauters, Maison Quantin,
Paris, 1890.

47 — UGANDA AND THE EGYPTIAN SUDAN,
by the Rev. Wilson and Felkin, Sampson Low,
Marston, Searle, and Rivington,
London, 1882.

48 — MAHDISM AND THE EGYPTIAN SUDAN,
by Major F. R. Wingate, Macmillan & Co.,
London, 1891.



فهرس

صور الكتاب

فهـرس

موضـــوعات الجـــزء الثالث

فهرس

أعلام الأشخاص والقبائل والجماعات الواردة بهذا الكتاب

(ت)

(ث)

(ج)

(ص)

(ع)

(ل)

(م)

(و)

تنبيــه : طبع فى بعض النسخ بالصفحة ٢١ من هذا الفهرس الرقم ٣٢٢ بين أرقام صفحات اليوزباشى سليمان افندى سودان خطأ فليستدرك ذلك .

فهرس

أسماء البلاد والبحار والأنهار والجبال وسائر الأماكن

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ص)

(ط)

محطة أو مركز فاديبك ج ٢ ص ٦ و ٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٤ و ٦١ و ٦٢ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٢٦ و ١٥٢ و ٢٠٨ و ٢٥٢ و ٢٧٩ و ٢٩٥ و ٣٧٣ و ٣٧٨ و ج ٣ ص ٧ و ٢٨

محطة فاكوفيا (انظرها فى قرية)

محطة فضل الله افندى القديمة ج ١ ص ٣٤٦

محطة فودا ج ٢ ص ٦٠ و ٧١ و ٢٩١ – ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣١٣

محطة أو مركز أو مديرية فويرا ج ١ ص ٧١ – ٧٤ و ٨٠ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٢ و ١٢٦ و ١٤٦ و ١٥٠ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٧ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٩٨ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٤ – ٢٢٩ و ٢٣٩ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٥١ – ٢٥٣ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٣١٠ و ٣٩١ و ٤٠٨ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٨ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ج ٢ ص ٨ و ٩ و ٥٤ و ٦٠ و ٦١ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦ و ١٢٥ و ١٥٢ و ٢٠٨ و ٢٣١ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ج ٣ ص ٣٨٠

محطة كابابندى (مكرا كا الكبرى) ج ١ ص ٢٠٩ و ٣٣٩ و ٣٤٤ – ٣٥٠ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ج ٢ ص ٦٥ و ١٠٨ و ١١٠ و ١٨٣ و ٢٠١ و ٢٢٥ و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٦٨ و ٣١٨ و ٣٢٠

محطة كاليكا ج ١ ص ٣٤٨ – ٣٥٠ و ٣٩٤ و ج ٢ ص ٦٥ و ٢٢٨

محطة كجك على أو كشك على ج ١ ص ٢٧ و ٣٣ و ١٤٣

محطة أو مركز كرى ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٧ – ١٩٠ و ١٩٢ و ٢٤٤ و

و ٢١٩ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٩ و
٢٥٥ و ٢٦١ و ٢٧٥ و ٢٧٩ و ٣٠٧
ـ ٣٠٩ و ٣١١ و ٣١٥ و ٣١٩ و ٣٢٢
و ٣٣٣ ـ ٣٣٥ و ٣٣٨ و ج ٣ ص
٢٠ و ٢٢ ـ ٢٦ و ٧١ و ٧٤ و ٧٥
و ٧٧ و ٨٤ و ٨٧ و ١٠٧ و ١٠٨ و
١٢١ و ١٢٣ و ١٤٤ و ١٤٦ و ١٥٨
و ١٩٤ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٧٠

محطة أو مركز لاتوكا ج ١ ص
٥٩ و ١٥٠ و ١٥٣ و ١٨٣ و ١٨٤ و
٢٠٠ و ٢٤٣ و ٢٦٧ و ج ٢ ص ٥
و ٦ و ٢٨ ـ ٣٢ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٠
و ٦١ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و
٧٦ و ١٣٣ و ١٤٣ و ١٥٦ و ١٦٩ و
١٧٤ و ٢٠٩ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٧

محطة أو مركز لادو ج ١ ص ١٣٤
و ١٤٥ و ١٤٨ ـ ١٥٠ و ١٥٣ و
١٨٠ ـ ١٨٢ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩١

و ١٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و
٢١٠ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٢٧
و ٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٦١ و
٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٩٤ و ٣٠٧ و ٣٠٩
و ٣١٦ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٥ و
٣٢٦ و ٣٢٩ ـ ٣٣٥ و ٣٣٨ ـ ٣٤٩
و ٣٥٨ و ٣٧٣ و ٣٨٦ ـ ٣٨٨ و
٣٩٠ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٥ ـ ٣٩٩
و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤١٠ و ٤١٦ و
٤٢٠ و ٤٢٣ و ٤٢٥ ـ ٤٢٧ و ٤٢٩
و ٤٣٥ ـ ٤٣٧ و ج ٢ ص ٣ و ٥
و ٩ و ١١ و ١٢ و ١٥ و ٢٤ ـ ٣٠
و ٣٥ ـ ٣٧ و ٤٧ و ٥٠ ـ ٥٧ و
٦٨ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ ـ ٧٦ و ٨٠
و ٩٠ و ٩٨ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٠
و ١١٣ ـ ١١٥ و ١٢١ و ١٢٤ ـ
١٢٧ و ١٢٩ ـ ١٣١ و ١٣٧ و ١٤٧
ـ ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٨ ـ ١٧٠ و

٢٠٩ و ٢١٣ و ٢٤١ و ٣٣٢

محطة مرولى (ومرولى أيضا اقليم ومقاطعة) ج ١ ص ٩١ و ١٤٨ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٩٨ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٥ ـ ٢٤٨ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٥ ـ ٢٥٩ و ٢٦١ و ٢٦٤ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٣٣ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٧ و ٣٧٩ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٧ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٤٠٨ و ٤١٥ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٣ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ج ٢ ص ٨ و ٦٠ و ٢٩٩ و ج ٣ ص ١١ و ١٣ و ١٨ و ٣٢ و ١٢٦ و ٣٢٢ و ٣٨٠ و ٣٨٨

محطة مسعودى ج ١ ص ٢٣٠

محطة مسوه ج ٢ ص ٦٧ و ٣٧٨ و ج ٣ ص ٧ و ١٩ و ٣٢ و ٤٢ ـ ٤٥ و ٥٠ و ٦٣ و ٦٤ و ٧١ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٥ و ١٠٨ و ١١٦ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٣ و ١٤٩ و ١٥٩ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٨١ و ١٨٦ و ١٩٧ و ١٩٩ ـ ٢٠١ و ٢٠٤ و ٢١٦ و ٢٢١ و ٢٤٦ و ٢٤٨ ـ ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٦١ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٣

محطة أو مركز مكراكا ج ١ ص ١٥٣ و ج ٢ ص ٤٧ و ٥١ و ٥٤ و ٦٤ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٦ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٤ و ١٠١ و ١٠٦ ـ ١٠٨ و ١١٠ و ١١٧ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٨٠ و ١٨٣ ـ ١٨٦ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٤ و

تنبيهات

(١) — وقع فى فهرس الأعلام ص ١٨ نهر ١ س ٤ : ممتاز باشا (محمد)
(وصوابه : ممتاز باشا (احمد) .)

(٢) — ووقع فى فهرس أسماء البلاد ص ٣ نهر ٢ س ١٨ : أوزوكوما ج ٣ ص ٢٣٧

(وصوابه : ج ٣ ص ٢٣٧ و ٢٣٨)

(٣) — ووقع فى فهرس أسماء البلاد أيضا ص ١١ نهر ٢ س ١٥ : جبل موى

(وصوابه : جبل مرى)

(٤) — ووقع فى فهرس أسماء البلاد كذلك ص ٤٦ نهر ١ س ١٣ : مملكة اللانجو ج ١ ص ٢٨١

(وصوابه : مملكة اللانجو أو قسم اللانجو ج ١ ص ٢٨١ و ج ٢ ص ١٣٧)

(٥) — وجاء فى عنوان الخريطة المبينة للطريق الذى سلكه أميرالألاى شاليه لونج بك والملحقة بالأجزاء الثلاثة من هذا الكتاب كلمتان حرفتا فى الرسم وهما :

فى س ٥ خبوكرو (وصوابها جندوكورو)

وفى س ٩ المصية (وصوابها المطية ـ أى المطاة)

استدراك أخطاء الجزء الثالث

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــــواب
٩	٧	والادی	وادلای
١١	٢١	غند	عند
٦٨	١٤	مجيؤهم	مجيئهم
٨١	١	ريحان افندی	ريحان (خادم حواش افندی)
١٠٦	١٨	سليم افندی خلاف	سالم افندی خلاف
١١١	٦	لهم	لهما
١١٨	٤	انحراقا	انحرافا
١١٩	١٣	يجداهم	تجداهم
١٢٤	١٤	فی جميع	فی جميع جهاتها
١٤٣	٩	مباليين	مبالين
١٤٥	١٠	غماده	غمده
١٨٦	١٣	٨ جنديا	٨٠ جنديا
٢٢٧	٢١	جيرول	جيرولت
٢٣٨	٣	شينس Shynse	شينز Schynse
٢٣٨	١١	أوزوكاما	أوزوكوما
٢٤٠	٥	Shmidf	Shmidt
٢٤٦	٩	أحضرتهم	أحضروها

(تابع) استدراك أخطاء الجزء الثالث

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٢٥٢	١٠	طوبة	طوبة
٢٨١	١١	مرافقته	مرافقتى
٢٩٠	١٨	مازامبونى	موزامبونى
٢٩٦	٨	السير ف . د . ويتتون F. D. Winton	السير ف . دى ويتتون F. De Winton
٣١٧	٨	من اضطراب	اضطراب
٣٣١	٢١	لاسيما وأنه	لاسيما أنه
٣٧٠	٥	مؤيدة	مؤيدة
٣٧٨	١٧	My Life in four Continents	My Life Under four Continents
٣٧٩	٢٠	ربك هيل Birbuck Hill	بركبك هل Birkbeck Hill

استدراك ما فاتنا استدراكه من الأخطاء

في الجزأين الأول والثاني

الجـــزء الأول

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــــواب
١٠٤	٧	حسن خليفة	حسين خليفة
١٦٦	٢٠	منزرعا	مزروعا
١٦٧	٢٠	عبد الرحمان	عبد الرحمن
١٧٥	١٠	هذا مما	وهذا مما
١٩٣	١٥	تحشى	تحشو
٢٢٤	٦	اتجاه	تجاه
٢٢٤	٢٠	شجى	شجا
٢٢٩	١٢	ينوف	ينيف
٢٩٤	١	وادى الملك	واد الملك
٣٠٤	٢٠	العقيد	العقد
٣١٥	٢	جيد	جيدا
٣٣٦	١٦	وقابل والـكولونيل	وقابل الـكولونيل
٣٦٤	١١	وجميع والأمة	وجميع الأمة
٣٦٥	١	ودركنا	وأدركنا
٣٦٦	٢٠	يملوءنها	يملئونها
٣٨٦	١٩	يستبدلونها بالرقيق	يستبدلون الرقيق بها
٤٢٢	٩	وصله	وصل إليه

(تابع) استدراك ما فاتنا استدراكه من الأخطاء

الجزء الثانى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٦	١١	متوفرة	متوافرة
١٠٣	١٨	عبد المبين افندى شلمى	عبد البين افندى شلمى
١٠٨	١	سليم افندى خلاف	سالم افندى خلاف
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١١٤	١٠	فرج افندى آچوك	فرج افندى الچوك
١٢٢	١٣	بالتواطىء	بالتواطؤ
١٢٧	٥	سليمان افندى السودانى	سليمان افندى سودان
١٥١	١٤	واحمد افندى محمود وسكرتيره	واحمد افندى محمود سكرتيره
١٦١	٩	من العلوم	من المعلوم
١٨٤	١	سبا	سبى
١٨٧	٦	توابع	أتباع
١٩٠	٩	بافوا	بافو
٢١٨	١٦	يقل له	يقال له
٢١٨	١٦	فولة افندى	الفولى افندى
٢٢٣	١٣	» »	» »
٢٢٤	١٤	» »	» »
٢٣٣	١	» »	» »

(تابع) استدراك ما فاتنا استدراكه من الأخطاء

(تابع) الجزء الثانى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٦	١	خطايا	خطاب
٢٧٤	٢٠	ميخائيل افندى سعد	ميخائيل افندى أسعد
٢٧٨	١٢	على افندى جابو	على افندى جابور
٢٧٨	١٣	عبد المبين افندى شلمى	عبد البين افندى شلمى
٢٧٨	١٥	سليمان افندى السودانى	سليمان افندى سوذان
٣٠٨	١	توابع	أتباع
٣١٣	١٤	فأتخذهما	فاتخذهما
٣٢٧	١٦	المحجومات	المهجنات
٣٥٤	١٣	الواجاند	الواجندا
٣٥٩	١٧	هذا نصه	هذا مؤداه
٣٦٧	٢١	طالة	طالت
٣٧٣	٢١	احمد افندى حمد	حامد افندى محمد
٣٧٤	١٧	» » »	» » »
٣٧٨	٢	لانز Lanz	لنز Lenz
٣٨٢	٦	كاتاجورا	كاتاجروا
٣٨٤	٣	»	»

فهرس

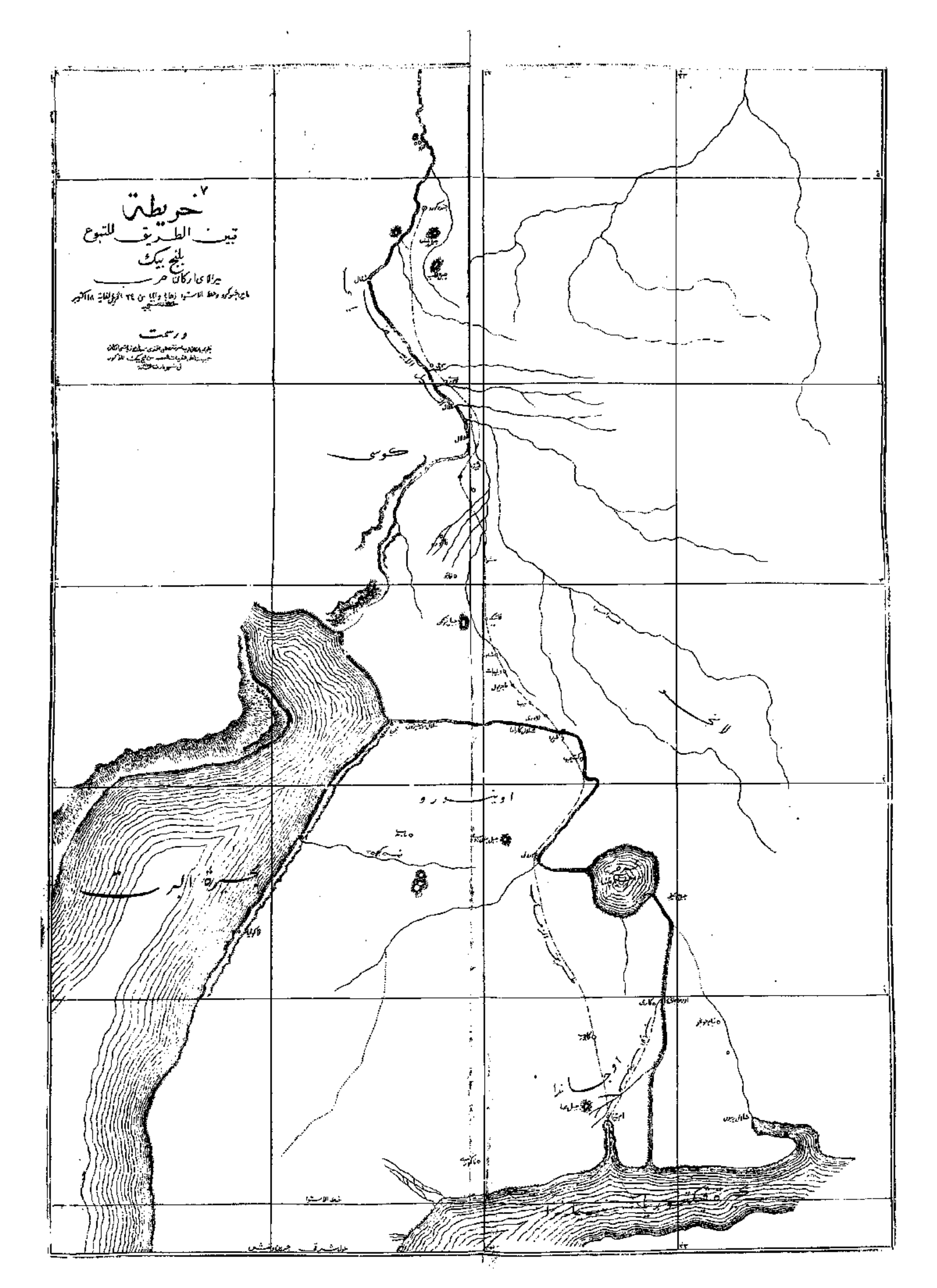
صور الكتاب

فهرس

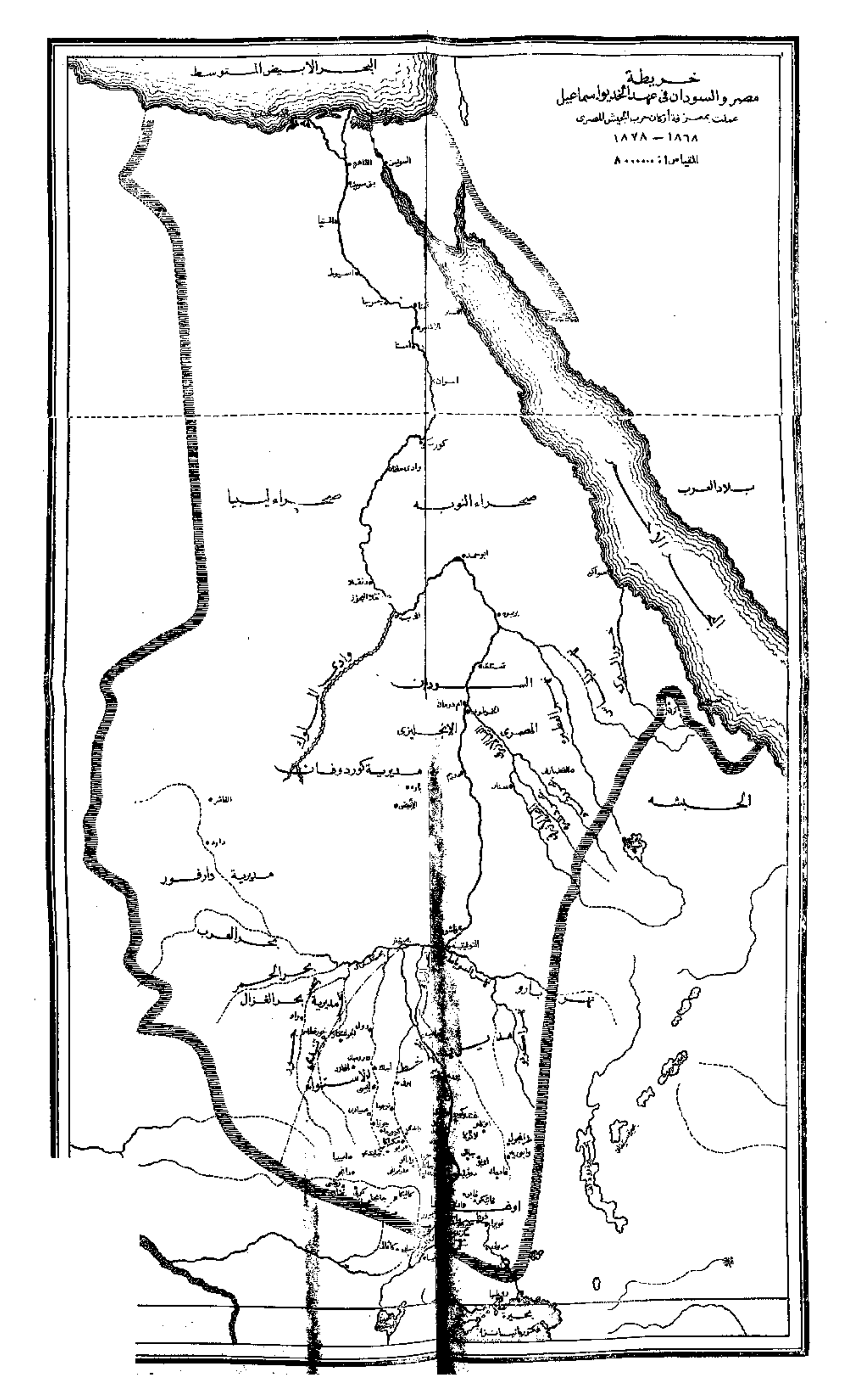
موضوعات الجزء الأول

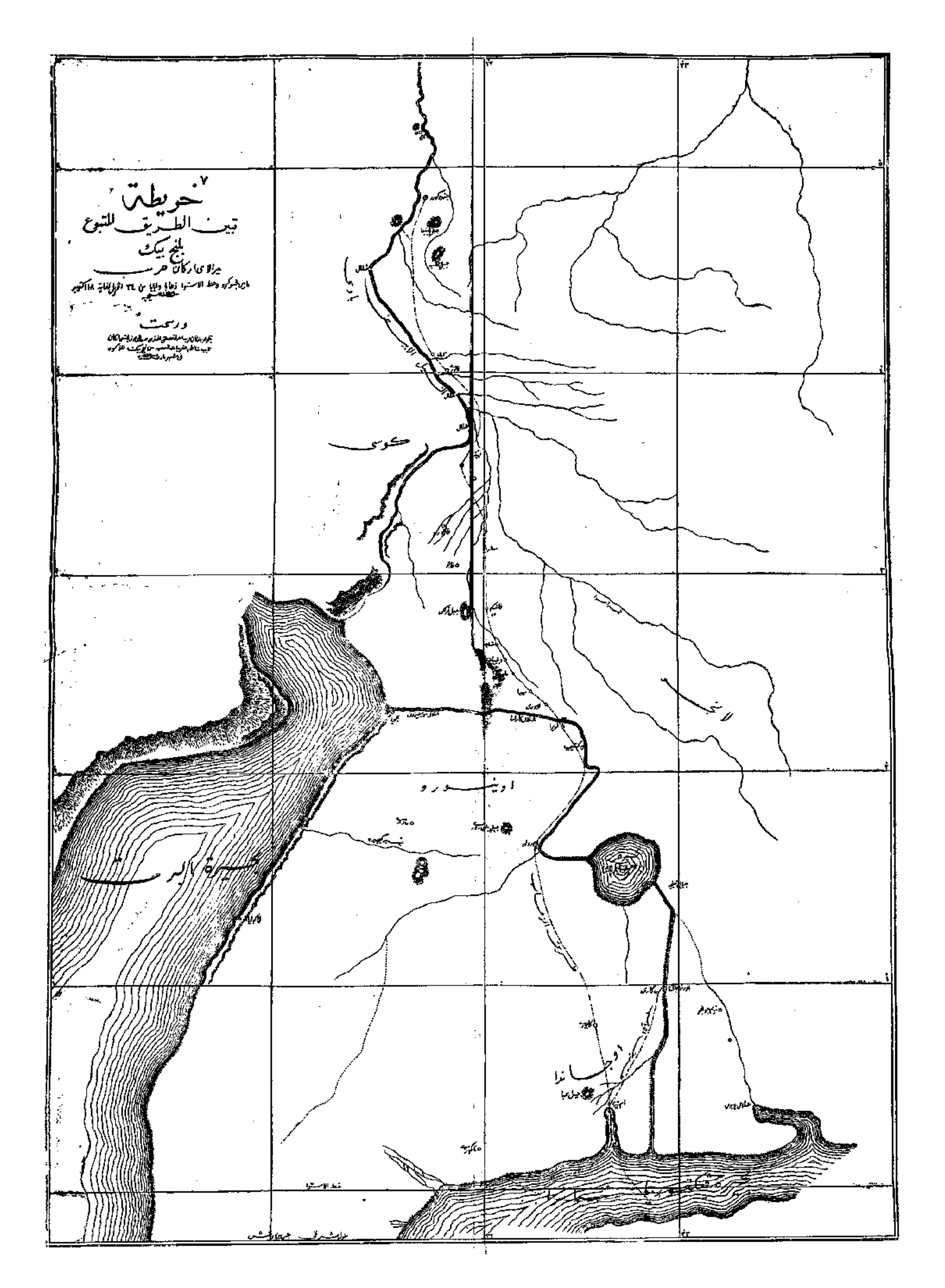
استدراك

الصفحة	السطر	الخطــــأ	الصــــواب
٩	١٩	أمانتهم على	أمانتهم وحرصهم على
١٨ (الصورة)	١	بين فروسكو وأبى حمد	بين كروسكو وأبى حمد
٤٠	١٣	٢٩ يونيو	٢٩ مايو
٧٢	١	Kabb - Miro	Kabba - Miro
٧٨	١٤	كباريحا	كباريجا
٧٨ (الصورة)	٢	٨ يونيه سنة ١٨٧١	٨ يونيه سنة ١٨٧٢
٩٤	٦	رؤسائها	رؤسائهم
١٥٨	١	عبد الرحمن الفوراوى	عبد الرحمن الفوراوى
١٨٨	١٢	أعباء	إعياء
٢٠٠	١٢	دوفيلية	دوفيليه
٢١٤	٨	عند	عن
٢٣١	١٤	« أرجو »	« وارجو »
٢٨٥ (هامش)		والآن أوروندوجانى	والآن انتيى
٣٥١	١٤	الملحق الأول	الملحق الثانى
٣٦٠	٢١	وعند (فى بعض النسخ)	وعندما
٣٦٨	١٧	أكثر امتداد	أكثر امتدادا
٣٨٥	١	ضعف عزيمته	



٧
خريطة
تبين الطريق للتبوع
بلنج بيك
ميرالاي اركان حرب
ورسمت
كوسى
اوبندرو
خط الاستوا


خريطة
مصر والسودان فى عهد الخديو إسماعيل
عملت بمصلحة أركان حرب الجيش المصرى
١٨٦٨ — ١٨٧٨
المقياس ١ : ٨٠٠٠٠٠٠
البحر الأبيض المتوسط
القاهرة
السويس
المنيا
أسوان
صحراء ليبيا
صحراء النوبة
بلاد العرب
دنقلا
وادى الملك
السودان
المصرى
الإنجليزى
مديرية كردوفان
الأبيض
الحبشة
مديرية دارفور
بحر العرب
مديرية بحر الغزال



خريطة ٧
تبين الطريق المتبوع
بلنج بيك
ميرالاي اركان حرب
ورسمت
كوسى
اوينورو
بحيرة البرت
اوجاندا
خط الاستوا